كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني
(٦٣٦ ـ ٦٨٩)

إختيار مصباح السالكين

شرح



الوسط

تحقيق الدكتور
محمد هادي الأميني

دار الحوراء

المدخل

لا أحسب كتابًا على امتداد التأريخ، و عبر القرون و الأحقاب... منذ أن تدرّج الإنسان على الأرض... وضعت حول جوانبه و مفاهيمه و بحوثه و مطالبه و مواضيعه امّهات الكتب والدراسات و الشروح، بعد القرآن الكريم مثل كتاب (نهج البلاغة) فهو لاحتوائه على «٢٤٢ خطبة و كلامًا، و ٧٨ كتاباً و رسالة، و ٤٩٨ كلمة ، من يواقيت الحكمة و- در رالبيان، و جوامع الكلم... أشغل الشخصية الاسلامية... وحوّل نحوه الجامعات والأكاديميات العلمية والأدبية والفلسفية... وأخذ بمجامع العقول والأفكار والقلوب... منذ أن قالها و أنشأها و صاغها وارتجلها، عملاق الفصاحة، و عبقريّ البلاغة، و سيّدالبيان، و- أمير الأدب الإمام أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه سلام الله و رحمته و بركاته.

والواقع أنّ الكتاب هذا... في حروفه... كلماته... جملا ته... سطوره... جاذبيّة خاصة... والكثير من قوّة الجذب التي لا عهد لنا بها إلّا في القرآن الكريم... فهو كالمسك ما كرّرته يتضوّع، و لذلك نجد بينه و بين القرآن تشابهاً، و ترادفا في الهدف، والغاية، والغرض، واللفظ، والمعنى، والسياق، والبيان، والشكل... و لهذا يعتقد الكثير من أئمة البيان والكلام، أنّ نهج البلاغة وليد القرآن فحسب.

ولا غرو، ولا مغالاة في القول هذا، بعد أن وجدنا الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، حفظ القرآن كلّه، فوقف على أسراره، وإعجازه، و حكمه، و ظاهره، و باطنه، و ناسخه، و- منسوخه، و محكمه، و متشابهه، و كافة جزئياته و كلياته، و سارالقرآن في جسمه، و- اختلط به لحمه، و دمه، و مشى في عروقه، ثم وجدنا الجميع في نهج البلاغة... مع تبيانه الصريح، و إعلانه الرصين في عدّة مواضع صارخًا: سلوني قبل أن تفقدوني... سلوني عن

كتاب الله، فإنّه ليس من آية إلّا و قد عرفت بليل نزلت أم بنهار، في سهل أم في جبل[1].

أو ما رواه المأمون، عن الرشيد، عن المهدي، عن المنصور، عن أبيه، عن علي بن العباس، عن عبدالله بن عباس، قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول: كفّوا عن ذكر علي ابن أبي طالب، فلقد رأيت من رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم، فيه خصالا لأن تكون لي واحدة منهن في آل الخطاب أحبّ إليّ مما طلعت عليه الشمس، كنت أنا، و أبوبكر، و أبوعبيدة، في نفر من أصحاب رسول الله (ص) فانتهيت إلى باب امّ سلمة، و عليّ قائم على الباب، فقلنا: أردنا رسول الله (ص)؟ فقال: يخرج إليكم، فخرج رسول الله (ص) فثرنا اليه، فاتّكأ على علي بن أبي طالب، ثم ضرب بيده على منكبه، ثم قال: إنّك مخاصم تخاصم، أنت أوّل المؤمنين إيمانا، و أعلمهم بأيام الله، و أوفاهم بعهده و أقسمهم بالسويّة و أرأفهم بالرعية وأعظمهم رزية، و أنت عاضدي و غاسلي و دافني، والمتقدّم إلى كل شديدة و كريهة، ولن ترجع بعدي كافرًا، و أنت تتقدّمني بلواء الحمد، و تذود عن حوضي، ثم قال ابن عباس من نفسه: و لقد فاز عليّ عليه السلام، بصهر رسول الله (ص)، و بسطة في العشيرة، و بذلا للماعون و علمًا بالتنزيل و فقهاً للتأويل و نيلاً للأقران[2].

و من هنا نرى الغزالي[3] بعد تلاوته الحديث هذا، يقول: قد علم الأولون و الآخرون، أنّ فهم كتاب الله منحصر إلى علم عليّ، و من جهل ذلك فقد ضلّ عن الباب الذي من ورائه يرفع الله عن القلوب الحجاب، حتى يتحقق اليقين الّذي لايتغير بكشف الغطاء[4].

---

١ ـ الغدير ٣: ٩٥ ـ الاحاديث الواردة في علم أميرالمؤمنين. ورأي الصحابة فيه و ان اول من اعترف له بالاعلمية نبي الاسلام صلى الله عليه و آله و سلم. مستدرك الصحيحين ٣: ٤٩٩. كنزالعمال ٦: ١٣. جمع الجوامع كما في ترتيبه ٦: ٣٩٨. مسند احمد بن حنبل ٥: ٢٦. الرياض النضرة ٢: ١٩٤. مجمع الزوائد ٩: ١٠١، ١١٤. مناقب الخوارزمي: ٤٩.

٢ ـ حلية الاولياء ١: ٦٦. الرياض النضرة ٢: ١٩٨ عن الحاكمي. مطالب السئول: ٣٤. كنزالعمال ٦: ٣٩٣. كفاية الطالب: ١٩٧. اسدالغابة ٥: ٥٢٠. مجمع الزوائد ٩: ١١٣. الاستيعاب ٢: ٤٦٢ بسنده عن سعيد بن وهب. ذخائر العقبى: ٦١ و قال: اخرجه الطبراني.

٣ ـ أبوحامد حجة الاسلام محمد بن محمد الغزالي الشافعي الطوسي المتوفى ٥٠٥. هـ.

٤ ـ فيض القدير ٣: ٦٤.

هذا بالاضافة إلى عشرات الأحاديث، والروايات الصحيحة الثابتة عن النبيّ الأعظم صلّى الله عليه و آله و سلم، في علم عليّ عليه السلام و قضائه و أدبه و حكمته و دينه و إيمانه و تكامله في كافّة الجوانب العلميّة والاخلاقيّة والسياسيّة و الاجتماعيّة، فهو نسيج وحده بعد المشرّع الأعظم صلّى الله عليه و آله و سلم، في جميع المثل والقيم الانسانيّة، ولذلك يمكن القول بصراحة أنّ نهج البلاغة... وليد القرآن، من دون منازع و من غير افتقار إلى دليل و حجة و برهان، و لم يكن القول هذا بابتداع واختلاق منبعث عن التعصّب والانحياز، والغلو و إنّما هو عقيدة أئمة الأدب و فقهاء البيان والبلاغة وأحبار الحكمة، والفلسفة، و جهابذة النحو والمنطق و اللغة، منذ إنشاء نهج البلاغة و صوغه و إنشاده و تكوينه.

لقد تلقّت رجالات الفصاحة و فقهاء البيان و أحبار الحكمة والفلسفة كتاب نهج البلاغة، بالإكبار و التجليل، و وقفت خاشعة ذاهلة أمام أُسلوبه الرصين و بيانه السّحريّ و نهجه البليغ و سبكه العذب و معنويته الحيّة، و راحت تدرسه و تحلّله، و تضع له شروحًا و تفاسير جمّة، و ترجمته إلى اللغات الحية، و وضعت حوله دراسات و بحوث شتّى، فبلغ ما ينيف على ٣٥٠ شرحا و ترجمة باللغتين العربية والفارسية[5]، و على هذا يمكن القول: أنّ المؤلّفات والكتب الخاصّة، بكتاب نهج البلاغة تشكل وحدها مكتبة عامرة[6] ولعلّ الله يوفّق من يجمع هذه الدراسات والكتب في خزانة خاصّة، أو يضع لها ثبتًا و معجما خاصا، خدمة للعلم و الأدب و التأريخ:

كتابٌ كأنّ الله رصّع لفظهُ ... بجوهرِ آياتِ الكتابِ المنزّل

حوى حِكَماً كالدُّر ينطقُ صادقاً ... ولا فرق إلّا انّهُ غيرمنزل

* * *

هذا و من الذين شرحوا كتاب نهج البلاغة، فقيه الحكماء و فيلسوف الفقهاء و فخر العلماء والأدباء و أفضل المتقدّمين والمتأخّرين، كمال الدين و مفيدالدين الشيخ ميثم

---

٥ ـ الغدير ٤: ١٨٦.

٦ ـ هذا و قد تُرجم نهج البلاغة الى اللغات الحية كالانكليزية والفرنسية والهندية والتركية وغيرها.

ابن علي بن ميثم البحراني... رضي الله عنه، فقد صنّف لهذا الكتاب شروحا ثلاثة، بأسلوب علمي بليغ ونهج فلسفي قويم، كانت موضع التقدير والإكبار والبحث والتدريس.

ولد و نشأ هذا العيلم النّحرير في البحرين، و ترعرع في أحضان العلم والفقه، لأنّ أسرته كانت من الأسر الشهيرة العريقة، فنشأ في حجر أبيه المقدّس و بذل في تربيته الجهد، واستفرغ في تأديبه و تهذيبه وسعه و بوّأهُ من علمه و حكمته في تثقيفه مُبوّأ صدقٍ مبارك، يفتح له سبل الحجي و يدفعه إلى أوج الهدى والتقى، فأخذ أولاعلوم اللّغة والصرف و النحو و فنون اللسان، و حصل في الصرف والنحو والمعاني والبيان والبديع و علم المنطق، على درجة و امتياز رفيع.

لقد أخذ هذه العلوم عن أساتذة مهرة بررة من علماء البحرين، اختارهم له والده، و كان يقف على دروسه معهم لايألو جهدًا في تشويقه و تشجيعه و تنشيطه و تمرينه، ولا يدّخر وسعا و فراغًا في إرهاف عزمه و اغرائه في الامعان بالبحث والمناقشة.

و كان منذ نعومة أظفاره و أوّل نشأته بعيد الهمة، توّاقًا إلى المعرفة و الكمال، و نزّاعا إلى الفضيلة والعبقرية، فحسر عن ساعد الجدّ والاجتهاد و جنّد نفسه في التحصيل، حتى بزَّ أقرانه و زملائه، و جلى و فاز دونهم في جميع المجالات بالقدح المعلى، و فشى ذكره في التحصيل على ألسنة الخاصّة و العامّة، من أهل بلده، و خالط صيته العقل والفضل والهدى والرأى و حسن السمت في تلك الأرجاء و عندالجميع، فكان المثل الأعلى في الحوزات العلمية و أوساط الشبيبة في حمد السيرة و طيب السريرة و جمال الخلق و كمال الخلق و حبّ الخير.

غير أنّه آثرالعزلة و اختارهاو أحبّها وهام بها لأنّه بلغ مقام الأنس على حدّ قول علماء الاخلاق، وقد قالوا: إنّ من بلغ مقام الأنس غلب على قلبه حبّ الخلوة والعزلة عن الناس، لأنّ المخالطة مع الناس تشغل القلب عن التوجّه التام إلى الله، فلابدّ من بيان أنّ الأفضل من العزلة والمخالطة أيّهما، فإنّ العلماء في ذلك مختلفون والأخبار أيضًا في ذلك مختلفة، و لكل واحد منهما أيضا فوائد و مفاسد، و قد أجمعت كلمتهم على تفضيل العزلة على المخالطة مطلقا، لوجود فوائد، منها، الفراغ للعبادة، والذكر والفكر والاستيناس

بمناجاة الله والإشتغال باستكشاف أسرارالله في ملكوت السماوات والأرض والتخلّص عن المعاصي الّتي يتعرّض الإنسان لها غالبا بالمخالطة[7].

و مهما يكن من أمر فإنّ المترجم له... آثر العزلة إلى أن تخلّص منها على أثر مكاتبات جرت بينه و بين علماء العراق، فغادر مسقط رأسه متوجّهاً إلى العراق و ايران، بغية زيارة الأعتاب المقدّسة و مراقد أهل البيت الطاهرين عليهم السلام في النجف الاشرف، وكربلاء، والكاظمية، وسامراء، وخراسان، وقم، ومن ثمّ الاجتماع بالعلماء والفقهاء في الحوزات العلمية آنذاك .

لقد استغرقت رحلته هذه، سنين عدّة و عاد إلى البحرين، و كانت أوقاته منقسمة حتى في السفر بين المحراب والمطالعة والتدريس والكتابة والبحث والارشاد، ففي سفره صنّف الشروح الثلاثة لكتاب نهج البلاغة، كما كانت مجالس تزاوره في رحلته مدارس سيارة، يجد الطالب فيها ما يبتغيه من فنون العلم، والحكمة والأدب و ما إلى ذلك من مواعظ تسمو بالانسان إلى حيث الملكوت والروحانية... و هو في كل هذا كما يشهد عليه بيانه، واضح الأسلوب، فخم العبارة، مشرق الديباجة، يعبّر عن كوامن نفسه بأبلغ بيان، و يعبّر عن ضميره بأجلى العبائر الحسان، فيبلغ بقوله و كلامه أعماق القلوب من خواصّ الناس وعوامهم، يخاطب كلاً منهم بما يناسب مع شعوره، و يتفق مع عقليته و مبلغه من الفهم والعلم و الإدراک بكلام هو أندى على الأفئدة من زلال الماء... فكان منتجعو روّاد مجالسه على اختلاف طبقاتهم، ينقلون عنه بما إلتمسوه من ضوال الحِكمة و جزيل الفوائد العلمية و جليل العوائد العملية.

إنّ الشيخ ميثم... كرّم الله وجهه، كان رحلة في العلم، كما كان قبلة في العمل والعبادة، و إماماً في الحكمة والفقه، و علَماً في الشريعة، تمّت به النّعمة، و هاديا إلى الله وجبت به الحجّة، و مفزعاً في العلم تلقى إليه المقاليد، و مرجعاً في أحكام الله و قوانينه يناط به التقليد، و ثبتاً في السنن و حجّة في الأخبار، و جهبذاً في الوقائع و حوادث السنين و أحوال الغابرين، طويل الباع في الحكمة، و بحرًا في الاخلاق و تهذيب النفس، لايسبر غوره و لاينال دركه.

---

٧ ـ جامع السعادات ٣ : ١٩٤.

و هذا إن دلّ على شيئ فإنّما يدلّ على شخصيّة شيوخه و مناعة أساتذته الفطاحل، في العلوم الإسلامية إلى جانب شدّه للعلم حيازيمه، وإرهافِهِ له عزائمه ، وإرصادِهِ الأهب لأخذه بجميع فنونه عن تلكم الجهابذ، وخوضِهِ عباب البحار، و لذلك عنت أساتذته بأمره إلى الغاية، و اهتمّت بشأنه كل الإهتمام.

شيوخه:

يكتنف حياة هذا العملاق... الكثير من الغموض مع الأسف الشديد، و لم يتوصّل المؤرّخون إلى جذور حياته و مراحل دراسته بصورة وافية، ليضعوا أمام القارئ صورة صحيحة عنه، فالجوانب من حياته مجهولة، و منها شيوخه و أساتذته الذين تخرّج عليهم، إذ لا مشاحة أنّه تتلّمذ على فحول الفقه وعمالقة الكلام وأساطين الفلسفة والحكمة وأرباب الجدل والمناقشة، فهو في الواقع حصيلة وخميرة أدمغة الفطاحل، و عصارة الحكماء و مجموعة ثقافات الفقهاء والمجتهدين، بيد أنّ المؤرخين لم يذكروا منهم غير إثنين أو ثلاث وهم:

١ - أبو السعادات أسعد بن عبدالقاهر بن أسعد الإصبهاني المتوفى بعد ٦٣٥.

من كبار المحققين والفقهاء والمتضلّعين في الدراية والحديث والفقه وأصوله، و كانت له حوزات تدريسيّة غاصّة بالعلماء والأدباء، منهم الخواجه نصيرالدين محمد الطوسي، والسيد رضي الدين على بن طاوس و أمثالهما و قد ترجم له أصحاب المعاجم و أثنوا عليه.

من تصانيفه الكثيرة: «إكسير السعادتين»، فيه الكثير من الكلمات القصار لأميرالمؤمنين عليه السلام. «توجيه السؤلات في حلّ المشكلات». «منبع الدلائل و مجمع الفضائل». «رشح الولاء في شرح الدعاء». «مجمع البحرين و مطلع السعادتين». «مجمع الدلائل[8]».

---

٨ - أعيان الشيعة ١١: ٢٠٠. ايضاح المكنون ١: ٣٣٦، ٣٥٣، ٥٧٣. الفوائد الرضوية: ٤٣. روضات الجنات ١:١٠٢. الانوار الساطعة في المائة السابعة: ١٧. ريحانة الادب ٧: ١٢٤. تنقيح المقال ١:١٢٤. أمل الآمل ٢: ٣٢. الذريعة ٢: ٢٧٨.

٢ ـ جمال الدين علي بن سليمان بن يحيى بن محمد بن قائد بن صباح البحراني مات...

الفقيه والحكيم الربّاني والعالم الصمداني، أستاذ العلوم العقليّة والنقليّة، والمتضلّع في الحكمة والفلسفة، ومن مؤلفاته «الإشارات» في علم الكلام، شرحه تلميذه الشيخ ميثم. شرح قصيدة ابن سينا «العينيّة» في النفس. «مفتاح الخير في شرح رسالة الطير» لابن سينا، و قد أرسل الشرح هذا، إلى تلميذه الخواجه نصيرالدين محمد الطوسي، و طلب منه شرحه، فأجابه نصيرالدين الطوسى إلى ذلك بعد أن افتتح شرحه بالأبيات والمقدمة التالية:

أتاني كتاب في البلاغة منتهٍ	إلى غاية ليست تقارب بالوصفِ
فمنظومه كالدّر جاد[9] نظامه	و منثوره مثل الدراري في اللطْفِ
دقيق المعاني في جزالة[10] لفظه	تجرّدفي نظم الغموض إلى الكشفِ
كغانية حار العقول بحسنها	تمرّض عيناها و ملثمها يشفي
أتى عن كبير ذي فضائل جمّة	عليم بما يبدى الحكيم و ما يخفي
فأصبحت مشتاقا إليه مشاهدًا[11]	بقلبي محيّاه و إن غاب عن طرفي
رجا الطرف أيضا كالفؤاد لقاءه	و ان لايوافى قبل إدراكه حتفي
قرأت من العنوان حين فتحته	و قبلّت تقبيلا يزيد على ألفِ
ولمّا بدالي ذكركم في مسامعي	تعشقكم قلبي و لم يركم طرفي
فصادفت هذا البيت في شرح قصّتي	و ايضاح ما عاينته جملة يكفي

وردت رسالة شريفة و مقالة لطيفة مشحونة بفرائد الفوائد، مشتملة على صحائف اللطائف، مستجمعة لعرائس النفائس، مملوّة من زواهر الجواهر من الجناب الكريم السيّدي السندي العالمي العاملي الفاضلي المفضلي المحققي المدقّقي[12] الجمالي

---

٩ ـ في نسخة: جاد.

١٠ ـ نسخة: في وجازة.

١١ ـ في نسخة: و شاهدا.

١٢ ـ نسخة: السيد السند العالم الفاضل المفضل المحقق المدقق.

الكمالي، أدام‌الله كماله و حرس‌الله جماله... إلى الداعي الضعيف المحروم اللهيف محمد الطوسي، فأقتبس من شرار ناره نكت الزبور، و آنس من جانب طوره أثر النور، فوجدها بكرًا حملت حرّة كريمة و صادفها صدفاً تضمنت درّة يتيمة، هي أوراق مشتملة على رسائل فى ضمنها مسائل أرسلها، و سأل عنها من كان أفضل زمانه و أوحد أقرانه الذي نطق الحق على لسانه ولاحت الحقيقة من بيانه و رأيت المورد ـ أدام‌الله أفضاله ـ قد سألني الكلام فيها و كشف القناع عن مطاويها و أين أنا من المبارزة مع فرسان الكلام والمعارضة مع البدر التمام و كيف يصل الأعرج إلى قلّة الجبل المنيع، و أنّى يدرك الظالع شأو الضليع، لكني لحرصي على طلب التوصّل الروحاني إليه، بإجابة سؤاله و شغفي بنيل التوسّل الحقيقي لديه، بإيراد الجواب عن مقاله، إجترأت فامتثلت أمره، واشتغلت بمرسومه، فإن كان موافقاً لما أراده، فقد أدركت طلبتي، وإلّا فليعذرني، إذ قدمت معذرتي، والله المستعان وعليه التكلان[13].

٣ ـ الخواجه نصيرالدين محمد بن محمد بن الحسن الطوسي الجهرودي المتوفى ٦٧٢.

الفيلسوف المحقق، أستاذ البشر و أعلم أهل البدو والحضر، سلطان العلماء والمحقّقين و أفضل الحكماء والمتكلّمين، ممدوح الآفاق و مجمع مكارم الأخلاق الّذي لا يفتقر إلى التعريف لغاية شهرته، مع انّ كل ما يقال فيه فهو دون رتبته.

له مؤلّفات: منها، «تجريد الكلام». «التذكرة النصيريّة» في علم الهيئة. «الأخلاق الناصريّة». «آداب المتعلّمين». «أوصاف الأشراف». «قواعد العقائد». «تحرير المجسطي». «تحرير أصول الهندسة لاقليدس». «تلخيص المحصّل». «حلّ مشكلات الإشارات لابن سينا». إلى غيره من الحواشي و الرسائل و الأشعار بالفارسيّة والعربيّة.

أجمع المؤرخون أنَّ الخواجه نصيرالدين الطوسي، تتلمّذ على كمال الدين ميثم في

---

١٣ ـ أحوال و آثار خواجه نصير الدين طوسي: ٤٧٦.

الفوائد الرضوية: ٣٠١. تذكرة المتبحرين: ٤٨٧. ريحانة الادب ٥: ٨٦. مستدرك الوسائل ٣: ٤٦٢. الذريعة ٢١: ٣٢٩. الانوار الساطعة في المائة السابعة: ١٠٥. لباب الالقاب: ٤٨. الكنى والالقاب ٣: ١٢٢.

الفقه وتتلمّذ كمال الدين على الخواجه في الحكمة.

وقد صرّح بهذا المترجم له... في نسخة إجازته الكبيرة لسادات بني زهرة، فقال عند ذكر اسم مولانا الخواجه مالفظه:

ـ وكان هذا الشيخ أفضل أهل عصره في العلوم العقليّة، وله مصنّفات كثيرة في العلوم الحكميّة والشرعيّة على مذهب الإماميّة، وكان أشرف من شاهدناه في الأخلاق (نورالله ضريحه) قرأت عليه (إلٰهيّات الشفاء) لأبي علي بن سينا وبعض التذكرة في الهيئة تصنيفه، ثم أدركه الأجل المحتوم.ـ

ومن شعره قوله:

لو أنّ عبدًا أتى بالصالحات غَدا ... وودّ كل نبيّ مرسل وولي
وصام ما صام صوّاماً بلاملل ... وقام ما قام قوّاماً بلاكسلِ
وحجّ كم حجّة لله واجبة ... وطاف بالبيت حافٍ غير منتعلِ
وطار في الجوّلا يأوى إلى أحد ... وغاص في البحر مأموناً من البللِ
وأكسى اليتامى من الديباج كلّهم ... واطعمهم من لذيذ البرّ والعسلِ
وعاش في الناس آلافًا مؤلفة ... عار من الذنب معصومًا من الزللِ
ما كان في الحشر يوم البعث منتفعًا ... الّا بحبّ أمير المؤمنين عَلي[14]

تلاميذه:

لم يكن من المؤسف كلّه لدينا مرجع ينبأ عن مدرسة المترجم له... وحوزته العلميّة والدراسيّة وتلاميذه حتى بصورة موجزة، غير أنّ الكثيرين من أصحاب السير والتاريخ والتراجم ذكروا أنّ بعضًا من الفقهاء والمحدّثين، رووا عنه وأنّ الشيخ ميثم... رضي الله

---

١٤ ـ الكنى والالقاب ٣: ٤٣٣. أمل الآمل ٢: ٢٩٩. البداية والنهاية ١٣: ٢٦٧. تأسيس الشيعة: ٣٩٥. تحفة الاحباب: ٣٤٨. روضات الجنات ٦: ٣٠٠. تنقيح المقال ٣: ١٧٩. جامع الرواة ٢: ١٨٨. ريحانة الادب ٢: ١٧١. الذريعة ٣: ٣٥٢. شذرات الذهب ٥: ٣٣٩. العبر ٥: ٣٠٠. فوات الوفيات ٢: ١٤٩. الفوائد الرضوية: ٦٠٣. لؤلؤة البحرين: ٢٤٥. مجالس المؤمنين ٢: ٢٠١. المستدرک ٣: ٤٦٤. الوافي بالوفيات ١: ١٧٩. نقدالرجال: ٢٤٥. آثار و احوال خواجه: ٦٠٠.

عنه، منح لهم إجازة الرواية والحديث في العراق، حين سفره إليه و هم:

١ ـ غياث الدين السيد عبدالكريم بن أحمد بن موسى بن جعفر بن محمدبن أحمد ابن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد الطاوس الحسنيّ الداوديّ الحلّيّ المتوفى ٦٩٣.

نادرة الزمان و أعجوبة الدهر الخوّان، صاحب المقامات والكرامات، الزاهد العابد، إنتهت إليه رياسة السادات، و ذوي النواميس إليه، و كان أوحد زمانه، حفظ القرآن في مدة يسيرة، وله إحدى عشرة سنة، و اشتغل بالكتابة، واستغنى عن المعلّم في أربعين يومًا، و عمره أربع سنين، له تصانيف، منها: «الشمل المنظوم في مصنّفي العلوم» و «فرحة الغرّي»[١٥].

٢ ـ سعيدالدّين محمد بن عليّ بن محمد بن جهيم الأسدي الحلي الربعي مات...

كان عالـمًا، صدوقاً، فقيهاً، شاعراً، وجيهاً، أديباً، عارفًا بالأصولّين، و قيل: أنّ هولاكو حين أنفذ الخواجة نصيرالدين الطوسي إلى الحلة. فاجتمع عنده فقهاؤها فأشار إلى المحقق جعفربن الحسن بن سعيد[١٦] و سأل من أعلم هذه الجماعة بالأصولين؟ فأشار إلى العلّامة الحلّي و إلى الفقيه مفيدالدين محمد بن جهيم، فقال: هذان أعلم الجماعة بعلم الكلام و أصول الفقه[١٧].

٣ ـ سديدالدين العلّامة يوسف بن زين الدين عليّ بن محمد بن المطهّر الحلّي المتوفى ٧٢٦

---

١٥ ـ معجم المطبوعات النجفية: ٢٦٣. روضات الجنات ٤: ٢٢١. أمل الآمل ٢:١٥٨. تنقيح المقال ٢:١٥٩ جامع الرواة ١:٤٦٣. الذريعة ١٦:١٥٩. سفينة البحار ٢:١٢٢. الفوائد الرضوية: ٢٣٨. الكنى والالقاب ١:٣٤١. لؤلؤة البحرين: ٩٠. مستدرك الوسائل ٣: ٤٤١. نامهٔ دانشوران ١:١٨٢. ريحانة الادب ٨: ٧٥. هدية الأحباب: ٧٢. ايضاح المكنون ٢:٥٧. هدية العارفين ١:٦١٠.

١٦ ـ أبوالقاسم جعفربن الحسن بن أبي زكريا يحيى بن الحسن بن سعيد الهذلي الحلي المتوفى ٦٧٦.

روضات الجنات ٢:١٨٢. أعيان الشيعة ١٥:٣٧١. كشف الظنون: ١٩٢٢. ايضاح المكنون ٢:٤٢، ٤٣، ٥٠٧، ٦٩٥. الفوائد الرضوية: ٦٢. الكنى والالقاب ٣:١٥٤. ريحانة الادب ٥: ٢٣١. هدية الأحباب: ٢٣٣. المستدرك ٣: ٤٧٣.

١٧ ـ أحوال و آثار: ٣٨ ـ ٣٩ الانوار الساطعة: ١٥٥. الفوائد الرضوية: ٤٥٠. أمل الآمل ٢: ٢٥٣. ريحانة الأدب ٧:٤٥٧.

والدالعلّامة الحلّي المتوفى ٧٢٦، كان فقيهًا، محقّقاً، مدرّساً، عظيم الشأن، و هو من مشايخ ولده، و قد اكثر النقل عنه في كتبه.

و قيل: أبو المظفر سديد الدين الشيخ الأجل، الأكمل، الفقيه المتكلّم الأصولي، والد إمامنا العلّامة على الإطلاق و أستاذه الأقدم في الفقه و الأدب و الأصول و الأخلاق، قال شيخنا السعيد الشهيد قدّس الله روحه في إجازته لابن الخازن: والشيخ الأعظم فخرالدين بن الإمام الأعظم الحجّة أفضل المجتهدين جمال الدين أبي منصورالحسن بن الإمام الحجّة الفقيه سديدالدين أبي المظفر بن الإمام المرحوم زين الدين علي بن المطهر أفاض الله على ضرايحهم المراحم الربانية، وحيّاهم بالنعم الهنيئة، و منه يظهر انّ زين الدين علي جدّ العلّامة كان أيضاً من العلماء المبرّزين[18].

هذا ما وقفنا عليه في المراجع، و ما جاء عن تلاميذه والرواة عنه، وقد أسلفنا القول في ترجمة الخواجة نصيرالدين الطوسي أنّ المؤرخين أجمعوا على أنّ نصيرالدين الطوسي، تتلمّذ على كمال الدين ميثم في الفقه، و تتلمّذ كمال الدين على الخواجة في الحكمة.

كمال الدّين في المعاجم :

لم تزل مآثر هذا الحكيم المتكلّم... الفكريّة، و شخصيّته العلميّة الفذّة، موضع التبجيل، والتقديس، و رهن التكريم والتقدير، منذ حياته، و قلّما تجد مؤلّفاً و عالمًا في ايّ حقل كان، لم يستفد من فيض علمه الرصين، و بيانه المحكم العذب و مداده القويّ الأمين، السائل الذي لاينضب، و هذا ما لايخفى على أحد مهما أوتي من حول في الحكمة، و قوة في الكلام، و يبدو من تقصّي أخباره، و مطالعة ما وصل إلينا من كتبه و رسائله، أنّه تأدّب، وتتلمذ على أعظم الشيوخ في كافّة المجالات.

و إليک بعض ماجاءعنه في المعاجم، و هو إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على ما تكنه

---

١٨ ـ احوال و آثار: ٢١٦، ٢٣٨. الفوائد الرضوية: ٧١٧. الانوار الساطعة: ٢٠٩. أمل الآمل ٢: ٣٥٠. روضات الجنات ٨: ٢٠٠. تنقيح المقال ٣: ٣٣٦.

وعد كاتب مقدمة كتاب ـ قواعد المرام في علم الكلام ـ العلامة الحلي الحسن بن يوسف من جملة تلاميذ ابن ميثم... وهو اشتباه ينم عن عدم تتبع الكاتب وعدم معرفته بالرجال، و كم له في المقدمة من هنات وا غاليط.

العلماء، والمؤرّخون والادباء، له من التقدير والتبجيل والثناء العاطر.

قال المحقق الفقيه السيد محمد باقر الموسوى الخوانسارى الاصبهاني المتوفى ١٢٢٦ مالفظه:

كان من العلماء الفضلاء، المدقّقين متكلّماً ماهرًا، له كتب منها: شروح نهج البلاغة، كبير و متوسط و صغير، و «شرح المائة كلمة»، و رسالة في الإمامة،و رسالة في الكلام و رسالة في العالم و غير ذلك.

يروي عنه السيد عبدالكريم بن أحمد بن طاوس و غيره، و كذا في «أمل الآمل»، وقال صاحب اللؤلوة، بعد عدّه من جملة مشايخ العلامة أعلى الله مَقامهما و مُقامه، أما الشيخ ميثم المذكور، فانّه العلامة الفيلسوف المشهور، و قال شيخنا العلامة الشيخ سليمان بن عبدالله البحراني عطّرالله مرقده، في رسالته المسماة (السلافة البهية في الترجمة الميثمية)[١٩]: هوالفيلسوف المحقق والحكيم المدقّق، قدوة المتكلّمين، و زبدة الفقهاء والمحدّثين، العالم الرباني، كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني، غوّاص بحرالمعارف و مقتنص شوارد الحقائق و اللطائف، ضمّ إلى الإحاطة بالعلوم الشرعية و احراز قصبات السبق في العلوم الحكمية والفنون العقلية، ذوقا جيدًا في العلوم الحقيقية، والأسرار العرفانية، كان ذا كرامات باهرة و مآثر زاهرة، و يكفيك دليلاً على جلالة شأنه، و سطوع برهانه، اتّفاق كلمة أئمة الأعصار و أساطين الفضلاء في جميع الأمصار على تسميته بالعالم الرباني، و شهادتهم له بانّه لم يوجد مثله في تحقيق الحقائق، وتنقيح المباني، والحكيم الفيلسوف سلطان المحققين، و استاذالحكماء والمتكلّمين، نصيرالملة والدين محمد الطوسي شهد له بالتبحّر بالحكمة والكلام، و نظم غرر مدائحه في أبلغ نظام.

و استاذ البشر، والعقل الحاد يعشر، سيّد المحققين، الشريف الجرجاني[٢٠] على

---

١٩ ـ طبعت هذه الرسالة في اول كتاب ـ الكشكول ـ ص ٤١ ـ ٥٣.

٢٠ ـ الشريف المير السيد علي بن محمد بن علي الجرجاني الحسيني الحنفي الاسترابادي المتوفى ٨١٦. الكنى والالقاب ٢: ٣٥٨. بغية الوعاة: ٣٥١. الضوء اللامع ٥:٣٢٨. هدية العارفين ١:٧٢٨. البدرالطالع ١: ٤٨٨. الفوائد البهية: ١٢٥. ايضاح المكنون ١:١٤٠، ٥٦٧، ٢:٢٢٩، ٥٧٣، ٧١٥. روضات الجنات ٥:٣٠٠. مجالس المؤمنين ٢:٢١٨.

جلالة قدره في أوائل (فنّ البيان من شرح المفتاح) قد نقل بعض تحقيقاته الأنيقة، وتدقيقاته الرشيقة، عبّر عنه ببعض مشايخنا، ناظماً نفسه في سلک تلامذته، و مفتخرًا بالانخراط في سلک المستفيدين من حضرته، المقتبسين من مشكاة فطرته.

والسيد السند الفيلسوف الأوحد، مير صدرالدين محمد الشيرازی، أكثر النقل عنه في حاشية (شرح التجريد) سيّما في مباحث الجواهر والأعراض، والتقط فرائد التحقيقات التي أبدعها عطّرالله مرقده، في كتاب (المعراج السماوي) و غيره من مؤلّفاته، لم تسمح بمثله الأعصار ما دارالفلک الدوّار، و في الحقيقة من اطلع على (شرح نهج البلاغة) الّذي صنّفه للصاحب خواجه عطاملك الجويني[21] و هو عدّة مجلدات شهد له بالتبرّز في جميع الفنون الاسلامية، والأدبية والحكمية، والأسرار العرفانية[22].

و قال الفقيه الشهيد، القاضي نورالله بن السيد شريف الدين الحسيني المرعشي التستري المقتول عام ١٠١٩ هجـ بالفارسية مالفظه:

الشيخ الحكيم، المتكلّم، الفقيه، الأديب، مفيد الدين ميثم البحراني قدّس الله سرّه.

غوّاص بحر معارف، و در جميع علوم ماهر، و عارف، و محقق طوسی او را حكيم گفته، و گوهر مدح او ببنان بيان سفته و مير صدرالدين محمد شيرازی در حاشيه شرح تجريد خصوصا در مبحث جواهر، از زواهر افادات او كه در كتاب معراج سماوي، و غير آن از مصنّفات او مذكور است استفاده نموده، و بمواقع تحقيقات آن حكيم محقق استناد جسته، و سيد المحققين قدّس سره الشريف در أوائل فن بيان از «شرح مفتاح» نزد نقل بعضى كه از او نموده تعبير از او ببعض مشايخنا فرموده، والحق شرح نهج البلاغة كه بنام خواجه عطاملك جويني، نوشته در علوّ شأن او در حكمت و تصوّف و كلام، و ساير علوم

---

٢١ ـ الخواجة علاء الدين صاحب الديوان عطا ملک بن بهاءالدين محمد بن محمد بن محمد الجويني المتوفى ٦٨١.

الانوار الساطعة: ٩٧. شذرات الذهب ٥: ٣٨٢ و فيه: توفي سنة ٦٨٣. فوات الوفيات ٢: ٤٥٢. ريحانة الادب ١: ٤٤٤.

٢٢ ـ روضات الجنات ٧: ٢١٦.

أهل اسلام دليلى تمامست[٢٣].

و ترجم له العلاّمة المتتبع الفقيه السيد محسن بن السيد عبدالكريم الأمين العاملي المتوفى ١٣٧١ هـ.

فقال: الشيخ كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني المعاصر للخواجه نصيرالدين الطوسي في الرياض: هو صاحب «شروح نهج البلاغة» المعروفة، الكبير والصغير والوسيط وغيرها، و ليس هو من أولاد ميثم التمار و إن ظن ذلك.

و في «أنوار البدرين» أثنى عليه المحقّق الطوسي، ثناءًا عظيما، و عبّر عنه المحقّق الشريف في «شرح المفتاح» في أوائل علم البيان، ببعض مشايخنا، و أثنى عليه صدرالمحققين مير صدر الدين الشيرازي، في «حواشي التجريد»، في مباحث الجواهر و أعجب بما أورده في المعراج السماوي.

رأيت في بعض الرسائل، أنّه تتلمّذ علىٰ المحقّق الطوسي، في الحكمة، و تتلمّذ عليه المحقّق في العلوم الشرعية و لم استثبته، روى عنه العلامة جمال الدين الحسن بن يوسف بن المطهّر[٢٤]، و قبره متردد بين بقعتين، ثنتاهما مشهورة بأنها مشهده، إحداهما في جبانة الدويخ، واخرى في هلتا من الماحوز، و رأيت في رسالة للكفعمي في وفيات العلماء أنّه مات في دارالسلام ببغداد[٢٥] و الله أعلم بحقيقة الحال.

و ذكره الشيخ فخرالدين الطريحي في (مجمع البحرين) و أثنى عليه ثناءاً جميلا، وذكر أنّه ورد إلى الحلة السيفية و كانت له مع علمائها قصّة عجيبة. و استجاز منه كثير من علمائها، كالعلامة الحلي، والسيد عبدالكريم بن طاوس.

و ألّف الشيخ سليمان البحراني، في أحواله رسالة سمّاها «السلافة البهية في الترجمة الميثمية» و ذكر القصة المذكورة صاحب «مجالس المؤمنين»[٢٦].

---

٢٣ ـ مجالس المؤمنين ٢: ٢١٠.

٢٤ ـ الصحيح ان العلامة يوسف بن علي بن محمد بن المطهر الحلّي روى عنه لاولده العلامة جمال الدين الحسن.

٢٥ ـ الصواب وفاته في البحرين و قد فصلنا القول فيه و في قبره عند البحث عن وفاته.

٢٦ ـ الصحيح ان الترجمة الوافية هذه جاءت في ـ لؤلؤة البحرين ـ لافي ـ مجمع البحرين ـ.

و قال عنه سليمان بن عبدالله البحراني: في «السلافة البهية في الترجمة الميثمية»، هوالفيلسوف المحقّق والحكيم المدقّق، قدوة المتكلّمين، و زبدة الفقهاء والمحدّثين، العالم الربّاني، غوّاص بحرالمعارف، ومقتنص شوارد الحقائق واللّطائف، ضمّ إلى الاحاطة بالعلوم الشرعية، وإحراز قصبات السبق في العلوم الحكمية، والفنون العقلية، ذوقا جيدا في العلوم الحقيقية، والأسرار العرفانية، و أكثر النقل عنه في حاشية التجريد، السيد الفيلسوف مير صدرالدين الشيرازي[27].

و كتب عنه المحدّث المؤرخ الشيخ عباس بن محمد رضابن«أبوالقاسم القمي» المتوفى ١٣٥٩، بالفارسية.

فقال: عالم ربّاني، فيلسوف محدّث، محقق و حكيم متألّه، مدقّق جامع معقول و منقول، استاذ الفضلاء الفحول، همان عالمي كه صناديد أرباب فنون، وجهابذهٔ أساتيد علوم، به تقديم وى در اصول عقلى و نقلى اذعان آورده اند، و جملهٔ از أفاضل از مجلس تحقيق وى فيوضات گرفته اند، و اوست صاحب شروح ثلاثه برنهج البلاغة، «شرح كبيرش» بر نهج البلاغة بطبع رسيده.

شيخ آواه سليمان بن عبدالله در وصف آن گفته: و هو حقيق بأن يكتب بالنور على الأحداق، لابالحبر على الأوراق و شرح صد كلمه، و المعراج السماوى، و رسائلى در إمامت، و در علم، و در وحي و الهام، و در كلام و شرح اشارات استاد خود شيخ علي بن سليمان بحراني و غير ذلك.

روايت مى‌كند از ميثم مذكور آية‌الله علامه حلي[28]، و سيد عبدالكريم بن طاوس، و روايت مى‌كند او از جناب خواجه نصير طوسي، و عالم رباني كمال‌الدين علي بن سليمان بحرانى، و از ابن ميثم مذكور نقل مى‌كند حكايت معروفه.

و شيخ سليمان بحراني رسالهٔ در أحوال او نوشته مسمّى بـ «السلافة البهيّة في الترجمة الميثمية»، و در آنجا نقل كرده كه محقّق طوسي، و مير سيّد شريف جرجاني، و مير صدرالدين محمد شيرازي، و غير ايشان از أساطين حكماء و متكلّمين شهادت

---

٢٧ ـ اعيان الشيعة ٤٩: ٩٨.

٢٨ ـ أسلفنا القول في الهامش رقم ٢٤ ان الذي يروى عنه والدالعلامة الحلي يوسف، لاالعلامة الحسن.

داده اند بتبحّر ابن ميثم، در حكمت و كلام، و ميرين از تحقيقات رشيقه او نقل كرده اند[29].

و قال المحدّث القمي أيضا في ترجمته له:

كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني، العالم الرباني، والفيلسوف المتبحّر المحقّق، والحكيم المتألّه المدقّق، جامع المعقول والمنقول، استاذ الفضلاء الفحول، صاحب الشروح على نهج البلاغة.

يروي عن المحقق نصيرالدين الطوسي، والشيخ كمال الدين علي بن سليمان البحراني، و يروي عنه آية الله العلامة، والسيد عبدالكريم بن طاوس.

قيل انّ الخواجه نصيرالدين الطوسي، تتلمذ على كمال الدين ميثم في الفقه، وتتلمذ كمال الدين على الخواجه في الحكمة[30].

و ترجم له العلامة الحجة الفقيه السيد حسن بن السيد هادي بن محمد علي الصدر المتوفى ١٣٥٤هـ.

فقال: منهم، الشيخ ميثم بن علي بن ميثم البحراني، المعاصر للسكاكي صاحب «المفتاح»، كان علاّمة في العلوم العقلية والنقلية، وعليه قرأ المحقّق نصيرالدين الطوسي، و سيأتي ذكره في أئمة علم الكلام، صنّف في علم البيان، والمعاني كتابه «تجريدالبلاغة»، و عليه شروح، منها شرح الفاضل المقداد السيوري، من علماء الإمامية سمّاه «تجريد البراعة في شرح تجريد البلاغة»[31].

و قال ايضا:

و منهم: الشيخ كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني، المعروف بالعالم الربّاني، له التبرّز في جميع الفنون الإسلامية والأدبية، والحكمة والكلام، والأسرار العرفانية، اتّفقت كلمة الكلّ على إمامته في الكلّ.

قال الشيخ العلامة سليمان بن عبدالله البحراني، في «السلافة البهية في الترجمة

---

٢٩ ـ الفوائد الرضوية: ٦٨٩.

٣٠ ـ الكنى والالقاب ١: ٤٣٣.

٣١ ـ تأسيس الشيعة: ١٦٩.

الميثمية» ما لفظه بحروفه: هوالفيلسوف المحقق، والحكيم المدقّق، قدوة المتكلّمين و زبدة الفقهاء والمحدّثين، العالم الربّاني، كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني، غوّاص بحرالمعارف، و مقتنص شوارد الحقائق واللّطائف، ضمّ إلى الإحاطة بالعلوم الشرعية، وإحراز قصبات السبق في العلوم الحكمية، والفنون العقلية ذوقاً جيدًا في العلوم الحقيقية، والأسرار العرفانية، كان ذا كرامات باهرة، و مآثر زاهرة، و يكفيك دليلا على جلالة شأنه و سطوع برهانه، اتّفاق كلمة أئمة الأعصار، و أساطين الفضلاء في جميع الأمصار على تسميته بالعالم الربّاني، و شهادتهم له بأنّه لم يوجد مثله في تحقيق الحقائق، و تنقيح المباني، والحكيم الفيلسوف سلطان المحقّقين، واستاذ الحكماء والمتكلّمين نصيرالملّة والدين محمد الطوسي، شهد له بالتبحّر في الحكمة، والكلام، و نظم غرر مدائحه في أبلغ نظام، و استاذ البشر والعقل الحاديعشر، سيّد المحققين الشريف الجرجاني، على جلالة قدره، في أوائل فنّ البيان من «شرح المفتاح»، قد نقل بعض تحقيقاته الأنيقة، و تدقيقاته الرشيقة، عبّر عنه ببعض مشايخنا ناظماً نفسه في سلك تلامذته، و مفتخرًا بانخراطه في سلك المستفيدين من حضرته، المقتبسين من مشكاة فطرته، والسيّد السند الفيلسوف الأوحد، ميرصدرالدين الشيرازي، أكثر النقل عنه في حاشية شرح التجريد، سيّما في مباحث الجواهر والأعراض، والتقط فرائد التحقيقات التي أبدعها ـ عطّرالله مرقده ـ في كتاب «المعراج السماوي»، و غيره من مؤلّفاته لم تسمح بمثله الأعصار، مادار الفلك الدوار، و في الحقيقة من اطّلع على شرح نهج البلاغة، الذي صنّفه للصاحب خواجه عطاء ملك الجويني، و هو عدّة مجلدات شهد له بالتبرّز في جميع الفنون الإسلامية، ثم حكى حكايته المشهورة المعروفة بقوله: كلي يا كمّي[٣٢]... ثم ذكر مصنّفاته، و قال: و له من المصنّفات البديعة، والرسائل الجليلة، مالم يسمع بمثلها الزمان، ولم يظفر بمثلها أحد من الأعيان، منها «شرح نهج البلاغة»، و هو حقيق بأن يكتب بالنور على الأحداق لا بالحبر على الأوراق، و هو في عدّة مجلدات.

قلت: هو شرح علميّ في أربع مجلّدات، و منها شرحه «الصغير على نهج البلاغة»،

---

٣٢ ـ ستواقيك الحكاية في فصل ـ مع علماء العراق.

جيّد مفيد جدّاً، رأيته في حدود الحادية والثمانين بعد الألف[33].

و قال عنه الفقيه المحدّث المتتبّع الميرزا حسين بن الشيخ محمد تقي بن علي النوري الطبرسي المتوفى ١٣٢٠هـ. في كتابه ما لفظه:

الحكيم المتألّه كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني، صاحب الشروح الثلاثة على نهج البلاغة، و شارح مائة كلمة، من كلمات أمير المؤمنين عليه السلام، قد أفرد في شرح حاله بالتّأليف، المحقّق البحراني الشيخ سليمان، و سمّاه «السلافة البهية»، و قال أيضا في الفصل الذي ألحقه به، في ذكر علماء البحرين: و منهم، العالم الربّاني، والعارف الصمداني، كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني، و هو المشهور في لسان الأصحاب بالعالم الربّاني، والمشار إليه في تحقيق الحقايق، و تشييد المباني ثمّ ذكر بعض مناقبه و فضائله و مؤلّفاته[34].

و ذكره المولى ملّاحبيب الله الشريف الكاشاني.مات ١٣٤٠. هـ.

فقال: كمال الدّين، و مفيد الدين، و هو ميثم بن علي بن ميثم البحراني، شارح «نهج البلاغة»، كان فيلسوفاً، حكيما محقّقا، مدقّقا و فضله أشهر من أن يذكر، و لكنه كان خاملا غير طالب للشهرة والرّياسة[35].

إلى غير هذا من كلمات الثناء، والتعظيم لمقامه العلمي، و مكانته الفكرية السامية، الخارجة عن حدود الذكر والبيان و الإحصاء، وكلّها بأجمعها تدلّ دلالة واضحة على حيويته العلمية، و فتوّته الثقافية النادرة، التي دفعته إلى قمّة المجد والعظمة، والخلود، و سيبقى عنوانا خالدًا تترنّم به الحياة إلى الأبد... و إلى النهاية... حتى يرث الله الأرض و من عليها.

تآليفه :

لم يكن مفيد الدّين البحراني... مكثرًا في التصنيف والتأليف، بصورة واسعة كغيره

٣٣ـ تأسيس الشيعة: ٣٩٣. لقد تحدث عن ابن ميثم... السيد الحسن الصدر في موضعين من كتابه.

٣٤ـ مستدرك الوسائل ٣: ٤٦١.

٣٥ـ لباب الالقاب: ١٨ و ٣١.

من العلماء، والمحققين، لانّه كان منصرفًا إلى التدقيق، والتتبّع والبحث، لذلك كانت مؤلّفاته قليلة في العدد، و ضخمة و وافرة من الناحية المعنوية، والحقيقة تهيمن عليها الحكمة، والفلسفة الإسلامية التي كانت انشودة المترجم له... طوال حياته بصورة كاملة.

أمّا تصانيفه حسب ما صرح بها المؤرّخون والباحثون فهي على الترتيب كما يلي:

١ ـ «استقصاء النظر في إمامة الأئمة الإثنى عشر»:

بحث إستدلالي في الكلام، ذكره صاحب مجمع البحرين ٦: ١٧٢، و قال: لم يعمل مثله. الذريعة ٢: ٣٢.

٢ ـ «البحر الخضيم»:

في الالهيات. ذكره الشيخ سليمان الماحوزي في رسالته، عن علماء البحرين. الذريعة ٣: ٣٧.

٣ ـ «رسالة في الوحي والإلهام»:

والفرق بينهما، والإشراق ظاهرا. الذريعة ٢٥ : ٦١. روضات الجنات ٧: ٢١٩.

٤ ـ «شرح الإشارات» :

إشارات استاذه العالم قدوة الحكماء و إمام الفضلاء، الشيخ السعيد الشيخ علي بن سليمان البحراني المتوفى... و هو في غاية المتانة والدقّة، على قواعد الحكماء المتألّهين. روضات الجنات ٧: ٢١٩. الذريعة ١٣: ٩١.

٥ ـ «شرح المائة كلمة» :

سمّاه «منهاج العارفين في شرح كلمات أميرالمؤمنين عليه السلام» اوّله: يا ذاالجلال، ياحيّ، يا قدّوس، يا سلام. طبع في طهران سنة ١٣٩٠ ويقع في ٢٧٢ صفحة بالقطع الوزيري، تحقيق و تقديم العلامة البحاثة المغفور له السيد مير جلال الدين الحسينيّ الأرمويّ ـ المحدّث ـ والكتاب من المطبوعات النادرة، تفضّل بنسخة منه لمكتبتي الخاصة نجل الفقيد الاستاذ المحقق السيد علي المحدّث... رحم الله الوالد، و بارك في الولد.

٦ ـ «شرح نهج البلاغة» :

صرّح اكثر المؤرّخين، أنّ له ثلاثة شروح على (نهج البلاغة) «شرح كبير»، و

«شرح متوسط»، و «شرح صغير».

أما «الشرح الكبير» فيقع في خمس مجلدات و يسمّى (مصباح السالكين) طبع في طهران عام ١٢٧٦ هـ. بقطع كبير على نفقة الملّا محمد باقر. و اعيد طبعه في خمس مجلدات سنة ١٣٧٨ بالقطع الوزيري، مع مقدّمة بقلم (الخاتمي)[36] ولا علاقة لها بالكتاب، وليست فيها تعرفة، ودراسة عن المؤلف أو الكتاب.

و «الشرح المتوسط»، و هو الذي بين يديك، و يسمى «**اختيار مصباح السالكين**» و اوله: سبحان من حسرت أبصار البصائر عن كنه معرفته، و قصرت ألسن البلغاء عن أداء مدحته، و كيفية صفته، و شهدت مع ذلك بداية العقول بربوبيّته. و توجد منه نسخ خطية تحدّثنا عنها في فصل خاص من المقدّمة.

أما «الشرح الصغير» فلم أقف عليه، غير أنّ مؤلف «روضات الجنات»[37] ذكره في المجلد ٧ : ٢١٩ و قال: و من مصنفاته البديعة شرحه «الصغير على نهج البلاغة»، جيّد، مفيد جداً، رأيته في حدود سنة الحادية والثمانين بعد الألف.

كما أنّ صاحب «الذريعة» في المجلد ١٤ : ١٤٩ ذكر لكمال الدين ميثم... ثلا ثة شروح، حسب ما عبّر عنه الشيخ سليمان بن عبدالله الماحوزي المتوفي سنة ١١٢١ في رسالته المختصرة في ترجمة علماء البحرين، عند ترجمة الشيخ ميثم.

٧ ـ «القواعد الالهية في الكلام والحكمة» :

و يسمّى أيضا ـ «قواعد المرام في الحكمة والكلام» ـ طبع أخيرا على هامش كتاب (منتخب الطريحي) اوّله: ألحمدلله الوليّ الحميد... و قد ألّفه لأبي المظفر عزالدّين عبدالعزيز بن جعفر[38]... مرتبًا على قواعد، و مقدّمات و توجد منه نسخ مخطوطة في خزائن الكتب في طهران. واعيدطبعه للمرة الثانية في ١٣٩٨هـ. بمدينة ـ قم ـ بالقطع الوزيرى ٢٩٩.

---

٣٦ ـ هوالشيخ محمد رضا بن الشيخ حسن البروجردي المتوفى ١٤٠١هـ. كان عالماً جليلا مجتهدا ورعاً زاهدا و من اساتذة الفقه والاصول، له كتابات و رسائل. معجم رجال الفكر والأدب في النجف: ١٤٦.

٣٧ ـ كمانص عليه غيره من الفقهاء والمحدثين.

٣٨ ـ الملك العالم العادل عزالدنيا والدين أبي المظفرعبدالعزيزبن جعفر النيسابوري المتوفى ٦٧٢. الحوادث الجامعة: ٢٧٧. الانوار الساطعة: ٨٩. الذريعة ١٧ : ١٧٩.

٨ ـ «المعراج السماويّ»:

ينقل عنه كثيرًا السيد عليخان المدني في تصانيفه. الذريعة ٢١: ٢٣٠.

٩ ـ «نجاة القيامة في تحقيق الإمامة»:

أوّله: (الحمدلله مفيض الوجود، و واهب وجود كلّ موجود) رتّبه على مقدمةٍ و ثلاثة أبواب، ألّفه لعزالدّين أبي المظفر عبدالعزيز بن جعفر النيسابوري، و قال في المقدمة ـ: انّه لما ورد نيشابور مجتازًا، و اتّصل به أكرمه، و أشار إليه بتأليف كتاب في الامامة، فأراد الاعتذار عنه بمشقّة السفر، و ما يستلزمه من تشعب الذهن، و مفارقة الأهل والولدان، لكنه امتثله أداء لحقوقه ـ. الذريعة ٢٤: ٦١.

هذا و لم يكن غير التصانيف المذكورة كتابًا في المعاجم، و ربّما كانت للمترجم له... رسائل اخرى لم يقف أصحاب المعاجم والسير عليها.

مع علماء العراق :

هناك في طوايا معاجم السير والتاريخ، قصة أو حكاية تطرّق إلى ذكرها كلّ من تصدّى لترجمة شيخ الحكمة والعلوم الشرعية كمال الدين ميثم ... كرّم الله وجهه... وهي تنم عن عقيدته الراسخة، و إيمانه الصادق، و عدم اغتراره بزخارف الدنيا و زينتها، وفراره و نفرته من الشهرة والجاه، لأنهما من المهلكات العظيمة، و طالبهما طالب الآفات الدنيوية والاخروية، و من اشتهر اسمه وانتشر صيته، لايكاد أن تسلم دنياه و عقباه، إلّا من شهره الله لنشر دينه، من غير تكلّف، طلب للشهرة منه، و لذا ورد في ذمّهما ما لا يمكن إحصاؤه من الآيات والأخبار فقال الله سبحانه: (مَن كانَ يُريدُ الحيوةَ الدُنيا وَ زينتَها نُوَفِّ اِلَيهِمْ اَعمالَهُمْ فيها وَهُمْ فيها لايُبْخَسُونَ أُولئكَ الّذينَ لَيس لَهُم في الآخِرَةِ إلّا النّارُ وَ حَبِطَ ما صَنَعُوا فيها وَ باطِلٌ ما كانوا يَعْمَلُونَ)[٣٩].

و هذا بعمومه متناول لحبّ الجاه، لانّه أعظم لذّة من لذات الحياة الدنيا، وأكبر زينة من زينتها.

و قال رسول الله (ص): حبّ الجاه والمال، ينبتان النفاق في القلب، كما ينبت

٣٩ ـ سورة هود: ١٥ و١٦.

الماء البقل.

وقال: ما ذئبان ضاريان ارسلا في زريبة غنم، بأكثر فساداً من حبّ الجاه والمال في دين الرّجل المسلم.

وقال: حسب امرئ من الشرّ الاّ من عصمه الله، أن يشير الناس إليه بالأصابع.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: تبذل ولا تشتهر، ولا ترفع شخصك لتذكر، وتعلّم واكتم، واصمت تسلم، تسرّ الأبرار وتغيظ الفجار.

وقال الإمام الباقر عليه السلام: لا تطلبنّ الرياسة، ولا تكن ذنبًا، ولا تأكل الناس بنا فيفقرك الله.

وقال الإمام الصادق عليه السلام: إيّاكم وهؤلاء الرؤساء الذين يترأسون، فوالله ما خفقت النعال خلف رجل الاّ هلك وأهلك.

وقال عليه السلام: ملعون من ترأس، ملعون من همّ بها، ملعون من حدّث بها نفسه[٤٠].

والأخبار بهذه المضامين كثيرة، ولكثرة آفاتها لايزال أكابر العلماء، وأعاظم الأتقياء، يفرّون منها فرار الرجل من الحيّة السوداء، ومنهم المترجم له رضي الله عنه... فقد ذكر أرباب المعاجم والتاريخ، أنه في أوائل الحال كان معتكفًا في زاوية العزلة والخمول، مشتغلا بتحقيق حقائق الفروع والأصول، فكتب إليه فضلاء الحلّة والعراق، صحيفة تحتوى على عذله، وملامته على هذه الأخلاق، وقالوا: العجب منك أنك مع شدّة مهارتك في جميع العلوم والمعارف، وحذاقتك في تحقيق الحقائق، وإبداع اللّطايف، قاطن في ظلوع الاعتزال، ومخيّم في زاوية الخمول الموجب لخمود نار الكمال...؟

فكتب في جوابهم هذه الأبيات:

طَلَبتُ فُنُونَ العِلمِ أبغي بِها العُلىٰ ... فَقَصَّرَ بي عَمّا سَمُوت بِهِ القُلُ

تَبَيَّنَ لِي أنَّ المَحاسِنَ كُلَّها ... فُرُوع وأنَّ المال فِيها هُو الأصلُ

فلما وصلت هذه الأبيات إليهم، كتبوا إليه: إنّك أخطأت في ذلك خطأ ظاهرًا، و

٤٠ ـ جامع السعادات ٢: ٣٤٧.

حكمك باصالة المال عجب، بل اقلب تُصب.

فكتب في جوابهم هذه الأبيات، وهي لبعض الشعراء المتقدّمين:

قد قال قوم بغير علم ما المرءُ إلّا بأكبريهِ

فقلت قول امرىء حكيم ما المرءُ إلّا بدر همیه

من لم يكن درهمٌ لديه لم تلتفت عرسةُ إليه

ثم إنّه ـ عطّرالله مرقده ـ لما علم أنّ مجردالمراسلات والمكاتبات لا تنفع الغليل، و لا تشفي العليل، توجّه إلى العراق لزيارة الأئمة المعصومين عليهم السلام، و إقامة الحجّة على الطاعنين، ثم انّه بعدالوصول إلى تلك المشاهد العلية، لبس ثيابا خشنة عتيقة، وتزيّأ بهيئة رثّة بالاطراح والإحقار خليقة، و دخل بعض مدارس العراق المشحون بالعلماء والحذّاق، فسلّم عليهم فردّ بعضهم عليه السّلامَ بالاستقسال والانتقاع التام، فجلسَ عطّرالله مرقدهُ، في صفّ النّعال و لم يلتفت إليه أحد منهم، و لم يقضوا واجب حقه، و في أثناء المباحثة وقعت بينهم مسألة مشكلة دقيقة، كلّت فيها أفهامهم، وزلّت فيها أقدامهم، فأجاب روّح الله روحه، و تابع فتوحه، بتسعة أجوبة في غاية الجودة، والدقّة، فقال له بعضهم بطريق السخرية والتهكّم: أخالك طالب علم؟ ثمّ بعد ذلك أحضر الطعام، فلم يواكلوه قدّس سره... بل أفردوه بشيئٍ قليل على حدّة، و اجتمعوا اهم على المائدة، فلما انقضى ذلك المجلس، قام قدّس سره.

ثم إنّه عاد في اليوم الثاني إليهم، و قد لبس ملا بس فاخرة بهية، و أكمام واسعة، وعمامة كبيرة، وهيئة رائعة فلما قرب و سلّم عليهم، قاموا تعظيمًا له، واستقبلوه تكريمًا، و بالغوا في ملاطفته، و مطايبته، واجتهدوا في تكريمه، وتوقيره و اجلسوه في صدر ذلك المجلس المشحون بالأفاضل، والمحقّقين، والأكابر المدقّقين، و لما شرعوا في المباحثة والمذاكرة تكلّم معهم بكلمات عليلة، لاوجه لها عقلا و لا شرعًا، فقابلوا كلماته العليلة بالتّحسين، والتّسليم، والإذعان على وجه التّعظيم، فلمّا حضرت مائدة الطعام، بادروا معه بأنواع الأدب، فألقى الشيخ قدّس سره... عن كمه في ذلك الطعام، مستعباً على اولئك الأعلام، و قال: كلي يا كُمّي... فلمّا شاهدوا تلك الحالة العجيبة، أخذوا في التعجّب والاستغراب، واستفسروه قدّس سره... عن معنى ذلك الخطاب؟ فأجاب عطّرالله مرقده...

بأنكم إنّما أتيتم بهذه الأطعمة النفيسة، لأجل اكمامي الواسعة، لا لنفسي القدسيّة اللّامعة، و إلّا فأنا صاحبكم بالأمس، و ما رأيت تكريمًا و لا تعظيما، مع أنّي جئتكم بالأمس بهيئة الفقراء، و بتحية العلماء، واليوم جئتكم بلباس الجبّارين، و تكلّمت بكلام الجاهلين فقد رجّحتم الجهالة على العلم، والغنى على الفقر، و أنا صاحب الأبيات التي في إصالة المال، و فرعية الكمال التي أرسلتها إليكم، و عرضتها عليكم، و قابلتموها بالتخطئة، و زعمتم انعكاس القضية.

فاعترف الجماعة بالخطأ في تخطئتهم، و اعتذروا بما صدر منهم من التقصير في شأنه قدّس سره.

* * *

ذكر القصة هذه، بعض من المؤرخين، و بعضهم أشار إليها بالقول بأنّ له حكاية لطيفة... كلي يا كُمّي... و انّي أشكّ في حقيقتها، و أصلها بصورة عامة، لانّ العلماء على الإطلاق بعيدون كل البعد، عن مثل هذه الخلّة والسّنة والسّيرة، سيّما علماء العراق و في طليعتهم، علماء الشيعة الإمامية في الحلة، و بقية العواصم العلمية في العراق... فالقصّة مختلقة للحطّ من كرامة العلماء فحسب، و لكن بشكل أدبي... و قيمة كل امرئ عند العلماء ما يحسنه و يعلمه و يتقنه، و إنّي أدرجت القصّة للتأريخ، والإعلام بأنها مصطنعة، و لا مكانة لها من الصّواب.

مصادر ترجمة المترجم له ...

تصدّى المؤرّخون، والأُدباء لترجمة الحكيم الفقيه كمال الدين ميثم... فأفرد كلّ واحد ترجمة له تتفاوت في البسط و الإيجاز... و لما كان منهجي في تحقيق و تقديم، أمثال هذه الكتب والمؤلفات من وضع ثبت خاص يضمّ مصادر ترجمة المؤلف... لذلك اتبعت الطريقة تلك هنا، وأفردت له هذا الفهرست الذي ضمّ بعض المصادر المترجمة للمؤلف كرّم الله وجهه... باللغتين العربيّة والفارسيّة حسب ترتيب الحروف، مع تعيين اسم المؤلّف للكتاب، و ذكر المجلّد والصفحة.

أحوال وآثار خواجه نصير الدين   محمد تقى مدرس رضوى: ٢٠٠.

الاعلام	خير الدين الزركلي ۲۹۳/۸
أعيان الشيعة	السيد محسن الأمين العاملي ۹۸/٤۹
أمل الآمل	الشيخ الحرالعاملي ۳۳۲/۲
أنوار البدرين	الشيخ علي البلادي : ٦۲
الأنوار الساطعة	الشيخ آغا بزرگ الطهراني /۱۸۷
إيضاح المكنون	إسماعيل پاشاالبغدادي/۷۲/۱٦٤/٤٥۰/٥۷۱/وج۲/٦۲٥.
بحارالأنوار	المجلسي محمد باقر ۱/المقدمة ط الجديد
تأسيس الشيعة	السيد حسن الصدر/ ۱٦۹/ ۳۹۳
تكملة الرجال	الشيخ عبدالنبي الكاظمي ٥٤۸/۲
تنقيح المقال	الشيخ عبدالله المامقاني ۲٦۲/۳
الذريعة	الشيخ آغابزرگ الطهراني ۱٤۹/۱٤وفي سائرمجلّداته
روضات الجنات	السيد محمد باقر الخوانساري ۲۱٦/۷
ريحانة الأدب	الشيخ محمد علي المدرّس ۲٤۰/۸
سفينة البحار	المحدّث القمي الشيخ عباس ٥۲٦/۲
السلافة البهيّة	الشيخ سليمان بن عبدالله البحراني
شرح المائة كلمة	الشيخ ميثم البحراني ـ المقدمة ـ.
الشيعة و فنون الاسلام	السيد حسن الصدر/ ۱۰۱
الغدير	الشيخ عبدالحسين الأميني ۱۸۸/٤
فرمان مالك اشتر	حسين علوي آوي ـالمقدمةـ/۱۸بقلم محمدتقي دانش پژوه
الفوائد الرضوية	الشيخ عباس القمي/٦۸۹
فهرست كتابخانه وزيرى	... ج ۱۸۰۷/٥
فهرست ميكروفيلمهاى كتابخانه مركزى دانشگاه تهران	محمد تقى دانش پژوه/۲۸۰
قواعدالمرام في علم الكلام	ابن ميثم ـالمقدمةـ.
كاخ دلاويز	السيد علي اكبر البرقعي القمي/۱۱۸

كتابهای چاپی عربی	خانبابا مشار/٨٥٢
كتابنامة نهج البلاغة	الشيخ رضا استادي/٤٠ و ٥٧
كشف الحجب والاستار	السيد اعجاز حسين الكنتوري
كشف الظنون	الحاج خليفة مصطفى بن عبدالله/١٩٩١
الكشكول	الشيخ يوسف البحراني ٤١/١
الكنى والألقاب	الشيخ عباس القمي ٤٣٣/١
لباب الألقاب	الملاحبيب الله الكاشاني/١٨ و ٣١
لغت نامه	على اكبر دهخدا ـ حرف الميم ـ ٢٦٢
لؤلؤة البحرين	الشيخ يوسف بن احمد البحراني/٢٥٣
مجالس المؤمنين	القاضي نورالله التستري ٢١٠/٢
مجمع البحرين	الشيخ فخرالدين الطريحي ١٧٢/٦
مستدرك الوسائل	الميرزاحسين النوري الطبرسي ٤٦١/٣
مصادر نهج البلاغة	السيد عبدالزهراء الحسينى ٢٢٣/١
مصباح السالكين	الشيخ ميثم بن علي البحراني ١/المقدمة
معجم المطبوعات العربية	يوسف سركيس/١٨٢٢
معجم المؤلفين	عمر رضا كحالة ٥٥/١٣
نامهٔ دانشوران	لعدّة من المؤلّفين ٢٥٨/٣
نسخ خطى كتابخانه ملى	السيدعبدالله انواري٧/٣١٧.وج ١٩٨/٨.وج ١٢٤/٩.
هدية الأحباب	المحدث القمي/٩٢.
هدية العارفين	البغدادي ٤٨٦/٢.

و لا شك أنّ هناك مصادر اخرى وردت فيها ترجمة المؤلَف ... لأنّ الفهرست هذا لم يكن مستجمعًا لكافة المصادر... و الكمال لله سبحانه وحده... ولا يفوتنا القول بأنّ رسالة (السلافة البهية في الترجمة الميثمية) للشيخ سليمان بن عبدالله البحراني مطبوعة في المجلد الأول ص٤١ من كتاب (الكشكول) للشيخ يوسف البحراني.

وفاته ... مدفنه :

بعد جهاد علميّ طويل... و نضال فكريّ... وعُمر مفعم بالمآثر والخيرات العلمية والأدبية، والزاخر بالباقيات الصالحة التي ما زالت موضع الفائدة، والنفع الكثير، توفّي كمال الدين ميثم... في البحرين سنة ٦٨٩هـ. وذهب بعضهم إلى أنّه مات سنة ٦٧٩هـ وهو لا شك تصحيف حصل من بعض النسّاخ لانّه كان حيًّا في ٦٨١هـ وقدفرغ في تلك السنة من شرحه الصغير لكتاب «نهج البلاغة».

قال السيد الأمين: انّ قبره متردّد بين بقعتين ثنتاهما مشهورة بأنها مشهده، إحداهما في «جبانة الدونج»[41]، و اخرى في «هلتا» من الماحوز.

والصحيح أنّ قبره في قرية «هلتا» أما صاحب القبر في قرية الدونج فهو مدفن جدّه ميثم... كما دفن الشيخ سليمان بن عبدالله البحراني صاحب رسالة «السلافة البهيّة في الترجمة الميثمية» في قربه، لانّه من قرية «الدونج»... و في هذا الصدد، قال صاحب الرسالة المذكورة.

و إن كان الغالب على الظن إنّه في «هلتا» لوفور القرائن على ذلك من ظهور آثار الدعوات، و توافر المنامات ومن غريب ما اتّفق من المنامات في ذلك، أن بعض المؤمنين، من أهل الماحوز من لاسواد له، و هو متمسّك بظاهر الخبر، رأى في المنام أنّ الشيخ كمال الدين مضطجع فوق ساحة قبره الذي في «هلتا» مسجى بثوب، و قد كشف الثوب عن وجهه، قال: فشكوت إليه ما نلقى من الأعراب، فأجابني بقوله: وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ[42]. ثم سألته عن قوله تعالى: انْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ انطلقوا إلى ظِلٍّ ذي ثلث شعب (الآية)[43] فقال: إنّ النواصب، و من يشاكلهم في عقائدهم الفاسدة، ينطلقون إلى رسول الله صلّى الله عليه و آله، و قد كظّهم[44] العطش

---

٤١ ـ الجبانة: بالفتح ثم التشديد. الصحراء. واهل الكوفة والبصرة يسمون المقابر جبانة. و دونج. وهلتا من قرى ماحوز.

٤٢ ـ سورة الشعراء: ٢٢٧.

٤٣ ـ سورة المرسلات: ٢٩، ٣٠.

٤٤ ـ كظّ ـ كظًا: الأمر غمه و كربه و بهظه و حناق به.

والحرّ، فيطلبون منه السقيا، والإستظلال، فيقول لهم:﴿إنطلقوا إلى ما كنتم به تكذّبون﴾ يعني، عليًا عليه السلام، فينطلقون إلى عليّ عليه السلام، فيقول لهم:﴿إنطلقوا إلى ظلّ ذي ثلث شعب﴾ يعني، به الثلاثة الملتصقة... و كان ذلك في سنة ١١٠٢هـ، ثم انّ الرجل سألني عن تفسير هذه الآية، و لم يكن يحضرني ماورد عن أهل البيت عليهم السلام فيها، فأخبرته بتفاسير، فقال: ألها تفسير غير هذا؟ ففتّشنا تفسير الشيخ الثقة الجليل أبي الحسن علي بن ابراهيم بن هاشم، فوجدت التفسير الذي حكاه عن منامه مرويًا فيه عنهم -عليهم السلام- وهذا من أغرب المنامات-[٤٥].

اختيار مصباح السالكين :

لا ريب في أنّ لكمال الدين ميثم... رضي الله عنه، ثلاثة شروح لنهج البلاغة، كما نصّ عليها أكثر الفقهاء، والمحدّثين، والمؤرخين، منهم ألفقيه المحقق الشيخ محمد بن الحسن الحرّ العاملي المتوفى ١١٠٤هـ. فقال عند ترجمته له: كان من العلماء الفضلاء المدقّقين، متكلّما، ماهرًا، له كتب منها كتاب «شرح نهج البلاغة»، «كبير»، و «متوسط»، و «صغير»، و «شرح المائة كلمة»[٤٦].

امّا الكبير فقد طبع باسم شرح نهج البلاغة في ايران، بالقطع الكبير مجلد واحد سنة ١٢٧٦هـ . ق. كاغد أسمر حجر، و أُعيد طبعه للمرّة الثانية في خمس مجلدات بالقطع الوزيري، كما فصلنا القول عنه في حق تأليفه.

و«الوسيط» فهومنتخب من شرحه الكبير وأسماه (اختيار مصباح السالكين) كما قال به في نهاية خطبة الكتاب و لفظه: (لكنه اشتمل مع ذلك على كثير من أسباب الخطب، وموجبات الرسائل، والكتب، فكبر لذلك حجمه، و كاماه كثير من الطباع، و إن كثر علمه، فأشار إليّ خلّدالله إقباله، و ضاعف جلاله، أن أُلخص منه مختصرًا جامعًا لزبد فصوله، خاليًا من زيادة القول و طوله، ليكون تذكرة لولديه أسعدالله جدّهما، و شيد مجدهما، فيسهل عليهما ضبط فوائده، والوقوف علىٰ غاياته، و مقاصده، و على من عساه

٤٥ - مستدرک الوسائل ٣: ٤٦١. الفوائد الرضوية: ٦٩٠.

٤٦ - أمل الآمل ٢: ٣٣٢.

يحذو حذوهما في اقتناء الفضائل، والتوسّل إلى تحصيلهما بأعظم الوسائل، فبادرت إلى امتثال أمره العالي بالسمع والطاعة).

و قد فرغ منه في آخرشوال سنة إحدى وثمانين وستمائة(٦٨١) كما جاءفي آخرالكتاب.

توجد من الكتاب عدّة نسخ مخطوطة و منها:

نسخة في مكتبة حالت أفندي (تركيا) كما في فهرستها.

واخرى في خزانة مجدالدين بن صدرالأفاضل النصيري.

و نسخة في مكتبة الفاضلية (مشهد ـ خراسان) و بعد هدم المدرسة و تداعيها انتقلت مخطوطاتها القيمة إلى مكتبة الإمام الرضا عليه السلام و في ضمنها هذه النسخة و هي برقم ٢٠٥٦.

و اخرى في مخطوطات مكتبة مدرسة المروى بطهران. في صناديق متروكة لا يستفاد منها.

ونسخة في مكتبة الحاج آقا حفيد السيد حجة الاسلام الشّفتي باصفهان، رآها صاحب (كشف الظنون) و ذكره في كتابه ص ١٩٩١، ورآها الشيخ سليمان الماحوزي عام ١٠٨١هـ.

وكانت في مكتبة الشيخ يوسف البحراني المتوفّى ١١٨٦ منه نسخة ضاعت في أيام حياته (٤٧).

و نسخة عتيقة في مكتبة العلامة الجليل الشيخ كاظم مدير شانه چي في مشهد ـ خراسان، و عليها تاريخ التصحيح والقراءة والمقابلة في سنة ٧١٦ هجرية. و قد صوّرت (المكتبة المركزية التابعة لجامعة طهران) منها بالميكروفيلم، وهي في خزانتها برقم ٢١٧١. وفي المكتبة الرضوية تحت رقم ٢/٦٦.

ونسخة اخرى في مكتبة مدرسة سليمان خان في (مشهد ـ خراسان) كتبت حدود عام ٩٠٨.

و اخرى منه في مكتبة الفقيد آية الله الحاج آغا السيد حسين الخادمي الاصفهاني المتوفّى ١٤٠٥ هجريه وهي نسخة صحيحة تقع في ٥٠٩ ص بالقطع الوزيرى ١٤×٢١ في كل صفحة ٢١ سطرًا طوله ١٠/٥ سم، و جاء في آخرها ما نصه:

---

٤٧ ـ الذريعة ٢١: ١١٠.

ـ هذا اختيار مصباح السالكين لنهج البلاغة من كلام مولانا و إمامنا أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام و رجاؤنا في الله سبحانه إذ وفقني لأتمامه أن يجعله خالصاً لوجهه، و يسعدنا في الدارين بمنه و لطفه،و فرغ من اختصاره أفقر عبادالله تعالى ميثم بن علي بن ميثم البحراني عفاالله عنه، في آخر شوال سنة إحدى و ثمانين و ستمائة (٦٨١) بحول الله و حسن توفيقه، والحمدللّه كما هو أهله و صلى الله على سيّدنا نبي الرحمة محمد و آله و سلم تسليما كثيرًا..

عملي في تحقيق الكتاب

والّذي اعتمدته من نسخ الكتاب المخطوطة نسخة تفضّل عليَّ بها سماحة العلامة الحجة السيد محمد علي الروضاتي الاصفهاني...، و قابلت نصوصها من البداية إلى النهاية، مع نصوص شرحه الكبير المطبوع، إلى جانب مقابلتها مع نسخة العلامة الشيخ مدير شانه چي... و رمزت اليها بحرف «ش». ولاشك في أنّ تصحيح الكتب و تحقيقها و تدقيقها من أشقّ الأعمال و أحمزها وأكبرها تبعة منذالقدم إلى يومنا هذا، بيد انّني بحول الله و قوّته و منّه و لطفه العميم اجتهدت في تصحيح الكتاب و مقابلته بالقدر الّذي يتطلبه التحقيق... وهنا أحب القول انّني لم أحرز الكمال في التحقيق ولا أدّعيه لانّ الكمال لله وحده... ولا شكّ أنّ فيه بعض العثرات والتقصير.

و أسأل الله المبتدئ لنا بنعمه قبل استحقاقنا، أن يديمها علينا مع تقصيرنا في الا تيان على ما أوجب به من شكره بها أن جعلنا في خير امّة أخرجت للناس، و أن يرزقنا فهما في كتابه، و سنّة نبيه، و نهج حجّته و خليفة رسوله بالحق... قولا و عملا يؤدّي به عنا حقه، و يوجب لنا نافلة مزيده.

هذا و في الوقت الذي اقدّم هذا الجهد... ارجو العلي القدير أن يوفّقنا لما فيه الخير والصلاح... ولله جلّ شأنه الحمد أولا و آخرا.

محمد هادى الأميني
عفي الله عنه و عن والديه

بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحيم

سبحان من حسرت أبصار البصائر عن كنه معرفته، و قصرت ألسن البلغاء عن أداء مدحته، و كيفيّة صفته و شهدت مع ذلك بداية العقول بربوبيّته، وجلال ألوهيته، و اقرّت كثرة ما عداه باحديّته و وحدانيّته، و اعترفت حاجتها اليه، بغنائه و واجبيّته، و نطقت انواع مخلوقاته بعلوّ شأنه، و تمام قدرته، و نبّهت بدائع مصنوعاته على كمال علمه، و بلاغ حكمته، و اشارت بحدوثها الى قدمه، و وجوب أزليّته، سبحانه جليلا عن احاطة الزمان، عليّا عن الكون و المكان، متقدساً عن الشبيه والنظير، متنزّهاً عن المعين والظّهير، فسبحانه من عظيم لا ينبغي التسبيح الّا لمجده (تسبّح له السموات السبع والأرض و من فيهن) «و انْ مِنْ شيءٍ الّا يُسبّحُ بحمدِهِ»[1]، اسبّحه تسبيحا يليق بجلاله، و قدسه، أحمده حمداً كما هو اهله، وَ كما اثنى على نفسه، و اشهد ان لا اله الّا اللّه وحده لا شريك له، شهادة مويّدة بالبرهان، مؤكّدة لحقيقة[2] الايمان، واشهد انّ محمداً عبده المصطفى من نوع الانسان، المبعوث الى الأسود، والاحمر، باشرف الأديان، صلّى الله عليه، و على آله البررة الكرام، مصابيح الظّلام، و ينابيع الاحكام، وعلى أصحابه أفضل الصلاة، و سلّم عليهم اكمل السلام.

و بعد: فلمّا كان من تمام نعم الله عليَّ، و كمال احسانه اليَّ، اتّصالي بخدمة حضرة مَنْ تجلّت بنجوم كرمه وجوه المكارم، و تحلّت بعقود نعمه صدور المراحم، و تزيّنت بذكره فروع المنابر، وأشرقت بجوده سماء المآثر، ذى المناقب و المحامد

(١) سورة الاسراء /٤٤.

(٢) في نسخة ش: بحقيقة.

والمفاخر، وارث المجد الأقدم كابرا عن كابر، مولى ملوك العرب والعجم، صاحب ديوان ممالک العالم، علاءالحق والدّين، غياث الاسلام والمسلمين عطا ملک بن الصاحب المعظم السعيد الشهيد، بهاءالدنيا والدين، محمد الجوينى، لازالت أوامر اقلامه نافذة فى الآفاق، و لا بَرِحَتْ اظلّة اعلامه على العباد ممتدّة الرواق، ما استبدل الله بقوم قوما، و امّ يوم فى الزمان يوما، و جدت ملكا يملأالعيون جماله، والقلوب هيبته و جلاله، والنفوس علمه و كماله، والخلائق انعامه وافضاله، و وجدته لشرف همته العلية، و صفاء نفسه القدسية، قد ألهم بعظيم ما روى من الاحاديث الصّحاح عن النبى صلى الله عليه وآله،وتفخيم مانقل عن على عليه السلام فى كتاب (نهج البلاغة) و غيره من فنون الكلام، و اسند اليه، و جعل دأبه الكريم بثّ محاسن تلک الاخبار، والاشتهار بنشر[1] تلک الآثار، والحثّ على تأويلها، و اظهار كنوزها، والامر بتعلّمها واستكشاف رموزها و نسبة من تولّى تأديبه الى التقصير، لاشتغاله بغيرها من كتب الادب، والتأسّف لقطع وقته بما عداها، ككتاب «اليمينى»[2]، و «مقامات الحريرى»، و سائر منثور كلام العرب، لكون هذه الالفاظ في نظم جواهرها لا تخلو عن سعى و تكلّف، و فى ابرازها بهيئة تستلذّها النفس لا تخلو عن عسر و تكلّف، و لكونها في وضعها خالية عن مطالب أُولى الهمم العالية، و المقاصد الحقيقيّة الباقية، مقصورة على حكايات مضحكة، و اوضاع اكاذيب ملهية، تكدّر لوح النفس والخيال، و تمنع عن قبول الحق والترّقى فى معارج الكمال، و تكسب نفس المرتاض بها رذيلة الكذب، و توجب للناظر فيها محبة اللّهو واللّعب، و تصدّه عن اكتساب الاخلاق المحمودة، و تلفت وجهه عن سمة القبلة المقصودة، فكل منها كشبح خلا عن الروح، وظن حيّا او «كَسَرابٍ بِقيعةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمآنُ ماءً حتّى اذا جاءه، لَمْ يَجِدهُ شَيئاً»[3].

و امّا الالفاظ النبويّة، والكلمات العلويّة، فانها موارد عين صافية آمن كدرها، و عذب وردها، و صدرها، و هى عين الحكمة التى من اوتيها فقد اوتى خيرا كثيرا، «عينا

(۱) نسخه ش: بنشر فضائل تلک.

(۲) ابونصر محمد بن عبدالجبار العتبى اليمينى المتوفى ۴۲۷ الكاتب المنشئ الرازى الخراساني.

(۳) سورة النور/ ۳۹

يشربُ بها عبادالله يُفجّرونها تفجيرا»[1]، و في وضعها من البلاغة البديعة، والفصاحة الّتي هي مقتضى الطبيعة، التركيب الموجز والاسلوب المعجز، ما يشنّف الاسماع، و يجلّ عن سائر الاساليب والاوضاع، وفي علمها من التجلّي بالانوار الالهية ما يهدى الى سبيل الرّشاد، و من التحلّي بملكات الحكم والفضائل الخلقية افضل زاد، ليوم المعاد، و هي قواعد الدين القويم و اساسه، و عليها مداره و منها اقتباسه، و فيها بغية كلّ اديب، و منها بلاغة البليغ، و فصاحة الخطيب، واليها نسبة العالم الحكيم، و عنها يؤخذ كل خلق كريم، والسابق اليها سابق بالخيرات، والمقصّر عنها ظالم لنفسه لما حرّمها من الكلمات، فكيف يقاس بها قول القائل، أو يعدل عنها الى غير طائل.

ثم استدرک الفارط فيها لكرامتها لديه، فالزم بملازمتها والتمسّک بها، ولديه الأميرين الكبيرين المعظمين العالمين الفاضلين الكاملين، جلالي الدولة وعضدي الملة، الّذين لم يزالا من سنّي الطفولية سالكين لاحمد المناهج في اكتساب الكمالات النفسانية، حتى بلغت بهما الهمم ما لم تبلغه همم الكهول في الاستكمال بالفضائل الانسانية، نظام الدنيا والدين، أبا منصور محمد، و مظفر الدين والدنيا[2]، اباالعباس عليّاً، لازالت الافلاک بدوام دولة علائهما دائرة، ولا برحت شمس اقبالهما في بروج شرفهما سائرة، و ندبهما الى حفظ فصوصها، و حرّضهما على اقتباس انوار نصوصها، و اشغل بها من لاذ بخدمتهما من البطانة والا تباع، و قصد بذلک احياء ميّت السنة و عموم الانتفاع، و رأيت تشوّق خاطره المحروس الى شرح كتاب (نهج البلاغة) وايضاح دقائقه، والاشارة الى اسراره وحقائقه، فوجدت السعي في ذلک من اعظم القربات لاداء شكره، و أشرف الوسائل الى خدمته لمعرفته بقدره.

اذ كان الناس قبله اعزاللّه انصاره، و امدّ فضله، بين جاهل ما بهذا الكتاب، من الحكمة و فصل الخطاب، يطرحه لجهله و قصوره، و بين معاند للحق عادل عن الصواب يجتهد في اخفاء شرفه، واطفاء نوره، الى ان وقفت انظاره الصائبة على ما فيه من لطائف النكات، واطّلعت افكاره الثاقبة على ما اشتمل عليه من غامض الاسرار و بيّن الآيات،

---

(١) سورة الانسان /٦.

(٢) نسخة ش: مظفرالدنيا والدين.

فنجم لذلک نجم سعوده، و توجّه لشرفه فی درج صعوده، فخدمت مجلسه العالی بشرح مناسب لعلوّهمته، موافق لکمال بغیته، و اودعت فیه من المباحث الالهیة واللطائف الحکمیة، مالا یوجد مجموعا فی کتاب، و لا یحیط به الافراد أولو الالباب، لکنه اشتمل مع ذلک علی کثیر من لباب[1] الخطب، و موجِبات الرسائل والکتب، فکبر لذلک حجمه، و کاماه[2] کثیر من الطباع و ان کثر علمه، فأشار اليّ خلّدالله اقباله و ضاعف جلاله[3] ان الخّص منه مختصرا جامعا لزبد فصوله، خالیا من زیادة القول و طوله، لیکون تذکرة لولدیه، أسعدالله جدّهما، و شیّد مجدهما،فیسهل علیهما ضبط فوائده والوقوف علی غایاته و مقاصده، و علی من عساه یحذو حذوهما فی اقتناء الفضائل،والتوسّل الی تحصیلهما باعظم الوسائل، فبادرت الی امتثال امره العالی بالسمع والطاعة، و بذلت فی تهذیبه و تنقیحه جهد الاستطاعة، و سألت الله تعالی ان یوفّقنی لا تمام ارادته، و یسعد اولیاءه ببقاء دولته، و دوام سعادته، انّه اکرم من سئل و اولی من امّل.



---

(۱) فی ش: اسباب الخطب.

(۲) کاماه، وکأمه، واکماه: کرهه. ملّه.

(۳) نسخة ش: اقتداره.

خطبة الكتاب

قال السيد الشريف ذوالحسبين رضي الدين محمد بن الحسين الموسوى[1] قدّس الله روحه.

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

امّا بعدالحمدللّه الّذى جعل الحمد ثمنا لنعمائه، و معاذ آمن بلائه، و وسيلا الى جنانه، و سبباً لزيادة احسانه، و الصلاة على رسوله نبّى الرحمة و امام الائمة و سراج الامة، المنتخب من طينة الكرم، و سلالة المجد الأقدم، و مغرس الفخار المعرق، و فرع العلاءِ المثمر المورق، و على اهل بيته مصابيح الظلم، و عصم الامم، و منار الدين الواضحة، ومثاقيل الفضل الراجحة صلّى الله عليهم اجمعين، صلاة تكون ازاء لفضلهم، و مكافاة لعملهم، و كفاءً لطيب فرعهم و اصلهم، ما انار فجر ساطع، وخوى نجم طالع.

فانّي كنت في عنفوان السن[2] وغضاضة الغصن، ابتدأت بتأليف كتاب في خصائص الائمة عليهم السلام يشتمل على محاسن اخبارهم، و جواهر كلامهم، حداني عليه غرض ذكرته في صدر الكتاب، و جعلته امام الكلام، وفرغت من الخصائص التى تخصّ اميرالمؤمنين علياً عليه السلام[3] و عاقت عن اتمام بقية الكتاب محاجزات الايام، و

(١) المتوفى ٤٠٦ هجر. راجع كتاب - مصادر ترجمة الشريف الرضي - ط ايران ١٤٠١هجر.

(٢) في نسخة ش: السن.

(٣) طبع في النجف عام ١٣٦٨ و يقع في ١٠٠ صفحه بصورة مغلوطة و مصحفة، واعادت مؤسسة - مجمع البحوث الاسلامية - في مدينة مشهد - خراسان، طبعه مع التصحيح والتحقيق من على نسخة الامام الفقيه ابى الرضا السيدفضل الله بن علي الحسيني الراوندي الكاشاني.

مماطلات الزمان، و كنت قد بوّبت ما خرج من ذلک أبوابا، و فصّلته فصولا، فجاء فی آخرها فصل يتضمّن محاسن ما نقل عنه عليه السلام من الكلام القصير فی المواعظ و الحكم و الامثال والآداب دون الخطب الطويلة والكتب المبسوطة، فاستحسن جماعة من الأصدقاء والاخوان ما اشتمل عليه الفصل المقدّم ذكره معجبين ببدائعه، و متعجبين من نواصعه، و سألونی عند ذلک ان أبدا بتأليف كتاب يحتوی علی مختار كلام مولانا اميرالمؤمنين عليه السلام فی جميع فنونه، و متشعبات غصونه، من خطب و كتب، و مواعظ و أدب علما انّ ذلک يتضمن من عجائب البلاغة، و غرائب الفصاحة، و جواهر العربية، و ثواقب الكلم الدينيّة والدنيويّة، ما لايوجد مجتمعا فی كلام، ولا مجموع الاطراف فی كتاب، اذ كان اميرالمؤمنين عليه السلام مشرع الفصاحة و موردها، و منشأ البلاغة و مولدها، ومنه عليه السلام ظهر مكنونها، و عنه اخذت قوانينها، و علی امثلته حذا كل قائل خطيب، و بكلامه استعان كلّ واعظ بليغ، و مع ذلک فقد سبق و قصّروا، و تقدّم و تاخّروا، لانّ كلامه عليه السلام، الكلام الذی عليه مسحة من العلم الالهی، و فيه عبقة من الكلام النبوی، فأجبتهم الی الابتداء بذلک عالما بما فيه من عظيم النفع، و منشورالذكر، ومذخور الأجر، و اعتمدت به ان ابيّن من عظيم قدر اميرالمؤمنين عليه السلام فی هذه الفضيلة مضافة الی المحاسن الدثرة، والفضائل الجمة، و انّه عليه السلام انفرد ببلوغ غايتها من جميع السلف الأوّلين الذين انما يؤثر عنهم منها القليل النادر، والشاذ الشارد.

و امّا كلامه، فهو من البحر الذی لايُساجَل، والجمّ الذی لايحافل، واردت ان يسوغ لی التمثيل فی الافتخار به عليه السلام بقول الفرزدق:

اولئک آبائی فجئني بمثلهم ... اذا جمعتنا يا جرير المجامع

و رأيت كلامه عليه السلام يدور علی اقطاب ثلاثة: اوّلها الخطب و الاوامر، و ثانيها الكتب والرسائل، و ثالثها الحكم والمواعظ، فأجمعت بتوفيق الله تعالی علی الابتداء باختيار محاسن الخطب، ثم محاسن الكتب، ثم محاسن الحكم والادب، مفردا لكل صنف من ذلک باباً، و مفصّلا فيه اوراقاً لتكون مقدمة لاستدراک ما عساه يشذّ عنّی عاجلا ويقع اليّ آجلا، و اذا جاء شيء من كلامه عليه السلام الخارج فی اثناء حوار، او

جواب سؤال او غرض آخر من الاغراض في غير الانحاءِ التي ذكرتها، و قرّرت القاعدة عليها نسبته الى أليق الابواب به، واشدّها ملامحة لغرضه، وربّما جاء فيما اختاره من ذلک فصول غير متّسقة، و محاسن كلم غير منتظمة، لانّي اورد النّكت واللمع، ولا اقصد التّتالي والنسق.

و من عجائبه عليه السلام التي انفرد بها، و أمن المشاركة فيها انّ كلامه عليه السلام الوارد في الزهد والمواعظ، والتذكير والزواجر اذا تأمّله المتأمّل، وفكّر فيه المتفكّر، و خلع عن قلبه انّه كلام مثله ممّن عظم قدره، و نفذ أمره، و احاط بالرقاب ملكه، لم يعترضه الشک في انّه من كلام من لاحظّ له في غير الزهادة و لاشغل له بغير العبادة، قد قبع في كسر بيت او انقطع في سفح جبل لايسمع الّا حسّه، ولا يرى الّا نفسه، ولا يكاد يوقن بانّه كلام من ينغمس في الحرب مصلتا سيفه فيقطّ الرقاب، و يجدّل الأبطال، و يعود به ينطف دماً، و يقطر مهجا، و هو مع تلک الحال زاهد الزهّادّ، وبدل الأبدال، و هذه من فضائله العجيبة، و خصائصه اللّطيفة التي جمع بها بين الأضداد، والّف بين الاشتات، و كثيراً ما أذاكر الاخوان بها، و استخرج عجبهم منها، و هي موضوع للعبرة بها، والفكرة فيها.

و ربّما جاء في اثناء هذا الاختيار اللفظ المردّد، والمعنى المكرّر، والعذر في ذلک انّ روايات كلامه عليه السلام تختلف اختلافًا شديدا، فربّما اتّفق الكلام المختار في رواية فنقل على وجهه، ثم وجد بعد ذلک في رواية اخرى موضوعا غير موضعه الاوّل امّا بزيادة مختارة او بلفظٍ احسن في العبارة، فتقتضي الحال ان يعاد استظهارا للاختيار، و غيرة على عقائل الكلام، و ربّما بعد العهد ايضا بما اختير اوّلا فاعيد بعضه سهوا و نسيانا لاقصدا واعتماداً.

ولا[1] ادعّي مع ذلک انّني احيط باقطار جميع كلامه عليه السلام حتى لايشذّ عنّي منه شاذّ ولا يندّ نادّ، بل لا ابعد ان يكون القاصر عنّي فوق الواقع اليّ، والحاصل في ربقتي دون الخارج من يدي، و ما عليّ الّا بذل الجهد، و بلاغ الوسع، و على الله سبحانه و تعالى نهج السبيل، ورشاد الدليل ان شاء الله.

و رأيت من بعد تسمية هذا الكتاب (نهج البلاغة) اذ كان يفتح للناظر فيه ابوابها، و

---

(١) في ش: و ماادعى.

يقرّب عليه طلابها، و فيه حاجة العالم والمتعلّم، و بغية البليغ والزاهد، و يمضى فى اثنائه من[1] الكلام في التوحيد والعدل، و تنزيه الله سبحانه و تعالى عن شبه الخلق ما هو بلال كلّ غلة[2] و جلاء كل شبهة.

و من الله سبحانه استمّد التوفيق والعصمة، واتنجّز التسديد والمعونة، واستعيذه من خطأ الجنان قبل خطأ اللسان، و من زلّة الكلام قبل زلّة القدم، و هو حسبى و نعم الوكيل.

أقول:

المعاذ: الملجأ، والوسيل جمع: وسيلة، والمعرق: ذو العرق[3] والاصل فى الكرم، والمنار علم الطريق و هو مستعار لاهل البيت عليهم السلام باعتبار هدايتهم للخلق، و ارادهنا جمع منارة على غير قياس و لذلک انّث صفته، والموازاة: المحاذاة، و كفاء الشئ مثله، و خوى النجم[4]: سقط للمغيب، و عنفوان السّن: اوّله، و كنّى بغضاضة الغصن عن: الشباب، و حداني: بعثني، والمحاجزات: الممانعات كانّ الأيام تدفعه عن العمل و هو يدفعها، و معجبين: مكثرين عجب غيرهم، والبدائع: الاشياء الحسنة المعجبة، و ناصع كل شيء: خالصه، و علما مفعول له. والمسحة من الشئ: الاثر منه. و عبق به: الطيب لصق[5]. و اعتمدت: قصدت. والدثرة والجمّة: الكثيرة. و يؤثر: يروى. والمساجلة: المغالبة والمفاخرة في السقي، والسّجل: الدلو العظيمة فيها الماء. ولا يحافل: اى يكاثر بكثرة من الفضائل. والاجماع: تصميم العزم. والحوار: الخطاب والجواب، والانحاء: المقاصد، والملامحة: المشابهة، و قبع القنفذ: أدخل رأسه فى جلده، و كسر البيت: الشقّة التي تلي الارض من حيث يكسر جانباه من اليمين والشمال، و أصلت السيف: جرّده. والقطّ: القطع عرضا، والقدّ: القطع طولا. وجدّ له: ألقاه على الجدالة و هى: الأرض، و ينطف بالضم: يسيل، والمهجة: الدّم، والأبدال: قوم صالحون ولا تخلوا

(١) نسخة ش بزيادة: عجيب.

(٢) في ش بزيادة: وشفاء كل علة.

(٣) في ش: ذو العرض.

(٤) في نسخه ش: اذا سقط.

(٥) في ش: لزق.

الارض منهم واحداً بدل الآخر، و عقيلة كل شيء: اكرمه وأحسنه، والأقطار: الجوانب. وندّ البعير ينّد: نفر و شرد. والربق بكسر الراء و سكون الباء: حبل فيه عرى تشدّ به البهم، والمنهج، الطريق الواضح، و مقاصد الخطبة و اضحة و بالله التوفيق.



باب المختار من خطب أميرالمؤمنين عليه السلام

وأوامره. و يدخل في ذلك المختار من كلامه الجاري مجرى الخطب في المقامات المحصورة، والمواقف المذكورة والخطوب الواردة

١ - وَمِنْ خُطْبَة لَهُ عَلَيْه السَّلام

يذكر فيها ابتداء خلق السماء والأرض، وخلق آدم. وفيها ذكر الحج.

الْحَمْدُلِلّهِ الَّذِي لاَيَبْلُغُ مِدْحَتَهُ الْقَائِلُونَ، وَلاَيُحْصِي نَعْمَاءَهُ الْعَادُّونَ، وَلاَيُؤَدِّي حَقَّهُ الْمُجْتَهِدُونَ، الَّذِي لاَيُدْرِكُهُ بُعْدُ الْهِمَمِ، وَلاَيَنَالُهُ غَوْصُ الْفِطَنِ الَّذِي لَيْسَ لِصِفَتِهِ حَدٌّ مَحْدُودٌ، وَلاَ نَعْتٌ مَوْجُودٌ، وَلاَوَقْتٌ مَعْدُودٌ، وَلاَ أَجَلٌ مَمْدُودٌ: فَطَرَالْخَلاَئِقَ بِقُدْرَتِهِ، وَنَشَرَالرِّيَاحَ بِرَحْمَتِهِ، وَ وَتَّدَ بِالصُّخُورِ مَيَدَانَ أَرْضِهِ. أَوَّلُ الدِّينِ مَعْرِفَتُهُ، وَكَمَالُ مَعْرِفَتِهِ التَّصْدِيقُ بِهِ، وَكَمَالُ التَّصْدِيقِ بِهِ تَوْحِيدُهُ، وَ كَمَالُ تَوْحِيدِهِ الإِخْلاَصُ لَهُ، وَكَمَالُ الْإِخْلاَصِ لَهُ نَفْيُ الصِّفَاتِ عَنْهُ؛ لِشَهَادَةِ كُلِّ صِفَةٍ أَنَّهَا غَيْرُالْمَوْصُوفِ، وَشَهَادَةِ كُلِّ مَوْصُوفٍ أَنَّهُ غَيْرُالصِّفَةِ: فَمَنْ وَصَفَ اللّهَ سُبْحَانَهُ فَقَدْ قَرَنَهُ، وَمَنْ قَرَنَهُ فَقَدْثَنَّاهُ، وَمَنْ ثَنَّاهُ فَقَدْ جَزَّأَهُ، وَ مَنْ جَزَّأَهُ فَقَدْ جَهِلَهُ، وَ مَنْ جَهِلَهُ فَقَدْ أَشَارَ إِلَيْهِ، وَمَنْ أَشَارَإِلَيْهِ فَقَدْ حَدَّهُ، وَ مَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ، وَ مَنْ قَالَ «فِيمَ؟» فَقَدْ ضَمَّنَهُ، وَ مَنْ قَالَ «عَلاَمَ؟» فَقَدْ أَخْلَى مِنْهُ. كَائِنٌ لاَعَنْ حَدَثٍ مَوْجُودٌ لاَعَنْ عَدَمٍ، مَعَ كُلِّ شَيْءٍ لاَبِمُقَارَنَةٍ، وَغَيْرُ كُلِّ شَيْءٍ لاَبِمُزَايَلَةٍ، فَاعِلٌ لاَبِمَعْنَى الْحَرَكَاتِ وَالآلَةِ، بَصِيرٌ إِذْ لاَ مَنْظُورَ إِلَيْهِ مِنْ خَلْقِهِ مُتَوَحِّدٌ إِذ لاَسَكَنَ يَسْتَأْنِسُ بِهِ وَلاَيَسْتَوْحِشُ لِفَقْدِهِ.

أقول :

ألتصدير بذكر الله تعالى واجب، لانّه المبدأ الاوّل لجميع الموجودات بالذات فهوالمستحق لقدمه فى المراتب الأربع من الموجودات. والحمد يرادف الشكر و قد يفيد ماهو اعمّ منه و هوالتعظيم المطلق. والمدحة فعلة من المدح، و هى الهيئة التى للممدوح يكون المدح عليها، و قد اشارالى جملة من صفات جلاله و نعوت كماله.

فالاوّل من صفات جلاله: عدم بلوغ القائلين مدحته، و هو اشارة الى تنزّهه تعالى عن اطّلاع العقول البشرية على كنه و صفه، كما هوأهله لما علمت انّ ذلک انّما يمكن بالاطّلاع على كنه ذاته تعالى ،ليستلزم ذلک معرفة مالها من صفات الجلال و نعوت الكمال، و معرفة الامور كماهى، انّما يمكن فيما تركب منها، و لمّا تنزّه قدسه تعالى عن ذلک لاجرم كانت عقول البشر قاصرة عن هذا المقام، بل كلّ مرتبة وصلت اليها من اطوار الثناء بحسب قوّتها و امكانها، فورائها اطوار اخر لا تتناهىٰ، كما قال سيّد المرسلين صلى الله عليه: لا احصى ثناء عليک انت كما اثنيت على نفسک، وخصّ القائلين دون المادحين بالذكر، لكونه أبلغ فى التنزيه لانّ القائلين اعمّ من المادحين، و سلب مدح الاعم مستلزم سلب مدح الاخصّ من غير عكس.

ألثاني : عدم احصاء العادّين لنعمائه، وذلک لكثرتها و عدم تناهيها، و اليه الاشارة بقوله تعالى: (و إنْ تَعُدّوا نِعْمَةَ الله لا تُحْصُوها)[1].

ألثالث: عدم اداء المجتهدين لحقّه، و ذلک لانّه لمّا ثبت انّ نعمه[2] لا تحصى لزم من ذلک عدم تمكن المنعم عليه من مجازاتها و اداء حقّه فيها، و لانّ التوفيق لاداء حقّه نعمة اخرى منه، و لايمكن جزاء نعمته بنعمته، و اداء حقّه بما يوجب حقاً آخر، و فى الاثر انّ هذا الخاطر خطر لداود عليه السلام فقال: (يا ربّ كيف اشكرک و انالا استطيع ان اشكرک الّا بنعمة ثانية من نعمک) فاوحى الله تعالى اليه: (اذا عرفت انّ النعم منّى رضيت منک بذلک شكرا).

ألرابع : كونه لايدركه بعد الهمم البعيدة، والهمّة هى العزم الجازم و بعدها تعلقها

---

(١) سورة ابراهيم /٣٤.

(٢) في نسخة ش: نعمة الله.

بعليّات الامور دون محقراتها، اى: لا تدركه النفوس ذوات الهمم البعيدة وان امعنت فى الطلب كنه حقيقته، و قدّم الصفة للعناية بها.

الخامس: كونه لايناله غوص الفطن، اى الفطن الغائصة و استعار لفظ الغوص هنا لتعمّق الافهام الثاقبة في بحار صفات جلاله التى لاقرار لها و لاغاية، و اعتبار انّ نعوت كماله التى لا تقف عند حدّ و نهاية.

السادس : كون صفته لاحدّ لها اى: ليس لما تعتبر، عقولنا له من الصفات نهاية معقولة يكون حدّاً لها، و يحتمل ان يريد انّه لاصفة له فتحّد كقولهم.

ولا ارى الضبّ بها ينحجر اى: لا ضبّ بها فينحجر. و قوله : حدّ محدود، كقولهم: شعر شاعر.

السابع : ولا لمطلق ما يوصف به، ايضاً نعت بجمعه و ينحصر فيه.

الثامن : ولا لصفته وقت معدود، اى: داخل فى العدد[1]، وذلک لتقدّسه تعالى عن احاطة الزمان المتأخر عنه بمراتب.

التاسع: و كذلک ولا أجل ممدود، لكونه تعالى واجب الوجود دائما.

ألعاشر: من نعوت كماله،[2] فطر الخلائق بقدرته، والفطر: الشقّ والابداع واستعار و صفه لايجاد الخلق ملاحظة لمايتوهّم من شقّ ظلمة العدم بنور وجودهم.

الحادى عشر: كونه نشر الرّياح برحمته، اى: بسطها لكونها سببا عظيماً لبقاء انواع الحيوان والنبات، و صلاح الأمزجة و نموّها، واسنده الى رحمته، لشمولها هذا العالم، و من آثارها حملها السحاب المترع بالماء على وفق الحِكمة ليصيب الارض الميتة فينبت بها الزرع و تملاء الضرع، كقوله تعالى: (وَ هُوَالّذى يُرْسِلُ الرّياحَ بُشراً بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ)[3] و استقراء كلام العرب يدلّ على استعمالهم لفظ الرياح فى الرحمة، و الريح فى العذاب.

الثاني عشر: كونه و تدّ بالصخور ميدان ارضه، اى ارضه المائدة فقدّم الصفة لانّ ذكرها اهمّ، لكونها سبباً فى نصب الجبال، وهو كقوله تعالى: (وَالقى في الارضِ رَواسَىَ

---

(۱) في ش: في العدّ.

(۲) في نسخة ش: كونه فطر

(۳) سورة الفرقان /۴۸.

اَنْ تميدَ بِكُمْ)[1] وبيان ذلک من وجهين:

أحدهما: انّ الارض كرة، و هذه الجبال جارية مجرى خشونات وتضريسات فى وجهها، فلولم تكن هذه الجبال حتى كانت الارض كرة حقيقية خالية عنها، لكانت بحيث تتحرّک بالاستدارة بأدنى سبب لانّ الجرم البسيط المستدير يجب تحرّكه على نفسه، امّا اذا حصلت هذه الجبال على سطحها و كلّ منها يتوجّه بطبعه و ثقله العظيم نحو مركز العالم، فانّه يجرى مجرى الوتد الذى يمنع كرة الارض من الاستدارة.

الثانى: ما قيل انّ اطلاق لفظ الاوتاد عليها، استعارة والمقصود من جعلها كالأوتاد فى الارض لكى يهتدى بها على طرقها، فلا تزيغ جهاته المشتبهة بأهلها، و لا تميل بهم عن مقاصدها.

الثالث عشر: كون معرفته تعالى اوّل الدين الواجب لزومه.

واعلم انّ المعرفة على مراتب فأدناها ان يعرف العبد انّ له صانعاً.

الثانية، أن يصدّق بوجوده.

الثالثة، أن يترقّى بجذب العناية الالهية الى توحيده، و تنزيهه عن الشركاء.

الرابعة مرتبة الاخلاص له، بالزهد الحقيقى و هوتنحية كل ما سواه، عن سنن الايثار.

الخامسة مرتبة نفى الصفات عنه و هى غاية العارف.

و كلّ مرتبة من المراتب الاولى مبدء لما بعدها، و كل من الأربع الاخيرة كمال لما قبلها، و قد اشار الى هذه المراتب بقوله: و كمال معرفته التصديق به... الى قوله: نفى الصفات عنه.

و ينحل هذا القياس الى قياسات تُشبه قياسات المساوات لعدم الشركة بين مقدّمتين[2] كل منهما فى تمام الأوسط، فيحتاج فى انتاج كل منهما الى قياس آخر، والمطلوب من التركيب الاوّل و هوقوله: و كمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده، انّ كمال معرفته توحيده.

---

(۱) سورة النحل /۱۵

(۲) في ش: مقدمتي.

و من تركيب هذه النتيجة مع قوله: و كمال توحيده الاخلاص له، و من تركيب هذه مع قوله: وكمال الاخلاص له نفي الصفات عنه، انّ كمال معرفته نفي الصفات عنه و هوالمطلوب.

اذا عرفت ذلک فنقول: يحتمل أن يريد بالمعرفة التي هي اوّل الدين، المعرفة الناقصة التي هو اوّل متحصّل في النفس من مراتب المعرفة، و يحتمل أن يريد بها التّامة اذهي العلّة الاولى في التصوّر الاجمالي للسّالكين و غاية في السلوک، وفي اطلاق الكمال هاهنا تنبيه على انّ معرفته تعالى بكنه حقيقته غير ممكنة، لانّها مقولة بالاشدّ والاضعف فلم تكن ممكنة الّا بحسب رسوم ناقصة تركبّت من اسلوب و اعتبارات اضافية تلزم معقوليته[1] تعالى.

و لما لم تكن متناهية لم[2] تقف المعرفة بحسبها عند كل حدّ، بل كانت متفاوتة بالزيادة والنقصان والجلاء والخفاء.

و امّا بيان المقدمة الاولى من القياس المذكور، فلانّ المتصوّر لمعنى الصانع عارف به من تلک الجهة معرفة ناقصة اذ هي من ضرورية كونه موجداً للعالم فكان اعتبار التصديق بوجوده كمالاً لتلک المعرفة.

و امّا الثانية فلانّ وجود الواجب تلزمه الوحدة المطلقة اذ لو كان مشتركاً بين اثنين لزم ان يتميّز كل منهما بأمر وجوديّ وراء ما به الاشتراک، فيلزمهما التركيب المستلزم للامكان، فاذا التصديق بوجوده يلزمه توحيده و تصوّر اللازم كمال لتصوّر ملزومه.

و امّا الثالثة فلانّ اعتبار الغير معه تعالى في المحبّة والقصد اليه، والاعتماد عليه شرک خفيّ ينافي التوحيد الحقّ و ان لم يكن منافيا فهو نقصان فكان عدمه، والاخلاص لله كمال التوحيد له[3].

و امّا الرابعة فقد بيّنها عليه‌السلام بقياس برهانّي مطويّ النّتائج استنتج منه، انّ كل من وصف الله سبحانه فقد جهله.

---

(۱) في ش: الله تعالى.

(۲) في ش بزيادة: لم يمكن أن تقف.

(۳) في نسخة ش: كمال توحيده.

و قوله لشهادة كلّ صفة... الى قوله: غير الصفة.

توطيد للقياس ببيان المغايرة بين الصفة والموصوف، والشهادة هاهنا شهادة الحال فانّ حال الصّفة تشهد بحاجتها الى الموصوف،و حال الموصوف يشهد بالاستغناء عنها، والحالان يشهدان بمغاير تهما لانّ اختلاف اللوازم يدلّ على اختلاف الملزومات، فاما صحّة المقدّمات.

فبيان الاولى : انّ الصفة لما ثبت كونها مغايرة للذات لزم كونها زيادة عليها فلزم اقترانها بها عند فرضها صفة لها.

و بيان الثانية : انّ من قرن ذاته بشيء او اشياء فقد اعتبر في مفهومه امرين او اموراً فكانت فيه كثرة.

و بيان الثالثة : انّ كل ذى كثرة فهو مركّب و كلّ مركب فهو ذو جزء.

و بيان الرابعة : انّ كل ذى جزء فهو ممكن لافتقاره الى جزئه الّذى هو غيره، والحاكم بانّ له جزءاً، حاكم بكونه ممكنالا واجبا لذاته فكان جاهلا به، و نتيجة القياس اذن انّ من وصف الله[1] سبحانه، فقد جهله و تبيّن به المطلوب و هو انّ كمال الاخلاص له نفى الصفات عنه، اذ الاخلاص[2] ينافي الجهل به، فينا فى ملزوم الجهل و هو اثبات الصفة له فيتحقّق اذن نفيها.

الرابع عشر: كونه غير مشاراليه، و اراد مطلق الاشارة و بيّن ذلك بقياس هو قوله: و من اشاراليه... الى قوله: فقد عدّه.

بيان الاولى، انّ الاشارة امّا حسيّة او عقلية، امّا الحسيّة فانها تستلزم الوضع والكون فى المحلّ اوالحيّز و ما كان كذلک فلابدّ و ان يكون له حدّ اوحدود، و امّا الاشارة العقلية فلانّ المشير الى حقيقة شيء زاعماً انّه وجده، و تصوّره، فقد أوجب له حدّاً يقف ذهنه عنده، و يميّزه به عن غيره.

و بيان الثانية : انّ من حدّه بالاشارة الحسيّة فقد جعله مركّبا من أمور معدودة، اذ الواحد فى الوضع ليس مجرّد وحدة فقط والّا لم تتعلّق الاشارة الحسيّة به، بل لابدّ معها من

---

(١) في ش: تعالى.

(٢) في ش بزيادة: له

امور اخرى مشخّصة مخصّصة له، فكان في نفسه معدوداً لكثرته من تلك الجهة، و من حدّه بالاشارة العقلية فلابدّ ان يحكم بتركيبه لما علمت انّ كل محدود مركب في المعنى، فكان ايضا ذاكثرة معدودة فاذن الاشارة المطلقة ممتنعة في حقّه تعالى مستلزمة للجهل به.

الخامس عشر: كونه تعالى غير حالّ في شيء و بيّنه بقوله: و من قال فيم فقد ضمّنه، و هو في قوة صغرى ضمير تقدير كبراه، و من ضمنه فقد احوجه الى المحل المنافي لوجوب وجوده: امّا الصغرى فلأن فيما سؤال عن الظرف ولايصحّ ذلك الّا في المحل. و امّا الكبرى فلأن الحال في المحل ان لم يجب كونه فيه جاز استغناؤه عنه، والغنيّ عن المحل يستحيل ان يعرض له، و ان وجب كونه فيه كان محتاجاً اليه فكان ممكنا و هذا خلف.

السادس عشر: كونه تعالى ليس في مكان ولا في جهة، واشاراليه بقوله: ومن قال... الى قوله: منه، و هو في قوّة ضمير كالذى قبله، و تقدير كبراه، و من أخلى منه فقد كذّبه، امّا الصغرى فلانّ السؤال بعلام يستلزم كونه في جهة فوق وذلك يستلزم اخلاء سائر الجهات عنه، و امّا الكبرى فلقوله تعالى: (و هو الله في السمواتِ وفي الارض)[1] و قوله: (و هو مَعَكُمْ آينما كُنْتُمْ)[2] فالمخصّص له بجهة كاذب[3] لذلك.
و انّما خصّص عليه السلام جهة العلوّ بالانكار لكونها هي المتوهمة لله تعالى دون غيرها.

السابع عشر: كونه كائنا لاعن حدث.

واعلم، انّ الحدوث يقال في الاصطلاح العلمي على معنيين بالاشتراك، احدهما الحدوث الذاتي، و هو كون الشيء من حيث هو لايستحق من ذاته وجوداً ولا عدماً، انما يستحق احدهما بأمر خارج عن ذاته و هو معنى يلازم الامكان.

و ثانيهما[4] الحدوث الزماني، و هو كون الوجود مسبوقاً بالعدم سبقا زمانياً، و هو

---

(١) سورة الانعام /٣.

(٢) سورة الحديد/٤.

(٣) في ش: مكذب.

(٤) في نسخة ش: والثاني.

اخصّ من الامكان و يقابله القدم بمعنيين، اذا عرفت ذلک فاعلم، انّه عليه السلام نزّهه من هذه القرينة عن الحدوث بالمعنى الاوّل اذ كان تعالى واجب الوجود بذاته، ودلّ بالكائن على وجوده المجرّد عن الزمان، و خرج الزمان عن مفهوم كان بالدليل العقلى المانع من لحوق الزمان له، و كان هنا تامة.

الثامن عشر: كون وجوده لاعن عدم، و هو اشارة الى تقدّسه عن لحوق الحدوث له بالمعنى الثاني، و قد استلزم هذان الوصفان اثبات الازلية والقدم بمعنييه له.

التاسع عشر: كونه مع كل شيء لابمقارنة.

واعلم انّ كونه مع غيره نسبة تعرض له بالقياس الى جميع مخلوقاته، اذ كلّها منه و يصدق عليه ذلک بمعنى: انّ ذاته المقدسة مساوية متصلّة العلم بكلّها و جزئها، لقوله تعالى: (و هو معكم) الآية، لاعلى وجه المصاحبة فى زمان او محلّ او مجاورتها فى مكان.

و لما كان مفهوم المقارنة تعتبر فيه الزمان والمكان لاجرم نزّه تلک المعية عنها بقوله: لا بمقارنة.

العشرون: كونه غير كل شيء لابمزايلة، و لما كانت المزايلة و هى المفارقة اضافة لا تعقل الّا بالقياس الى مقارنة و كان فى وجوده تعالى و غيريته للأشياء منزّهاً عن لحوق هاتين الاضافتين لاعتبار الزمان والمكان فى مفهوميهما، لا جرم نفاها عن غيريته للاشياء كما نفى المقارنة عن معيّته لها بل غيريته للاشياء بذاته المقدّسة.

الحادى والعشرون: كونه فاعلالا بمعنى الحركات والآلة، اى: لا تدخل الحركة و الآلة فى فاعليته لكونهما من خواصّ الاجسام المتنزّه قدسه عنها، ولانّه لو وقف فعله على الآلة لكان بدونها غيرمستقلّ فيكون ناقصاً بذاته مستكملا بغيره، و هو محال.

الثانى والعشرون: كونه بصيراً، الى قوله: خلقه واراد اثبات البصر[1] له حيث لامبصر و لما كان تعالى منزّها عن الادراک بآلة البصر، فمعنى كونه بصيرا كونه عالماً

---

(١) فى هامش النسخة ما لفظه:

الفرق بين البصر والباصر، والعليم و العالم، والقدير والقادر، هو أن البصر الذى من شأنه ذلك و ان لم يكن هناك ما يبصر اليه، والباصر هوالذي يدرك بالبصر ما يكون موجودا، و كذا القول فى العليم والعالم والقدير والقادر.

بالمبصرات، و اطلاق لفظ البصير عليه مجاز اطلاقاً لاسم المسبب على السبب، واشار باذْ: الى اعتبار الازل فانّه اذن لامخلوق لما ثبت انّ العالم حادث.

الثالث والعشرون، كونه متوحّداً، الى قوله: لفقده، و هو وصف بتفرّده بالوحدانية لذاته ازلا، اذ المتوحّد المطلق من له الوحدانية لذاته، و اشار باذْ: لاعتبار الازل ايضاً.

و لما ثبت انّ العالم حادث ثبت انّه لاسكن فى الازل يقارنه، ولانّه ليس من شأنه ان يكون له أنيس ينفرد عنه و يستوحش لفقده، اذ الاستيناس والتوحّش يتعلّقان بميل الطبع و نفرته التابعة للمزاج، و قد تنزّه تعالى عن ذلک فهو المتفرّد بالوحدانية المطلقة لابالقياس الى شئ.

الفصل الثانى، فى نسبة ايجاد العالم الى قدرته تعالى جملة وتفصيلاً،والاشارة الى كيفية ذلک فى معرض مدحه تعالى و ذلک قوله:

أَنْشَأَ الْخَلْقَ إِنْشَاءً، وَابْتَدَأَهُ ابْتِدَاءً، بِلاَرَوِيَّةٍ أَجَالَهَا، وَلاَ تَجْرِبَةٍ اسْتَفَادَهَا وَلاَحَرَكَةٍ أَحْدَثَهَا، وَلاَهَمَامَةِ نَفْسٍ اضْطَرَبَ فِيهَا. أَجَالَ الْأَشْيَاءَ لِأَوْقَاتِهَا وَلاَءَمَ بَيْنَ مُخْتَلِفَاتِهَا، وَغَرَّزَ غَرَائِزَهَا، وَأَلْزَمَهَا أَشْبَاحَهَا عَالِمًا بِهَا قَبْلَ ابْتِدَائِهَا مُحِيطًا بِحُدُودِهَا وَانْتِهَائِهَا عَارِفاً بِقَرَائِنِهَا وَأَحْنَائِهَا. ثُمَّ أَنْشَأَ سُبْحَانَهُ فَتْقَ الْأَجْوَاءِ وَشَقَّ الْأَرْجَاءِ، وَسَكَائِكَ الْهَوَاءِ فَأَجْرَى فِيهَا مَاءً مُتَلاَطِمًا تَيَّارُهُ، مُتَرَاكِماً زَخَّارُهُ. حَمَلَهُ عَلَى مَتْنِ الرِّيحِ الْعَاصِفَةِ، وَالزَّعْزَعِ الْقَاصِفَةِ فَأَمَرَهَا بِرَدِّهِ وَسَلَّطَهَا عَلَى شَدِّهِ، وَقَرَنَهَا إِلَى حَدِّهِ الْهَوَاءُ مِنْ تَحْتِهَا فَتِيقٌ وَالْمَاءُ مِنْ فَوْقِهَا دَفِيقٌ ثُمَّ أَنْشَأَ سُبْحَانَهُ رِيحاً اعْتَقَمَ مَهَبَّهَا وَأَدَامَ مُرَبَّهَا، وَأَعْصَفَ مَجْرَاهَا، وَأَبْعَدَ مَنْشَأَهَا، فَأَمَرَهَا بِتَصْفِيقِ الْمَاءِ الزَّخَّارِ، وَاثَارَةِ مَوْجِ الْبِحَارِ، فَمَخَضَتْهُ مَخْضَ السِّقَاءِ، وَعَصَفَتْ بِهِ عَصْفَهَا بِالْفَضَاءِ. تَرُدُّ أَوَّلَهُ إِلَى آخِرِهِ، وَسَاجِيَهُ إِلَى مَائِرِهِ حَتَّى عَبَّ عُبَابُهُ. وَرَمَى بِالزَّبَدِ رُكَامُهُ، فَرَفَعَهُ فِي هَوَاءٍ مُنْفَتِقٍ وَجَوٍّ مُنْفَهِقٍ، فَسَوَّى مِنْهُ سَبْعَ سَمٰوَاتٍ، جَعَلَ سُفْلاَهُنَّ مَوْجاً مَكْفُوفاً وَعُلْيَاهُنَّ سَقْفاً مَحْفُوظاً، وَسَمْكاً مَرْفُوعاً، بِغَيْرِ عَمَدٍ يَدْعَمُهَا، وَلاَدِسَارٍ يَنْظِمُهَا ثُمَّ زَيَّنَهَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ، وَضِيَاءِ الثَّوَاقِبِ، وَأَجْرَى فِيهَا سِرَاجًا مُسْتَطِيرًا وَقَمَراً مُنِيراً: فِي فَلَكٍ دَائِرٍ، وَسَقْفٍ سَائِرٍ، وَرَقِيمٍ مَائِرٍ. ثُمَّ فَتَقَ مَا بَيْنَ السَّمٰوَاتِ الْعُلاَ، فَمَلأَهُنَّ أطواراً مِنْ مَلاَئِكَتِهِ، مِنْهُمْ سُجُودٌ لاَيَرْكَعُونَ، وَرُكُوعٌ لاَيَنْتَصِبُونَ، وَصَافُّونَ لاَ يَتَزَايَلُونَ، وَمُسَبِّحُونَ لاَيَسْأَمُونَ.

لَايَغْشَاهُمْ نَوْمُ الْعُيُونِ، وَلَاسَهْوُ الْعُقُولِ، وَلَافَتْرَةُ الْأَبْدَانِ، وَلَاغَفْلَةُ النِّسْيَانِ. وَمِنْهُمْ أُمَنَاءُ عَلَى وَحْيِهِ، وَأَلْسِنَةٌ إِلَى رُسُلِهِ، وَمُخْتَلِفُونَ بِقَضَائِهِ وَأَمْرِهِ، وَمِنْهُمُ الْحَفَظَةُ لِعِبَادِهِ، وَالسَّدَنَةُ لِأَبْوَابِ جِنَانِهِ وَمِنْهُمُ الثَّابِتَةُ فِي الْأَرَضِينَ السُّفْلَى أَقْدَامُهُمْ، وَالْمَارِقَةُ مِنَ السَّمَاءِ الْعُلْيَا أَعْنَاقُهُمْ. وَالْخَارِجَةُ مِنَ الْأَقْطَارِ أَرْكَانُهُمْ، وَالْمُنَاسِبَةُ لِقَوَائِمِ الْعَرْشِ أَكْتَافُهُمْ. نَاكِسَةٌ دُونَهُ أَبْصَارُهُمْ مُتَلَفِّعُونَ تَحْتَهُ بِأَجْنِحَتِهِمْ، مَضْرُوبَةٌ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَنْ دُونَهُمْ حُجُبُ الْعِزَّةِ، وَأَسْتَارُ الْقُدْرَةِ. لَا يَتَوَهَّمُونَ رَبَّهُمْ بِالتَّصْوِيرِ، وَلَا يُجْرُونَ عَلَيْهِ صِفَاتِ الْمَصْنُوعِينَ، وَلَا يَحُدُّونَهُ بِالْأَمَاكِنِ، وَلَا يُشِيرُونَ إِلَيْهِ بِالنَّظَائِرِ.

أقول :

انشاؤه الخلق و ابتداؤه ايّاه ايجاده له على غير مثال سبق من غيره.

و قوله : بلاروية أجالها، الى قوله: اضطرب فيها. تنزيه لعلمه تعالى وافعاله عن كيفيّات علوم الناس و شرائط افعالهم، والروية الفكر، و اجالتها تقلّبها في طلب أصلح الاراء والوجوه فيما يقصد من المطالب، والتجربة مشاهدات من الانسان تتكرر فيستفيد عقله منها علما كليا، والهمامة الاهتمام بالأمر، و برهان امتناع هذه الكيفيات على علومه تعالى و افعاله، امّا الرويّة والتجربة فلكونها من خواص الانسان و بواسطة آلات جسمانية ممتنع عليه تعالى، و كذلک الحركة من عوارض الجسمية.

وامّا الهمّة فلكونها عبارة عن الميل النفساني الحازم الى فعل الشيء مع التألّم والغمّ بسبب تصوّر فقده، و ذلک في حق الله تعالى محال[1].

و قوله : أجال الاشياء لأوقاتها، اى: ادار كل ذي وقت الى وقته، و ربطه به دون ما قبله و ما بعده من الاوقات، و كتبه في لوحه المحفوظ و علمه المبين، واللام في لاوقاتها للتعليل اذ كان كل وقت يستحق بحسب علم الله و حكمته ان يكون فيه ما ليس في غيره، و روى احال بالحاء، اى: حوّل كلاً الى وقته، و روى اجّل أي: جعلها ذات آجال لايتقدّم عليها و لايتأخر عنها.

و قوله: و لأئم بين مختلفاتها: تنبيه على كمال قدرته تعالى، والملائمة الجمع و

---

١ - في ش: ممتنع.

ذلک کجمعه فی الامزجة بین العناصر الأربعة علی اختلافها و تضادّها، و بین الأرواح اللّطیفة والنّفوس المجرّدة، و بین هذه الأبدان المظلمة الکثیفة علی وفق حکمته و کمال قدرته.

و قوله: و غرز غرائزها، ای: اثبتها فیها و رَکَزَها، و غریزة کل شیء طبیعته و خلقه و ما جبل علیه من خاصة او لازم کالتعجّب والضّحک للانسان، والشّجاعة للأسد، والجبن للأرنب، والمکر للثعلب.

وقوله : وألزمها اشباحها، ای: اشخاصها اذ کانت کل طبیعة کلیة انّما توجد فی شخص، و روی اسناخها، والسنخ الأصل ای: جعلها لازمة لأصلها و هی طبائع الموجودات و ماهیّاتها، والضمیر فی قوله: والزمها، عائد الی الغرائز و یجوز ان یعود الی الاشیاء، و یکون المعنی انّه تعالی لما غرّز غرائز الاشیاء ألزمها بعد کونها کلّیة اشخاصها.

و قوله : عالماً الی قوله: احنائها: فاحاطته بذلک علمه بما ینحلّ الیه ماهیّاتها من اجزائها و ینتهی به منها، و هی حدودها، أوبما ینتهی به و بحدّها من الأفعال والنّهایات[1] و قرائنها ما یقرن منها و یلائمها کالنفس للبدن، و بعض الطبائع لبعض الاشیاء دون بعض، و احناؤها و نواحیها و جوانبهما، وبیان ذلک تبیان: انّه تعالی عالم بکلّ معلوم من الکلّیات والجزئیات و قد بیّن ذلک في العلم الالهي.

و قوله : ثم انشأ، الی قوله: سبع سماوات:

کالتفصیل لخلق العالم و ابتدائه، والأجواء: جمع جوّ و هوالفضاء الواسع، والأرجاء جمع رجاء مقصور، و هو: الناحیة، والسکائک: جمع سکاکة کذوابة و ذوائب و هو: الفضاء ما بین السماء والأرض والهواء: المکان الخالي.

واعلم انّ خلاصة ما یفهم من هذا الفصل انّه قد کان قبل وجود العالم فضاء واسع، هوالخلأ فی عرف المتکلّمین فأنشأالله تعالی فیه احیاز اجسام العالم، و فتقها ای: شقّها واعدّها لخلق الأجسام و تکوینها فیها، ثم خلق ماءً متلاطما تیّاره ای: متردّداً معظمه، و متراکما زخّاره ای: ممتل بعضه فوق بعض، فأجازه فیها ای: اجراه، و روی احاره ای:

[1] ـ في نسخة ش کذا: اوبهما ینتهی به منها و هي حدوده اوبهما وافق به ولائمها من الافعال.

اداره فيها، و خلق له ريحا عاصفا، زعزعا اى: شديدة تحمله و تحفظه من جميع جوانبه، متسلّطة على شدّه و ضبطه في مقارّه بمقتضى امره تعالى و قدرته، و جعلها مقرونة الى حدّه بحيث لايتوسّط بينهما جسم آخر، فصارالماء من فوق الرّيح متدفّقاً والخلاء من تحته منفتقا واسعاً ثم خلق سبحانه ريحا اخرى لتمويج ذلك الماء و تحريكه، فأرسلها و اعتقم مهبّها الى شدّ هبوبها و ضبطه، وأرسله بمقدار مخصوص على وفق الحكمة، وروى واعقم مهبّها اى: جعل مجراها عقيماً لاتبت به يعوقها عن الجريان اولشدّة جريانها، ثم ادام مربّها الى اقامتها و ملازمتها لتحريك الماء واعصف جريها و أبعد مبدأ نشوها بحيث لايمكن الوقوف عليه و هو قدرته تعالى، ثم أمرها بتصفيق ذلك الماء الزخار شديد الإمتلاء و إثارة امواجه، فمخضته كمخض السقاء و عصفت به كعصفها ترد اوله على آخره، و ساجيه على مائره اى: ساكنه على متحرّكه، فلما عبّ عبابه اي: علامعظمه و رمى بالزبد ركامه اى متراكمه، رفع الله تعالى ذلك الزبد فى هواءٍ منفتق اى خلاء واسع، و كوّن منه السّماوات العلى.

و اعلم انّه قد أشير الى مثل ذلك فى القرآن الكريم كقوله تعالى (ثُمَّ اسْتَوىٰ إِلَى السَّمٰاءِ وَ هِيَ دُخٰانٌ)[1] والمراد بخار الماء، و ذهب الى مثله بعض الحكماء القدماء و لفظ القرآن ايضاً موافق لاشارته عليه السلام لأنّ الزبد ايضا بخار الماء، و هذا الظاهر لاينافي كلام المتكلّمين فى أنّ الاجسام مؤلّفة من الأجزاء الّتى لا تتجزّئ لجواز أن يخلق الله تعالى اوّل الاجسام من تلك الجواهر ثم يتكوّن باقى الأجسام عن الأجسام الأولى.

و امّا الحكماء فلما لم يكن الترتيب الذى اقتضته هذه الظّواهر فى تكوين الاجسام موافقاً لمقتضى ادلّتهم، لتأخّر وجود العناصر عندهم عن وجود السماوات، لاجرم احتاجوا الى تأويلها توفيقاً بينها و بين رأيهم في ذلك، و قد نبّهنا فى «الشرح الكبير» على ما يصلح ان يكون تأويلاً على قواعدهم، أو قريبًا ممّا يصلح لذلك[2].

و قوله : و جعل سفلاهنّ... الى قوله: بالنظاير.

كالتفسير لقوله، فسوّى لانّ التسوية عبارة عن التعديل والوضع والهيئة التى عليها

١ ـ سورة فصلت /١١.

٢ ـ الشرح الكبير ١/١٤٢ ط ايران.

السماوات بما فيهنّ كما شرحه، و استعار لفظ الموج للسماء ملاحظة للمشابهة بينهما في العلوّ واللون، و مكفوفاً ممنوعاً من السقوط.

و قوله : و علياهنّ سقفاً محفوظاً، والسقف: اسم للسماء، و حفظه من الشياطين، قال ابن عباس: كانت الشياطين لا تحجب عن السماوات، و كانوا يتخبّرون أخبارها، فلمّا ولد عيسى عليه السلام، منعوا من ثلث سماوات، فلما ولد محمّد عليه[1] السلام منعوا من السماوات كلّها، فما منهم احد استرق السمع الآرمي بشهاب.

فذلک معنى قوله تعالى (و حَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ.الّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ)[2] الآية، و سمک البيت: سقفه، و قوله: بغير عمد، تنبيه على عظمة قدرة الله تعالى، و علوّها عن الحاجة في مثل هذا البنيان، و قيامه الى عمد، و تنزيه لها عن مماثلة القدر البشرية في حاجتها الى ذلک فيما يُنسبُ اليها، والدسار، كالمسمار و نحوه، و انّما سميت الشهب ثواقب لانّها يثقب بنورها الهواء، واستعار لفظ السراج للشمس باعتبار إضائتها لهذا العالم كإضائة السّراج للبيت، والمستطير: المنتشر، والرّقيم: من أسماء الفلک، سمّى به لرقمه بالكواكب كالثوب المنقوش، واللوح المكتوب.

واعلم أنّ مجموع هذه الإستعارات تستلزم تشبيه ملاحظة هذا العالم بأسره ببيت واحد في غاية الحسن و الزينة، فالسماء و هو سقفه كقبّة خضراء نصبت على الأرض، و حجب ذلک السقف عن مردة الشياطين كما يحمى عرف البيت من مردة اللصوص، و زيّن بترصيع الكواكب الثاقبة فهو كسقف من زمرّد رصّع باللوءلوء والمرجان، وجعل من جملتها كوكبين هما أعظم الكواكب جرمًا بحسب الرؤية واكثرها إشراقاً، جعل أحد هما ضياء النهار، و الآخر ضياء الّليل، ثم جعل ذلک سقوفا و طبقات أسكن في كلّ طبقة منها ملأ من ملائكته، و خواصّ ملكه، و جعل تلک السقوف متحرّكة بما فيها من الكواكب كما أشار اليه بقوله: في فلک دائر، الى قوله: مائر... و جعل حركاتها أسبابا معدّة لتلوّن الكائنات في هذا العالم ليكون أثره تعالى ابدع، و حكمته في خلقته ابلغ، والضمير في قوله: و زيّنها، يعود الى السبع سماوات، و ذلک لاينا في قوله تعالى: (و زَيّنّا

١ـ في ش: الصلاة والسلام.

٢ ـ سورة الحجر/١٧-١٨.

السَّماءَ الدُّنيا بِمصابيح)[1] فانّ السماء الدّنيا و إن لم يكن فيها الّا القمر فانّ سائر الكواكب أيضا زينة لها في الأوهام البشرية التي و رد اكثر الخطاب الشرعيّ بحسبها.

و قوله: ثمّ فتق ... الى قوله: العليّ، اشار الى تسوية السماوات اشارة جميلة فكانّه قدّر اوّلا خلقها كرة واحدة كما عليه بعض المفسّرين، كقوله تعالى: (أولم يرالّذين كفروا انّ السمٰوات والأرض كانتا رتقاً ففتقنا هما)[2] ثم أشار الى تفصيلها و تمييز بعضها من بعض بالفتق، و اسكان كلّ واحدة منهنّ ملأً من ملائكته، ثم الى تفصيل الملائكة و مراتبهم موافقة للقرآن الكريم، والأطوار: الحالات المختلفة والأنواع المتباينة، و ذكر منهم أنواعاً وأشار بالسّجود والرّكوع والصّفّ والتّسبيح الى تفاوت مراتبهم في العبادة والخضوع، لانّ الله تعالى خصّ كُلّاً منهم بمرتبة معيّنة من الكمال في العلم، والقدرة، ليست لمن دونه، و كلّ من كانت نعمة الله عليه أكثر كانت عبادته أعلى و طاعته أوفي.

ثمّ إنّ السجود والركوع والصّفّ والتسبيح عبادات متعارفة بين الناس متفاوتة في استلزام كمال الخضوع و الخشوع، ولا يمكن حملها في حقّ الملائكة على ظواهرها لاختصاص آلا تها ببعض الحيوان، فتعيّن حملها على غير ظواهرها، والأشبه حمل المراتب المذكورة و تفاوتها على تفاوت كمالاتهم في الخضوع والخشوع لكبرياء الله تعالى اطلاقاً لاسم الملزوم على لازمه.

فالسجود، مرتبة المقرّبين، و الركوع مرتبة حملة العرش، والصّافون مرتبة الحافّين من حول العرش، قيل: انّهم يقفون صفوفاً لاداء العبادة كما حكى القرآن الكريم عنهم: (وانّا لنحن الصّافون) و (وانّا لنحن المسبّحون)[3] وجاء في الخبر: انّ حول العرش سبعين ألف صفّ قيام قد وضعوا أيديهم على عواتقهم، رافعين أصواتهم بالتكبير والتهليل، و من ورائهم مائة ألف صف قد وضعوا الايمان على الشمائل ما منهم أحد الّا وهو يسبّح.

والمسبّحون، يحتمل أن يكون هم الصافّون لمامرّ والواو وإن اقتضت المغايرة الّا انّهم من حيث انّهم صافّون غير هم من حيث انّهم مسبّحون، و يحتمل أن يريد نوعاً آخر، و امّا

---

١ ـ سورة فصلت / ١٢.

٢ ـ سورة الانبياء / ٣٠.

٣ ـ سورة الصافات / ١٦٥، ١٦٦.

عدم غشيان النوم والسهو والغفلة و النسيان و فترة الأبدان لهم، فانّ ذلک من لواحق الأجسام الحيوانية، والملائكة منزّهون[1] عنها فلزم سلبها عنهم.

و امّا الامناء على وحيه، فيشبه أن يكونوا داخلين في الأقسام السابقة، و انّما ذكرهم ثانيا باعتبار وصف الأمانة واداء الرسالة، والقضاء هنا الأمر المقضيّ، يقال: هذا قضاء الله اى: مقضيه، وامّا الحفظة فمنهم حفظة العباد كما قال تعالى: (وَيرسلُ عليكُم حَفَظَة)[2].

قال إبن عباس: انّ مع كل إنسان ملكين، أحد هما على يمينه، و الآخر على يساره، فاذا تكلّم الإنسان بحسنة كتبها من على يمينه، و اذا تكلّم بسيّئة قال من على اليمين لمن على اليسار: انتظر لعلّه يتوب منها، فان لم يتب كتبت عليه.

و امّا السّدنة فهم خزّان الجنة، و قوله: و منهم الثابتة في الأرضين السفلى أقدامهم، الى قوله: اكتافهم.

فاعلم انّ الأوصاف هذه وردت في صفة الملائكة الحاملين للعرش في كثير من الأخبار، فيشبه ان يكونوا هم المقصودون بها هاهنا، روى عن ميسرة[3] انّه قال: أرجلهم في الأرض السفلى، و رؤسهم قد خرقت العرش و هم خشوع لايرفعون طرفهم، و هم أشدّ خوفاً من أهل السّماء السابعة، و اهل السماء السابعة أشدّ خوفاً من أهل السماء السادسة، و هكذا إلى سماء الدّنيا.

و عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلّى الله وآله و سلم: لما خلق الله تعالى حملة العرش، قال لهم: احملوا عرشي فلم يطيقوا، فقال لهم: قولوا: لاحول و لاقوّة الّا بالله، فلما قالوا ذلک استقلّ فنفذت أقدامهم في الأرض السابعة على متن الثرى فلم تستقرّ فكتب في قدم كلّ ملک منهم اسماً من أسمائه فاستقرّت أقدامهم.

و قوله: المناسبة لقوائم العرش اكتافهم، يريد انّهم مشبّهون و مناسبون لقوائم

---

١ ـ في نسخة ش: متنزهون.

٢ ـ سورة الانعام / ٦١. و في نسخة:(له معقبات من بين يديه و من خلفه يحفظونه من امر الله. و منهم حفظة على العباد كما قال تعالى...

٣ ـ ابوجميلة ميسرة بن يعقوب الطهوى الكوفي ... صاحب راية على بن أبي طالب عليه السلام.

العرش في استقرارهم و ثباتهم عن التزايل من تحته أبداً الى ماشاءالله، ولفظ الأكتاف مجاز في القوى والقدر التي حملت الملائكة جرم العرش، و شبهها بقوائم العرش المعهود، و وجه الشبه إستقلالها بحمله كالقوائم، والضميران في أبصارهم و أجنحتهم راجعان الى العرش، و في الخبر عن و هب بن منبّه[1] قال: انّ لكلّ ملك من حملة العرش و من حوله أربعة اجنحة امّا جناحان فعلى وجهه مخافة أن ينظر الى العرش فيصعق، و امّا جناحان فيهفو بهما ليس لهم كلام الّا التسبيح والتحميد.

و كنّى عليه السلام، بنكّس أبصارهم: عن كمال خشيتهم لله تعالى واعترافهم بقصور أبصار عقولهم عن ادراك ماوراء كمالاتهم المقدّرة لهم وضعفها عمّا لايحتمله من أنوارالله و عظمته تعالى، و انّ شعاع أبصار ادراكهم منته واقف دون حجب عزّته.

و يحتمل أن يريد بلفظ الأجنحة قواهم و كمالاتهم التي يطيرون بها في بيداء جلال الله استعارة، و زيادة الاجنحة: كناية عن تفاوت مراتبهم في الكمال، و لمّا كان الطائر عند قبض جناحه كالمتلّفع اي: الملتحف به، احتمل ان يكون وصف التلفّع لهم إستعارة لقصور قواهم، و قدرتهم المشبّهة للأجنحة و قبضها عن التعلّق بمعلومات الله و مقدوراته. و قوله: مضروبة... الى قوله: القدرة، اشارة الى قصور القوى البشرية عن إدراكهم عن الجسّمية والجهة و قربهم من عزّة مبدعهم الاوّل. و قوله: ولايتوهّمون ربّهم بالتصوير: تنزيه لهم عن الادراكات الوهمية والخيالية لمبدعهم عزّ سلطانه، اذ الوهم انّما يتعلّق بالمحسوسات ذوات المقادير و الأحياز المنزّه قدسه تعالى عنها، وهم مبرّؤن عن الأوهام والخيالات البشرية، ولذلك قوله: ولايجرون عليه صفات المصنوعين الى آخره.

لانّ كل ذلك بقياس و هميّ و محاكاة خيالية له بمصنوعاته المحتاجة الى الامكنة و لها نظائر و اشباه، و هم مبرّؤن عن الوهم والخيال، و بالله التوفيق.

منها في كيفية خلق آدم عليه[2] السلام، و في هذا الفصل فصلان الفصل الاوّل قوله في خلق آدم عليه السلام:

---

١ ـ ابوعبدالله وهب بن منبه بن كامل بن سيج بن ذي كناز اليماني مات ١١٦ هجـ ضربه يوسف بن عمر بن محمد الثقفي الاموي حتى مات. تهذيب التهذيب ١١/١٦٨.

٢ ـ في نسخة ش / الصلاة.

ثُمَّ جَمَعَ سُبْحَانَهُ مِنْ حَزْنِ الْأَرْضِ وَسَهْلِهَا، وَعَذْبِهَا وَسَبَخِهَا، تُرْبَةً سَنَّهَا بِالْمَاءِ حَتَّى خَلَصَتْ. وَلَاطَهَا بِالْبَلَّةِ حَتَّى لَزُبَتْ. فَجَبَلَ مِنْهَا صُورَةً ذَاتَ أَحْنَاءٍ وَوُصُولٍ، وَأَعْضَاءٍ وَفُصُولٍ: أَجْمَدَهَا حَتَّى اسْتَمْسَكَتْ وَأَصْلَدَهَا حَتَّى صَلْصَلَتْ لِوَقْتٍ مَعْدُودٍ، وَأَمَدٍ مَعْلُومٍ؛ ثُمَّ نَفَخَ فِيهَا مِنْ رُوحِهِ فَمَثُلَتْ إِنْسَاناً ذَا أَذْهَانٍ يُجِيلُهَا، وَفِكَرٍ يَتَصَرَّفُ بِهَا، وَجَوَارِحَ يَخْتَدِمُهَا، وَأَدَوَاتٍ يُقَلِّبُهَا، وَمَعْرِفَةٍ يَفْرُقُ بِهَا بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ وَالْأَذْوَاقِ وَالْمَشَامِّ، وَالْأَلْوَانِ وَالْأَجْنَاسِ، مَعْجُوناً بِطِينَةِ الْأَلْوَانِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَالْأَشْبَاهِ الْمُؤْتَلِفَةِ، وَالْأَضْدَادِ الْمُتَعَادِيَةِ وَالْأَخْلَاطِ الْمُتَبَايِنَةِ، مِنَ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ، وَالْبَلَّةِ وَالْجُمُودِ؛ وَاسْتَأْدَى اللهُ سُبْحَانَهُ الْمَلَائِكَةَ وَدِيعَتَهُ لَدَيْهِمْ، وَعَهْدَ وَصِيَّتِهِ إِلَيْهِمْ، فِي الْإِذْعَانِ بِالسُّجُودِ لَهُ، وَالْخُشُوعِ لِتَكْرِمَتِهِ؛ فَقَالَ سُبْحَانَهُ: (اسْجُدُوا لِآدَمَ) فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ اعْتَرَتْهُ الْحَمِيَّةُ وَغَلَبَتْ عَلَيْهِ الشِّقْوَةُ، وَتَعَزَّزَ بِخِلْقَةِ النَّارِ وَاسْتَهْوَنَ خَلْقَ الصَّلْصَالِ؛ فَأَعْطَاهُ اللهُ النَّظِرَةَ اسْتِحْقَاقاً لِلسُّخْطَةِ، وَاسْتِتْمَاماً لِلْبَلِيَّةِ، وَإِنْجَازاً لِلْعِدَةِ؛ فَقَالَ (إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ) ثُمَّ أَسْكَنَ سُبْحَانَهُ آدَمَ دَاراً أَرْغَدَ فِيهَا عِيشَتَهُ، وَآمَنَ فِيهَا مَحَلَّتَهُ، وَحَذَّرَهُ إِبْلِيسَ وَعَدَاوَتَهُ، فَاغْتَرَّهُ عَدُوُّهُ نَفَاسَةً عَلَيْهِ بِدَارِ الْمُقَامِ وَمُرَافَقَةِ الْأَبْرَارِ، فَبَاعَ الْيَقِينَ بِشَكِّهِ، وَالْعَزِيمَةَ بِوَهْنِهِ، وَاسْتَبْدَلَ بِالْجَذَلِ وَجَلاً، وَبِالاغْتِرَارِ نَدَماً ثُمَّ بَسَطَ اللهُ سُبْحَانَهُ لَهُ فِي تَوْبَتِهِ، وَلَقَّاهُ كَلِمَةَ رَحْمَتِهِ، وَوَعَدَهُ الْمَرَدَّ إِلَى جَنَّتِهِ، وَأَهْبَطَهُ إِلَى دَارِ الْبَلِيَّةِ، وَتَنَاسُلِ الذُّرِّيَّةِ.

أقول :

إنّ هذه القصّة قد كرّرها الله سبحانه، في كتابه العزيز في سبع سور، وهي: البقرة، والأعراف، والحجر، وبني اسرائيل، والكهف، وطه، وص، وذلك لما تشتمل عليه من تذكير الخلق وتنبيههم من مراقد الطبيعة التي جذبهم اليها ابليس، والتحذير من فتنته، وحزن الأرض: خلاف السهل، والمسنون ماسنّ بالماء أي: ارسل عليه فصار طيناً، ولزبت بالكسر: لصقت، وصلصلت: انتنت، وقيل صوّتت ليبسها، ولاطها بالبلّة: خلطها بالرطوبة، وجُبلَ: خلق، والأحناء: الجوانب، والوصول المفاصل: جمع كثرة لوصل، و جمع القلّة: اوصال، وأصلدها اى: جعلها صلبة ملساء، ويختدمها: يستخدمها.

واعلم انّ قوله: لزبت، اشارة الى امتزاج العناصر، وخصّ الماء والأرض لانّهما

الأصل في تكوين الأعضاء المشاهدة التي تدور عليها صورة الانسان، ونبّه باختلاف أجزائها على كون ذلك مبادى اختلاف الناس في ألوانهم، واخلاقهم، كماورد في الخبر فجاء منهم الأسود والأحمر.

و قوله: خلصت، ولزبت: اشارة الى بلوغها في الاستعداد الغاية التي معها تكون صورة مايتكوّن منها. و قوله: فجبل، الى قوله: استمسكت، اشارة الى خلق الصورة الانسانية بتمامها، والضمير في «منها» راجع الى التربة، و في أجمدها، وأصلدها، راجعان الى الصورة و أعضائها، فالأجماد لغاية الاستمساك، راجع الى بعضها كاللّحم والأعصاب وأشباههما، والأصلاد لغايته راجع الى بعض آخر كالعظام، واسند ذلك الى المدبّر الحكيم، لانّه العلّة الأولى و ان كانت هناك أسباب قريبة طبيعية معدّة لذلك.

و أراد بالوقت المعلوم، الوقت الذى يعلم الله تعالى انحلال هذا التركيب فيه، والضمير في قوله: فيها، راجع الى الصورة كما قال الله تعالى: (ونفخت فيه من روحى)[1] و استعار وصف النفخ لافاضة النفس على البدن واشتعال نورها المعقول فيه كما يشعل النار نافخها، والروح يحتمل أن يراد به جبريل، و نسبته الى الله ظاهرة، و يحتمل أن يراد به وجود الله، و نعمته، و انّما يسمّى روحاً لانّه مبدأ كلّ حياة و به قوام كلشىء، ونسبته الى الله ظاهرة، ومن للتبعيض و يحتمل أن يراد به النفس الإنسانية و يكون من زائدة، و نسبت الى الله لشرفها و بدائها عن المواد فلها مناسبة مع علّتها الاولى.

و قوله: ذا اذهان، اشارة الى: القوى الباطنية المدركة، و اجالتها: تحريكها في المدركات، و كذلك قوله: و فكر يتصرّف بها، ولم يرد القوّة المفكرة فإنّها في الانسان واحدة، بل اراد حركات تلك القوة فيما يتصرّف فيه و هي متعدّدة فلذلك جمعها، والجوارح اشارة الى: عامة الأعضاء اذ كانت كلّها خدماً للنفس، والأدوات كاليد، والرجل، والمعرفة التي يفرّق بها هي: قوّة العقل بما لها من المعارف الأولى و هي البديهيّات اذ كان الحقّ والباطل من الأمور الكلّية التي لايدركها الّا العقل، و قوله: والأذواق، الى قوله: و الأجناس: تنبيه على انّ للانسان آلات يدرك بكلّ منها واحدة من هذه الأربعة، و اخّر الأجناس لانّ المدرك لها هوالعقل اذ كانت أموراً كليّة لكن بواسطة

---

١ - سورة الحجر / ٢٩

احساس الحواسّ المشار اليها بمحسوساتها، و نصب معجوناً على الحال، وطينة الألوان مادّتها التي خالطت بدن[1] الانسان فاستعدّ بهالقبول الألوان المختلفة وهي معنى: عجنها بها.

والأشباه المؤتلفة كالعظام والأسنان، والأضداد المتعادية كالكيفيّات الأربع التى ذكرها، وهي الحرارة، والبرودة، والبلّة وهي: الرطوبة، والجمود و هي: اليبوسة، والأخلاط المتباينة هي: الدّم، والبلغم، والصفراء، والسوداء.

وامّا المسأة والسرور فهما من الكيفيّات النفسانيّة، وامّا عهدالله الى الملائكة و وصيّته اليهم فهو قوله تعالى: (فاذا سوّيته و نفختُ فيهِ من روحي فَقَعُوا لهُ ساجدين)[2] والاستيذاء ذلك منهم هو قوله بعد خلقه: (اسجدوا لآدم) واتّفق الناس على انّ سجودهم لآدم لم يكن سجود عبادة لانّها لغيرالله كفر، لكن قال بعضهم: انّ آدم كان كالقبلة والسجود لله، وتكون اللام كهي في قول الشاعر في حقّ عليّ عليه[3] السلام: أليس أوّل من صلّى لقبلتكم[4].

و قيل: كان السجود تعظيما لآدم، و كان ذلك سنّة الامم السّالفة في تعظيم أكابرها، و قيل: بل السجود في اللغة: الخضوع والانقياد، ثمّ اختلفوا في المأمورين بالسجود، فقيل: هم الملائكة الذين اهبطوا مع ابليس لانّ الله لما خلق السموات والأرض و خلق الملائكة أهبط منهم ملأ الى الارض يسمّون بالجنّ كانوا أحقّ الملائكة عبادة،

---

١ - في نسخة ش: باطن.

٢ - سورة الحجر / ٢٩.

٣ - في ش بزيادة: الصلاة و.

٤ - الشعر هذا اختلف في نسبته، فقيل انه لأبي الفضل العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه، قالها عند بيعة ابي بكر يعرض بها و يمدح عليا عليه السلام، والأبيات هي:

ماكنت أحسب ان الأمر منصرف	عن هاشم ثم منها عن ابى الحسن
اليس أول من صلى لقبلتكم	واعلم الناس بالقرآن والسنن
و آخر الناس عهداً بالنبى ومن	جبريل عون له في الغسل والكفن
من فيه ما فيهم لايمترون به	و ليس في القوم ما فيه من الحسن
ما ذا الّذي ردكم عنه فنعلمه	ها انّ بيعتكم من أول الفتن

و نسبها بعض الى حسان بن ثابت. و آخرون الى عتبة بن أبي لهب. الغدير ٧/٩٣.

فأعجب إبليس بنفسه و تداخله الكبر، واطّلع الله تعالى على ذلک فقال له ولجنده: («انّی خالق بشراً من طین»)الآية.

و قیل: هم كل الملائكة لقوله تعالی: (كلّهم اجمعون)، و كذلک اختلفوا فی ابلیس فقالت المعتزلة: انّه لم یكن من الملائكة لقوله تعالی: (كان من الجنّ) و هم لیسوا من الملائكة لقوله تعالی: (أهؤلاء ايّاكم كانوا يعبدون)، و قول الملائكة: (بل كانوا يعبدونَ الجن).

و أقول: يشبه ان يكون الخلاف لفظياً لانّه اذا ثبت انّ الجنّ ملائكة اهبطوا الى الأرض لم يكن بين كونه من الجنّ، و كونه من الملائكة منافاة، و امّا الخطاب والجواب فجازان يكون مع الملائكة السماويّة.

و قوله: الّا ابليس و قبيله، الى قوله: الصلصال، فقبيله: جماعته من الجنّ والشياطين، و اعترتهم الحميّة و غشيتهم، و ذلک من قوله تعالی: (الّا ابليس أبى واستكبر) الآية، و تعزّزهم بخلقة النار قوله: (انا خيرٌ مِنْهُ خَلَقْتَني من نارٍ) واستضعافهم لخلق الصلصال، كقوله: (اسجد لبشر خلقته من صلصال) واعطاؤه النظرة هو قوله تعالی: (انکَ من المُنْظَرين)، والنظرة بكسر الظاء: الامهال، و هنا حذف تقديره، فسأل النظرة فأعطاه ذلک في قوله: (قال انظرني) الآية، وقوله: استحقاقاً للسخطة اشارة الى قوله تعالی: (ولا تحسبنّ الذين كفروا انّما نملي لهم) الآية، و انجاز العدّة كقوله تعالی: (إنَکَ من المنظَرين) الآية. والخلف في خبرالله تعالی محال. و استتماماً للبليّة اى: بليّة بني آدم به و اختبارهم بعصيانه اوطاعته. و اسكان آدم، الى قوله: محلّته، كقوله تعالی: (فقلنا يا آدم اسكن) الى قوله: (شئتما). والدار: الجنّة. و تحذيره ايّاه كقوله تعالی: (فقلنا يا آدم انَّ هذا عدوٌّ لکَ) الى قوله: (فتشقى) و قوله: فاغترّه، الى قوله: الأبرار كقوله تعالی: (فوسوس اليه) الآية، والوسوسة: القاء ما يتوهّم نافعاً الى النفس مما يخالف او امرالله تعالی، و تزيينه لها ذلک، و قيل: في سبب عداوته له انّه الحسد بما اكرمه الله تعالی به من اسجاد الملائكة له، و تعليمه مالم يطّلعوا عليه و اسكانه الجنّة، وهوالمشاراليه بالنفاسة هنا، واصل النفاسة: البخل، يقال: نفست عليه بكذا اى: بخلت، و قيل: السبب تباين أصليهما و لذلک اثر قويّ في العداوة والمجانبة، وبيعه اليقين بشكه،

والعزيمة بوهنه، كقوله: (فنسي ولَمْ نَجِدْ لهُ عَزْمًا) قيل: ومعنى ذلک انّ آدم كان في الجنة على حال يعلمها يقيناً وما كان يعلم عيشه في الدنيا فبدّل ذلک اليقين بما شكّكه فيه ابليس بقسمه. و قوله (انّي لكما من النّاصحين) و قيل: بل كان يتيقّن عداوته فشكّكه في ذلک بما حكاه من النّصح عن نفسه. و قيل: بل كان يتيقّن عهدالله اليه بملازمة طاعته و امره، فلمّا وسوس له الشيطان نسي ذلک العهد فذلک قوله تعالى: (ولقد عهدنا الى آدم) الآية. و كذلک بدّل عزيمته الجازمة على المحافظة على طاعة الله، والصّبر عليها بالضعف عن ذلک و استبداله بالجذل و هو السرور وجلاً كما دلّ عليه بقوله تعالى: (قالا ربّنا، الى قوله: الخاسرين) و قوله: ثم بسط الله، الى قوله: رحمته كقوله تعالى: «فتلقّى آدم» الآية. و لقّاه ايّاها افاضها عليه و الهمه ايّاها و استعدّ[1] بها لقبوله رحمة الله.

و روى عن ابن عباس انّه قال: علّم الله آدم و حوّاء امر الحجّ، والكلمات التي تقال فيه، فحجّا، فلما فرغا اوحى الله اليهما انّي قبلت توبتكما.

و عن عائشة: لما اراد الله تعالى ان يتوب على آدم طاف بالبيت سبعاً، والبيت يومئذ ربوة حمراء فلمّا صلّى ركعتين استقبل البيت و قال: اللّهمّ انک تعلم سرّي و علانيتي فاقبل معذرتي، و تعلم حاجتي فاعطني سؤلي، و تعلم مافي نفسي فاغفرلي ذنوبي، اللّهم انّي اسألک ايماناً تباشربه قلبي، و يقيناً صادقاً حتّى اعلم انه لن يصيبني الّا ما كتبت لي، و ارضني بما قسمت لي، فأوحى الله اليه: يا آدم قد غفرت لک ذنبک و لن يأتيني احد من ذرّيتک يدعوني بمثل ما دعوتني به الّا غفرت ذنوبه، و كشفت همومه، و نزعت الفقر من بين عينيه، و جاءته الدنيا و هو لا يريدها.

و وعده المردّ الى جنّته لقوله تعالى (فامّا يأتِيَنَّكُم مِنّي هدى)[2] الآية. واهباطه الى دارالبليّة و تناسل الذريّة فاستبدل بالجذل وجلاً و بالاغترار ندماً، ثم اناب الى الله فبسط له الى آخره، و انّما جعل تناسل الذريّة في معرض ذمّ الحال و ان كان من كمالات الدنيا لحقارة ذلک بالنسبة الى الكمال،والخير الّذى كان فيه آدم في الجنة.

---

۱ ـ في نسخة ش: واستبد بها.

۲ ـ في ش بزيادة: فمن اتبع هداي.

الفصل الثاني، قوله:

وَ اصْطَفَى سُبْحَانَهُ مِنْ وُلْدِهِ أَنْبِيَاءَ أَخَذَ عَلَى الْوَحْيِ مِيثَاقَهُمْ، وَعَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ أَمَانَتَهُمْ، لَمَّا بَدَّلَ أَكْثَرُ خَلْقِهِ عَهْدَ اللهِ إِلَيْهِمْ فَجَهِلُوا حَقَّهُ وَاتَّخَذُوا الْأَنْدَادَ مَعَهُ وَ اجْتَالَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ عَنْ مَعْرِفَتِهِ وَ اقْتَطَعَتْهُمْ عَنْ عِبَادَتِهِ، فَبَعَثَ فِيهِمْ رُسُلَهُ، وَ وَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَهُ لِيَسْتَأْدُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ، وَ يُذَكِّرُوهُمْ مَنْسِيَّ نِعْمَتِهِ، وَيَحْتَجُّوا عَلَيْهِمْ بِالتَّبْلِيغِ، وَ يُثِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ الْعُقُولِ وَ يُرُوهُمُ الْآيَاتِ الْمُقَدَّرَةَ: مِنْ سَقْفٍ فَوْقَهُمْ مَرْفُوعٍ، وَمِهَادٍ تَحْتَهُمْ مَوْضُوعٍ، وَمَعَايِشَ تُحْيِيهِمْ وَ آجَالٍ تُفْنِيهِمْ، وَ أَوْصَابٍ تُهْرِمُهُمْ، وَ أَحْدَاثٍ تَتَابَعُ عَلَيْهِمْ؛ وَ لَمْ يُخْلِ سُبْحَانَهُ خَلْقَهُ مِنْ نَبِيٍّ مُرْسَلٍ، أَوْ كِتَابٍ مُنْزَلٍ، أَوْ حُجَّةٍ لَازِمَةٍ، أَوْ مَحَجَّةٍ قَائِمَةٍ: رُسُلٌ لَا تُقَصِّرُ بِهِمْ قِلَّةُ عَدَدِهِمْ، وَلَا كَثْرَةُ الْمُكَذِّبِينَ لَهُمْ: مِنْ سَابِقٍ سُمِّيَ لَهُ مَنْ بَعْدَهُ، أَوْ غَابِرٍ عَرَّفَهُ مَنْ قَبْلَهُ: عَلَى ذَلِكَ نُسِلَتِ الْقُرُونُ، وَمَضَتِ الدُّهُورُ، وَ سَلَفَتِ الْآبَاءُ وَ خَلَفَتِ الْأَبْنَاءُ، إِلَى أَنْ بَعَثَ اللهُ سُبْحَانَهُ مُحَمَّداً رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِإِنْجَازِ عِدَتِهِ، وَتَمَامِ نُبُوَّتِهِ، مَأْخُوذاً عَلَى النَّبِيِّينَ مِيثَاقُهُ، مَشْهُورَةً سِمَاتُهُ كَرِيماً مِيلَادُهُ. وَ أَهْلُ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ مِلَلٌ مُتَفَرِّقَةٌ، وَ أَهْوَاءٌ مُنْتَشِرَةٌ وَ طَوَائِفُ مُتَشَتِّتَةٌ، بَيْنَ مُشَبِّهٍ لِلَّهِ بِخَلْقِهِ أَوْ مُلْحِدٍ فِي اسْمِهِ، أَوْ مُشِيرٍ إِلَى غَيْرِهِ، فَهَدَاهُمْ بِهِ مِنَ الضَّلَالَةِ، وَ أَنْقَذَهُمْ بِمَكَانِهِ مِنَ الْجَهَالَةِ. ثُمَّ اخْتَارَ سُبْحَانَهُ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ لِقَاءَهُ، وَرَضِيَ لَهُ مَا عِنْدَهُ، وَ أَكْرَمَهُ عَنْ دَارِ الدُّنْيَا، وَ رَغِبَ بِهِ عَنْ مُقَارَنَةِ الْبَلْوَى، فَقَبَضَهُ إِلَيْهِ كَرِيماً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ خَلَّفَ فِيكُمْ مَا خَلَّفَتِ الْأَنْبِيَاءُ فِي أُمَمِهَا - إِذْ لَمْ يَتْرُكُوهُمْ هَمَلاً: بِغَيْرِ طَرِيقٍ وَاضِحٍ، وَلَا عَلَمٍ قَائِمٍ: كِتَابَ رَبِّكُمْ فِيكُمْ: مُبَيِّناً حَلَالَهُ وَ حَرَامَهُ، وَ فَرَائِضَهُ وَفَضَائِلَهُ، وَ نَاسِخَهُ وَ مَنْسُوخَهُ، وَ رُخَصَهُ وَ عَزَائِمَهُ، وَ خَاصَّهُ وَ عَامَّهُ، وَ عِبَرَهُ وَأَمْثَالَهُ، وَ مُرْسَلَهُ وَ مَحْدُودَهُ، وَ مُحْكَمَهُ وَمُتَشَابِهَهُ، مُفَسِّراً مُجْمَلَهُ، وَ مُبَيِّناً غَوَامِضَهُ، بَيْنَ مَأْخُوذٍ مِيثَاقُ فِي عِلْمِهِ، وَمُوَسَّعٍ عَلَى الْعِبَادِ فِي جَهْلِهِ. وَبَيْنَ مُثْبَتٍ فِي الْكِتَابِ فَرْضُهُ وَ مَعْلُومٍ فِي السُّنَّةِ نَسْخُهُ، وَ وَاجِبٍ فِي السُّنَّةِ أَخْذُهُ، وَ مُرَخَّصٍ فِي الْكِتَابِ تَرْكُهُ، وَ بَيْنَ وَاجِبٍ بِوَقْتِهِ، وَ زَائِلٍ فِي مُسْتَقْبَلِهِ. وَمُبَايَنٌ بَيْنَ مَحَارِمِهِ: مِنْ كَبِيرٍ أَوْعَدَ عَلَيْهِ نِيرَانَهُ، أَوْ صَغِيرٍ أَرْصَدَ لَهُ غُفْرَانَهُ. وَبَيْنَ مَقْبُولٍ فِي أَدْنَاهُ، مُوَسَّعٍ فِي أَقْصَاهُ.

أقول :

الضمير في ولده راجع الى آدم عليه السلام، واصطفاؤه تعالى للانبياء اعدادهم لافاضة الكمال النبويّ عليهم، و اخذه على الوحى ميثاقهم هوالمشاراليه بقوله (وَ اذ اَخذْنا من النبيين ميثاقَهُمْ) و قوله (و اذ اخذَ الله ميثاقَ النبيين) الآية، و قوله: لما بدّل تنبيه[1] على وجه الحكمة في بعثة الانبياء و سببها، و عهدالله الذى بدّلوه هوالمشاراليه بقوله: (واذ اخذ ربّک من بنى آدم من ظهورهم ذرّيتهم) الآية.

قال ابن عباس: لمّا خلق الله آدم مسح على ظهره فاخرج منه كل نسمة هو خالقها الى يوم القيامة، فقال: (الست بربّكم؟ قالوا: بلى) فنودى يومئذ: جفّ القلم بما هو كائن الى يوم القيامة.

و اعلم انّه لما كان الانسان تمام العالم[2] فى الوجود الخارجيّ فكذلك فى التقدير الالهى المطابق له، و لذلك كان به تمام التقدير وجفاف القلم، ولمّا كان من شأن الخلق بحسب ما ركب فيهم من القوى البدنيّة المتنازعة الى كمالاتها ان ينحرفوا عن الاستقامة الى عهدالله و يتّخذوا الانداد معه، ويجهلوا حقّه للغفلة بحاضر لذّاتهم عن دوام شكره، و ان يحتالهم الشياطين اى: يقتطعهم عن معرفته لاجرم وجب فى الحكمة الالهية ان يختصّ صنفاً منهم بكمال اشرف يقتدر معه امناء ذلك الصنف على تكميل الناقصين ممن دونهم، وهم صنف الانبياء عليهم السلام والغاية منهم ما اشار اليه عليه السلام بقوله: ليستأدوهم ميثاق فطرته اى: يطلبون منهم اداء ما عهد اليهم به حين خلقهم من العبودية والاستقامة عليها ويذكّرهم ما نسوه من نعمته ويحتجّوا عليهم بتبليغ الرسالات ويثيروا لهم جواهر الادلّة على وحدانيّته تعالى و تفرّده باستحقاق العبادة فما هو مركوز فى فطرتهم وفى قوّتها[3] علمه كالمدفون فيها و المغطّى بشوائب الهيآت البدنية و قوله: يرشدوهم الى وجوهها، ليستدلّوا بما يشاهدونه من الحكمة فى خلق السموات والارض وامر معاشهم واسباب حياتهم وموتهم مما عدّوه. وقوله: ولم يخل الله الى قوله:

---

١ ـ في نسخة ش بزيادة: يدل.

٢ ـ في ش: العالمين.

٣ ـ في نسخة ش بزيادة: على.

و خلقت الانبياء، اشارة الى: بيان عنايته بالخلق في تواتر الرسل اليهم لغاية جذبهم الى جناب عزّته، كقوله تعالى: (وان من امة الّا خلا فيها نذير)[1] ثمّ من لطفه تعالى انّه لما كان من ضرورة النبيّ ان يموت ولا يمتدّ زمانه، انزل عليه كتابا يكون باقياً بعده ماشاءالله، يكون مشتملا على كلّ المطالب والمصالح الناظمة لهذا العالم بحيث لو كان النبي عليه السلام موجودًا لم يزد على ما تضمّنه من الدعاء فيه الى عبادته تعالى وتذكير الخلق منسي عهده، و قصص اخبار الماضين والعبر اللاحقة للاوّلين، و فيه الحجج البالغة والدلائل القاطعة وغير القاطعة مما يصلح العباد في امرالمعاش والمعاد، و معنى قوله: أرسل الى قوله: لهم انّهم، وان كانوا قليلى العدد بالنسبة الى كثرة الخلق المكذّبين لهم كما هوالمعلوم من حال كلّ نبيّ بعث الى امة، فانّ ذلك لايوليهم قصوراً عن اداء ما كلّفوا من تبليغ الرسالة و حمل الخلق عَلى ما[2] يكرهون مما هومصلحة لهم، و«من» في قوله: من سابق[3] للتبيين، والمراد انّ السابق منهم قد أطْلَعَهُ الله تعالى على العلم بوجود اللّاحق له، فبعضهم كالمقدّمة لوجودالبعض و تصديقه، كعيسى عليه السلام اذ قال: (و مبشّراً برسول)[4] الآية و من لا حق سمّاه من قبله كمحمّد صلّى الله عليه و آله.

و قوله: و على ذلك، اى: الاسلوب والنّظام الالهى مضت الامم خلفًا عن سلف، وقد ساق عليه السلام في هذه الخطبة من لدن آدم الى ان انتهى الى بعثة محمد عليه السلام، اذ هوالغاية من طينة النبوّة و خاتم النّبيين. ثم اشار الى بعض غايات بعثته وهى انجاز عدَتِهِ لخلقه ببعثته على ألسنة الرسل السابقين، واتمام نبوته لغايتها، و مأخوذاً على النبيّين ميثاقَهُ حال وذلك الاخذ هوالمشار اليه، بقوله تعالى: (واذاخذالله ميثاقَ النبيّين)[5] الى قوله (ثمّ جاء كم رسولٌ مصدّقٌ لّمَا مَعَكُمْ لَتُؤمِنُنَّ به وَلَتَنْصُرُنَّهُ)[6] وسماته علامات نبوّته فانّها كانت ظاهرة في الميثاق، وفي احوال تعرفها الرهبان والكهّان وعلماء اهل الكتاب، وكرم

---

١ ـ سورة فاطر / ٢٤.

٢ ـ في نسخة ش بزيادة: على.

٣ ـ في ش هكذا: من سابق راجعة الى للنبيين.

٤ ـ سورة الصف / ٦ و في ش بزيادة: يأتي من بعدى اسمه احمد.

٥ و ٦ ـ سورة آل عمران/٨١.

ميلاده طهارة أصله عن الفساد، ونبّه على فضل بعثته بذكر احوال الناس حين البعثة من اختلاف الاراء، و تشتّت الاهواء، و تفرّق الاديان والمذاهب بين مَن عليه اسم الملّة، وهم المذاهب الثلاثة وبين غيرهم مِن عبدة الاصنام والمعطّلة و قد نبّهنا على اصناف منهم في الاصل، والمشبّهة: بقية اصحاب الملل.

فانّ الغالب عليهم التجسيم، و تشبيه الصانع ببعض مصنوعاته، والملحد في اسمه من عدل باسمائه عن الحقّ بتحريفها عمّا هو عليه الى اسماء اشتقّوها لأوثانهم منها: كاللات من الله، والعزّى من العزيز، و مناة من المنّان، والمشير الى غيره كالدهريّة وغيرهم من عبدة الأوثان والكواكب.

و قوله: و خلّف فيكم، الى قوله: قائم، وذلك انّه لما كان النّبي ليس مما يتكوّن وجوده مثله في كل وقت وجب ان يشرّع للناس بعده من أمورهم سنّة باقية باذن الله، و امره و وحيه، والغاية من ذلك هو استمرار الخلق على معرفة الصانع و دوام ذكره، و ذكر المعاد مع انقراض القرن الذى يلى النّبي و من بعده مع ما وجب ان يأتيهم به من الكتاب من عندالله الوافي لجميع المطالب الالهية ولابدّ ان يعظّم أمره، ويسنّ على الخلق دراسته و تعليمه ليدوم به التذكّرلله سبحانه، و الملأالأعلى من ملائكته، واشرف الكتب المنزلة، والسّنن ما خلّفه رسول الله صلى الله عليه وآله في امّته من الكتاب العزيز و سنّته الكريمة كما تحقّق ذلك العلماء العارفون بأسرارالكتب الالهية و النّواميس الشرعية.

و لفظ العلم: مستعار لما يهتدى به الخلق من قوانين الشرائع. و قوله: كتاب ربكم: بدل من ما، والمراد «بما» نوع ما خلّفت الانبياء في اممها من الحقّ و ذلك هو ما يشتمل عليه الكتاب مما لايخالف فيه نبّي نبياً من القوانين الكليّة، كالتوحيد، و أمرالمعاد، و تحريم الكبائر، و مبيّنا نصب على الحال عن خلّف، وذوالحال ضمير للنبيّ صلى الله عليه وآله. و قوله: حلاله، الى آخره: تفصيل لما اشتمل عليه الكتاب من القوانين الكليّة التي عليها مدار اصول الفقه، فمنها الاحكام الخمسة الشرعية. و اشار بحلاله: الى المباح والمكروه منها. و بحرامه: الى المحظور، و بفضائله: الى المندوب، و بفرائضه: الى الواجب، ومنها الناسخ والمنسوخ، والنسخ عبارة عن: رفع، مثل الحكم الثابت بالنّص المتقدّم بحكم آخر مثله. فالناسخ هو: الحكم الرافع والمنسوخ هو: الحكم المرفوع و هما

فی الکتاب العزیز کقوله تعالی: (والّذین یُتوفّون منکم و یذرون ازواجاً)[1] الی قوله (وعشراً) فانّه ناسخ لقوله تعالی: (متاعاً الی الحول غیر اخراج)[2].

و منها رخصه و عزائمه، و الرخصة عبارة عن: الاذن فی الفعل مع قیام السبب المحرّم له لضرورة لقوله تعالی: (فمن کان منکم مریضاً او علی سفر فعدّة من ایام اخر)[3] والعزیمة ما کان من الاحکام الشرعیة جاریاً علی وفق سببه الشرعی کقوله تعالی: (اقیموا الصلاة)[4] و منها عامّة و خاصّة، والعام هواللفظ المستغرق بوضعه الواحد لجمیع ما یصلح له، کقوله تعالی: (فسجدَ الملائکةُ کلُّهُمْ اَجْمَعُونَ)[5] والخاص هو: ما لم یتناول الجمیع بالنسبة الی ما تناوله، کقوله: (الّا ابلیسَ)، و منه عبرة، والعبرة: الاسم من الاعتبار و اشتقاقها من العبور لانّ ذهن الانسان ینتقل فیها من امر الی امر، و هی کماورد فیه من قصص الاوّلین بالمصائب النازلة بهم التی تنقل ذهن الانسان باعتبارها الی تقدیرها فی نفسه وحاله، فیحصل بذلک انزجاره و رجوعه الی الله، کقوله تعالی: (فأخذهُ الله نکالَ الآخرةِ و الأولی اِنَ فی ذلک لعبرة لِمَن یخشی)[6] و نحوه.

و منها امثلة[7] و هی کقوله تعالی: (انّما مثلُ الحیاةِ الدنیا کماءٍ انزلناهُ)[8] الآیة. و منها المرسل والمحدود، وهما فی عرف اصول الفقه المطلق والمقیّد، مثال المطلق قوله تعالی فی کفارة الظهار: (فتحریرُ رَقَبة مِن قبلِ اَن یتماسّا)[9] والمقید کقوله: (فتحریرُ رَقبة مؤمنةٍ)[10] و قد ذکرنا الفرق بین المطلق والعام فی الأصل.

---

۱ ـ سورة البقرة / ۲۳۴.

۲ ـ سورة البقرة / ۲۴۰.

۳ ـ سورة البقرة / ۱۸۴.

۴ ـ وردت هذه الجملة في ۱۳ آیة.

۵ ـ سورة الحجر / ۳۰. و سورة ص / ۷۳.

۶ ـ سورة النازعات /۲۵ و ۲۶.

۷ ـ في ش: امثاله.

۸ ـ سورة یونس / ۲۴.

۹ ـ سورة المجادلة / ۳.

۱۰ ـ سورة النساء / ۹۲.

و منها محكمة و متشابهة، والمحكم في الاصطلاح العلمي هو: راجح الافادة لاحد مفهوماته المحتملة للارادة منه من دون قرينة. فمنه النّص و هو: الراجح المانع من النقيض كقوله تعالى: (وَاللهُ بِكُلِّ شيىءٍ علّيم) ومنه الظاهر وهو: الراجح غيرالمانع من النقيض كقوله تعالى: (اُقتلوا المشركينَ) فانّه ظاهر العموم في جميعهم و ان احتمل بعضهم، و يقابله المتشابه و هو غير راجح الافادة لاحد مفهوماته، فمنه المجمل و هو غير راجح الافادة لاحدها ولا مرجوحها[1] كقوله تعالى (ثلثة قروءٍ) فانّه محتمل للحيض والطهر على سواء. و منه المتأوّل و هو: غير راجح الافادة لكنّه مرجوحها كقوله تعالى: (بَلْ يَداهُ مَبسوطتانِ)اذ المراد غير ظاهره، و هوالمراد بالمبين اذ بيّن بغير لفظه، والتفسير هو: التبيين، والغوامض: دقائق المسائل، ونسب بيان هذه الامور الى الرسول عليه[2] السلام لكونه هوالموضح لها بسنّته.

و قوله: بين مأخوذ الى آخره، تفصيل لاحكام الكتاب باعتبار آخر و ذكر منها اقساماً:

احداها، ما أخذ على الخلق ميثاق تعلّمه و لم يوسّع لهم في جهله، كوحدانية الصانع في قوله تعالى: (فاعلم انّه لا اله الّاالله) و قوله: (وليعلموا انّما هواِلٰه واحد).

و ثانيها، ما لا يتعيّن على الكافة العلم به، بل يعذر بعضهم في جهله كالآيات المتشابهات، و اوائل السور كقوله: (كهيعص) و (يس).

و ثالثها، ما هو مثبت في الكتاب فرضه، معلوم في السنّة نسخه كقوله تعالى: (واَللّاتي يأتينَ الفاحشةَ مِن نسائكم) الى قوله: (سبيلا)[3] فكانت الثّيب اذا زنت في بدوالاسلام تمسك في البيوت[4] الى الممات، والبكر تؤذى بالكلام و نحوه بمقتضى هاتين الآيتين، ثم نسخ ذلك في حقّ الثيب بالرجم، وفي حق البكر بالجلد والتعذيب بحكم السنّة.

---

١ ـ في نسخة ش: مرجوحاً.

٢ ـ في ش: الصلاة والسلام.

٣ ـ سورة النساء / ١٥.

٤ ـ في ش، البيت:

و رابعها، ما هو مثبت في السنة أخذه مأذون في الكتاب في تركه[1] كالتوجّه الى بيت المقدس في اوّل الاسلام بحكم السنّة ثم نسخ بقوله تعالى: (فولّ وجهكَ شطرَالمسجدِ الحرامِ)الآية.

و خامسها، ما يجب لوقته، و يزول في مستقبله كواجب الحجّ.

وقوله: و مباين بين محارمه عطف على المجرورات السابقة، و المحارم محالّ حكم الحرمة اى: و حكم مباين بيّن محالّه اى: مفروق بينها بالشدّة والضعف والوعيد على بعضها، والغفران لبعضها، و قوله: من كبير: تفصيل لها وما اوعد عليه نيرانه كالقتل في قوله تعالى: (وَمن يقتل مؤمناً متعمّداً) الآية، والصّغير: الذى ارصد له غفرانه.

قال الفقهاء: كالتطفيف بالحبّة و سائر الصغائر و ارصاد الغفران لها في الكتاب العزيز كقوله تعالى: (انّ ربّك لذو مغفرة للناس على ظلمهم) و نحوه من آيات وعده بالمغفرة[2].

منها:

وَ فَرَضَ عَلَيْكُمْ حَجَّ بَيْتِهِ الْحَرامِ، الَّذِى جَعَلَهُ قِبْلَةً لِلأَنَامِ، يَرِدُونَهُ وُرُودَ الأَنْعَامِ، وَ يَأْلَهُونَ إِلَيْهِ وُلُوهَ الْحَمَامِ، جَعَلَهُ سُبْحَانَهُ عَلامَةً لِتَوَاضُعِهِمْ لِعَظَمَتِهِ، وَإِذْعَانِهِمْ لِعِزَّتِهِ، وَ اخْتَارَ مِنْ خَلْقِهِ سُمَّاعًا أَجَابُوا إِلَيْهِ دَعْوَتَهُ، وَصَدَّقُوا كَلِمَتَهُ، وَوَقَفُوا مَوَاقِفَ أَنْبِيَائِهِ، وَ تَشَبَّهُوا بِمَلاَئِكَتِهِ الْمُطِيفِينَ بِعَرْشِهِ: يُحْرِزُونَ الأَرْبَاحَ فِى مَتْجَرِ عِبَادَتِهِ، وَ يَتَبَادَرُونَ عِنْدَ مَوْعِدِ مَغْفِرَتِهِ، جَعَلَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِلإِسْلاَمِ عَلَمًا، وَلِلْعَائِذِينَ حَرَمًا، فَرَضَ حَجَّهُ، وَ أَوْجَبَ حَقَّهُ، وَ كَتَبَ عَلَيْكُمْ وِفَادَتَهُ فَقَالَ سُبْحَانَهُ: (وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبيلاً، وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ).

اقول :

أشار في هذا الفصل الى وجوب حجّ البيت الحرام و منّة الله تعالى على خلقه

---

١ ـ في ش بزيادة او ذلك.

٢ ـ في ش: على المغفرة.

بذلک، و الی بعض اسرار وضعه، والحرام: إمّا بمعنى المحرّم کقوله تعالى: (عِندَ بَيْتِکَ المحرّم) فانّ العرب کانت تحرّم فيه ما تستحلّ فى غيره من القتل، والقتال، وامّا بمعنى الحرم کزمان و زمن، لکونه آمناً لمن دخله و مانعاً له، و وجه شبه ورود الناس له بورود الانعام ازدحامهم عليه و محبّتهم له کازدحام الابل العطاش على الماء.

و قوله: و يألهون اليه، أى يشتدّ وجدهم به فى کل عام، ويشتاقون الى وروده کما يشتاق الحمام الساکن به اليه عند خروجه، و منه قوله: جعله الى قوله: لعزّته، و ذلک انّ العقل لمّا لم يکن ليهتدى الى اسرار اعمال الحجّ لم يکن الباعث عليها فى اکثر الخلق الّا الامر المجرّد، و قصد امتثاله من حيث هو واجب الا تبّاع فقط و فيه کمال الرقّ و خلوص الانقياد لله، فمن فعل ما أُمر به من اعمال الحج کذلک فهو المخلص الذى ظهرت عليه علامات المخلص المتواضع المذعن لجلال الله ربّ العالمين.

ولمّا کان تعالى عالم الغيب والشهادة لم يمکن أن يقال انّ تلک العلامة مما يستفيد بها علما بأحوال عبيده من طاعتهم و معصيتهم، فهى علامة لغيرهم من الناس، و قوله: و اختار، الى قوله: دعوته، فالسّمّاع: جمع سامع و هم الحاجّ[1] فى قوله تعالى: (وَ أَذِّنْ فِي النّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوکَ) و فى الخبر انّ ابراهيم عليه السلام لما فرغ من بناء البيت جاءه جبريل عليه السلام فأمره أن يؤذّن فى الناس بالحجّ، فقال ابراهيم: و ما يبلغ صوتى، قال الله: اذّن و عليّ البلاغ، فعلا ابراهيم المقام، واشرف به، حتى صار کاطول الجبال، واقبل بوجهه يميناً و شمالاً و شرقاً و غرباً و نادى يا ايّها الناس کتب عليکم الحجّ الى البيت العتيق فاجيبوا ربّکم، فأجابه من کان فى اصلاب الرجال، وارحام النساء: لبّيک اللّهم لبّيک... و فيه اشارات لطيفة نبّهنا عليها في الأصل[2].

منها انّ اجابة من کان فى الأصلاب والأرحام اشارة الى ما کتب بقلم القضاء فى اللوح المحفوظ من طاعة المطيع لهذه الدعوة على لسان ابراهيم عليه السلام، و من بعده من الانبياء و هم المراد بالسماع الذين اجابوا دعوته لحجّهم وصدّقوا ما بلّغه عن ربّه تعالى، و فى قوله: وقفوا مواقف انبيائه، و شبّهوا بملائکته المطيفين بعرشه، استدراج حسن للطباع

---

١ ـ في نسخة ش: الحجاج.

٢ ـ شرح نهج البلاغة الکبير ١/ ٢٣٣.

اللطيفة و جذب لها الى هذه العبادة بذكر التشبيه بالأنبياء والملائكة.

و اعلم انّ الطواف المطلوب هو طواف القلب بحضرة الربوبية،و انّ البيت مثال ظاهر فی عالم الشهادة لتلک الحضرة التی هی عالم الغیب،کما انّ الانسان الظاهر فی هذاالعالم مثال للانسان الباطن الّذی لایشاهد بالبصر و هو فی عالم الغیب، و انّ عالم الشهادة مرقاة و مدرج الی عالم الغیب لمن فتح له باب الرحمة، و الی هذه الموازنة وقعت الاشارة النبویة، فانّ البیت المعمورفی السماء بازاء الکعبة و انّ طواف الملائکة به کطواف الانس بهذا البیت، ولک ان تسمیّ ذلک البیت والحضرة المقدّسة بالعرش ولما قصرت مرتبة اکثر الخلق عن مثل ذلک الطواف امروا بالتشبّه بهم بحسب الامکان، و وعدوا بانّ من تشبّه بقوم فهو منهم، و کثیرا ما یزداد ذلک التشبّه الی ان یصیر المتشبّه فی قوّة المشبّه به،والذی یبلغ تلک المرتبة فهو الّذی یقال انّ الکعبة تزوره و تطوف به علی ما رواه بعض المکاشفین لبعض اولیاءالله.

و قوله: یحرزون، الی قوله: مغفرته... استعارة لفظ المتجر للحرکات فی العبادة، و لفظ الارباح لثمرتها فی الآخرة من کرامة الله.

و لمّا کان الاسلام والحق هوالطریق الی الله تعالی استعار لفظ العلم للحجّ بالنسبة الیه، لانّ به یکون سلوک طریق الله، القبلة فی الاسلام کالعلم للطریق، والوفادة القدوم للاسترفاد، ولفظه مستعار للحجّ لانّه قدوم الی بیت الله طلباً لفضله و ثوابه، والآیة لبیان سبب وجوبه و هی خبر فی معنی الامر،و بالله التوفیق.

٢ ـ وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

بَعْدَ انصرافه من صفين

أَحْمَدُهُ ٱسْتِتْمَامًا لِنِعْمَتِهِ، وَ ٱسْتِسْلاَمًا لِعِزَّتِهِ، وَ ٱسْتِعْصَامًا مِنْ مَعْصِيَتِهِ وَأَسْتَعِينُهُ فَاقَةً إِلَى كِفَايَتِهِ؛ إِنَّهُ لاَيَضِلُّ مَنْ هَدَاهُ، وَ لاَيَئِلُ مَنْ عَادَاهُ وَلاَيَفْتَقِرُ مَنْ كَفَاهُ؛ فَإِنَّهُ أَرْجَحُ مَاوُزِنَ، وَ أَفْضَلُ مَاخُزِنَ. وَ أَشْهَدُ أَنْ لاَإِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَشَرِيكَ لَهُ، شَهَادَةً مُمْتَحَناً إِخْلاَصُهَا، مُعْتَقَدًا مُصَاصُهَا نَتَمَسَّكُ بِهَا أَبَدًا مَا أَبْقَانَا، وَنَدَّخِرُهَا لِأَهَاوِيلِ مَايَلْقَانَا، فَإِنَّهَا عَزِيمَةُ الْإِيمانِ، وَ فَاتِحَةُ الْإِحْسَانِ، وَ

مَرْضَاةُ الرَّحْمٰنِ، وَ مَدْحَرَةُ الشَّيْطَانِ. وَ أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَ رَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِالدِّينِ الْمَشْهُورِ، وَالْعَلَمِ الْمَأْثُورِ وَالْكِتَابِ الْمَسْطُورِ، وَالنُّورِ السَّاطِعِ، وَالضِّيَاءِ اللاَّمِعِ، وَالأَمْرِ الصَّادِعِ، إِزَاحَةً لِلشُّبُهَاتِ، وَاحْتِجَاجاً بِالْبَيِّنَاتِ، وَ تَحْذِيرًا بِالآيَاتِ، وَتَخْوِيفًا بِالْمَثُلاَتِ وَالنَّاسُ فِي فِتَنٍ انْجَذَمَ فِيهَا حَبْلُ الدِّينِ، وَ تَزَعْزَعَتْ سَوَارِي الْيَقِينِ، وَاخْتَلَفَ النَّجْرُ، وَ تَشَتَّتَ الأَمْرُ، وَ ضَاقَ الْمَخْرَجُ وَ عَمِيَ الْمَصْدَرُ، فَالْهُدَى خَامِلٌ، وَالْعَمَى شَامِلٌ: عُصِيَ الرَّحْمٰنُ، وَنُصِرَ الشَّيْطَانُ، وَ خُذِلَ الْإِيمَانُ، فَانْهَارَتْ دَعَائِمُهُ، وَ تَنَكَّرَتْ مَعَالِمُهُ، وَ دَرَسَتْ سُبُلُهُ، وَ عَفَتْ شُرُكُهُ: أَطَاعُوا الشَّيْطَانَ فَسَلَكُوا مَسَالِكَهُ، وَوَرَدُوا مَنَاهِلَهُ، بِهِمْ سَارَتْ أَعْلاَمُهُ وَ قَامَ لِوَاؤُهُ، فِي فِتَنٍ دَاسَتْهُمْ بِأَخْفَافِهَا، وَوَطِئَتْهُمْ بِأَظْلاَفِهَا، وَ قَامَتْ عَلَى سَنَابِكِهَا، فَهُمْ فِيهَا تَائِهُونَ حَائِرُونَ جَاهِلُونَ مَفْتُونُونَ، فِي خَيْرِ دَارٍ، وَ شَرِّ جِيرَانٍ نَوْمُهُمْ سُهَادٌ، وَكُحْلُهُمْ دُمُوعٌ، بِأَرْضٍ عَالِمُهَا مُلْجَمٌ، وَ جَاهِلُهَا مُكْرَمٌ.

اقول :

جعل عليه السلام لحمده تعالى غايتين :

احداهما، الاستتمام لنعمته لاستعداد العبد بشكرها للمزيد منها.

الثانية، الاستسلام لعزّته وهو: الانقياد لها بكمال الحمد على النعمة وقوله تعالى: (لَئِنْ شَكَرْتُمْ) الآية، برهان الاولى و فيه تنبيه على الثانية، و لما كانت هاتان الغايتان لا تمام لهما بدون عصمته عن ورطات المعاصي والمعونة بكفايته على الدواعي المهلكة، جعل طلب العصمة غاية اخرى هي الوسيلة الى الاوّلتين، وعقب ذلك الحمد بطلب المعونة منه على تمام الاستعداد لما طلب[1]، واشار الى علّة تلك الاستعانة و هي الفاقة الى كفاية دواعي التفريط والافراط بالجذبات الالٰهية.

و قوله : انّه لا يضلّ، الى قوله: كفاه، تعليل لاستعانته على تحصيل الكفاية بكونها مانعة من دواعي طرفي التفريط والافراط، فيستقيم العبد بها على سواء الصراط، و ذلك هدى الله الذى لا ضلال معه، و بكونها مانعة من الفقر الى غيره تعالى، و من معاداته

---

١ ـ هذه الجملة: و عقد ذلک الحمد ـ لما طلب. غير موجودة في ش.

المستلزمة لعدم النجاة من عباده، ولفظ المعاداة مجاز فيما يلزمها من البعد عن الرحمة. ولايئل اى: لاينجو. و قوله: فانّه ارجح، قيل: الضمير راجع الى ما دلّ عليه قوله احمده من المصدر علي طريقة قولهم: من كذب كان شرّا له، و يحتمل ان يعود الى الله. ولفظا الخزن والوزن: مستعاران لعرفانه، والمعقول منه الراجح فى ميزان العقل على كلّ معلوم والمخزون فى اسرار النفوس القدسية.

و قوله : فى الشهادة ممتحناً اخلاصها اى: مختبر نفسه فى اخلاصها، وعرائها عن الشبهة والشرك الخفيّ، و مصاص الشيء: خالصه. و قوله: نتمسّك بها الى آخره، و مدحرة الشيطان اشارة الى: وجوب التمسّك بها. والاهاويل: الامور المخوفة فى الآخرة وعلّل ذلك الوجوب بأوصاف اربعة.

وهى كونها عزيمة الايمان اى: عقيدته المطلوبة لله من خلقه و مازاد عليها كمال لها. ثمّ كونها فاتحة الاحسان اذ بها يستعدّ لاحسان الله فى الدّارين ثمّ كونها مرضاة الرحمن اى: محلّ رضاه، ثم كونها مدحرة للشيطان اى: محل دحره و هو طرده و ابعاده، و ذلك انّ غاية الشيطان من الانسان الشرك بالله، والكلمة باخلاص تنفيه بأقسامه، و تبعد الشيطان عن مراده. و استعار لفظ العلم والنور والضياء: لما جاء به الرسول عليه السلام من الكتاب و السنة لهداية الخلق به فى ظلمات الجهل الى صراطه[1]. والامر الصادع الذى شقّ عصا المشركين وصدع صفاتهم. و قوله: ازاحة الى قوله: بالمثلات، اشارة الى: وجوه مقاصد البعثة فاهمّها ازاحة الشبهات عن قلوب الخلق، ثم الاحتجاج عليهم بالبيّنات الواضحة والمعجزات، ثم تحذيرهم بالآيات المنذرة والجذب بها الى المطالب منهم، ثم تخويفهم بالمثلات: جمع مثلة بفتح الميم و ضمّ الثاء، اى: العقوبات النازلة بالامم السالفة. و قوله: والناس فى فتن الى آخره، يشبه أن يكون كلاماً ملتقطاً جمعه السيّد علٰى غير نظام، والواو يحتمل ان يكون للحال والعامل ارسله، والفتن المذكورة هى فتن العرب فى الجاهليّة و حال البعثة. و خيردار يعنى: مكة. وشرّجيران يعنى: قريشاً. والعالم الملجم: هو من كان عالماً بصدق الرسول و بعثته فهو ملجم بلجام التقيّة والخوف. والجاهل المكرم: هو من كذّبه و نابذه، ويحتمل ان يكون الواو للابتداء. والذمّ لأهل

١ - في ش: صراط الله.

زمانه، و ماهم فيه من الفتن بسبب تفرّق كلمتهم. و ذكر من المذامّ الّتى حصل الناس عليها اموراً يرجع حاصلها الى ترك مراسم الشريعة و ارتكاب طريق الباطل، و استعار لفظ الحبل: لما يتمسك به من الدين، و وصف الجذم و هو القطع: لتركهم التمسّك به، ولفظ السوارى: لقواعد الدين كالجهاد، و وصف التزعزع: لعدم استقامته بهم و تخاذلهم عنه، او لأهل الدين الذين بهم يقوم و تزعزعها لموتهم او خمولهم خوفاً من الظالمين. والنجر: الاصل و أراد به ما كان يجمع الناس من الدين الّذى تفرّقوا عنه، و غطّت على اعينهم ظلمات الشبهات عليه، فضاق المخرج منها عليهم وعمى مصدرهم عنها اى: وعموا عن المصدر، واسنده الى المفعول مجازاً، وخمول الهدى: سقوط انوار الدين بينهم وعدم استضائتهم بها فهم مشمولون بالعمى عنه. و نصرة الشيطان: اتّباع آرائه و بذلك يكون عصيان الله، و خذلان الايمان به، و انهيار دعائمه اى: سقوطها و معالم الايمان: آثاره. و تنكرّها: انمحاؤها من القلوب.

والشرك : جمع شركة بفتح الشين والراء، و هى معظم الطريق و اراد بها ادلّة الدين وأراد بعفائها عدم الا ثر بها لعدم سالكها، ومسالك الشيطان و مناهله: ما يجرّهم اليه من الملاهى و اعلامه و لوائه. اما القادة اليه او شبههم القائدة الى الباطل.

و قوله : فى فتن داستهم، متعلّق بقوله : سارت ان اتّصل الكلام او بغير ذلك مما لم يذكره السيّد، و استعار للفتن وصف الدوس والوطى، و رشح بذكر الاخفاف والاظلاف. والسنابك: و هى رؤس الحوافر جمع سنبكة ملاحظة لشبهها بالحيوانات المشار اليها فيما تطاءه، وتيههم اي فى ظلمات الجهل، وفتنتهم ابتلاؤهم بذلك. و قيل: اراد بخير، دارالشام لانها الأرض المقدّسة، وبشّر جيران يعنى: القاسطين. و قوله: نومهم سهاد، و كحلهم دموع: كنايتان عن شدّة اهتمامهم بأحوالهم و عدم استقرارهم من الفتن. و قوله: بارض عالمها ملجم يعنى: نفسه، و جاهلها مكرم: يريد معاوية. و قيل: اراد بخير، دارالعراق، و شرّ جيران: اصحابه المستصرخ بهم لتخاذلهم عن اجابته للجهاد.

و منها يعنى آل النبى عليه الصلاة والسلام:

هُم مَوْضِعُ سِرِّهِ، وَلَجَأُ أَمْرِهِ، وَعَيْبَةُ عِلْمِهِ، وَمَوْئِلُ حُكْمِهِ، وَكُهُوفُ كُتُبِهِ، وَجِبَالُ دِينِهِ: بِهِمْ

أَقَامَ انْحِنَاءَ ظَهْرِهِ، وَ أَذْهَبَ ارْتِعَادَ فَرَائِصِهِ.

اقول :

اللجأ والملجأ والموئل: المرجع، و ذلك انّهم ناصروه، و استعار لفظ العيبة لهم باعتبار حفظهم لاسراره و علومه وهم مرجع حكمه اى: حكمته اذا ضلّت عنها الخلق، فمنهم تطلب، و كذلك لفظ الكهوف، والجبال باعتبار عصمة الدين بهم من الاضمحلال، والضمير فى اقام،: للّٰه تعالى لانّه هوالذى جعلهم اعوانا وانصارا. و كنى بظهره عن ضعفه فى اوّل الاسلام و بارتعاد فرائصه عن خوفه. والفريصة: اللحمة بين الجنب والكتف لا تزال ترعد من الدّابة،والضمائر المفردة كلّهاللّٰه الّا فى ظهره و فرائصه فانّها للرسول عليه السلام، و قيل: الجميع عائد الى الرسول، الّا فى كتبه و هو ضعيف.

و منها:[1]

زَرَعُوا الْفُجُورَ، وَسَقَوْهُ الْغُرُورَ، وَحَصَدُوا الثُّبُورَ، لَايُقَاسُ بِآلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ مِنْ هٰذِهِ الْأُمَّةِ أَحَدٌ، ولايُسَوَّى بهم مَنْ جَرَتْ نِعْمَتُهُمْ عَلَيْهِ أَبَدًا: هُمْ أَسَاسُ الدِّينِ، وَ عِمَادُ الْيَقِينِ: إِلَيْهِمْ يَفِيُ الْغَالِي، وَ بِهِمْ يُلْحَقُ التَّالِي. وَ لَهُمْ خَصَائِصُ حَقِّ الْوِلَايَةِ، وَ فِيهِمُ الْوَصِيَّةُ وَ الْوِرَاثَةُ؛ الآنَ إِذْ رَجَعَ الْحَقُّ إِلَى أَهْلِهِ، وَنُقِلَ إِلَى مُنْتَقَلِهِ.

أقول :

قيل: اراد معاوية واهل الشام، و قيل: اهل الجمل، و قيل: الخوارج، وهى محتملة و استعار لفظ[2] الزرع: لاعتبار تأصيلهم بالفتنة والخلاف له، و وصف السقى: لتماديهم فى غفلتهم عن الحق، و وصف حصد الثبور لهلاكهم و قتلهم بسيفه و هو ثمرة ذلك الزرع اولهلاكهم الاخروى. والثبور: الهلاك ، و قوله: لايقاس الى قوله احد... خرج مخرج الجواب لمفاخرة سبقت من معاوية اوغيره. و قوله: و لا يُسَوَّى، الى آخره، اشارة الى :

---

١ ـ في نسخة ش بزيادة: في المنافقين.

٢ ـ في ش: وصف.

فضلهم على غيرهم من وجوه: الاوّل، كونهم اسباباً لنعمة الله على الخلق وارشادهم اليه، والمنعم افضل من جهة ما هو منعم خصوصاً بمثل هذه النعمة التى لايمكن جزاؤها.

الثانى، كونهم اساساً و اصلاً للدّين.

الثالث، كونهم عمادالیقین لانهم اسباب ازالة مایضعفه من الشبهات، فبهم يقوم كالعماد ولفظه مستعار.

الرابع، كونهم على الصراط السوىّ، والمنهج الحق اليهم يرجع مَن غلا فيه و تجاوزه، و بهم يلحق مَن فرط فيه و تخلّف عنه.

الخامس، كونهم أهل خصائص الولاية من العلوم، ومكارم الاخلاق والآيات والكرامات.

السادس، انّ فيهم وصيّة رسول الله صلّى الله عليه و آله، و وراثته و هو ظاهر.

و قوله: الآن، الى آخره، يريد بالحق الخلافة، و فيه ايماء الى انّها كانت في غير اهلها قبله.

٣-وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام الْمَعْرُوفَةِ بِالشِّقْشِقيةِ[1]

أَمَا وَاللهِ لَقَدْ تَقَمَّصَهَا فُلَانٌ، وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّي مِنْهَا مَحَلُّ الْقُطْبِ مِنَ الرَّحَى: يَنْحَدِرُ عَنِّي السَّيْلُ، وَلَايَرْقَى إِلَيَّ الطَّيْرُ؛ فَسَدَلْتُ دُونَهَا ثَوْبًا وَطَوَيْتُ عَنْهَا كَشْحًا. وَطَفِقْتُ أَرْتَئِي بَيْنَ أَنْ أَصُولَ بِيَدٍ جَذَّاءَ، أَوْ أَصْبِرَ عَلَى طِخْيَةٍ عَمْيَاءَ، يَهْرَمُ فِيهَا الْكَبِيرُ، وَيَشِيبُ فِيهَا الصَّغِيرُ، وَيَكْدَحُ فِيهَا مُؤْمِنٌ حَتَّى يَلْقَى رَبَّهُ. فَرَأَيْتُ أَنَّ الصَّبْرَ عَلَى هَاتَا أَحْجَى، فَصَبَرْتُ وَفِي الْعَيْنِ قَذًى، وَفِي الْحَلْقِ شَجاً؛ أَرَى تُرَاثِي نَهْبًا، حَتَّى مَضَى الْأَوَّلُ لِسَبِيلِهِ، فَأَدْلَى بِهَا إِلَى فُلَانٍ بَعْدَهُ (ثُمَّ تَمَثَّلَ بِقَوْلِ الْأَعْشَى)

شَتَّانَ مَا يَوْمِي عَلَى كُورِهَا ... وَيَوْمُ حَيَّانَ أَخِي جَابِرِ

---

١ ـ في نسخة ش بزيادة: وتعرف بالمقمصة.

فَيَاعَجَبًا!! بَيْنَا هُوَ يَسْتَقِيلُهَا فِي حَيَاتِهِ، إِذْ عَقَدَهَا لِآخَرَ بَعْدَ وَفَاتِهِ، لَشَدَّ مَا تَشَطَّرَا ضَرْعَيْهَا! فَصَيَّرَهَا فِي حَوْزَةٍ خَشْنَاءَ يَغْلُظُ كَلَامُهَا، وَيَخْشُنُ مَسُّهَا، وَيَكْثُرُ الْعِثَارُ فِيهَا، وَ الْاعْتِذَارُ مِنْهَا، فَصَاحِبُهَا كَرَاكِبِ الصَّعْبَةِ إِنْ أَشْنَقَ لَهَا خَرَمَ، وَإِنْ أَسْلَسَ لَهَا تَقَحَّمَ، فَمُنِيَ النَّاسُ لَعَمْرُ اللهِ بِخَبْطٍ وَ شِمَاسٍ، وَتَلَوُّنٍ وَ اعْتِرَاضٍ؛ فَصَبَرْتُ عَلَى طُولِ الْمُدَّةِ، وَ شِدَّةِ الْمِحْنَةِ؛ حَتَّى إِذَا مَضَى لِسَبِيلِهِ جَعَلَهَا فِي جَمَاعَةٍ، زَعَمَ أَنِّي أَحَدُهُمْ، فَيَاللهِ وَلِلشُّورَى! مَتَى اعْتَرَضَ الرَّيْبُ فِيَّ مَعَ الْأَوَّلِ مِنْهُمْ، حَتَّى صِرْتُ أُقْرَنُ إِلَى هٰذِهِ النَّظَائِرِ!! لَكِنِّي أَسْفَفْتُ إِذْ أَسَفُّوا، وَ طِرْتُ إِذْ طَارُوا؛ فَصَغَى رَجُلٌ مِنْهُمْ لِضِغْنِهِ، وَمَالَ الْآخَرُ لِصِهْرِهِ، مَعَ هَنٍ وَ هَنٍ، إِلَى أَنْ قَامَ ثَالِثُ الْقَوْمِ نَافِجًا حِضْنَيْهِ، بَيْنَ نَثِيلِهِ وَ مُعْتَلَفِهِ، وَقَامَ مَعَهُ بَنُو أَبِيهِ يَخْضِمُونَ مَالَ اللهِ خِضْمَةَ الْإِبِلِ نِبْتَةَ الرَّبِيعِ، إِلَى أَنِ انْتَكَثَ فَتْلُهُ، وَ أَجْهَزَ عَلَيْهِ عَمَلُهُ، وَ كَبَتْ بِهِ بِطْنَتُهُ. فَمَا رَاعَنِي إِلَّا وَالنَّاسُ كَعُرْفِ الضَّبُعِ إِلَيَّ؛ يَنْثَالُونَ عَلَيَّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ؛ حَتَّى لَقَدْ وُطِئَ الْحَسَنَانِ، وَ شُقَّ عِطْفَايَ، مُجْتَمِعِينَ حَوْلِي كَرَبِيضَةِ الْغَنَمِ فَلَمَّا نَهَضْتُ بِالْأَمْرِ نَكَثَتْ طَائِفَةٌ، وَ مَرَقَتْ أُخْرَى، وَقَسَطَ آخَرُونَ كَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا كَلَامَ اللهِ حَيْثُ يَقُولُ: (تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) بَلَى! وَ اللهِ لَقَدْ سَمِعُوهَا وَوَعَوْهَا، وَلَكِنَّهُمْ حَلِيَتِ الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِهِمْ، وَرَاقَهُمْ زِبْرِجُهَا. أَمَا وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ لَوْلَا حُضُورُ الْحَاضِرِ وَقِيَامُ الْحُجَّةِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ، وَ مَا أَخَذَ اللهُ عَلَى الْعُلَمَاءِ أَنْ لَا يُقَارُّوا عَلَى كِظَّةِ ظَالِمٍ، وَلَا سَغَبِ مَظْلُومٍ لَأَلْقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا، وَ لَسَقَيْتُ آخِرَهَا بِكَأْسِ أَوَّلِهَا، وَلَأَلْفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هٰذِهِ أَزْهَدَ عِنْدِي مِنْ عَفْطَةِ عَنْزٍ.

قالوا: و قام إليه رجل من أهل السواد عند بلوغه إلى هذا الموضع من خطبته فناوله كتابا، فأقبل ينظر فيه، قال له ابن عباس رضي الله عنهما: يا أميرالمؤمنين، لو اطردت خطبتك من حيث أفضيت.

فَقَالَ: هَيْهَاتَ يَابْنَ عَبَّاسٍ، تِلْكَ شِقْشِقَةٌ هَدَرَتْ ثُمَّ قَرَّتْ

قال ابن عباس: فو الله ما أسفت على كلام قط كأسفي على هذا الكلام أن لا يكون أميرالمؤمنين عليه السلام بلغ منه حيث أراد.

* * *

قوله عليه السلام فی هذه الخطبة: کراکب الصعبة ان اشنق لها خرم و ان اسلس لها تقحّم....

یرید انّه اذا شدّد علیها فی جذب الزمام و هی تنازعه راسها خرم انفها، وانْ ارخی لها شیئا مع صعوبتها تقحّمت به فلم یملکها، یقال: اشنق الناقة اذا جذب راسها بالزمام و دفعه، و شنّقها ایضاً، ذکر ذلک ابن السکیت فی اصلاح المنطق، و انّما قال علیه السلام: اشنق لها، و لم یقل اشنقها لانّه جعله فی مقابلة قوله: اسلس لها، فکانّه علیه السلام، قال: ان رفع اشنق لها بالزمام یعنی: امسکه علیها.

اقول:

انّ هذه الخطبة و مایشبهها مما یتضمّن شکایته فی امرالخلافة قد انکرها جماعة من اهل السنة حتّی قالوا: انّه لم یصدرعنه علیه السلام شکائه فی هذا الامر اصلا، و منهم من نسب هذه الخطبة خاصّة الی السیّدالرضیّ رحمه الله. والحق انّ ذلک افراط فی القول لانّ المنافسة التی کانت بین الصحابة فی امر الخلافة معلومة بالضرورة لکلّ من سمع اخبارهم، و تشاجرهم فی السقیفة، و تخلّف علیّ و وجوه بنی هاشم عن البیعة امر ظاهر لایدفعه الّا جاهل او معاند، و اذا ثبت انّه علیه السلام نافس فی هذا الامر کان الظّن غالبا بوجود الشکایة منه،وان لم یسمع ذلک منه، فضلا عن ان الشکایة بلغت مبلغ التواتر المعنویّ فی الالفاظ لشهرتها، و کثرتها تعلم بالضرورة انّها لا تکونُ باسرها کذباً بل لابدّ ان یصدق بعضها فثبتت فیه الشکایة علی انّ هذه الخطبة نقلها من یوثق به من الادباء والعلماء قبل مولد الرّضی بمدّة و وجدت بها نسخة موثوقا بنقلها،علیها خطّ الوزیر ابن الفرات و کان قبل مولد الرّضیّ بنیف و ستّین سنة و لنرجع الی المتن[1].

فنقول: المراد بفلان ابوبکر. و فی بعض النسخ لقد تقمّصها ابن ابی قحافة، والضمیر فی تقمّصها راجع الی الخلافة لعهدها اولسبق ذکرها، واستعار لفظ التقمّص لتلبسه بها. والواو فی «وانّه» واوالحال، و مثّل نفسه منها[2] بالقطب من الرحا فی انّها لا تستقیم بدونه، و اکّد ذلک بالکنایة عن علوّه و شرفه مع فیضان العلوم والفضائل عنه

---

۱ ـ براجع بشأن مصادر الخطبة الشقشقية كتاب الغدير ۷ / ۸۲ ـ ۸۷.

۲ ـ في ش: فيها.

بوصفين من اوصاف الجبل المنيع العالي و هما كونه ينحدر عنه السيل ولايرقى اليه الطير. وسدلت اى: ارخيت دونها ثوباً كناية عن احتجابه عن طلبها بحجاب الزهد فيها والاعراض عنها.

وقوله: وطويت عنها كشحاً، كناية: عن امتناعه منها كالماكول المعاف الذى يطوى البطن دونه. والكشح بالفتح: الخاصرة، وقيل: انّه اراد التالفتّ عنها، كما يفعل المعرض عمّن الى جانبه كما قال:

طوى كشحه عنّى واعرض جانباً ....

و قوله: و طفقت. الى قوله: عمياء، اى: جعلت افكّر فى امرى هل اصول عليهم بيد جذّاء، بالدال، والذال، اى: مقطوعة وهى كناية عن عدم الناصر له، او ان اصبر على طخية عمياء، اى: ظلمة لايهتدى فيها للحق، و كنّى بها عن التباس الامور فى الخلافة قبله كناية بالمستعار و كنّى عن شدّة ذلك بقوله: يهرم، الى قوله: ربّه، و اراد بكدح المؤمن فيها شدّة سعيه واجتهاده فى لزوم الحق والذّب عنه. و قوله: فرايت انّ الصبر على هاتا احجى، ترجيح لقسم الصبر على قسم المنافرة، وهاتا لغة فى هذى. واحجى: اليق، اليق بالحجى و هوالعقل لما فى المنافرة من انشعاب عصا المسلمين اى: اجماعهم وايتلافهم مع غضاضة [1] الاسلام و كثرة اعدائه. والقذى: مايقع فى العين فيؤذيها كالغبار و نحوه.

والشجى: ما ينشب فى الحلق من عظم و نحوه فيغصّ به، و هما كنايتان عن الغمّ و مرارة الصبر والتألّم من الغبن. و تراثه، قيل: هو ما خلّفه رسول الله صلى الله عليه وآله لابنته كفدك لأن مال الزوجة فى حكم مال الرجل. والنّهب: اشارة الى منع الخلفاء الثلاثة لها بالخبر الّذى رواه ابوبكر (نحن معاشر الانبياء لانورّث، ما تركناه فهو صدقة) و قيل: اراد منصب الخلافة و يصدق عليه لفظ الارث كما فى قوله تعالى: (يَرِثُنى و يرثُ من آلِ يعقوب) [2] اى: العلم و منصب النبوّة. والماضى الاوّل: ابوبكر، و سبيله طريق الاخرة و هو: الموت. و فلان بعده: عمر، و ادلى بكذا: ألقاه اليه، و كنّى بذلك عن نصّ ابى بكر بالخلافة بعده. و امّا البيت فهو لأعشى قيس واسمه ميمون بن جندل من قصيدة يمدح بها

---

١ ـ الغضاضة: الضعف.

٢ ـ سورة مريم / ٦.

عامراً و يهجو علقمة اوّلها:

شاقتك من قتلة اطلالها　　　بالشط والوتر الى حاجر

و حيّان، و جابر، ابنا السمين بن عمر من بني حنيفة. و كان حيّان صاحب الحصن باليمامة سيّدا مطاعاً يصله كسرى في كلّ سنة، و كان في نعمة و رفاهية،و كان الأعشى ينادمه، و اراد ما ابعد ما بين يومي على كور المطيّة أدأب، و انصب في الهواجر، و بين يومي منادماً حيّان اخاجابر وادعا في نعمة و خفض.

و روى انّ حيّان،عاتب الاعشى في تعريفه بأخيه فاعتذرانّ القافية جرّته الى ذلك فلم يقبل عذره. واليوم الاوّل، رفع بانّه فاعل اسم الفعل، والثاني عطف عليه، و عرض البيت تمثيل حاله بحاله القائل، والفرق بين ايّامه مع رسول الله صلّى الله عليه و آله وسلم، و حاله معه في العزّة و قرب المنزلة والحصول على العلوم و مكارم الاخلاق، و ايّامه في القوم و حاله من المتاعب والمشّاق و مقاساة المحن. و قيل: اراد الفرق بينه و بين القوم في ظفرهم و فوزهم به، و فوات مطلوبه هو و حصوله على الحرمان والمشقّة.

و قوله: فيا عجبا الى بعد وفاته، الضمير راجع الى ابى بكر و استقالته هو قوله: (اقيلوني فلست بخيركم)[1] و وجه التعجّب هو استقالته منها في الحياة لثقلها مع تحمّله لها في الممات ايضا بعقدها لغيره. واللام في «لشدّ» للتأكيد و استعارلها لفظ الضرع لشبهها بالناقة و انّما وصف تشطّره، و هو اخذ كل منهما شطراً،لاشتراكهما في امر الخلافة، و اخذهما لها فكأنّهما اقتسماها اقتسام الحالبين اخلاف الناقة. والحوزة: الناحية: و كنّى بها بوصف خشنها عن طباع عمر،فانّها كانت توصف بالجفاوة و بغلظ كلمها: عن غلظته في المواجهة بالقول و غيره. والكلم: الجرح، و بخشونة مسّها: عن عدم لينه لمن يلتمس منه امراً، و بكثرة العثار والاعتذار منها: عما كان يتسرّع اليه من الاحكام ثم يعاود النظر فيها فيجدها غير صائبة فيحتاج الى العذر منها كقصّة المجهضة و غيرها.

والضمير في «منها» يعود الى الحوزة، و قوله: فصاحبها اي: انّ المصاحب لتلك الطبيعة الغليظة الخشنة كراكب الناقة التي لم ترض. و قوله: ان اشنق، الى قوله: تقحم، هو: وجه الشبه، والمعنى: انّ مصاحبه ان اكثر انكاره ما يتسرّع اليه ادّى الى مشاقته، و

---

١ ـ هذا القول متواتر عن ابى بكر، الغدير ٧/ ١٢٨ بطرق صحيحة ثابتة.

فساد الحال بينهما، و ان سكت عنه ادّى ذلك الى الاختلال بالواجب،كما انّ راكب الصعبة ان اشنق لها و والى جذب الزمام في وجهها خرم انفها، و ان أسلس لها في قيادها تقحّمت به في المهالك، و ركبت به العسف. و قيل: الضمير في صاحبها يعود الى الخلافة، و صاحبها هو من تولّى أمرها، و وجه شبهه براكب الصعبة انّ الخليفة يحتاج الى مداراة الخلق و جذبهم عن طرفى الافراط والتفريط الى حاقّ الوسط فلايشدّد عليهم في طلب الحق التشديد الموجب لعجزهم و قصورهم و فساد الامر بينه و بينهم، كمن اشنق الصعبة و لايهملهم فيتعدوا الواجب و يهلك بهلاكهم كمن اسلس لها. و قيل: اراد بصاحبها نفسه لانّه ايضاً بين خطرين، امّا ان يبقى ساكتا عن طلب الأمر فيتقحّم بذلك في موارد الذلّ كما يتقحم مسلس قياد الصعبة. و امّا ان يتشدّد في طلبه فيشق بذلك عصا الاسلام فيكون كمن اشنق لها فخرم انفها.

و قوله: فمني الناس اى: ابتلوا، و استعار لفظ الخبط والشماس و هو: نفار الدابة والتلوّن، والاعتراض و هوالمشي في عرض الطريق لما كان يقع من تغيّر اخلاق الرجل و اختلاف حركاته، كالفرس الذى لم يرض، وقيل: اراد ما ابتلى به الناس من تفرّق الكلمة واضطراب الامر لذلك بعد رسول الله عليه السلام. والمدّة: مدّة البلاء و شدّة المحنة لفوات حقّه.

و قوله: حتّى مضى، اى: الثاني، والجماعة الذين جعلها فيهم هم اهل الشورى. والشورى: مصدر كالنجوى، و خلاصة خبرهم: انّه لما طعن عمر دخلت عليه وجوه الصحابة و سألوه ان يستخلف رجلاً برضاه، فقال: لا احبّ ان اتحمّلها حيّا و ميتا، فقالوا: الّا تشير علينا؟ فقال: ان احببتم؟ فقالوا: نعم، فقال: الصالحون لهذا الامر سبعة و هم: سعيد بن زيد، و انا مخرجه منهم لانّه من أهل بيتي، و سعد بن ابى وقّاص، و عبدالرحمن بن عوف، وطلحة، وزبير، و عثمان، و علّي. فامّا سعد فيمنعني منه عنفه، و من عبدالرحمن انّه قارون هذه الامّة، و من طلحة فتكبّره، و من الزّبير فشحّه، و من عثمان حبّه لقومه، و من عليّ حرصه على هذا الأمر، و أمر أن يصلّى صهيب بالناس ثلاثة ايّام،و يخلوا الستة في بيت ثلاثة ايّام فان اتّفقت خمسة على رجل و ابى واحد قتل، و ان اتّفقت ثلاثة و أبت ثلاثة فليكن الناس مع الثلاثة الذين فيهم عبدالرحمن.

و يروى: فاقتلوا الثلاثة الذين ليس فيهم عبدالرحمن. فلما خرجوا واجتمعوا للأمر، قال عبدالرحمن: انّ لي و لسعد من هذا الامر الثلث فنحن نخرج انفسنامنه، على ان نختار خيركم للامة فرضى القوم غير عليّ، فانّه قال: أري وانظر. فلما أيسَ عبدالرحمن من رضى عليّ رَجع الى سعد، و قال له: هلمّ نعيّن رجلا فنبايعه، والناس يبايعون من بايعته، فقال سعد: ان بايعك عثمان فانا لكم ثالث، و ان اردت ان تولّى عثمان فعليّ احبّ الّي. فلما أيسَ من رضى سعد رجع فأخذ بيد عليّ فقال: ابايعك على ان تعمل بكتاب الله، و سنّة رسوله، و سيرة الشيخين ابى بكر و عمر، فقال: تبايعني على ان اعمل بكتاب الله، و سنّة رسوله، واجتهدبرأيي فترك يده. و اخذ بيد عثمان، و قال له: مقالته لعليّ، فقال: نعم فكرّر القول على كلّ منهما ثلاثا، فأجاب كل بما اجاب به اوّلا فبعدها. قال[1] عبدالرحمن: هي لك يا عثمان و بايعه ثم بايعه الناس.

ثمّ اردف حكاية الحال باستغاثة الله للشورى، والاستفهام على سبيل التعجّب و عروض الشك للناس في مساواته بالاوّل، الى ان قرن بالجماعة المذكورين في الفضل والاستحقاق. و أسف الطائر: قارب الأرض بطيرانه، و كنّي بذلك عن مقاربته لهم، و اتباعه ايّاهم في مرادهم، والصغو: الميل، والضغن: الحقد، والذى ضغن هو سعد، لانّه كان منحرفا عنه عليه السلام، و تخلّف عن بيعته، بعد قتل عثمان، والذى مال لصهره هو عبدالرحمن و كانت بينه و بين عثمان مصاهرة لانّ عبدالرحمن كان زوجاً لامّ كلثوم بنت عقبة بن ابى معيط، و هى اخت عثمان لامّه اروى بنت كريز.

و قوله: مع هن و هن يريد انّ ميله لم يكن لمجرّد المصاهرة بل لاسباب اخرى كنفاسة عليه، أوحسد له فكنّي بهن و هن عنها. و ثالث القوم: عثمان، والحضن: الجانب، والنفج: كالنفخ. والنثيل: الروث. والمعتلف: ما يعتلف به من المأكول، و كنّي بذلك عن انّه لم يكن همّته الاّ التوسّع ببيت المال، والاشتغال بالنعم بالمآكل والمشارب، ملاحظا في ذلك تشبيهه بالبعير والفرس المكرم. و بنوابيه: بنواميّة و كنّي بالخضم و هو: الاكل بكلّ الفم عن كثرة توسّعهم بمال المسلمين كما نقلناه في الاصل. و كنّي با نتكاث فتله عن انتقاض الامور عليه، و ما كان يبرمه من الآراء دون الصحابة. و

---

١ ـ في ش: فقال.

استعار لفظ الاجهاز الذى يفهم منه سبق الجراح والا ثخان بضرب و نحوه لقتله المسبوق بمشق اسلات الاسنة، وكذلك وصف الكبو الّذى هو حقيقة في الحيوان: لفساد امره بعد استمراره كالكبو بعد استمرار الفرس من العدو. و كنّى ببطنته عن: توسّعه ببيت المال ايضا. و اسند الكبو اليها لانّها السبب الحامل على فساد امره، والواو في «والناس» للحال، و خبر المبتداء محذوف دلّ عليه متعلّقه و هو اليّ اى: مقبلون و نحوه، و فاعل راعنى امّا ما دلت عليه هذه الجمل من المصدر، اى: فما راعنى الّا اقبال الناس اليّ وانثيالهم عليّ. والانثيال: تتابع الشئ يتلو بعضه بعضا و هو كقوله تعالى: (ثمّ بدالهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننّه[1]) و امّا الجملة الاسميّة و ينثالون: امّا حال من راعنى، او خبرتّان للمبتدأ و الا شارة الى حال الناس وقت بيعته، و شبّههم فى ازدحامهم عليه يومئذ يريدون بيعته، بعرف الضبع في تكاثفه، و قيام شعره.

و العرب تسمّى الضبع عرفًا لعظم عرفها. والحسنان ولداه عليهما[2] السلام. و قيل: الابهامان والحسن الابهام وانشد للشنفرى:

مهضومة الكشحين خِرّماء الحسن.

اراد انّهم وطئوا ابهاميه، و شقّوا عطافه، و هورداته المجتبى به. و روى عطفاى و هما: جانبارداته او جانبا قميصه. و مجتمعين حال و شبّههم بربيضة الغنم و هى القطعة المجتمعة رابضة لاجتماعهم حوله. والطائفة الناكثة: اصحاب الجمل لنكثهم بيعته. والمارقه: الخوارج لمروقهم من الدين كمروق السهم من الرميّة وهو لفظ الخبر النّبوى. والقاسطون اصحاب معاوية لبغيهم. والقسط: الخروج عن سنن العدل، و حليت: زانت. و قوله: اما و الّذى الى آخره، اشارة الى الاعذار الحاملة له على قبول الخلافة بعد تخلّفه عنها.

و فلق الحبة: خلقها، و قيل: هو: شقّها الّذي في وسطها، و قد نبّهنا على الحكمة فيه في الأصل. و اشارالى ثلاثة اعذار و هو حضور الحاضرين لمبايعته. و قيام الحجّة عليه بوجود الناصرين للحق معه. وما اخذ على العلماء من العهد على انكار المنكر والامر

---

١ - سورة يوسف / ٣٥.

٢ - في ش بزيادة: الصلاة.

بالمعروف عند التمكّن. والمقارة: المـوادعة والمسالمة. والعذران الاولان شرطان في الثالث. و كنّى بكظّة الظالم و هي: بطنته و شبعه عن قوّة ظلمه لانّ قدرته مظنّة ذلك، و بسغب المظلوم و هو: جوعه عن كونه مظلوماً. والضمير في حبلها و غاربها للخلافة ملاحظًا في استعارتها: تشبيه الخلافة بالناقة. و كنّى بذلك عن تركها كارسال الناقة لترعى اى: كنت اترك آخرًا كما تركت اوّلا. والفيت الشيء: وجدته. والعفطة: الحبقة، و قيل: العطسة. و يفهم منه انّه عليه السلام كان مطالبا للدنيا لكن ليس لها بل لنظام الخلق،و امتثالا لأوامر الله في اجراءِ امورهم، على قانون العدل كما هو مقصود بعثة الانبياء و انزال الكتب. و اطردت مقالتك، اى: اجريتها. و افضيت وصلت و«لو» للتحضيض. والشقشقة: اللحمة التي تخرج من فم البعير عند هياجه.

٤ ـ وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

بِنَا اهْتَدَيْتُمْ فِي الظَّلْمَاءِ، وَتَسَنَّمْتُمُ الْعَلْيَاءَ، وَبِنَا انْفَجَرْتُمْ عَنِ السِّرَارِ، وُقِرَ سَمْعٌ لَمْ يَفْقَهِ الْوَاعِيَةَ، وَ كَيْفَ يُرَاعِي النَّبْأَةَ مَنْ أَصَمَّتْهُ الصَّيْحَةُ، رُبِطَ جَنَانٌ لَمْ يُفَارِقْهُ الْخَفَقَانُ؛ مَازِلْتُ أَنْتَظِرُ بِكُمْ عَوَاقِبَ الْغَدْرِ، وَ أَتَوَسَّمُكُمْ بِحِلْيَةِ الْمُغْتَرِّينَ سَتَرَنِي عَنْكُمْ جِلْبَابُ الدِّينِ، وَ بَصَّرَنِيكُمْ صِدْقُ النِّيَّةِ، أَقَمْتُ لَكُمْ عَلَى سَنَنِ الْحَقِّ فِي جَوَادِّ الْمَضَلَّةِ حَيْثُ تَلْتَقُونَ وَلَا دَلِيلَ، وَ تَحْتَفِرُونَ وَلَا تُمِيهُونَ، الْيَوْمَ أُنْطِقُ لَكُمُ الْعَجْمَاءَ ذَاتَ الْبَيَانِ، عَزَبَ رَأْيُ امْرِىءٍ تَخَلَّفَ عَنِّي، مَا شَكَكْتُ فِي الْحَقِّ مُذْ أُرِيتُهُ، لَمْ يُوجِسْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ خِيفَةً عَلَى نَفْسِهِ: أَشْفَقَ مِنْ غَلَبَةِ الْجُهَّالِ وَ دُوَلِ الضَّلَالِ. الْيَوْمَ تَوَاقَفْنَا عَلَى سَبِيلِ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، مَنْ وَثِقَ بِمَاءٍ لَمْ يَظْمَأْ.

اقول:

استعار لفظ الظّلماء للجهل الحاجب لأبصار البصائر عن ادراك الحق، و وصف التسنّم لما حصلوا عليه من شرف الاسلام وعلوّ الرّتبة،و وصف الانفجار لظهورهم في انوار الاسلام من شرار الشرك. والسرار: الليلة والليلتان في آخر الشهر يستتر القمر فيهما و

يخفى، و لفظه مستعار للشرك والجهل السابق. والوقر: الثقل فى السمع و هو دعاء على سمع لايفقه صاحبه بسماعه،علما من مقاصد الكتب الالٓهية و حق له الصمم لعدم فائدة خلقه منه. والنبأة: الصّوت الخفىّ، و كنّى بها عن دعائه لهم الى الحقّ. و بالصيحة عن خطاب الله و رسوله، و هي في معرض العذر لنفسه فى عدم نفع دعائه لهم، اى: اذا كانت دعوة الله و رسوله الّتى اصمّتكم بقوّتها لم تستجيبوا لها،فكيف تراعون دعوتى لكم هى كالنبأة من الصيحة.

و قوله : ربط دعاء للقلوب التى تخفق خوفًا من الله بالثبات والسكينة اى: ثُبّت قلب كان كذلك، و روى ربط بالبناء للمفعول اى: ربط الله. و قوله: اتوسّمكم اى: اتعرّفكم. والمغترّين الغافلين عن عواقب الأمور اى: مازلت اعرفكم بصفات الغدر في البيعة والنكث لها. والجلباب: الملحفة، واستعار لفظه للدين باعتبار ستره و حجبه عن العنف بهم، و حملهم على المشقة او ستره عن علمهم فى قوّته و بأسه، و لولم يكن ذلك الستر لعرفوه بذلك.و روى ستركم عنّى، أي: عصم الدين منّى دماءكم واتّباع مُدْبِرِكُم. و قوله: و بصّرنيكم اى: عرفني بكم صدق نيّتي، واخلاصى لله، و مايؤول اليه عاقبة امركم كما قال[1] صلى الله عليه و آله: (اتّقوا فراسة المؤمن فانّه ينظر بنورالله) ثم اشارالي فضيلته ليقتدوا به، بقوله: اقمت لكم على سنن الحق اى: طريقه، و هي الكتاب والسنّة. و فى جواد المضلّة و هي الشبه اذ كان عليه السلام العالم بالكتاب والموضّح لطرق الحقّ منه لطرق الباطل، والهادي فيهما، و ذلك حيث يلتقون فى ظلمة الجهل فلا يبصرون دليلا سواه، و يطلبون ماء الحياة بالبحث والفحص من اودية القلوب فلايجدون بها ماءً الّا معه. و ماهت البئر: خرج ماؤها. و أستعار[2] الاحتفار للبحث عن مظانّ العلم و لفظ الماء له. و كنّي بالعجماء: عن الحال التي يشاهدونها من العبر الواضحة و عن كمال فضله و هذا من الله[3]. فانّ هذه الامور وان لم يكن لها نطق الّا انّها مبيّنة بلسان حالها ماينبغي ان يقال فى الافصاح عن ذلك لأوامر الله، و رسوله، فلذلك كانت ذات بيان. و

١ - في ش بزيادة: رسول الله.

٢ - نسخة ش: واستعار لفظ الاحتفار.

٣ - في ش: وهدايته الى الله.

انطاقها هو تنبيه عليها اذ عبّر بلسان مقاله عما كانت يقتضيه و يشاهده من نظر اليها بعين الاعتبار و هو كقولهم: سل الارض من شقّ انهارك ، و اخرج ثمارك ، فان لم تُجبكَ حواراً اجابتك اعتباراً.

و روى بعضهم: انطق بفتح الهمزة على انّ العجماء صفة مصدر محذوف، اى: الكلمات العجماء و نحوه،و اراد بها ما ذكر فى هذه الخطبة من الرموز و استعارلها لفظ العجماء و كونها ذلّت البيان لما فيها من الفوائد، و عزب الرأى: ذهب. و قوله: ما شككت فى الحق مذ أريته: تنبيه علي وجوب عزوب رأى من تخلّف عنه. و قوله: لم يوجس الى قوله: الضّلال، اى: لم يجس موسى فى نفسه خوفاً اشّد عليه من خوف غلبة الجّهال على الدين، و فتنة الخلق بهم، و اراد انّي كذلك، و اوجس:احسّ. والشّفقة الخوف، و قيل: اشفق في تقدير الاستدراك بعد النفى اى: لكن اشفق و ليس هي افعل التفضيل.

و قوله : اليوم تواقفنا للخطاب لمقابلته، والمراد: انّي واقف على سبيل الحق و هم واقفون على سبيل الباطل. و قوله: من وثق بماء لم يظمأ، مثلٌ نبّه به على وجوب الثقة بما عنده، أى: ان سكنتم الى قولي، و وثقتم به كنتم اقرب الى الهدى والسلامة كما انّ الواثق بالماء في إداوته آمن من العطش و خوف الهلاك بخلاف من لم يثق بذلك. و استعار لفظ الماء: لما اشتمل عليه من العلم و كيفية الهداية به الي الله فانّه الماء الذى لاظمأ فيه.

٥ ـ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْه السَّلامُ

لما قُبض رسولُ الله صلّى الله عليه وآله وسلّم و خاطبه العباس،و أبوسفيان بن حرب في أن يبايعا له بالخلافة.

أَيُّهَا النَّاسُ، شُقُّوا أَمْوَاجَ الْفِتَنِ بِسُفُنِ النَّجَاةِ، وَ عَرِّجُوا عَنْ طَرِيقِ الْمُنَافَرَةِ وَضَعُوا تِيجَانَ الْمُفَاخَرَةِ أَفْلَحَ مَنْ نَهَضَ بِجَنَاحٍ، أَوِ اسْتَسْلَمَ فَأَرَاحَ. هٰذَا مَاءٌ آجِنٌ، وَ لُقْمَةٌ يَغَصُّ بِهَا آكِلُهَا. وَ مُجْتَنِي الثَّمَرَةِ لِغَيْرِ وَقْتِ إِينَاعِهَا كَالزَّارِعِ بِغَيْرِ أَرْضِهِ. فَإِنْ أَقُلْ يَقُولُوا: حَرَصَ عَلَى

الْمُلْكِ، وَإِنْ أَسْكُتْ يَقُولُوا: جَزِعَ مِنَ الْمَوْتِ هَيْهَاتَ بَعْدَ اللَّتَيَّا وَالَّتِي، وَاللهِ لَابْنُ أَبِي طَالِبٍ آنَسُ بِالْمَوْتِ مِنَ الطِّفْلِ بِثَدْيِ أُمِّهِ، بَلِ انْدَمَجْتُ عَلَى مَكْنُونِ عِلْمٍ لَوْ بُحْتُ بِهِ لَاضْطَرَبْتُمْ اضْطِرَابَ الْأَرْشِيَةِ فِي الطَّوِيِّ الْبَعِيدَةِ.

اقول :

السبب انّه لما بويع ابوبكر بالسّقيفة،اراد ابوسفيان الفتنة بين المسلمين، فقال: للعباس انّ هؤلاء قد ذهبوا بالأمرعن هاشم الى تيم، وانّه ليحكم فيناغداً هذا الفظّ الغليظ من بنى عدىّ، فقم نبايع علياً فانت عمّ رسول الله، و انا رجل مقبول القول فى قريش، فان دافعونا قاتلناهم و قتلناهم، فأتيا علياً فحضّه ابوسفيان على الأمر وعلم عليه السلام من حاله انّه يريد الفتنة فأجابه بهذا الكلام.

و استعار لفظ الامواج: لقيام الفتنة كالبحر فى هياجه و تموّجه، و لفظ سفن النجاة: للمهادنة والمسالمة لاستلزامها السلامة كالسّفينة. والتّعريج: العدول عن الطّريق. و لفظ التيجان لما يفتخربه قريش على تيم لما فى ذلك من اثارة الاحقاد. ثم اشار بعد النهى عن المنافرة والمفاخرة الى ما ينبغى ان يكون حال طالب الخلافة عليه ليفوز بمطلوبه، اوينجو من الفتنة فحكم بالفوز لمن نهض فى طلبه بجناح. و استعار لفظ الجناح: للأعوان والانصار لانّ بهم النهوض، و حكم بالنجاة للمستسلم عند عدم الجناح و كلاهما فلاح. و قوله: ماء آجن الى اكلها: تنبيه على انّ المطالب الدنيوية و ان عظمت فهى مشوبة بالكدر، و استعار لفظ الماء الآجن واللّقمة الموصوفة لها: لمتاع الدنيا باعتبار ما فيها من شائبة التكدير بالمحن من المنافسات و نحوها، و قصد بذلك التنفير عنها تسكيناً للفتنة.

و قوله: و مجتنى الثمرة، الى قوله: ارضه: تمثيل لحاله فى طلبه للأمر فى غير وقته بمنّ وكدّ. و ايناع الثمرة: ادراكها، و وجه تشبيهه بالزّارع فى غير ارضه: انّه فى محل ان يمنع من التصرّف و يبطل سقيه، و غرض التشبيه التنفير عن التشبّه بمن هذه حاله. و إن أقل، اى: اطلب الأمر و ان اسكت: اى عنه، و هيهات اى: بعد جزعى من الموت بعد تعاقب الشدائد علىّ، و بعد اللّتيا والّتى: كالمثل واصله انّ رجلاً تزوّج قصيرة ضئيلة الخلقة فقاسى منها شدائد فطلّقها، و تزوّج طويلة فقاسى منها اضعاف ذلك فطلّقها، و

قال: بعد اللّتيا والّتى لاتزوّج ابداً فكنّى بهما عن الشدائد المتعاقبة.و كونه عليه السلام آنس بالموت من الطفل بثدى امّه ظاهر من حاله، اذ كان رئيس اولياء الله و قد علمت انّ محبة الموت انس لهم لكونه و سيلة لهم الى لقاء محبوبهم الاعظم، و انسهم به انس عقلى ثابت فكان اشدّ من انس الطين بالندى لكونه عن ميل شهوانى فى معرض التغيّر والزوال. قوله:بل اند مجت الى آخره: اشارة[1] بعد نفى الجزع من الموت، و اشارة الى سبب آخر لسكونه، و هوالعلم الّذى انطوى عليه، والاندماج: الانطواء و ذلك علمه بعواقب الامور وادبارها، و ماينتظر من الوقائع والفتن ممّا علّمه بتعليم الله و رسوله. و نبّه على عظمة ذلك بقوله: لو بحت به الى آخره.

و اشار باضطرابهم على ذلك التقدير الى تشتّت آرائهم عند علمهم بما سيقع من ذلك، من انتقال الأمر الى بنى اميّة و مدّة دولتهم فانّ ذلك يكون سبباً لبقائهم، و وجه الشبه باضطراب الارشية فى الطوى البعيدة: شدّة الاضطراب لانّ البئر كلّما كانت اعمق كان اضطراب الرشاء فيها اشدّ لطوله. والرشا: حبل البئر. والطوّى: البئر المطويّة.و قيل: اراد بالعلم المنطوّى عليه: علم الآخرة و ما بعدالموت، لانّه لو شرح لهم ذلك لاضطربوا اشدّ اضطراب خوفا من الله، و اذهلوا عمّا هم فيه من المنافسة فى الدنيا.

٦ ـ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

لما أشير عليه بأن لايتبع طلحة والزّبير ولايرصد لهما القتال

وَٱللهِ لَاأَكُونُ كَالضَّبُعِ: تَنَامُ عَلَى طُولِ اللَّدْمِ، حَتَّى يَصِلَ إِلَيْهَا طَالِبُهَا، وَيَخْتِلَهَا رَاصِدُهَا؛ وَلٰكِنِّى أَضْرِبُ بِالْمُقْبِلِ إِلَى الْحَقِّ الْمُدْبِرَ عَنْهُ، وَبِالسَّامِعِ الْمُطِيعِ الْعَاصِيَ الْمُرِيبَ أَبَدًا، حَتَّى يَأْتِيَ عَلَيَّ يَوْمِي. فَوَٱللهِ مَازِلْتُ مَدْفُوعًا عَنْ حَقِّي مُسْتَأْثَرًا عَلَيَّ مُنْذُ قَبَضَ ٱللهُ نَبِيَّهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حَتَّى يَوْمِ النَّاسِ هٰذَا.

---

١ ـ في ش: استدراك.

اقول :

المنقول انّ الذى اشار عليه بذلك كان ابنه الحسن عليه[1] السلام.

واللّدْم بسكون الدال: ضرب الحجر او غيره على الارض و ليس بالقوىّ. و يحكى انّ الضّبع تستغفل فى جحرها بمثل ذلك لتسكن حتى تصطاد. والختل: الخديعة، والاستيثار بالشىء: الانفراد به، و مفهوم التشبيه انّه لو اخّر القتال لكان ذلك سبباً لتمكّن الخصم من خداعه. والمريب: الشاكّ فى وجوب طاعته. و فسّر الأبد: بمدّة العمر لانّه الأبد الممكن له واردف ذلك بالشّكاية فى دفعه عن حقّه والاستبداد به دونه من حين قبض رسول الله.

٧ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

اتَّخَذُوا الشَّيْطَانَ لِأَمْرِهِمْ مِلاَكاً، وَاتَّخَذَهُمْ لَهُ أَشْرَاكاً، فَبَاضَ وَفَرَّخَ فِي صُدُورِهِمْ، وَدَبَّ وَدَرَجَ فِي حُجُورِهِمْ، فَنَظَرَ بِأَعْيُنِهِمْ، وَنَطَقَ بِأَلْسِنَتِهِمْ فَرَكِبَ بِهِمُ الزَّلَلَ وَزَيَّنَ لَهُمُ الْخَطَلَ، فِعْلَ مَنْ قَدْ شَرَّكَهُ الشَّيْطَانُ فِي سُلْطَانِهِ وَنَطَقَ بِالْبَاطِلِ عَلَى لِسَانِهِ.

اقول: روى ملاكا: و ملاك الأمر ما يقوم به. والاشراك جاز ان يكون جمع شريك كشريف وأشراف، او جمع شرك و هو: حبائل الصائد[2]. والفصل ذمّ للمخالفين له و استعار لهم لفظ الاشراك باعتبار انّهم اسباب لدعوة الخلق الى مخالفة الحق، فكان الشيطان يصطاد الخلق بواسطة طاعتهم له و تصرّفه فيهم. ووصف البيض والافراخ له باعتبار ملازمته لصدورهم ملاحظا فى ذلك تشبهه بالطائر و تشبيه صدورهم بالوكر. و وصف الدبيب والدّرج له باعتبار ملازمته لهم كالولد لحجر والده، و كنّى بنظره بأعينهم، و نطقه بألسنتهم عن وجوه تصرّفه فيهم و ركوبه بهم الزلل و تزيينه لهم الخطل و هو: الفاسد من القول اشارة الى ثمرة متابعته. وانتصب فعل على المصدر اى: فعلوا كذلك[3].

---

١ - نسخة ش بزيادة: الصلاة.   ٢ - في ش: الصيد.

٣ - نسخة ش: ذلك.

٨ ـ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

يعنى به الزبير فى حال اقتضت ذلك

يَزْعُمُ أَنَّهُ قَدْ بَايَعَ بِيَدِهِ وَ لَمْ يُبَايِعْ بِقَلْبِهِ؛ فَقَدْ أَقَرَّ بِالْبَيْعَةِ، وَ ادَّعَى الْوَلِيجَةَ فَلْيَأْتِ عَلَيْهَا بِأَمْرٍ يُعْرَفُ؛ وَإِلاَّ فَلْيَدْخُلْ فِيمَا خَرَجَ مِنْهُ.

أقول :

الوليجة: الدخيلة فى الأمر. و اصل الفصل احتجاج على الزّبير بلزوم البيعة له، و اشار الى غدر الزبير و هوزعمه انّه بايع بيده و لم يبايعه بقلبه، و هوالتعريض فى العهود والايمان وهماً من الزّبير انّ ذلك امر تقبله الشريعة، وأجابه عليه[1] السلام بضمير صغراه، قوله: فقد اقرّ بالبيعة وادّعى الوليجة اى: اقرّبما يلزمه شرعاً وادّعى انّه اضمر فى باطنه ما يفسده، و تقدير الكبرى و كل من فعل ذلك احتاج الى بيّنة لدعواه. و اشارالى النتيجة بقوله: فليأت الى آخره.

٩ ـ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

وَقَدْأَرْعَدُواوَأَبْرَقُوا، وَمَعَ هٰذَيْنِ الأَمْرَيْنِ الْفَشَلُ؛وَلَسْنَانُرْعِدُحَتَّى نُوقِعَ،وَلاَنُسِيلُ حَتَّى نُمْطِرَ.

اقول :

الاشارة الى اصحاب الجمل فى معرض ذمّهم. والارعاد والابراق: كنايتان عن التهدّد والوعيد الصادر منهم له. والفشل: الضعف و اراد انّ مع وعيدهم و تهديدهم ضعفهم عمّا توعّدوا به من الحرب: وكما انّ فضيلة السحاب أن يقترن وقوع المطر منه برعده و برقه وسيله بمطره، اشار الى انّه: كذلك فى مقارنة وعيده لهم بايقاع الحرب بهم وسيل عذابه لهم بامطاره عليهم.

---

١ ـ في ش بزيادة: الصلاة.

١٠ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

اَلاَ وَ إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ جَمَعَ حِزْبَهُ، وَاسْتَجْلَبَ خَيْلَهُ وَ رَجْلَهُ، وَ إِنَّ مَعِي لَبَصِيرَتِي: مَالَبَّسْتُ عَلَى نَفْسِي، وَلاَلُبِسَ عَلَيَّ. وَ ايْمُ اللهِ لأُفْرِطَنَّ لَهُمْ حَوْضاً أَنَا مَاتِحُهُ: لاَيَصْدُرُونَ عَنْهُ، وَلاَيَعُودُونَ إِلَيْهِ.

اقول :

مداره على ثلاثة امور:

اوّلها: الذمّ لأصحاب الجمل والتنفير عنهم بكونهم من حزب الشّيطان. والاستجلاب بمعنى: الجمع.

والثانى، التنبيه على فضيلة نفسه وعدم جواز التلبيس منه و عليه بشبهة قتل عثمان و نحوه، و هو قوله: و انّ معى الى قوله: عليّ.

والثالث، الوعيد لهم بالحرب المهلكة. واستعار وصف افراط الحوض و هو ملأه: لجمع الجند، و تهيّئة اسباب الحرب، يقال: افرطت الحوض افرطه بالضمّ اى: ملئته. و ماتحه: مستقى الماء منه[1]. و كنّى به عن كونه هوالمتولّى لذلك بنفسه. و عنى بقوله: لايصدرون عنه انّ الوارد منهم لاينجو فهو كمن يغرق فيه. و بقوله: و لايعودون اليه انّ من نجا منهم لايطمع فى مثل ما طمعوا فيه خوفاً فلايعود. واصل ايم: ايمن، جمع يمين حذفت النون تخفيفاً كما فى قوله: لم يك. وقيل: هواسم برأسه وضع للقسم والحقيقة[2] في النّحو.

١١ - وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

لابنه محمد بن الحنفية لمّا أعطاه الرّاية يوم الجمل

تَزُولُ الْجِبَالُ وَلاَ تَزُلْ عَضَّ عَلَى نَاجِذِكَ ، أَعِرِ اللهَ جُمْجُمَتَكَ ، تِدْ فِي الْأَرْضِ

١ - في نسخة ش: يستقى فيه.

٢ - في ش: و تحقيقه في النحو.

قَدَمَكَ ، اَرْمِ بِبَصَرِكَ أَقْصَى الْقَوْمِ، وَغُضَّ بَصَرَكَ ، وَاَعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مِنْ عِنْدِاللهِ سُبْحَانَهُ.

اقول :

اشار الى آداب الحرب فنهى عن الفرار واكّده، والتقدير لو زالت الجبال لا تزل، و هى نهى على تقدير أمر محال، و ذلك مستلزم النهى على كل حال بطريق الاولى.

والناجذ: السّن بين الناب والضرس،وللعّض عليه فائدتان، احداهما ربط الجأش و تماسك اجزاء البدن المتجزّية. والثّانية تصلّب عضل الرأس فيقاوم[1] ما عساه يقع من الضرب فيه. واستعار وصف اعارة جمجمته لله، قال: و من ذلك تثبيت لمحمّد رضى الله عنه، واشعار له بانّه لايقتل في ذلك الحرب. و تِد في الأرض قدمك ، اى: اجعله كالوتد في الثّبات. و فائدة رميه ببصره اقصى القوم: ان يعلم على ماذا يقدم. وغضّ بصره بعد ذلك : ليكون علامة للسكينة و لانّ ادامة النّظر الى وقوع السّيوف مظنّة الرهبة و ربّما خيف على البصر و برهان علمه بانّ النصر من الله قوله تعالى : (إنْ تَنْصُروا الله يَنْصُرْكُمْ[2]) و نحوه.

١٢ ـ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

لـمّا أظفره الله بأصحاب الجمل، و قد قال له بعض أصحابه: وددت أنّ أخى فلانا كان شاهدنا ليرى ما نصرك الله به على أعدائك فَقَالَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ: أَهَوَى أَخِيكَ مَعَنَا؟ فَقَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَقَدْ شَهِدَنَا وَلَقَدْ شَهِدَنَا فِي عَسْكَرِنَا هَذَا أَقْوَامٌ فِى أَصْلاَبِ الرِّجَالِ وَأَرْحَامِ النِسَاءِ، سَيَرْعُفُ بِهِمُ الزَّمَانُ، وَيَقْوَى بِهِمُ الاْيمَانُ

اقول :

أراد بالحضور: الحضور القوّى، او انّ محبّته قائمة مقام حضوره، والشّهود: من كان

---

١ ـ في ش: يتقاوم.

٢ ـ سورة محمد ـ ص ـ / ٧.

بعد في الامكان و قوّة أن يشهد نصرته من شيعته اذ هو بمنزلة الحاضر اطلاقا للفظ ما بالفعل على ما بالقوّة مجازاً. و استعار لفظ الرعاف لوجودهم و نسبه الى الزمان لكونه من اسباب وجودهم.

١٣ - وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام
فى ذمّ أهلِ البصرة

كُنْتُمْ جُنْدَ الْمَرْأَةِ، وَ أَتْبَاعَ الْبَهِيمَةِ: رَغَا فَأَجَبْتُمْ، وَ عُقِرَ فَهَرَبْتُمْ، أَخْلاَقُكُمْ دِقَاقٌ، وَعَهْدُكُمْ شِقَاقٌ، وَ دِينُكُمْ نِفَاقٌ، وَمَاؤُكُمْ زُعَاقٌ، وَالْمُقِيمُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ مُرْتَهَنٌ بِذَنْبِهِ، وَالشَّاخِصُ عَنْكُمْ مُتَدَارَكٌ بِرَحْمَةٍ مِنْ رَبِّهِ، كَأَنِّي بِمَسْجِدِكُمْ كَجُؤْجُؤِ سَفِينَةٍ، قَدْ بَعَثَ اللهُ عَلَيْهَا الْعَذَابَ مِنْ فَوْقِهَا وَ مِنْ تَحْتِهَا وَ غَرِقَ مَنْ فِي ضِمْنِهَا

و في رواية: وَ ايْمُ اللهِ لَتَغْرَقَنَّ بَلْدَتُكُمْ حَتَّى كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَسْجِدِهَا كَجُؤْجُؤِ سَفِينَةٍ، أَوْ نَعَامَةٍ جَاثِمَةٍ.

و في رواية: كَجُؤْجُؤِ طَيْرٍ فِي لُجَّةِ بَحْرٍ.

اقول :

اراد بالمرأة: العائشة[١] اذ كانت واسطة عقدهم فى الحرب، و بالبهيمة: جملها فانّهم كانوا محيطين به مجيبين لرغائه، و هاربين لعقره. و كنّى برغائه: عن دعوتها، اوكونه سببا لاجتماعهم مادام واقفا. و دقّة اخلاقهم: صغرها و حقارتها، و اراد انّهم على رذائل الاخلاق، و شقاق العهد: نكثهم له لبيعته عليه السلام، و عهودهم مع امرائه[٢] و ولاته. والزعاق: المالح و ذكره فى معرض ذمّهم تنفيرا عنهم. وارتهان: المقيم بينهم بذنبه لاكتسابه رذائل اخلاقهم[٣] ولذلك كان الشّاخص عنهم اى: الراحل متداركا برحمة الله

---

١ - في ش: عائشة.

٢ - نسخة ش: امراة.

٣ - بزيادة كلمة - غالباً - في نسخة ش.

لسلامته من اثمهم[1]، و شبّه نفسه في مشاهدته بنور بصيرته لمسجدهم في الماء بالمشاهد لذلك، والحاضر لرؤيته بعين الحسّ في الجلاء والظهور، وجؤجوء: السّفينة، والطّائر: صدره، والجاثمة: البـاركة، والمنقول: انّ البصرة غرقت ايام القادر بالله مرّة،ومرّة في ايام القائم بامرالله غرقت باجمعها و غرق من في ضمنها، و خربت دورها حتى لم يبق الّا علوّ مسجدها الجامع حسب ما اخبر به عَليه السلام، و كان غرقها من قِبَلِ البحرو من ناحية الجبل المعروف بجبل الشّام .

ومن كلام له عليه السلام في مثل ذلك.

اَرْضُكُمْ قَرِيبَةٌ مِنَ الْمَاءِ، بَعِيدَةٌ مِنَ السَّمَاءِ، خَفَّتْ عُقُولُكُمْ وَ سَفِهَتْ حُلُومُكُمْ فَأَنْتُمْ غَرَضٌ لِنَابِلٍ، وَ أُكْلَةٌ لآكِلٍ، وَ فَرِيسَةٌ لِصَائِلٍ.

اقول :

امّا قربها من الماء فظاهر، وامّا بعدها من السّماء فقيل: اراد بالسماء المطر، فانّ امطارها قليلة. و قيل: اراد انّهم لرذالتهم بعداء عن السماء اى: الرحمة. اوسماء الجود الآلهى، و خفّة عقولهم اى: العمليّة ضعفها عن درك المصالح و تسرّعهم الى الباطل، و سفه الحلم: تبديله بضدّه واستعماله في غيرموضعه، و كنّى بكونهم غرضًا لنابل الى آخره: عن كونهم مظنّة لأطماع النّاس فيهم و قصدهم بالبلاء لضعفهم و نقصان عقولهم، و استعار لفظ الغرض والفريسة لهم.ووجه الاستعارة ظاهر.

١٤ ـ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

فيماردّه على المسلمين من قطائع عثمان

وَ اللهِ لَوْ وَجَدْتُهُ قَدْ تُزُوِّجَ بِهِ النِّسَاءُ، ومُلِكَ بِهِ الإمَاءُ، لَرَدَدْتُهُ فَإِنَّ فِي الْعَدْلِ سَعَةً، وَ

١ ـ كلمة: لسلامتهم من اثمهم. غيرموجودة في ش.

مَنْ ضَاقَ عَلَيْهِ الْعَدْلُ فَالْجَوْرُ عَلَيْهِ أَضْيَقُ.

اقول:

قد كان عثمان أقطع أقاربه من ارض بيت المال قطائع فردّها عليه السلام حين ولّى الأمر، و وجه سعة العدل: بالقياس الى الجور انّ الانسان يتمكّن من التّصرف به اكثر من التّصرف بالجور، لانّ التّصرّف بالعدل محل لرضى من يعتقد كونه مظلوماً. و رضا الظّالم لعلمه بانّه عند انتزاع الحقّ منه آخذ لما ليس له، و يؤكّد ذلك بالوعيد للظّالمين، فالظّالم و ان قام سلطانه حين انتزع الحقّ منه، و ضاق العدل عليه فهو محل الرّضى. بخلاف الجور فانّه اضيق عليه في الدنيا و الآخرة لسّد الاوامر والنّواهي الشرعيّة عليه وجوه التّصرف الباطل، وانّما انتزع منه قهرًا و لانّه اذا نزل عليه عدل اعتقد انّه اخذ منه ما ينبغي أخذه منه، واذا نزل عليه جور اعتقد انّه اخذ منه مالا ينبغي أخذه، ولا شكّ انّ اخذ مالاينبغي اخذه أصعب على النّفس وأضيق من أخذ ما ينبغي.

وخصّ قطائع عثمان دون قطائع غيره بالردّ لاختلاف غرضى الإمامين.

١٥ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

لما بويع بالمدينة

ذِمَّتِي بِمَا أَقُولُ رَهِينَةٌ وَ أَنَا بِهِ زَعِيمٌ إِنَّ مَنْ صَرَّحَتْ لَهُ الْعِبَرُ عَمَّا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْمَثُلاتِ حَجَزَتْهُ التَّقْوَى عَنْ تَقَحُّمِ الشُّبُهَاتِ. أَلَا وَ إِنَّ بَلِيَّتَكُمْ قَدْ عَادَتْ كَهَيْئَتِهَا يَوْمَ بَعَثَ اللّٰهُ نَبِيَّكُمْ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لَتُبَلْبَلُنَّ بَلْبَلَةً، وَ لَتُغَرْبَلُنَّ غَرْبَلَةً وَ لَتُسَاطُنَّ سَوْطَ الْقِدْرِ، حَتَّى يَعُودَ أَسْفَلُكُمْ أَعْلاكُمْ وَ أَعْلاكُمْ أَسْفَلَكُمْ؛ وَلَيَسْبِقَنَّ سَابِقُونَ كَانُوا قَصَّرُوا، وَ لَيُقَصِّرَنَّ سَبَّاقُونَ كَانُوا سَبَقُوا، وَاللّٰهِ مَا كَتَمْتُ وَشْمَةً، وَلَا كَذَبْتُ كِذْبَةً، وَلَقَدْ نُبِّئْتُ بِهٰذَا الْمَقَامِ وَ هٰذَا الْيَوْمِ؛ أَلَا وَ إِنَّ الْخَطَايَا خَيْلٌ شُمُسٌ حُمِلَ عَلَيْهَا أَهْلُهَا وَ خُلِعَتْ لُجُمُهَا فَتَقَحَّمَتْ بِهِمْ فِي النَّارِ أَلَا وَ إِنَّ التَّقْوَى مَطَايَا ذُلُلٌ؛ حُمِلَ عَلَيْهَا أَهْلُهَا وَأُعْطُوا أَزِمَّتَهَا، فَأَوْرَدَتْهُمُ الْجَنَّةَ، حَقٌّ وَبَاطِلٌ، وَ لِكُلٍّ أَهْلٌ، فَلَئِنْ أَمِرَ الْبَاطِلُ لَقَدِيمًا فَعَلَ، وَ لَئِنْ قَلَّ

الْحَقُّ فَلَرُبَّمَا وَ لَعَلَّ و لَقَلَّمَا أَدْبَرَ شَيْءٌ فَأَقْبَلَ قال الشريف: أَقُولُ: إنَّ فِي هٰذَا الْكَلَامِ الْأَدْنَى مِنْ مَوَاقِعِ الْإِحْسَانِ مَالَا تَبْلُغُهُ مَوَاقِعُ الْإِسْتِحْسَانِ، وَ إِنَّ حَظَّ الْعَجَبِ مِنْهُ أَكْثَرُ مِنْ حَظِّ الْعَجَبِ بِهِ؛ وَفِيهِ. مَعَ الْحَالِ الَّتِي وَصَفْنَا زَوَائِدُ مِنَ الْفَصَاحَةِ لَايَقُومُ بِهَا لِسَانٌ، وَلَايَطَّلِعُ فَجَّهَا إِنْسَانٌ، وَلَايَعْرِفُ مَا أَقُولُ إلَّا مَنْ ضَرَبَ فِي هٰذِهِ الصِّنَاعَةِ بِحَقٍّ، وَ جَرَى فِيهَا عَلَى عِرْقٍ. (وَ مَا يَعْقِلُها إِلَّا الْعَالِمُونَ).

اقول :

الذّمة: العهد. والزّعيم: الكافل. والمثلات: العقوبات. والحجز: المنع. وتقحّم في الأمر: رمى بنفسه فيه. واشار الى وجوب الاعتبار لوجوب التّقوى. وانّ العبرة بما تفعله الدنيا من عقوبة من اغترّبها و تبدّل حالاتها عليهم مستلزمة في المعتبر تصوّر مثل ذلك في نفسه، و ذلك مستلزم لافاضة تقوى الله عليه، المستلزمة لتوقّفه وامتناعه من أن يلقى نفسه في تلك الأمور الزّائلة والشّبهات الباطلة، وهي احوال الدنيا المشبهة للحقّ والعقل، الخارج من اسرالهوى قويّ على نقدالحق و تمييزه من الشّبهات، واكّد ذلك برهن ذمّته و كفالته به.

ثم نبهّهم على انّهم في الشبهات مغمورون ليبادروا الى تقوىالله و هو قوله: (الا وانّ بليّتكم قد عادت)، و اراد بالبليّة: ما هم عليه من اختلاف الأهواء عن الشبهات الّتي يلقيها اليهم الشّيطان، و ذلك أمر يشبه ما كانوا عليه حين بعثة الرّسول صلّى الله عليه وآله، ثم توعّدهم بعاقبة ذلك و نزول ثمرته بهم، و البلبلة: الاختلاط. والغربلة: نخل الدقيق و غيره، و ذلك اشارة الى ما يفعله بنو اميّة بهم من خلط بعضهم ببعض، و رفع أراذلهم و حط أكابرهم، كما يفعل بالقدر سائطها. ولفظ الغربلة: مستعار لالتقاط احادهم بالقتل والاذى كما فعلوا بكثير من الصّحابة والتّابعين.

و قوله: وليسبقنّ، الى قوله: سبقوا، : اشارة الى ما علمه من اسرار القدر في تقصير من كان له سبق في الدّين، و تقدّم رتبة فيه، او الى سبق من كان قصر فيه في اوّله أوسبق من كان قاصرًا في اوّل الاسلام عن الخلافة والامارة في آخرالزّمان اليها، و بقصر من سبق اليها عن بلوغها. ثم اشار الى ذلك الاخبار انّه مما أخبر به النّبي صلّى الله عليه وآله،

واقسم انّه لم يكتم منه و شمة اى: كلمة مما اخبره به و تعيّن عليه ان يوثره عنه. والوشمة بالشين المعجمة: الكلمة، و انّه لم يكذب فيه، و هذا المقام مقام بيعة الخلق له، و هذا اليوم اى: يوم اجتماعهم عليه، واستعار لفظ الخيل: بوصف الشماس، و خلع اللجم للخطايا باعتبار ورودهم بها النار بسرعة كالفرس الجموح براكبه المتقحم[1] به في المهالك. و لفظ المطايا: بضد تلك الأوصاف للتقوى الموصلة لصاحبها الى الجنّة كراكب المطيّة الذّلول يصل الى غايته بها بسهولة واختيار.

و قوله: حقّ و باطل، اى: في الوجود فلكل واحد منهما اهل كقول النبى صلّى الله عليه وآله: «كلّ ميسر لما خلق له». و قوله: فلئن امرالباطل اى: كثر الى قوله: و لعلّ، كالاعتذار لنفسه و لأهل الحقّ في قلّته، و توبيخ لأهل الباطل على كثرته. و في قوله: ربّما و لعلّ ترجّ، و اطماع لعود الحقّ الى الكثرة بعد قلّته ترغيبًا في لزومه كيلا يضمحل بالتخاذل عنه، والاحسان في كلام السيد: مصدر أحسن اذا فعل حسنًا، و مواقع الاحسان: الكلمات الحسنة منه[2]، و مواقع الاستحسان: الكلم المستحسنة له، لأنّها لا تبلغ محاسن كلامه ولا تحيط بها. وقوله: و ان حظّ الى قوله: به، اى: انّ تعجب الفصحاء من حسنه أكثر من عجبهم بأنفسهم باستخراج محاسنه، لأنّ فيه محاسن لايمكنهم التعبير عنها، و ان تعجبوا منها.

و من هذه الخطبة:

شُغِلَ مَنِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ أَمَامَهُ، سَاعٍ سَرِيعٌ نَجَا، وَ طَالِبٌ بَطِيءٌ رَجَا، وَ مُقَصِّرٌ فِي النَّارِ هَوَى. الْيَمِينُ وَالشِّمَالُ مَضَلَّةٌ، وَالطَّرِيقُ الْوُسْطَى هِيَ الْجَادَّةُ عَلَيْهَا بَاقِي الْكِتَابِ وَ آثَارُ النُّبُوَّةِ، وَ مِنْهَا مَنْفَذُ السُّنَّةِ، وَ إِلَيْهَا مَصِيرُ الْعَاقِبَةِ؛ هَلَكَ مَنِ ادَّعَى، وَ خَابَ مَنِ افْتَرَى. مَنْ أَبْدَى صَفْحَتَهُ لِلْحَقِّ هَلَكَ، وَ كَفَى بِالْمَرْءِ جَهْلاً أَنْ لاَيَعْرِفَ قَدْرَهُ لاَيَهْلِكُ عَلَى التَّقْوَى سِنْخُ أَصْلٍ، وَلاَيَظْمَأُ عَلَيْهَا زَرْعُ قَوْمٍ. فَاسْتَتِرُوا بِبُيُوتِكُمْ، وَ أَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ، وَالتَّوْبَةُ مِنْ وَرَائِكُمْ، وَلاَيَحْمَدْ حَامِدٌ إِلَّا رَبَّهُ، وَلَا يَلُمْ لاَئِمٌ إِلَّا نَفْسَهُ.

---

١ ـ نسخة ش: المقتحم.

٢ ـ نسخة ش: له.

اقول :

معنى القضيّة الأولى انّ من كانت الجنّة والنّار امامه كان له بهما شغل عن غيرهما، و شغله بهما ملاحظتهما والهمّة بما يكون وسيلة اليهما، واستعار لفظ الامام لهما: باعتبار كونهما غايتين ينتهي اليهما، و بناء الفعل للمفعول اذالغرض ذكر الشغل دون المشغِل. و قوله: ساع، الى قوله: النار: قسمة للناس بالنسبة الى ما وجب عليهم من الشغل المشار اليه الى ثلا ثة اقسام و وجه القسمة انّ الناس امّا طالبون لله ولما عنده، او غير الطّالبين، والطّالبون امّا مجتهدون في الوصول اليه، او متأنون، والاوّل هم السابقون المقرّبون. والثالث المقصّرون الذين وقف بهم الشيطان حيث اراد، و ظاهر كونهم في النار. و امّا الثاني فذو وصفين يتجاذبانِهِ من جهتي السّفالة والعلوّ فسلوكه الى الله و ان ضعف جاذب له الى الجنّة، ويدالشّيطان جاذبة له الى النّار الّا انّ رجاءه لله و مسكنه به اذا انضاف الى حركته البطيئة في سبيل الله كانت السّلامة عليه اغلب.

و انّما خصّ الثاني بالرجاء لانّه عمدته دون عمله لضعفه، و نحوه قوله تعالى: (فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَ مِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَ مِنْهُمْ سابِقٌ بِالْخَيراتِ بِاذنِ الله)[1]. و قوله: اليمين والشمال[2] الى آخره، الجادّة: اشار باليمين والشمال الى طرفي الافراط والتفريط من الفضائل النفسانية، والطرق الوسطى الى العدل منهما. و هوالحصول على نفس الفضيلة من غير انحراف عنها الى اطراف الرذائل منها وهي الصراط المستقيم في الدنيا[3]، والجادّة الواضحة لمن اهتدى و عليها باقي الكتاب الكريم من المقاصد الالهية: وآثارالنبوّة، و منقذ السنّة: اى طريقها و مخرجها و اليها تصير عاقبة الخلق في الدّنيا والآخرة، فانّ من العدل بدأت السنّة و انتشرت في الخلق،و اليه مرجع امورهم وعواقبها.

قوله: هلك من ادّعى: تعريض لِمعاوية و دعواه الامامة، واللّفظ عام، خرج على سبب خاص اى: هلك من ادّعى ما ليس له بحق و خاب من كذب في دعواه، والخيبة: دعاء او خبر بعدم حصول الخير في الآخرة. و قوله: من ابدى، الى قوله: قدره، أراد من

---

١ ـ سورة فاطر / ٣٢.

٢ ـ بزيادة ـ مضلة ـ في نسخة ش.

٣ ـ في ش: والاخرة.

تجرّد لاظهار الحق في مقابلة كل باطل سمعه او رآه من الجاهلين و حملهم على مرّالحق و صعبه في كلّ وقت كان في مظنّة الهلاك بأيديهم وألسنتهم، وكانّه ايماء الى نفسه في معرض الاعتذار في مقابلة معاوية وغيره على باطلهم، وجهل المرء بقدره و مرتبته من النّاس جهل فاحش لاستلزامه رذائل صعبة كالعُجب والكبر و نحوهما من المهلكات.

و قوله: لايهلك، الى قوله: قوم: فالسنخ الاصل و ذلك لانّ التقوى كالارض الحرّة لايهلك ما غرس من اصل، و كالماء العذب ما يظمأ عليه ما زرع و هو ترغيب فيها لغاية ما يثمره من الخير الاخروى، و امرهم بالاستتار ببيوتهم اى: لزومها قطعاً لمادة الفتنة من الاجتماع للمنافرات والمفاخرات، و نبّههم على الرجوع الى التّوبة و انّها مقبولة منهم و كونها وراءهم باعتبار رجوع العاصى اليها عمّا هو متوجّه بقلبه اليه من المعصية. و قيل: وراء بمعنى: امام والاوّل اشبه.

١٦ ـ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

فى صفة من يتصدى للحكم بين الأمة و ليس لذلك بأهل

إنَّ أبْغَضَ الْخَلائِقِ إلَى اللهِ رَجُلانِ: رَجُلٌ وَكَلَهُ اللهُ إلَى نَفْسِهِ فَهُوَ جَائِرٌ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ، مَشْغُوفٌ بِكَلَامِ بِدْعَةٍ، وَ دُعَاءِ ضَلالَةٍ، فَهُوَ فِتْنَةٌ لِمَنِ افْتَتَنَ بِهِ، ضَالٌّ عَنْ هَدْىِ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ، مُضِلٌّ لِمَنِ اقْتَدَى بِهِ فِي حَيَاتِهِ وَ بَعْدَ وَفَاتِهِ، حَمَّالٌ خَطَايَا غَيْرِهِ، رَهْنٌ بِخَطِيئَتِهِ. وَرَجُلٌ قَمَشَ جَهْلاً مُوضِعٌ فِي جُهَّالِ الْأُمَّةِ عَادٍ فِي أغْبَاشِ الْفِتْنَةِ، عَمٍ بِمَا فِي عِقْدِ الْهُدْنَةِ قَدْ سَمَّاهُ أشْبَاهُ النَّاسِ عَالِمًا وَلَيْسَ بِهِ، بَكَّرَ فَاسْتَكْثَرَ مِنْ جَمْعٍ مَاقَلَّ مِنْهُ خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ، حَتَّى إذَا ارْتَوَى مِنْ آجِنٍ، وَ اكْتَنَزَ مِنْ غَيْرِ طَائِلٍ؛ جَلَسَ بَيْنَ النَّاسِ قَاضِيًا ضَامِنًا لِتَخْلِيصِ مَا الْتَبَسَ عَلَى غَيْرِهِ؛ فَإنْ نَزَلَتْ بِهِ إحْدَى الْمُبْهَمَاتِ هَيَّأَ لَهَا حَشْوًا رَثًّا مِنْ رَأْيِهِ، ثُمَّ قَطَعَ بِهِ، فَهُوَ مِنْ لَبْسِ الشُّبُهَاتِ فِي مِثْلِ نَسْجِ الْعَنْكَبُوتِ: لَايَدْرِى أصَابَ أمْ أخْطَأَ: فَإنْ أصَابَ خَافَ أنْ يَكُونَ قَدْ أخْطَأَ، وَ إنْ أخْطَأَ رَجَا أنْ يَكُونَ قَدْ أصَابَ، جَاهِلٌ خَبَّاطُ جَهَالاتٍ عَاشٍ رَكَّابُ عَشَوَاتٍ لَمْ يَعَضَّ عَلَى الْعِلْمِ بِضِرْسٍ قَاطِعٍ يُذْرِى الرِّوَايَاتِ إذْرَاءَ الرِّيحِ الْهَشِيمِ لَامَلِيءٌ وَاللهِ بِإصْدَارِ مَاوَرَدَ عَلَيْهِ، وَلَاهُوَ أهْلٌ لِمَا فُوِّضَ إلَيْهِ لَايَحْسَبُ الْعِلْمَ

فِي شَيْءٍ مِمَّا أَنْكَرَهُ، وَلاَيَرَى أَنَّ مِنْ وَرَاءِ مَا بَلَغَ مَذْهَبًا لِغَيْرِهِ، وَإِنْ أَظْلَمَ أَمْرٌ اكْتَتَمَ بِهِ لِمَا يَعْلَمُ مِنْ جَهْلِ نَفْسِهِ، تَصْرُخُ مِنْ جَوْرِ قَضَائِهِ الدِّمَاءُ، وَتَعِجُّ مِنْهُ الْمَوَارِيثُ إِلَى اللهِ أَشْكُو مِنْ مَعْشَرٍ يَعِيشُونَ جُهَّالاً، وَيَمُوتُونَ ضُلاَّلاً لَيْسَ فِيهِمْ سِلْعَةٌ أَبْوَرُ مِنَ الْكِتَابِ إِذَا تُلِيَ حَقَّ تِلاَوَتِهِ، وَلاَسِلْعَةٌ أَنْفَقُ بَيْعًا وَلاَأَغْلَى ثَمَنًا مِنَ الْكِتَابِ إِذَا حُرِّفَ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَلاَ عِنْدَهُمْ أَنْكَرُ مِنَ الْمَعْرُوفِ، وَلاَأَعْرَفُ مِنَ الْمُنْكَرِ.

أقول:

البغض من الله يعود الى علمه بمخالفة العبد لأوامره، واطلاقه مجازاً إطلاقًا لاسم اللازم على ملزومه. و وكّله الله الى نفسه، جعل اعتماده عليها، و مشغوف: معجب. والقمش: الجمع. والموضع بكسر الضاد: المسرع اى: انّه يسرع في جهالّ الامة الى مايسرعون اليه. و روى موضع بفتحها اى: انّه ليس من اشراف الناس و اغباش الفتنة: اوائل ظلماتها، و روى غار اى: غافل في ظلمات الخصومات لايهتدى لوجه تخليصها. و روى اغطاش الفتنة والغطش ايضا: الظلمة. والهدنة: الصلح اى: اعمى البصيرة عن وجه المصلحة في المصالحة بين الناس، واشباه الناس: الجهّال المشبّهون للكاملين[1] في الصورة الحسّية دون الصّورة التمامية الّتى هي كمال العلوم، و مكارم الاخلاق. و روى جمع منوّنا على انّ الجملة بعده صفة له، «و ما» مصدرية او بمعنى: الّذى، و جمع بمعنى: مجموع. و روى مضافا و يقدر أن بعد ما على طريقة قولهم: تسمع بالمعيدى خير من أن تراه[2]. و استعار وصف التبكير: للسبق في اوّل العمر الى جميع الشبهات، و الآراء الباطلة. و استعار لفظ الماء الآجن: للجهل و الاعتقادات الفاسدة، ووصف الارتواء لتَمَلّيهِ منها، والمبهمات: القضايا الملتبسة التى تدقّ فيها الحق. والحشو: الكلام الكثير لافائدة فيه. والرثّ: الضعيف. و نسج العنكبوت: مثل للامور الواهية، و وجه التمثيل انّ ذهن الجاهل اذا قصد حلّ مبهمة[3] كثرت عليه الشبهات فيلتبس على ذهنه

١ ـ في ش: الكامل.

٢ ـ مثل يضرب. مجمع الامثال ١/ ١٢٩.

٣ ـ في ش: مهمة.

وجه الحق، ولا يخلص اليه منها فمثله فى الشّبهات الواهية كالذباب فى نسج العنكبوت لايتمكن على ضعفه ان يتخلص منه. و خباط جهالات: كثيرالخبط فيها. و روى جهلات[1] جمع جهلة: فعلة من الجهل. والعشوة: مصدر قولك عشوت ضوء النّار اذا تبيّنته على ضعف واراد: انّه لايستنتج نور الحقّ في ظلمات الشّبهات الاّ على ضعف لنقصان ضوء بصيرته. و لم يعضّ على العلم بضرس قاطع: كناية عن عدم اتقانه للقوانين الشرعيّة، واصله انّ الانسان يمضغ الشيء ثم لايجيد مضغه.

و اذ راؤه للروايات تصفّحها و قراءتها مع عدم فهمها و الانتفاع بها، و كونه لايحسب العلم فى شيء مما انكره، اى : لايعدّه شيئا ولايدخله فى الحساب بل ينكره كسائر ما انكره، وأراد علم الاصوليين و غيرهما دون الفروع. و روى يحسب بكسر السين من الحساب و هو: الظنّ اى: لايظن العلم الذى هو وراء اعتقاده فضيلة يجب اعتقادها. و استعار وصف الصراخ، والعجيج، و هو: رفع الصوت لنطق الدّماء، والمواريث بلسان حالها متظلّمة شاكية. و يحتمل ان يريد اهل الدّماء فحذف المضاف: و الى الله اشكو، او ابرأ. و قوله: ليس فيهم، الى آخره، اى: اذا فسر الكتاب على وجهه رخص عندهم واطرحوه لمخالفته اغراضهم، و اذا حرّف عن مواضعه و وافق اغراضهم شروه بأغلى ثمن. ولاانكر من المعروف لقلّته و عدمه بينهم،ولااعرف من المنكر لكثرة وجوده والفهم له.

١٧ ـ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

في ذمّ اختلاف العلماء في الفتيا

تَرِدُ عَلَى أَحَدِهِمُ الْقَضِيَّةُ فِي حُكْمٍ مِنَ الْأَحْكَامِ فَيَحْكُمُ فِيهَا بِرَأْيِهِ، ثُمَّ تَرِدُ تِلْكَ الْقَضِيَّةُ بِعَيْنِهَا عَلَى غَيْرِهِ فَيَحْكُمُ فِيهَا بِخِلاَفِهِ، ثُمَّ يَجْتَمِعُ الْقُضَاةُ بِذٰلِكَ عِنْدَ الْإِمَامِ الَّذِي اسْتَقْضَاهُمْ فَيُصَوِّبُ آرَاءَهُمْ جَمِيعًا، وَإِلٰهُهُمْ وَاحِدٌ وَنَبِيُّهُمْ وَاحِدٌ! وَكِتَابُهُمْ وَاحِدٌ! أَفَأَمَرَهُمُ اللهُ تَعَالَى بِالاِخْتِلاَفِ فَأَطَاعُوهُ؟ أَمْ نَهَاهُمْ عَنْهُ فَعَصَوْهُ؟ أَمْ أَنْزَلَ اللهُ دِينًا نَاقِصًا فَاسْتَعَانَ بِهِمْ عَلَى إِتْمَامِهِ؟ أَمْ كَانُوا شُرَكَاءَهُ فَلَهُمْ أَنْ يَقُولُوا وَ عَلَيْهِ أَنْ يَرْضَى؟ أَمْ أَنْزَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ

---

١ ـ بزيادة ـ وجهالات ـ في ش.

دِينًا تَامًّا فَقَصَّرَ الرَّسُولُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَنْ تَبْلِيغِهِ وَأَدَائِهِ، وَٱللهُ سُبْحَانَهُ يَقُولُ: (مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ) وَقَالَ: (فِيهِ تِبْيَانٌ لِكُلِّ شَيْءٍ) وَ ذَكَرَ أَنَّ الْكِتَابَ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَأَنَّهُ لَا ٱخْتِلَافَ فِيهِ فَقَالَ سُبْحَانَهُ: (وَ لَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ ٱللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ ٱخْتِلَافًا كَثِيرًا). وَ إِنَّ الْقُرْآنَ ظَاهِرُهُ أَنِيقٌ وَ بَاطِنُهُ عَمِيقٌ، لَا تَفْنَى عَجَائِبُهُ، ولا تنقضي غرائِبُهُ وَلَا تُكْشَفُ الظُّلُمَاتُ إِلَّا بِهِ.

أقول :

فى هذا الفصل تصريح بانّه عليه[1] السلام كان يرى إنّ الحقّ فى جهة، وانّه ليس كلّ مجتهد فى الفروع مصيبًا كما يراه الجمهور من الاصوليين، والمسألة مشهورة فى اصول الفقه.

و قوله: ترد، الى قوله: جميعًا: صورة حالهم التى ينكرها، و هو قوله: وإلههم، الى قوله: واحد شروع فى بطلان مايرونه، وهو صغرى ضمير تقدير كبراه و كلّ قوم كانوا كذلك فلايجوز ان يختلفوا فى حكم شرعىّ، و تكون آرائهم المختلفة صائبة. وقوله: فأمرهم الله، الى آخره: بيان للصغرى و تقديره انّ ذلك الاختلاف امّا ان يكون بأمر من الله أطاعوه فيه، أوبنهى منه عصوه فيه، او بسكوت عن الأمرين، وعلى التقدير الثالث فجواز اختلافهم فى دينه. والحاجة الى ذلك امّا ان يكون مع نقصانه اومع تمامه. و تقصير الرّسول فى أدائه وعلى الوجه الاوّل فالاختلاف انّما يجوز على أحد وجهين: امّا ان يكون ذلك الاختلاف تماما لذلك النقصان، اوعلى وجه أعم من ذلك و هو كونهم شركاؤه فى الدين فعليه ان يرضى بما يقولون، و لهم ان يقولوا اذ شأن الشّريک ذلك ، فهذه وجوه خمسة. و حصر الاقسام الثلاثة الاخيرة ثابت بحسب استقراء وجوه الحاجة الى الاختلاف، والاقسام كلها باطلة. واشار الى بطلانها ببقية الكلام.

امّا بطلان الاوّل فلانّ مستند الدّين هو كتاب الله و هويصدّق بعضه بعضاً، فلا اختلاف فيه فلايكون مبدءًا للاختلاف فليس اختلافهم مستنداً الى الكتاب فلا يكون من الدين. و امّا الثّانى فلانّ عدم جواز المعصية لله بالاختلاف مستلزم لعدم جواز

[1] ـ بزيادة ـ الصلاة ـ في ش.

الاختلاف. و امّا الثالث و هونقصان دين الله فلقوله تعالى: (ما فرّطنا فى الكتٰب مِنْ شيءٍ)[1]. وامّا الرابع والخامس فظاهر البطلان ولايمكن دعواهما، فلذلك لم يحتج الى بطلانهما، ثم نبّههم الى[2] انّ القرآن واف بجميع المطالب، اذا تدبّروا معناه فيحرم عليهم قول لايستند اليه و ذلك في قوله: ظاهره انيق اى: حسن معجب بأنواع البيان، و باطنه عميق لاينتهي الى جواهر اسراره الّا اولواالألباب، و لا تفنى الامورالمعجبة منه ولا تنقضى النكت الغريبة فيه ولا تكشف ظلمات الشبه الّابه.

١٨ ـ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

قاله للأشعث بن قيس و هو على منبر الكوفة يخطب، فمضى في بعض كلامه شيء اعترضه الأشعث فقال: ياأمير المؤمنين هذه عليك لالك فخفض عليه السلام إليه بصره ثم قال:

مَايُدْرِيكَ مَا عَلَيَّ مِمَّالِي! عَلَيْكَ لَعْنَةُ اللهِ وَلَعْنَةُ اللاَّعِنِينَ، حَائِكٌ بْنُ حَائِكٍ مُنَافِقٌ ٱبْنُ كَافِرٍ وَٱللهِ لَقَدْ أَسَرَكَ ٱلْكُفْرُ مَرَّةً وَالإِسْلاَمُ أُخْرَى فَمَا فَدَاكَ مِنْ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مَالُكَ وَ لاَحَسَبُكَ، وَ إِنَّ ٱمْرَءًا دَلَّ عَلَى قَوْمِهِ ٱلسَّيْفَ، وَ سَاقَ إِلَيْهِمُ ٱلْحَتْفَ، لَحَرِيٌّ أَنْ يَمْقُتَهُ ٱلأَقْرَبُ، وَلاَ يَأْمَنَهُ ٱلأَبْعَدُ.

قال السّيد: يريد عليه السّلام انّهُ أُسر في الكفر مرّة و فى الاسلام مرّة، وامّا قوله عليه السّلام: دلّ على قومه السّيف فأراد به حديثا كان للأشعث مع خالد بن الوليد باليمامة غرّ فيه قومه و مكربهم حتّى اوقع بهم خالد و كان قومه بعد ذلك يسمّونه «عُرْفَ النّار» وهو: اسم للغادر عندهم.

اقول: روى انّه عليه السّلام كان فى خطبته يذكر امر الحكمين، فقام اليه رجل من أصحابه، و قال: نهيتنا عن الحكومة ثم أمرتنا بها فما ندرى ايّ الأمرين ارشد؟ فصفق عليه السّلام احدى يديه على الاخرى و قال: هذا جزاء من ترك العقدة، فظنّ الاشعث انّه

---

١ ـ سورة الانعام / ٣٨.

٢ ـ في نسخة شر: على.

اراد هذا جزائيّ؟ فقال: الكلمة فأشار الى جهله بقوله: و ما يدريك اذ ليس للجاهل ان يعترض على مثله بما لايعلمه، و استحقّ اللّعن لانّه كان من المنافقين. و استعارله و لأبيه لفظ الحائك لأنّ كندة معروفة بالحياكة وهي مظنّة نقصان العقل. و قيل: لانّ الاشعث و أباه كانا ينسجان في اوّل أمرهما برود اليمن، و عيّره بهالدنائتها. قوله: و لقد أسرك ، الى قوله: حسبك : تأكيد لنقصان فطنته و انّه وجد نفسه مرّتين في الأسر[1] و لم يعقل وجه الخلاص. و ما فداك اى: لم ينجك من الوقوع ولا يحمل على الفداء بعد الأسر، لانّه فدى نفسه كما نقل.

امّا أسر الكفر له فلأنّ مرادًا لمّا قتلت أباه خرج ثائرًا بدمه فاسر، ففدى نفسه بثلاثة آلاف بعير. و امّا اسر الإسلام له فلانّه لما ارتدّ بحضر موت بعد رسول الله صلى الله عليه و آله بعث اليه ابوبكر بزياد بن ابيه،ثم بعكرمة بن ابي جهل في جيش من المسلمين فالتجأ الى حصن قومه فاسره زياد و قدم به على ابى بكر فاستبقاه و زوّجه اخته امّ فروة، و له قصّة طويلة اشرنا اليها في الاصل[2]. و قوله: وانّ امرءاً، الى قوله: الأبعد: اشارة الى غدره بقومه حين حصرهم زياد فطلب الأمان لنفسه، و لنفر يسير من قومه، فظنّ الباقون أنّه أخذ الأمان لجميعهم، فخرجوا فقتلوا صبرًا. والحتف: الهلاك.

و امّا قول السّيّد انّه اراد حديثا كان للأشعث مع خالد بن الوليد باليمامة فلم اقف على شئ من ذلك في وقائع خالد باليمامة، و حسن الظن به يقتضي صدق نقله. و امّا استعارتهم لعرف النّار فلأنّ العرف: عبارة عن كلّ عال مرتفع. و لمّا كان الغدر طباعا له و هو مستلزم للنّار صار كالعلم على النار قائدا لمن أتبعه اليها كاعلام الطريق[3].

١٩ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

فَإِنَّكُمْ لَوْ عَايَنْتُمْ مَا قَدْ عَايَنَ مَنْ مَاتَ مِنْكُمْ لَجَزِعْتُمْ وَ وَهِلْتُمْ وَسَمِعْتُمْ وَأَطَعْتُمْ وَ لكِنْ

---

١ ـ نسخة ش هكذا: لنقصان فطنته اذ اوقع نفسه مرتين.

٢ ـ شرح نهج البلاغة الكبير ١/ ٣٢٥.

٣ ـ في ش: كالاعلام للطريق.

مَحْجُوبٌ عَنْكُمْ مَاقَدْ عَايَنُوا، وَقَرِيبٌ مَا يُطْرَحُ الْحِجَابُ، وَلَقَدْ بُصِّرْتُمْ إِنْ أَبْصَرْتُمْ، وَأُسْمِعْتُمْ إِنْ سَمِعْتُمْ، وَهُدِيتُمْ إِنِ اهْتَدَيْتُمْ، بِحَقٍّ أَقُولُ لَكُمْ لَقَدْ جَاهَرَتْكُمُ الْعِبَرُ وَزُجِرْتُمْ بِمَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ، وَمَا يُبَلِّغُ عَنِ اللهِ بَعْدَ رُسُلِ السَّمَاءِ إِلَّا الْبَشَرُ.

أقول:

الوهل بالتحريك: الفزع. و روى و هلعتم، والهلع: افحش الجزع، و اعلم أنّ الإنسان مادام ملتحفا بجلباب البدن فانّه محجوب بظلمات هيأته و معارضات أوهامه و خيالا ته عن مشاهدة عالم الغيب، و ذلك الحجاب أمر قابل للزّيادة والنّقصان، والنّاس فيها على مراتب ولو قد نضى[1] هذا الجلباب و طرح عن اعين بصائرهم ذلك الحجاب، لشاهدوا من احوال الآخرة و أهوالها ما شاهده من دخل اليها كقوله تعالى: (فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد)[2] فجزعوا حينئذٍ و فزعوا و سمعوا الدّاعي لله و اطاعوا.

و قوله: و لكنْ، الى قوله: الحجاب: اشارة الى سبب غفلتهم و هوالحجب المذكورة والتّهديد بقرب زواله بالموت، و ما مصدريّة في موضع رفع بالابتداء. وقوله: ولقد بصرتم، الى قوله: اهتديتم: تنبيه على طريق الهداية و انّها قداوصلت اليهم ما ينتفع به لو انتفعوا به، و مجاهرة العبر لهم وضوحها و ظهور دلالتها، ومافيه مزدجر كالنواهي المؤكّدة بالوعيدات الهائلة والعقوبات الحاضرة كقوله تعالى: (و لقد جاءهم من الأنباء مافيه مزدجر)[3] قوله: وما يبلّغ الى آخره، أي: ليس في الامكان طريق وراء ماجذبتم به الى الله على ألسنة رسله، و ليس يمكن ان تبلّغكم رسالا ته بعد رسل السّماء وهم الملائكة الّا هم، فلاعذرلكم في التّخلّف عن دعوتهم. و بالله التوفيق.

٢٠ ـ وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

فَإِنَّ الْغَايَةَ أَمَامَكُمْ وَإِنَّ وَرَاءَكُمُ السَّاعَةَ تَحْدُوكُمْ؛ تَخَفَّفُوا تَلْحَقُوا فَإِنَّمَا يُنْتَظَرُ بِأَوَّلِكُمْ آخِرُكُمْ.

---

١ ـ في ش: ولو قد نضى عنهم هذه الجلباب.

٢ ـ سورة ق/ ٢٢.   ٣ ـ سورة القمر/ ٤.

قال السّيّد: أقول: إنّ هذا الكلام لو وزن، بعد كلام الله سبحانه و بعد كلام رسول الله صلّى الله عليه و آله، بكلّ كلام لمال به راجحاً، و برّز عليه سابقا. فأمّا قوله عليه السّلام: «تخفّفوا تلحقوا» فما سمع كلام أقلّ منه مسموعا ولا أكثر محصولا و ما أبعد غورها من كلمة و أنقع نطفتها من حكمة، و قد نبّهنا في كتاب «الخصائص» على عظم قدرها و شرف جوهرها.

أقول: أراد بالغاية حال الآخرة من جنّة تطلب، اونار تهرب عنها، ممّا هو متوجّه اليه و غاية للانسان ينتهي اليها، و بذلك الاعتبار صدق عليها انّها أمام، واستعار لفظه لها، والساعة: القيامة والموت، و كونها وراء باعتبار كونها مهروباً منها، والمهروب منه خلف الهارب، فاستعار لفظه لها و وصفها بصفة السائق وهوالحداء. و اشار بالتّخفيف الى الزّهد الحقيقي الّذي به يتخفّف المسافر الى الله من أثقال الدّنيا، و أو زارها المانعة من الصّعود الى حضرته المقدّسة، وبذلك يلحق المسافر بمنازل السّابقين الأوّلين. والكلمتان في قوّة شرط و جزاء. و قوله: فانّما ينتظر باوّلكم آخركم، اي: انّما ينتظر بالقيامة الكبرى على اوّلكم، و من سبق منكم و وصول كلّ الى ما يستحقّه من كمال رحمة او عذاب لحوق الآخرين الّذين لم يموتوا. و وصف الانتظار مستعار لكمال مطلوب الله سبحانه من الخلق باسمهم، وهو وصولهم الى ساحل عزّته اذ كان نظر عنايته اليهم واحدًا، واستعار السّيّد لفظ النّطفة، وهو الماء القليل الصّافي لما فيها من الحكمة. و بالله التّوفيق.

٢١ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

أَلَا وَ إِنَّ ٱلشَّيْطَانَ قَدْ ذَمَّرَ حِزْبَهُ، وَ ٱسْتَجْلَبَ جَلَبَهُ. لِيَعُودَ ٱلْجَوْرُ إِلَى أَوْطَانِهِ، وَيَرْجِعَ ٱلْبَاطِلُ إِلَى نِصَابِهِ. وَٱللهِ مَا أَنْكَرُوا عَلَيَّ مُنْكَرًا، وَلَا جَعَلُوا بَيْنِي وَ بَيْنَهُمْ نَصِفاً . وَ إِنَّهُمْ لَيَطْلُبُونَ حَقًّا هُمْ تَرَكُوهُ، وَ دَمًا هُمْ سَفَكُوهُ؛ فَلَئِنْ كُنْتُ شَرِيكَهُمْ فِيهِ فَإِنَّ لَهُمْ لَنَصِيبَهُمْ مِنْهُ، وَ لَئِنْ كَانُوا وَلُوهُ دُونِي فَمَا ٱلتَّبِعَةُ إِلَّا عِنْدَهُمْ، وَ إِنَّ أَعْظَمَ حُجَّتِهِمْ لَعَلَى أَنْفُسِهِمْ! يَرْتَضِعُونَ أُمًّا قَدْ فَطَمَتْ وَ يُحْيُونَ بِدْعَةً قَدْ أُمِيتَتْ!! يَا خَيْبَةَ ٱلدَّاعِي! مَنْ دَعَا؟ وَ إِلَامَ أُجِيبَ؟ وَ إِنِّي

لَرَاضٍ بِحُجَّةِ ٱللهِ عَلَيْهِمْ، وَعِلْمِهِ فِيهِمْ؛ فَإنْ أَبَوْا أَعْطَيْتُهُمْ حَدَّ ٱلسَّيْفِ وَكَفَى بِهِ شَافِيًا مِنَ ٱلْبَاطِلِ، وَنَاصِرًا لِلْحَقِّ، وَمِنَ ٱلْعَجَبِ بَعْثُهُمْ إِلَيَّ أَنْ أَبْرُزَ لِلطِّعَانِ! وَأَنْ أَصْبِرَ لِلْجِلَادِ: هَبِلَتْهُمُ ٱلْهَبُولُ لَقَدْ كُنْتُ وَمَا أُهَدَّدُ بِالْحَرْبِ، وَلَا أُرَهَّبُ بِالضَّرْبِ، وَإِنِّي لَعَلَى يَقِينٍ مِنْ رَبِّي، وَغَيْرِ شُبْهَةٍ مِنْ دِينِي.

أقول: ذمّر بالتخفيف والتّشديد: حثّ. والجلب: الجماعة من النّاس تجمع و تؤلّف، والنصاب: الأصل، والمنكر الّذى إدّعوه عليه قتل عثمان. والسكوت عن النكير على قاتليه. و لمّا كان عليه السلام بريئاً من دمه صدق انّهم ما أنكروا عليه منكرا فعله، و تركهم لذلك الحقّ، وسفكهم لذلك الدّم هو مشاركتهم فيه، فإنّ المشهور انّ طلحة كان من المحرّضين على قتله والسّاعين في ذلك.

قوله: فلئن كنت، الى قوله قبلهم: اقامة للحجّة على دفع مقالتهم، وتقديرها انّهم دخلوا في قتل عثمان، و كلّ من دخل فيه بالاستقلال او الشّركة فليس له ان يطلب غيره بدمه[1] او يطلب شريكه دون نفسه. و استعار لفظ الإرتضاع: لطلبهم منه عليه[2] السّلام ما كانوا يعهدونه من الصّلات من عثمان، ولفظ الأم: للخلافة، فبيت المال لبنها، والمسلمون أولادها المرتضعون، و وصف الفطم: لمنعه عليه[3] السّلام لهم من ذلك، والبدعة الّتي يحيونها هو التّفضيل اذ كان بخلاف سنّة رسول الله صلّى الله عليه و آله. و اماتتها: تركها. قوله: يا خيبة الدّاعي، الى قوله: اجيب: خرج مخرج التعجّب من عظم خيبة الدّعاة الى قتاله و من دعا. والي ما اجيب: استفهام على سبيل الإستحقار للمدعوّين لقتاله النّاصرين للدّاعي، اذ كانوا عوامّ النّاس، و للمدعوّ اليه و هو الباطل الّذى دعوا لنصرته، و يحتمل ان يكون لتعظيم المدعوّ الى قتالهم يعني نفسه عليه[4] السّلام. والمدعوّ اليه و هو الحرب، و حجّة الله امره الصّادر بقتال الفئة الباغية كقوله تعالى: (فإنْ بَغَتْ إحداهُما)[5] الآية، و كلّ

١ ـ عبارة ـ دخل فيه بالاستقلال اوالشركة فليس له ان يطلب غيره ـ غير موجودة في نسخة ش.

٢ ـ في ش بزيادة: الصلاة.

٣ ـ نسخة ش بزيادة: الصلاة.

٤ ـ بزيادة: الصلاة. في ش.

٥ ـ سورة الحجرات / ٩.

أمرالله او نهى له فهو حجّة له، و كلّ حجّة للحقّ فهى حجّة الله[1].

والهبول: الثواكلّ، و هو ممّا تدعوا به العرب. قوله: لقد كنت و ما اهدّد بالحرب اى: من حيث كنت لااخشى من وعيد الحرب واليقين من الله بما وعد المتّقين، و ذلك مؤكّد لعدم خشيته من الحرب والقتال. و بالله التّوفيق.

۲۲ ـ وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ ٱلْأَمْرَ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَقَطَرَاتِ ٱلْمَطَرِ: إِلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا قُسِمَ لَهَا مِنْ زِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ، فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ لِأَخِيهِ غَفِيرَةً فِي أَهْلٍ أَوْ مَالٍ أَوْ نَفْسٍ، فَلاَ تَكُونَنَّ لَهُ فِتْنَةً: فَإِنَّ الْمَرْءَ الْمُسْلِمَ مَالَمْ يَغْشَ دَنَاءَةً تَظْهَرُ فَيَخْشَعُ لَهَا إِذَا ذُكِرَتْ، وَ تُغْرَىٰ بِهَا لِئَامُ النَّاسِ؛ كَانَ كَالْفَالِجِ الْيَاسِرِ الَّذِي يَنْتَظِرُ أَوَّلَ فَوْزَةٍ مِنْ قِدَاحِهِ تُوجِبُ لَهُ الْمَغْنَمَ، وَ يُرْفَعُ بِهَا عَنْهُ الْمَغْرَمُ، وَ كَذٰلِكَ الْمَرْءُ الْمُسْلِمُ الْبَرِيءُ مِنَ الْخِيَانَةِ يَنْتَظِرُ مِنَ اللهِ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ إِمَّا دَاعِيَ ٱللهِ فَمَا عِنْدَاللهِ خَيْرٌ لَهُ، وَ إِمَّا رِزْقَ ٱللهِ فَإِذَا هُوَ ذُو أَهْلٍ وَ مَالٍ، وَ مَعَهُ دِينُهُ وَ حَسَبُهُ، إِنَّ الْمَالَ وَالْبَنِينَ حَرْثُ الدُّنْيَا، وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ حَرْثُ الآخِرَةِ، وَ قَدْ يَجْمَعُهُمَا ٱللهُ لِأَقْوَامٍ، فَاحْذَرُوا مِنَ ٱللهِ مَا حَذَّرَكُمْ مِنْ نَفْسِهِ، وَ اخْشَوْهُ خَشْيَةً لَيْسَتْ بِتَعْذِيرٍ، وَ اعْمَلُوا فِي غَيْرِ رِيَاءٍ وَلاَسُمْعَةٍ؛ فَإِنَّهُ مَنْ يَعْمَلْ لِغَيْرِ ٱللهِ يَكِلْهُ ٱللهُ لِمَنْ عَمِلَ لَهُ نَسْأَلُ ٱللهَ مَنَازِلَ الشُّهَدَاء، وَ مُعَايَشَةَ السُّعَدَاء، وَ مُرَافَقَةَ الْأَنْبِيَاءِ.

أَيُّهَاالنَّاسُ إِنَّهُ لاَيَسْتَغْنِي الرَّجُلُ، وَ إِنْ كَانَ ذَا مَالٍ، عَنْ عَشِيرَتِهِ، وَ دِفَاعِهِمْ عَنْهُ بِأَيْدِيهِمْ وَ أَلْسِنَتِهِمْ، وَ هُمْ أَعْظَمُ النَّاسِ حِيْطَةً مِنْ وَرَائِهِ، وَأَلَمُّهُمْ لِشَعَثِهِ، وَأَعْطَفُهُمْ عَلَيْهِ عِنْدَ نَازِلَةٍ إِذَانَزَلَتْ بِهِ. وَ لِسَانُ الصِّدْقِ يَجْعَلُهُ ٱللهُ لِلْمَرْءِ فِي النَّاسِ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الْمَالِ يُورِثُهُ غَيْرَهُ.

اقول :

مدار الفصل على تأديب الفقراء بترک الحسد (و نحوه. و فيه تأديب للاغنياء

---

۱ ـ في ش هكذا جاء بعد الآية: وكل امر لله او نهى له وكل حجة للخلق فهي حجة الله.

بالشّفقة على الفقراء)[1] و مواساتهم و تزهيد بجمع المال. و قدّم مقدّمة حاصلها الاشارة الى أنّ كلّما يتجدّد من زيادة او نقصان فيما يكون به صلاح الخلق في معاشهم و معادهم من مال، او جاه، او اهل، فانّه عن قسمة ربّانيّة والامر الّذى هو حكم القدرة الالٰهيّة على الممكنات بالوجود المعبّر عنه بقوله تعالى: (إِنَّما قَوْلُنا لِشَيْءٍ إِذا أَرَدْناهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)[2] و نزوله: حصوله لكلّ نفس بما قسّم لها و هوالقدر في قوله تعالى: (و ما نُنَزِّلُهُ إِلّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ)[3] والمراد بالسّماء: سماء الجود الإلٰهي، وبالارض: ارض قوابل الجود في هذا العالم، و يحتمل ان يراد ظاهرهما لأنّ السّماوات بحركاتها شرائط معدّة لمايحدث في الارض فكانت مبادیء على بعض الوجود لنزول الأمر، فجاز نسبته اليها. و وجه التّشبيه بقطر المطر: أنّ حصوله لكل نفس مما يختلف بالاصابة و عدمها، و بالزّيادة والنّقصان كالقَطْرِ بالنّسبة الى البقاع وهو تشبيه للمعقول بالمحسوس.

قوله : فاذا رأى أحدكم، الى قوله: فتنة. والغفيرة: الدناءة و فيه تأديب لمن حصل في حقّه النّقصان من أحد الامور المذكورة بالنّهي عن الفتنة بحال من حصلت له الزّيادة في احدهما. والفتنة: الإبتلاء اى: فلايبتلى نفسه بغبطته و حسده.

قوله : فإنّ المرء الى قوله: حسبه: تنبيه على فضيلة الإنتهاء عن الفتنة باحد الامور المذكورة فتبّه على كونها دنايا. بقوله: ما لم يغش دناءة وما: بمعنى المدّة، وكالفالج: خبر إنّ و تظهر صفة لدناءة، و يخشع: عطف على تظهر. والكلام في معرض التّعليل، و معناه: انّ المسلم مهمالم يرتكب امرًا خسيساً يظهر عنه و يلزمه بارتكابه الخجل من ذكره، والحياء من التّعبيربه، و يغرى به لئام النّاس و عوامهم في فعل مثله، و قيل: في هتك ستره به يشبه الفالج الياسر اى: الفائز اللّاعب بالميسر، و هو: لعب مخصوص كانت العرب تلعب به، و قد شرحنا كيفيّته في الاصل[4]. و وجه الشّبه انّ الفائزالياسر قبل فوزه في لعبه، ينتظر اوّل فوزه به من قداحه، و هي الخشبات الّتي يلعب بها، و وجه فوزه انّه

---

١ ـ العبارة الموجودة بين القوسين غير موجودة في نسخة ش.

٢ ـ سورة النحل / ٤٠.

٣ ـ سورة الحجر / ٢١.

٤ ـ ج ٢ / ٧.

يستوجب المغنم في بعض السّهام، وينفى عنه بخروجها المغرم، و بعضها يوجب غنما و غرماً، و بعضها لايوجب غنماً و يوجب غرما، كذلك المسلم البريء من الخيانة الضّابط لنفسه عن ارتكاب مناهي الله في صبره عنها ينتظر احدى الحسنيين في الدّنيا، امّا أن يدعو الله اليه بالقبض عن الشّقاء في هذه الدّار فما عندالله خير له فيفوز اذن بالنّعيم المقيم.

و لمّا كان مستلزما لعدم خسرانه ظهر حسن تشبيهه بالياسر الفالج في فوزه المستلزم لعدم غرمه. و امّا ان يفتح الله عليه أبواب رزقه فيصبح وقد جمع الله بين المال و البنين مع حفظ الحسب والدّين فيفوز الفوز العظيم.

قوله: إنّ المال، الى قوله: لأقوام: تنبيه على تحقير المغشيات الدّنيوية بالنّسبة الى متاع الآخرة. قوله: و قد يجمع الله لأقوام: تنبيه على وجوب التّوكّل على الله اذ كان جمعها غير ممكن إلّا منه، ثمّ أكّد ذلك بالتحذير مما حذّرالله من نفسه والأمر بالخشية الصّادقة البريئة من التّعذير وهو اظهار العذر من غير عذر، والعمل لله البريء من الرّياء، و جذب اليه بضمير صغراه. قوله: فإنّه، الى قوله: له، وتقدير كبراه و كلّ من و كلّه الىٰ من عمل له غير الله فهو من الخاسرين، ومعايشة السّعداء: العيش معهم. قوله: ايّهاالنّاس الى قوله: غيره: تأديب للاغنياء بالمعونة للفقراء لينتظم شمل المصلحة من الطّرفين، و استدرجهم بضميرين صغرى الأوّل انّهم لايستغنون عنهم، و ان كانوا اصحاب ثروة اذ صاحب المال احوج الى الاعوان للذّبّ عنه، و تقدير الكبرى أنّ وكلّ من لايستغنى عنه، فواجب مواساتهم. والحيطة بكسر الحاء و سكون الياء: الحفظ. و ألمّهم لشعثه: أجمعهم لما يعرف من حاله، و صغرى الثاني قوله: و لسان الصدق الى آخره، وتقدير كبراه و كلّ ما كان خيرا من المال فالأولى بذل المال لاكتسابه، و لسان الصّدق هوالذّكر الجميل.

وَ مِنْهَا:

أَلَا لَا يَعْدِلَنَّ أَحَدُكُمْ عَنِ الْقَرَابَةِ يَرَى بِهَا الْخَصَاصَةَ أَنْ يَسُدَّهَا بِالَّذِى لَا يَزِيدُهُ إِنْ أَمْسَكَهُ، وَلَا يَنْقُصُهُ إِنْ أَهْلَكَهُ، وَمَنْ يَقْبِضْ يَدَهُ عَنْ عَشِيرَتِهِ فَإِنَّمَا تُقْبَضُ مِنْهُ عَنْهُمْ يَدٌ وَاحِدَةٌ، وَ تُقْبَضُ مِنْهُمْ عَنْهُ أَيْدٍ كَثِيرَةٌ؛ وَ مَنْ تَلِنْ حَاشِيَتُهُ يَسْتَدِمْ مِنْ قَوْمِهِ الْمَوَدَّةَ.

قال الشّريف: أقول: الغفيرة ههنا الزّيادة والكثرة، من قولهم للجمع الكثير: الجمّ الغفير، والجمّاء الغفير. و يروى «عفوة من أهل أو مال» والعفوةُ الخيار من الشيء، يقال: أكلت عفوة الطّعام، أي: خياره، و ما أحسن المعنى الّذي أراده عليه السّلام بقوله: «و من يقبض يده عن عشيرته إلى تمام الكلام، فَإِنَّ الْمُمْسِكَ خَيْرَهُ عَنْ عَشِيرَتِهِ إِنَّمَا يُمْسِكُ نَفْعَ يَدٍ وَاحِدَةٍ. فَإِذَا ٱحْتَاجَ إِلَى نُصْرَتِهِمْ وَٱضْطُرَّ إِلَى مُرَافَدَتِهِمْ قَعَدُوا عَنْ نَصْرِهِ، وَتَثَاقَلُوا عَنْ صَوْتِهِ فَمُنِعَ تَرَافُدَ الْأَيْدِي الْكَثِيرَةِ، وَتَنَاهُضَ الْأَقْدَامِ الْجَمَّةِ.

أقول : الخصاصة : الفقر. والفصل من تمام ما قبله و حاصله : النّهي عن العدول عن سد خلة الأقرباء ذوى الحاجة بالفاضل من المال. وقوله: يرى، في موضع النصب على الحال و ان كسرها في موضع الجر بدلا من القرابة. وقوله: لايزيده الى قوله: اهلكه، اى: لايزيد امساكه فى صلاح حاله ولاينقص اتلافه من ذلك إذ الفضل الزّائد فى حال الانسان على القدر الّذى يدفع ضرورته بحسب الشّريعة ليس زيادته ولانقصانه[1] فى صلاح حاله و فساده فيها. و امّا قوله: و من تقبض الى آخره، فقد اشار السّيّد رحمه الله وهو ظاهر. و قوله: و من تلن حاشيته الى آخره: تأديب بالتّواضع و لين الجانب فانّ ذلك يستلزم الألفة من النّاس و هى موجبة للمودّة.

٢٣ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامِ

وَلَعَمْرِي مَا عَلَيَّ مِنْ قِتَالِ مَنْ خَالَفَ الْحَقَّ، وَخَابَطَ الْغَيَّ، مِنْ إِدْهَانٍ وَلَا إِيهَانٍ، فَاتَّقُوا ٱللهَ عِبَادَ ٱللهِ، وَفِرُّوا إِلَى ٱللهِ مِنَ ٱللهِ، وَٱمْضُوا فِي الَّذِي نَهَجَهُ لَكُمْ، وَقُومُوا بِمَا عَصَبَهُ بِكُمْ. فَعَلِيٌّ ضَامِنٌ لِفَلْجِكُمْ آجِلاً، إِنْ لَمْ تُمْنَحُوهُ عَاجِلاً.

أقول: الإدهان: المداهنة والمصانعة، و الإيهان: مصدر اوهنه اى: اضعفه. و فى

---

١ - فى ش بزيادة: معتبرا.

هذا الفصل ردّ لقول من يقول انّ مصانعته عليه[1] السّلام لمحاربيه اولى من محاربتهم، فقال: انّه ليس يجب عليّ في قتالهم مصانعة من جهة الدّين و لا في ضعف عن ذلك، و وصفهم بمخابطة الغيّ والبغي لقيام عذر، اذ كان قتال من هذه صفته واجبًا. والفرار الى الله: الأقبال عليه و توجيه السّير اليه و هو على مراتب: اوّلها، الفرار من بعض آثاره الى بعض كالفرار من أثر غضبه إلى أثر رحمته.

الثّانية، أن يفرّ العبد عن مشاهدة الافعال و يترقّى في درجات القرب والمعرفة إلى مصادر الافعال، و هي الصفات فيفرّ من بعضها الى بعض كما يستفاد من سخط الله بعفوه والسّخط والعفو صفتان.

الثالثة، أن يترقّى عن مقام الصّفات الى ملاحظة الذّات فيفرّ منها اليها، و قد جمع رسول الله صلّى الله عليه و آله هذه المراتب حين أمر بالقرب في قوله تعالى: (وَاسْجُدْ وَ اقْتَرِبْ)[2] فقال في سجوده: أعوذ بعفوك من عقابك. والعفو كما يكون صفة للعافي كذلك قد يراد به الأثر الحاصل عن صفة العفو. ثمّ لمّا قرب فغنى عن مشاهدة الأفعال و ترقّى الى مصادرها و هي الصّفات، قال: و اعوذ برضاك من سخطك، و هما صفتان. ثمّ لمّا ترقّى عن مقام مشاهدة الصّفات و اقترب الى ملاحظة الذّات، قال: و اعوذ بك منك. و هذا فرار منه اليه، وهو مقام الوصول الى ساحل العزّة. ثم للسّباحة في لجة الوصول درجات أخر لا تتناهى.

و لذلك لمّا قرب ازداد صلّى الله عليه و آله قربا، قال: لا احصي ثناءً عليك، و هو حذف لنفسه عن درجة الاعتبار و اعراض عن التّبجح بزينة الحقّ في ذاته، و كان قوله بعد ذلك: أنت كما أثنيت على نفسك، كمالاً للإخلاص و تجريدًا له، و عند ذلك يقول: إنّ قوله عليه السّلام: و فرّوا الى الله من الله: امر بالترقّي الى المرتبة الثّالثة من المراتب المذكورة.

و ما نهجه لهم و اوضحه: هو السّبيل العدل، والصّراط المستقيم، و قد علمت انّ غاية سلوك سبيل الله بالعبادة تطويع النّفس الأمّارة بالسّوء للنّفس المطمئنّة، و حينئذ تعلم

---

١ ـ في ش بزيادة: الصلاة.

٢ ـ سورة العلق / ١٩.

أنّ هذه الأوامر الثلاثة هي الّتي عليها مدار الرّياضة. فالأمر بالتّقوى يستلزم الزّهد الحقيقي، و هو معين على حذف الموانع الدّاخلية و الخارجيّة،والامر بسلوك سبيل الله معين على تطويع النّفس الأمّارة، والأمر بالفرار الى الله امر بتوجّه السّير اليه، و هذه الأعراض الثّلاثة الّتي يتوجّه نحوها الرّياضة المستلزمة لكمال الاستعداد للوصول اليه تعالى، و لذلك قال عليه السّلام بعدها: فعليّ ضامن لفلجكم آجلا ان لم تمنحوه عاجلاً. والفلج: الفوز، والمنحة: العطيّة، و ذلك بشرط الاستعداد بلزوم الأوامر المذكورة.

٢٤ ـ وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

و قد تواترت عليه الأخبار باستيلاء أصحاب معاوية على البلاد و قدم عليه عاملاه على اليمن، و هما عبيدالله بن عباس،و سعيد بن نمْران لمّاغلب عليهما بُسْرُبن أبى أرْطاة، فقام عليه السّلام على المنبر ضجرا بتثاقل أصحابه عن الجهاد و مخالفتهم له فى الرّأى، فقال:ـ

مَاهِيَ إلَّا الْكُوفَةُ أَقْبِضُهَا وَ أَبْسُطُهَا، إنْ لَمْ تَكُونِي إلَّا أَنْتِ تَهُبُّ أَعَاصِيرُكِ. فَقَبَّحَكِ ٱللهُ.

وتمثّل بقول الشّاعر:

لَعَمْرُ أَبِيكَ ٱلْخَيْرِ يَاعَمْرُو إنَّنِي عَلَى وَضَرٍ مِنْ ذَا ٱلْإنَاءِ قَلِيلِ

ثم قال عليه السلام:

أُنْبِئْتُ بُسْرًا قَدِ ٱطَّلَعَ ٱلْيَمَنَ، وَ إنِّي وَ ٱللهِ لَأَظُنُّ أَنَّ هٰؤُلَاءِ ٱلْقَوْمَ سَيُدَالُونَ مِنْكُمْ: بِاجْتِمَاعِهِمْ عَلَى بَاطِلِهِمْ، وَ تَفَرُّقِكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ، وَ بِمَعْصِيَتِكُمْ إمَامَكُمْ فِي ٱلْحَقِّ، وَ طَاعَتِهِمْ إمَامَهُمْ فِي ٱلْبَاطِلِ، وَ بِأَدَائِهِمُ ٱلْأَمَانَةَ إلَى صَاحِبِهِمْ وَ خِيَانَتِكُمْ وَ بِصَلَاحِهِمْ فِي بِلَادِهِمْ وَ فَسَادِكُمْ. فَلَوِ ٱئْتَمَنْتُ أَحَدَكُمْ عَلَى قُعْبٍ لَخَشِيتُ أَنْ يَذْهَبَ بِعِلَاقَتِهِ! ٱللّٰهُمَّ إنِّي قَدْ مَلِلْتُهُمْ وَمَلُّونِي وَسَئِمْتُهُمْ وَسَئِمُونِي، فَأَبْدِلْنِي بِهِمْ خَيْرًا مِنْهُمْ وَأَبْدِلْهُمْ بِي شَرًّا مِنِّي، ٱللّٰهُمَّ مُثْ قُلُوبَهُمْ كَمَا يُمَاثُ ٱلْمِلْحُ فِي ٱلْمَاءِ، أَمَا وَ ٱللهِ لَوَدِدْتُ أَنَّ لِي بِكُمْ أَلْفَ فَارِسٍ مِنْ بَنِي فِراسِ بْنِ غَنْمٍ.

هُنَا لِكَ، لَوْ دَعَوْتَ، أَتَاكَ مِنْهُمْ فَوَارِسُ مِثْلُ أَرْمِيَةِ الْحَمِيمِ

ثم نزل عليه السّلام من المنبر.

قال السيّد: قلت أنا: والأرمية جمع رمي و هوالسّحاب، والحميم ههنا: وقت الصّيف، و إنّما خصّ الشّاعر سحاب الصّيف بالذّكر لأنّه أشدّ جفولا و أسرع خفوفا لأنّه لا ماء فيه. و إنّما يكون السّحاب ثقيل السّير لا متلائه بالماء، و ذلك لا يكون في الأكثر إلّا في زمان الشّتاء، وإنما أراد الشاعر وصفهم بالسّرعة إذا دعوا، والإغاثة إذا استغيثوا، والدّليل على ذلك قوله هنا لك لو دعوت أتاك منهم.

أقول: الضّمير في قوله، و انّما هي الكوفة و ان لم يسبق ذكرها لكونها المعهودة في الخطاب، و نحوه قوله تعالى: (كلّا إنّها لَظىٰ نَزّاعَةً للشّوى)[1] و يحتمل ان يكون ضمير الشّأن، و يفهم من الكلام حصر ما بقي من البلاد الّتي تَعتمِدُ عليها في الحرب و غيره في الكوفة على سبيل التحقير لها بالنّسبة الى ملك الاسلام، وقبضها و بسطها: كنايتان عن وجوه التصرّف فيها. والضّمير بعد الّا بدل مما قبلها، و الجملة الفعليّة بعده في موضع الحال و خبر كان محذوف. و لفظ الأعاصير: يحتمل ان يكون حقيقة لأنّ الكوفة معروفة بهبوب الأعاصير فاتى بذلك في معرض ذمّها و تحقيرها. و يحتمل ان يكون مستعارًا لمّا يحدث من آراء أهلها المختلفة الّتي هي منبع الفتنة، و وجه المشابهة الازعاج و الأذى والاستصغار ايّاها تمثّل بالبيت ـ لعمرابيك الخير ـ.

و وجه التّمثيل انّ الكوفة تشارك الوضر و هو: الدّرن الباقي في الاناء (بعد الأكل في القلّة والحقارة فهو يقول: إنّي على بقيّة من هذا الأمر كالوضر في الاناء)[2]. و من روى الآلاء و هو: شجر حسن المنظر مرّ الطّعم، فإنّما اراد أنّي على بقيّة من هذا الأمر كالقدر الحاصل لناظر الآلاء من حسنه مع عدم الانتفاع به. و خص الكوفة دون البصرة لأنّ جمهور من كان يعتمد عليه من العسكر أهلها.

أقول: انبأت شروع في بيان غرضه و هو: استنفارهم الى الجهاد[3]. و بسر بالسّين

---

١ ـ سورة المعارج / ١٦.

٢ ـ الجملة بين القوسين غير موجودة في ش.

٣ ـ في ش: الى جهاد عدوهم.

المهملة: ابن ابى ارطاة من أصحاب معاوية. و اطّلع اليمن: غشها. و الادالة: الغلبة، و ذكر من أسباب ما ظنّ وقوعه منهم اربعة من قبلهم هى أسباب الانقهار. و اربعة من قبل الخصم هى اسباب القهر، و رتّب كلّ أمر عقيب ضدّه ليظهر لهم المناسبة بين أفعالهم و أفعال خصومهم. والقعب: قدح ضخم، و دعائه عليه السّلام بوجود الأشرار جائز بشرط[1] المصلحة في تخويفهم بذلك أو لأنّه علم عدم صلاحهم كما دعا نوح عليه السلام على قومه: (إِذْ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي -إلى قوله- لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا)[2] و كما دعا لوط عليه السلام. والميث: الإذابة.

و روى انّ اليوم الّذى دعا عليهم فيه، ولد فيه الحجّاج، و فعله باهل الكوفة ظاهر.

و قوله: أما والله الى آخره: تحقير لهم بتفضيل غيرهم عليهم ليستثير طباعهم بذلك.

و بنو فراس: من تغلب ابوهم غنم بفتح الغين، و هو: غنم بن تغلب بن وائل، و خصّهم لشهرتهم بالشّجاعة والحميّة. و معنى البيت هو ما اشار إليه السّيد رحمه الله[3].

٢٥ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

إِنَّ اللهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ نَذِيرًا لِلْعَالَمِينَ، وَ أَمِينًا عَلَى التَّنْزِيلِ، وَ أَنْتُمْ مَعْشَرَ الْعَرَبِ عَلَى شَرِّ دِينٍ، وَ فِي شَرِّ دَارٍ، مُنِيخُونَ بَيْنَ حِجَارَةٍ خُشْنٍ، وَ حَيَّاتٍ صُمٍّ تَشْرَبُونَ الْكَدِرَ، وَ تَأْكُلُونَ الْجَشِبَ، وَ تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ، وَ تَقْطَعُونَ أَرْحَامَكُمْ، الْأَصْنَامُ فِيكُمْ مَنْصُوبَةٌ، وَالْآثَامُ بِكُمْ مَعْصُوبَةٌ.

أقول: اقتصّ حال العرب و ما كانوا عليه في الجاهلية من الشدّة و سوء الحال في المعاش والمعاد في معرض الإمتنان عليهم بمقدم محمّد صلّى الله عليه و آله. و شرّ دار: ارض الحجاز لشدّة الحال بها. و منيخون: مقيمون. و الحيّة الصّماء، قيل: هى الّتى

---

١ - في ش: بوجود.

٢ - سورة نوح / ٢٦.

٣ - في نسخة ش: رحمة الله عليه.

لا تنزجر بالصوت كأنّها لا تسمع. و قيل: هي الصّلبة الشّديدة. والجشب: الطّعام الغليظ الخشن. و قيل: هوالّذي لا ادام معه، و معصوبة: مربوطة.

و منها.

فَنَظَرْتُ فَإِذَا لَيْسَ لِي مُعِينٌ إِلَّا أَهْلُ بَيْتِي فَضَنَنْتُ بِهِمْ عَنِ الْمَوتِ، وَأَغْضَيْتُ علىٰ الْقَذَى، وَ شَرِبْتُ عَلَى الشَّجَى، وَ صَبَرْتُ عَلَى أَخْذِ الْكَظَمِ، وَعَلَى أَمَرَّمِنْ طَعْمِ الْعَلْقَمِ.

اقول: الفصل من حمل اقتصاص حاله بعد رسول الله صلّى الله عليه و آله في طلب الخلافة في معرض الشّكاية، و أهل بيته بنو هاشم. و ضننت: بخلت. والاغضاء: ادناء بعض الجفون من بعض. و كنّى بأخذ الكظم و هو مجرى نفسه. و بالأمرّ من العلقم: عن الغمّ والتأثّر بسبب غلبه على مطلوبه.

منها يذكر فيها عمرو بن العاص:

وَلَمْ يُبَايِعْ حَتَّى شَرَطَ أَنْ يُؤْتِيَهُ عَلَى الْبَيْعَةِ ثَمَنًا، فَلَا ظَفِرَتْ يَدُالْبَائِعِ، وَخَزِيَتْ أَمَانَةُ الْمُبْتَاعِ، فَخُذُوا لِلْحَرْبِ أُهْبَتَهَا، وَأَعِدُّوا لَهَا عُدَّتَهَا، فَقَدْ شَبَّ لَظَاهَا، وَعَلَا سَنَاهَا، وَاسْتَشْعِرُوا الصَّبْرَ فَإِنَّهُ أَدْعَى إِلَى النَّصْرِ.

اقول: الثّمن الّذي اشترطه عمرو على معاوية بيعته ايّاه و مشايعته على حرب عليّ عليه السّلام طعمة مصر، و لم يبايعه حتّى كتب له كتابا. و المبتاع: معاوية والبائع لدينه هو: عمرو. و خزيت امانة المبتاع، يعني: معاوية فيما ولّي من امر المسلمين اذ كانت امانة في يده. و خزيها: ذلّها و هوانها، و مبايعة عمرو كانت امارة لقيام الحرب فلذلك كنّى عنها بقوله: فقد شبّ لظاها، و علا سناها، اي: ضوءها كناية باستعارة لفظ النّار. و استشعروا الصّبر: اتّخذوه شعارًا.

٢٦ ـ وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ ٱلْجِهَادَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ ٱلْجَنَّةِ فَتَحَهُ ٱللهُ لِخَاصَّةِ أَوْلِيَائِهِ: وَ هُوَ لِبَاسُ ٱلتَّقْوَى، وَ دِرْعُ ٱللهِ ٱلْحَصِينَةُ، وَ جُنَّتُهُ ٱلْوَثِيقَةُ، فَمَنْ تَرَكَهُ رَغْبَةً عَنْهُ أَلْبَسَهُ ٱللهُ ثَوْبَ ٱلذُّلِّ، وَ شَمْلَةَ ٱلْبَلَاءِ، وَدُيِّثَ بِالصَّغَارِ وَٱلْقَمَاءِ، وَ ضُرِبَ عَلَى قَلْبِهِ بِالْأَسْدَادِ، وَ أُدِيلَ ٱلْحَقُّ مِنْهُ بِتَضْيِيعِ ٱلْجِهَادِ، وَ سِيمَ ٱلْخَسْفَ، وَ مُنِعَ ٱلنَّصَفَ، أَلَا وَ إِنِّي قَدْ دَعَوْتُكُمْ إِلَى قِتَالِ هٰؤُلَاءِ ٱلْقَوْمِ لَيْلاً وَ نَهَارًا، وَ سِرًّا وَ إِعْلَانًا، وَ قُلْتُ لَكُمْ: اُغْزُوهُمْ قَبْلَ أَنْ يَغْزُوكُمْ فَوَٱللهِ مَا غُزِيَ قَوْمٌ فِي عُقْرِ دَارِهِمْ إِلَّا ذَلُّوا فَتَوَاكَلْتُمْ، وَ تَخَاذَلْتُمْ حَتَّى شُنَّتِ الْغَارَاتُ عَلَيْكُمْ، وَ مُلِكَتْ عَلَيْكُمُ الْأَوْطَانُ، وَ هٰذَا أَخُو غَامِدٍ وَ قَدْ وَرَدَتْ خَيْلُهُ الْأَنْبَارَ، وَ قَدْ قَتَلَ حَسَّانَ بْنَ حَسَّانَ الْبَكْرِيَّ، وَ أَزَالَ خَيْلَكُمْ عَنْ مَسَالِحِهَا، وَ لَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ كَانَ يَدْخُلُ عَلَى الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ، وَالْأُخْرَى الْمُعَاهِدَةِ، فَيَنْتَزِعُ حِجْلَهَا وَ قُلْبَهَا وَ قَلَائِدَهَا وَرِعَاثَهَا، مَاتَمْتَنِعُ مِنْهُ إِلَّا بِالِاسْتِرْجَاعِ وَالِاسْتِرْحَامِ، ثُمَّ ٱنْصَرَفُوا وَافِرِينَ مَا نَالَ رَجُلاً مِنْهُمْ كَلْمٌ، وَ لَا أُرِيقَ لَهُمْ دَمٌ، فَلَوْ أَنَّ ٱمْرَءًا مُسْلِمًا مَاتَ مِنْ بَعْدِ هٰذَا أَسَفًا مَا كَانَ بِهِ مَلُومًا، بَلْ كَانَ بِهِ عِنْدِي جَدِيرًا؛ فَيَاعَجَباً ـ وَٱللهِ ـ يُمِيتُ الْقَلْبَ وَ يَجْلِبُ الْهَمَّ اجْتِمَاعُ هٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ عَلَى بَاطِلِهِمْ وَ تَفَرُّقُكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ فَقُبْحًا لَكُمْ وَ تَرَحًا، حِينَ صِرْتُمْ غَرَضًا يُرْمَى؛ يُغَارُ عَلَيْكُمْ وَلَا تُغِيرُونَ، وَ تُغْزَوْنَ وَ لَا تَغْزُونَ، وَ يُعْصَى اللهُ وَتَرْضَوْنَ؛ فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ فِي أَيَّامِ الصَّيْفِ قُلْتُمْ هٰذِهِ حَمَارَّةُ الْقَيْظِ، أَمْهِلْنَا يُسَبَّخْ عَنَّا الْحَرُّ، وَ إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ فِي الشِّتَاءِ قُلْتُمْ: هٰذِهِ صَبَارَّةُ الْقُرِّ أَمْهِلْنَا يَنْسَلِخْ عَنَّا الْبَرْدُ، كُلُّ هٰذَا فِرَارًا مِنَ الْحَرِّ وَالْقُرِّ[1] فَإِذَا كُنْتُمْ مِنَ الْحَرِّ وَالْقُرِّ تَفِرُّونَ فَأَنْتُمْ وَٱللهِ مِنَ السَّيْفِ أَفَرُّ، يَا أَشْبَاهَ الرِّجَالِ وَلَا رِجَالَ! حُلُومُ الْأَطْفَالِ، وَعُقُولُ رَبَّاتِ الْحِجَالِ، لَوَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَرَكُمْ وَلَمْ أَعْرِفْكُمْ! مَعْرِفَةً وَٱللهِ جَرَّتْ نَدَمًا، وَأَعْقَبَتْ سَدَمًا قَاتَلَكُمُ ٱللهُ! لَقَدْ مَلَأْتُمْ قَلْبِي قَيْحًا، وَشَحَنْتُمْ صَدْرِي غَيْظًا، وَجَرَّعْتُمُونِي نُغَبَ التَّهْمَامِ أَنْفَاسًا وَأَفْسَدْتُمْ عَلَيَّ رَأْيِي بِالْعِصْيَانِ وَالْخِذْلَانِ، حَتَّى قَالَتْ قُرَيْشٌ: إِنَّ ابْنَ أَبِي طَالِبٍ رَجُلٌ شُجَاعٌ، وَلٰكِنْ لَاعِلْمَ لَهُ بِالْحَرْبِ.

لِلّٰهِ أَبُوهُمْ!! وَ هَلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَشَدُّ لَهَا مِرَاسًا، وَأَقْدَمُ فِيهَا مَقَامًا مِنِّي؟! لَقَدْ نَهَضْتُ فِيهَا، وَ مَا بَلَغْتُ الْعِشْرِينَ، وَ هَا أَنَاذَا قَدْ ذَرَّفْتُ عَلَى السِّتِّينَ، وَ لٰكِنْ لَا رَأْيَ لِمَنْ لَايُطَاعُ!!

اقول: الخطبة مشهورة ذكرها المبرّد و غيره، و اشار الى فضائل الجهاد ترغيبا فيه، واستعار لفظ الباب: للدّخول به الجنّة، و لفظ اللّباس والدّرع والجنّة و هى: التّرس لانّ الإنسان يتّقى به العدوّ، و عذاب الآخرة. و ديّث اى: ذلّل. والصغار: الذّل والضيم. والقماء: ممدود الحقارة والذّل ايضا. و اسدل الرجل بالبناء: للمفعول اذا ذهب عقله، و غفل عن مصالحه، وهو كقوله تعالى: (وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ)[1] و اديل الحقّ من فلان: غلبه عليه عدوّه، و سامه خسفا أي: اولاه ذلّا. والنصف بكسر النون: الاسم من الانصاف و لزوم الامور المذكورة عن ترك الجهاد ظاهر.

و قوله: آلا و انّى، الى آخره: ذكر لغرضه و هو الحثّ على الجهاد، والتّوبيخ على تركه. و عقر الشيء: اصله، و اخوغامد هو: سفيان بن عوف الغامدى، و غامد قبيلة من اليمن من ازد، شنوه، و شن الغارة و اشنّها: فرّقها من كل جانب. والمسالح جمع مسلحة و هى: الحدود والاطراف من البلاد، يرتّب فيها اصحاب السّلاح كالثّغور، والمعاهدة الذمّية. والحجل: الخلخال. والقلب: السّوار. والرّعاث جمع رعثة بفتح الرّاء والعين و سكونها وهى: القرط. والرّعاث: ايضا ضرب من الخرز والحلى. والاسترجاع: ترديد الصوت فى البكاء. والاسترحام: مناشدة الرحم، و افرين: غانمين. والكلم: الجرح. و جدير: اولى. و عجبا: نصب على المصدر و المنادى محذوف اى: يا قوم و نحوه، و كرّر المصدر ليحسن وصفه. والتّرح: الحزن. و حمارّة القيظ بتشديد الراء: شدّة حرّه. و سبّخ الحر: فتر. وصبارّة القرّ بتشديد الرّاء: شدّة البرد، و كنى بالقيح: شدّة التّألّم اذ هو غاية ألم العضو. والحجال جمع حجلة و هى: بيت العروس يزيّن بالسّتور والثّياب، و وجه شبه حلومهم بحلوم الأطفال: سرعتها عن أدنى سبب لا يصلح ان يقنع به العاقل كحلمهم عن اهل الشّام بخدعة رفع المصاحف. و وجه شبه عقولهم بعقول ربّات الحجال، اى: النّساء ضعفها عن ادراك وجوه المصالح. والسّدم: الحزن عن النّدم. و شحنتم: ملأتم. والنّغب جمع نغبة بضم النون وهى: الجرعة. والتّهمام بفتح التاء: التّهم. ولله أبوهم: كلمة من ممادح العرب. والمراس: العلاج. و ذرّفت بتشديد الراء: زدت. و قوله: لا رأى لمن لايطاع، مثل، قيل: اوّل من سمع منه هو عليه السّلام.

---

١ ـ سورة البقرة / ٦١.

٢٧ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ أَدْبَرَتْ، وَ آذَنَتْ بِوَدَاعٍ، وَ إِنَّ الآخِرَةَ قَدْ أَشْرَفَتْ بِاطِّلاعٍ؟ أَلاَ وَ إِنَّ الْيَوْمَ الْمِضْمَارَ، وَ غَدًا السِّبَاقَ، وَالسَّبَقَةُ الْجَنَّةُ وَالْغَايَةُ النَّارُ: أَفَلاَ تَائِبٌ مِنْ خَطِيئَتِهِ قَبْلَ مَنِيَّتِهِ؟ أَلاَ عَامِلٌ لِنَفْسِهِ قَبْلَ يَوْمِ بُؤْسِهِ؟ أَلاَ وَ إِنَّكُمْ فِي أَيَّامِ أَمَلٍ مِنْ وَرَائِهِ أَجَلٌ، فَمَنْ عَمِلَ فِي أَيَّامِ أَمَلِهِ قَبْلَ حُضُورِ أَجَلِهِ نَفَعَهُ عَمَلُهُ، وَلَمْ يَضْرُرْهُ أَجَلُهُ، وَ مَنْ قَصَّرَ فِي أَيَّامِ أَمَلِهِ قَبْلَ حُضُورِ أَجَلِهِ فَقَدْ خَسِرَ عَمَلُهُ وَ ضَرَّهُ أَجَلُهُ، أَلاَ فَاعْمَلُوا فِي الرَّغْبَةِ كَمَا تَعْمَلُونَ فِي الرَّهْبَةِ؟ أَلاَ وَ إِنِّي لَمْ أَرَ كَالْجَنَّةِ نَامَ طَالِبُهَا، وَلاَ كَالنَّارِ نَامَ هَارِبُهَا أَلاَ وَ إِنَّهُ مَنْ لاَ يَنْفَعُهُ الْحَقُّ يَضْرُرْهُ الْبَاطِلُ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَقِمْ بِهِ الْهُدَى يَجُرَّ بِهِ الضَّلاَلُ إِلَى الرَّدَى، أَلاَ وَ إِنَّكُمْ قَدْ أُمِرْتُمْ بِالظَّعْنِ، وَ دُلِلْتُمْ عَلَى الزَّادِ، وَ إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ اتِّبَاعُ الْهَوَى وَ طُولُ الأَمَلِ، تَزَوَّدُوا مِنَ الدُّنْيَا مَا تَحْرِزُونَ أَنْفُسَكُم بِهِ غَدًا.

قال السيّد رضي الله عنه،و أقول إنّه لو كان كلام يأخذ بالأعناق إلى الزّهد في الدّنيا و يضطرّ إلى عمل الآخرة لكان هذا الكلام، و كفى به قاطعا لعلائق الآمال، و قادحا زناد الاتّعاظ والازدجار، و من أعجبه قوله عليه السلام «أَلاَ وَ إِنَّ الْيَوْمَ الْمِضْمَارَ و غَدًا السِّبَاقَ وَ السَّبَقَةُ الْجَنَّةُ وَالْغَايَةُ النَّارُ» فإنّ فيه -مع فخامة اللّفظ، و عظم قدر المعنى، و صادق التّمثيل، و واقع التّشبيه- سراً عجيباً. و معنى لطيفاً، و هو قوله عليه السّلام: «والسّبقة الجنّة، والغاية النّار» فخالف بين اللفظين لاختلاف المعنيين، و لم يقل «السبقة النار» كما قال «السّبقة الجنّة»؛ لأن الاستباق إنّما يكون إلى أمر محبوب، و غرض مطلوب، وهذه صفة الجنّة و ليس هذا المعنى موجودا في النارنعوذ باللّه منها، فلم يجز أن يقول «والسّبقة النّار» بل قال «والغاية النّار»؛ لأنّ الغاية ينتهي إليها من لايسره الانتهاء و من يسرّه ذلك، فصلح أن يعبر بها عن الأمرين معا، فهي في هذا الموضع كالمصير والمآل، قال الله تعالى: (قل تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ) ولا يجوز في هذا الموضع أن يقال: سبقتكم -بسكون الباء- إلى النّار، فتأمّل ذلك فباطنه عجيب و غوره بعيد. و كذلك أكثر كلامه عليه السلام، و في بعض النسخ، وقد جاء في رواية أخرى «والسّبقة الجنّة» -بضم السّين- والسّبقة عندهم: اسم لما يجعل للسّابق إذا سبق من مال أو عرض،

والمعنيان متقاربان لأنّ ذلك لا يكون جزاء على فعل الأمر المذموم، و إنّما يكون جزاء على فعل الأمر المحمود.

اقول: هذا الفصل مشتمل على التّنفير عن الدّنيا والتّرغيب في الآخرة، و الاستعداد لها بالتّوبة والاعمال الصّالحة. و آذنت: أعلمت بتغيّراتها انّها زائلة، و لفظ الوداع: مستعار لذلك و اشراف الآخرة قربها من كل شخص و نبّه على وجوب الاستعداد بذكر ما يستعدّ لأجله و هو السباق، و ذكر ما يستبق اليه في قوله: الا وانّ اليوم الى قوله: النّار. والمضمار: المدّة الّتي تضمر فيها الخيل للسّباق اى: يعلف و يسمن ثم يردّ الى القوّة و هي اربعون يوما، واستعار لفظه: لمدّة الحياة باعتبار انّ الإنسان يستعدّ فيها بالتّقوى لتكمل قوّته العقلية فيكون من السّابقين الى لقاء الله كما يستعدّ الفرس بالتّضمير لسبق مثله.

والسّباق: مصدر كالمسابقة، و هو ايضا جمع سبقة كنطفة و نطاف. والسبقة بضم السّين و فتحها: ما يستبق اليه من الخطر. و روى السباق مرفوعا و لا وجه له الّا ان يكون مضافا اليه اقيم مقام مضاف هو الخبر اى: وقت السّباق، او ان يكون السّباق: جمع سبقة ، و كنّى بغد: عن يوم القيامة، وتمام المعنى هو ما اشار اليه السّيد رحمه الله.

و نام في الموضوعين مفعول ثان لارى، والمفعول الاوّل هو المشبّه بالجنّة او النّار، و الضمير في قوله: و انّه، ضمير الشّأن، و استعار لفظ الظّعن: للسّفر الى الله تعالى، بالكفر في ملكوت سماواته و ارضه، و عوالم خلقه. والزّاد الّذى دلّوا عليه: هو التقوى بقوله تعالى: (و تزوّدوا)[1] الآية. و لمّا كان حاصل التّقوى[2] يعود الى خشية الله و لزوم الاعمال الصّالحة و لم تكن ذلك الّا في الدّنيا بحركات الفكر في العبرة بها و حركات الجوارح بالعبادة فيها قال: في الدّنيا من الدّنيا، و ظاهر انّ التّقوى يحرز الانسان نفسه بها من عذاب الله يوم القيامة.

---

١ ـ سورة البقرة / ١٩٧.

٢ ـ الجملة الواقعة بين القوسين لم تكن في نسخة ش.

٢٨ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱلْمُجْتَمِعَةُ أَبْدَانُهُمْ، ٱلْمُخْتَلِفَةُ أَهْوَاؤُهُمْ، كلامُكم يُوهِي ٱلصُّمَّ ٱلصِّلَابَ، وَفِعْلُكُمْ يُطْمِعُ فِيكُمُ ٱلْأَعْدَاءَ! تَقُولُونَ فِي ٱلْمَجَالِسِ: كَيْتَ وَكَيْتَ، فَإِذَا جَاءَ ٱلْقِتَالُ قُلْتُمْ: حِيدِي حَيَادِ! مَا عَزَّتْ دَعْوَةُ مَنْ دَعَاكُمْ وَلَا ٱسْتَرَاحَ قَلْبُ مَنْ قَاسَاكُمْ أَعَالِيلُ بِأَضَالِيلَ[1] دِفَاعَ ذِي ٱلدَّيْنِ ٱلْمَطُولِ لَايَمْنَعُ ٱلضَّيْمَ ٱلذَّلِيلُ. وَلَايُدْرَكُ ٱلْحَقُّ إِلَّا بِالْجِدِّ، أَيَّ دَارٍ بَعْدَ دَارِكُمْ تَمْنَعُونَ وَمَعَ أَيِّ إِمَامٍ بَعْدِي تُقَاتِلُونَ؟ ٱلْمَغْرُورُ وَٱللهِ مَنْ غَرَرْتُمُوهُ، وَمَنْ فَازَ بِكُمْ فَقَدْ فَازَ وَٱللهِ بِالسَّهْمِ ٱلْأَخْيَبِ، وَمَنْ رَمَى بِكُمْ، فَقَدْ رَمَى بِأَفْوَقَ نَاصِلٍ أَصْبَحْتُ وَٱللهِ لَا أُصَدِّقُ قَوْلَكُمْ، وَلَا أَطْمَعُ فِي نَصْرِكُمْ، وَلَا أُوعِدُ الْعَدُوَّ بِكُمْ مَا بَالُكُمْ! مَا دَوَاؤُكُمْ! مَا طِبُّكُمْ! ٱلْقَوْمُ رِجَالٌ أَمْثَالُكُمْ! أَقَوْلًا بِغَيْرِ عَمَلٍ؟ وَغَفْلَةً مِنْ غَيْرِ وَرَعٍ؟ وَطَمَعًا فِي غَيْرِ حَقٍّ؟!

أقول: نبّههم على ما يستقبح في الدّين، و حسن السّيرة من أحوالهم و أقوالهم، امّا احوالهم فاجتماعهم مع تفرّق آرائهم الموجب لتخاذ لهم عن الجهاد، وامّا أقوالهم فكلامهم بوعيد العدوّ بالحرب الّذى تضعف معه القلوب الصّلبة لظنّها صدقه، و استعار لفظ الصّمّ من الحجارة: للقلوب القويّة، وامّا أفعالهم فهو التّخاذل والفرار من العدوّ. و قوله: حيدى حياد، كالمثل يقوله العرب عندالفرار ومفهومها: تَنَحَّىْ عنّا ايّتها الحرب، و هي كقولهم: فيحى فياح، و فياح اسم: للحرب. واعاليل جمع اعلال جمع علّة: اسم لما يتعلّل به ويعتذر. و اضاليل جمع اضلال جمع ضلّة: اسم للضلال، و اعاليل: خبر مبتدإ محذوف: اى اعذاركم اعاليل باطلة سببها الضّلال،عن سبيل الله، و دفاع: مصدر و هو صفة مشبه به، و وجه الشّبه كثرة المدافعة. و اراد بدارهم،: دارالسّلام. والسّهم الاخيب، من سهام الميسر والذى لافرض فيه و لاغنم به كالّتى تسمّى اوغادا و فيها خيبة و غرم كما علم في الاصل، و كنّى بذلك: عن حصولهم في سهمه و عدادهم من قومه. والأفوق النّاصل،: السّهم الّذى لافوق له ولانّصل، واستعار لفظهلهم باعتبار انّهم لاغناء بهم فيما يريده منهم كالسّهم المذكور. وقوله: بغير عمل: وعدهم له بالنّهوض الى الحرب خلفهم. و روى بغير علم اى: بغير اعتقاد لذلك، و لانيّة فيه، والغفلة من غير ورع هي المذمومة اذ

قد يعرض لذوى الورع غفلة عن مصالحهم الدّنيويّة و تكون محمودة لهم و منهم و هم البُلْهُ الّذين اشار اليهم الرّسول صلّى الله عليه و آله بقوله: (اكثر اهل الجنّة البله) اى: سليموا الصّدر من الاهتمام بالدّنيا و وجوه تحصيلها. و أراد غفلتهم عن مصلحة الجهاد، و طمعاً بغير حقّ أى: فيما كانوا يتوقّعونه منه من التّفضيل والزّيادة على عطائهم كما فعل من قبله.

٢٩ ـ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

فى معنى قتل عثمان

لَوْ أَمَرْتُ بِهِ لَكُنْتُ قَاتِلاً، أَوْنَهَيْتُ عَنْهُ لَكُنْتُ نَاصِرًا غَيْرَ أَنَّ مَنْ نَصَرَهُ لَايَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَ: خَذَلَهُ مَنْ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ، وَمَنْ خَذَلَهُ لَايَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَ: نَصَرَهُ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّى، وَ أَنَا جَامِعٌ لَكُمْ أَمْرَهُ: اَسْتَأْثَرَ فَأَسَاءَ الأَثَرَةَ وَجَزِعْتُمْ فَأَسَأْتُمُ الْجَزَعَ، وَلِلّهِ حُكْمٌ وَاقِعٌ فِي الْمُسْتَأْثِرِ وَالْجَازِعِ.

اقول: مفهوم الفصل التّبرّى من دم عثمان، والدّخول فيه بأمر و نهى[1] فى صورة شرطيّتين يستنتج منهما نقيض ملزوميّتهما باستثناء نقيض لازميهما، والملازمة عرفيّة فيهما اذ الآمر بالقتل يسمّى قاتلا عرفا. و النّاهى عنه يسمّى ناصرا. و قوله: غير انّ من نصره، الى قوله: خير منّى، فهو فى معرض الجواب لمن انكر بحضرته قعوده و جميع اكابر الصحابة عن نصرة عثمان.

و قال: انّهم لو نصروه و هم اكابر الصّحابة لمّا اجترأعليه طغام الأمة وانكانوأرادوا انّ الحق قتله، فقد كان يتعيّن عليهم ان يعرفوا النّاس ذلك لترتفع الشّبهة فأجابه بذلك و مفهوم القضيّتين انّى لو سلمّت انّى خاذل له فانّ الخاذلين له كانوا افضل من النّاصرين، اذ الخاذلون اكابر الصّحابة والنّاصرون بنو اميّة واتباعهم، و ليس لهم ان يدّعوا الأفضليّة على الخاذلين. و لا للخاذلين ان يعترفوا بالمفضوليّة و هو فى قوّة صغرى ضمير تقدير

---

١ ـ فى ش: او نهي.

كبراه، وكلّ من كان خاذلوه أفضل من ناصريه لم يجزلائمة خاذليه، و تخصيصهم بالتّعنيف امره، لانّهم افضل، والأفضل اولى ان يستتبع.

و قوله: و أنا، الى قوله: الجزع،: تنبيه على انّ عثمان و قاتليه كانوا على طرف الافراط، امّا عثمان ففى استبداده، واستيثاره برأيه فيما الأمّة شركاء فيه، حتّى أدّىٰ ذلك الى قتله، و امّا قاتلوه فلافراطهم فى الجزع من فعله، حتّى خرجوا عن فضيلة التّثبّت و ما ينبغي لهم من انتظار اصلاح الحال بينهم و بينه. وقيل: اسأتم الجزع عليه بعد قتله، و آثرتم الفتنة. و قوله: ولله حكم، الى آخره،: اشارة الى حكم قدره النّازل فى عثمان بقتله، و في قاتليه بجزعهم منه، وقتلهم له، او بجزعهم عليه، واثارتهم الفتنة بسببه، ويحتمل ان يريد الحكم فى الآخرة بما يلحقها من سعادة او شقاوة.و بالله التوفيق.

و من كلام له عليه[1] السلام لمّا انفذ عبدالله بن عبّاس الى الزّبير قبل وقوع الحرب يوم الجمل ليستفيئه الى طاعته، قال عليه[2] السلام:

٣٠ ـ وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

لابن العباس لما أرسله إلى الزبير يستفيئه إلى طاعته قبل حرب الجمل

لَا تَلْقَيَنَّ طَلْحَةَ فَإِنَّكَ إِنْ تَلْقَهُ تَجِدْهُ كَالثَّوْرِ عَاقِصًا قَرْنَهُ يَرْكَبُ الصَّعْبَ وَيَقُولُ: هُوَالذَّلُولُ. وَلٰكِنِ الْقَ الزُّبَيْرَ فَإِنَّهُ أَلْيَنُ عَرِيكَةً فَقُلْ لَهُ: يَقُولُ لَكَ ابْنُ خَالِكَ: عَرَفْتَنِي بِالْحِجَازِ وَأَنْكَرْتَنِي بِالْعِرَاقِ، فَمَا عَدَا مِمَّا بَدَا قال الشّريف: أقول: هو أوّل من سمعت منه هذه الكلمة، أعني «فماعدا مما بدا».

اقول: قوله، عاقصا قرنه: هو وجه الشّبه بالثّورة و كنّى به عن تكبّره وخشونة جانبه، و اصراره على الحرب. والعقص: التواء القرنين. و كنّى بقوله: يركب، الى قوله: الذّلول: عن تهوّره في ركوب الامور الصّعبة. و العريكة: الطبع و كان الزّبير الين طبعًا، و ذكر

---

١ ـ بزيادة : الصلاة. في نسخة ش.

٢ ـ في نسخة ش بزيادة: الصلاة.

النّسب تـذكيراً بـالـرّحم و كونـه ابن خالـه لانّ صـفيّة امّ الـزبير اخت ابـى طالـب و بـنـت عبدالمطّلب. و قوله: فما عدا ممّا بـدا،: مثل يضرب لمن يفعل فعلا باختياره ثم يرجع عنه و ينكـره، والـمـعنى: فمـا جـاوزتك عن بيـعـتي ممّا بـدا لـك و ظهره من الأمـور. و قـيل: المعني: فما صرفك و منعك عن ما كان بدامنك من اظهار طاعتي و بيعتي.

٣١ ـ وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّا قَدْ أَصْبَحْنَا فِي دَهْرٍ عَنُودٍ، وَزَمَنٍ كَنُودٍ يُعَدُّ فِيهِ الْمُحْسِنُ مُسِيئاً، وَيَزْدَادُ الظَّالِمُ عُتُوّاً، لاَنَنْتَفِعُ بِمَا عَلِمْنَا، وَلاَنَسْأَلُ عَمَّا جَهِلْنَا، وَلَا نَتَخَوَّفُ قَارِعَةً حَتَّى تَحُلَّ بِنَا فَالنَّاسُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَصْنَافٍ: مِنْهُمْ مَنْ لاَيَمْنَعُهُ الْفَسَادَ إِلَّا مَهَانَةُ نَفْسِهِ، وَكَلاَلَةُ حَدِّهِ، وَنَضِيضُ وَفْرِهِ؛ وَمِنْهُمُ الْمُصْلِتُ لِسَيْفِهِ، وَالْمُعْلِنُ بِشَرِّهِ، وَالْمُجْلِبُ بِخَيْلِهِ وَرَجْلِهِ، قَدْ أَشْرَطَ نَفْسَهُ، وَأَوْبَقَ دِينَهُ، لِحُطَامٍ يَنْتَهِزُهُ، أَوْ مِقْنَبٍ يَقُودُهُ، أَوْ مِنْبَرٍ يَفْرَعُهُ. وَلَبِئْسَ الْمَتْجَرُ أَنْ تَرَى الدُّنْيَا لِنَفْسِكَ ثَمَناً، وَمِمَّا لَكَ عِنْدَ اللهِ عِوَضاً؛ وَمِنْهُمْ مَنْ يَطْلُبُ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الآخِرَةِ، وَلاَيَطْلُبُ الآخِرَةَ بِعَمَلِ الدُّنْيَا: قَدْ طَامَنَ مِنْ شَخْصِهِ، وَقَارَبَ مِنْ خَطْوِهِ، وَشَمَّرَ مِنْ ثَوْبِهِ، وَزَخْرَفَ مِنْ نَفْسِهِ لِلْأَمَانَةِ، وَاتَّخَذَ سِتْرَ اللهِ ذَرِيعَةً إِلَى الْمَعْصِيَةِ؛ وَمِنْهُمْ مَنْ أَبْعَدَهُ عَنْ طَلَبِ الْمُلْكِ ضُؤُولَةُ نَفْسِهِ، وَانْقِطَاعُ سَبَبِهِ، فَقَصَرَتْهُ الْحَالُ عَلَى حَالِهِ، فَتَحَلَّى بِاسْمِ الْقَنَاعَةِ، وَ تَزَيَّنَ بِلِبَاسِ أَهْلِ الزَّهَادَةِ، وَلَيْسَ مِنْ ذٰلِكَ فِي مَرَاحٍ وَلاَ مَغْدًى. وَبَقِيَ رِجَالٌ غَضَّ أَبْصَارَهُمْ ذِكْرُ الْمَرْجِعِ، وَ أَرَاقَ دُمُوعَهُمْ خَوْفُ الْمَحْشَرِ، فَهُمْ بَيْنَ شَرِيدٍ نَادٍّ؛ وَ خَائِفٍ مَقْمُوعٍ، وَ سَاكِتٍ مَكْعُومٍ، وَ دَاعٍ مُخْلِصٍ، وَ ثَكْلاَنَ مُوجَعٍ. قَدْ أَخْمَلَتْهُمُ التَّقِيَّةُ، وَ شَمِلَتْهُمُ الذِّلَّةُ، فَهُمْ فِي بَحْرٍ أُجَاجٍ، أَفْوَاهُهُمْ ضَامِزَةٌ، وَ قُلُوبُهُمْ قَرِحَةٌ. وَ قَدْ وَعَظُوا حَتَّى مَلُّوا، وَ قُهِرُوا حَتَّى ذَلُّوا، وَ قُتِلُوا حَتَّى قَلُّوا. فَلْتَكُنِ الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِكُمْ أَصْغَرَ مِنْ حُثَالَةِ الْقَرَظِ وَ قُرَاضَةِ الْجَلَمِ، وَ اتَّعِظُوا بِمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، قَبلَ أَنْ يَتَّعِظَ بِكُمْ مَنْ بَعْدَكُمْ، وَ ارْفُضُوهَا ذَمِيمَةً: فَإِنَّهَا رَفَضَتْ مَنْ كَانَ أَشْغَفَ بِهَا مِنْكُمْ.

قال السّيد رضى الله عنه: وهـذه الخطبة ربما نسبـهـا من لا علم له إلى مـعاويـة، وهـى من كلام أمير المؤمـنين عليه السّلام الّـذى لايشكّ فيه، و أين الذهب من الرّغام، والعذب

من الأجاج؟ و قد دلّ على ذلك الدّليل الخرّيت، و نقده النّاقد البصير عمرو بن بحر الجاحظ؛ فإنّه ذَكَرَ هذه الخطبة في كتاب البيان والتّبيين، و ذكر من نسبها إلى معاوية، ثم قال: هي بكلام عليّ عليه السلام أشبه و بمذهبه في تصنيف النّاس. و بالإخبار عمّا هم عليه من القهر والإذلال، و من التّقيّة والخوف. أليقُ قال: و متى وجدنا معاوية في حال من الأحوال يسلك في كلامه مسلك الزّهاد، و مذاهب العُبّاد؟!!

اقول: العنود: الجائر، والكنود: الكفور،والعتوّ: الكبر، والقارعة: الخطب العظيم. و نسبة الخير الى بعض الازمنة، و الشّرّ الى بعضها نسبة صحيحة لانّ الزمان من الأسباب المعدّة لحصول ما يحصل في هذا العالم من الحوادث والأمور المعدودة خيرا و شرًّا. و قد تتفاوت الأزمنة في الاعتداد لقبول الخير والشّرففي بعضها يكون بحسب الاستقراء الخير غالبا خصوصا في زمن قوّة الدّين والنّواميس الشّرعيّة النّاظمة للعالم، و في بعضها يكون الشّرّ غالبا. وَعَدُّالمحسنِ مسيئا كالمتصدّق مرائيا و زيادة عتوالظّالم اى: تجبّره لضعف سلطان الدّين، وعدم انتفاع العالم بعلمه فيه عدم علمه على وفق علمه، و عدم سؤال الجاهل عمّا جهله لقلّة الرّغبة في العلم والانتفاع به، و عدم تخوّف النّاس من الأمر المخوف حتّى ينزل بهم، كناية: عن عدم فكرهم فيما يصلح حال عاقبتهم و هو ايماء الى ما يستقبلونه من فتنة بني اميّة و غيرها.

فامّا قسمته للنّاس فسياقها الى آخرالكلام، يقتضي خمسة اقسام وإنّما افرد الأربعة لاشتراكها في غرض الذّمّ وافرد الخامس لاختصاصه بالمدح، ووجهه انّ النّاس إمّا مريدون للدّنيا اولله، و الأوّلون إمّا قادرون عليها أو ليس، والثّاني امّا غير محتالين لها او محتالون، والثّاني إمّا يؤهّلوا انفسهم للملك والامارة او ليس فهذه اقسام خمسة. فالأوّل، المريدون للدّنيا القادرون عليها، وهم: المشار اليهم في القسم الثّاني من قسمته بقوله: فمنهم المصلّت الى قوله: يفرعه، و هم الّذين اطلقوا عنان النّفس من الشّهوة والغضب في تحصيل ما تخيّلوه كمالا. واصلات السّيف: تجريده و كنّي به عن التّغلّب والقهر بالظّلم و غيره. والإجلاب بالخيل والرجل كناية عن: جمع اسباب الظلم والغلبة، و اشرط نفسه: اعلمها و نصبها لذلك حتّى صار معروفا به. و أوبق دينه: اهلكه. والحطام: متاع الدّنيا، والانتهاز: الإختلاس والإستلاب بقدر الإمكان. والمِقْنَب بكسرالميم و فتح النون: الجمع

من الخيل. و فرع المنبر وافترعه: علاه.

و خصص الأمور الثّلاثة لأنّها الاغلب في مطالب الدّنيا. و قوله: و لبئس المتجر، الى آخره: تنبيه لهذا الصّنف على خسرانهم في افعالهم الشّبيهة بالتّجارة الخاسرة.

الصّنف الثّاني، المريدون لها غير القادرين عليها ولا محتالين لها واشار اليه، بقوله: و منهم من لايمنعه الى قوله: و فرّه، و كنّى: بكلال حدّه عن عدم صراحته في الامور وضعفه عنها، و نضيض و فره: قلّة ماله.

الصّنف الثّالث، غير القادرين عليها مع احتيالهم لها واعداد انفسهم لاموردون الملك، و اشار اليهم بقوله: و منهم من يطلب الدّنيا بعمل الآخرة اى: بالعبادة رياءً و سمعة قوله: الدّنيا، و تطأ منه من شخصه: دخوله في شعار الصّالحين، و ستر الله الّذى حمى به اهل التقوى من موارد الهلكة قد يتزيّأ به غيرهم و يجعلونه ذريعة الى معصيته، و زخرف من نفسه زيّنها.

الصنف الرابع، غير القادرين عليها، المحتالون لها المؤهّلون أنفسهم للملك والامرة، واشار اليهم بقوله: و منهم من اقعده الى آخره، و ضئولة نفسه: حقارتها، و تخيّل العجز عن المطلوب، وانقطاع السبب كقلّة المال و عدم الاعوان، و قصرته الحال اى: حال القدر على حاله الّتى لم يبلغ معها ما اراد، فلزم الحيلة الجاذبة لرغبة الخلق اليه من التحلّى بالقناعة، والتزيّن بلباس الزهاد، و كنّى: بكونه ليس من ذلك في مراح ولا مغدىً عن كونه من الزاهدين في شئ.

الصنف الخامس المريدين لله تعالى، و اشار اليهم بقوله: و بقي رجال، الى آخره، و غضّ أبصارهم ذكر المرجع اى: كفّهم عن الإلتفات الى الدّنيا لاشتغال سريرتهم بأحوال الآخرة. والشّريد النّاد: المطرود الذّاهب لوجهه، إمّا لانكاره المنكر اولقلّة صبره على مشاهدته. و مقموع: مذلّل مقهور. والكعام: شئ يجعل في فم البعير عندالهياج، فاستعار لفظه للساكت خوفاً كأنّه شدّ فوه. وثكلان: موجع إمّا لمصابه في الدّين او لكثرة اذاه من الظّالمين. و يحتمل ان يكون ذلك تفصيلا لحال المتّقين بالنّسبة الى خوف المحشر اذ فعل كلّ منهم ما هذه صفته. واستعار لفظ البحر الاجاج: لما هم فيه من الدنيا و أحوالها، باعتبار عدم التذاذهم بها فهى كالبحر المالح عند راكبه، لايلتذّ به وان

اجهده العطش. و ضامزة بالزاء المعجمة ساكنة، و من روى بالراء فأراد أنّها: ذاهلة لكثرة[1] صيامهم و بعد افواههم من المضغ. و قرح قلوبهم لخوفهم من الله. والحثالة: الثفل. والقرظ: ورق السلم يدبغ به. والجلم: المقص. وبالله التوفيق.

٣٢ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

عند مسيره لقتال اهل البصرة.

قال عبدالله بن العباس رحمه الله: دخلت على أمير المؤمنين عليه السلام بذى قار و هو يخصف نعله فقال لى: ما قيمة هذه النعل؟ فقلت لا قيمة لها. فقال عليه السلام: والله لهى أحبّ إلىّ من إمْرَتِكُمْ إلّا أن أقيم حقّا، أو أدفع باطلا، ثمّ خرج فخطب النّاس فقال:-

إنَّ ٱللهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ يَقْرَأُ كِتَابًا وَلَا يَدَّعِي نُبُوَّةً، فَسَاقَ النَّاسَ حَتَّى بَوَّأَهُمْ مَحَلَّتَهُمْ، وَبَلَّغَهُمْ مَنْجَاتَهُمْ فَاسْتَقَامَتْ قَنَاتُهُمْ، وَٱطْمَأَنَّتْ صَفَاتُهُمْ. أَمَا وَٱللهِ إِنْ كُنْتُ لَفِي سَاقَتِهَا حَتَّى تَوَلَّتْ بِحَذَافِيرِهَا: مَا ضَعُفْتُ وَلَا جَبُنْتُ وَإِنَّ مَسِيرِي هٰذَا لِمِثْلِهَا فَلَأَنْقُبَنَّ الْبَاطِلَ حَتَّى يَخْرُجَ الْحَقُّ مِنْ جَنْبِهِ. مَالِي وَلِقُرَيْشٍ! وَٱللهِ لَقَدْ قَاتَلْتُهُمْ كَافِرِينَ وَلَأُقَاتِلَنَّهُمْ مَفْتُونِينَ، وَإِنِّي لَصَاحِبُهُمْ بِالْأَمْسِ: كَمَا أَنَا صَاحِبُهُمُ الْيَوْمَ!

اقول: ذوقار موضع قريب من البصرة. و خصف النعل: خرزه.

و انّما لم يكن العرب يومئذ تقرأ كتابا لأنّ ما كانت اليهود تدعيّه من التورات، والنّصارى تدعيّه من الانجيل، ليس هوما انزل على موسى، وعيسى، منهما لتبد يلهما و تحريفهما، او اراد بالعرب جمهورهم و كانوا معطّلة و عبدة اوثان. و قوله: فساق الناس: الى غايتهم من الاسلام بعضا بالترغيب و بعضا بالترّهيب. ومحلّتهم: منزلتهم فى النّاس التي ساقهم القدر اليها. و منجاتهم: هوالدّين والاسلام، اذ هو محلّ نجاتهم من عذاب الله. و كنّى باستقامة قناتهم: عن استقامة دولتهم و انتظام امورهم. و باطمئنان صفاتهم عن

[1] - بزيادة: الصلاة. في ش.

استقرارهم في دارهم، و ثبات احوالهم بعد اضطرابها. و الضمير في ساقتها: لكتائب الحرب. و تولّت بحذا فيرها اى: بأجمعها و هو مع قوله: وانّ مسيرى هذا، لمثلها فى معرض التهديد بالحال السابقة له. و كنىّ بتقيب الباطل: للغاية المذكورة عن ازاحته، و تخليص الحق من شائبه. و قوله: مالى و لقريش: استفهام انكار لما بينه و بينهم مما يوجب معاندته و جحد فضله. و قوله: والله الى آخره: توبيخ برذيلة الكفر في معرض ذكر سبب قتالهم لظهور عذره فيه، و تهديدهم بالقتل على الفتنة في الدّين و بتذكيرهم انّه ذاك المعهود مكروه اللقاء.

٣٣ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

في استنفار النّاس إلى أهل الشام

أُفٍّ لَكُمْ، لَقَدْ سَئِمْتُ عِتَابَكُمْ!! أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ عِوَضاً؟ وَ بِالذُّلِّ مِنَ الْعِزِّ خَلَفًا؟ إِذَا دَعَوْتُكُمْ إِلَى جِهَادِ عَدُوِّكُمْ دَارَتْ أَعْيُنُكُمْ كَأَنَّكُمْ مِنَ الْمَوْتِ فِي غَمْرَةٍ، وَ مِنَ الذُّهُولِ فِي سَكْرَةٍ، يُرْتَجُ عَلَيْكُمْ حَوَارِي فَتَعْمَهُونَ. فَكَأَنَّ قُلُوبَكُمْ مَأْلُوسَةٌ فَأَنْتُمْ لَا تَعْقِلُونَ، مَا أَنْتُمْ لِي بِثِقَةٍ سَجِيسَ اللَّيَالِي، وَ مَا أَنْتُمْ بِرُكْنٍ يُمَالُ بِكُمْ، وَلَا زَوَافِرِ عِزٍّ يُفْتَقَرُ إِلَيْكُمْ مَا أَنْتُمْ إِلَّا كَإِبِلٍ ضَلَّ رُعَاتُهَا، فَكُلَّمَا جُمِعَتْ مِنْ جَانِبٍ انْتَشَرَتْ مِنْ آخَرَ، لَبِئْسَ ـ لَعَمْرُ اللهِ ـ سُعْرُ نَارِ الْحَرْبِ أَنْتُمْ تُكَادُونَ وَلَا تَكِيدُونَ، وَ تُنْتَقَصُ أَطْرَافُكُمْ فَلَا تَمْتَعِضُونَ لَا يُنَامُ عَنْكُمْ وَ أَنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ سَاهُونَ، غُلِبَ وَاللهِ الْمُتَخَاذِلُونَ، وَايْمُ اللهِ إِنِّي لَأَظُنُّ بِكُمْ، أَنْ لَوْ حَمِسَ الْوَغَى وَاسْتَحَرَّ الْمَوْتُ قَدِ انْفَرَجْتُمْ عَنِ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ انْفِرَاجَ الرَّأْسِ. وَاللهِ إِنَّ امْرَأً يُمَكِّنُ عَدُوَّهُ مِنْ نَفْسِهِ يَعْرُقُ لَحْمَهُ، وَ يَهْشِمُ عَظْمَهُ، وَ يَفْرِي جِلْدَهُ؛ لَعَظِيمٌ عَجْزُهُ، ضَعِيفٌ مَا ضُمَّتْ عَلَيْهِ جَوَانِحُ صَدْرِهِ أَنْتَ فَكُنْ ذَاكَ إِنْ شِئْتَ فَأَمَّا أَنَا فَوَاللهِ دُونَ أَنْ أُعْطِيَ ذَلِكَ ضَرْبٌ بِالْمَشْرَفِيَّةِ تَطِيرُ مِنْهُ فَرَاشُ الْهَامِ، وَتَطِيحُ السَّوَاعِدُ وَالْأَقْدَامُ، وَيَفْعَلُ اللهُ بَعْدَ ذَلِكَ مَا يَشَاءُ.

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ لِي عَلَيْكُمْ حَقّاً، وَ لَكُمْ عَلَيَّ حَقٌّ: فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَيَّ فَالنَّصِيحَةُ لَكُمْ، وَ تَوْفِيرُ فَيْئِكُمْ عَلَيْكُمْ، وَ تَعْلِيمُكُمْ كَيْلَا تَجْهَلُوا، وَ تَأْدِيبُكُمْ كَيْمَا تَعْلَمُوا، وَ أَمَّا حَقِّي عَلَيْكُمْ



فَالْوَفَاءُ بِالْبَيْعَةِ، وَ النَّصِيحَةُ فِي الْمَشْهَدِ وَالْمَغِيبِ، وَالْإِجَابَةُ حِينَ أَدْعُوكُمْ، وَالطَّاعَةُ حِينَ آمُرُكُمْ.

أقول: هذه الخطبة بعد وقعة الخوارج بالنّهروان.

و افّ: كلمة تضجّر. و غمرة الموت: سكرته. والذّهول: السّهو. و يرتجّ: يغلق. والحوار: الخطاب. و تعمهون: تتحيّرون. والمألوس: المجنون مختلط العقل. وسجيس اللّيالي: ابدأ مدى الليالي. والزوافر جمع زافرة و زافرة الرجل: انصاره. وسعر جمع سعير، واسعار النار: تهيّجها. والامتعاض: الغضب. و حمس الوغى: اشتدّ الحرب، و شبّه انفراجهم عنه عند اشتداد الحرب: بانفراج الرأس عن البدن في عدم عودهم اليه. و قيل: بانفراج بعضى اعضائه (عظامه) عن بعض. و قيل: انفراج من يريد ان يتحوّل برأسه. و عرقت اللحم اعرقه، بالضّم: اذا لم يبق على العظم منه شيئا. والمشرفيّة: سيوف منسوبة الى «مشارف»، قرية في ارض العرب تدنوا من الرّيف. و فراش الهام: العظام الرّقيقة تلي القحف.

و مدار الفصل على توبيخهم لقعودهم عن دعائه الى قتال عدوّهم، و نسبتهم الى الخمول والذلّة، و تخويف عاقبة الأمر و اعذاره اليهم في خروجه مما وجب عليه لهم مع تخلّفهم عن اداء ما وجب عليهم له، و الفصل واضح.

٣٤ ـ وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام
بعد التّحكيم

اَلْحَمْدُ لِلّهِ وَ إِنْ أَتَى الدَّهْرُ بِالْخَطْبِ الْفَادِحِ، وَالْحَدَثِ الْجَلِيلِ. وَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَيْسَ مَعَهُ إِلٰهٌ غَيْرُهُ، وَ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَ رَسُولُهُ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ مَعْصِيَةَ النَّاصِحِ الشَّفِيقِ الْعَالِمِ الْمُجَرِّبِ تُورِثُ الْحَسْرَةَ، وَ تُعْقِبُ النَّدَامَةَ. وَ قَدْ كُنْتُ أَمَرْتُكُمْ فِي هٰذِهِ الْحُكُومَةِ أَمْرِي وَ نَخَلْتُ لَكُمْ مَخْزُونَ رَأْيِي، لَوْ كَانَ يُطَاعُ لِقَصِيرٍ أَمْرٌ؛ فَأَبَيْتُمْ عَلَيَّ إِبَاءَ الْمُخَالِفِينَ الْجُفَاةِ، وَالْمُنَابِذِينَ الْعُصَاةِ، حَتَّى ارْتَابَ النَّاصِحُ بِنُصْحِهِ،

وَ ضَنَّ الزَّنْدُ بِقَدْحِهِ، فَكُنْتُ وَ إِيَّاكُمْ كَمَا قَالَ أَخُوهَوَازِنَ:-

أَمَـرْتُكُمْ أَمْـرِي بِمُـنْـعَـرَجِ اللِّوَى فَلَمْ تَسْتَبِينُوا النُّصْحَ إِلَّا ضُحَى الْغَدِ

اقول هذه الخطبة بعد ان بلغه تمام حيلة عمرو بن العاص، على ابي موسى الا شعرى في الحكومة.

والخطب: الامر العظيم. و فدحه: أثقله. و مفهوم قوله: و ان أتى، الحمد على كلّ حال. و قوله: لو كان يطاع لقصير أمر: مثلٌ يُضرب لمن يخالف الناصح فيندم. و قصير هذا: هو قصير بن سعداللخمى مولى جديمة الابرش، بعض ملوك العرب واصله: انّ جديمة كان قتل أبا الزباء ملكة الجزيرة، فبعث اليه ليتزوّجها حيلة عليه، و سألته القدوم عليها فأجابها الى ذلك و خرج في ألف فارس و خلّف باقى جنوده مع ابن اخته عمرو بن عدى، و كان قصير اشار الى جديمة ان لايتوجّه اليها فلم يقبل رأيه فلما قرب جديمة من الجزيرة استقبله جنود الزباء بالعدّة، و لم يرمنهم[1] اكراماً له فأشار عليه قصير بالرجوع عنها فلم يقبل، فلما دخل عليها غدرت به و قتلته فعندها قال قصير: لا يطاع لقصير امر، فذهبت مثلا لكل ناصح عُصِيَ، وهو مصيب في رأيه، و ارتاب النّاصح بنصحه، يعنى: نفسه لاطباق اصحابه على مخالفته لانّ المشوريّات امور مظنونة[2] و قد يتغيّر الظنّ بتغيّر الامارات. و قيل: يحمل ذلك على المبالغة، لانّه عليه السلام منزّه عن الشك فيما رآه صواباً.

و قوله: و ضنّ الزّند بقدحه، قيل: هو مثلٌ يُضرب لمن يبخل بفوائده. والبيت لدريد ابن الصمة من قصيدة له فى الحماسة اوّلها:

نصحت لعارض و اصحاب عارض ....

و انّما قال: اخو هوازن: لنسبته اليهم، فانّ دريد بن الصمة من بنى جشم بن معاوية ابن بكربن هوازن، كقوله تعالى: (و اذكر أخاعاد)[3] و وجه تمثيله نفسه معهم بهذا القائل

---

١ ـ في نسخة ش: يرمهم.

٢ ـ في ش: مصونة.

٣ ـ سورة الاحقاف / ٢١.

مع قومه اشتراكهما في النّصيحة و عصيانهما المستعقب لندامة قومهم و هلاكهم، والّذى كان اشار به عليه السلام هو: ترك الحكومة، والصّبر على قتال اهل الشام.

٣٥ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

في تخويف أهل النهروان

فَأنَا نَذِيرُكُمْ أنْ تُصْبِحُوا صَرْعَى بِأَثْنَاءِ هٰذَا النَّهْرِ، وَبِأَهْضَامِ هٰذَا الْغَائِطِ عَلَى غَيْرِ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ، وَلَا سُلْطَانٍ مُبِينٍ مَعَكُمْ: قَدْ طَوَّحَتْ بِكُمُ الدَّارُ وَ احْتَبَلَكُمُ الْمِقْدَارُ، وَ قَدْ كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ هٰذِهِ الْحُكُومَةِ فَأَبَيْتُمْ عَلَيَّ إبَاءَ الْمُخَالِفِينَ الْمُنَابِذِينَ، حَتَّى صَرَفْتُ رَأْيِي إلَى هَوَاكُمْ، وَ أَنْتُمْ مَعَاشِرُ أخِفَّاءُ الْهَامِ، سُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ وَ لَمْ آتِ -لَا أَبَالَكُمْ- بُجْرًا، وَلَا أَرَدْتُ لَكُمْ ضُرًّا.

أقول: الخطاب للخوارج الّذين قتلهم بالنّهروان، و قد كان القضاء الالٓهي سبق فيهم بما كان من الخروج على لسان الرسول صلّى الله عليه و آله. روى انّه بينا هويقسم قسما جاءه رجل من بني تميم يقال له ذوالخويصرة، فقال: اعدل يا محمّد، فقال صلّى الله عليه و آله: قد عدلت، فقال: بالله اعدل، يا محمد، فانّك لم تعدل، فقال صلّى الله عليه و آله: و يلك من يعدل اذا لم أعدل؟ فقال عمر: يا رسول الله ائذن لي في ضرب عنقه، فقال: دعه فسيخرج من ضئضئ هذا قوم يمرقون من الدّين كما يمرق السّهم من الرّمية، يخرجون على خير فرقة من النّاس تحتقر صلاتكم في جنب صلاتهم، و صومكم عند صومهم يقرؤون القرآن لايتجاوزتراقيهم،فيهم رجل اسود مخدج اليد احدى يديه كأنها ثدي امراة اوبضعة،قديقتله اولى الفريقين بالحقّ.

و عن عائشة، عن الرّسول صلّى الله عليه و آله: يقتلهم خيرُالخلق والخليقة واقربهم الى الله وسيلة. و الاهضام جمع هضم و هو: المطمئنّ من الارض. و كذلك الغائط: ما سفل منها. و طوّحت بكم أي: توّهتكم. و اراد بالدّار: الكوفة، و اوطانهم بها كأنّها قذفتهم و رمت بهم المرامي. و احتبلهم المقدار: وقعوا في حبائله. و استعار وصف

الاحتبال: لاحاطته بهم، و عدم خلاصهم من حكمه، وحقّه الهام: كناية عن رذيلة الطيش. و السّفه: ضدالحلم. و قوله: لا أبًا لكم، قال الجوهري: كلمة مدح. و قيل: كلمة ذمّ. و قيل: دعاء بالذلّ لكونه لازما دعاءالاب. والبجر: الأمر العظيم.

٣٦ - وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

يجري مجرى الخطبة

فَقُمْتُ بِالْأَمْرِ حِينَ فَشِلُوا، و تَطَلَّعْتُ حِينَ تَعْتَعُوا، و نَطَقْتُ حِينَ تَمَنَّعُوا وَمَضَيْتُ بِنُورِ ٱللهِ حِينَ وَقَفُوا. وَ كُنْتُ أَخْفَضَهُمْ صَوْتًا، وَ أَعْلاهُمْ فَوْتًا فَطِرْتُ بِعِنَانِهَا، وَٱسْتَبْدَدْتُ بِرِهَانِهَا، كَالْجَبَلِ لَا تُحَرِّكُهُ ٱلْقَوَاصِفُ، وَلَا تُزِيلُهُ ٱلْعَوَاصِفُ: لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ فِيَّ مَهْمَزٌ، وَلَا لِقَائِلٍ فِيَّ مَغْمَزٌ، ٱلذَّلِيلُ عِنْدِي عَزِيزٌ حَتَّى آخُذَ ٱلْحَقَّ لَهُ، وَٱلْقَوِيُّ عِنْدِي ضَعِيفٌ حَتَّى آخُذَ ٱلْحَقَّ مِنْهُ، رَضِينَا عَنِ ٱللهِ قَضَاءَهُ، وَ سَلَّمْنَا لِلهِ أَمْرَهُ، أَتُرَانِي أَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ؟ وَٱللهِ لَأَنَا أَوَّلُ مَنْ صَدَّقَهُ فَلا أَكُونُ أَوَّلَ مَنْ كَذَبَ عَلَيْهِ. فَنَظَرْتُ فِي أَمْرِي فَإِذَا طَاعَتِي قَدْ سَبَقَتْ بَيْعَتِي، وَ إِذَا ٱلْمِيثَاقُ فِي عُنُقِي لِغَيْرِي.

أقول: قال بعض الشّارحين هذا الفصل فيه فصول اربعة التقطها الرضيّ رحمه الله من كلام طويل، قاله بعد وقعة النّهروان ذكر فيه حاله منذ توفّي رسول الله صلّى الله عليه و آله الى آخر وقت.

الاوّل، قوله: فقمت بالامر، الى قوله: برهانها، و فيه ذكر فضيلته بالنسبة الى سائر الصّحابة،و هي الشّجاعة و الذبّ عن رسول الله صلّى الله عليه و آله في مواضع الحاجة حين ضعفهم و جُبنهم. ثم البلاغة والفصاحة عن مشكلات الدّين حين تعتعوا، و كنّى عن قيامه بذلك: بالنطق. والتعتعة: الاضطراب في الكلام عن العيّ، والحصر ثمّ التطّلع وهو: الاشراف من عال، و كنّى به: عن الاهتمام العالي بما ينبغي تحصيله، والقيام فيه من الجهاد في دين الله حين تقبّعوا عنه. والتقبّع: التقبّض. و قبع القنفذ، اذا أدخل رأسه في جِلده. و كنّى به: قصورهم و قعودهم عن مقاماته، و مضيت بنورالله قيل: في جملة

سورة براءة، و هي نورالله للمشركين حين وقف عنها كثير من الصّحابة، و يحتمل ان يريد مضيت في سبيل الله عن نورالعلم حين وقف عنها كثير من الجاهلين و عمي عن مواردها. و كنّى بكونه اخفضهم صوتًا: عن رباطة جأشه في الامور و ثباته فيها، و من كان كذلك كان اشدّ سبقا في المعالي، و اقوى سعيًا في درجات الكمال، بحيث لايلحق. و مثّل نفسه في ذلك بالمجرى في البرهان الذي لايشقّ غباره.

و استعار اوصافه من الطيران بالعنان و الاستبداد بالرّهان. والضّمير فيهما للفضيلة التي يسبق عليها.

الثاني، كالجبل، الى قوله: آخذ الحقّ منه، و يحكي قيامه بأعباءالخلافة حين انتهائها اليه، و جريه فيها على قانون العدل، و شبّه نفسه في الثبات على الحق بالجبل، و اشار الى وجه الشبه بقوله: لا تحرّكه، الى قوله: العواصف، والمهمز والمغمز: العيب.

الثالث، قوله: رضينا عن الله قضاءهُ، الى قوله: كذب عليه. قيل: ذلك في معرض تفرّسه في طائفة من قومه انّهم يتّهمونه فيما يخبرهم عن النبى صلّى الله عليه وآله من الامم المستقبلة، حتى كان فيهم من يواجهه بذلك. و ذكرالرضا بالقضاء: تسلية لنفسه عن هذا التكذيب باسناده الى القضاء الالّهي.

الرّابع، قوله: فنظرت، الى آخره، و فيه احتمالان احدهما قال بعض الشّارحين: انّه مقطوع من كلام يذكر فيه حاله بعد وفاة رسول الله صلّى الله عليه وآله، و انّه كان معهوداً اليه ان لاينازع في امرالخلافة بل ان حصل له بالرّفق و الاّ فليمسك. فقوله: فاذا طاعتي قد سبقت بيعتي، اي: طاعتي لرسول الله صلّى الله عليه وآله فيما امرني به من ترك القتال. قد سبقت بيعتي للقوم فلا سبيل الى الامتناع منها لادائها الى المشاقّة.

قوله: و اذا الميثاق، اي: ميثاق رسول الله[1] وعهده اليّ بعدم المشاقّة. وقيل الميثاق: ما لزمه من بيعة ابي بكر بعد وقوعها اي: فاذا ميثاق القوم قد لزمني.

الاحتمال الثاني: ان يكون ذلك في معرض تضجّره من ثقل اعباءالخلافة، و يكون المعنى انّي نظرت فاذا طاعة الخلق لي قد سبقت بيعتي منهم، و اذا ميثاقهم قد صار في عنقي فلم اجد بُدّاً من القيام بأمرهم.

---

١ - بزيادة كلمة: صلى الله. في ش.

٣٧ ـ وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

وَ إِنَّمَا سُمِّيَتِ ٱلشُّبْهَةُ شُبْهَةً لِأَنَّهَا تُشْبِهُ ٱلْحَقَّ: فَأَمَّا أَوْلِيَاءُ ٱللهِ فَضِيَاؤُهُمْ فِيهَا ٱلْيَقِينُ، وَدَلِيلُهُمْ سَمْتُ ٱلْهُدَى، وَأَمَّا أَعْدَاءُ اللهِ فَدُعَاؤُهُمْ فِيهَا ٱلضَّلَالُ، وَدَلِيلُهُمُ ٱلْعَمَى، فَمَا يَنْجُو مِنَ ٱلْمَوْتِ مَنْ خَافَهُ، وَلَا يُعْطَى ٱلْبَقَاءَ مَنْ أَحَبَّهُ.

اقول: استعار لفظ الضّياء لليقين بالله و رسوله، و ما جاء به من الغيب، باعتبار هدايتهم بذلك فى طريق الحقّ كالضّياء. و لفظ الدّليل: لقصد هدى الله فى سبيله، باعتبار هداية القصد لهم كالدليل الهادى. و تجوّز بلفظ الضّلال فى المضلّ، و هو: دعاء الكفار اطلاقا لاسم اللّازم على ملزومه، واستعار لفظ العمى: للجهل. و لفظ الدّليل له باعتبار كونه قائدهم الّذى به يقتدون. و قوله: فما ينجو، الى آخره: يشبه ان يكون كلاما منقطعًا عما قبله.

٣٨ ـ وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

مُنِيتُ بِمَنْ لَا يُطِيعُ إِذَا أَمَرْتُ، وَلَا يُجِيبُ إِذَا دَعَوْتُ، لَا أَبَالَكُمْ مَا تَنْتَظِرُونَ بِنَصْرِكُمْ رَبَّكُمْ؟ أَمَا دِينٌ يَجْمَعُكُمْ، وَلَا حَمِيَّةَ تُحْمِشُكُمْ أَقُومُ فِيكُمْ مُسْتَصْرِخًا، وَأُنَادِيكُمْ مُتَغَوِّثًا، فَلَا تَسْمَعُونَ لِي قَوْلًا، وَلَا تُطِيعُونَ لِي أَمْرًا، حَتَّى تَكَشَّفَ ٱلْأُمُورُ عَنْ عَوَاقِبِ ٱلْمَسَاءَةِ، فَمَا يُدْرَكُ بِكُمْ ثَارٌ، وَلَا يُبْلَغُ بِكُمْ مَرَامٌ؛ دَعَوْتُكُمْ إِلَى نَصْرِ إِخْوَانِكُمْ فَجَرْجَرْتُمْ جَرْجَرَةَ ٱلْجَمَلِ ٱلْأَسَرِّ، وَ تَثَاقَلْتُمْ تَثَاقُلَ ٱلنِّضْوِ ٱلْأَدْبَرِ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَيَّ مِنْكُمْ جُنَيْدٌ مُتَذَائِبٌ ضَعِيفٌ (كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَ هُمْ يَنْظُرُونَ).

قال السّيد رحمه الله: قوله عليه السلام، متذائب، اى: مضطرب من قولهم تذاءبت الريح، اى: اضطرب هبوبها، و منه سمّى الذئب ذئبا لاضطراب مشيته.

اقول: منيت: ابتليت. و تحمشكم: تغضبكم. والتغوّث: طلب النّصرة بالنّداء.

والثار: الذحل. والجرجرة: ترديد الصوت البعير عند عسفه. والسّرر: داء يأخذ البعير في سرّته. والنّضو: البالي من تعب السير. واستعار لهم وصف الجرجرة: باعتبار تضجّرهم من دعوتهم الى الحرب. و شبّه ذلك منهم بجرجرة الجمل الاسرّ، و تثاقل النّضو الادبر، اى: في شدّة التضجّر والضعف[1].

٣٩ - وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

في الخوارج لما سمع قولهم: لا حكم إلاالله؛ قال عليه السّلام:

كَلِمَةُ حَقٍّ يُرَادُ بِهَا الْبَاطِلُ!! نَعَمْ إنَّهُ لاَ حُكْمَ إلاَّ للهِ، وَلكِنْ هٰؤُلاَءِ يَقُولُونَ: لَا إمْرَةَ إلَّا للهِ، وَإنَّهُ لَا بُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ أمِيرٍ بَرٍّ أوْ فَاجِرٍ، يَعْمَلُ فِي إمْرَتِهِ الْمُؤمِنُ، وَيَسْتَمْتِعُ فِيهَا الْكَافِرُ، وَيُبَلِّغُ اللهُ فِيهَا الأجَلَ، وَيُجْمَعُ بِهِ الْفَيْءُ، وَيُقَاتَلُ بِهِ الْعَدُوُّ، وتَأْمَنُ بِهِ السُّبُلُ، وَ يُؤْخَذُ بِهِ لِلضَّعِيفِ مِنَ الْقَوِيِّ حَتَّى يَسْتَرِيحَ بَرٌّ وَيُسْتَرَاحُ مِنْ فَاجِرٍ.

وفي رواية اخرى أنه عليه السّلام لمّا سمع تحكيمهم قال: حُكْمَ اللهِ أنْتَظِرُ فِيكُمْ.

و قال: ـ أمَّا الإمْرَةُ الْبَرَّةُ فَيَعْمَلُ فِيهَا التَّقِيُّ؛ وَ أمَّا الإمْرَةُ الْفَاجِرَةُ فَيَتَمَتَّعُ فِيهَا الشَّقِيُّ، إلَى أنْ تَنْقَطِعَ مُدَّتُهُ، وَ تُدْرِكَهُ مَنِيَّتُهُ.

اقول: قول كلمة حق اى: هذه كلمة حق ارادوا بها باطلا، و هو: انّه ليس للعبد ان يحكم بغير ما نصّ كتاب الله عليه، فانّ اكثر الاحكام الفروعية غير منصوص عليها مع انّها احكام الله، بل يكون منتزعة بحكم الاجتهاد. و قوله: نعم: تقرير لحقيقتها، و لمّا كان من لوازم اعتقادهم انّه لا حكم غير ما نصّ الله عليه نفى الامرة لانّ استنباط الاحكام و النّظر في وجوه المصالح، من لوازم الامرة التى هى حال الامير في رعيّته، و نفى اللّازم يستلزم نفى الملزوم. و لما كانوا قد نفوا الامرة قال: و لكن هؤلاء يقولون لا امرة و كذّبهم، بقوله: و لابدّ للناس الى آخره. و جملة الكلام في صورة قياس استثنائى، هكذا اذا قالوا: لا حكم الّا لله كما تصوّروه فقد قالوا بنفى الامرة لكن اللّازم باطل، فالقول بنفى الحكم

[1] ـ كلمة: والضعف. غير موجودة في نسخة ش.

الّا الله كما تصوّروه باطل.

و قوله: لابدّ في قوّة استثنائي: نقيض لازم المتّصلة، و طبيعة وجود هذا العالم يشهد بضرورة الحاجة الى إمام كما قال الشاعر:

تُهدىٰ الامور باهل الرأى ما صلحت   فان تولّت فبالأشرار تنقادُ

و قوله: حتّى يستريح، غاية من قوله: و يقاتل به العدوّ الى قوله: من القوىّ. والباقى ظاهر.

٤٠ ـ وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

إنَّ الْوَفَاءَ تَوأَمُ الصِّدْقِ، وَلَا أعْلَمُ جُنَّةً أوْقَى مِنْهُ وَلَا يَغْدِرُ مَنْ عَلِمَ كَيْفَ الْمَرْجِعُ. وَ لَقَدْ أَصْبَحْنَا فِي زَمَانٍ، قَدِ اتَّخَذَ أَكْثَرُ أَهْلِهِ الْغَدْرَ كَيْسًا وَ نَسَبَهُمْ أَهْلُ الْجَهْلِ فِيهِ إِلَى حُسْنِ الْحِيلَةِ، مَا لَهُمْ؟ قَاتَلَهُمُ اللهُ! قَدْيَرَى الْحُوَّلُ الْقُلَّبُ وَجْهَ الْحِيلَةِ وَ دُونَهُ مَانِعٌ مِنْ أَمْرِ اللهِ وَ نَهْيِهِ فَيَدَعُهَا رَأْيَ عَيْنٍ بَعْدَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهَا وَ يَنْتَهِزُ فُرْصَتَهَا مَنْ لَا حَرِيجَةَ لَهُ فِي الدِّينِ.

أقول: الوفاء فضيلة نفسانية ينشأ من لزوم العهد الّذى ينبغى والبقاء عليه. والصّدق: فضيلة تحصل عن لزوم الأقوال المطابقة، وهما داخلتان تحت فضيلة العفّة فلذلك استعار لهما لفظ التوأم، باعتبار اقترانهما تحت فضيلة واحدة ونشوئهما عنها كالأمّ. و قوله: و لا اعلم جنّة اوقى منه، أى: ليس الفضائل المتعلّقة[1] بالمعاملات، والشّركة المدينية شئ اشدّ وقاية من عذاب الآخرة منه. فانّه اصل عظيم يستلزم فضائل كثيرة. والجنّة: ما استترت به من سلاح، ولفظه مستعار. و قوله: و لايغدر، الى قوله: المرجع: لانّ علمه بكيفية المعاد الى الله يستلزم إمتناعه مما يبعد منه من رذيلة الغدر و نحوها. و خصّ الغدر بالذكر: لانّه فى معرض مدح الوفاء.

والضّد تظهر حسنه الضّد

و قوله: و لقد، الى قوله الحيلة: ذلك لعدم تمييز اكثرهم بين الغدر والكيس

١ ـ في ش هذه الكلمة ساقطة.

لاشتراكهما في التفطّن لوجه الحيلة والخداع، و انّ تمييز الغدر بانّه استعمال الفطنة في تحصيل وجه حيلة يخالف القانون الشرعي والمصلحة العامة. والكيّس يتميّز باستعمال الذكاء في استخراج وجوه المصالح التي تنبغي والوقوف عليها، و نسبة الناس لهم الى الكيس، و حسن الحيلة كما نُسِبَ عمروبن العاص و معاوية، و لم يعلموا انّه لا خير في حيلة جرت الى الرّذيلة. وقتال الله لهم: ابعادهم عن رحمته. والحول القلب: كثير التحوّل و التقلّب في استنباط الآراء الصّالحة و وجوه المصالح، و اراد نفسه فانّ فطنته في ذلك اتمّ الفطن لكن محافظته على حدودالله تحجزه عن كثير من التصرّف، فيترك الحيلة رأى عينه خوفا من الله. و انتهازالفرصة: المبادرة الى الامر وقت امكانه. والحريجة: التحرّز من الحرج،و هوالاثم.

٤١ - وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ اثْنَانِ: اتِّبَاعُ الْهَوَى، وَ طُولُ الْأَمَلِ، فَأَمَّا اتِّبَاعُ الْهَوَى فَيَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ، وَ أَمَّا طُولُ الْأَمَلِ فَيُنْسِي الآخِرَةَ، أَلَا، وَ إِنَّ الدُّنْيَا قَدْ وَلَّتْ حَذَّاءَ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا صُبَابَةٌ كَصُبَابَةِ الْإِنَاءِ اصْطَبَّهَا صَابُّهَا، أَلَا وَ إِنَّ الآخِرَةَ قَدْ أَقْبَلَتْ وَ لِكُلٍّ مِنْهُمَا بَنُونَ، فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الآخِرَةِ،وَ لَا تَكُونُوا أَبْنَاءَ الدُّنْيَافَإِنَّ كُلَّ وَلَدٍسَيُلْحَقُ بِأُمِّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَ إِنَّ الْيَوْمَ عَمَلٌ وَ لَاحِسَابٌ، وَ غَدًا حِسَابٌ وَلَا عَمَلٌ.

نفّر عن اتّباع الهوى و طول الأمل، بضميرين صغرى الاوّل، قوله: و امّا الى قوله: الحقّ، و هو: طاعة الله. و صغرى الثاني قوله: و امّا، الى قوله: الآخرة. وَ أراد طول الأمل في الدنيا و تقدير الكبرى فيهما، و كل ما كان كذلك فالواجب تركه، و من الصغريين يتبيّن انّهما اخوف ما ينبغي ان يخاف. و حذّاء: خفيفة مسرعة[1] لايتعلّق احد منهما بشئ. والصّبابة: بقيّة الماء في الاناء، واستعار لفظها: لما بقى لكلّ من الدّنيا. و لفظ «البنون»: للنّاس، و لفظ «الام»: للدّنيا و الآخرة، باعتبار رغبة أهل الدّنيا إليها واهل الآخرة إليها،

١ - في ش: مبرعة.

كالولد لأمّه، و أمرهم ان يكونوا من أهل الآخرة لأنّها افضل، و هو ناصح مشفق، و نبّه على ذلك بضمير صغراه قوله: فانّ الى قوله: القيامة.

و لما كانت الدّنيا يومئذٍ بمعزل[1] عن الخلق: كان اختيارها سفهًا لاستلزام ذلك غربة أهلها، و شقاؤهم ببعدها، و تقدير الكبرى و كلّ من سيلحق بأمّه يوم القيامة فلابدّ أن يستعدّ لها بما يقرّبه منها، و يصلح حاله معها ليأمن سوء الحضن[2] و يزول عنه بؤس الغربة. و كنّى باليوم: عن مدّة الحياة، و بغد: عمّا بعدها. واليوم اسم انّ و خبرها محذوف اقيم عمل مقامه اى: وقت العمل. و كذلك قوله: و غدًا حساب: وفائدتهما التّنبيه على وقتي العمل و عدمه لغاية المبادرة اليه وقت امكانه.

٤٢ ـ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

وقدأشارعليه أصحابه بالإستعداد للحرب بعد إرساله جريربن عبدالله البجلى الى معاوية

إنَّ اَسْتِعْدَادِي لِحَرْبِ أَهْلِ الشَّامِ وَجَرِيرٌ عِنْدَهُمْ إِغْلاَقٌ لِلشَّامِ، وَ صَرْفٌ لِأَهْلِهِ عَنْ خَيْرٍ إِنْ أَرَادُوهُ. وَ لكِنْ قَدْوَقَّتُّ لِجَرِيرٍ وَقْتًا لاَيُقِيمُ بَعْدَهُ إِلَّا مَخْدُوعًا أَوْ عَاصِيًا. وَالرَّأْيُ عِنْدِي مَعَ الْأَنَاةِ فَأَرْوِدُوا، وَلَا أَكْرَهُ لَكُمُ الْإِعْدَادَ وَ لَقَدْ ضَرَبْتُ أَنْفَ هٰذَا الْأَمْرِ وَعَيْنَهُ، وَ قَلَّبْتُ ظَهْرَهُ، وَبَطْنَهُ، فَلَمْ أَرَلِي إِلَّا الْقِتَالَ أَوِ الْكُفْرَ، إِنَّهُ قَدْ كَانَ عَلَى النَّاسِ وَالٍ أَحْدَثَ أَحْدَاثًا، وَ أَوْجَدَ لِلنَّاسِ مَقَالًا، فَقَالُوا، ثُمَّ نَقَمُوا فَغَيَّرُوا.

أقول: انّما كان استعداده إغلاقاً للشّام حينئذ، لأنّ اهل الشّام حين كان جرير عندهم في مقام التروّي في اتباعه او مخالفته، فلودهمهم بالاستعداد لبلغهم ذلك و اصرّوا على الخلاف، و ذلك مضادّ للحزم، وانّما حصرتاخّر جرير في المانعين المذكورين لأنّ الموانع الاختيارية إمّا منهم و غالب الظنّ هو خداعه حتى يستحكم امرهم، و إمّا منه و

١ ـ عبارة، في نسخة ش.

٢ ـ في ش: الظن.

غالب الظنّ عصيانه اذ لايتصوّر من جرير في مثل هذاالأمر المهمّ ان يعدل عنه الى شغل اختياري لنفسه او لغيره الآ أن يكون عاصيًا. و قوله: والرأى، مع الأناة: لأنّها مظنّة الفكر في الاهتداء الى وجوه المصالح. و ارودوا: امهلوا، و نبه بقوله: ولا اكره لكم الإعداد، على ان يكونوا في يقظة من هذا الأمر او على الاستعدادالباطن. واستعار لفظ العين، والانف، والظهر، والبطن: لوجوه الاراء اللّائقة بحاله معهم في الحرب والسّلم، وانّما يلزم من ترك قتالهم الكفر لأنّه حينئذ يكون راضيا بوقوع المنكرات مع قدرته على انكارها و متهاونا بأمرالله و رسوله فيها و ذلك كفر.

و قيل: لأنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله كان أمره بقتال الناكثين، والقاسطين، و المارقين، فكان تركه مخالفة لما علمه بالضرورة من أمر رسول الله صلّى الله عليه وآله، و هو كفر. و قوله: إنّه قد كان، الى آخره: تنبيه على وجه عذره عمّا نسبه اليه معاوية من دم عثمان، و اراد بالوالي: عثمان والاحداث الّتي كان احدثها هي ما نسب اليه من الامور الّتي انكروها. و أوجد للناس مقالاً اي: جعل لهم بتلك الاحداث محل قول في حقه، فقالوا ثم انكروا ما فعل فغيّروه، والمشهور من تلك الاحداث عشرة ذكرناها في الاصل[1].

٤٣ ـ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

لما هرب مصقلة بن هبيرة الشيباني إلى معاوية، و كان قد ابتاع سبي بني ناجية من عامل أمير المؤمنين عليه السّلام و أعتقه، فلما طالبه بالمال خاس به وهرب إلى الشام:ـ

قَبَّحَ ٱللهُ مَصْقَلَةَ فَعَلَ فِعْلَ السَّادَاتِ، وَ فَرَّ فِرَارَ الْعَبِيدِ، فَمَا أَنْطَقَ مَادِحَهُ حَتَّى أَسْكَتَهُ، وَلَا صَدَّقَ وَاصِفَهُ حَتَّى بَكَّتَهُ، وَلَوْ أَقَامَ لَأَخَذْنَا مَيْسُورَهُ وَٱنْتَظَرْنَا بِمَالِهِ وُفُورَهُ.

أقول: مصقلة هذا: كان عاملا لعليّ عليه السّلام على اردشير خرة[2]. وبنو ناجية:

---

١ ـ الشرح الكبير ٢/ ١٤٤.

٢ ـ معجم البلدان ١/ ١٤٦.

قبيلة كانوا على دين النصرانيّة فأسلم كثير منهم: ثم ارتدّوا عن الاسلام فقتل منهم معقل ابن قيس و كان بعثه عليه السلام اليهم فى الفى فارس، وسبى بعضهم فاجتاز بالسبى على مصقلة فاستغاثوا اليه، فاشتراهم بخمسمائة الف درهم، و نفذ بعض المال، ثم خاس ببعضه اى: لم يف به فبعث عليه السلام يتهدّده ويطالبه فهرب الى معاوية. و قبّحه الله: نحّاه عن الخير. و فعله فعل السادة: نخوته على الاسارى و شراؤهم. و فراره فرار العبيد: هربه. و قوله: فما انطق مادحه حتى اسكته: تبكيت له بسرعة الحاقه الفضيلة بالرذيلة حتى كانّه جمع بينهما، وهما انطاق مادحه بفدائه الاسرى مع هربه قبل تمام انطاقه، و تصديقه لواصفه: بفعل الجميل مع فعل القبيح الّذى كان كذّبه به ولامه على مدحه. والتبكيت: كالتقريع والتعنيف. و وفوره: زيادته.

٤٤ـ وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

اَلْحَمْدُلِلّهِ غَيْرَ مَقْنُوطٍ مِنْ رَحْمَتِهِ، وَلَا مَخْلُوٍّ مِنْ نِعْمَتِهِ، وَلَا مَأيُوسٍ مِنْ مَغْفِرَتِهِ، وَلَا مُسْتَنْكَفٍ مِنْ عِبَادَتِهِ، الَّذِي لَا تَبْرَحُ مِنْهُ رَحْمَةٌ، وَلَا تُفْقَدُ لَهُ نِعْمَةٌ. وَالدُّنْيَا دَارٌ مُنِيَ لَهَا الْفَنَاءُ، وَلِأَهْلِهَا مِنْهَا الْجَلَاءُ، وَهِيَ حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَقَدْ عَجِلَتْ لِلطَّالِبِ، وَالْتَبَسَتْ بِقَلْبِ النَّاظِرِ، فَارْتَحِلُوا عَنْهَا بِأَحْسَنِ مَا بِحَضْرَتِكُمْ مِنَ الزَّادِ: وَلَا تَسْأَلُوا فِيهَا فَوْقَ الْكَفَافِ، وَلَا تَطْلُبُوا مِنْهَا أَكْثَرَ مِنَ الْبَلَاغِ.

أقول: القنوط: اليأس. والاستنكاف: الاستكبار. و منى: قدّر. و كنى بحلاوتها وخضرتها عن زينتها بمتاعها. والتبست بقلب الناظر، اى: خالطت قلبه بمحبتها. و احسن ما بحضرتكم من الزاد: التقوى والاعمال الصالحة. والكفاف: ما كف عن المسئلة. والبلاغ: ما بلغ مدّة الحياة.والفصل ظاهر.

٤٥ - وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام
عند عزمه على المسير إلى الشام

اَللّهُمَّ إِنّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ، وَ كَآبَةِ الْمُنْقَلَبِ، وَسُوءِ الْمَنْظَرِ فِي الْأَهْلِ وَالْمَالِ. اللّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ، وَأَنْتَ الْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ وَلاَ يَجْمَعُهُمَا غَيْرُكَ ؛ لِأَنَّ الْمُسْتَخْلَفَ لاَيَكُونُ مُسْتَصْحَباً، وَالْمُسْتَصْحَبَ لاَيَكُونُ مُسْتَخْلَفاً.

أقول: و عثاء السفر: مشقّته و تعبه. والكآبة: الحزن، و في قوله: و لا يجمعهما غيرك : تنزيه الله عن الجهة، والجسمية اذ كان اجتماع الامرين في الجسم الواحد محال كما علّله عليه السلام.

٤٦ - وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام
في ذكر الكوفة

كَأَنّي بِكِ يَاكُوفَةُ تُمَدِّينَ مَدَّ الْأَدِيمِ الْعُكَاظِيِّ، تُعْرَكِينَ بِالنَّوَازِلِ، وَتُرْكَبِينَ بِالزَّلاَزِلِ، وَإِنّي لَأَعْلَمُ أَنَّهُ مَا أَرَادَ بِكِ جَبَّارٌ سُوءاً اِلَّا ابْتَلاَهُ اللهُ بِشَاغِلٍ، وَرَمَاهُ بِقَاتِلٍ.

اقول: الخطاب لشاهد الحال الكوفة اى: كأنّي حاضر بک و مشاهد لك. و تمدّين و تعركين و تركبين أحوال. و استعار وصف المدّ والعرك لفعل الظلمة بأهلها كفعل دابغ الأديم من مدّه و عركه و وجه الشبه شدّة المدّ. و عكاظ: اسم موضع بناحية مكة كانت العرب تجتمع به كلّ سنة و يقيمون به سوقاً مدّة شهر، ويتناشدون الاشعار و يتفاخرون و في ذلك يقول ابوذويب:

اذا بني القباب على عكاظ ... و قام البيع و اجتمع الألوف

و رفع ذلك بالاسلام، و المصائب والفتن الّتى وقعت بالكوفة مشهورة، والجبابرة الذين ارادوا بها سوءاً مثل زياد بن ابيه، روى انّه كان جمعهم في المسجد لسبّ

عليّ والبراءة منه، يبتليهم بذلك و يقتل من يعصيه فيه، فبيناهم مجتمعون اذ خرج حاجبه فأمرهم بالانصراف وقال: إنّ الاميرمشغول عنكم،وكان قد رمى فى تلك الحال بالفالج. و منهم ابنه عبيدالله، و أصابه الجذام. ومنهم الحجّاج و تولّدت فى بطنه الحيات واحترق دبره حتى هلك. و منهم عمروبن هبيرة، و ابنه يوسف و رميا بالبرص. و منهم خالد القسرى و ضرب و حبس حتى مات جوعاً. و ممن رمى بالقتل عبيدالله بن زياد لعنه الله، ومصعب بن الزبير، و يزيد بن المهلّب، والمختاربن ابى عبيدة الثقفى، و أحوالهم مشهورة.

٤٧ ـ وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام
عندالمسيرإلى الشام

اَلْحَمْدُلِلّهِ كُلَّمَا وَقَبَ لَيْلٌ وَ غَسَقَ، وَالْحَمْدُلِلّهِ كُلَّمَا لاحَ نَجْمٌ وَ خَفَقَ، وَالْحَمْدُلِلّهِ غَيْرِ مَفْقُودِ الْإِنْعَامِ وَلاَ مُكافَىءِ الْإِفْضَالِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ بَعَثْتُ مُقَدِّمَتِي، وَأَمَرْتُهُمْ بِلُزُومِ هٰذَا الْمِلْطَاطِ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرِي، وَقَدْ أَرَدْتُ أَنْ أَقْطَعَ هٰذِهِ النُّطْفَةَ إلَى شِرْذِمَةٍ مِنْكُمْ مُوطِنِينَ أَكْنَافَ دَجْلَةَ، فَأُنْهِضَهُمْ مَعَكُمْ إلَى عَدُوِّكُمْ، وَأَجْعَلَهُمْ مِنْ أَمْدَادِ الْقُوَّةِ لَكُمْ.

قال الشريف: أقول: يعني عليه السلام بالملطاط السمت الذى أمرهم بنزوله و هو شاطئ الفرات، و يقال ذلك لشاطىء البحر، وأصله ما استوى من الأرض. و يعنى بالنطفة ماءالفرات. و هومن غريب العبارات وعجيبها.

اقول: حمدالله تعالى باعتبار تكرر وقتين و دوام حالين. و وقب الليل: دخل. و وغسق: اظلم. وخفق النجم: غاب. و مقدّمته التى بعثها هى زياد بن النضر، و شريح بن هانى، فى اثنى عشر ألف فارس. والشرذمة: النفر اليسير. و الاكناف: النواحي. و موطنين بكسرالطاء: مستوطنين و اراد اهل المدائن.

٤٨ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

اَلْحَمْدُلِلّهِ اَلَّذِى بَطَنَ خَفِيَّاتِ اَلْأُمُورِ، وَ دَلَّتْ عَلَيْهِ أَعْلاَمُ اَلظُّهُورِ، وَ اَمْتَنَعَ عَلَى عَيْنِ اَلْبَصِيرِ؛ فَلاَ عَيْنَ مَنْ لَمْ يَرَهُ تُنْكِرُهُ، وَلاَ قَلْبَ مَنْ أَثْبَتَهُ يُبْصِرُهُ: سَبَقَ فِي اَلْعُلُوِّ فَلاَ شَيْءَ أَعْلَى مِنْهُ. وَ قَرُبَ فِي اَلدُّنُوِّ فَلاَ شَيْءَ أَقْرَبُ مِنْهُ. فَلاَ اَسْتِعْلاَؤُهُ بَاعَدَهُ عَنْ شَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ، وَلاَ قُرْبُهُ سَاوَاهُمْ فِي اَلْمَكَانِ بِهِ، لَمْ يُطْلِعِ اَلْعُقُولَ عَلَى تَحْدِيدِ صِفَتِهِ، وَلَمْ يَحْجُبْهَا عَنْ وَاجِبِ مَعْرِفَتِهِ، فَهُوَ اَلَّذِى تَشْهَدُ لَهُ أَعْلاَمُ اَلْوُجُودِ، عَلَى إِقْرَارِ قَلْبِ ذِى اَلْجُحُودِ- تَعَالَى اَللّهُ عَمَّا يَقُولُ اَلْمُشَبِّهُونَ بِهِ، وَاَلْجَاحِدُونَ لَهُ- عُلُوًّا كَبِيرًا.

اقول: بطونه لخفيّات الأمور: نفوذ علمه تعالي فيها، يقال: بطنت الامر اذا علمت باطنه. واعلام ظهوره: آياته وآثاره الظّاهرة في العالم الدالّة على وجوده الظاهر في كل صورة منها كقوله تعالي: (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ)[1] الآية. و كونه لا ينكره عين من لايبصره لشهادته فطرته بحاجته الى مدبّر حكيم، و كذلك لايبصره قلب من اثبته اى: لا يبصره بعين حسّه اولا تدرك حقيقته، وفي هذين السّلبين: تنبيه على الفرق بين مدركات العقل، و مدركات الحسّ، إذ ليس كلّ معقول يجب أن يكون محسوسًا، والسلبان: متلازمان متعاكسان، و سبقه للاشياء في العلوّ هو: السبق بالشرف والعلّيّة دون المكان والجهة والزمان، وقربه لها من دنوّه منها قربه بعلمه وجوده، وتصريفه لها بخفيّ لطفه، و هو اقرب الي العبد من نفسه لعلمه بهادونه، و لم يباعده عن شيء من خلقه استعلاؤه عنه، إذ ليس علوا مكانيا و لا قربهم يساواهم في المكان به اذ ليس قربا حسيّا، وعدم اطّلاع العقول على تحديد صفته إمّا لأنّه لاصفة له فيحدّ، او لأنّه لايتناهى اعتبار صفاته، و قد سبق بيانه، و لم يحجب العقول عن واجب معرفته، لشهادة فطرها بوجود صانعها وهو: القدر الواجب الضّروري لها. و لفظ اعلام الوجود مستعار لآثاره الموجودة الدّالة على وجوده، و كمال قدرته و علمه.

و انّما قال: على اقرار قلب ذي الجحود: لانّ كثيرا من الناس ربما جحده بطريق

---

١ - سورة فصلت / ٥٣.

عادته او تربيته، كالمعطلة، و عبدة الاصنام، فاذا راجع قلبه او نبّه عليه عاد معترفًا بوجوده.

وروى انّ زنديقا دخل على الصّادق عليه السّلام فسأله عن دليل اثبات الصّانع فأعرض عليه السلام عنه، ثمّ التفت إليه و سأله مَن أين اقبلت وما قصّتك؟ فقال الزنديق: انّي كنت مسافراً في البحر فعصفت علينا الريح وتلعّبت بنا الامواج فانكسرت سفينتنا فتعلّقت بساحة منها، ولم يزل الموج تقلّبها حتى قذفت بي الى الساحل فنجوت عليها، فقال له عليه السّلام: أرأيت الّذي كان قلبك اذا انكسرت السفينة و تلاطمت عليكم الامواج فزعاً اليه مخلصا له في التضرّع طالبا منه النجاة؟ فهو إلٰهك، فاعترف الزنديق بذلك، وحسن اعتقاده و ذلك من قوله تعالى: (و اذا مسّكم الضرّ في البحر)[1] الآية. و بالله التوفيق.

٤٩ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

إِنَّمَا بَدْءُ وُقُوعِ ٱلْفِتَنِ أَهْوَاءٌ تُتَّبَعُ، وَ أَحْكَامٌ تُبْتَدَعُ، يُخَالَفُ فِيهَا كِتَابُ ٱللهِ، وَ يَتَوَلَّى عَلَيْهَا رِجَالٌ رِجَالاً عَلَى غَيْرِ دِينِ ٱللهِ، فَلَوْ أَنَّ ٱلْبَاطِلَ خَلَصَ مِنْ مِزَاجِ ٱلْحَقِّ لَمْ يَخْفَ عَلَى ٱلْمُرْتَادِينَ، وَلَوْ أَنَّ ٱلْحَقَّ خَلَصَ مِنْ لَبْسِ ٱلْبَاطِلِ ٱنْقَطَعَتْ عَنْهُ أَلْسُنُ ٱلْمُعَانِدِينَ، وَلٰكِنْ يُؤْخَذُ مِنْ هٰذَا ضِغْثٌ، وَ مِنْ هٰذَا ضِغْثٌ فَيُمْزَجَانِ! فَهُنَالِكَ يَسْتَوْلِي ٱلشَّيْطَانُ عَلَى أَوْلِيَائِهِ، وَ يَنْجُو ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ ٱللهِ ٱلْحُسْنَى.

اقول: لما كان نظام العالم انّما هو بوجود الشرائع والسنن الالٰهية، وكانت هي مبادىء نظامه لزم فيما خالفها من الآراء المبتدعة والاهواء المتّبعة ان يكون اسبابا لخراب العالم، و مبدءًا للفتن كآراء البغاة والخوارج. و قوله: فلو، الى آخر قوله: المرتادين: اشارة الى سبب اتّباع الناس للآراء الفاسدة و هو امتزاج الباطل بالحق، فانّ المقدمات اذا كانت كلها باطلة تبيّن فساد الحجة بأدنى سَعْي، و لم يخف على الطالبين فسادها، ولو انّ الحق، الى قوله: المعاندين: و ذلك لوضوح الحق حينئذ. والضغث: القبضة

[1] - سورة الاسراء / ٦٧.

من الحشيش و نحوه، فاستعير لفظه، للنصيب من الحق والباطل، و ذلك كشبهة قتل عثمان التي تمسّك بها الناكثون، و القاسطون، فانّ فيها مقدّمة صادقة هي: كون امام المسلمين قُتِلَ مظلوما، و مقدّمة كاذبة وهي: نسبة ذلك القتل اليه عليه السلام، تارة بأنّه اجلب عليه، وتارةً بأنّه خذله، وهنا لك اى: عندامتزاج الحق والباطل فيستولى الشّيطان على أوليائه، فيزيّن لهم اتباع من ينعق بتلك الشبهة و نحوها، و ينجو من سبقت عناية الله له بتمييزالحق من الباطل، و بالله التوفيق.

٥٠ - وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

لما غلب أصحاب معاوية أصحابه عليه السلام على شريعة الفرات بصفين ومنعوهم الماء

قَدِ اسْتَطْعَمُوكُمُ الْقِتَالَ فَأَقِرُّوا عَلَى مَذَلَّةٍ، وَ تَأْخِيرِ مَحَلَّةٍ؛ أَوْ رَوُّوا السُّيُوفَ مِنَ الدِّمَاءِ تَرْوَوْا مِنَ الْمَاءِ؛ فَالْمَوْتُ فِي حَيَاتِكُمْ مَقْهُورِينَ وَالْحَيَاةُ فِي مَوْتِكُمْ قَاهِرِينَ. أَلَا وَ إِنَّ مُعَاوِيَةَ قَادَ لُمَّةً مِنَ الْغُوَاةِ. وَ عَمَّسَ عَلَيْهِمُ الْخَبَرَ، حَتَّى جَعَلُوا نُحُورَهُمْ أَغْرَاضَ الْمَنِيَّةِ.

اقول: استعار وصف الاستطعام لطلبهم القتال بالتحرّش بهم، والمحلّة: المنزلة و تأخيرها عن رتبة اهل الشرف والشجاعة. و نفّر عن ترك القتال بضمير صغراه قوله: فالموت، الى قوله: مقهورين: و اراد موت الذّل والقهر و تقدير كبراه، و كلّ من كان فيه الموت فينبغي أن يهرب منه، و رغّب فيه بضمير صغراه، قوله: والحياة فى موتكم قاهرين: و اراد حياة العزّ بين العرب والذّكر الجميل بالحميّة لله، و تقديرالكبرى وكلّ من كانت فيه الحياة فينبغي ان يرغب فيه. واللمة بالتخفيف: الجماعة القليلة. و عمس بالتخفيف والتشديد: عمّى و لبّس، والخبر شبهة عثمان و قتله.

٥١ - وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

يجرى مجرى الخطبة وقد تقدّم مختارها برواية ونذكرها هنا برواية اخرى لتغاير الروايتين

أَلاَ وَ إِنَّ الدُّنْيَا قَدْ تَصَرَّمَتْ وَ آذَنَتْ بِوَدَاعٍ، وَ تَنَكَّرَ مَعْرُوفُهَا، وَ أَدْبَرَتْ حَذَّاءَ فَهِيَ تَحْفِزُ بِالْفَنَاءِ سُكَّانَهَا، وَتَحْدُو بِالْمَوْتِ جِيرانَهَا، وَقَدْ أَمَرَّ مِنْهَا مَا كَانَ حُلْواً، وَ كَدِرَ مِنْهَا مَا كَانَ صَفْوًا، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلاَّ سَمَلَةٌ كَسَمَلَةِ الإِدَاوَةِ، أَوْ جُرْعَةٌ كَجُرْعَةِ الْمَقْلَةِ، لَوْ تَمَزَّزَهَا الصَّدْيَانُ لَمْ يَنْقَعْ، فَأَزْمِعُوا عِبَادَاللهِ الرَّحِيلَ عَنْ هٰذِهِ الدَّارِ الْمَقْدُورِ عَلَى أَهْلِهَا الزَّوَالُ، وَلاَ يَغْلِبَنَّكُمْ فِيهَا الأَمَلُ وَ لاَ يَطُولَنَّ عَلَيْكُمُ الأَمَدُ، فَوَاللهِ لَوْ حَنَنْتُمْ حَنِينَ الْوُلَّهِ الْعِجَالِ، وَدَعَوْتُمْ بِهَدِيلِ الْحَمَامِ، وَ جَأَرْتُمْ جُؤَارَ مُتَبَتِّلِ الرُّهْبَانِ، وَ خَرَجْتُمْ إِلَى اللهِ مِنَ الأَمْوَالِ وَالأَوْلاَدِ، الْتِمَاسَ الْقُرْبَةِ إِلَيْهِ فِي ارْتِفَاعِ دَرَجَةٍ عِنْدَهُ، أَوْ غُفْرَانِ سَيِّئَةٍ أَحْصَتْهَا كُتُبُهُ، وَ حَفِظَهَا رُسُلُهُ، لَكَانَ قَلِيلاً فِيمَا أَرْجُولَكُمْ مِنْ ثَوَابِهِ، وَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِنْ عِقَابِهِ. وَاللهِ لَوِ انْمَاثَتْ قُلُوبُكُمُ انْمِيَاثًا، وَسَالَتْ عُيُونُكُمْ، مِنْ رَغْبَةٍ إِلَيْهِ أَوْ رَهْبَةٍ مِنْهُ دَمًا، ثُمَّ عُمِّرْتُمْ فِي الدُّنْيَا مَاالدُّنْيَا بَاقِيَةٌ، مَا جَزَتْ أَعْمَالُكُمْ، وَ لَوْلَمْ تُبْقُوا شَيْئاً مِنْ جُهْدِكُمْ، أَنْعُمَهُ عَلَيْكُمُ الْعِظَامَ وَ هُدَاهُ إِيَّاكُمْ لِلإِيمَانِ.

اقول: آذنت: اعلمت. و تنكّر معروفها: تغيّر ما يأنس به كلّ احد[١] منها ويعرفه و تبدّله وقتا فوقتا و حالاً فحالا من صحة اوجاه او مال و نحوه. وحذّاء: خفيفة مسرعة لايدركها احد، و استعار لفظ الحفز و هو: السوق الحثيث و وصف الحذاء لها باعتبار سوقها لاهلها الى غايتهم منها و هوالموت، و مصاحبتها لهم كالسائق والحادى. ومرارة ما كان حلواً منها و تكدير ما كان صفواً بالقياس الى كلّ شخص من أهلها كالصحّة بالسقم، و اللّذة بالألم. والسملة بفتح الميم: البقية من الماء فى الاناء. والمقلة بفتح الميم و سكون القاف: حصاة يقسّم بهاالماء عند قلّته يعرف بها مقدار ما يسقى كل شخص. والتمزّز: تمصّص الماء قليلا قليلا. و الصديّان: العطشان. و نقع ينقع: سكن عطشه: و قد شبّه بقيّتها ببقيّة الماء فى الاناء، و نبّه على وجه الشبه بقوله: لو تمزّزها الصديّان لم ينقع،

١ - في ش: واحد.

و كنّى به: عن غاية قلّتها، و قلّة البقاء فيها. والازماع: تصميم العزم والرحيل عنها اى: بالسفر الى الله. و قوله: فوالله، الى قوله: عقابه: تنبيه على عظيم ثواب الله و ما ينبغي ان يرجى منه، و على عظيم عقابه، وما ينبغي ان يخاف منه.

والوُلّه العجال جمع واله، و عجول، وهما: من الأبل والنوق التى تفقد اولادها. و هديل الحمامة: نوحها. والجوار: الصوت المرتفع. والتبتّل: الانقطاع الى الله بالاخلاص، والمعنى: انّ الّذى ارجوه من ثوابه للمتقرّب اليه منكم اكثر مما يتصوّره المتقرّب اليه[1] بتقرّبه بجميع أسباب القربة. والّذى اخافه من عقابه اكثر من العقاب الذى يتوهّم انّه يدفعه عن نفسه بذلك، فينبغي لطالب الزيادة في المنزلة عندالله ان يخلص بكليّته في التقرّب الى الله، ليصل الى ما هو اعظم مما يتوهّم انّه يصل اليه من المنزلة عنده.

و ينبغي للهارب إليه من ذنبه أن يخلص في الفرار إليه ليخلص من هول ما هواعظم مما يتوهّم انّه يدفعه عن نفسه بوسيلة، فانّ الامر فيما يرجى و يخاف من امرالآخرة اعظم مما يتصوّره عقول البشر مادامت في عالم الغربة. و قوله: و تالله، الى آخره. تنبيه على عظمة نعمته تعالى على الخلق، و انّه لايمكن جزاؤها بأبلغ السعي. و إنماثت قلوبكم: ذابت خوفا منه. والغمة: مفعول جزت، و هداه في محل النصب عطفا عليه، و افرد الهدى بالذكر و ان كان من انعم الله لشرفه اذ هوالمقصود من كل نعمة افاضها الله تعالى على عباده.

٥٢ - وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

منها في ذكر يوم النحر وصفة الاضحية

وَمِنْ كَمَالِ الْأُضْحِيَةِ اسْتِشْرَافُ أُذُنِهَا، وَسَلَامَةُ عَيْنِهَا، فَإِذَا سَلِمَتِ الْأُذُنُ وَالْعَيْنُ سَلِمَتِ الْأُضْحِيَةُ وَتَمَّتْ، وَلَوْ كَانَتْ عَضْبَاءَ الْقَرْنِ تَجُرُّ رِجْلَهَا إِلَى الْمَنْسَكِ.

اقول : استشراف اذنها: طولها، و كنى به عن: سلامتها من القطع او نقصان الخلقة.

---

١ - في ش بزيادة: انه يصل اليه.

والعضباء: مكسورة القرن الداخل. و كنى بجرّ رجلها عن: عرجها. والمنسك: موضع النسك، والتقرّب بذبحها.

و اعلم أنّ المعتبر فيها سلامتها عما ينقص قيمتها، و ظاهر انّ العمى، والعور، والهزال، و قطع الاذن تشويه لخلقتها، و نقصان في قيمتها، دون العرج و كسر القرن، و في فضلها قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (ما من عمل يوم النحر احبّ الى الله عزّ وجل من اراقة دم، و انّها لتأتي يوم القيامة بقرونها واظلافها، و انّ الدم ليقع من الله بمكان قبل ان يقع الى الارض فطيبوا بها نفسًا.

فكانت الصحابة رضي الله عنهم يبالغون في اثمان الهدى والاضاحي، و افضلها: أعلاها ثمنا، وانفسها عند اهلها. روى انّ عمر أهدى نجيبة فطلبت منه بثلا ثمائة دينار فسأل رسول الله صلى الله عليه و آله، أن يبيعها و يشترى بثمنها بدناً، فنهاه عن ذلك، و قال: بل اهدها. و سرّ ذلك انّ المقصود تطهير النفس وتزكيتها عن رذيلة البخل، و تزيينها بجمال التعظيم لله تعالى (لن ينال الله لحومها و لادماؤها و لكن يناله التقوى منكم)[1] و ذلك بمراعاة النفاسة في القيمة، لا كثرة العدد واللحم فليس الغرض ذلك.

٥٣ ـ وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

فَتَدَاكُّوا عَلَيَّ تَدَاكَّ الْإِبِلِ الْهِيمِ يَوْمَ وِرْدِهَا، قَدْأَرْسَلَهَا رَاعِيهَا، وَخُلِعَتْ مَثَانِيهَا، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُمْ قَاتِلِيَّ، أَوْ بَعْضَهُمْ قَاتِلُ بَعْضٍ لَدَيَّ، وَقَدْ قَلَّبْتُ هٰذَا الْأَمْرَ، بَطْنَهُ وَ ظَهْرَهُ، فَمَا وَجَدْتُنِي يَسَعُنِي إلَّا قِتَالُهُمْ أَوِالْجُحُودُ بِمَا جَاءَنِي بِهِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَكَانَتْ مُعَالَجَةُ الْقِتَالِ أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ مُعَالَجَةِ الْعِقَابِ، وَمَوْتَاتُ الدُّنْيَا أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ مَوْتَاتِ الآخِرَةِ.

اقول: الفصل اشارة الى صفة اصحابه بصفين لما طال منعه لهم، من قتال اهل الشام، و كان عليه السلام يتوقّف عن قتالهم انتظارا لانجذاب[2] بعضهم الى الحق الذى

---

١ ـ سورة الحج / ٣٧.

٢ ـ في ش: لفيّ.

هوالغرض الكلّى للشّارع. والمداكة: المزاحمة و شبه زحامهم عليه حينئذ بزحام الابل، وهى: العطاش حين يطلقها رعاتها من مثانيها يوم ورودها ووجه الشبه شدّة الزحام. والمثانى جمع مثناة و هى: الحبل يثنى و يعقل به البعير.

و قوله: و قد قلبت، الى قوله: أهون: كناية عن تقليبه لوجوه الاراء المصلحية فى القتال، وتركه والكفر اللّازم عن تركه لاستلزام تركه التّهاون بأمرالله و رسوله بقتال اهل البغى، والعقاب هواللّازم عن ذلك الكفر فى الآخرة. و موتات الدنيا: كناية عن شدائد الحرب، و قيل: الاقرباء والاحبّاء، وموتات الآخرة كناية عن تكرّر عذابها و دوامه.

٥٤ ـ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

وقد استبطأ أصحابه إذنه لهم فى القتال بصفين

أَمَّا قَوْلُكُمْ: أَكُلُّ ذٰلِكَ كَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ؟ فَوَاللهِ مَا اُبَالِى أَدَخَلْتُ إِلَى الْمَوْتِ أَوْ خَرَجَ الْمَوْتُ إِلَيَّ. وَ أَمَّا قَوْلُكُمْ شَكًّا فِى أَهْلِ الشَّامِ! فَوَاللهِ مَادَفَعْتُ الْحَرْبَ يَوْمًا إِلَّا وَ أَنا أَطْمَعُ أَنْ تَلْحَقَ بِى طَائِفَةٌ فَتَهْتَدِىَ بِى، وَتَعْشُو إِلَى ضَوْئِى، وَ ذٰلِكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقْتُلَهَا عَلَى ضَلالِهَا؛ وَ إِنْ كَانَتْ تَبُوءُ بِآثَامِهَا.

اقول : هذا الفصل كالّذى قبله، و سببه لما طال منعه لهم عن قتال اهل الشام الحوّا عليه فى ذلك حتى نسبه بعضهم الى العجز و كراهية الموت. و بعضهم الى الشكّ فى وجوب قتالهم، فأورد سؤال الاوّلين واجاب عنه، بقوله: فوالله، الى قوله: الىّ. و أورد السؤال الثانى، وأجاب عنه بقوله: فوالله ما دفعت الى آخره. و عشا الى النار: استدلّ عليها ببصر ضعيف. و باء بإثمه: رجع به. وقوله: احبّ خبر مبتداء محذوف اى: وذلك أحبّ. لك

٥٥ ـ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

وَلَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ نَقْتُلُ آبَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا وَإِخْوَانَنَا وَأَعْمَامَنَا: مَا

يَزِيدُنَا ذٰلِكَ إِلَّا إِيمَاناً وَتَسْلِيماً وَمُضِيّاً عَلَى اللَّقَمِ، وَصَبْرًا عَلَى مَضَضِ الْأَلَمِ، وَجِدًّا فِي جِهَادِ الْعَدُوِّ. وَ لَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ مِنَّا وَالآخَرُ مِنْ عَدُوِّنَا يَتَصَاوَلَانِ تَصَاوُلَ الْفَحْلَيْنِ، يَتَخَالَسَانِ أَنْفُسَهُمَا، أَيُّهُمَا يَسْقِي صَاحِبَهُ كَأْسَ الْمَنُونِ: فَمَرَّةً لَنَا مِنْ عَدُوِّنَا، وَمَرَّةً لِعَدُوِّنَا مِنَّا، فَلَمَّا رَأَى ٱللهُ صِدْقَنَا أَنْزَلَ بِعَدُوِّنَا الْكَبْتَ، وَأَنْزَلَ عَلَيْنَا النَّصْرَ، حَتَّى ٱسْتَقَرَّ الْإِسْلَامُ مُلْقِيًا جِرَانَهُ، وَ مُتَبَوِّئاً أَوْطَانَهُ. وَلَعَمْرِي لَوْ كُنَّا نَأْتِي مَا أَتَيْتُمْ مَا قَامَ لِلدِّينِ عَمُودٌ، وَلَا ٱخْضَرَّ لِلإِيمَانِ عُودٌ، وَٱيْمُ ٱللهِ لَتَحْتَلِبُنَّهَا دَمًا وَلَتُتْبِعُنَّهَا نَدَمًا.

اقول : صدرالفصل بيان صنع الصحابة رضى الله عنهم فى الجهاد، ليقتدى بهم السامعون فى ذلك. واللقم: منهج الطريق الى الله تعالى. ويتصاولان: يحمل كل منهما على الآخر مرّة. والكبت: الاذلال. وكنى بالقاء جرانه: عن استقراره و ثباته، وجران البعير: مقدّم عنقه من مذبحه الى منحره. و تبوّأ وطنه: استقرّ فيه، و استعار لفظ الاوطان: لقلوب المؤمنين و بلادهم. ولفظ العمود: لأصل الدين. و وصف اخضرار العود: لنضارته فى القلوب، و وصف احتلاب الدّم لأفعالهم: ملاحظة لشبهها بالنّاقة الّتى اصيب ضرعها بتفريط من صاحبها. و بالله التوفيق.

٥٦ - وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

لأصحابه

أَمَا إِنَّهُ سَيَظْهَرُ عَلَيْكُمْ بَعْدِي رَجُلٌ رَحْبُ الْبُلْعُومِ، مُنْدَحِقُ الْبَطْنِ، يَأْكُلُ مَا يَجِدُ وَ يَطْلُبُ مَا لَا يَجِدُ، فَاقْتُلُوهُ؛ وَ لَنْ تَقْتُلُوهُ أَلَا وَ إِنَّهُ سَيَأْمُرُكُمْ بِسَبِّي وَٱلْبَرَاءَةِ مِنِّي: أَمَّا السَّبُّ فَسُبُّونِي؛ فَإِنَّهُ لِي زَكَاةٌ، وَلَكُمْ نَجَاةٌ؛ وَ أَمَّا الْبَرَاءَةُ فَلَا تَتَبَرَّأُوا مِنِّي؛ فَإِنِّي وُلِدْتُ عَلَى الْفِطْرَةِ، وَ سَبَقْتُ إِلَى الْإِيمَانِ وَالْهِجْرَةِ.

أقول: الخطاب لاهل الكوفة قال اكثر الشارحين: المراد بالرجل معاوية لانّه كان بطينًا كثير الأكل. والمندحق: البارز. و روى أنّه كان يأكل الى ان يملّ و يقول: ارفعوا

فوالله ما شبعت و لكن مللت و تعبت، و كان ذلك بدعاء من رسول الله صلّى الله عليه وآله سبق عليه[1]. روى أنّه بعث اليه مرّة فوجدوه يأكل، فبعث إليه ثانية و ثالثة فوجدوه كذلك فقال صلّى الله عليه و آله: اللّهم لا تُشبع بطنهَ، و لبعضهم في وصف آخر بالأكل فقال:

و صاحب لي بطنه كالهاوية كأنّ في أمعائه معاوية

و قيل: هو زياد بن ابيه، و قيل: هوالحجّاج. و رخّص عليه السلام في سبّه عندالاكراه، ولم يرخص في البراءة منه لانّ السّب فعل اللسان، و هو امر يمكن ايقاعه دون اعتقاده مع احتماله التعريض. و امّا التبرّي فليس بصفة قولية فقط بل يعود الى المجانبة القلبية وهو المنهِيُّ عنه، اذ هو امر باطن يمكن الانتهاء عنه، ولا يلحق بسببه ضرر. فامّا انّ السّب له زكاة فللحديث: انّ ذكرالمؤمن بسوء هو زكاة له، و ذمّه بما ليس فيه زيادة في جاهه و شرفه. والذى بدأ بسبّه معاوية و قطعه عمربن عبدالعزيز[2]، وفيه يقول السيد الرّضى رحمه الله من قطعة له:

يا ابن عبدالعزيز لو بكت العيـ ـن فتى من اميّة لبكيتك

انت نزّهتنا عن الشّتم والسـ ـبّ و لو كنت مجزيا لجزيتك

غير انّى اقول انّك قد طبت وان لم يطب و لم يزك بيتك[3]

والفطرة فطرةالله التي فطرالناس عليها سليمًا من التدنّس بالعقائد الباطلة، و عبادة غيرالله و سبقه الى الاسلام سبقه الى الدخول فى طاعة الرسول صلّى الله عليه و آله وملازمته له وهجرته معه.

٥٧ - وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

كلّم به الخوارج

أَصَابَكُمْ حَاصِبٌ، وَلَا بَقِيَ مِنْكُمْ آبِرٌ أَبَعْدَ إِيمَانِي بِاللهِ وَ جِهَادِي مَعَ رَسُولِ اللهِ أَشْهَدُ

---

١ - الغدير ١٤٢/١٠. خصائص اميرالمؤمنين؛ للحافظ النسائي / المقدمة.

٢ - الغدير ٢٥٧/١٠ - ٢٧٢ لعن معاوية و عماله عليًا عليه السلام.

٣ - ديوان الشريف الرضي ١٦٩/١.

عَلَى نَفْسِي بِالْكُفْرِ؟ لَقَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ! فَأُوبُوا شَرَّ مَآبٍ، وَارْجِعُوا عَلَى أَثَرِ الْأَعْقَابِ، أَمَا إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي ذُلًّا شَامِلاً وَسَيْفًا قَاطِعًا وَأَثَرَةً يَتَّخِذُهَا الظَّالِمُونَ فِيكُمْ سُنَّةً.

(قال الشريف: قوله عليه السلام «ولابقي منكم آبر» يروى بالباء والراء من قولهم للذى يأبر النخل - أي: يصلحه - ويروى «آثر» وهوالذى يأثر الحديث، أي: يرويه ويحكيه، وهو أصح الوجوه عندى، كأنه عليه السلام قال: لابقي منكم مخبر. ويروى «آبز» - بالزاى المعجمه - و هو الواثب، والهالك ايضاً يقال له آبز)

أقول: السّبب انّه لما كتب عهد الصلح بينه و بين اهل الشام، اعتزلت الخوارج و تنادوا من كل جانب لاحكم الاّالله. الحكم لله يا علي لالك انّ الله قد أمضى حكمه في معاوية و اصحابه ان يدخلوا تحت حكمنا، و قد كنا زللنا و أخطأنا حين رضينا بالتحكيم، و قد بان زللنا[1] وخطأنا و رجعنا الى الله وتبنا، فارجع انت كما رجعنا و تب اليه كما تبنا. و قال بعضهم: انّك أخطأت فاشهد على نفسك بالكفر ثم تب منه حتى نطيعك. فأجابهم عليه السلام بهذا الكلام.

والحاصب: ريح ترمي بالحصباء، وهى صغار الحصى. و دعاؤه عليه السلام ظاهر. والاثرة: الاستبداد، والّذى لقوه من الذّل، والقتل على يده، و يد من بعده كالمهلب و أولاده، و الحجّاج وغيرهم. و استبداد الولاة بعده بمال المسلمين يصدّق ما اخبرهم به عليه السلام.

٥٨ - وقال عليه السّلام

لما عزم على حرب الخوارج و قيل له: إنهم قد عبروا جسرالنهروان

مَصَارِعُهُمْ دُونَ النُّطْفَةِ، وَاللهِ لَا يُفْلِتُ مِنْهُمْ عَشَرَةٌ، وَلَا يَهْلِكُ مِنْكُمْ عَشَرَةٌ.

---

١ - هذه الكلمة ساقطة في نسخة ش.

(قال الشريف: يعني بالنطفه ماءالنهر، وهوأفصح، كناية وان كان كثيراً جمًّا) وقد أشرنا الىٰ ذلك فيما تقدم عند مضي ما أشبهه.

اقول: خلاصة الخبر انّه عليه السلام جاءه رجل من اصحابه، فقال: البشرى يا اميرالمؤمنين انّ القوم قد عبروا النهر لما بلغهم وصولك، فقال: الله أنت رأيتهم قد عبروا؟ فقال: نعم، فقال عليه السلام: والله ما عبروه و لن يعبروه و انّ مصارعهم الفصل. ثم سار[1] عليه السلام اليهم فوجدهم قد كسّروا جفون سيوفهم، و عرقبوا دوابهم، وَ حَبَوا على الركب، وحكموا تحكيمة واحدة بصوت عظيم له زجل، فلما قتلهم كان المفلت منهم تسعة، والمقتول من اصحابه ثمانية. والحكمان من كراماته عليه السلام.

وقال عليه السلام:

لما قتل الخوارج قيل له: يا اميرالمؤمنين، هلك القوم باجمعهم

كَلَّا وَاللهِ إِنَّهُمْ نُطَفٌ فِي أَصْلَابِ الرِّجَالِ وَ قَرَارَاتِ النِّسَاءِ، كُلَّمَا نَجَمَ مِنْهُمْ قَرْنٌ قُطِعَ، حَتَّى يَكُونَ آخِرُهُمْ لُصُوصًا سَلَّابِينَ.

أقول: أشار بذلك الى من سيوجد منهم، و كنى بالقرارات: عن الأرحام، و استعار لفظ القرن: لمن يظهر من رؤسائهم، و رشّح بذكر النجوم و كنى بقطعه (عن قبله)[2] و جعل لتراذلهم غاية و هى كون آخرهم قطاعا للطريق و ذلك كشبيب، و قطرى بن فجاة، و غيرهما، و اخبارهم يشهد بصدقه عليه السلام.

وقال عليه السلام:

لَا تَقْتُلُوا الْخَوَارِجَ بَعْدِي، فَلَيْسَ مَنْ طَلَبَ الْحَقَّ فَأَخْطَأَهُ كَمَنْ طَلَبَ البَاطِلَ فَأَدْرَكَهُ

---

١ ـ في ش: اشار.

٢ ـ عن قبله. غيرموجود في ش.

(يعني معاوية و أصحابه).

قال السيد رحمه الله يعني : لمن ادركه معاوية و اصحابه.

اقول: الفرق بينهم، و بين معاوية، انّ القوم طلبوا الحقّ بالذّات فوقعوا فى الباطل بالعرض، و معاويه طلب الباطل بالذّات فى صورة تشبّه الحق، و انّما نهى عن قتلهم بعده على تقدير ان يلزموا حدودهم، و يكفّوا عن العبث والفساد في الأصل. و قيل انّما قتلهم لانّه امام عادل رأى وجوب قتالهم، و انّما نهى عنه ذلك بعده لانّه علم أنّه لايلي هذا الأمر بعده من له بحكم الشريعة ان يقتل، أو يتولّى امر الحدود و يضعها مواضعها.

٥٩ ـ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام،

لما خُوِّفَ من الغيلة

وَ إِنَّ عَلَيَّ مِنَ اللهِ جُنَّةً حَصِينَةً، فَإِذَا جَاءَ يَوْمِي انْفَرَجَتْ عَنِّي وَأَسْلَمَتْنِي فَحِينَئِذٍ لَا يَطِيشُ السَّهْمُ، وَلَا يَبْرَأُ الْكَلْمُ.

أقول: الغيلة: الفتك[1] على غرّة، و قد كان عليه السلام خوّف من قبل عبدالرحمن بن ملجم لعنه الله مرارا كما نبّهنا عليه في الاصل[2] واستعار لفظ الجنّة وهي الترس و نحوه، لمدّة أجله المعلوم لله تعالى، و وصف الانفراج لا نقضائها، و لفظ السهم: لأسباب الموت، و كنى بعدم طيشه عن أصابته.

٦٠ ـ وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

أَلَا وَ إِنَّ الدُّنْيَا دَارٌ لَايُسْلَمُ مِنْهَا إِلَّا فِيهَا، وَ لَا يُنْجَى بِشَيْءٍ كَانَ لَهَا: ابْتُلِيَ النَّاسُ بِهَا فِتْنَةً فَمَا أَخَذُوهُ مِنْهَا لَهَا أُخْرِجُوا مِنْهُ، وَ حُوسِبُوا عَلَيْهِ وَ مَا أَخَذُوهُ مِنْهَا لِغَيْرِهَا قَدِمُوا عَلَيْهِ

١ ـ في نسخة ش: القتل.

٢ ـ الشرح الكبير لابن ميثم ٢/١٥٦.

وَأَقَامُوا فِيهِ، فَإِنَّهَا عِنْدَ ذَوِي الْعُقُولِ كَفَيْءِ الظِّلِّ: بَيْنَا تَرَاهُ سَابِغًا حَتَّى قَلَصَ، وَ زَائِدًا حَتَّى نَقَصَ.

أقول: لا يسلم منها الّا فيها أى: لا يسلم من عذاب الله عليها فى الآخرة الّا بما فعل فيها من الأعمال الصالحات، والّذى يكون لها هو ما يقتنى منها للإستمتاع به، و الإلتذاذ بنفعه لانّه هو دون الوصول به الى الآخرة، و ظاهر انّ ذلك لا يكون به نجاة فى الآخرة، والابتلاء بها اختبار المطيع من العاصى، و ليس المراد منه انّ الله تعالى لايعلم ما تؤل اليه أحوال العباد، لأنّه يعلم السرّ واخفى، بل لما كانت الشرائع الالّهية جاذبة للخلق عنها الى الغاية الّتى خلقوا لها، و كانت محاضرُ لذّاتها جاذبةٌ لهم بحسب نفوسهم الأمّارة اليها، فمن اطاع داعى الله وصوارفه عنها فاز فوزا عظيما، و من اتّبع هواه بغير هدى من الله خسر خسرانا مبينا، أشبه ذلك صورة ابتلاء من الله لخلقه بها فاستعير لذلك، وصف الابتلاء، و لفظ الفتنة و ما أخذ منها لغيرها هو ما يقصد به وجه الله والدارالآخرة من مال يتصدّق ويصرف فى سبيل الله، أو جاه او عمل لله، و ليس ما يقدمون عليه فى الآخرة هو عين ما أخذ من الدنيا، بل ثمرته من ثواب الله و متاع الآخرة، وشبهها فى شرعة زوالها عند ذوى العقول الناظرين اليها، باعين بصائرهم بفىء الظّلّ، و اشار الى وجه الشبه، بقوله: بينا الى آخره.

و اصل بينابين بمعنى: الوسيط فاشبعت الفتحة فحدثت ألف، و قد تزاد فيها ما، والمعنى واحد. و قلص: نقص. و بالله التوفيق.

٦١ ـ وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

وَاتَّقُوا اللهَ عِبَادَاللهِ، وَ بَادِرُوا آجَالَكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ، وَابْتَاعُوا مَا يَبْقَى لَكُمْ بِمَا يَزُولُ عَنْكُمْ، وَ تَرَحَّلُوا فَقَدْ جُدَّبِكُمْ، وَ اسْتَعِدُّوا لِلْمَوْتِ فَقَدْ أَظَلَّكُمْ، وَ كُونُوا قَوْمًا صِيحَ بِهِمْ فَانْتَبَهُوا، وَ عَلِمُوا أَنَّ الدُّنْيَا لَيْسَتْ لَهُمْ بِدَارٍ فَاسْتَبْدَلُوا فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثًا، وَ لَمْ يَتْرُكْكُمْ سُدًى، وَ مَا بَيْنَ أَحَدِكُمْ وَ بَيْنَ الْجَنَّةِ أَوِ النَّارِ إِلَّا الْمَوْتُ أَنْ يَنْزِلَ بِهِ، وَ إِنَّ غَايَةً

تَنْقُصُهَا اللَّحْظَةُ وَ تَهْدِمُهَا السَّاعَةُ لَجَدِيرَةٌ بِقِصَرِ الْمُدَّةِ،وَ إِنَّ غَائِباً يَحْدُوهُ الْجَدِيدَانِ- اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ- لَحَرِيٌّ بِسُرْعَةِ الْأَوْبَةِ،وَ إِنَّ قَادِمًا يَقْدُمُ بِالْفَوْزِ وَالشِّقْوَةِ، لَمُسْتَحِقٌّ لِأَفْضَلِ الْعُدَّةِ فَتَزَوَّدُوا فِي الدُّنْيَا، مِنَ الدُّنْيَا، مَا تُحْرِزُونَ بِهِ أَنْفُسَكُمْ غَدًا فَاتَّقَى عَبْدٌ رَبَّهُ نَصَحَ نَفْسَهُ، وَ قَدَّمَ تَوْبَتَهُ، وَ غَلَبَ شَهْوَتَهُ فَإِنَّ أَجَلَهُ مَسْتُورٌ عَنْهُ، وَ أَمَلَهُ خَادِعٌ لَهُ، وَالشَّيْطَانَ مُوَكَّلٌ بِهِ: يُزَيِّنُ لَهُ الْمَعْصِيَةَ لِيَرْكَبَهَا وَ يُمَنِّيهِ التَّوْبَةَ لِيُسَوِّفَهَا حَتَّى تَهْجُمَ مَنِيَّتُهُ عَلَيْهِ أَغْفَلَ مَا يَكُونُ عَنْهَا، فَيَالَهَا حَسْرَةً عَلَى ذِي غَفْلَةٍ أَنْ يَكُونَ عُمُرُهُ عَلَيْهِ حُجَّةً، وَ أَنْ تُؤَدِّيَهُ أَيَّامُهُ إِلَى شِقْوَةٍ، نَسْأَلُ اللهَ سُبْحَانَهُ أَنْ يَجْعَلَنَا وَ إِيَّاكُمْ مِمَّنْ لاَ تُبْطِرُهُ نِعْمَةٌ، وَلاَ تُقَصِّرُ بِهِ عَنْ طَاعَةِ رَبِّهِ غَايَةٌ، وَلاَ تَحِلُّ بِهِ بَعْدَ الْمَوْتِ نَدَامَةٌ وَلاَ كَآبَةٌ.

اقول: مبادرة الآجال: مسابقتها بالأعمال الصالحة، و ما يبقى لهم هوالثواب الموعود فى الآخرة، و ما يزول عنهم هوالدنيا و متاعها. و استعار وصف الابتياع: لبذل الدنيا الفانية فى تحصيل الخيرات الاخروية الباقية، و ذلك بالزهد فيها، والخروج عنها، واشار بالترحّل: الى السفر فى سبيل الله اليه و بالجدّبهم الى شدّة سيرالليل والنهار فى هدم الأعمار، والاستعداد للموت: التسلّح له بالكمالات النفسانية التى لايضر معها موت البدن. واظلكم: اشرف عليكم. و قوله: كونوا قوما صيح بهم فانتبهوا: تنبيه على وجوب اجابة الداعي الى الله وهو لسان الشريعة والانتباه بندائه من نوم الغفلة و مراقد الطبيعة. و سدى: مهمل، و كنى بالغاية عن: الأجل و أراد بالغائب: الانسان مادام فى الدنيا، اذ كان فى دارالغربة عن مستقرّه الاصلي و بحسب قصر مدّة غيبته يكون سرعة أوبته. و قيل: اراد به ملك الموت، و كذلك اراد بالقادم: الانسان، و ما يزوّد من الدنيا فيها: التقوى، والاعمال الصالحة، وهى الحرز من عذاب الله. و قوله: فاتقى، الى قوله: شهوته: اوامر وردت بلفظ الماضى و هى بلاغة تريك المعنى فى أحسن صوره، ونصيحة النفس النظر فى مصلحتها باتّخاذ الزاد الأبقى، وهوالتقوى و من جملتها تقديم التوبة و غلب الشهوة.

و نبّه على وجوب ذلك بضمير صغراه قوله: فانّ أجله، الى قوله: عنها، و تقدير كبراه وكلّ ما كان كذلك فواجب ان ينصح نفسه بلزوم اوامرالله تعالى، و التسويف التمادى

فی الأمر و أصله قول الرجل: سوف افعل، واغفل نصب على الحال. وحسرة نصب على التمييز للمتعجّب منه المدعوّ، واللام فی «لها» قيل: للاستغاثة كأنّه قال يا للحسرة على الغافلين ما اكثرك . و قيل: لام الجرّ فتحت لدخولها على الضمير المنادى المحذوف، أی: يا قوم ادعوكم لها حسرة،وان فی موضع النصب بحذف الجار ای : على كون اعمارهم حجة عليهم يوم القيامة.

٦٢ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

اَلْحَمْدُلِلّهِ الَّذِی لَمْ يَسْبِقْ لَهُ حَالٌ حَالاً، فَيَكُونَ أَوَّلاً قَبْلَ أَنْ يَكُونَ آخِرًا، وَيَكُونَ ظَاهِرًا قَبْلَ أَنْ يَكُونَ بَاطِنًا، كُلُّ مُسَمًّى بِالْوَحْدَةِ غَيْرُهُ قَلِيلٌ، وَكُلُّ عَزِيزٍ غَيْرُهُ ذَلِيلٌ، وَكُلُّ قَوِیٍّ غَيْرُهُ ضَعِيفٌ، وَكُلُّ مَالِكٍ غَيْرُهُ مَمْلُوكٌ، وَكُلُّ عَالِمٍ غَيْرُهُ مُتَعَلِّمٌ، وَكُلُّ قَادِرٍ غَيْرُهُ يَقْدِرُ وَيَعْجِزُ، وَكُلُّ سَمِيعٍ غَيْرُهُ يَصَمُّ عَنْ لَطِيفِ الْأَصْوَاتِ، وَيُصِمُّهُ كَبِيرُهَا، وَيَذْهَبُ عَنْهُ مَا بَعُدَ مِنْهَا، وَكُلُّ بَصِيرٍ غَيْرُهُ يَعْمَى عَنْ خَفِیِّ الْأَلْوَانِ وَلَطِيفِ الْأَجْسَامِ، وَكُلُّ ظَاهِرٍ غَيْرُهُ غَيْرُ بَاطِنٍ، وَكُلُّ بَاطِنٍ غَيْرُهُ غَيْرُ ظَاهِرٍ، لَمْ يَخْلُقْ مَا خَلَقَهُ لِتَشْدِيدِ سُلْطَانٍ، وَلَا تَخَوُّفٍ مِنْ عَوَاقِبِ زَمَانٍ، وَلَا اسْتِعَانَةٍ عَلَى نِدٍّ مُثَاوِرٍ، وَلَا شَرِيكٍ مُكَابِرٍ، وَلَا ضِدٍّ مُنَافِرٍ، وَلٰكِنْ خَلَائِقُ مَرْبُوبُونَ، وَعِبَادٌ دَاخِرُونَ، لَمْ يَحْلُلْ فِی الْأَشْيَاءِ فَيُقَالَ هُوَ فِيهَا كَائِنٌ، وَلَمْ يَنْأَ عَنْهَا فَيُقَالَ هُوَ مِنْهَا بَائِنٌ لَمْ يَؤُدْهُ خَلْقُ مَا ابْتَدَأَ وَلَا تَدْبِيرُ مَا ذَرَأَ، وَلَا وَقَفَ بِهِ عَجْزٌ عَمَّا خَلَقَ، وَلَا وَلَجَتْ عَلَيْهِ شُبْهَةٌ فِيمَا قَضَى وَقَدَّرَ. بَلْ قَضَاءٌ مُتْقَنٌ، وَعِلْمٌ مُحْكَمٌ، وَأَمْرٌ مُبْرَمٌ: الْمَأْمُولُ مَعَ النِّقَمِ، وَالْمَرْهُوبُ مع النِّعَمِ.

اقول: لما ثبت انّ السبق والقبلية، والتأخر والبعدية، من لواحق الزمان لذاته و من لواحق الزمانيات بواسطته و كان تعالى منزّهاً عن لحوق الزمان فی ذاته، و كمال صفاته لاجرم لم يلحقه شیٔ من اعتبار القبلية والبعدية فلم يجز ان يقال مثلا كونه عالمًا قبل كونه قادرًا، و لا كونه حيًا قبل كونه عالما، بقی أن يقال انّ القبلية والبعدية قد يطلقان باعتبار آخر كالقبلية بالشرف، و الفضيلة، والذات، والعلية لكن قد بيّنا فی الخطبة الاولى انّ كل

ما يلحق ذاته المقدّسة من الصفات اعتبارات ذهنية تحدثها العقول، عند مقايسته الى مخلوقاته و لا سبق لشئ منها على الآخر، بالنظر الى ذاته المقدّسة والّا لكانت كمالات قابلة للزيادة والنقصان، و بعضها علة لبعض و اشرف، و بعضها معلول بعض و انقص بالنظر الى ذاته و ذلك من لواحق الامكان هذا خلف، و ذلك سرّ قوله عليه السلام: الّذى لم يسبق له حال حالا: الى قوله: باطنا، بل معنى اوليّته هو اعتبارنا كونه تعالى مبدأ لكل موجود، وآخريته هو اعتبارنا لكونه غاية لكلّ ممكن او استحقاقه البقاء لذاته، و استحقاق غيره له ببقائه تعالى و هذه الاعتبارات بالنظر الى ذاته تعالى على سواء.

و قوله: كل مسمّى بالوحدة غيره قليل، يريد: انّه لا يوصف بالقلّة و ان كان واحدًا و ذلك أنّ الواحد يقال لمعان، والمشهور منها هو: كون الشئ مبدأ لكثرة يكون عادًّا لها ومكيالا، و هوالّذى تلحقه القلّة والكثرة الاضافيتين، فانّ كلّ واحد بهذا المعنى قليل بالنّسبة الى الكثرة الّتى يصلح ان يكون مبدأ لها، و المتصوّر لاكثر النّاس كونه تعالى واحدا بهذا المعنى، فلذلك نزّهه عليه السلام عنه بذكر لازمه و هوالقليل لظهور بطلان هذا اللازم فى حقه تعالى، و استلزام بطلانه بطلان الملزوم المذكور، و ذلّة الاعزّاء غيره لدخولهم تحت الحاجة اليه، و ضعف كلّ قوىّ غيره لدخوله تحت قهر قدرته التّامّة، ومملوكية كلّ مالك غيره لدخوله تحت الملك المطلق الّذى تنفذ مشيئة مالكه فى جميع الموجودات باستحقاق دون غيره، و تعلم كل عالم غيره لكون كل عالم مستفادا من فيض جوده، و هوالعالم المطلق الّذى لايعزب عن علمه مثقال ذرّة فى السماوات ولا فى الارض، و عجز غيره عن بعض الاشياء يشهد بكمال قدرته، و انّها مبدأ قدرة كل قادر. وكونه تعالى سميعًا يعود الى علمه تعالى بالمسموعات لتنزّهه عن الآلة التى من شأنها أن تصم، لانّ ادراكها للصوت على قرب و بعد، وحَدّ مّن القوّة والضعف مخصوص فانّه ان كان الصوت ضعيفًا جداً او بعيداً جداً لم يصل الى الصماخ فلم تدركه القوّة السامعة، فلذلك كانت تصمه عن لطيف الاصوات، و يذهب عن السامع ما بعد منها و ان كان فى غاية من القوّة والقرب، فربما اشتدّ قرعه للصماخ فتفرق اتصال الروح الحامل لقوة السمع عنه، بحيث يبطل استعدادها لتأدية الصوت و يحدث الصمم فلذلك قال: و يصمه كبيرها. و بحسب تنزّهه تعالى عن هذه الآلة لم يعزب عنه ما خفى من الاصوات و لم يذهب عليه

ما بعد منها، و لم تلحقه لواحقها من الصمم والنقصان، و خفي الألوان مثلا كاللون في الظلمة.

واللطيف قد يراد به: عديم اللون كالهواء، و قد يراد به رقيق القوام كالذرة و هو غير مدرك بالمعنيين للحيوان، و اطلق اسم العمى: على عدم الابصار مجازا، و لما كان كونه تعالى بصيرًا يعود إلى علمه بالمبصرات لم يعزب عنه شئ منها و ان خفي على غيره، و لطف و لم تلحقه من لواحق الآلات آفة، كالعمى و نحوه. و قوله: و كل ظاهر، الى قوله: غير ظاهر، يريد: انّه تعالى هوالمتفرّد بالجمع بين وصفي البطون والظهور، دون غيره و قد بيّنا معناهما في الأصل. و قوله: و لم يخلق، الى قوله: منافر: لانّه تعالى لا يفعل لغرض، و تشديد السلطان: تقويته. والنّد: المثل. والمثاور: المواثب. و داخرون: ذليلون و برهان كونه تعالى غير حالٍّ في شئ، و لا مباينٍ قد سبق في الخطبة الاولى. و آده يؤده: اثقله اى لم يثقله تدبيره للاشياء على وجه الحكمة، و لم تعرض له شبهة فيما قضى اى: حكم به في خلقه لتنزّه علمه عن عوارض القوى البشرية التي هي منشأ الشكوك والشبهات.

و ولجت: دخلت. والمبرم: المحكم. و قوله: المأمول، الى قوله: النعم: ايماء الى تنزيهه تعالى عن حالة البشرية، فانّ المنتقم من الناس حين انتقامه لايكون مأمولا و حال نعمته لايكون مرهوبًا.

٦٣ - وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

كان يقوله لأصحابه في بعض أيام صفين

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ، اسْتَشْعِرُوا الْخَشْيَةَ، وَتَجَلْبَبُوا السَّكِينَةَ، وَعَضُّوا عَلَى النَّوَاجِذِ، فَإِنَّهُ أَنْبَى لِلسُّيُوفِ عَنِ الْهَامِ، وَأَكْمِلُوا اللَّأْمَةَ، وَقَلْقِلُوا السُّيُوفَ فِي أَغْمَادِهَا قَبْلَ سَلِّهَا، وَالْحَظُوا الْخَزْرَ وَاطْعُنُوا الشَّزْرَ وَنَافِحُوا بِالظُّبَا، وَصِلُوا السُّيُوفَ بِالْخُطَا. وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ بِعَيْنِ اللهِ، وَ مَعَ ابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَعَاوِدُوا الْكَرَّ وَاسْتَحْيُوا مِنَ الْفَرِّ فَإِنَّهُ عَارٌ فِي الْأَعْقَابِ، وَنَارٌ يَوْمَ الْحِسَابِ، وَطِيبُوا عَنْ أَنْفُسِكُمْ نَفْسًا وَامْشُوا إِلَى الْمَوْتِ مَشْيًا سُجُحًا، وَعَلَيْكُمْ بِهٰذَا السَّوَادِ الْأَعْظَمِ، وَالرِّوَاقِ الْمُطَنَّبِ، فَاضْرِبُوا ثَبَجَهُ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ

كَامِنٌ فِي كِسْرِهِ، قَدْ قَدَّمَ لِلْوَثْبَةِ يَدًا، وَأَخَّرَ لِلنُّكُوصِ رِجْلاً، فَصَمْدًا صَمْدًا حَتَّى يَنْجَلِيَ لَكُمْ عَمُودُ الْحَقِّ (وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ، وَاللَّهُ مَعَكُمْ، وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ).

أقول: قد اشتملت هذه الأوامر على تعليم كيفية الحرب، و بدأ بالامر باستشعار خشية الله اى: اتّخاذها شعارا، والشعار: ما يلى الجسد من الثياب واستعار وصف تَجَلْبُبِ السكينة: للتلبّس بها كالجلباب وهى: الملحفة، و فائدته طرد الفشل و ارهاب العدوّ. والنواجذ: أقصى الاضراس و فائدة العض عليها، نبوالسيف عن الهامة ليصلب عضل الرأس و مقاومته حينئذ للضربة. واللّأمة بوزن فعلة: الدرع و اكمالها بالبيضة والسواعد، و يحتمل ان يراد بها جميع آلة الحرب و الغرض شدّة التحصن. و فائدة قلقلة السيوف في اغمادها. سهولة سلها: وقت الحاجة اليها. و لحظ الخزر: من امارات الغضب والحمية، و فائدته اخذ الغرّة من العدوّ. والشزر بسكون الزاء وهو: الطعن على غير استقامة بل يميناً و شمالا، فائدته توسعة المجال للطاعن. والمنافحة بالضبى: التناول باطراف السيوف و فائدته توسعة المجال ايضاً، فانّ القرب من العدوّ تمنع من ذلك. وصلة السيوف بالخطا، و فائدته انّ السيف قديكون قصيراً فيطول بالخطوة و مدّاليد و لأنّ فيه الاقدام على العدوّ والزحف اليه، و ذلك مما يوجب له الانفعال والتاخّر، و فيه قول الشاعر:

اذا قصرت أسيافنا كان وصلها — خطانا الى اعدائنا فنضارب

و كونهم بعين الله اى: بحيث يراهم، و يعلم ما يفعلون. و قوله: و طيبوا عن انفسكم نفساً: تسهيل للموت عليهم بما يستلزمه من الثواب الاخروى. والنفس الاولى الشخص الزائل بالموت، والنفس المنصوبة على التمييز المدبّرة للبدن. و سمحاً: سهلا. والسواد الأعظم: جماعة اهل الشام. والرواق المطنّب: مضرب كالفسطاط لمعاوية و كان يومئذ فى مضرب عليه قبّة عالية باطناب عظيمة، و حوله من اهل الشام مائة الف كانوا تعاهدوا على ان لاينفرجوا عنه حتّى يُقتلوا. و ثبجه: وسطه و أراد بكمون الشيطان فى كسره: كونه مظنّة الشيطان اذ ضرب على طاعته و معصية الله. و قيل: استعار لفظه لمعاوية باعتبار اغوائه للخلق، و كنّى بقوله: قد قدّم، الى قوله: اخرى: عن كونه متردّداً فى أمره، و على غير يقين فى قتاله، فهو فى مظنّة ان يرجع و يهرب. و كسر البيت: جانبه. والصمد:

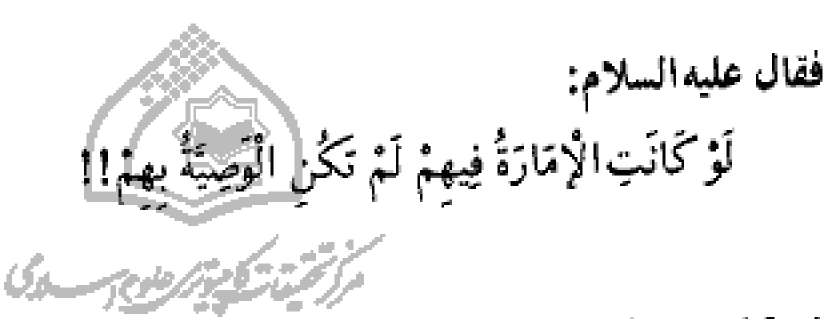
القصد اى: اقصدوا العدوّ قصداً حتى يتبيّن لكم انّ الحق معكم بنصركم على عدوّكم اذ الطالب لغير حقّه سريع الانفعال قريب الفرار فى مقاومته، و لن يتركم اى: ينقصكم.

٦٤ - وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

فى معنى الأنصار، قالوا: لما انتهت إلى أمير المؤمنين عليه السلام أنباء السقيفة بعد وفاة رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلم. قال عليه السلام: ما قالت الأنصار؟ قالوا: قالت: منّا أمير و منكم أمير، قال عليه السلام:

فَهَلَّا ٱحْتَجَجْتُمْ عَلَيْهِمْ بِأَنَّ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَصَّى بِأَنْ يُحْسَنَ إِلَى مُحْسِنِهِمْ، وَ يُتَجَاوَزَ عَنْ مُسِيئِهِمْ؟! قالوا: و ما فى هذا من الحجة عليهم؟

فقال عليه السلام:



لَوْ كَانَتِ الْإِمَارَةُ فِيهِمْ لَمْ تَكُنِ الْوَصِيَّةُ بِهِمْ!!

ثم قال عليه السلام:

فَمَا ذَا قَالَتْ قُرَيْشٌ؟ قالوا: احتجت بأنها شجرة الرسول صلّى الله عليه وَ آلِهِ، فَقَال عليه السلام: ٱحْتَجُّوا بِالشَّجَرَةِ، وَ أَضَاعُوا الثَّمَرَةَ.

اقول: الأنباء التي بلغته، هى اخبار المشاجرة بين المهاجرين و الانصار فى الخلافة فى سقيفة بنى ساعدة،فامّا ما اشار اليه عليه السلام من الوصيّة بالانصار فهو ما رواه مسلم والبخارى فى «مسنديهما» عن انس قال: مرّ ابوبكر، والعباس، بمجلس من مجالس الانصار وهم يبكون فقالا: ما يبكيكم؟ فقالوا: ذكرنا مجلس رسول الله «صلّى الله عليه وآله»فدخلا على الرسول فاخبراه بذلك فخرج رسول الله صلى الله عليه و آله معصّباً على رأسه حاشية برد فصعد المنبر و لم يصعده بعد ذلك اليوم فحمدالله و اثنى عليه ثمّ قال:

اوصيكم بالانصار فانّهم كرشى و عيبتى، و قد قضوا الّذى عليهم و بقى الّذى لهم،

فاقيلوا من محسنهم و تجاوزوا عن مسيئهم. و استعار لفظ الشجرة لقريش: باعتبار انّهم اصل للرسول صلى الله عليه وآله[1]، و لفظ الثمرة لنفسه، واهل بيته، فانّهم ثمرة النبوّة فى فضلهم، وكمال نفوسهم المقدّسة. والكلام فى صورة احتجاج له على قريش بمثل ما احتجّوا به على الانصار، و تقديره انّهم ان كانوا احقّ بهذا الامر من الانصار لكونهم شجرة الرسول صلى الله عليه وآله، فنحن اولى لكوننا ثمرته، و الثمرة هى: الغرض من الشجرة لكن الملزوم حق فاللازم مثله.

٦٥ـ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

لما قلّد محمد بن أبي بكر مصر فملكت عليه وقتل رحمه الله

وَ قَدْ أَرَدْتُ تَوْلِيَةَ مِصْرَ هَاشِمَ بْنَ عُتْبَةَ، وَلَوْ وَلَّيْتُهُ إِيَّاهَا لَمَا خَلَّى لَهُمُ الْعَرْصَةَ ولَا أَنْهَزَهُمُ الْفُرصَةَ، بِلاَ ذَمٍّ لِمُحَمَّدِبْنِ أَبِي بَكْرٍ، فَلَقَدْ كَانَ إِلَيَّ حَبِيبًا، وَ كَانَ لِي رَبِيبًا.

اقول: كان قتله رضى الله عنه بعد وقعة صفّين، و اضطراب الامر على علىّ عليه السلام، و طمع معاوية فى البلاد. وقتله عمرو بن العاص وحشا جثّته فى جوف حمارميّت و أحرقه[2] فبلغه عليه السلام ذلك فجزع له حتّى ظهر فى وجهه. وقال: الفصل. وهاشم هو: ابن عتبة بن ابى وقّاص، و كان من شيعة علىّ المخلصين فى ولائه وقتل معه فى صفّين و كان رجلاً مجرّبا. و النهز: الفرصة و اراد انّه لم يكن يمكنهم مما ارادوا، وكان محمد حبيباً اليه لتربيته فى حجره صغيرا حين تزوّج امّه اسماء بنت عميس وكانت اوّلا تحت جعفر بن ابى طالب و هاجرت معه الى الحبشة فولدت له عبدالله بن جعفر و قتل عنها يوم موته، فتزوّجها ابوبكر فأولدها محمداً فلما مات عنها تزوّجها علىّ عليه السلام فكان محمد ربيبه و نشأ على ولائه منذ صغره فكان يقول عليه السلام: محمد ابنى من ظهر ابى بكر[3].

---

١ ـ في ش هكذا: اصل الرسول عليه الصلاة والسلام.

٢ ـ النجوم الزاهرة. الاصابة ٤٧٢/٣. الاستيعاب ٣٤٨/٣ ـ هامش الاصابة.

٣ ـ جامع الرواة ٤٥/٢. تنقيح المقال ٥٧/٢ حرف الميم.

٦٦ - وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

في ذمّ اصحابه

كَمْ أُدَارِيكُمْ كَمَا تُدَارَى الْبِكَارُ الْعَمِدَةُ، وَالثِّيَابُ الْمُتَدَاعِيَةُ! كُلَّمَا حِيصَتْ مِنْ جَانِبٍ تَهَتَّكَتْ مِنْ آخَرَ؟ أَكُلَّمَا أَطَلَّ عَلَيْكُمْ مَنْسِرٌ مِنْ مَنَاسِرِ أَهْلِ الشَّامِ أَغْلَقَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بَابَهُ، وَ انْجَحَرَ انْجِحَارَ الضَّبَّةِ فِي جُحْرِهَا، وَالضَّبُعِ فِي وِجَارِهَا؟! الذَّلِيلُ وَاللهِ مَنْ نَصَرْتُمُوهُ! وَ مَنْ رُمِيَ بِكُمْ فَقَدْ رُمِيَ بِأَفْوَقَ نَاصِلٍ. وَإِنَّكُمْ، وَاللهِ، لَكَثِيرٌ فِي الْبَاحَاتِ قَلِيلٌ تَحْتَ الرَّايَاتِ، وَإِنِّي لَعَالِمٌ بِمَا يُصْلِحُكُمْ وَ يُقِيمُ أَوَدَكُمْ، وَلٰكِنِّي لاَ أَرَى إِصْلاَحَكُمْ بِإِفْسَادِ نَفْسِي! أَضْرَعَ اللهُ خُدُودَكُمْ، وَأَتْعَس جُدُودَكُمْ، لاَ تَعْرِفُونَ الْحَقَّ كَمَعْرِفَتِكُمُ الْبَاطِلَ، وَلاَ تُبْطِلُونَ الْبَاطِلَ كَإِبْطَالِكُمُ الْحَقَّ.

اقول: الفصل في ذمّ اصحابه لتقاعدهم عن الحرب. والبكار: العمدة التي انشدخ باطن اسنمتها لثقل الحمل و يسمّى ذلك العمد، و وجه الشبه مداراتهم بمداراتها قوّة المداراة وكثرتها. و خصّ البكار جمع بكرة: لانها اشدّ تضجّراً بالحمل عند ذلك الدّاء، واشار الى وجه شبهها بمداراة الثياب المتداعية، اى: المتتابعة في التمزّق، بقوله: كلّما حيصت الى قوله: آخر. و حيصت: خيطت و جمعت، اى: كلّما اصلح حال بعضهم، وجمعهم للحرب فسد بعض آخر عليه، و تفرّق عنه. و اطلّ: أشرف. و المنسر بفتح الميم، و كسر السين، وبالعكس: القطعة من الجيش من المائة الى المأتين. والوجار: بيت الضبع. والأ فوق الناصل: السهم لا فوق له و لا نصل و يتمثّل به في الاستعانة بمن لاعناء فيه. والباحة: ساحة الدار. والأوَد: الاعوجاج، واراد بما يصلحهم و يقيم اعوجاجهم كالضرب والقتل، و ان كان على غير وجه شرعيّ كما يفعل الملوك .

و قوله: و لكنّي الى قوله: نفسي: كالعذر عن عدم فعل ذلك بهم لما يستلزمه من الاثم المفسد للدين، المهلك في الآخرة. و اضرع اي: أذلّ. واتعس: اهلك . والجدّ: الحظ. وقوله: لا تعرفون، الى آخره: تبكيتٌ لهم بالجهل و غلبة الباطل على عقائدهم و أفعالهم.

٦٧ ـ وَقالَ عَلَيْهِ السَّلام
في سحرة اليوم الذى ضرب فيه

مَلَكَتْنِي عَيْنِي وَ أَنَا جَالِسٌ، فَسَنَحَ لِي رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ ٱللهِ، مَاذَا لَقِيتُ مِنْ أُمَّتِكَ مِنَ الْأَوَدِ وَاللَّدَدِ؟ فَقَالَ: «ٱدْعُ عَلَيْهِمْ» فَقُلْتُ: أَبْدَلَنِي ٱللهُ بِهِمْ خَيْرًا مِنْهُمْ، وَ أَبْدَلَهُمْ بِي شَرًّا لَهُمْ مِنِّي.

اقول: ملكه عينه: كناية عن نومه. و سنح: عرض له خيال في المنام.

٦٨ ـ وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام
في ذم أهل العراق

أَمَّا بَعْدُ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ فَإِنَّمَا أَنْتُمْ كَالْمَرْأَةِ الْحَامِلِ! حَمَلَتْ فَلَمَّا أَتَمَّتْ أَمْلَصَتْ، وَ مَاتَ قَيِّمُهَا، وَطَالَ تَأَيُّمُهَا، وَ وَرِثَهَا أَبْعَدُهَا أَمَا وَٱللهِ مَا أَتَيْتُكُمُ ٱخْتِيَارًا، وَ لكِنْ جِئْتُ إِلَيْكُمْ سَوْقًا، وَ لكِنِّي بَلَغَنِي أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: عَلِيٌّ يَكْذِبُ! قَاتَلَكُمُ ٱللهُ، فَعَلَى مَنْ أَكْذِبُ؟ أَعَلَى ٱللهِ؟ فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِهِ! أَمْ عَلَى نَبِيِّهِ؟ فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ صَدَّقَهُ، كَلَّا وَٱللهِ، وَ لكِنَّهَا لَهْجَةٌ غِبْتُمْ عَنْهَا وَ لَمْ تَكُونُوا مِنْ أَهْلِهَا. وَيْلُمِّهِ؟ كَيْلاً بِغَيْرِ ثَمَنٍ! لَوْ كَانَ لَهُ وِعَاءٌ (وَ لَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ).

اقول: هذا الكلام منه بعد حرب صفين. و املصت المرأة: اسقطت. والأيم: التي لابعل لها، و وجه تمثيلهم بالمرأة الموصوفة ما فيه من تشبّهات حالهم بحالها، فاستعدادهم لحرب اهل الشام يشبه حمل المرأة، و مشارفتهم للظفر يشبه الأيم. فانّ مالك الاشتر رحمه الله شارف دمشق صبيحة ليلة الهرير ليدخلها من غير حرب لولا خدعة معاوية و قومه برفع المصاحف، وانخداع اصحابه عليه السلام، و رجوعهم عن عدوّهم بعد ظفرهم به، يشبه الاملاص وخروجهم عن رأيه عليه السلام، و تفرّقهم عليه يشبه موت

قيّمها، و هو زوجها المستلزم لذلّها و عجزها، و اخذ عدوّهم مالهم من البلاد، و تغلّبه عليها يشبه ميراث الأبعدلها. و اشار بسوقه اليهم الى حكم القضاء الالٰهي عليه بذلك،او الى اكراههم له على البيعة بعد امتناعه منها كما وصفه غير مرّة و ما بلغه من تكذيبهم له، فهو كلام منافقى اصحابه فانّهم كانوا يكذّبونه فى بعض ما كان يخبرهم من الامور المستقبلة.

روى انّه لما قال: لو كسرت لى الوسادة لحكمت بين اهل التوراة بتوراتهم، و بين اهل الانجيل بانجيلهم، و بين أهل الزّبور بزّبورهم و بين اهل الفرقان بفرقانهم، والله ما من آية نزلت فى برّ أو بحر أو سهل أو جبل ولاسماء ولاأرض الّا وأنا أعلم فيمن نزلت وفى ایّ شئ انزلت. قال رجل من تحت المنبر: يالله، وللدعوى الكاذبة.

و قوله: و لكنّها، الى آخره: اشارة[1] الى مجمل كلامه، وانّه غير ما ادّعوه من الكذب واللهجة واللسان والقول الفصيح. و اشار بقوله: غبتم عنها: الى انفراده عليه السلام بسماعها من الرسول صلى الله عليه و آله، و لم يكونوا من اهلها الى ان الاستعداد لفهم مثل ذلك و سماعه طور آخر وراء عقولهم الضعيفة انّما حصلت لمثله عليه السلام، وحاله مع هؤلاء مختصرة من حال الرسول صلى الله عليه وآله مع منافقى قومه. و قوله: ويل امّه: كلمة يقال للاسترحام، و قيل: للتعجّب من الأمر واصلها الدعاء على الامّ تفقد ولدها و ترحّم لها عند ذلك. و قوله: كيلا بغير ثمن: اشارة الى ما يلقيه اليهم من الحكم البالغة والتعليم النافع لا يريد به جزاء ثم لم يفقهوه فلذلك تعجّب منهم. و[2] كيلاً مصدر اى: اكيل لهم العلم، والهداية كيلاً بغير ثمن لوكان فيهم من يعيه و يفهمه. و قوله: ولتعلمن، الآية: فى معرض التهديد بثمرة الجهل والتثاقل عن المسارعة الى دعوته.

٦٩ ـ وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

علم فيها الناس الصلاة على النبى صلى الله عليه وآله

اَللّهُمَّ دَاحِيَ الْمَدْحُوَّاتِ، وَ دَاعِمَ الْمَسْمُوكَاتِ، وَ جَابِلَ الْقُلُوبِ عَلَى فِطْرَتِهَا شَقِيِّهَا وَ

---

١ ـ في ش بزيادة: اجمالية.

٢ ـ بزيادة (وقوله) في ش.

سَعِيدِهَا، اَجْعَلْ شَرَائِفَ صَلَوَاتِكَ وَ نَوَامِيَ بَرَكَاتِكَ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَ رَسُولِكَ: اَلْخَاتِمِ لِمَا سَبَقَ، وَاَلْفَاتِحِ لِمَا اَنْغَلَقَ، وَاَلْمُعْلِنِ اَلْحَقَّ بِالْحَقِّ، وَاَلدَّافِعِ جَيْشَاتِ اَلْأَبَاطِيلِ، وَاَلدَّامِغِ صَوْلاَتِ اَلْأَضَالِيلِ، كَمَا حُمِّلَ فَاضْطَلَعَ قَائِمًا بِأَمْرِكَ، مُسْتَوفِزًا فِي مَرْضَاتِكَ، غَيْرَ نَاكِلٍ عَنْ قُدُمٍ، وَلاَوَاهٍ فِي عَزْمٍ وَاعِيًا لِوَحْيِكَ، حافِظًا عَلَى لِعَهْدِكَ، مَاضِياً عَلَى نَفَاذِ أَمْرِكَ حَتَّى أَوْرَى قَبَسَ اَلْقَابِسِ، وَ أَضَاءَ اَلطَّرِيقَ لِلْخَابِطِ، وَ هُدِيَتْ بِهِ اَلْقُلُوبُ بَعْدَ خَوْضَاتِ اَلْفِتَنِ، وَ أَقَامَ مُوضِحَاتِ اَلْأَعْلاَمِ، وَ نَيِّرَاتِ اَلْأَحْكَامِ، فَهُوَ أَمِينُكَ اَلْمَأْمُونُ، وَ خَازِنُ عِلْمِكَ اَلْمَخْزُونِ، و شَهِيدُكَ يَوْمَ اَلدِّينِ، وَ بَعِيثُكَ بِالْحَقِّ، وَ رَسُولُكَ إِلَى الْخَلْقِ. اَللَّهُمَّ اَفْسَحْ لَهُ مَفْسَحًا فِي ظِلِّكَ، وَ اَجْزِهِ مُضَاعَفَاتِ اَلْخَيْرِ مِنْ فَضْلِكَ. اَللَّهُمَّ أَعْلِ عَلَى بِنَاءِ اَلْبَانِينَ بِنَاءَهُ، وَأَكْرِمْ لَدَيْكَ مَنْزِلَتَهُ، وَ أَتْمِمْ لَهُ نُورَهُ وَ اَجْزِهِ مِنَ اَبْتِعَاثِكَ لَهُ مَقْبُولَ اَلشَّهَادَةِ، وَ مَرْضِيَّ اَلْمَقَالَةِ ذَا مَنْطِقٍ عَدْلٍ، وَ خُطَّةٍ فَصْلٍ. اَللَّهُمَّ اَجْمَعْ بَيْنَنَا وَ بَيْنَهُ فِي بَرْدِ اَلْعَيْشِ وَ قَرَارِ اَلنِّعْمَةِ، وَ مُنَى اَلشَّهَوَاتِ، وَ أَهْوَاءِ اَللَّذَّاتِ، وَ رَخَاءِ اَلدَّعَةِ، وَ مُنْتَهَى اَلطُّمَأْنِينَةِ، وَ تُحَفِ اَلْكَرَامَةِ.

اقول: فی هذا الفصل فصول ثلاثة:

الاوّل، فی صفات المدعوّ تعالی و تمجیده.

الثانی، فی صفات المدعوّ له و هوالنبیّ صلی الله علیه و آله.

الثالث، فی انواع المدعوّ به.

والاوّل هوقوله: اللّهم، الی قوله: و سعیدها. و المدحوّات: المبسوطات ای: باسط الأرضین السبع، والمسموکات: السماوات، و داعمها: حافظها بدعائم قدرته، و جابل القلوب علی فطرتها: خالقها علی ما خلقها من التهیّوء والاستعداد لسلوک سبیلی الخیر والشرّ، و استحقاق السعادة والشقاوة، بحسب القضاء الالهی کما قال تعالی: (و نفس وما سوّیها فالهمها فجورها وتقوٰیها)[1] و شقیّها بدل من القلوب ای: خالق شقیّ القلوب وسعیدها علی ما فطر علیه، و کتب فی اللوح المحفوظ کقوله تعالی (فمنهم شقیّ وسعید)[2].

---

۱ ـ سورة الشمس /۸.

۲ ـ سورة هود /۱۰۵.

الثاني ذكر للنبيّ عليه السلام، احد و عشرين وصفاً هي جهات استحقاق الرحمة من الله تعالى. و خاتما لما سبق اى: من انوار الوحي والرسالة، و فاتحاً لما انغلق اى: من سبيل الله قبله. و طريق جنّته، بابداء الشرائع،والحقّ الذى اظهره هوالدين، والّذى اظهره به هوالمعجزات والبراهين، والحاصل انّه اظهر الحقّ بعضه ببعض، و جيشات جمع جَيْشة، و هو: غليان القدر، و استعار لفظها: لثوران اباطيل المشركين و فوران فتنتهم. والدمغ: كسر عظم الدماغ، و يستعمل في القهر والغلبة. والأضاليل جمع ضلال و هو: الجهل. وقوله: كما حمّل فاضطلع اى: صلّ عليه صلاة مشابهة لحمله رسالتك، و اضطلاعه بها: قوّته عليها و نهوضه بها، و قائما و ما بعده: من المنصوبات احوال. و القدم: التقدّم اى: غير راجع عن تقدّمه في امرالله، و حفظه لعهده اى: العهد المأخوذ عليه، في تبليغ الرسالة. واستعار لفظ القبس و هو: الشعلة: لنور العلم والحكمة. و رشح بذكر الورى اى: اظهر انوار العلم في سبيل الله حتى اضاءت لمن كان يخبط فيها ويمشي على غير بصيرة. وموضحات الاعلام: هي الادلّة الواضحة على الحق ونيرّات الاحكام هي: المطالب الواضح لزومها عن تلك الادلّة، و علمه المخزون هو: علمه الغيبيّ المشار اليه، بقوله: عالمُ الغيبِ فلا يُظْهِرُ على غيبِهِ احداً الآية[1]. و كونه شهيداً اى: على امّته بما علم منهم من طاعة و عصيان.

الثالث المدعوّبه، والمفسح المكان: المتّسع اى: في حضرة قدسه، و ظلّ وجوده، وبناؤه هو: ما شيّده من الدّين اى: اعلى دينه و اظهره على سائر الاديان، و كذلك نور دينه او نور نفسه الّذى يسعى بين يديه، و مقبول القول مفعول آخر، و ذا منطق: نصب على الحال و كنّي بقبول شهادته عن تمام الرضى عنه، و منطق عادل لاكذب فيه. و خطّة فصل اى: فاصله للحقّ من الباطل. و بردالعيش: كناية عن عدم الكلفة فيه، و هو في الآخرة ثمرة الجنة، و قرارالنعمة: مستقرّها، و هو ايضا ثباتها و غايتها. و اهواء اللذّات: ما يهواه ويميل اليه. و رخاء الدعة و منتهى الطمأنينة: اتّساع سكون النفس بلذّة مفارقة الحقّ والانس بالملأ الأعلى، و امنها من مزعجات الدنيا، و تحف الكرامة: سائر ما اعدّه لكرامة اوليائه مما وعدوا به.

---

١ ـ سورة الجن / ٢٦.

٧٠ ـ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

قاله لمروان بن الحكم بالبصرة

قالوا: أُخذ مروان بن الحكم أسيرا يوم الجمل، فاستشفع الحسن والحسين عليهما السلام إلى أميرالمؤمنين عليه السلام فكلماه فيه، فخلى سبيله، فقالا له: يبايعك يا أميرالمؤمنين؟ فقال عليه السلام:

أَوَلَمْ يُبَايِعْنِي بَعْدَ قَتْلِ عُثْمَانَ؟ لَاحَاجَةَ لِي فِي بَيْعَتِهِ! إِنَّهَا كَفٌّ يَهُودِيَّةٌ لَوْ بَايَعَنِي بِكَفِّهِ لَغَدَرَ بِسَبَّتِهِ أَمَا إِنَّ لَهُ إِمْرَةً كَلَعْقَةِ الْكَلْبِ أَنْفَهُ، وَ هُوَ أَبُوالْأَكْبُشِ الْأَرْبَعَةِ، وَ سَتَلْقَى الْأُمَّةُ مِنْهُ وَ مِنْ وَلَدِهِ يَوْمًا أَحْمَرَ!

اقول: نبّه بقوله: يد يهودية على غدره و خبثه، لانّ شأن اليهود ذلك. والسبّة: الاست، و لمّا كان الغدر من اقبح الرذائل نسبه الى السبّة فى معرض الذمّ والاهانة، ثمّ نبّه من أمره فى المستقبل على ثلاثة امور:

أحدها ان يكون اميراً للمسلمين و نبّه على قصر مدّة ولايته، فى معرض الاستهانة بأمره بتشبّهها بلعقة الكلب انفه، و كانت مدّتها اربعة اشهر و عشرا، و روى: ستة اشهر.

الثانى انّه سيكون اباً للاكبش الاربعة، و كبش القوم: رئيسهم، فكان له اربعة ذكور لصلبه، و هم عبدالملك، و ولى الخلافة، و عبدالعزيز و ولى مصر، و بشر وولى العراق، و محمد و ولى الجزيرة. و يحتمل ان يريد بالاربعة: اولاد عبدالملك، و هم: الوليد، و سليمان، و يزيد، و هشام، و كلّهم ولّوا الخلافة و لم يلها اربعة اخوة إلّاهم.

الثالث ما يلقى الامّة منه و من ولده من القتل، و انتهاك الحرمة، و كنّى عنه: بالموت الأحمر، و هو: كناية عن الشدائد. و روى: يوماً احمر، و كنّى به: عن زمان مدّتهم، و احوال الامّة مع بنى اميّة مشهورة.

٧١ - وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

لما عزموا على بيعة عثمان

لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي أَحَقُّ النَّاسِ بِهَا مِنْ غَيْرِي، وَوَاللهِ لَأُسْلِمَنَّ مَا سَلِمَتْ أُمُورُ الْمُسْلِمِينَ وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا جَوْرٌ إِلَّا عَلَيَّ خَاصَّةً الْتِمَاسًا لِأَجْرِ ذٰلِكَ وَفَضْلِهِ، وَزُهْدًا فِيمَا تَنَافَسْتُمُوهُ مِنْ زُخْرُفِهِ وَزِبْرِجِهِ.

أقول: الضمير فى «بها» للخلافة. ولا سلّمن اى: ذلك الامر. و ما للمدة. و خاصةً: حال، و التماسًا: مفعول له، والعامل: لاسلّمن. والزخرف: الذهب والزينة. الزّبرج بكسر الزاء والراء: النقش بالحلية.

٧٢ - وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

لما بلغه اتهام بني أمية له بالمشاركة في دم عثمان

أَوَلَمْ يَنْهَ أُمَيَّةَ عِلْمُهَا بِي عَنْ قَرْفِي؟ أَوَمَا وَزَعَ الْجُهَّالُ سَابِقَتِي عَنْ تُهَمَتِي! وَلَمَا وَعَظَهُم اللهُ بِهِ أَبْلَغُ مِنْ لِسَانِي! أَنَا حَجِيجُ الْمَارِقِينَ، وَخَصِيمُ الْمُرْتَابِينَ وَعَلَى كِتَابِ اللهِ تُعْرَضُ الْأَمْثَالُ، وَبِمَا فِي الصُّدُورِ تُجَازَى الْعِبَادُ.

أقول: القرف: التهمة. و وزع: كفّ. و سابقته: سبقة في الدين والشرف و ما وعظهم الله به كقوله تعالى: (انّ بعض الظنّ اثم)[1] و قوله: (ولايغتب)[2] الآية فى النهى عن الغيبة. والحجيج: المحاجّ. والخصيم: المخاصم. والمارقون: الخارجون عن الدين بالكبائر. والمرتابون: المنافقون لشكّهم فى الدين. وقوله: على كتاب الله، الى آخره: اشارة الى الحجّة التى يحاجّ بها اى: نسبتم قتل عثمان الىّ بوجه، فاعرضوا ذلك على

١ - سورة الحجرات /١٢.

٢ - سورة الحجرات /١٢.

كتاب الله فعليه يعرض الامثال والاشباه فان دلّ شيء منه على كوني قاتلا فلكم ان تحكموا بذلك .

٧٣ ـ وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

رَحِمَ ٱللهُ ٱمْرَأً سَمِعَ حُكْمًا فَوَعَى، وَ دُعِيَ إِلَى رَشَادٍ فَدَنَا، وَأَخَذَ بِحُجْزَةِ هَادٍ فَنَجَا: رَاقَبَ رَبَّهُ، وَخَافَ ذَنْبَهُ، قَدَّمَ خَالِصًا، وَ عَمِلَ صَالِحًا، ٱكْتَسَبَ مَذْخُورًا، وَٱجْتَنَبَ مَحْذُورًا، رَمَى غَرَضًا، وَ أَحْرَزَ عِوَضًا كَابَرَ هَوَاهُ، وَكَذَّبَ مُنَاهُ، جَعَلَ الصَّبْرَ مَطِيَّةَ نَجَاتِهِ، وَالتَّقْوَى عُدَّةَ وَفَاتِهِ رَكِبَ الطَّرِيقَةَ الْغَرَّاءَ، وَلَزِمَ الْمَحَجَّةَ الْبَيْضَاءَ، ٱغْتَنَمَ الْمَهَلَ، وَ بَادَرَ الْأَجَلَ، وَ تَزَوَّدَ مِنَ الْعَمَلِ.

اقول الحكم: الحكمة، والرشاد: الهدى. والحجزة: معقدالازار، واستعار لفظه: لهدى الهادي و لزوم قصده والاقتداء به، و فيه تنبيه على الحاجة الى الشيخ فى سلوك سبيل الله، والمراقبة والمحافظة وفى عرف السالكين مراعاة القلب للرقيب و هو الله سبحانه اذ يقول: (انّ الله كان عليكم رقيبا)[1] واستغراق القلب بمراعاة جلاله، و يلزمها الخوف منه، و يعطل الجوارح عن الالتفات الى المباحات فضلا عن المحظورات، و خالصاً اى: عملا خالصا، والمذخور: اجرالعمل الصالح، والمحذور: الاثم، و رميه للغرض: حذفه لمقاصد الدنيا عن نفسه. ويروى عرضاً بالعين المهملة و هو: متاع الدنيا واحراز العوض منه: متاع الآخرة بالعمل الصالح، و ما يلزمه من ملكات الخير، و مكابرة هواه: مقاومته لشهوته و غضبه، وقمعها و تكذيب مناه: مقابلة ما يلقاه الشيطان اليه من امانى الدنيا بالتكذيب و تجويز عدم نيلها و ذكر غايتها.

و استعار لفظ المطيّة: للصبر باعتبار انّ لزومه سبب للنجاة كظهر المطيّة، والعدّة: لما استعدّ به الانسان للامر، والغرّاء: الواضحة و اراد الشريعة، و هي المحجّة البيضاء، والمهل: ايّام مهلة العمل فى الدنيا و مبادرة الاجل: مسابقته بالعمل لِئلّا ينقطع دونه.

---

١ ـ سورة النساء / ١.

٧٤ ـ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

إنَّ بَنِي أُمَيَّةَ لَيُفَوِّقُونَنِي تُرَاثَ مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ تَفْوِيقًا، واللّهِ لَئِنْ بقيتُ لهم لَأَنْفُضَنَّهُمْ نَفْضَ اللَّحَّام الْوِذَامَ التَّرِبَةَ.

و يروى «التراب الوذمة». و هو على القلب.

قال الشريف: وقوله عليه السلام «ليفوقوننى» أى. يعطوننى من المال قليلاقليلاً كفواق الناقة، و هوالحلبة الواحدة من لبنها، والوذام: جمع و ذمة وهى: الحُزَّة من الكرش أو الكبد تقع فى التراب فتُنفض.

اقول: استعار وصف[1] التفويق: لعطيّتهم المال قليلا قليلا: (و وجه المشابهة القلّة ما يعطونه دفعات كما يعطى الفصيل ضرع امّه لتدرّثم يدفع عنها لتحلب ثم يعاد اليها لتدرّ)[2]، و تراث محمد: اشارة الى الفىء الحاصل ببركته. و كذلك استعار وصف النفض المذكور لابعادهم عن ذلك الامر.

٧٥ ـ و من كلمات كان يدعو بها ـ عليه السلام ـ

اللّٰهُمَّ ٱغْفِرْلِي مَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنّي، فَإنْ عُدْتُ فَعُدْ عَلَيَّ بِالْمَغْفِرَةِ، اللّٰهُمَّ ٱغْفِرْلِي مَاوَأَيْتُ مِنْ نَفْسِي، وَلَمْ تَجِدْلَهُ وَفَاءً عِنْدِي، اللّٰهُمَّ ٱغْفِرْلِي مَا تَقَرَّبْتُ بِهِ إلَيْكَ بِلِسَانِي ثُمَّ خَالَفَهُ قَلْبِي. اللّٰهُمَّ ٱغْفِرْلِي رَمَزَاتِ الْأَلْحَاظِ، وَسَقَطَاتِ الْأَلْفَاظِ، وَشَهَوَاتِ الْجَنَانِ، وَ هَفَوَاتِ اللِّسَانِ.

اقول: حاصل الفصل سؤال المغفرة و مغفرة الله يعود الى سَتره على عبده: ان يقع فى عذابه او يكشف مقابحه لاهل الدنيا و ما الله أعلم به منه، هوما جازان يكون سيّئة من

١ ـ في نسخة ش: لفظ.

٢ ـ العبارة بين القوسين ساقطة من نسخة ش.

افعاله، و لايعلم ذلك فيفعلها. و وايت: وعدت، ومخالفة القلب لما يتقرّب به في الظاهر من الاعمال هو: الرياء والنفاق، ورمزات الالحاظ جمع رمزة و هي: الاشارة بالعين والحاجب الخارجة عن الدين،كما يفعل عند التنبيه على شخص ليظلم اويعاب. و سقطات الالفاظ: الرّدى منها. و شهوات القلوب: هفواتها عن غير تثبّت. و روى بالشين المعجمة و هي جواذب الشيطان للقلب الى ما ينبغي. و هفوات اللسان: زلّاته وغلطاته. وقد سأل مغفرة الذنوب المتعلّقة بكل واحد من الجوارح.

٧٦ ـ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

قاله لبعض أصحابه لما عزم على المسير إلى الخوارج، فقال له: يا أمير المؤمنين، إن سرت في هذا الوقت خشيت أن لا تظفر بمرادك ، من طريق علم النجوم.

فقال عليه السلام:

أَتَزْعُمُ أَنَّكَ تَهْدِي إِلَى السَّاعَةِ الَّتِي مَنْ سَارَ فِيهَا صُرِفَ عَنْهُ السُّوءُ؟ وَتُخَوِّفُ مِنَ السَّاعَةِ الَّتِي مَنْ سَارَ فِيهَا حَاقَ بِهِ الضُّرُّ؟ فَمَنْ صَدَّقَ بِهٰذَا فَقَدْ كَذَّبَ الْقُرْآنَ، وَاسْتَغْنَى عَنِ الْإِعَانَةِ بِاللهِ فِي نَيْلِ الْمَحْبُوبِ وَدَفْعِ الْمَكْرُوهِ؛ وَتَبْتَغِي فِي قَوْلِكَ لِلْعَامِلِ بِأَمْرِكَ أَنْ يُولِيَكَ الْحَمْدَ دُونَ رَبِّهِ؛ لِأَنَّكَ ـ بِزَعْمِكَ ـ أَنْتَ هَدَيْتَهُ إِلَى السَّاعَةِ الَّتِي نَالَ فِيهَا النَّفْعَ وَ أَمِنَ الضُّرَّ!

ثم أقبل عليه السلام على الناس فقال:

أَيُّهَا النَّاسُ، إِيَّاكُمْ وَتَعَلُّمَ النُّجُومِ، إِلاَّ مَا يُهْتَدَى بِهِ فِي بَرٍّ أَوْ بَحْرٍ، فَإِنَّهَا تَدْعُو إِلَى الْكَهَانَةِ، وَالْمُنَجِّمُ كَالْكَاهِنِ، وَالْكَاهِنُ كَالسَّاحِرِ وَالسَّاحِرُ كَالْكَافِرِ! وَالْكَافِرُ فِي النَّارِ، سِيرُوا عَلَى اسْمِ اللهِ.

اقول: روى انّ المشير عليه بذلك كان عفيف بن قيس أخا الاشعث بن قيس[1]، و

١ ـ عفيف الكندي ... ابن عم الاشعث بن قيس، وقيل: عمه، و قيل: اخوه والاكثر انه ابن عمه واخوه لامه. و قال الطبري: اسمه شرجيل و عفيف لقب. الاصابة ٤٨٧/٢ ترجمة ٥٥٨٦.

كان يتعاطى علم النجوم، و اعلم انّه يعقل من نهى الشريعة عن تعلّم النجوم امران:

احدهما، انّ اكثر المشتغلين بها والطالبين لمعرفة احكامها يعتمدون فيما يرجون و يخافون عليها و يفزعون الى ملاحظة اوقاتها، فينقطعون بذلك عن الالتفات الى الله تعالى والفزع اليه، و ذلك عمّا يضاد مطلوب الشارع اذ كان غرضه الاوّل ليس الآدوام التفات الخلق اليه.

الثاني، انّ الاخبار منها عمّا سيكون في المستقبل يشبه علم الغيب، واكثر الخلق من العوام لايميّزون بينهما فيكون ذلك سببًا لضلال الخلق، و ضعف اعتقادهم في المعجزات، اذالاخبار من الانبياء عليهم السلام عما يكون منها ويستلزم تشكيكهم في قوله تعالى: (قل لايعلم من في السموات والارض الغيب الّا الله)[1] وكان هوالسبب في تحريم الكهانة والسحر ايضا، والعقل ايضا يطابق الشرع في تكذيب المنجّم في كثير من احكامه،فانّه قد ثبت في القواعد العقلية انّ كل كائن فاسد في هذا العالم فلا بدّله من اسباب اربعة: فاعليّ: و غائيّ، وقابليّ، و صوريّ. ثم القابليّ مشروط في قبول كلّ حادث بشرائط فلكية وعنصريّة مما لايتناهى و يمنع اطّلاع العقول البشريّة عليها، و احاطتها بها و لانّ حساب المنجّم مبنيّ على قسمة الزمان بالشهر واليوم والساعة والدّرجة و اجزائها و تقسيم الحركة بأزائها و رفعة بينهما نسبة عدديّة. وكلّ ذلك امور غير حقيقيّة وانّما يوجد على سبيل التقريب، اقصى ما في الباب انّ التفاوت بينهما لايظهر في المدد المتقاربة لكنّه يشبه ان يظهر في المدد المتباعدة و مع تجويز التفاوت كيف يمكن الحكم كليّا او جزئياً؟ اذا عرفت ذلك فنقول:

انّه عليه السلام الزمه فيما يدعيّه الزامات شنيعة نفّربها عن قبول قوله:

احدها قوله فمن صدّقك الى قوله: القرآن و هو: صغرى ضمير تقدير كبراه، وكلّ من كذّب القرآن: كان كاذبا بيان تكذيبه انّ المنجّم اذا ادعىّ انّه سيقع كذا في وقت كذا كان ذلك مكذوبا لقوله: (وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً)[2] الآية.

الثاني، استغناء مصدّقه عن الاستعانة بالله، فيما يهمّه من مخوف او مرجوّ و ذلك

---

١ ـ سورة النمل/٦٥.

٢ ـ سورة لقمان / ٣٤.

لانّه يفزع اليه فى ذلك دون الله تعالى.

الثالث انّه يصير الاولى بمصدّقه ان يوليه الحمد دون الله تعالى، لانّه بزعمه هداه الى نفعه و ضرّه، و استثنى مما نهى عنه من تعلّمها مايهتدى به فى برّ اوبحر لانّ ذلك مما منّ الله تعالى به على عباده فى قوله: (وهوالّذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البرّ والبحر)[1] الآية. و قوله: (لتعلموا عدد السنين والحساب)[2].

و قوله: فانّها، الى آخره: تعليل للتحذير عن تعلّمها و نفرعنها بقياس مفصول مستنتج منه انّ المنجّم فى النار. و امّا معنى الكاهن والساحر: فاعلم انّ من النفوس نفوساً تقوى على الاطّلاع على ما سيكون و على التصرّفات العجيبة فى هذا العالم فتلك النفس ان كانت كاملة خيّرة مجذوبة من الله تعالى، بدواعى السلوك اليه فهى نفوس الانبياء والاولياء ذوات المعجزات والكرامات. و ان كانت ناقصة شرّيرة منجذبة عن تلك الجهة طالبة لتلك المرتبة بل مقصرة على رذائل الاخلاق و خسائس الامور كالتكهّن و نحوه، فهى نفوس الكهنة والسحرة واكثر ما تظهر هذه النفوس القويّة فى اوقات الانبياء و قبيل ظهورهم فانّها تدعوا الى الكهانة اى: يقصد قصدها لانّ المنجّم يتشبه بالكاهن فى اخباره مما سيكون، و يتميّز الكاهن عن المنجّم بانّ ما يقوله عن قوّة نفسانية منه بخلاف المنجّم، و ذلك ادعى الى فساد اذهان الخلق واغوائهم لزيادة اعتقادهم فيه.

وامّا الساحر فيتميّز عن الكاهن بانّ له قوّة على التأثير فى امر خارج عن بدنه آثاراً خارجة عن الشريعة مؤذية للخلق و نافعة كالتفريق بين الزوجين و نحوه، و تلك زيادة شرّ آخر على الكاهن ادعى الى فساد اذهان الناس و زيادة اعتقادهم فيه، وانفعالهم عنه خوفا و رغبة. والكافر يتميّز عن الساحر بالبعد الاكثر عن الله تعالى، و حينئذ صار الضلال والفساد مشتركا بين الاربعة الّا انّه مقول عليهم بالاشدّ، والاضعف. فالكافر أقوى من الساحر، والساحر اقوى من الكاهن، والكاهن اقوى من المنجّم، فلذلك جعل عليه السلام الكاهن اصلا فى تشبيه المنجّم به، والساحر اصلا فى تشبيه الكاهن به، والكافر اصلا فى تشبيه الساحر به، و ظهر من ذلك انّ وجه التشبيه فى الكلّ هو ضلالهم و

---

١ ـ سورة الانعام / ٩٧.

٢ ـ سورة يونس / ٥.

اضلالهم للخلق. و روى انّه عليه السلام سار فى تلك الساعة الى الخوارج و كان من ظفره بهم ما هو مشهور.

٧٧ ـ وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

بعد حرب الجمل، في ذم النساء

مَعَاشِرَ ٱلنَّاسِ، إنَّ النِّسَاءَ نَوَاقِصُ ٱلإِيمَانِ، نَوَاقِص ٱلْحُظُوظِ، نَوَاقِصُ ٱلْعُقُولِ: فَأَمَّا نُقْصَانُ إِيمَانِهِنَّ فَقُعُودُهُنَّ عَنِ ٱلصَّلاَةِ وَٱلصِّيَامِ فِى أَيَّامِ حَيْضِهِنَّ وَ أَمَّا نُقْصَانُ عُقُولِهِنَّ فَشَهَادَةُ ٱمْرَأَتَيْنِ كَشَهَادَةِ ٱلرَّجُلِ ٱلْوَاحِدِ، وَأَمَّا نُقْصَانُ حُظُوظِهِنَّ فَمَوارِيثُهُنَّ عَلَى ٱلأَنْصَافِ مِنْ مَوَارِيثِ ٱلرِّجَالِ؛ فَاتَّقُوا شِرَارَ النِّسَاءِ، وَ كُونُوا مِنْ خِيَارِهِنَّ عَلَى حَذَرٍ، وَلَا تُطِيعُوهُنَّ فِي ٱلْمَعْرُوفِ حَتَّى لَا يَطْمَعْنَ فِى ٱلْمُنْكَرِ.

اقول: لما كانت تلك الحرب من الوقائع الكبار، والفتن العظيمة فى الاسلام المشتملة على هلاك جمع عظيم من المسلمين منسوبة الى رأى امراة. اراد ان ينبّه على وجه نقصان النساء و اسبابه، ليتجنّب متابعتهن و لذلك حذّر بعده من شرارهنّ وأمر بالكون مع خيارهنّ على الحذر و التحرّز منهنّ في ايداع سرّ، و قبول مشورة و ان كانت بمعروف لما يستلزم ذلك من طمعهنّ وتعديهن فيما يطعن فيه الى حدّ الافراط و تجاوز قدرهنّ و هو منكر.

٧٨ ـ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

أَيُّهَا النَّاسُ. الزَّهَادَةُ قِصَرُ الأَمَلِ، وَالشُّكْرُ عِنْدَ النِّعَمِ، وَالْوَرَعُ عِنْدَ الْمَحَارِمِ فَإِنْ عَزَبَ ذٰلِكَ عَنْكُمْ فَلاَ يَغْلِبِ الْحَرَامُ صَبْرَكُمْ، وَلاَ تَنْسَوْا عِنْدَ النِّعَمِ شُكْرَكُمْ فَقَدْ أَعْذَرَاللّٰهُ إِلَيْكُمْ بِحُجَجٍ مُسْفِرَةٍ ظَاهِرَةٍ، وَ كُتُبٍ بَارِزَةِ الْعُذْرِ وَاضِحَةٍ.

اقول : رسم الزهد بثلاثة لوازم، وهى: قصر الأمل فى الدنيا، و شكر نعم الله. والورع وهي: في قوّة خاصّة مركّبة و في ذكرها تنبيه على الامر بلزومها و لزوم الزهد. و قوله: فان عزب الى آخره. يحتمل معنيين.

احدهما: انّه ان بعد عليكم و شقّ استجماع هذه الامور الثلاثة فالزموا منها الورع و فسّره: بالصبر لانّه من لوازمه، ثم الشكر و كانّه رخّص لهم فى طول الأمل لما يتصوّر فيه مما ينبغي من عمارة الارض لغرض الآخرة و لانّ قصر الأمل اكثر مايعرض من غلبة الخوف على القلب، والالتفات عن الدنيا بالكليّة و ذلك غير مراد للشارع من كل الناس.

الثاني: يحتمل ان يكون لما فسرّ الزهد باللوازم الثلاثة في معرض الامر بها، قال بعدها: ان صعبت عليكم هذه فاعدلوا الى ما هو اسهل منها. و هو الصبر عن المحارم عوضاً عن تمام الورع و هو لزوم الاعمال الجميلة والتذكر لنعمة الله عند وقوعها لغرض شكرها، بحيث لاينسى بالكليّة عوضاً من دوام الحمد والثناء. وقوله: فقد اعذر، اى: اظهر عذره اليكم. و مسفرة: مشرقة.

٧٩ - وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام
في صفة الدنيا

مَا أَصِفُ مِنْ دَارٍ أَوَّلُهَا عَنَاءٌ، وَآخِرُهَا فَنَاءٌ، فِي حَلَالِهَا حِسَابٌ، وَفِي حَرَامِهَا عِقَابٌ، مَنِ اسْتَغْنَى فِيهَا فُتِنَ، وَمَنِ افْتَقَرَ فِيهَا حَزِنَ، وَمَنْ سَاعَاهَا فَاتَتْهُ، وَمَنْ قَعَدَ عَنْهَا وَاتَتْهُ، وَمَنْ أَبْصَرَ بِهَا بَصَّرَتْهُ، وَمَنْ أَبْصَرَ إِلَيْهَا أَعْمَتْهُ.

(قال الشريف: اقول: واذا تأمل المتأمل قوله عليه السلام «من أبصر بها بصرته» وجد تحته من المعنى العجيب والغرض البعيد مالا تبلغ غايته ولايدرك غوره، ولاسيما اذا قرن اليه قوله «ومن أبصر اليها أعمته» فإنه يجد الفرق بين «أبصر بها» و «أبصر اليها» واضحاً نيّراً وعجيباً باهرا.)

اقول : العناء: التعب و قد ذكر الدنيا فى معرض ذمّها والتفسير عنها اوصافا عشرة:

اوّلها اشارة الى زمان الوجود فيها، و عناء الانسان فيها ظاهر. والفتنة: الابتلاء و هو من لوازم الغنى فيها، و مساعاتها: استعارة كانّه مع حرص طالبها عليها و تعسّرها عليه كالهاربة منه سعياً وهو ساع فى طلبها، و اقوى اسباب فواتها لطالبها انّ اكثر ما يكون تحصيلها بمنازعة اهلها، و مجاذبتهم ايّاها، و ذلك مما يوجب تفويت بعضهم لها على بعض. و لما كان هذا السبب مفقوداً فى حقّ من قعد عنها كان فواتها اقليّاً له، و فواتها و امكانها اكثريّا كما فى حق الزاهدين فيها، و اقبال الخلق والتقرّب بها اليهم. و قوله: و من أبصربها بصرته، اى: من جعلها سبب هدايته، و محلّ ابصاره بعين عقله، استفاد منها البصر والهداية. وقوله: من ابصر اليها اعمته، اى: من مدّ اليها بصر بصيرته محبة لها اعمته عن ادراك انوار الله، و هو كقوله تعالى: (لا تمدّن عينيك الى ما متّعنابه ازواجا منهم)[1] الآية و قد ظهرالفرق بين قوله: ابصربها، و ابصر اليها.

ومدح السيد لهذا الفصل ظاهر الصدق وبالله التوفيق.

٨٠ ـ وَمِنْ خُطْبَة لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

وهى من الخطب العجيبة وتسمّى الغرّاء

اعلم أنّ في هذه الخطبة فصولا:

الفصل الأوّل قوله:

الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِى عَلاَ بِحَوْلِهِ، وَدَنَا بِطَوْلِهِ، مَانِحِ كُلِّ غَنِيمَةٍ وَ فَضْلٍ، وَكَاشِفِ كُلِّ عَظِيمَةٍ وَ أَزْلٍ أَحْمَدُهُ عَلَى عَوَاطِفِ كَرَمِهِ، وَسَوَابِغِ نِعَمِهِ، وَأُومِنُ بِهِ أَوَّلًا بَادِيًا، وَ أَسْتَهْدِيهِ قَرِيبًا هَادِيًا، وَأَسْتَعِينُهُ قَادِراً قَاهِراً، وَأَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ كَافِيًا نَاصِرًا، وَأَشْهَدُ أَنْ لاإِلهَ الاّ اَللّهُ الّذِى رَفَعَ السَّمَاءَ فَبَنَاهَا وَسَطَحَ الأرضَ فَطَحاها(ولايَؤُدُهُ حِفْظُهُما وَهُوَالعَلِيُّ الْعَظِيم) وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا ـ صَلَّى اَللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ عَبْدُهُ وَرَسُولُه، أَرْسَلَهُ لإِنْفَاذِ أَمْرِهِ، وَإِنْهَاءِ عُذْرِهِ، وَتَقْدِيمِ نُذُرِهِ.

---

١ ـ سورة الحجر / ٨٨.

أقول: لما تنزّه الله تعالى عن العلوّ المكانى، كما سبق فهو العليّ باعتبار كونه ربّ كلّ شيء و موجده، و هو باعتبار يلحقه بالقياس الى كلّ موجود صدر عن قدرته و قوّته، فلذلك نسب علوّه الى حوله، اذ ليس دنوّه مكانياً فهو باعتبار قربه المعقول من خلقه بحيث يشاهدونه في صور طوله، و هو: فضله و هيبته لكل مستحق ما يليق به. والمنحة: العطية. والأزل: الشدّة. و عواطف كرمه هي: آثاره الخيريّة التي تعود على عبيده مرة بعد اخرى، و اوّلاً بادياً: حالان، اما من ضمير الفاعل، و هو الاظهر و يكون باديًا مهموزاً. والمعنى: انّي اوّل ما ابدأ بايماني به، و امّا من الضمير المجرور و باديا ظاهرا و ظاهر كون اوّليته، و مبدأيته لخلقه و ظهوره لعقولهم في جميع آثاره مبدأ الايمان به، والتصديق بالهيّته، و كذلك كونه قريبًا من عباده، هاديا لهم مبدأ الطلب: الهداية منه، و قهره، وقدرته: مبدألاستعانة به، و كفايته اى: كونه معطيًا لكل مستحق من خلقه ما يكفى استحقاقه، و استعداده. و نصره لعباده: سبب توكّلهم عليه، و عذره: ما يشبه الاعذار الى الخلق من النصائح الالهية لهم. و نذره: تخويفه بالوعيد و ظاهر كون انفاذ اوامر الله مع الاعذار والانذار اغراضا للبعثة.

أوصِيكُمْ عِبَادَاللهِ بِتَقْوَى اللهِ الَّذِي ضَرَبَ الأَمْثَالَ، وَ وَقَّتَ لَكُمُ الآجَالَ، وَ أَلْبَسَكُمْ الرِّيَاشَ، وَ أَرْفَغَ لَكُمُ الْمَعَاشَ، وَ أَحَاطَكُمْ بِالإِحْصَاءِ وَ أَرْصَدَ لَكُمُ الْجَزَاءَ، وَ آثَرَكُمْ بِالنِّعَمِ السَّوَابِغِ، وَالرِّفَدِ الرَّوَافِغِ، وَ أَنْذَرَكُمْ بِالْحُجَجِ الْبَوَالِغِ، وَ أَحْصَاكُمْ عَدَداً و وَظَّفَ لَكُمْ مُدَدًا فِي قَرَارِ خِبْرَةٍ، وَ دَارِ عِبْرَةٍ أَنْتُمْ مُخْتَبَرُونَ فِيهَا، وَ مُحَاسَبُونَ عَلَيْهَا.

فَإِنَّ الدُّنْيَا رَنِقٌ مَشْرَبُهَا، رَدِغٌ مَشْرَعُهَا: يُونِقُ مَنْظَرُهَا، وَ يُوبِقُ مَخْبَرُهَا غُرُورٌ حَائِلٌ وَضَوْءٌ آفِلٌ، وَ ظِلٌّ زَائِلٌ، وَ سِنَادٌ مَائِلٌ حَتَّى إِذَا أَنِسَ نَافِرُهَا، وَ اطْمَأَنَّ نَاكِرُهَا: قَمَصَتْ بِأَرْجُلِهَا، وَ قَنَصَتْ بِأَحْبُلِهَا، وَ أَقْصَدَتْ بِأَسْهُمِهَا، وَ أَعْلَقَتِ الْمَرْءَ أَوْهَاقَ الْمَنِيَّةِ قَائِدَةً لَهُ إِلَى ضَنْكِ الْمَضْجَعِ، وَ وَحْشَةِ الْمَرْجِعِ وَ مُعَايَنَةِ الْمَحَلِّ، وَ ثَوَابِ الْعَمَلِ، وَ كَذَلِكَ الْخَلَفُ يَعْقُبُ السَّلَفَ: لَا تُقْلِعُ الْمَنِيَّةُ اخْتِرَاماً وَلَا يَرْعَوِي الْبَاقُونَ اجْتِرَامًا يَحْتَذُونَ مِثَالاً، وَ يَمْضُونَ أَرْسَالاً، إِلَى غَايَةِ الإِنْتِهَاءِ، وَ صَيُّورِ الْفَنَاءِ.

والرّياش: اللباس الفاخر، و قيل الغنى بالمال. و أرفع: أوسع. و أرصد: اعدّ. والرفد جمع رفده و هي: العطية. و الروافغ بالغين المعجمة: الواسعة الطيّبة. و قرار الخبرة: محل اختبارالله وابتلائه لخلقه وهي: الدنيا. و رنق مشربها: كدر لذّاتها بشوائب آفاتها، واستعار لفظ الرّدغ بالعين المعجمة لمشرعها: باعتبار أنّ موارد تناولها والشروع فيها مزالق اقدام العقول عن سواء الصراط الى طرفي التفريط والافراط. والرّدغة: الوحل والطين اللزق. ويونق: يعجب. و يوبق: يهلك، و هو اشارة الى اعجابها لذوى الغفلة بزينتها الحاضرة مع هلاكهم باختيارها لغرض الالتذاذ بها. و غرور بالفتح: غارة لأهلها. والحائلة: الزائلة، وروى غرور بالضمّ و هو مجاز. و استعار لفظ الضوء: لما يظهر منها من الحسن في عيون الغافلين، يقال: على فلان ضوء اذا كان له منظر حسن، و كذلك لفظ الافول: لزوالها. ولفظ الظّل: لما فيه اهلها من نعيمها. و لفظ السناد: لما يعتمد عليه الغافلون من وجودها الّذى لا ثبات له. و لفظ الميل: لكونها في معرض الزوال و مظنّته. و نافرها و ناكرها: من كان نافراً عنها بعقله، و منكرا لها، و كذلك استعار وصف القمص بالأرجل: لامتناعها على الانسان عند تنكّرها عليه. والقنص بالأحبل ليمكن محبّتها في اعناق النفوس. و لفظ الاسهم للامراض و اسباب الموت. و وصف الاقصاربها: لاصابتها تنزيلا للدنيا منزلة الرامي، و وصف الاغلاق بالحبال: للوقوع في اسقامها و مهلكاتها. والاوهاق جمع وهق وهو: الحبل.

حَتَّى إِذَا تَصَرَّمَتِ الْأُمُورُ وَ تَقَضَّتِ الدُّهُورُ، وَ أَزِفَ النُّشُورُ أَخْرَجَهُمْ مِنْ ضَرَائِحِ الْقُبُورِ، وَ أَوْكَارِ الطُّيُورِ، وَ أَوْجِرَةِ السِّبَاعِ وَ مَطَارِحِ الْمَهَالِكِ، سِرَاعًا إِلَى أَمْرِهِ، مُهْطِعِينَ إِلَى مَعَادِهِ رَعِيلاً صُمُوتًا، قِيَامًا صُفُوفًا، يَنْفُذُهُمُ الْبَصَرُ وَ يُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي، عَلَيْهِمْ لَبُوسُ الاِسْتِكَانَةِ، وَ ضَرَعُ الاِسْتِسْلَامِ وَالذِّلَّةِ قَدْ ضَلَّتِ الْحِيَلُ، وَ انْقَطَعَ الْأَمَلُ، وَ هَوَتِ الْأَفْئِدَةُ كَاظِمَةً، وَ خَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ مُهَيْنِمَةً، وَ أَلْجَمَ الْعَرَقُ، وَ عَظُمَ الشَّفَقُ، وَ أُرْعِدَتِ الْأَسْمَاعُ لِزَبْرَةِ الدَّاعِي إِلَى فَصْلِ الْخِطَابِ وَ مُقَايَضَةِ الْجَزَاءِ، وَ نَكَالِ الْعِقَابِ، وَ نَوَالِ الثَّوَابِ.

و قوله: حتى اذا تصرّمت، الى قوله: و نوال الثواب، فاعلم انّه قد تطابقت السن

الانبياء عليهم السلام على القول بالمعاد الجسمانى، و نطق به الكتاب العزيز و صرّح به نبيّنا محمد صلّى الله عليه و آله، تصريحا لا يحتمل التأويل. و امّا الحكماء فالمشهور من مذهبهم منعه لامتناع اعادة المعدوم، و ربّما قلدّت الفلاسفة الاسلام ظاهر الشريعة فى اثباته.

قال ابن سينا: فى «كتاب الشفاء» (يجب ان تعلم انّ المعاد منه ماهو المقبول من الشرع و لا سبيل الى اثباته الّا من طريق الشريعة و تصديق خبر النبوّة، و هوالّذى للبدن عند البعث، و خيرات البدن و شروره معلومة لا تحتاج الى ان تعلم. و قد بسطت الشريعة الحقّة التى اتانا بها سيّدنا و مولانا محمد صلى الله عليه و آله حال السعادة والشقاوة اللتين بحسب البدن، و منه ما هو مدرك بالعقل، والقياس البرهانيّ، و قد صَدَقَتْهُ النبوّة و هو السعادة والشقاوة البالغتان الثابتتان بالمقاييس اللتان للانفس و ان كانت الاوهام منّا تقصر عن تصوّرها الآن لما توضح من العلل. والحكماء الالهيّون رغبتهم فى اصابة هذه السعادة اعظم من رغبتهم فى اصابة السعادة البدنيّة بل كانّهم لا يلتفتون الى تلك و ان أُعطوها و لا يستعظمونها فى جنبة هذه السعادة التى هى مقاربة الحقّ الاوّل).

و اعلم انّ الّذى ذكره عليه السلام هنا صريح فى اثبات المعاد الجسمانى و لواحقه، بقوله: اخرجهم، الى قوله: المهالك: اشارة الى جمعه لاجزاء البدن بعد تشذّبّها وتفرّقها، و تأليفها كما كانت. و ازّف: دنا. والضرائح جمع ضريح: القبور. والاوجرة جمع وجار و هو: بيت السبع. و مهطعين: مقبلين. و رعيلا: مجتمعين. واللبوس: ما يلبس. والضرع: الخضوع. و كاظمة: ساكنة. والهينمة: صوت خفيّ. والجم: العرق بلغ موضع اللجام، و هو كناية: عن بلوغه الافواه. والشفق: الخوف. والزبرة: الانتهار. والمقايضة: المعاوضة. والنكال: تنويع العقوبة. واحتضار: طلب حضور هم بالموت. والاجداث: القبور. والرفات: القنات من العظم و نحوه. و مدينون، مجزيون. وجزاء: مصدر نصب بما فى معنى فعله. و كذلك حساباً عن قوله: مُميّزون ، و امها لهم فى طلب المخرج: تأخيرهم مدّتهم فى الدنيا ليخرجوا من ظلمات الجهل و ورطات المعاصى الى نورالحق، ومتّسع الرحمة وهدايتهم سبيل المنهج، الهامهم باصل فطرتهم و ما دلّت عليه الاعلام الواضحة من الكتب الالهية والسنن الشرعيّة على طريق الله سبحانه.

و لما كان من يطلب استعتابه، و رجوعه عن غيّه، بامهال و مداراة كانت: مهلة الله سبحانه لخلقه مدّة اعمارهم ليرجعوا الي طاعته، تشبه ذلك فنزلت منزلته، ونصب مهل على المصدر عن قوله: عمروا، لانّ التعمير امهال. و استعار لفظ السدف: لِماّ يغشاهم من ظلمة الشكوك والجهالات، و كشفها بما وهبه تعالى لهم من العقول، و ايّدهم به من بعثة الرسل. و قوله: قد خلّوالمضمار الجياد، اى: تُركوا في الدنيا لِيُضمرّوا انفسهم بازواد التقوى.و استعار لفظ المضمار و رشّح بذكر الجياد و كذلك تخليتهم لرويّة الارتياد، اى: ليتفكّروا في طلب ما يتخلّصون به الى الله. وليتانّوا اناة المقتبس لانوارالله: للاستنارة بها فى مدّة آجالهم، و محلّ اضطرابهم فى مهلتهم، و تحصيلهم لما ينبغى من الكمالات. و من ملك من عبيده هذه الحالات، و افاض عليهم ضروب هذه الانعامات فكيف يليق بأحدهم ان يجاهره بالعصيان، او يتجاسرأن يقابله بالكفران، و صواب الامثلة: مطابقتها للمثل به او كونها من شأنها ان تفعل في القلوب الذكية الواعية لها، و شفاء الموعظة: تأثيراتها في القلوب ازالة امراض الغفلة والجهل، وانابة المتعظ بها الى ربّه، وزكاة القلوب: استعدادها لقبول الهداية و قربها من ذلك. و وعى الاسماع: فهم القلوب عنها، و وصفها بالوعى لقبولها الالفاظ مؤدّية لها الى قوّة الحسّ. و عزم الآراء: توجيه الهمم الى ما ينبغي والثّبات على ذلك. و حزامة الألباب: جودة رأى العقول فيما يختاره، و ظاهر انّ هذه الثلاثة هي اسباب نفع الموعظة.

و قوله: فاتّقوا الله، الي قوله: مقامه: امر بتقوى الله تقيّة من استجمع هذه الاوصاف الثمانية عشر. واقترف: اكتسب الاثم، واعترف اى: بذنبه و هو انابة[1] اربابها. و وجل اى: من خوف الله فعمل له. و ايقن اى: بلقاء ربّه، فاحسن اى: عمله، اذ كان اليقين له مستلزما لحسن طاعته. و عُبّرَ اى: رُمِيَ بالعِبَرِ فاَعتبر، و اجاب اى: داعي الله، فأناب اليه بسرّه و امتثال امره، و راجع اى: عقله فتاب من اتّباع شياطينه، و اقتدى اى: بهدى الله فحذا حذوه، وأُرِيَ الحق فظهرت لعين بصيرته طريق الله. فرأى اى: فعرفها فأسرع فيها طالباً لما يودّى اليه، فنجا هاربا: من ظلمات جهله وثمراته. فأفاد، اى: فاستفاد بسلوكه، ذخيرة لمعاده، و اطاب بسلوكها سريرته: عن نجاسات الدنيا و عمّر: بما اكتسبه

١ - في ش بزيادة: الي.

من الكمالات المسعدة معاده. و قوله: جهة ما خلقكم له، ای: اتّقوه باعتبار ما خلقكم له من عرفانه، واجعلوا تقواكم فيه: نظراً الى تلك الجهة لا للرياء والسمعة، وجهة: منصوب على الظرف، و يحتمل ان يكون مفعولاً به لفعل مقدّر ای: اقصدوا بتقواكم جهة ما خلقكم له، و كنه ما حذّركم ای: اقصدوا فی حذركم منه حقيقة تحذيره لكم من نفسه، وذلك يستلزم الفحص عن حال المحذور منه. و تنجّزهم لصدق ميعاده بالاستعداد لذلك بانواع طاعته، و بالله التوفيق.

اقول: قوله: جعل لكم، الى قوله: بأوقاتها: تذكر بنعمة الله تعالى فی خلق الابدان، وما يشتمل عليه اعضاؤها من الحكمة والمنافع، وعناها: اهمّها، و استعار لفظ العشاء: لعدم ادراك الابصار ادراكا يحصل منه عبرة اذ كانت فائدة خلقها ذلك و فائدة عن انّ الجلاء يستدعی مجلوا هو: العشاء، و مجلّوا عنه هو قوّة البصر، فاقام عليه السلام المجلو مقام المجلو عنه، فكأنه قال: لتجلو عن نورها عشاها. والا شلاء جمع شلو و هو: الجسد. والحنو: الجانب ای: متناهية الجوانب والاقطار. والارفاق: المنافع. وحواجز عافيته: ما يحجز منها عن الاسقام. والخلاق: النصيب، ای: ما استمتعوا به من دنياهم، والخناق بالكسر: حبل يخنق به، و استعار لفظه: للأجل، و مستفسحه: مدّة الحياة. والارهاق: الاعجال. والتشذّب: التفرّق. و مهّد الامر بالتخفيف والتشديد: هيّأه. وآنف الأوان: اوّل الوقت. والبضاضة: امتلاء البدن و قوّته. والهرم: الكبر. و غضارة: العيش طيبه. و آونة: جمع أوان كأزمنة و زمان، و لما كانت هذه غايات للمرء من شبابه ينتهی اليها، اشبه المنتظر لها: اذا قصر عما ينبغی له. و أزف: دنی. والعلز بالتحريك: كالرعدة تأخذ المريض. و الجرض: ان يبلع ريقه على هم و حزن. والحفدة: الأعوان. و غودر: ترك. والمعالم: الآثار. والشجب: الهالك الناحل. والنخرة: البالية. والأعباء: الاثقال. وايقانها بغيب ابنائها: تحقيقها ما كانت تجهله فی الدنيا من أحوال الآخرة و اخبارها الغائبة عنها، او ما غاب عنها فی الآخرة من اخبار الدنيا، و عدم استزادتهم من صالح عملها عدم صلاحيّتها لذلك، و كذلك عدم استعتابها كقوله تعالى: (وان يستعتبوا فما هم من المعتبين)[1]. والقدّة بكسر القاف والدّال المهملة: الطريقة.

---

١ ـ سورة فصلت / ٢٤.

و اعلـم انّ القول بالصراط يجب الايمان به، وهو في الدنيا يرجع الى الوسط بين الاخلاق المتضادّة كالحكمة بين الجهل والجربزة، و كالسخاء بين التبذير والبخل، والشجاعة بين التهوّر والجبن، والعدالة بين الظلم والانظلام، و بالجملة الوسط الحق بين طرفى افراط و تفريط من اطراف الفضائل و هو: الطريق الى الله المطلوب سلوكه.

و سُئِلَ الصادق عليه السلام عن معنى قوله تعالى: (اهدنا الصراط المستقيم)[1] فقال: ارشدنا للزوم الطريق المؤدّى الى محبتك، والمبلغ دينك، والمانع من ان نتبع اهواءنا فنعطب او نأخذ بآرائنا فنهلك[2].

اذا عرفت ذلك، فنقول: مزالق الصراط فى الدنيا هى مظانّ الخطأ من العقل والشهوة والغضب، والعبور عن فضائلها الى احد طرفى الافراط والتفريط منها، و اهاويل زَلَلِهِ و هو ما يلزم ذلك العبور من عذاب الله، ثم عاد الى الأمر بتقوى الله تقية من استجمع اوصاف الايمان، و اراد بالفكر هنا: الفكر فى امر المعاد، فانّه مشغل عن محبّة الدنيا و جاذب الى الله، و كذلك خوف المعاد. و انصبه: اتعبه. والغرار: النوم القليل. واظمأ الرجاء هو: اجر يومه كناية: عن كثرة صومه فى اشدّ اوقات الحر رجاء لما اعدّالله لاوليائه، و جعل الهواجر: مفعولا به اقامة للظرف مقام المظروف و هو احد وجوه المجاز. و ظلف بالتخفيف: منع. و اوجف: أسرع. والوجيف ضرب من السير فيه سرعة. و المخالج: الامور القاطعة للانسان عن طاعة ربّه، و تنكّبها عدل عنها الى الحق. و اقصد المسالك: اولاها بالقصد و هى طريق الله. والفتل الصرف اى: تصرفه المغفلات الدنيويّة الصارفة عن ربّه، و لم تعم عليه اى: لم يجهل الشبهة من الحق. والبشرى: بشرى الملائكة يوم القيامة (بشراكم اليوم جنّات تجرى من تحتها الانهار)[3]. و راحة النعمى: الراحة من متاعب الدنيا بنعمى الآخرة. و اطلق لفظ النوم فى قوله أنعم: نومه على راحته فى الجنة اطلاقا لاسم الملزوم على لازمه. و معبرالعاجلة: طريق الدنيا. واكمش فى مهل اسرع الى طاعة ربه ايام مهله. و رغب فى طلب اى: كانت رغبته فيما عنده مقرونه بطلبه له. و ذهب اى:

---

۱ ـ سورة الفاتحة / ٦.

۲ ـ تفسير نورالثقلين ۱/ ۲۱. تفسيرالميزان ۱/ ۳۷.تفسير فاتحة الكتاب/ ۲۸. تفسيرالتبيان ۱/ ٤۰.

۳ ـ سورة الحديد / ۱۲.

عن المعاصی عن هرب من خوف الله. و کنی بالیوم و بالغد: عن الدنیا والآخرة. و نظر قدما، ای: لم یلتفت عن الله و لم یعرج علی سواه، و نسبة الاحتجاج والخصام الی الکبائر مجاز، و نفوذ ابلیس فی الصدور و نفثه فی الآذان کنایة: عن وسوسته، و القائها فی القلوب بصورة الالفاظ وغیرها. والموبقات: المهلکات، و قرینته هی: النفس الناطقة. واستدراجها: اخذها بالاستغفار والوسوسة، و هی ایضا هیئته باعتبار احاطة المعاصی بها من قبله کما یستغلق الذهن بما علیه من المال، و انکاره ما زین کقوله تعالی: (نکص علی عقبیه، و قال: انی بریئ منکم).

منها فی صفة خلق الانسان:

عِبَادٌ مَخْلُوقُونَ اقْتِدَارًا، وَ مَرْبُوبُونَ اقْتِسَارًا، وَ مَقْبُوضُونَ احْتِضَارًا، وَ مُضَمَّنُونَ أَجْدَاثًا، وَ كَائِنُونَ رُفَاتًا، وَمَبْعُوثُونَ أَفْرَادًا، وَمَدِينُونَ جَزَاءً، وَ مُمَيَّزُونَ حِسَابًا، قَدْ أُمْهِلُوا فِي طَلَبِ الْمَخْرَجِ، وَ هُدُوا سَبِيلَ الْمَنْهَجِ، وَ عُمِّرُوا مَهَلَ الْمُسْتَعْتِبِ، وَكُشِفَ عَنْهُمْ سُدَفُ الرِّيَبِ، وَ خُلُّوا لِمِضْمَارِ الْجِيَادِ وَ رَوِيَّةِ الِارْتِيَادِ، وَأَنَاةِ الْمُقْتَبِسِ الْمُرْتَادِ فِي مُدَّةِ الْأَجَلِ، وَ مُضْطَرَبِ الْمَهَلِ.

فَيَا لَهَا أَمْثَالًا صَائِبَةً، وَ مَوَاعِظَ شَافِيَةً لَوْ صَادَفَتْ قُلُوبًا زَاكِيَةً، وَ أَسْمَاعًا وَاعِيَةً، وَ آرَاءً عَازِمَةً، وَ أَلْبَابًا حَازِمَةً، فَاتَّقُوا تَقِيَّةَ مَنْ سَمِعَ فَخَشَعَ، وَ اقْتَرَفَ فَاعْتَرَفَ، وَ وَجِلَ فَعَمِلَ، وَ حَاذَرَ فَبَادَرَ، و أَيْقَنَ فَأَحْسَنَ، وَ عُبِّرَ فَاعْتَبَرَ، وَ حُذِّرَ فَازْدَجَرَ، وَ أَجَابَ فَأَنَابَ، وَ رَجَعَ فَتَابَ، وَاقْتَدَى فَاحْتَذَى، وَ أُرِيَ فَرَأَى، فَأَسْرَعَ طَالِبًا، وَ نَجَا هَارِبًا، فَأَفَادَ ذَخِيرَةً، وَأَطَابَ سَرِيرَةً، وَعَمَّرَ مَعَادًا، وَاسْتَظْهَرَ زَادًا لِيَوْمِ رَحِيلِهِ، وَوَجْهِ سَبِيلِهِ، وَحَالِ حَاجَتِهِ، وَ مَوْطِنِ فَاقَتِهِ، وَ قَدَّمَ أَمَامَهُ لِدَارِ مُقَامِهِ. فَاتَّقُوا اللهَ عِبَادَ اللهِ جِهَةَ مَا خَلَقَكُمْ لَهُ، وَاحْذَرُوا مِنْهُ كُنْهَ مَا حَذَّرَكُمْ مِنْ نَفْسِهِ، وَاسْتَحِقُّوا مِنْهُ مَا أَعَدَّ لَكُمْ بِالتَّنَجُّزِ لِصِدْقِ مِيعَادِهِ، وَالْحَذَرِ مِنْ هَوْلِ مَعَادِهِ.

جَعَلَ لَكُمْ أَسْمَاعًا لِتَعِيَ مَا عَنَاهَا وَ أَبْصَارًا لِتَجْلُوَ عَنْ عَشَاهَا، وَأَشْلَاءً جَامِعَةً لِأَعْضَائِهَا مُلَائِمَةً لِأَحْنَائِهَا: فِي تَرْكِيبِ صُوَرِهَا، وَ مُدَدِ عُمُرِهَا، بِأَبْدَانٍ قَائِمَةٍ بِأَرْفَاقِهَا، وَ قُلُوبٍ رَائِدَةٍ لِأَرْزَاقِهَا، فِي مُجَلِّلَاتِ نِعَمِهِ، وَ مُوجِبَاتِ مِنَنِهِ وَحَوَاجِزِ عَافِيَتِهِ، وَقَدَّرَ لَكُمْ أَعْمَارًا سَتَرَهَا عَنْكُمْ، وَخَلَّفَ لَكُمْ عِبَرًا، مِنْ آثَارِ الْمَاضِينَ قَبْلَكُمْ، مِنْ مُسْتَمْتَعِ خَلَاقِهِمْ،

وَمُسْتَفْسَحِ خَنَاقِهِمْ أَرْهَقَتْهُمُ الْمَنَايَا دُونَ الْآمَالِ، وَشَذَّبِهِمْ عَنْهَا تَخَرُّمُ الْآجَالِ، لَمْ يَمْهَدُوا فِي سَلَامَةِ الْأَبْدَانِ وَلَمْ يَعْتَبِرُوا فِي أُنُفِ الْأَوَانِ، فَهَلْ يَنْتَظِرُ أَهْلُ بَضَاضَةِ الشَّبَابِ إِلَّا حَوَانِيَ الْهَرَمِ؟ وَأَهْلُ غَضَارَةِ الصِّحَّةِ إِلَّا نَوَازِلَ السَّقَمِ؟ وَأَهْلُ مُدَّةِ الْبَقَاءِ إِلَّا آوِنَةَ الْفَنَاءِ مَعَ قُرْبِ الزِّيَالِ، وَأُزُوفِ الْإِنْتِقَالِ، وَعَلَزِ الْقَلَقِ، وَأَلَمِ الْمَضَضِ، وَغُصَصِ الْجَرَضِ، وَتَلَفُّتِ الْإِسْتِغَاثَةِ بِنُصْرَةِ الْحَفَدَةِ وَالْأَقْرِبَاءِ وَالْأَعِزَّةِ وَالْقُرَنَاءِ، فَهَلْ دَفَعَتِ الْأَقَارِبُ، أَوْ نَفَعَتِ النَّوَاحِبُ، وَقَدْ غُودِرَ فِي مَحَلَّةِ الْأَمْوَاتِ رَهِينًا، وَفِي ضِيقِ الْمَضْجَعِ وَحِيدًا، قَدْ هَتَكَتِ الْهَوَامُّ جِلْدَتَهُ وَأَبْلَتِ النَّوَاهِكُ جِدَّتَهُ، وَعَفَتِ الْعَوَاصِفُ آثَارَهُ، وَمَحَا الْحَدَثَانُ مَعَالِمَهُ وَصَارَتِ الْأَجْسَادُ شَحِبَةً بَعْدَ بَضَّتِهَا، وَالْعِظَامُ نَخِرَةً بَعْدَ قُوَّتِهَا، وَالْأَرْوَاحُ مُرْتَهَنَةً بِثِقَلِ أَعْبَائِهَا، مُوقِنَةً بِغَيْبِ أَنْبَائِهَا، لَا تُسْتَزَادُ مِنْ صَالِحِ عَمَلِهَا؛ وَلَا تُسْتَعْتَبُ مِنْ سَيِّئِ زَلَلِهَا أَوَلَسْتُمْ أَبْنَاءَ الْقَوْمِ وَالْآبَاءَ وَإِخْوَانَهُمْ وَالْأَقْرِبَاءَ تَحْتَذُونَ أَمْثِلَتَهُمْ، وَتَرْكَبُونَ قِدَّتَهُمْ، وَتَطَأُونَ جَادَّتَهُمْ؟! فَالْقُلُوبُ قَاسِيَةٌ عَنْ حَظِّهَا لَاهِيَةٌ عَنْ رُشْدِهَا سَالِكَةٌ فِي غَيْرِ مِضْمَارِهَا! كَأَنَّ الْمَعْنِيَّ سِوَاهَا وَكَأَنَّ الرُّشْدَ فِي إِحْرَازِ دُنْيَاهَا.

وَاعْلَمُوا أَنَّ مَجَازَكُمْ عَلَى الصِّرَاطِ، وَمَزَالِقِ دَحْضِهِ، وَأَهَاوِيلِ زَلَلِهِ وَتَارَاتِ أَهْوَالِهِ، فَاتَّقُوا اللهَ تَقِيَّةَ ذِي لُبٍّ شَغَلَ التَّفَكُّرُ قَلْبَهُ، وَأَنْصَبَ الْخَوْفُ بَدَنَهُ وَأَسْهَرَ التَّهَجُّدُ غِرَارَ نَوْمِهِ، وَأَظْمَأَ الرَّجَاءُ هَوَاجِرَ يَوْمِهِ، وَظَلَفَ الزُّهْدُ شَهَوَاتِهِ، وَأَرْجَفَ الذِّكْرُ بِلِسَانِهِ، وَقَدَّمَ الْخَوْفَ لِأَبَّانِهِ، وَتَنَكَّبَ الْمَخَالِجَ عَنْ وَضَحِ السَّبِيلِ، وَسَلَكَ أَقْصَدَ الْمَسَالِكِ إِلَى النَّهْجِ الْمَطْلُوبِ، وَلَمْ تَفْتِلْهُ فَاتِلَاتُ الْغُرُورِ وَلَمْ تَعْمَ عَلَيْهِ مُشْتَبِهَاتُ الْأُمُورِ، ظَافِرًا بِفَرْحَةِ الْبُشْرَى، وَرَاحَةِ النُّعْمَى فِي أَنْعَمِ نَوْمِهِ، وَآمَنِ يَوْمِهِ، قَدْ عَبَرَ مَعْبَرَ الْعَاجِلَةِ حَمِيدًا وَقَدَّمَ زَادَ الْآجِلَةِ سَعِيدًا، وَبَادَرَ مِنْ وَجَلٍ، وَأَكْمَشَ فِي مَهَلٍ، وَرَغِبَ فِي طَلَبٍ، وَذَهَبَ عَنْ هَرَبٍ، وَرَاقَبَ فِي يَوْمِهِ غَدَهُ، وَنَظَرَ قُدُمًا أَمَامَهُ فَكَفَى بِالْجَنَّةِ ثَوَابًا وَنَوَالًا، وَكَفَى بِالنَّارِ عِقَابًا وَوَبَالًا وَكَفَى بِاللهِ مُنْتَقِمًا وَنَصِيرًا وَكَفَى بِالْكِتَابِ حَجِيجًا وَخَصِيمًا أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ الَّذِي أَعْذَرَ بِمَا أَنْذَرَ وَاحْتَجَّ بِمَا نَهَجَ وَحَذَّرَكُمْ عَدُوًّا نَفَذَ فِي الصُّدُورِ خَفِيًّا، وَنَفَثَ فِي الْآذَانِ نَجِيًّا فَأَضَلَّ وَأَرْدَى، وَوَعَدَ فَمَنَّى، وَزَيَّنَ سَيِّئَاتِ الْجَرَائِمِ، وَهَوَّنَ مُوبِقَاتِ الْعَظَائِمِ حَتَّى إِذَا اسْتَدْرَجَ قَرِينَتَهُ، وَاسْتَغْلَقَ رَهِينَتَهُ؛ أَنْكَرَ مَا زَيَّنَ؛ وَاسْتَعْظَمَ مَا هَوَّنَ، وَحَذَّرَ مَا أَمَّنَ.

ومنها في صفة خلق الانسان:

أمْ هٰذَا الَّذِي أنْشَأهُ فِي ظُلُمَاتِ الأرْحَامِ، وَشُغُفِ الأسْتَارِ، نُطْفَةً دِهَاقًا وَعَلَقَةً مَحَاقًا، وَجَنِينًا وَرَاضِعًا، وَوَلِيدًا وَيَافِعًا، ثُمَّ مَنَحَهُ قَلْبًا حَافِظًا، وَلِسَانًا لَافِظًا، وبصراً لاحِظًا لِيَفْهَمَ مُعْتَبِرًا، وَيُقَصِّرَ مُزْدَجِرًا، حَتَّى إذَا قَامَ اعْتِدَالُهُ، وَاسْتَوَى مِثَالُهُ، نَفَرَ مُسْتَكْبِرًا، وَخَبَطَ سَادِرًا، مَاتِحًا فِي غَرْبِ هَوَاهُ، كَادِحًا سَعْيًا لِدُنْيَاهُ؛ فِي لَذَّاتِ طَرَبِهِ، وَبَدَوَاتِ أرَبِهِ، لَا يَحْتَسِبُ رَزِيَّةً وَلَا يَخْشَعُ تَقِيَّةً، فَمَاتَ فِي فِتْنَتِهِ غَرِيرًا، وَعَاشَ فِي هَفْوَتِهِ يَسِيرًا، لَمْ يُفِدْ عِوَضًا، وَلَمْ يَقْضِ مُفْتَرَضًا، دَهَمَتْهُ، فَجَعَاتُ الْمَنِيَّةِ فِي غُبَّرِ جِمَاحِهِ، وَسَنَنِ مِرَاحِهِ، فَظَلَّ سَادِرًا، وَبَاتَ سَاهِرًا، فِي غَمَرَاتِ الآلَامِ، وَطَوَارِقِ الْأوْجَاعِ وَالْأسْقَامِ بَيْنَ أخٍ شَقِيقٍ، وَوَالِدٍ شَفِيقٍ، وَدَاعِيَةٍ بِالْوَيْلِ جَزَعًا، وَلَادِمَةٍ لِلصَّدْرِ قَلَقًا وَالْمَرْءُ فِي سَكْرَةٍ مُلْهِيَةٍ، وَغَمْرَةٍ كَارِثَةٍ، وَأنَّةٍ مُوجِعَةٍ، وَجَذْبَةٍ مُكْرِبَةٍ، وَسَوْقَةٍ مُتْعِبَةٍ. ثُمَّ أُدْرِجَ فِي أكْفَانِهِ مُبْلِسًا، وَجُذِبَ مُنْقَادًا سَلِسًا، ثُمَّ أُلْقِيَ عَلَى الْأعْوَادِ رَجِيعَ وَصَبٍ، وَنِضْوَسَقَمٍ، تَحْمِلُهُ حَفَدَةُ الْوِلْدَانِ، وَحَشَدَةُ الْإخْوَانِ، إلَى دَارِ غُرْبَتِهِ، وَمُنْقَطَعِ زَوْرَتِهِ، حَتَّى إذَا انْصَرَفَ الْمُشَيِّعُ، وَرَجَعَ الْمُتَفَجِّعُ، أُقْعِدَ فِي حُفْرَتِهِ نَجِيًّا لِبَهْتَةِ السُّؤالِ، وَعَثْرَةِ الامْتِحَانِ، وَأعْظَمُ مَا هُنَالِكَ بَلِيَّةً نُزُولُ الْحَمِيمِ، وَتَصْلِيَةُ الْجَحِيمِ، وَفَوْرَاتُ السَّعِيرِ، وَسَوْرَاتُ الزَّفِيرِ، لَافَتْرَةٌ مُرِيحَةٌ. وَلَادَعَةٌ مُزِيحَةٌ، وَلَا قُوَّةٌ حَاجِزَةٌ، وَلَا مَوْتَةٌ نَاجِزَةٌ، وَلَا سِنَةٌ مُسْلِيَةٌ، بَيْنَ أطْوَارِ الْمَوْتَاتِ، وَعَذَابِ السَّاعَاتِ!! إنَّا بِاللهِ عَائِذُونَ.

عِبَادَاللهِ، أيْنَ الَّذِينَ عُمِّرُوا فَنَعِمُوا، وَعُلِّمُوا فَفَهِمُوا، وَأُنْظِرُوا فَلَهَوْا، وَسَلِمُوا فَنَسُوا؟ أُمْهِلُوا طَوِيلاً، وَمُنِحُوا جَمِيلاً، وَحُذِّرُوا ألِيمًا، وَوُعِدُوا جَسِيمًا!! احْذَرُوا الذُّنُوبَ الْمُوَرِّطَةَ، وَالْعُيُوبَ الْمُسْخِطَةَ.

أُولِي الْأبْصَارِ وَالْأسْمَاعِ، وَالْعَافِيَةِ وَالْمَتَاعِ! هَلْ مِنْ مَنَاصٍ، أوْ خَلَاصٍ، أوْ مَعَاذٍ، أوْ مَلَاذٍ، أوفِرَارٍ، أوْ مَحَارٍ؟ أمْ لَا؟ فَأنَّى تُؤْفَكُونَ! أمْ أيْنَ تُصْرَفُونَ؟ أمْ بِمَاذَا تَغْتَرُّونَ؟ وَإنَّمَا حَظُّ أحَدِكُمْ مِنَ الْأرْضِ ذَاتِ الطُّولِ وَالْعَرْضِ قِيْدُ قَدِّهِ، مُتَعَفِّرًا عَلَى خَدِّهِ. الآنَ عِبَادَاللهِ وَالْخِنَاقُ مُهْمَلٌ، وَالرُّوحُ مُرْسَلٌ؛ فِي فَيْنَةِ الْإرْشَادِ، وَرَاحَةِ الْأجْسَادِ، وَبَاحَةِ الاحْتِشَادِ، وَمَهَلِ الْبَقِيَّةِ، وَأُنُفِ الْمَشِيَّةِ، وَإنْظَارِ التَّوْبَةِ، وَانْفِسَاحِ الْحَوْبَةِ، قَبْلَ الضَّنْكِ وَالْمَضِيقِ، وَالرَّوْعِ وَالزُّهُوقِ، وَقَبْلَ قُدُومِ الْغَائِبِ الْمُنْتَظَرِ، وَأخْذَةِ الْعَزِيزِ الْمُقْتَدِرِ.

و في الخبر انّه عليه السلام لما خطب بهذه الخطبة اقشعرّت لها الجلود، و بكت لها العيون، و رجفت القلوب، و من الناس من يسمّي هذه الخطبة «الغرّاء».

اقول: مدار الفصل على وصف حال الانسان من مبدأ عمره بالنقصان، و بيان نعمة الله عليه بتزويده في اطوار الخلقة، و تبكيته بمقابلتها بالكفران، والغفلة في متابعة الشيطان، و تذكيره بغايته، و هي: الموت وتوابعه من احوال الموت، و ما يكون بعد ذلك من عذاب القبر و غيره تنفيرا له عن الدنيا بتلك الامور لغاية اصلاح معاده، و ذكر مبدئه لعلّه يتذكر أو يخشى. و «ام» هنا: استفهام في معرض تعديد نعم الله كانّه قال: (افلا ينظرون الى كذا من خلق الله؟ ام الى هذا الانسان الذى من حاله كذا؟ والشغف بالغين المعجمة جمع شغاف بالفتح و هو: غلاف القلب. والدفاق: المفرغة. والمحاق: الناقصة. والعلقة: لكونها بعد لم يقض عليها الصورة الانسانية، والولد حين الرضاع يسمى: رضيعا، و بعده: وليدا، و بعده: يافعًا، وهو: المرتفع فاذا طَرّشاربه فهو: غلام، و اذا ادرك فهو: رجل، و للرجولية ثلاثة حدود: الشباب، وهو: تمام النمو. و بعده: الكهولة، ثم: الشيخوخة.

والسادر: اللاهي. والماتح: الجاذب للدلو المستسقي[1]. و استعار لفظ الغرب: لما تملأ به من هواه صحائف اعماله في المآثم. والكدح: السعي. والبدوات جمع بدوة و هو: ما يبدوله من الخواطر. و دهمه بالكسر: غشيه. و غبرالشيء: بقيته. و جماحه: سعيه في هواه على غير قانون شرعيّ و لا ائتمار للعقل. و السادر: الثاني المتحيّر. و اللدم: ضرب الصدر، و روى سكره ملهثة بالثاء. و كارثة: مستلزمة لشدّة الغم. والجذبة: المكربة، جذبة الملائكة للروح منه كقوله تعالى: (و لو ترى إذِا الظّالمون في غمرات الموت) الى قوله: (أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُم)[2]. والايلاس: اليأس و استعار وصف الترجيع و هو: الجمل المردّد في الاسفار البالي فيها للمريض، باعتبار تردّده في اطوار المرض المبلى له. و لفظ النضو و هو: الجَمَل الناحل من السير له نحو له من الاسقام.

و اعلم انّ قوله: أُقعد في حفرته، الى آخره صريح في القول: بعذاب القبر و سؤال منكر و نكير، والايمان بما جاء من ذلك على وجهين: احدهما و هوالاظهر الاسلم ان

---

١ ـ في نسخة ش هكذا: والمايح المستقي.　　٢ ـ سورة الانعام / ٩٣.

نصدّق بذلك و نحمله على ظاهره و انّ هناك ملكين يقال لهما: منكر، و نكير، يتولّيان سؤال الانسان على الصورة المحكيّه ، و حيّات و عقارب تلدغ الميّت، و ان كان لايشاهدها، اذ لا يصلح هذه العين لمشاهدة الامور الملكوتية، و كل ما يتعلق بالآخرة فهو من عالم الملكوت كما كانت الصحابة يؤمنون بنزول جبريل، و كان النبى صلى الله عليه و آله يشاهده، و هم لا يشاهدونه و كما انّ جبريل لايُشبه الناس فكذلك منكر، و نكير، وفعلهما والحيّات، والعقارب فى القبر، ليس من حيّات عالمنا فتدرك بمعنى آخر.

الوجه الثانى ، انّ يتذكّر ماقد يراه النائم في صورة شخص هائل يقتله، وحية تلدغه، وقد يتألّم بذلك حتى يراه فى نومهِ فيصيح ويعرق جبينه و ينزعج من مكانه، كل ذلك يدركه من نفسه و يشاهده، و يتأذّى به كما يتأذىّ اليقظان، و انت ترى ظاهره ساكنًا، و لا ترى حوله شخصاً، و لا حية، والحية موجودة فى حقه متخيّلة له، و لا فرق بين ان يتخيّل عدوّا، اوحية او يشاهده، والمناص: الملجأ. والمجاز: المرجع. وافك: صرف، و قيد قدّه مقدار قامته، والمنعفر: المترب، والعفر: التراب. والفينة: الحين، وانف الشئ: اوّله. الحَوْبَه: الحاجة والمسكنة. والضنك: الضيق. و كنى بالآن: عن مدّالحياة. وبالخناق: عما يؤخذ به اعناق النفوس و هوالموت، و كذلك بالغائب: المنتظر، وباقى الفصل ظاهر.

٨١ ـ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام
في ذكر عمروبن العاص

عَجَبْنَا لِابْنِ النَّابِغَةِ، يَزْعُمُ لِأَهْلِ الشَّامِ أَنَّ فِيَّ دُعَابَةً، وَ أَنّى امْرُؤٌ تِلْعَابَةٌ: أُعَافِسُ و أُمَارِسُ، لَقَدْ قَالَ بَاطِلاً، وَنَطَقَ آثِمًا. أَمَا، وَ شَرُّ الْقَوْلِ الْكَذِبُ إِنَّهُ لَيَقُولُ فَيَكْذِبُ، وَيَعِدُ فَيُخْلِفُ، وَ يَسْأَلُ فَيُلْحِفُ، وَيُسْأَلُ فَيَبْخَلُ، وَ يَخُونُ الْعَهْدَ، وَ يَقْطَعُ الْإِلَّ، فَإِذَا كَانَ عِنْدَالْحَرْبِ فَأَيُّ زَاجِرٍ وَ آمِرٍ هُوَ؟؟! مَا لَمْ تَأْخُذِ السُّيُوفُ مَآخِذَهَا، فَإِذَا كَانَ ذٰلِكَ كَانَ أَكْبَرُ مَكِيدَتِهِ أَنْ يَمْنَحَ الْقِرْمَ سُبَّتَهُ، أَمَا وَاللهِ إِنّي لَيَمْنَعُنِي مِنَ اللَّعِبِ ذِكْرُالْمَوْتِ، وَ إِنَّهُ لَيَمْنَعُهُ مِنْ قَوْلِ الْحَقِّ نِسْيَانُ الآخِرَةِ، إِنَّهُ لَمْ يُبَايِعْ مُعَاوِيَةَ حَتّى شَرَطَ أَنْ يُؤْتِيَهُ أَتِيَّةً وَ يَرْضَخَ

لَهُ عَلَى تَرْكِ الدِّينِ رَضِيخَةً.

أقول: النبوغ: الظهور، و قيل: انّما سميت امّ عمرو بن العاص «النابغة» لشهرتها بالفجور والدعابة والمزاح. والتلعابة: كثيراللعب. والمعافسة: المُداعَبَه، والممارسة: المعالجة بالمصارعة و نحوها.

و اعلم أنه عليه السلام انّما ينكر مدّعى عمرو، من المزاح البالغ الى حدّ الا فراط الصادق عليه انّه لعبت دون القدر المعتدل منه، فانّ رسول الله صلى الله عليه و آله كان يمزح و لايقول الّا حقًّا. و هو من توابع التواضع و حسن الخلق. قوله: لقد قال، الى قوله: سبته: يشتمل على ذكر رذائله المستلزمة لفسقه المانع من قبول قوله. و ذكر منها خمسًا، وهى الكذب، و خلف الوعد، والغدر، والخيانة فى العهد، و قطع الألّ، و هو: الأصل، والرحم، ثم الجبن، و نبّه عليها بقوله: فاذا كان عندالحرب، الى قوله: سبّته، و هو: اشارة الى ما صدرعنه في بعض ايّام صفّين حين حمل عليه السلام عليه، فلما تصوّر انّه قاتله ألقى نفسه عن فرسه، و كشف سوأته مواجهاً بها فلما رأى ذلك منه غضّ بصره عنه، و انصرف عمرو مكشوف العورة و نجا بذلك، فصار مثلا لمن يدفع عن نفسه مكروهاً بارتكاب الذلّة والفضيحة، وفيه يقول ابوفراس رحمه الله:

ولا خير في دفع الأذى بمذلّة　　　كما ردّها يوماً بسوْته عمرو[1]

والآتية: العطيّة. والرّضيخة: الرشوة، و هى مصر، و قد كان معاوية اعطاه مصر طعمة على ان يظاهره فى حرب عليّ عليه السلام و قد سبق مثله.

٨٢ـ وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

وَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهِ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ: الْأَوَّلُ لَا شَيْءَ قَبْلَهُ، وَالآخِرُ لَاغَايَةَ لَهُ، لَا تَقَعُ الْأَوْهَامُ لَهُ عَلَى صِفَةٍ، وَلَا تَعْقِدُ الْقُلُوبُ مِنْهُ عَلَى كَيْفِيَّةٍ، وَلَا تَنَالُهُ التَّجْزِئَةُ وَالتَّبْعِيضُ، وَلَا تُحِيطُ بِهِ الْأَبْصَارُ وَالْقُلُوبُ.

---

١ ـ الغدير ٢/ ١٥٦.

أقول: كونه تعالى اوّلاً اى: غير مسبوق بالغير، و آخراً غير منته في وجوده الى غاية يقف عندها، و تنزيهه عن ادراك الاوهام و وصفها له لتنزّهه تعالى عن الجسمية ولواحقها، و عدم صدق الوهم في غيرها، و كونه لا تعقل له كيفيّة اذ لا كيفيّة له فتعقل، ونفى التجزية والتبعيض عنه، لعدم لحوق الكمية له، و لا تحيط به الابصار لتنزّهه عن مدركاتها من عوارض الجسمية و لاالقلوب لعدم تركّبه، و ما لا تركيب فيه لاحدّ له فلا يدرك كنه حقيقته، و قد سبق تقريره.

منها:

فَاتَّعِظُوا عِبَادَ ٱللهِ بِالْعِبَرِ النَّوَافِعِ، وَٱعْتَبِرُوا بِالآيِ السَّوَاطِعِ، وَٱزْدَجِرُوا بِالنُّذُرِ الْبَوَالِغِ، وَٱنْتَفِعُوا بِالذِّكْرِ وَالْمَوَاعِظِ، فَكَأَنْ قَدْ عَلِقَتْكُمْ مَخَالِبُ الْمَنِيَّةِ، وَٱنْقَطَعَتْ مِنْكُمْ عَلاَئِقُ الأُمْنِيَّةِ، وَ دَهَمَتْكُمْ مُفْظِعَاتُ الأُمُورِ، وَالسِّيَاقَةُ إِلَى الْوِرْدِ الْمَوْرُودِ، وَ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَ شَهِيدٌ: سَائِقٌ يَسُوقُهَا إِلَى مَحْشَرِهَا، وَ شَاهِدٌ يَشْهَدُ عَلَيْهَا بِعَمَلِهَا.

اقول: الآى: جمع آية. والساطع: المرتفع. ومفظعات الامور: شدائدها. ودهمه بالكسر: هجم عليه.

و اعلم انّ للاتعاظ سبباً وحقيقة وثمرة، فالسبب كالنّظر في آثار الماضين وقصصهم، و هوالاعتبار، و امّا حقيقته فالخوف والانفعال الحاصل عن ذلك النظر، لتوهم مثل احوالهم في حقّه. و امّا ثمرته فالانزجار عن مناهى الله، و استعار وصف المخاطب: لاسباب المنيّة من الامراض والاعراض و بالله التوفيق.

ومنها في صفة الجنة:

دَرَجَاتٌ مُتَفَاضِلاَتٌ، وَ مَنَازِلُ مُتَفَاوِتَاتٌ، لاَيَنْقَطِعُ نَعِيمُهَا، وَلاَ يَظْعَنُ مُقِيمُهَا، وَلاَ يَهْرَمُ خَالِدُهَا، وَلاَ يَبْأَسُ سَاكِنُهَا.

اقول: هذا الوصف صادق في الجنّة المحسوسة الموعودة في القرآن الكريم،

وفي الجنّة المعقولة و اتفقت العقلاء على انّ الذّثمارها هي المعارف الأُلَهيّة والنظر الى وجه الله ذى الجلال والاكرام، والسعداء فى الوصول الى نيل هذه الثمرة على مراتب متفاوتة، و درجات متفاضِلَة كما نبّهنا عليه في الاصل[1] و بالله التوفيق والعصمة.

٨٣ ـ وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

قَدْ عَلِمَ السَّرَائِرَ، وَ خَبَرَ الضَّمَائِرَ، لَهُ الْإِحَاطَةُ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَالْغَلَبَةُ لِكُلِّ شَيْءٍ، وَالْقُوَّةُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ.

فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُ مِنْكُمْ فِي أَيَّامِ مَهَلِهِ. قَبْلَ إِرْهَاقِ أَجَلِهِ، وَ فِي فَرَاغِهِ قَبْلَ أَوانِ شُغُلِهِ، وَ فِي مُتَنَفَّسِهِ قَبْلَ أَنْ يُؤْخَذَ بِكَظَمِهِ، وَلْيُمَهِّدْ لِنَفْسِهِ وَ قُدُومِهِ. وَلْيَتَزَوَّدْ مِنْ دَارِ ظَعْنِهِ لِدَارِ إِقَامَتِهِ، فَاللهَ اللهَ، أَيُّهَا ٱلنَّاسُ فِيمَا ٱسْتَحْفَظَكُمْ مِنْ كِتَابِهِ. وَ ٱسْتَوْدَعَكُمْ مِنْ حُقُوقِهِ، فَإِنَّ ٱللهَ، سُبْحَانَهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثاً، وَلَمْ يَتْرُكْكُمْ سُدًى وَلَمْ يَدَعْكُمْ فِي جَهَالَةٍ وَلَا عَمًى: قَدْ سَمَّى آثَارَكُمْ، وَ عَلِمَ أَعْمَالَكُمْ، وَ كَتَبَ آجَالَكُمْ، وَ أَنْزَلَ عَلَيْكُمُ ٱلْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ، وَ عَمَّرَ فِيكُمْ نَبِيَّهُ أَزْمَاناً حَتَّى أَكْمَلَ لَهُ وَ لَكُمْ فِيمَا أَنْزَلَ مِنْ كِتَابِهِ دِينَهُ ٱلَّذِي رَضِيَ لِنَفْسِهِ وَأَنْهَى إِلَيْكُمْ، عَلَى لِسَانِهِ، مَحَابَّهُ مِنَ ٱلْأَعْمَالِ وَ مَكَارِهَهُ، وَ نَوَاهِيَهُ وَ أَوَامِرَهُ، فَأَلْقَى إِلَيْكُمُ ٱلْمَعْذِرَةَ، وَٱتَّخَذَ عَلَيْكُمُ ٱلْحُجَّةَ، وَ قَدَّمَ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ، وَ أَنْذَرَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ. فَاسْتَدْرِكُوا بَقِيَّةَ أَيَّامِكُمْ، وَاصْبِرُوا لَهَا أَنْفُسَكُمْ، فَإِنَّهَا قَلِيلٌ فِي كَثِيرِ ٱلْأَيَّامِ ٱلَّتِي تَكُونُ مِنْكُمْ فِيهَا ٱلْغَفْلَةُ وَٱلتَّشَاغُلُ عَنِ ٱلْمَوْعِظَةِ، وَلَا تُرَخِّصُوا لِأَنْفُسِكُمْ فَتَذْهَبَ بِكُمُ ٱلرُّخَصُ فِيهَا مَذَاهِبَ ٱلظَّلَمَةِ، وَلَا تُدَاهِنُوا فَيَهْجُمَ بِكُمُ ٱلْإِدْهَانُ عَلَى ٱلْمَعْصِيَةِ. عِبَادَ ٱللهِ، إِنَّ أَنْصَحَ ٱلنَّاسِ لِنَفْسِهِ أَطْوَعُهُمْ لِرَبِّهِ، وَ إِنَّ أَغَشَّهُمْ لِنَفْسِهِ أَعْصَاهُمْ لِرَبِّهِ، وَٱلْمَغْبُونُ مَنْ غَبَنَ نَفْسَهُ وَٱلْمَغْبُوطُ مَنْ سَلِمَ لَهُ دِينُهُ، وَٱلسَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ، وَٱلشَّقِيُّ مَنِ ٱنْخَدَعَ لِهَوَاهُ. وَٱعْلَمُوا أَنَّ يَسِيرَ ٱلرِّيَاءِ شِرْكٌ، وَ مُجَالَسَةَ أَهْلِ الْهَوَى مَنْسَاةٌ لِلإِيمَانِ وَمَحْضَرَةٌ لِلشَّيْطَانِ. جَانِبُوا ٱلْكَذِبَ فَإِنَّهُ مُجَانِبٌ لِلإِيمَانِ، الصَّادِقُ عَلَى شَرَفِ مَنْجَاةٍ وَ كَرَامَةٍ، وَٱلْكَاذِبُ عَلَى شَفَا مَهْوَاةٍ وَ مَهَانَةٍ، وَلَا تَحَاسَدُوا فَإِنَّ ٱلْحَسَدَ يَأْكُلُ ٱلْإِيمَانَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلنَّارُ ٱلْحَطَبَ، وَلَا تَبَاغَضُوا فَإِنَّهَا ٱلْحَالِقَةُ

---

١ ـ الشرح الكبير ٢/ ٢٧٧.

وَٱعْلَمُوا أَنَّ ٱلْأَمَلَ يُسْهِي ٱلْعَقْلَ، وَيُنْسِي ٱلذِّكْرَ فَأَكْذِبُوا ٱلْأَمَلَ فَإِنَّهُ غُرُورٌ وَ صَاحِبُهُ مَغْرُورٌ.

اقول: احاطته بكلّ شئ: علمه بكليّات الاشياء، و جريانها، و علمه و قوّته على كل شئ: استيلاء سلطان قدرته على كل مقدور، و ارهاق الاجل: سرعة لحوقه، و شغله اى: بأهوال الآخرة. والكظم: مجرى النفس والاخذ به كناية: عن الموت، ونبّه على وجوب الحذر من مخالفة الله بضمير صغراه قوله: فانّه لم يخلقكم عبثاً، اى: خاليا عن وجه الحكمة بل ليستكملوا في الدنيا، و اشار الى وجوه حكمته فى خلقهم والطافه في حقهم، من انزال الكتاب و بعث الرسول صلى الله عليه و آله، و اكمال دينه الّذى ارتضى لهم، و تقدير الكبرى و كلّ من كان كذلك فواجب ان يحفظ حقوقه، و يحذر من تضييع ما استودعه. والرخصة هنا : المساهلة فى تنويع المأكل والمشرب و غيره، من المباحات فانّ ذلك مظنّة الخروج فيها عن حدّ الاباحة الى ما لا ينبغى فى الدين، و مذاهب الظلمة: مسالكها و طرقها الجائرة.

روى انّ ابليس ظهر ليحيى بن زكريا عليهما السلام، فرأى عليه معاليق كل شيء فقال له: يا ابليس ما هذه المعاليق؟ قال: هذه هى الشهوات التى اصيب بهنّ قلوب بنى آدم، فقال: هل بى فيها شيء؟ قال: نعم ربما شبعت فشغلناك عن الصلاة وعن الذكر، قال: هل غير ذلك؟ قال: لا قال لله علىّ ان لاأملأ بطني من طعام ابداً، فقال ابليس: لله علىّ ان لا أنصحَ مسلما ابداً. و لا تداهنوا انفسكم اى: لا تصانعوها بالتأويلات الضعيفة والشبهات[1] الباطلة فانّ ذلك سبب للهجوم على المعصية والعبور اليها عن حدّ الفصيلة من المباح. و بيان قوله: انّ انصح الناس لنفسه، اطوعهم لربّه. لمّا كان غرض الناصح انّما هو: جلب الخير والمنفعة للمنصوح و كان اتمّ خير و منفعة هوالسعادة الباقية الابديّة و كانت تلك السعادة انّما تنال بالطاعة فكلّ من كانت طاعته له اتمّ كانت سعادته اتم، كان هو انصح الناس لنفسه بمبالغته في طاعته، و ظهر من ذلك معنى قوله: و ان أَغَشَّهُم لنفسه أعصاهم لربّه. والمغبون: من غبن نفسه بالمعصية و بحصوله على السهم الاخيب في الآخرة و تفويت نفسه نصيبها الأوفى من الجنّة. و قوله: المغبوط، اى: من يستحق ان

---

١ ـ في ش: والشبه.

يغبط، و معنى الغبطة: ان يتمنّى الانسان مثل ما لغيره من حال او مال، مع قطع النظر عن تمنّي زوال تلك الحال عمّن هي له، و بهذا القيد يتميّز عن الحسد. والسعيد: من وعظ بغيره، اى: السعيد التّام، و ذلك انّ العظة قد تحصل للانسان من نفسه، بعبرة تقع له كمرض او أمر ينزل به، و قد تحصل بمشاهدة الغير و هذه اتمّ من تلك و افضل، لاستلزامها ثواب الآخرة مع السلامة من عبرة تلحق المعتبر في نفسه، و لذلك خصّ صاحبها بالسعيد مبالغة. و اهل الهوى: المنقادون لدواعي الشهوة والغضب الخارجة عن حدود الله، و نفّر عن مجالستهم: باستلزامها الأمرين، و هو ظاهر و نفّر عن الكذب بضمير صغراه قوله: فانّه، مجانب للايمان، و هو: خبر نبوىّ، و مجانبته له لكونه من الكبائر المضادّة للازم الايمان وهو: الصدق، و مضادّة اللازم مضادّة للملزوم، و مجانب له. و نفّر عن الحسد بضمير صغراه قوله: فانّه، الى قوله: الحطب، و وجه الشبه: انّ الحاسد قد يغرق فكره في الاهتمام بأمر المحسود حتّى لا يتفرّغ لطاعة وعبادة بل قد يذهل عما حصل عليه من الكمال، وبدوامه ينقطع به عن تحصيل الحسنات فيكون مفوّتاً لها كفعل النار في الحطب.

و لفظ الأكل: مستعار لذلك التفويت: و نفّر عن التباغض بضمير صغراه قوله: فانّها الحالقة. والضمير في قوله: فانّها، يعود الى المصدر، و هي المباغضة، و استعار لفظ الحالقة للجائحة التي تقع بسبب التباغض عن الفرقة و اختلاف الكلمة المستلزم لطمع العدوّ في المتباغضين، واستيصالهم و افناء بعضهم لبعض كالآلة الحالقة، و نسبة السهو والنسيان والغفلة الى فعل الأمل لما يستلزمه من الغفلة من الآخرة، و تكذيبه بردّ العقل لاحكام الوهم بنيل المطلوب، و بذكر الموت و قواطع الاقدار عن بلوغه، و بالله التوفيق.

٨٤ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

و فيها فصول:

الفصل الأوّل: في صفات المتّقين و هو قوله:

عِبَادَاللهِ، إنَّ مِنْ أَحَبِّ عِبَادِاللهِ إلَيْهِ عَبْدًا أَعَانَهُ اللهُ عَلَى نَفْسِهِ فَاسْتَشْعَرَ الْحُزْنَ، وَ

تَجَلْبَبَ الْخَوْفَ، فَزَهِرَ مِصْبَاحُ الْهُدَى فِي قَلْبِهِ، وَ أَعَدَّالْقِرَى لِيَوْمِهِ النَّازِلِ بِهِ، فَقَرَّبَ عَلَى نَفْسِهِ الْبَعِيدَ، وَ هَوَّنَ الشَّدِيدَ: نَظَرَ فَأَبْصَرَ، وَ ذَكَرَ فَاسْتَكْثَرَ، وَارْتَوَى مِنْ عَذْبٍ فُرَاتٍ سَهُلَتْ لَهُ مَوَارِدُهُ، فَشَرِبَ نَهَلاً، وَ سَلَكَ سَبِيلاً جَدَدًا، قَدْ خَلَعَ سَرَابِيلَ الشَّهَوَاتِ، وَ تَخَلَّى مِنَ الْهُمُومِ إِلَّا هَمًّا وَاحِدًا انْفَرَدَ بِهِ، فَخَرَجَ مِنْ صِفَةِ الْعَمَى، وَ مُشَارَكَةِ أَهْلِ الْهَوَى، وَ صَارَ مِنْ مَفَاتِيحِ أَبْوَابِ الْهُدَى، وَمَغَالِيقِ أَبْوَابِ الرَّدَى، قَدْ أَبْصَرَ طَرِيقَهُ، وَ سَلَكَ سَبِيلَهُ، وَعَرَفَ مَنَارَهُ، وَ قَطَعَ غِمَارَهُ، اسْتَمْسَكَ مِنَ الْعُرَى بِأَوْثَقِهَا، وَ مِنَ الْحِبَالِ بِأَمْتَنِهَا، فَهُوَ مِنَ الْيَقِينِ عَلَى مِثْلِ ضَوْءِ الشَّمْسِ: قَدْ نَصَبَ نَفْسَهُ لِلّٰهِ ـ سُبْحَانَهُ ـ فِي أَرْفَعِ الْأُمُورِ مِنْ إِصْدَارِ كُلِّ وَارِدٍ عَلَيْهِ، وَ تَصْيِيرِ كُلِّ فَرْعٍ إِلَى أَصْلِهِ، مِصْبَاحُ ظُلُمَاتٍ، كَشَّافُ عَشَوَاتٍ، مِفْتَاحُ مُبْهَمَاتٍ، دَفَّاعُ مُعْضِلَاتٍ، دَلِيلُ فَلَوَاتٍ، يَقُولُ فَيُفْهِمُ، وَيَسْكُتُ فَيَسْلَمُ: قَدْأَخْلَصَ اللهَ فَاسْتَخْلَصَهُ فَهُوَ مِنْ مَعَادِنِ دِينِهِ، وَ أَوْتَادِ أَرْضِهِ، قَدْ أَلْزَمَ نَفْسَهُ الْعَدْلَ، فَكَانَ أَوَّلُ عَدْلِهِ نَفْيَ الْهَوَى عَنْ نَفْسِهِ، يَصِفُ الْحَقَّ وَ يَعْمَلُ بِهِ، لَايَدَعُ لِلْخَيْرِ غَايَةً إِلَّا أَمَّهَا، وَلَا مَظِنَّةً إِلَّا قَصَدَهَا، قَدْ أَمْكَنَ الْكِتَابَ مِنْ زِمَامِهِ فَهُوَ قَائِدُهُ وَ إِمَامُهُ، يَحُلُّ حَيْثُ حَلَّ ثَقَلُهُ، وَ يَنْزِلُ حَيْثُ كَانَ مَنْزِلُهُ.

أقول: اعانته على نفسه، افادته تعالى لعقله قوّة قهر نفسه الامّارة بالسوء، واتّخاذه الحزن شعاراً اى: على معصية الله. والخوف جلبابًا اى: من عقابه، و وصف الاستشعار والتجلّب مستعاران. و زهر[1] مصباح الهدى في قلبه شروق نورالمعارف الالهية في سرّه، وهو: ثمرة الاستعداد، والخوف والحزن، و استعار لفظ المصباح: لنور المعرفة لاشتراكهما في افادة الهدى. و لفظ القرى: للاعمال الصالحة التى تعدّ ثمراتها ليوم موته، و ما بعده ملاحظة لشبهها بما يعدّ من الضيافة للقادم، و تقرّبه على نفسه البعيد تقصيره لأمله الطويل في الدنيا، بذكرالموت او تقرّبه لما بَعُدَ من احوال الآخرة بدوام اخطارها بباله، حتى كانّها حاضرة له. و تهوينه الشديد: تسهيل شدائد الدنيا على خاطره، و استحقاره في جنب ما يتصوّره من الفرجة بلقاء الله، و وعده و وعيده، او تسهيله لشدائد الآخرة و تهوينها بالأعمال الصالحة. و نظر اى: فكّر في ملكوت السموات و الارض، فأبصر اى: الحق سبحانه في عجائب خلقه، يعني: بصيرته. و ذكر ربّه و معاده، فاستكثر من الاعمال

١ ـ في ش: زهور.

الصالحة والذكر، حتى صار ملكة، و استعار لفظ العذب: بوصف الفُرات للعلوم و الكمالات النفسانية، و وصف الارتواء: لتمام الاستكمال بها، و مواردها: مظانّها من العبر والامور التى تُحَصِّلُ نفوس المتقين منها العلوم، و تسهيلها لهم: سرعة اخذهم عنها الكمالات لكمال استعدادهم لذلك. و النهل: الشرب فى اوّل الورد و استعار لفظه: لسبق احدهم الى اخذ الكمالات عن مظانّها. والسبيل الجدد: سبيل الله الواضح. و خلعه سرابيل الشهوات، اشارة الى: طرف الزهد، و لفظ السرابيل مستعار: لما يلبس به من الشهوات والهمّ الذى انفرد به هوالوصول الى ساحل العزّة. و استعار لفظ العمى: للجهل. و ابواب الهدى هي الفضائل والطاعات. و ابواب الرّدى هي: الرذائل والمعاصى. و مناره، اعلام طريق الله، و هي البراهين والادلّة التي تهدى بها. و غمارة: ما كان مغمورًا فيه من احوال الدنيا. و اوثق العرى: الإيمان بالله و هو امتن الحبال، و لفظهما مستعاران: باعتبار وثاقة التمسّك بهما.

و قوله: فهو من اليقين، اى: بالله و ماجاءت به رسله، من احوال الغيب على اتمّ يقين. و قوله: قد نصب نفسه، الى قوله اصله، اى: لما كمل في ذاته كان اهلاً لهداية الخلق، و افادتهم لقوانين طريق الله، والتّفريع عنها. والظّلمات: ظلمات الجهل. والعشوات: ما التبس على البصائر من المسائل الدقيقة، و كذلك المبهمات، والمعضلات، والفلوات استعارة. و قوله: يقول، الى قوله: يسلم، اى: يستعمل كُلاًّ من القول: والسكوت في موضعه، و يصيب به مقصوده، و استعار له لفظ المصباح: باعتبار هدايته للخلق، و لفظ المفتاح: لفتحه ما انغلق من مشكلات المسائل. و لفظ الدليل: لهدايته فى مفاوزالجهلات على طريق الله. و لفظ المعدن: لكونه مظنّة دين الله عنه يؤخذ. و لفظ الوتد: لكون ارض الله به تحفظ. و لفظ الزمام: لعقله باعتبار تسليمه الى حكم الله و اوامره فكانّها تقوده بعقله فى طريق الله.

الفصل الثاني:

وَ آخَرُ قَدْ تَسَمَّى عَالِمًا وَ لَيْسَ بِهِ فَاقْتَبَسَ جَهَائِلَ مِنْ جُهَّالٍ وَ أَضَالِيلَ مِنْ ضُلاَّلٍ وَ نَصَبَ لِلنَّاسِ شَرَكًا مِنْ حَبَائِلِ غُرُورٍ، وَ قَوْلِ زُورٍ؛ قَدْ حَمَلَ الْكِتَابَ عَلَى آرَائِهِ؛ وَ عَطَفَ

الْحَقَّ عَلَى أَهْوَائِهِ، يُؤمِّنُ مِنَ الْعَظَائِمِ، وَيُهَوِّنُ كَبِيرَ الْجَرَائِمِ يَقُولُ «أَقِفُ عِنْدَ الشُّبُهَاتِ» وَفِيهَا وَقَعَ؛ «وَأَعْتَزِلُ الْبِدَعَ» وَبَيْنَهَا اضْطَجَعَ: فَالصُّورَةُ صُورَةُ إِنْسَانٍ، وَالْقَلْبُ قَلْبُ حَيَوَانٍ، لَا يَعْرِفُ بَابَ الْهُدَى فَيَتَّبِعَهُ وَلَا بَابَ الْعَمَى فَيَصُدَّ عَنْهُ؛ فَذَلِكَ مَيِّتُ الْأَحْيَاءِ.

(فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ؟) وَ أَنَّى تُؤْفَكُونَ؟ وَ الْأَعْلَامُ قَائِمَةٌ! وَالْآيَاتُ وَاضِحَةٌ! وَالْمَنَارُ مَنْصُوبَةٌ! فَأَيْنَ يُتَاهُ بِكُمْ بَلْ كَيْفَ تَعْمَهُونَ؟ وَبَيْنَكُمْ عِتْرَةُ نَبِيِّكُمْ، وَ هُمْ أَزِمَّةُ الْحَقِّ، وَ أَعْلَامُ الدِّينِ، وَأَلْسِنَةُ الصِّدْقِ، فَأَنْزِلُوهُمْ بِأَحْسَنِ مَنَازِلِ الْقُرْآنِ وَرِدُوهُمْ وُرُودَ الْهِيمِ الْعِطَاشِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، خُذُوهَا عَنْ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّهُ يَمُوتُ مَنْ مَاتَ مِنَّا وَ لَيْسَ بِمَيِّتٍ، وَيَبْلَى مَنْ بَلِيَ مِنَّا وَ لَيْسَ بِبَالٍ» فَلَا تَقُولُوا بِمَا لَا تَعْرِفُونَ؛ فَإِنَّ أَكْثَرَ الْحَقِّ فِيمَا تُنْكِرُونَ، وَاعْذِرُوا مَنْ لَا حُجَّةَ لَكُمْ عَلَيْهِ، وَ أَنَا هُوَ، أَلَمْ أَعْمَلْ فِيكُمْ بِالثَّقَلِ الْأَكْبَرِ؟ وَ أَتْرُكْ فِيكُمُ الثَّقَلَ الْأَصْغَرَ، وَ رَكَزْتُ فِيكُمْ رَايَةَ الْإِيمَانِ، وَ وَقَفْتُكُمْ عَلَى حُدُودِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ وَأَلْبَسْتُكُمُ الْعَافِيَةَ مِنْ عَدْلِي، وَفَرَشْتُكُمُ الْمَعْرُوفَ مِنْ قَوْلِي وَ فِعْلِي، وَ أَرَيْتُكُمْ كَرَائِمَ الْأَخْلَاقِ مِنْ نَفْسِي فَلَا تَسْتَعْمِلُوا الرَّأْيَ فِيمَا لَا يُدْرِكُ قَعْرَهُ الْبَصَرُ، وَلَا تَتَغَلْغَلُ إِلَيْهِ الْفِكَرُ.

اقول: الجهائل: جمع جهالة، و اراد الجهل المركّب، و هو: الاعتقاد غير المطابق للحق من شبهة، و استعار لفظ الاشراك والحبال: لما تغرّ علماء السوء به الناس من الأقوال الباطلة و حملة الكتاب على آرائه بتفسيره، بحسب رأيه، و كذلك عطفه على اهوائه، تأويله بحسب هواه، و تأمينه الناس من العظائم، كاستعمال علماء السوء وجهّال الوعّاظ آيات الوعد فى كل موضع استجلابًا لقلوب العوام، و استعار له لفظ ميّت الاحياء: باعتبار عدم الانتفاع به لجهله المركب الّذى هو موت النفس المضادّ لحياتها الحقيقية باستكمال العلوم والفضائل الخلقية، فالجاهل بالحقيقة ميّت و ان كان فى صورة حىّ.

و قوله: فأين تذهبون الى آخره: تنبيه على كونهم فى ضلال و عمى عن الحق، وتخويف و تبكيت و تذكير بكتاب الله و عترة رسوله، ليلزموا هدايتهم. و تؤفكون: تصرفون، و انّى هنا: بمعنى متى، اى: متى تصرفون عن ضلالكم والاستفهام: للتقريع، و استعار لفظ الاعلام: لائمة الدين و كذلك المنار، و نصبها قيام الائمة بينهم. و عترة

الرجل: أقاربه من ولده و ولد ولده. و اداني: بني عمّه، وعترة الرسول صلى الله عليه و آله: اهل بيته. و استعار لهم لفظ الازمة: بأعتبار كونهم قادة للخلق الى طريق الحق كالزمام، و كونهم ألسنةَ الصدق اى: تراجمة الوحي الصادق، او انّهم لايقولون الّا صدقاً لعصمتهم. وقوله: فَأنْزِلوهم بأحسن منازل القرآن.

فاعلم انّ للقرآن منازل احدها القلب، و له فيه منزلتان: منزلة الاكرام والتعظيم، ومنزلة التصوّر فقط، ثم منزلة في الوجود اللساني، ثم فى الكتب والدفاتر، و احسن منازله هي الأولى. فالمراد: الوصيّة باكرامهم و تعظيمهم و محبّتهم كما يكرم القرآن بذلك. وقوله: ورودهم: ورود الهيم العطاش ارشاد لهم الى الاسراع في اقتباس العلوم، و كرائم الاخلاق منهم كما يسرع الهيم و هى الابل العطشى الى الشرب. والضمير في قوله: خذوها: للرواية الحاضرة وهو تقرير لقوله تعالى: (ولا تحسبنّ الّذين قُتِلوا في سبيل الله امواتاً بل احياء)[1] الآية، و يبلى اى: بجسمه، و ليس ببال اى: بنفسه، و ذكره. قوله: و لا تقولوا بما لا تعلمون، اى: ممّا طوى عنكم غيبه وعلمناه، و ذلك: انّهم كانوا يخوضون فى امرالمعاد، و يقول كلّ منهم بحسب ما يتصوّر من القرآن، والحديث، و الائمة عليهم السلام، أعلم بذلك، و نبّه على وجوب الانتهاء عن التّسرع الى القول بغير علم بضمير صغراه، قوله: فانّ اكثر الحق فيما تنكرون، و تقدير كبراه: و كلّ ما كان اكثر الحق فيه لم يجز التّسرّع الى انكاره، لجواز أن يكون هوالحق، والثقل الاكبر: كتاب الله لكونه الاصل المتّبع. والثقل الاصغر: العترة الطاهرة[2].

و استعار لفظ راية الايمان: لسنّته المتّبعة فى العمل بكتاب الله. و ركزها: وضعها بينهم ليقتدوا بها. و قعرالشيء: اقصاه. والبصر: بصرالعقل. والتغلغل: الدخول في الاعماق، و هونهى عن استعمال مجرّد الرأى في دقائق المسائل الالهية، و امر المعاد فانّ ذلك مهلكة.

منها:

---

١ ـ سورة آل عمران / ١٦٩.

٢ ـ مأخوذ من قول النبي (ص): إني مخلّف فيكم الثقلين.

حَتَّى يَظُنَّ الظَّانُّ أَنَّ الدُّنْيَا مَعْقُولَةٌ عَلَى بَنِي أُمَيَّةَ تَمْنَحُهُمْ دَرَّهَا وَتُورِدُهُمْ صَفْوَهَا، وَلَا يُرْفَعُ عَنْ هٰذِهِ الْأُمَّةِ سَوْطُهَا، وَلَا سَيْفُهَا، وَكَذَبَ الظَّانُّ لِذٰلِكَ؛ بَلْ هِيَ مَجَّةٌ مِنْ لَذِيذِ الْعَيْشِ يَتَطَعَّمُونَهَا بُرْهَةً، ثُمَّ يَلْفِظُونَهَا جُمْلَةً.

الفصل غاية من غايات دولة بني امية، و هو اخبار عمّا سيكون. و معقولة: محبوسة، و استعار لفظ الدّر والصفو: للذّاتها و قيناتها، و لفظ المجّة: لما يحصلون عليه من الدولة والملك، باعتبار قلّته بالنسبة الى زمان عدمه، و وصف التطعّم: لا لتذاذهم بالإمرة. ووصف اللفظ: لزوالها عنهم.

٨٥ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ اللهَ لَمْ يَقْصِمْ جَبَّارِي دَهْرٍ قَطُّ إِلَّا بَعْدَ تَمْهِيلٍ وَرَخَاءٍ، وَلَمْ يَجْبُرْ عَظْمَ أَحَدٍ مِنَ الْأُمَمِ إِلَّا بَعْدَ أَزْلٍ وَبَلَاءٍ، وَفِي دُونِ مَا اسْتَقْبَلْتُمْ مِنْ عَتْبٍ، وَمَا اسْتَدْبَرْتُمْ مِنْ خَطْبٍ، مُعْتَبَرٌ! وَمَا كُلُّ ذِي قَلْبٍ بِلَبِيبٍ، وَلَا كُلُّ ذِي سَمْعٍ بِسَمِيعٍ، وَلَا كُلُّ نَاظِرٍ بِبَصِيرٍ، فَيَاعَجَبِي - وَمَالِيَ لَا أَعْجَبُ - مِنْ خَطَاءِ هٰذِهِ الْفِرَقِ عَلَى اخْتِلَافِ حُجَجِهَا فِي دِينِهَا! لَا يَقْتَصُّونَ أَثَرَ نَبِيٍّ، وَلَا يَقْتَدُونَ بِعَمَلِ وَصِيٍّ، وَلَا يُؤْمِنُونَ بِغَيْبٍ، وَلَا يَعِفُّونَ عَنْ عَيْبٍ. يَعْمَلُونَ فِي الشُّبُهَاتِ وَيَسِيرُونَ فِي الشَّهَوَاتِ، الْمَعْرُوفُ عِنْدَهُمْ مَا عَرَفُوا، وَالْمُنْكَرُ عِنْدَهُمْ مَا أَنْكَرُوا، مَفْزَعُهُمْ فِي الْمُعْضِلَاتِ إِلَى أَنْفُسِهِمْ، وَتَعْوِيلُهُمْ فِي الْمُبْهَمَاتِ عَلَى آرَائِهِمْ، كَأَنَّ كُلَّ امْرِىءٍ مِنْهُمْ إِمَامُ نَفْسِهِ: قَدْ أَخَذَ مِنْهَا فِيمَا يَرَى بِعُرًى ثِقَاتٍ وَأَسْبَابٍ مُحْكَمَاتٍ.

اقول: مقصود الفصل توبيخ الامّة على اختلافهم فى الدين، و تشتيت آرائهم فى الأحكام والمذاهب.

والقصم: الكسر، و جبر العظم: كناية عن التقوية بعد الضعف. والأزل: الشدّة. و العتب: الذى استقبلوه عتابه عليه السلام و ما ينبغى منه. والخطب: الذى استدبروه، الأهوال التى لحقتهم من المشركين. و فى دون ذلك معتبر لمن كان له قلب، فانّهم لواختلفوا حينئذ كاختلافهم الآن لما كان لهم مع قلّتهم وقع عند المشركين. و كانّه قال:

فيجب الآن ان تعتبروا بذلك وتُلازموا الاتّحاد فى الدين. واللبيب: من ينتفع بلبّه، وهو: عقله، و فائدة قوله: فما كلّ ذى لبّ الى قوله: ببصير: تحريك النفوس الى الاعتبار كيلا يعدّ التارك غير لبيب و لا سميع و لا بصير. ثم ذكر من مذامّهم اربعة تروك لما ينبغي ان يفعلوه، و اربعة افعال مما ينبغي ان يتركوه، و قدّم على الكلّ ذكر السبب و هو اختلاف حججهم في دينهم، لانّ ذلك هو الأصل الذى نشأت عنه هذه الرذائل، والعيب: الذى تركوا الايمان به هو ما جاء به الرسول صلى الله عليه و آله من السمعيّات الصرفة كأحوال المعاد البدنّي، و احوال القيامة، والجنّة والنار. و قوله: المعروف، الى قوله: ما انكروا، أي: انّ المعروف والمنكر محصوران فيما عرفوه و انكروه، و ان كان ما تصوّروه جهلا و ما انكروه هو الحق. والمضلاّت: ما اشكل امره و أصعب فهمه، من الاحكام الدينية، والاسباب المحكمة، النصوص الجلية.

٨٦ ـ وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

أرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ، وَ طُولِ هَجْعَةٍ مِنَ الْأُمَمِ، وَ اعْتِزَامٍ مِنَ الْفِتَنِ، وَانْتِشَارٍ مِنَ الْأُمُورِ، وَتَلَظٍّ مِنَ الْحُرُوبِ، وَالدُّنْيَا كَاسِفَةُ النُّورِ ظَاهِرَةُ الْغُرُورِ، عَلَى حِينِ اصْفِرَارٍ مِنْ وَرَقِهَا، وَ إِيَاسٍ مِنْ ثَمَرِهَا، وَ اغْوِرَارٍ مِنْ مَائِهَا، قَدْ دَرَسَتْ مَنَارُ الْهُدَى، وَ ظَهَرَتْ أَعْلَامُ الرَّدَى، فَهِيَ مُتَجَهِّمَةٌ لِأَهْلِهَا عَابِسَةٌ فِي وَجْهِ طَالِبِهَا، ثَمَرُهَا الْفِتْنَةُ، وَ طَعَامُهَا الْجِيفَةُ، وَ شِعَارُهَا الْخَوْفُ، وَ دِثَارُهَا السَّيْفُ. فَاعْتَبِرُوا عِبَادَ اللهِ، وَ اذْكُرُوا تِيكَ الَّتي آبَاؤُكُمْ وَ إِخْوَانُكُمْ بِهَا مُرْتَهَنُونَ، وَعَلَيْهَا مُحَاسَبُونَ. وَلَعَمْرِي مَا تَقَادَمَتْ بِكُمْ وَلَا بِهِمُ الْعُهُودُ، وَلَا خَلَتْ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُمُ الْأَحْقَابُ وَالْقُرُونُ، وَ مَا أَنْتُمُ الْيَوْمَ مِنْ يَوْمَ كُنْتُمْ فِي اصْلَابِهِمْ بِبَعِيدٍ. وَاللهِ ما أَسْمَعَكُمْ الرَّسُولُ شَيْئاً إِلَّا وَهَا أَنَا ذَا الْيَوْمَ مُسْمِعُكُمُوهُ، وَ مَا أَسْمَاعُكُمْ الْيَوْمَ بِدُونِ أَسْمَاعِكُم بِالْأَمْسِ وَلَا شُقَّتْ لَهُمُ الْأَبْصَارُ، وَلَا جُعِلَتْ لَهُمُ الْأَفْئِدَةُ فِي ذٰلِكَ الْأَوَانِ إِلَّا وَقَدْ أُعْطِيتُمْ مِثْلَهَا فِي هٰذَا الزَّمَانِ. وَاللهِ مَا بُصِّرْتُمْ بَعْدَهُمْ شَيْئاً جَهِلُوهُ، وَلَا أُصْفِيتُمْ بِهِ وَ حُرِمُوهُ، وَ لَقَدْ نَزَلَتْ بِكُمُ الْبَلِيَّةُ جَائِلاً خِطَامُهَا رِخْواً بِطَانُهَا، فَلَا يَغُرَّنَّكُمْ مَا أَصْبَحَ فِيهِ أَهْلُ الْغُرُورِ، فَإِنَّمَا هُوَ ظِلٌّ مَمْدُودٌ، إِلَى أَجَلٍ مَعْدُودٍ.

اقُول: خلاصة الفصل التذكير بنعمة الله التى نفت ما كانوا فيه، من بؤس، و هى نعمة بعثة الرسول صلّى الله عليه و آله، و ما استلزمته من الخيرات لتعتبروا فتشكروا. والفترة ما بين زمانى الرسولين، و استعار لفظ الهجعة: لما كان عليه الناس قبل البعثة من الغفلة المُشْبِهَة للنوم. والاعتزام: العزم، و نسبتها الى الفتن مجاز. و روى اعترام بالراء المهملة و هى: كثرتها. و روى[1] اعترض الفرس في الطريق اذا مشي عرضاً من غير قصد. و تلظّت الحرب: تلهّبت. و التجهّم: العبوس. والاحقاب جمع حقب: الدهور. و استعار لفظ النور: للانبياء والشرائع والاولياء القائمين بها. و لفظ الورق والثمر والماء: لمتاع الدنيا و زينتها. و لفظ الاصفرار: لتغيّرها عن العرب فى ذلك الوقت و عدم طلاوة عيشهم، و خشونة مطاعمهم اذن، واليأس من ثمرها: انقطاع آمالهم[2] من الملك والدّولة. و لفظ الأعلام: لأئمّة الهدى و قوانين الشرع، و لفظ اعلام الردى: لأئمّة الضلال الداعين الى النار، و وصف التجّهم والعبوس من الدنيا: لعدم وضوح مطالبها و تيسّرها لطلابها من العرب اذ الخطاب معهم. و لفظ الثمر: للفتنة باعتبار انّها غاية للعرب يومئذ من حركاتهم وحروبهم. و لفظ الجيفة: لما لم يذكر اسم الله عليه من الذبائح، او ما كانوا يأكلونه من النهب والغارة تنفيرا عنه لحرمته.

و لفظ الشعار: للخوف من النهب والغارات، باعتبار ملازمته لهم. و لفظ الدثار: للسيف لعلوّه لهم غالبا. و قوله: واذكروا تيكَ : تذكير لهم بوجه العبرة من قبائح الاعمال والخطايا التى كانت عليها اسلافهم من الجاهلية، فى معرض التخويف بما يلزمها من العقاب في الآخرة. و ارتهانهم بها: حبسهم في سلاسل للهيئات البدنيّة. و قوله: و لعمرى، الى قوله: ببعيد: الحاق لهم بهم فى معرض الوعيد ان يصيبهم ما اصابهم، و ابداء لِعُذرِهِ فى إسماعهم، كأُسماع الرسول صلى الله عليه و آله، أسلافَهم، و استعار لفتنة بنى اميّة: وصف جولان الخطام، و رخاوة البطان: ملاحظة لشبهها بالناقة الصعبة، و وجه الشبه كونهما مظنّة الهلاك . والبطان: للقتب كالحزام للفرس. و لفظ الظلّ: لدولتهم باعتبار سرعة زوالها. و نفرّعما أصبح فيه اهل الغفلة والغرور. و أراد بنى اميّة في دولتهم

۱ ـ في ش: و روى اعتراض من اعترض الفرس.

۲ ـ في نسخة ش: مآلهم.

و غرورهم فيها عن الله بضمير صغراه قوله: فانّما هوآخر، و تقدير كبراه، و كل ما كان كذلك فينبغي ان يغترّ به، و يركن اليه.

٨٧ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

اَلْحَمْدُلِلّهِ اَلْمَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةٍ، وَاَلْخَالِقِ مِنْ غَيْرِ رَوِيَّةٍ، اَلَّذِي لَمْ يَزَلْ قَائِمًا دَائِمًا؛ إِذْ لَا سَمَاءٌ ذَاتُ أَبْرَاجٍ؛ وَلَا حُجُبٌ ذَاتُ أَرْتَاجٍ، وَلَا لَيْلٌ داجٍ، وَلَا بَحْرٌ سَاجٍ، وَلَا جَبَلٌ ذُو فِجَاجٍ، وَلَا فَجٌّ ذُو اَعْوِجَاجٍ، وَلَا أَرْضٌ ذَاتُ مِهَادٍ، وَلَا خَلْقٌ ذُو اَعْتِمَادٍ: ذٰلِكَ مُبْتَدِعُ اَلْخَلْقِ وَوَارِثُهُ، وَ إِلٰهُ الْخَلْقِ وَرَازِقُهُ، وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ دَائِبَانِ فِي مَرْضَاتِهِ: يُبْلِيَانِ كُلَّ جَدِيدٍ وَ يُقَرِّبَانِ كُلَّ بَعِيدٍ، قَسَمَ أَرْزَاقَهُمْ، وَ أَحْصَى آثَارَهُمْ وَ أَعْمَالَهُمْ، وَ عَدَدَ أَنْفَاسِهِمْ، وَ خَائِنَةَ أَعْيُنِهِمْ، وَ مَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ مِنَ اَلضَّمِيرِ، وَ مُسْتَقَرَّهُمْ وَ مُسْتَوْدَعَهُمْ مِنَ الْأَرْحَامِ وَالظُّهُورِ، إِلَى أَنْ تَتَنَاهَى بِهِمُ الْغَايَاتُ، هُوَالَّذِي اشْتَدَّتْ نِقْمَتُهُ عَلَى أَعْدائِهِ فِي سَعَةِ رَحْمَتِهِ وَاتَّسَعَتْ رَحْمَتُهُ لِأَوْلِيائِهِ فِي شِدَّةِ نِقْمَتِهِ، قَاهِرُ مَنْ عَازَّهُ وَ مُدَمِّرُ مَنْ شَاقَّهُ، وَ مُذِلُّ مَنْ نَاوَاهُ، وَ غَالِبُ مَنْ عَادَاهُ، وَ مَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ كَفَاهُ، وَمَنْ سَأَلَهُ أَعْطَاهُ، وَمَنْ أَقْرَضَهُ قَضَاهُ، وَ مَنْ شَكَرَهُ جَزَاهُ.

عِبَادَاللّهِ، زِنُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُوزَنُوا، وَ حَاسِبُوهَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تُحَاسَبُوا، وَ تَنَفَّسُوا قَبْلَ ضِيقِ الْخِنَاقِ، وَاَنْقَادُوا قَبْلَ عُنْفِ السِّيَاقِ، وَاَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ لَمْ يُعَنْ عَلَى نَفْسِهِ حَتَّى يَكُونَ لَهُ مِنْهَا وَاعِظٌ وَ زَاجِرٌ لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ غَيْرِهَا زَاجِرٌ وَلَا وَاعِظٌ.

اقول: انّه وصف الله سبحانه باعتبارات من صفات جلاله، و قد سبق بيان اكثر هذه الاعتبارات، و قيامه دوام وجوده لذاته. و قوله: اذ لاسماء، الى قوله: ذو اعتماد، اشارة الى: اعتبار ازليّته و قيامه بذاته، و سبقه لكل ممكن تقديرًا لقول الرسول صلى الله عليه وآله: كان الله و لا شيء. والحجب ذات الارتاج: السموات. و ابلاء الشمس و القمر لكل جديد كناية عن: تفانيهما[1] بعده، و يحتمل ان يريد كونهما اسبابا معدّة لزوال كل كائن في هذا العالم، وفساده و تقريبهما للبعيد: جذبهما الى الموت و ما بعده من احوال

١ - نسخة ش: بقائهما.

الآخرة وغاياتهم التى تتناهى بهم ما يختم به اعمالهم من سعادة و شقاوة.

و قوله: و هوالّذى اشتدّت، الى قوله: نعمته، اشارة الى: كماله و تنزيهه، فى اعتبار احواله عن ملوك الدنيا فانّ حال الرحمة و حال الغضب فيهم متضادّ ان لايجتمعان. و لما كان كماله تعالى يقتضى ان يفيض على كلّ نفس ما يستعدّ له، و جاز ان يستعدّ الشخص الواحد للنعمة التى هى اثر الرحمة، و للنقمة التى هى اثر الغضب فى حال واحد، لاجرم جاز اجتماع رحمته و نقمته فى محلّ واحد فى وقت واحد، باعتبارين كحال الكفّار مثلا فى الدنيا. و قوله: و عازّه: غالبه، و ناواه: عاداه. وزنة النفوس فى الدنيا: اعتبار اعمالها من الخير والشرّ و مراعاة استقامتها على حاق الوسط من الفضائل فى سبيل الله، و محاسبة النفس: ضبط اعمالها الخيريّة والشّرية ليزكّيها[1] بما ينبغى لها ويعاقبها على فعل ما لاينبغي، و باب عظيم من ابواب المرابطة في سبيل الله، و استعار لفظ وصف التنفّس: لتحصيل الراحة والبهجة للآخرة بالاعمال الصالحة فى الدنيا المستلزمة لها كما يستلزم النفس راحة القلب من الكرب. و لفظ الخناق من الحبل: للموت. و انقادوا اى: لأوامرالله قبل عنف سياق الموت، و اعانة العبد على نفسه: اعداد العناية الالهية لقوّته العقلية على قهرالنفس الامّارة بالسوء، و تهيأتها لقبول السوانح الخيريّة و من لم يحصّل ذلك الاستعداد ملكة حتّى يكون هوالقاهر لنفسه لم يتمكن من قهرها بموعظة الغير و زجره، و ذلك تنبيه على وجوب الاستعانة بالله فى احوال النفس ودفع الشيطان عنها، و بالله التوفيق.

٨٨ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

تعرف بخطبة الاشباح. وهى من جلائل الخطب. روى مسعدة بن صدقة عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام، انّه قال: خطب اميرالمؤمنين صلى الله عليه وآله بهذه الخطبة على منبرالكوفة، وذلك انّ رجلا أتاه فقال له يا اميرالمؤمنين: صف لنا ربّنا لنزداد له حبّا، وبه معرفة فغضب عليه السلام، ونادى الصلاة جامعة فاجتمع الناس حتى

١ - في ش: لتركها.

غص المجلس بأهله فصعد المنبر وهو مغضب متغيراللون، فحمدالله سبحانه و صلى على النبى محمد صلى الله عليه وآله ثم قال:

الْحَمْدُ للهِ الَّذِي لَايَفِرُهُ الْمَنْعُ وَالْجُمُودُ، وَلَايُكْدِيهِ الْإِعْطَاءُ وَالْجُودُ؛ إِذْ كُلُّ مُعْطٍ مُنْتَقَصٌ سِوَاهُ، وَكُلُّ مَانِعٍ مَذْمُومٌ مَاخَلَاهُ، وَهُوَ الْمَنَّانُ بِفَوَائِدِ النِّعَمِ، وَعَوَائِدِ الْمَزِيدِ وَالْقِسَمِ، عِيَالُهُ الْخَلْقُ: ضَمِنَ أَرْزَاقَهُمْ، وَقَدَّرَ أَقْوَاتَهُمْ، وَنَهَجَ سَبِيلَ الرَّاغِبِينَ إِلَيْهِ، وَالطَّالِبِينَ مَالَدَيْهِ، وَلَيْسَ بِمَا سُئِلَ بِأَجْوَدَ مِنْهُ بِمَا لَمْ يُسْأَلْ، اَلْأَوَّلُ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لَهُ قَبْلٌ فَيَكُونَ شَيْءٌ قَبْلَهُ؛ وَالآخِرُ الَّذِي لَيْسَ لَهُ بَعْدٌ فَيَكُونَ شَيْءٌ بَعْدَهُ؛ وَالرَّادِعُ أَنَاسِيَّ الْأَبْصَارِ عَنْ أَنْ تَنَالَهُ أَوْ تُدْرِكَهُ مَا اخْتَلَفَ عَلَيْهِ دَهْرٌ فَيَخْتَلِفَ مِنْهُ الْحَالُ، وَلَا كَانَ فِي مَكَانٍ فَيَجُوزَ عَلَيْهِ الِانْتِقَالُ؛ وَلَوْ وَهَبَ مَاتَنَفَّسَتْ عَنْهُ مَعَادِنُ الْجِبَالِ، وَضَحِكَتْ عَنْهُ أَصْدَافُ الْبِحَارِ، مِنْ فِلِزِّ اللُّجَيْنِ وَالْعِقْيَانِ، وَنُثَارَةِ الدُّرِّ وَحَصِيدِ الْمَرْجَانِ مَا أَثَّرَ ذَلِكَ فِي جُودِهِ، وَلَا أَنْفَدَ سَعَةَ مَاعِنْدَهُ، وَلَكَانَ عِنْدَهُ مِنْ ذَخَائِرِ الْإِنْعَامِ مَالَا تُنْفِدُهُ مَطَالِبُ الْأَنَامِ؛ لِأَنَّهُ الْجَوَادُ الَّذِي لَايَغِيضُهُ سُؤَالُ السَّائِلِينَ، وَلَايُبْخِلُهُ إِلْحَاحُ الْمُلِحِّينَ.

فَانْظُرْ أَيُّهَا السَّائِلُ فَمَا دَلَّكَ الْقُرْآنُ عَلَيْهِ مِنْ صِفَتِهِ فَأْتَمَّ بِهِ، وَاسْتَضِئْ بِنُورِ هِدَايَتِهِ، وَمَا كَلَّفَكَ الشَّيْطَانُ عِلْمَهُ مِمَّا لَيْسَ فِي الْكِتَابِ عَلَيْكَ فَرْضُهُ وَلَا فِي سُنَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَأَئِمَّةِ الْهُدَى أَثَرُهُ؛ فَكِلْ عِلْمَهُ إِلَى اللهِ سُبْحَانَهُ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ مُنْتَهَى حَقِّ اللهِ عَلَيْكَ. وَاعْلَمْ أَنَّ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ هُمُ الَّذِينَ أَغْنَاهُمْ عَنِ اقْتِحَامِ السُّدَدِ الْمَضْرُوبَةِ دُونَ الْغُيُوبِ، الْإِقْرَارُ بِجُمْلَةِ مَا جَهِلُوا تَفْسِيرَهُ مِنَ الْغَيْبِ الْمَحْجُوبِ، فَمَدَحَ اللهُ اعْتِرَافَهُمْ بِالْعَجْزِ عَنْ تَنَاوُلِ مَالَمْ يُحِيطُوا بِهِ عِلْمًا، وَسَمَّى تَرْكَهُمُ التَّعَمُّقَ فِيمَا لَمْ يُكَلِّفْهُمُ الْبَحْثَ عَنْ كُنْهِهِ رُسُوخًا؛ فَاقْتَصِرْ عَلَى ذَلِكَ، وَلَا تُقَدِّرْ عَظَمَةَ اللهِ سُبْحَانَهُ عَلَى قَدْرِ عَقْلِكَ فَتَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ: هُوَ الْقَادِرُ الَّذِي إِذَا ارْتَمَتِ الْأَوْهَامُ لِتُدْرِكَ مُنْقَطَعَ قُدْرَتِهِ، وَحَاوَلَ الْفِكْرُ الْمُبَرَّأُ مِنْ خَطَرَاتِ الْوَسَاوِسِ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ فِي عَمِيقَاتِ غُيُوبِ مَلَكُوتِهِ، وَتَوَلَّهَتِ الْقُلُوبُ إِلَيْهِ لِتَجْرِيَ فِي كَيْفِيَّةِ صِفَاتِهِ، وَغَمُضَتْ مَدَاخِلُ الْعُقُولِ فِي حَيْثُ لَا تَبْلُغُهُ الصِّفَاتُ لِتَنَاوُلِ عِلْمِ ذَاتِهِ رَدَعَهَا وَهِيَ تَجُوبُ مَهَاوِيَ سُدَفِ الْغُيُوبِ مُتَخَلِّصَةً إِلَيْهِ، سُبْحَانَهُ، فَرَجَعَتْ إِذْ جُبِهَتْ مُعْتَرِفَةً بِأَنَّهُ لَايُنَالُ بِجَوْرِ الِاعْتِسَافِ كُنْهُ مَعْرِفَتِهِ، وَلَا تَخْطُرُ بِبَالِ أُولِي الرَّوِيَّاتِ خَاطِرَةٌ مِنْ تَقْدِيرِ جَلَالِ عِزَّتِهِ الَّذِي ابْتَدَعَ الْخَلْقَ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ امْتَثَلَهُ، وَلَا مِقْدَارٍ احْتَذَى عَلَيْهِ، مِنْ خَالِقٍ مَعْهُودٍ كَانَ

قَبْلَهُ، وَأَرَانَا مِنْ مَلَكُوتِ قُدْرَتِهِ، وَعَجَائِبِ مَانَطَقَتْ بِهِ آثَارُ حِكْمَتِهِ، وَاعْتِرَافِ الْحَاجَةِ مِنَ الْخَلْقِ إِلَى أَنْ يُقِيمَهَا بِمَسَاكِ قُدرتِهِ، مَادَلَّنَا بِاضْطِرَارِ قِيَامِ الْحُجَّةِ لَهُ عَلَى مَعْرِفَتِهِ، وَظَهَرَتْ فِي الْبَدَائِعِ الَّتِي أَحْدَثَهَا آثَارُ صَنْعَتِهِ وَأَعْلاَمُ حِكْمَتِهِ، فَصَارَ كُلُّ مَا خَلَقَ حُجَّةً لَهُ وَدَلِيلاً عَلَيْهِ، وَإِنْ كَانَ خَلْقاً صَامِتاً فَحُجَّتُهُ بِالتَّدْبِيرِ نَاطِقَةٌ، وَدِلاَلَتُهُ عَلَى الْمُبْدِعِ قَائِمَةٌ. وَأَشْهَدُ أَنَّ مَنْ شَبَّهَكَ بِتَبَايُنِ أَعْضَاءِ خَلْقِكَ، وَتَلاَحُمِ حِقَاقِ مَفَاصِلِهِمُ الْمُحْتَجِبَةِ لِتَدْبِيرِ حِكْمَتِكَ لَمْ يَعْقِدْ غَيْبَ ضَمِيرِهِ عَلَى مَعْرِفَتِكَ، وَلَمْ يُبَاشِرْ قَلْبَهُ الْيَقِينُ بِأَنَّهُ لاَنِدَّ لَكَ، وَكَأَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ تَبَرُّأَ التَّابِعِينَ مِنَ الْمَتْبُوعِينَ إِذْ يَقُولُونَ: (تَاللهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ، إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ)[1] كَذَبَ الْعَادِلُونَ بِكَ إِذْ شَبَّهُوكَ بِأَصْنَامِهِمْ وَنَحَلُوكَ حِلْيَةَ الْمَخْلُوقِينَ بِأَوْهَامِهِمْ وَجَزَّأُوكَ تَجْزِئَةَ الْمُجَسَّمَاتِ بِخَوَاطِرِهِمْ وَقَدَّرُوكَ عَلَى الْخِلْقَةِ الْمُخْتَلِفَةِ الْقُوَى بِقَرَائِحِ عُقُولِهِمْ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مَنْ سَاوَاكَ بِشَيْءٍ مِنْ خَلْقِكَ فَقَدْ عَدَلَ بِكَ، وَالْعَادِلُ بِكَ كَافِرٌ بِمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ مُحْكَمَاتُ آيَاتِكَ، وَنَطَقَتْ عَنْهُ شَوَاهِدُ حُجَجِ بَيِّنَاتِكَ، وَإِنَّكَ أَنْتَ اللهُ الَّذِي لَمْ تَتَنَاهَ فِي الْعُقُولِ فَتَكُونَ فِي مَهَبِّ فِكْرِهَا مُكَيَّفاً، وَلاَفِي رَوِيَّاتِ خَوَاطِرِهَا فَتَكُونَ مَحْدُوداً مُصَرَّفاً.

أقول: قيل سمّيت الاشباح لاشتمالها على ذكر الأشباح، و هي: الاشخاص. وقيل: لانّ الشبح هوالطول والامتداد. و هذه الخطبة ذات اقسام طوال ممتدّة كذكر السماوات، و كيفية تخليقها، و كذكر الملائكة و اقسامهم، و كيفية خلقهم و احوالهم، و ذكرالارض و كيفية خلقها. و يفرّه، يزيده و فراً وهو: المال. و يكديه: ينقص خيره. وانّما لم يقبل الزيادة والنقصان لاستلزامهما الحاجة والامكان المنزّه قدسه عنهما، و نزّهه في الحكمين عن حال غيره من المعطلين والمانعين، و فوائد النعم ما افاد منها، و عوائد المزيد، والقسم ما اعتاد منهما، و استعار لفظ العيال: للخلق باعتبار ضمان ارزاقهم، والقيام لأحوالهم، و لفظ الضمان لما وجب في الحكمة من تقدير الأقوات والارزاق التي لابدّ منها كالضمان. و سبيل الراغبين اليه، شريعته و دينه، و نهجه لهم: ايضاحه بالادلّة. و قوله: ليس بما سئل باجود منه بما لم يسئل عنه، فيه لطيفة و هي: انّ فيضان ما يصدر عنه سبحانه له اعتباران:

---

١ - سورة الشعراء/ ٩٧/٩٨.

أحدهما، بالنظر الى جوده، و هو من تلك الجهة غير مختلف فى جميع الموجودات، بل نسبتها اليه علي سواء، فلا يقال هو بكذا اجود منه بكذا، و الّا لاستلزم ان يكون ببعض الاشياء أبخل، او اليها احوج فيلزمه النقصان تعالى عن ذلك.

والثانى، بالنظر الى الممكن نفسه، و الاختلاف بالقرب والبعد الى جوده، انّما هو من تلك الجهة فكلّ ممكن كان اتمّ استعدادًا و اقبل كان أقرب الى جوده. فالسائل اذن و ان حصل له ما سأل منه تعالى دون ما لم يسأل فليس منعه ما لم يسأله لعزّته عنده وليس بينه و بين ما سأل بالنسبة الى جوده فرق و تفاوت بل تخصيصه بما سئل لتمام قبوله له، و لو كان قابلاً لما يسئل لوصل اليه من غير مسألة و ان عظم خطره، و الى هذا اشار عليّ بن موسى الرضا عليه السلام، و قد سئل عن الجواد فقال: لسؤالك و جهان: ان اردت المخلوق فالّذى يؤدّى ما افترض الله عليه. و ان اردت الخالق فهو الجواد ان اعطى و ان منع لانّه ان أعطى أعطى من له، و ان منع منع من ليس له.

و اراد انّ جوده متوقّف على الاستعداد و عدمه. وردعه اناسى الابصار عن ادراكه: قهره لها بذلّ النقصان عن قبول ذلك، لانّ القوّة الباصرة انّما يتعلّق بذى الوضع وجهة المنزّه قدسه تعالى عنه، و لم يختلف عليه دهر لعلوّه عن الزمان، و بذلك لم تختلف عليه الأحوال، لانّ الزمان هو مبدأ الاختلاف. و فلزّ اللّجين: خبثه و ما ينفيه الكبر منه. والعقيان: الذهب الخالص. والمرجان: صغار اللؤلؤ. و حصيده: محصوله و ما اجتمع منه. و استعار لفظ الضحك: للاصداف، و وجه الشبه: انفتاح الصدفين و اسفارهما عن اللؤلؤ الشبيه فى بدوه بالاسنان عن لحمة شبيهة باللسان فى هيئته، و وضوح المشابهة تستدعى المشاهدة. و لفظ الحصيد لصغار اللؤلؤ لشبهه بالحصيد من الغلات. و نبّه بهذه القضية الشرطية على كمال قدرته، و عدم تناهى مقدوراته، و بيّن ذلك بضمير صغراه قوله: لانّه الجواد الى قوله: الملحّين، و تقدير الكبرى و كلّ من كان كذلك فلو وهب جميع ما ذكر لم ينقص ملكه.

و قوله: فانظر الى آخره: تأديب للخلق فى وصفهم لله سبحانه، و تعليم لهم كيفية مدحهم و ثنائهم عليه، فأمرهم ان يقتدوا فى ذلك بكتاب الله تعالى، و من يقوم به من الأنبياء والائمة من بعدهم، اذ كان اوّل ما يوصف به ما وصف به تعالى نفسه، وان

يفوّضوا علم مالم يعلموا الى علمه تعالى و هو المراد: بالتفويض المشهور. و قوله: انّ الراسخين، الى قوله: المحجوب: تفسير لمعنى الرسوخ في العلم. والإقتحام: الدخول في الامر بشدّة. والسدد جمع سدّة و هي: الأبواب والحجب.

و اعلم انّ لحجب الغيوب طبقات كثيرة كما أشار اليه الرسول صلى الله عليه و آله: (ان لله سبعين الف حجاب من نور و ظلمة لو كشفها لا حرقت سبحات وجهه كل من ادرك بصره) و قد نبّهنا عليها في الاصل[1]، وهنالطيفة وهوانّه لما كان التكليف في نفس الأمر انّما هو على قدرالعقول وتفاوت مراتبها كما قال صلى الله عليه وآله: (بعثت لاكلّم الناس على قدرعقولهم). كان كلّ عقل قويّ على رفع حجاب من حجب الغيب، و قصر عمّا ورائه، و اعترف به، و بالعجز عنه، فذلك تكليفه و هو من الراسخين فعلى هذا ليس الرسوخ مرتبة واحدة هي تقليد ظاهر للشريعة و اعتقاد حقيقتها فقط بل تقليدها مرتبة اولى من مراتبه، وماوراء ذلك من مراتب غير متناهية بحسب مراتب السّالكين و قوّتهم على رفع حجاب الانوار. و ظاهر كلامه عليه السلام، لاينافي ذلك اذا نُزّلَ عليه، فأنّ قوله: و سمّي ترك التعمّق فيما لم يكلّفهم البحث عن كنهه: رسوخا صادقاً ايضا على من قطع جملة من منازل السائرين الى الله، و عجز عمّا ورائها فوقف ذهنه عن التعمّق فيه اذ لا يكلّف بما لا يفي به قوّته بدركه، والمقدّر لعظمة الله بقدر عقله هوالمعتقد انّ عقله ادركه واحاط به علمًا، و وجه الهلاك في ذلك: الاعتقاد انّ ما يحيط به العقول البشرية محدّد و مركّب، فكان ممكنا فالمعتقد لذلك معتقد لغير الاله الها. و قوله: هوالقادر، الى آخره، اشارة الى: اعتبارات اخر من صفاته تعالى، نبّه فيها على انّ غاية استقصاء العقول و تعمّقها في طلب تفصيل صفاته ان تقف خاسئة و ترجع حسيرة. و ارتماء الأوهام: استرسالها مجدّة في المطالعة والتفتيش، و عميقات غيوب ملكوته: في اسرار عالم الغيب. و استعار لفظ العمق: بأعتبار عدم وصول غائص الفكر الى منتهاها. والتولّه: شدّة الشوق. وردعها: خلقها قاصر عن ادراك ما تطلبه من هذه المطالب، فردع الاوهام لقصورها عن ادراک ما ليس بمحسوس. وردع الفكر والعقول له قصورها عن ادراك حقيقة ما ليس بمحدود مركّب. و قدّم اعتبار قدرته تعالى على الشرطيّة لانّها الأصل في ذلك الردع. و

---

[1] ـ الشرح الكبير ٢/ ٣٣٢.

تجوب: تقطع وتطوف. و استعار لفظ السدف جمع سدفه، و هي: الظلمة لما لايهتدى اليه الفكر من الغيوب، ملاحظة لشبهها بالظلمة المحسوسة.

«والواو» في قوله: و هي: للحال، والعامل: ردعها، وجور الاعتساف: شدّة الجولان في بيداء جلال الله فظاهر انّه غير نافع في تحصيل ما لا يمكن. و قوله: و أرانا الى قوله: معرفته، فملكوت قدرته: ملكها، و انّما نسبه الى القدرة لانّ اعتبارها مبدأ الوجود كلّه، فهو مبدأ المالكية، و اعتراف: عطف على عجائب، والى: انّ متعلّق بالحاجة. و قوله: ما دلّنا: مفعول ثان لأرانا: و على معرفته: متعلّق بدلّنا. و استعار لفظ الاعلام: لما يدلّ على حكمة الصانع في فعله من الأتقان والأحكام. والضمير في قوله: فحجّته: يحتمل عوده الى الله و يحتمل عوده الى الخلق الصامت، و للسالكين في سماع نطق آثارالله و مشاهدته في مصنوعاته، مراتب و درجات متفاوته.

و قوله: و اشهد، الى قوله: ربّ العالمين: التفات و انّما جعل المشبّه به هو تباين الاعضاء و تلاحمها و ان كان المشبّه به هوالجسم متباين الاعضاء، لأنّ تباين ا لاعضاء هو وجه الشبه المستلزم للتركيب فكان ذكره اهمّ ليظهر به تنزيهه تعالى عن هذا التشبيه سريعا، لبرائته عن الاعضاء، و تباينها و تركيبها. فامّا شهادته عليه السلام بانّ المشبّه له غير عارف به، و لا متيقّن لتنزيهه عن المثل فالقرآن والبرهان مصدّقان لشهادته. امّا القرآن فما نبّه عليه بقوله، و كانّه لم يسمع الى آخر الآية و وجه الدليل انّ المُشَبِّهَةَ، و عَبَدَةَالاصنام، ينكشف لهم في الآخرة انّهم كانوا ضالّين في تشبيه اصنامهم بربّ العالمين، فيترتّب دليل هكذا، المشبّهة ضالّون في تشبيههم لربّهم، و كلّ من كان ضالاّ فيه فليس بعارف به، و كذلك كل من كان كذلك فليس بمنزّه له عن المثل.

و امّا البرهان: فلانّ المُشَبِّهَ له بخلقه يلزمه الحكم عليه بلوازم خلقه من الامكان والحدوث لانّ لازم المتشابهين لا يختلف. و قوله: كذب العادلون، الى قوله: عقولهم: تكذيب لهم و اشارة الى تفصيل جهات عدولهم الى سبب ذلك و هو الوهم الّذى هو منشأ التشبيه، اذ كان حكمه لايرتفع عن المحسوسات و لذلك لم يرتفع المشبّه لله عن تشبيه الاصنام، و اشخاص الاجسام، و تجزئتهم له تجزئة المجسّمات هو: ما يلزم حكمهم بكونه جسما من اثبات الاعضاء له و تباينها. و قوله: و اشهد، الى قوله: بيّناتك: شهادة

ثانية بالكفر على من شبّهه، و بيّن ذلك بقياس اسند كبراه الى كتاب الله، و نصوص آياته المحكمة،و بيّناته الانبياء و شواهد حججهم هي تلك الآيات كقوله تعالى: (قُلْ ائنكم لتكفرون بالّذى خلق الارض)[1] الآية. و امّا صغراه فلانّ الشبيه هوالمثل والعديل. و قوله: واشهد، الى قوله: مصرّفا: شهادة ثالثة هى خلاصة الاوّلتين بكمال الوهيته، و تنزيهه عن التناهى فى العقول البشريّة و احاطتها به، وتنبيهه على ما يلزم تناهيه فيها من كونه ذاكيفيّة تستثبته العقول: و يصرّفها بهاالوهم والخيال. و مصرّفا أى: محكوماً عليه فى ذاته فى العقول باطلاً.

و منها:

قَدَّرَ مَا خَلَقَ فَأَحْكَمَ تَقْدِيرَهُ، وَدَبَّرَهُ فَأَحْسَنَ تَدْبِيرَهُ، وَ وَجَّهَهُ لِوِجْهَتِهِ فَلَمْ يَتَعَدَّ حُدُودَ مَنْزِلَتِهِ، وَلَمْ يُقَصِّرْ دُونَ ٱلْإِنْتِهَاءِ إِلَى غَايَتِهِ، وَلَمْ يَسْتَصْعِبْ إِذْ أُمِرَ بِالْمُضِيِّ عَلَى إِرَادَتِهِ، وَكَيْفَ وَإِنَّمَا صَدَرَتِ ٱلْأُمُورُ عَنْ مَشِيَّتِهِ؟ ٱلْمُنْشِيءِ أَصْنَافَ ٱلْأَشْيَاءِ بِلَارَوِيَّةِ فِكْرٍ آلَ إِلَيْهَا، وَلَا قَرِيحَةِ غَرِيزَةٍ أَضْمَرَ عَلَيْهَا، وَلَا تَجْرِبَةٍ أَفَادَهَا مِنْ حَوَادِثِ ٱلدُّهُورِ، وَلَاشَرِيكٍ أَعَانَهُ عَلَى ٱبْتِدَاعِ عَجَائِبِ ٱلْأُمُورِ، فَتَمَّ خَلْقُهُ وَ أَذْعَنَ لِطَاعَتِهِ، وَ أَجَابَ إِلَى دَعْوَتِهِ، وَلَمْ يَعْتَرِضْ دُونَهُ رَيْثُ ٱلْمُبْطِيءِ، وَلَا أَنَاةُ ٱلْمُتَلَكِّيءِ، فَأَقَامَ مِنَ ٱلْأَشْيَاءِ أَوَدَهَا، وَ نَهَجَ حُدُودَهَا، وَ لَاءَمَ بِقُدْرَتِهِ بَيْنَ مُتَضَادَاتِهَا، وَ وَصَلَ أَسْبَابَ قَرَائِنِهَا، وَ فَرَّقَهَا أَجْنَاسًا مُخْتَلِفَاتٍ فِي ٱلْحُدُودِ وَٱلْأَقْدَارِ وَٱلْغَرَائِزِ وَٱلْهَيْئَاتِ بَدَايَا خَلَائِقَ أَحْكَمَ صُنْعَهَا، وَفَطَرَهَا عَلَى مَا أَرَادَ وَٱبْتَدَعَهَا.

اقول:

احكام تقديره خلقه على وجه الحكمة، وحسن تدبيره ايجاده كاملاً فى منفعته، وما خلق لاجله حسنا فى صورته، و توجّهه: لوجهته بعثه بحسب الحكمة والعناية الآلهية الى غايته، وتيسيره لها و وقوفه عندها فى ابداعه لخلقه، وقريحةُ الغريزة: قوّة الفكر، واذعان خلقه دخوله فى حكم قدرته و ذلّ الحاجة اليه. والريث والاناة والتلكّى: التباطؤ وهو من لواحق الجسم، فكان تعالى منزّهاً فى خالقيته عنها. والأود: الا عوجاج، و اقامتها

---

[1] ـ سورة فصلت / ٩.

لأودها: افادتها ما ينبغي لها على وجه الحكمة. وحدودها: طرقها. ونهجه لها: ايضاحه لكل شئ سبيل قصده و غايته و تيسيره لذلك، و وصلة لاسباب قرائنها: كون كل شئ له قرينة من غريزة و طبيعة و لازم و نحوها، و اقتران الشيئين مستلزم لاقتران اسبابهما واتّصالهما لاستحالة قيام الشئ بدون سببه، و هو منسوب الى قدرته تعالى. البدايا جمع بَدِيَةٍ و هي: الخلقة المعجبة، و اراد هي بَدايا اى: عجائب مخلوقات احكم صنعها على وفق ارادته، و بالله التوفيق.

منها في صفة السماء:

وَنَظَمَ بِلاَ تَعْلِيقٍ رَهَوَاتِ فُرَجِهَا، وَلاَ حَمَ صُدُوعَ انْفِرَاجِهَا، وَ وَشَّجَ بَيْنَهَا وَ بَيْنَ أَزْوَاجِهَا. وَذَلَّلَ لِلْهَابِطِينَ بِأَمْرِهِ، وَالصَّاعِدِينَ بِأَعْمَالِ خَلْقِهِ، حُزُونَةَ مِعْرَاجِهَا، نَادَاهَا بَعْدَ إِذْ هِيَ دُخَانٌ فَالْتَحَمَتْ عُرَى أَشْرَاجِهَا وَفَتَقَ بَعْدَ الإِرْتِتَاقِ صَوَامِتَ أَبْوَابِهَا. وَأَقَامَ رَصَدًا مِنَ الشُّهُبِ الثَّوَاقِبِ عَلَى نِقَابِهَا، وَأَمْسَكَهَا مِنْ أَنْ تَمُورَ فِي خَرْقِ الْهَوَاءِ بِأَيْدِهِ وَأَمَرَهَا أَنْ تَقِفَ مُسْتَسْلِمَةً لِأَمْرِهِ، وَجَعَلَ شَمْسَهَا آيَةً مُبْصِرَةً لِنَهَارِهَا، وَقَمَرَهَا آيَةً مَمْحُوَّةً مِنْ لَيْلِهَا، فَأَجْرَاهُمَا فِي مَنَاقِلِ مَجْرَاهُمَا، وَقَدَّرَ سَيْرَهُمَا فِي مَدَارِجِ دَرَجِهِمَا لِيُمَيِّزَ بَيْنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ بِهِمَا، وَلِيُعْلَمَ عَدَدُ السِّنِينَ وَالْحِسَابُ بِمَقَادِيرِهِمَا، ثُمَّ عَلَّقَ فِي جَوِّهَا فَلَكَهَا، وَنَاطَ بِهَا زِينَتَهَا: مِنْ خَفِيَّاتِ دَرَارِيِّهَا، وَمَصَابِيحِ كَوَاكِبِهَا وَرَمَى مُسْتَرِقِي السَّمْعِ بِثَوَاقِبِ شُهُبِهَا، وَأَجْرَاهَا عَلَى إِذْلاَلِ تَسْخِيرِهَا مِنْ ثَبَاتِ ثَابِتِهَا، وَمَسِيرِ سَائِرِهَا، وَهُبُوطِهَا وَصُعُودِهَا، وَنُحُوسِهَا وَسُعُودِهَا.

اقول: الرهوات جمع رهوة، و هي: الفرجة المتسعة. والصدوع: الشقوق. و وشّج بالتشديد: شبك، و اراد بازواجها: نفوسها و هي الملائكة السماوية، بمعنى قرائنها و كل قرين زوج اى: ربط بينها و بين نفوسها بقبول كل جرم سمّاوى لنفسه التي لا يقبلها غيره. والحزونة: الصعوبة. و الاشراج جمع شرج بالفتح وهي: عرى العيبة التي تخاط بها، و هو اشارة الى تأليف اجزائها في حدوثها و نداؤها لها حكم قدرته الألُهية عليها بالكون،

والارتتاق: الالتصاق. و فتق صوامت أبوابها: مثل بالمطر و قيل: كانت كرة واحدة ففتق ما بينها كقوله تعالى: (اولم يرالذين كفروا انّ السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما)[1] والنقاب جمع نقب بفتح النون و هو: الطريق فى الجبل. و الرصد الّذى اقامه هو: الشهب: و ذلك انّ العرب كانت تعتقد ان الشياطين تصعد الى السماء فتسترق الغيب من الملائكة، ثم تلقيه الى الكهنة والسحرة فلما آن دور الستر والنهى عن التكهن و نحوه لما فيه من فساد اذهان الخلق، ألقى الوحى اليهم انّ الشهب انّما جعلت رجوما للشياطين، فكلّ من استرق منهم رمى بشهاب، و انّ السماوات حجبت عنهم لتنقطع اوهام الخلق عن غير الوحى و انوار النبوّة و قد قر ذلك فى الخطبة الأولى.

و تمور: تتحرّك . و ايده: قوّته، و روى بائدة اى: هالكة. و ابصار آية النهار هو: تمام ضياءالشمس الّذى هو مادّة الإبصار. و محوآية الليل هو: ما على القمر من لطخ السواد. وقيل: ابصار آية النهار كون نورالشمس لذاتها، و محو آية الليل: كون نورالقمر مستفادا من الشمس، و مناقل مجراهما و مدارج درجهما، هى: بروجهما و منازلهما، و مقادير سيرهما، واذلال تسخيرهما: ذلّتها مسخّرة تحت حكم القدرة الألٰهية كقوله تعالى: (والشّمسَ والقمرَ والنجومَ مُسَخّراتٍ بأمره)[2] والسيّارة هى: الكواكب السبعة النيران، والخمسة المتحريّة. والثواقب هى: باقى الكواكب، و فلكها الثامن، و صعودها: طلبها لشرفها ما دام الكوكب متوجّها الى قوّة شرفه، فهو فى الصعود والازدياد، فاذا جازها صار فى الانتفاض و الهبوط، و هبوط كل كوكب يقابل شرفه، و معنى سعودها و نحوسها: كون اتّصالاتها اسبابا لصلاح شئ من عالم الكون و فساده، و بالله التوفيق.

ومنها فى صفة الملائكة:

ثُمَّ خَلَقَ سُبْحَانَهُ لإِسْكَانِ سَمٰوَاتِهِ، وَعِمَارَةِ الصَّفِيحِ الْأَعْلَى مِنْ مَلَكُوتِهِ خَلْقًا بَدِيعًا مِنْ مَلَائِكَتِهِ، مَلَأَبِهِمْ فُرُوجَ فِجَاجِهَا، وَحَشَابِهِمْ فُتُوقَ أَجْوَائِهَا وَبَيْنَ فَجَواتِ تِلْكَ الْفُرُوجِ زَجَلُ الْمُسَبِّحِينَ مِنْهُمْ فِى حَظَائِرِ الْقُدْسِ، وَسُتُرَاتِ الْحُجُبِ، وَسُرَادِقَاتِ الْمَجْدِ، وَوَرَاءَ ذٰلِكَ

---

١ ـ سورة الانبياء / ٣٠.

٢ ـ سورة الاعراف / ٥٤.

الرَّجيجِ الَّذِي تَسْتَكُّ مِنْهُ الْأَسْمَاعُ سُبُحَاتُ نُورٍ تَرْدَعُ الْأَبْصَارَ عَنْ بُلُوغِهَا، فَتَقِفُ خَاسِئَةً عَلَى حُدُودِهَا، أَنْشَأَهُمْ عَلَى صُوَرٍ مُخْتَلِفَاتٍ، وَأَقْدَارٍ مُتَفَاوِتَاتٍ أُولِي أَجْنِحَةٍ تُسَبِّحُ جَلَالَ عِزَّتِهِ لَايَنْتَحِلُونَ مَاظَهَرَ فِي الْخَلْقِ مِنْ صَنْعَتِهِ، وَلَايَدَّعُونَ أَنَّهُمْ يَخْلُقُونَ شَيْئًا مِمَّا انْفَرَدَ بِهِ، بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ (لَايَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ) جَعَلَهُمْ فِيمَا هُنَا لِكَ أَهْلَ الْأَمَانَةِ عَلَى وَحْيِهِ، وَحَمَّلَهُمْ إِلَى الْمُرْسَلِينَ وَدَائِعَ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَعَصَمَهُمْ مِنْ رَيْبِ الشُّبُهَاتِ، فَمَا مِنْهُمْ زَائِغٌ عَنْ سَبِيلِ مَرْضَاتِهِ، وَأَمَدَّهُمْ بِفَوائِدِ الْمَعُونَةِ، وَأَشْعَرَ قُلُوبَهُمْ تَوَاضُعَ إِخْبَاتِ السَّكِينَةِ، وَفَتَحَ لَهُمْ أَبْوَابًا ذُلُلاً إِلَى تَمَاجِيدِهِ، وَنَصَبَ لَهُمْ مَنَارًا وَاضِحَةً عَلَى أَعْلَامِ تَوْحِيدِهِ لَمْ تُثْقِلْهُمْ مُوصِرَاتُ الْآثَامِ، وَلَمْ تَرْتَحِلْهُمْ عُقَبُ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ، وَلَمْ تَرْمِ الشُّكُوكُ بِنَوَازِعِهَا عَزِيمَةَ إِيمَانِهِمْ، وَلَمْ تَعْتَرِكِ الظُّنُونُ عَلَى مَعَاقِدِ يَقِينِهِم، وَلَاقَدَحَتْ قَادِحَةُ الإِحَنِ فِيمَا بَيْنَهُمْ، وَلَاسَلَبَتْهُمُ الْحَيْرَةُ مَالَاقَ مِنْ مَعْرِفَتِهِ بِضَمَائِرِهِمْ، وَمَا سَكَنَ مِنْ عَظَمَتِهِ وَهَيْبَةِ جَلَالَتِهِ فِي أَثْنَاءِ صُدُورِهِمْ، وَلَمْ تَطْمَعْ فِيهِمُ الْوَسَاوِسُ فَتَقْتَرِعَ بِرَيْنِهَا عَلَى فِكْرِهِمْ: مِنْهُمْ مَنْ هُوَفِي خَلْقِ الْغَمَامِ الدُّلَّحِ، وَفِي عِظَمِ الْجِبَالِ الشُّمَّخِ، وَفِي قَتَرَةِ الظَّلَامِ الْأَبْهَمِ، وَمِنْهُمْ مَنْ خَرَقَتْ أَقْدَامُهُمْ تُخُومَ الْأَرْضِ السُّفْلَى، فَهِيَ كَرَايَاتٍ بِيضٍ قَدْ نَفَذَتْ فِي مَخَارِقِ الْهَوَاءِ، وَتَحْتَهَا رِيحٌ هَفَّافَةٌ تَحْبِسُهَا عَلَى حَيْثُ انْتَهَتْ مِنَ الْحُدُودِ الْمُتَنَاهِيَةِ، قَدِ اسْتَفْرَغَتْهُمْ أَشْغَالُ عِبَادَتِهِ، وَوَصَلَتْ حَقَائِقُ الإِيمَانِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَعْرِفَتِهِ وَقَطَعَهُمُ الإِيقَانُ بِهِ إِلَى الْوَلَهِ إِلَيْهِ، وَلَمْ تُجَاوِزْ رَغَبَاتُهُمْ مَا عِنْدَهُ إِلَى مَا عِنْدَ غَيْرِهِ، قَدْذَاقُوا حَلَاوَةَ مَعْرِفَتِهِ، وَشَرِبُوا بِالْكَأْسِ الرَّوِيَّةِ مِنْ مَحَبَّتِهِ، وَتَمَكَّنَتْ مِنْ سُوَيْدَاءِ قُلُوبِهِمْ، وَشِيجَةُ خِيفَتِهِ، فَحَنَوْا بِطُولِ الطَّاعَةِ اعْتِدَالَ ظُهُورِهِمْ، وَلَمْ يُنْفِدْ طُولُ الرَّغْبَةِ إِلَيْهِ مَادَّةَ تَضَرُّعِهِمْ، وَلَا أَطْلَقَ عَنْهُمْ عَظِيمُ الزُّلْفَةِ رِبَقَ خُشُوعِهِمْ، وَلَمْ يَتَوَلَّهُمُ الإِعْجَابُ فَيَسْتَكْثِرُوا مَا سَلَفَ مِنْهُمْ، وَلَا تَرَكَتْ لَهُمُ اسْتِكَانَةُ الإِجْلَالِ، نَصِيباً فِي تَعْظِيمِ حَسَنَاتِهِمْ، وَلَمْ تَجْرِ الْفَتَرَاتُ فِيهِمْ عَلَى طُولِ دُؤُوبِهِمْ، وَلَمْ تَغِضْ رَغَبَاتُهُمْ، فَيُخَالِفُوا عَنْ رَجَاءِ رَبِّهِمْ، وَلَمْ تَجِفَّ لِطُولِ الْمُنَاجَاةِ أَسَلَاتُ أَلْسِنَتِهِمْ، وَلَا مَلَكَتْهُمُ الْأَشْغَالُ فَتَنْقَطِعَ بِهَمْسِ الْجُؤَارِ إِلَيْهِ أَصْوَاتُهُمْ، وَلَمْ تَخْتَلِفْ فِي مَقَادِمِ الطَّاعَةِ مَنَاكِبُهُمْ، وَلَمْ يَثْنُوا إِلَى رَاحَةِ التَّقْصِيرِ فِي أَمْرِهِ رِقَابَهُمْ، وَلَا تَعْدُو عَلَى عَزِيمَةِ جِدِّهِمْ بَلَادَةُ الْغَفَلَاتِ، وَلَا تَنْتَضِلُ فِي هِمَمِهِمْ خَدَائِعُ الشَّهَوَاتِ قَدِ اتَّخَذُوا ذَاالْعَرْشِ ذَخِيرَةً لِيَوْمِ فَاقَتِهِمْ. وَيَمَّمُوهُ عِنْدَ انْقِطَاعِ الْخَلْقِ إِلَى الْمَخْلُوقِينَ بِرَغْبَتِهِمْ، لَايَقْطَعُونَ أَمَدَ غَايَةِ عِبَادَتِهِ، وَلَايَرْجِعُ بِهِمْ

ٱلإِسْتِهْتَارُ بِلُزُومِ طَاعَتِهِ، إِلَّا إِلَى مَوَادَّ مِنْ قُلُوبِهِمْ غَيْرِ مُنْقَطِعَةٍ مِنْ رَجَائِهِ وَمَخَافَتِهِ، لَمْ تَنْقَطِعْ أَسْبَابُ الشَّفَقَةِ مِنْهُمْ، فَيَنُوا فِي جِدِّهِمِ، وَلَمْ تَأْسِرْهُمُ الْأَطْمَاعُ فَيُؤْثِرُوا وَشِيكَ السَّعْيِ عَلَى ٱجْتِهَادِهِمْ، وَلَمْ يَسْتَعْظِمُوا مَا مَضَى مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَلَوِ ٱسْتَعْظَمُوا ذٰلِكَ لَنَسَخَ الرَّجَاءَ مِنْهُمْ شَفَقَاتُ وَجَلِهِمْ، وَلَمْ يَخْتَلِفُوا فِي رَبِّهِمْ بِاسْتِحْوَاذِ الشَّيْطَانِ عَلَيْهِمْ وَلَمْ يُفَرِّقْهُمْ سُوءُ التَّقَاطُعِ، وَلَا تَوَلَّاهُمْ غِلُّ التَّحَاسُدِ، وَلَا شَعَبَتْهُمْ مَصَارِفُ الرِّيَبِ، وَلَا ٱقْتَسَمَتْهُمْ أَخْيَافُ الْهِمَمِ، فَهُمْ أُسَرَاءُ إِيمَانٍ لَمْ يَفُكَّهُمْ مِنْ رِبْقَتِهِ زَيْغٌ، وَلَا عُدُولٌ وَلَا وَنًى وَلَا فُتُورٌ، وَلَيْسَ فِي أَطْبَاقِ السَّمَاءِ مَوْضِعُ إِهَابٍ إِلَّا وَعَلَيْهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ، أَوْسَاعٍ حَافِدٌ يَزْدَادُونَ عَلَى طُولِ الطَّاعَةِ بِرَبِّهِمْ عِلْمًا وَتَزْدَادُ عِزَّةُ رَبِّهِمْ فِي قُلُوبِهِمْ عِظَمًا.

اقول: الصفيح الأعلى: اشارة الى الفلك التاسع، و هوالعرش لكونه اعظم الأجرام و اعلاها، و سكانه الملائكة المدبّرون له. و فجاجها: طرقها الواسعة. و اجوائها: الامكنة العالية المتسعة بها. و فجوات الفرج: متسعاتها. و الزجل: الأصوات. و سمّيت حظائر القدس: لطهارتها عن فجآت الجهل. و الحجب: اشارة الى حجب الغيب اوالسماوات. واستعار لفظ السرادق و هو الستر الّذى يمّد فوق البيت، لما يعقل من عظمة الملائكة فى تنزّههم عن الجسمية و لواحقها، باعتبار انّ ذلك المجد و الشرف هوالحاجب لهم عنّا. وكالسرادق المضروب بيننا و بينهم. والرجيج: الزلزلة والاضطراب. و تستك الاسماع: تصم. و اشار بسبحات النور: الى جلال الله و عظمته و تنزيهه ان يصل اليه أبصار الملائكة، و نبّه بكون ذلك وراء رجيجهم على انّ معارفهم لا يتعلق به كما هو، بل وراء علومهم اطوارا اخرى من جلاله يقصر معارفهم عنها،و خاسئة ذليلة متحيّرة. و اختلاف صورهم: اختلافهم بالنوع و تفاوت اقدارهم: تفاوت مراتبهم فى الكمال، و استعار لفظ الأجنحة: امّا لقواهم العقلية، او لمعارفهم التى يطيرون بها فى بيداء جلال الله، وينتحلون: يدّعون صنعة شئ من خلقه. و ريب الشبهات: الشك الواقع عنها. و اخبات السكينة: تذلّلها، و اشعر قلوبهم ذلك التواضع جعله شعارًا ملازمالها. و استعار لفظ الأبواب: بوصف الذلّة للوجوه اللائقة من تمجيده. و وصف الفتح: لسهولتها عليهم لبراءة عقولهم عن معارضات النفس الامّارة. و لفظ المنار: لما يستفيدون منه تصوّر صفاته

اللائقة بجلاله و كماله من اللوازم والخواصّ و ما يستفيدون به اثبات ذلك له من البراهين و الادلّة، و لفظ الاعلام: لصفاته و ما ينبغي ان يعرف به، ونفى عنهم موصرات الآثام وهى ما اثقل الظهر منها. و نوازع الشكوك وهى: الخواطر المفسدة للعقائد، و ما يقدح فى النفوس من الأحَن و هى: الاحقاد والحيرة والوساوس الشيطانية، لانّ مبادئ كل ذلك هوالنفس الامّارة. و عقب الليالى والأيام تعاقبها. و العقبة: المرّة من التعاقب. وروى بنوازعها بالعين المهملة ، وهى: القِسِيّ، وهو مستعار لتلك الخواطر المفسدة ايضا. والاقتراع والتقارع: التضارب. والرين: الغلبة والتغطية. والدّلج جمع دالجة وهى: الثقال بالماء. والشمخ: العالية. و قترة الظلام: سواده. والأبهم الّذى لا يهتدى فيه. والهفافة: الساكنة الطيبة. و وشيحة الشجرة: عروقها. و وشيجة خيفته: ما خالط منها ذواتهم. واستعار وصف حنى الظهور: لكمال عبادتهم. و لفظ الربق: لما حصلوا فيه من الخشوع، ونفى الاعجاب عنهم لاستلزامه النفس الامّارة. والدّؤوب الجدّ فى العمل. و رغبات الملائكة السماوية: اشواقها الى كمالاتها. واستعار لفظ الألسنة و رشّح بذكر الاسلات جمع آسَلة وهى: طرف اللسان. و قوله: ولاملكتهم، الى قوله: اصواتهم، فالهمس: الخفىّ من الصوت اى: لم يضعفهم العبادة فتنقطع اصواتهم فتخفى بالتضرّع اليه، و هو تنزيه لهم عن الاحوال البشريّة والعوارض البدنيّة.

و قوله: و لم يختلف، الي قوله: رقابهم:استعار لفظ المقادم من ريش الطائر لما سبق وجوبه من الطاعة كمعرفته تعالى و توحيده. و لفظ المناكب وهى: الريش بعد المقادم لذواتهم،و وجه المشابهة انّ الملائكة لا تختلف ذواتهم، و اجرامهم الفلكية، فى نسق ما اهتم من عبادةالله و معرفته، بل صافّون لايتزايلون في استقامة طريقهم اليه، كالمناكب البالية للمقادم، و على نظامها و ترتيبها لا يختلف نسقها. و روى مقاوم الطاعة: جمع مقام. و عزيمة جدّهم: ارادتهم الجازمة فيه، واستعار وصف الانتصال: لما ترمى به النفس الامّارة العقل من غرورها و خداعها بشهواتها، فتقطعه عمّاهم به من الطاعة. والاستهتار بالشئ: الولوع والتجاهر به. والشفقة الاسم من الاشفاق و هوالخوف. و ينوا: يضعفوا ويتكاسلوا. و وشيك السعى: قريبه، و نفى الاطماع عنهم لانّها من عوارض البشريّة، وكذلك استحواذ الشيطان عليهم اى: احاطته بهم. و غلّ التحاسد:

اي حقده، و تصاريف الريب وجوه الشكوك . و تشعبتهم: اقتسمتهم. و اخياف الهمم مختلفاتها. و استعار لفظ الاسراء لهم باعتبار عدم تمكينهم من الخروج عن الايمان بمقتضى ذواتهم. و لفظ الربقة و هي :العروة في الحبل للايمان اللازم لهم.

و غرض الفصل تمجيدالله تعالي: بخلق العالم الأعلي من الملائكه على اختلاف انواعهم و ما لهم من الكمال الاشرف على سائر الموجودات، و قد نبهنا على تأويلات ضعيفة عساها يصار الى بعضها في الأصل، والله أعلم.

و منها في صفة الأرض و دحوها على الماء.

كَبَسَ الْأَرْضَ عَلَى مَوْرِ أَمْوَاجٍ مُسْتَفْحِلَةٍ، وَلُجَجِ بِحَارٍ زَاخِرَةٍ، تَلْتَطِمُ أَوَاذِيُّ أَمْوَاجِهَا، وَتَصْطَفِقُ مُتَقَاذِفَاتُ أَثْبَاجِهَا، وَتَرْغُو زَبَدًا كَالْفُحُولِ عِنْدَ هِيَاجِهَا، فَخَضَعَ جِمَاحُ الْمَاءِ الْمُتَلَاطِمِ لِثِقَلِ حَمْلِهَا، وَسَكَنَ هَيْجُ ارْتِمَائِهِ إِذْ وَطِئَتْهُ بِكَلْكَلِهَا، وَذَلَّ مُسْتَخْذِيًا، إِذْ تَمَعَّكَتْ عَلَيْهِ بِكَوَاهِلِهَا، فَأَصْبَحَ بَعْدَ اصْطِخَابِ أَمْوَاجِهِ سَاجِياً مَقْهُورًا، وَفِي حَكَمَةِ الذُّلِّ مُنْقَادًا أَسِيرًا وَسَكَنَتِ الْأَرْضُ مَدْحُوَّةً فِي لُجَّةِ تَيَّارِهِ، وَرَدَّتْ مِنْ نَخْوَةِ بَأْوِهِ وَاعْتِلَائِهِ وَشُمُوخِ أَنْفِهِ وَسُمُوِّ غُلَوَائِهِ، وكَعَمَتْهُ عَلَى كِظَّةِ جَرْيَتِهِ، فَهَمَدَ بَعْدَ نَزَقَاتِهِ وَلَبَدَ بَعْدَ زَيَفَانِ وَثَبَاتِهِ فَلَمَّا سَكَنَ هِيَاجُ الْمَاءِ مِنْ تَحْتِ أَكْنَافِهَا، وَحَمْلِ شَوَاهِقِ الْجِبَالِ الشُّمَّخِ الْبُذَّخِ عَلَى أَكْتَافِهَا فَجَّرَ يَنَابِيعَ الْعُيُونِ مِنْ عَرَانِينِ أُنُوفِهَا، وَفَرَّقَهَا فِي سُهُوبِ بِيدِهَا وَأَخَادِيدِهَا، وَعَدَلَ حَرَكَاتِهَا بِالرَّاسِيَاتِ مِنْ جَلَامِيدِهَا، وَذَوَاتِ الشَّنَاخِيبِ الشُّمِّ مِنْ صَيَاخِيدِهَا، فَسَكَنَتْ مِنَ الْمَيَدَانِ لِرُسُوبِ الْجِبَالِ فِي قِطَعِ أَدِيمِهَا، وَتَغَلْغُلِهَا مُتَسَرِّبَةً فِي جَوْبَاتِ خَيَاشِيمِهَا وَرُكُوبِهَا أَعْنَاقَ سُهُولِ الْأَرَضِينَ، وَجَرَاثِيمِهَا، وَفَسَحَ بَيْنَ الْجَوِّ وَبَيْنَهَا، وَأَعَدَّ الْهَوَاءَ مُتَنَسَّمًا لِسَاكِنِهَا، وَأَخْرَجَ إِلَيْهَا أَهْلَهَا عَلَى تَمَامِ مَرَافِقِهَا، ثُمَّ لَمْ يَدَعْ جُرُزَ الْأَرْضِ الَّتِي تَقْصُرُ مِيَاهُ الْعُيُونِ عَنْ رَوَابِيهَا، وَلَا تَجِدُ جَدَاوِلُ الْأَنْهَارِ ذَرِيعَةً إِلَى بُلُوغِهَا حَتَّى أَنْشَأَ لَهَا نَاشِئَةَ سَحَابٍ تُحْيِي مَوَاتَهَا، وَتَسْتَخْرِجُ نَبَاتَهَا، أَلَّفَ غَمَامَهَا بَعْدَ افْتِرَاقِ لُمَعِهِ، وَتَبَايُنِ قَزَعِهِ، حَتَّى إِذَا تَمَخَّضَتْ لُجَّةُ الْمُزْنِ فِيهِ، وَالْتَمَعَ بَرْقُهُ فِي كُفَفِهِ، وَلَمْ يَنَمْ وَمِيضُهُ فِي كَنَهْوَرِ رَبَابِهِ، وَمُتَرَاكِمِ سَحَابِهِ، أَرْسَلَهُ سَحًّا مُتَدَارِكًا، قَدْ أَسَفَّ هَيْدَبُهُ تَمْرِيهِ الْجَنُوبُ دِرَرَ أَهَاضِيبِهِ وَدُفَعَ شَآبِيبِهِ، فَلَمَّا أَلْقَتِ السَّحَابُ بَرْكَ بِوَانَيْهَا، وَبَعَاعَ مَا اسْتَقَلَّتْ بِهِ مِنَ الْعِبْءِ الْمَحْمُولِ عَلَيْهَا أَخْرَجَ بِهِ مِنْ

هَوَامِدِ الْأَرْضِ النَّبَاتَ، وَمِنْ زُعْرِ الْجِبَالِ الْأَعْشَابَ فَهِيَ تَبْهَجُ بِزِينَةِ رِيَاضِهَا، وَتَزْدَهِي بِمَا أُلْبِسَتْهُ مِنْ رَيْطِ أَزَاهِيرِهَا، وَحِلْيَةِ مَاسُمِطَتْ بِهِ مِنْ نَاضِرِ أَنْوَارِهَا، وَجَعَلَ ذٰلِكَ بَلَاغاً لِلْأَنَامِ، وَرِزْقاً لِلْأَنْعَامِ، وَخَرَقَ الْفِجَاجَ فِي آفَاقِهَا، وَأَقَامَ الْمَنَارَ لِلسَّالِكِينَ عَلَى جَوَادِّ طُرُقِهَا، فَلَمَّا مَهَدَ أَرْضَهُ، وَأَنْفَذَ أَمْرَهُ، اخْتَارَ آدَمَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، خِيرَةً مِنْ خَلْقِهِ، وَجَعَلَهُ أَوَّلَ جِبِلَّتِهِ، وَأَسْكَنَهُ جَنَّتَهُ، وَ أَرْغَدَ فِيهَا أُكُلَهُ وَأَوْعَزَ إِلَيْهِ فِيمَا نَهَاهُ عَنْهُ، وَأَعْلَمَهُ أَنَّ فِي الْإِقْدَامِ عَلَيْهِ التَّعَرُّضَ لِمَعْصِيَتِهِ، وَالْمُخَاطَرَةَ بِمَنْزِلَتِهِ فَأَقْدَمَ عَلَى مَانَهَاهُ عَنْهُ ـ مُوَافَاةً لِسَابِقِ عِلْمِهِ ـ فَأَهْبَطَهُ بَعْدَ التَّوْبَةِ، لِيَعْمُرَ أَرْضَهُ بِنَسْلِهِ، وَلِيُقِيمَ الْحُجَّةَ بِهِ عَلَى عِبَادِهِ، وَلَمْ يُخْلِهِمْ بَعْدَ أَنْ قَبَضَهُ، مِمَّا يُؤَكِّدُ عَلَيْهِمْ حُجَّةَ رُبُوبِيَّتِهِ، وَيَصِلُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَعْرِفَتِهِ، بَلْ تَعَاهَدَهُمْ بِالْحُجَجِ عَلَى أَلْسُنِ الْخِيَرَةِ مِنْ أَنْبِيَائِهِ وَمُتَحَمِّلِي وَدَائِعِ رِسَالَاتِهِ، قَرْناً، فَقَرْناً، حَتَّى تَمَّتْ بِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ـ حُجَّتُهُ، وَبَلَغَ الْمَقْطَعَ عُذْرُهُ وَنُذُرُهُ، وَقَدَّرَ الْأَرْزَاقَ فَكَثَّرَهَا وَقَلَّلَهَا وَقَسَّمَهَا عَلَى الضِّيقِ وَالسَّعَةِ فَعَدَلَ فِيهَا لِيَبْتَلِيَ مَنْ أَرَادَ بِمَيْسُورِهَا وَمَعْسُورِهَا، وَلِيَخْتَبِرَ بِذٰلِكَ الشُّكْرَ وَالصَّبْرَ مِنْ غَنِيِّهَا وَفَقِيرِهَا، ثُمَّ قَرَنَ بِسَعَتِهَا عَقَابِيلَ فَاقَتِهَا، وَبِسَلَامَتِهَا طَوَارِقَ آفَاتِهَا، وَبِفُرَجِ أَفْرَاحِهَا غُصَصَ أَتْرَاحِهَا. وَخَلَقَ الْآجَالَ فَأَطَالَهَا وَقَصَّرَهَا، وَقَدَّمَهَا وَأَخَّرَهَا، وَوَصَلَ بِالْمَوْتِ أَسْبَابَهَا، وَجَعَلَهُ خَالِجاً لِأَشْطَانِهَا، وَقَاطِعاً لِمَرَائِرِ أَقْرَانِهَا عَالِمُ السِّرِّ مِنْ ضَمَائِرِ الْمُضْمِرِينَ، وَنَجْوَى الْمُتَخَافِتِينَ، وَخَوَاطِرِ رَجْمِ الظُّنُونِ، وَعُقَدِ عَزِيمَاتِ الْيَقِينِ، وَمَسَارِقِ إِيمَاضِ الْجُفُونِ، وَمَا ضَمِنَتْهُ أَكْنَانُ الْقُلُوبِ وَغَيَابَاتُ الْغُيُوبِ، وَمَا أَصْغَتْ لِاسْتِرَاقِهِ مَصَائِخُ الْأَسْمَاعِ، وَمَصَائِفِ الذَّرِّ، وَمَشَاتِي الْهَوَامِّ، وَرَجْعِ الْحَنِينِ مِنَ الْمُولَهَاتِ، وَهَمْسِ الْأَقْدَامِ، وَمُنْفَسَحِ الثَّمَرَةِ مِنْ وَلَائِجِ غُلُفِ الْأَكْمَامِ، وَمُنْقَمَعِ الْوُحُوشِ، مِنْ غِيرَانِ الْجِبَالِ وَأَوْدِيَتِهَا، وَمُخْتَبَأِ الْبَعُوضِ بَيْنَ سُوقِ الْأَشْجَارِ وَأَلْحِيَتِهَا، وَمَغْرِزِ الْأَوْرَاقِ مِنَ الْأَفْنَانِ، وَمَحَطِّ الْأَمْشَاجِ مِنْ مَسَارِبِ الْأَصْلَابِ، وَنَاشِئَةِ الْغُيُومِ وَمُتَلَاحِمِهَا، وَدُرُورِ قَطْرِ السَّحَابِ فِي مُتَرَاكِمِهَا، وَمَاتَسْفِي الْأَعَاصِيرُ بِذُيُولِهَا، وَتَعْفُو الْأَمْطَارُ بِسُيُولِهَا، وَعَوْمِ نَبَاتِ الْأَرْضِ فِي كُثْبَانِ الرِّمَالِ، وَمُسْتَقَرِّ ذَوَاتِ الْأَجْنِحَةِ بِذُرَى شَنَاخِيبِ الْجِبَالِ، وَتَغْرِيدِ ذَوَاتِ الْمَنْطِقِ فِي دَيَاجِيرِ الْأَوْكَارِ، وَمَا أَوْعَبَتْهُ الْأَصْدَافُ، وَحَضَنَتْ عَلَيْهِ أَمْوَاجُ الْبِحَارِ، وَمَا غَشِيَتْهُ سُدْفَةُ لَيْلٍ أَوْ ذَرَّ عَلَيْهِ شَارِقُ نَهَارٍ، وَمَا اعْتَقَبَتْ عَلَيْهِ أَطْبَاقُ الدَّيَاجِيرِ، وَسُبُحَاتُ النُّورِ. وَأَثَرِ كُلِّ خَطْوَةٍ، وَحِسِّ كُلِّ حَرَكَةٍ، وَرَجْعِ كُلِّ كَلِمَةٍ، وَتَحْرِيكِ كُلِّ شَفَةٍ، وَمُسْتَقَرِّ كُلِّ نَسَمَةٍ،

وَمِثْقَالِ كُلِّ ذَرَّةٍ، وَهَمَاهِمِ كُلِّ نَفْسٍ هَامَّةٍ، وَمَا عَلَيْهَا مِنْ ثَمَرِ شَجَرَةٍ، أَوْ سَاقِطِ وَرَقَةٍ، أَوْ قَرَارَةِ نُطْفَةٍ، أَوْ نُقَاعَةِ دَمٍ وَمُضْغَةٍ، أَوْ نَاشِئَةِ خَلْقٍ، وَسُلاَلَةٍ، لَمْ تَلْحَقْهُ فِي ذٰلِكَ كُلْفَةٌ، وَلاَ اعْتَرَضَتْهُ فِي حِفْظِ مَا ابْتَدَعَهُ مِنْ خَلْقِهِ عَارِضَةٌ، وَلاَ اعْتَوَرَتْهُ فِي تَنْفِيذِ الْأُمُورِ وَتَدْبِيرِ الْمَخْلُوقِينَ مَلاَلَةٌ وَلاَ فَتْرَةٌ، بَلْ نَفَذَ فِيهِمْ عِلْمُهُ وَأَحْصَاهُمْ عَدُّهُ، وَوَسِعَهُمْ عَدْلُهُ، وَغَمَرَهُمْ فَضْلُهُ، مَعَ تَقْصِيرِهِمْ عَنْ كُنْهِ مَا هُوَ أَهْلُهُ.

اَللّٰهُمَّ أَنْتَ أَهْلُ الْوَصْفِ الْجَمِيلِ، وَالتَّعْدَادِ الْكَثِيرِ، إِنْ تُؤَمَّلْ فَخَيْرُ مُؤَمَّلٍ وَإِنْ تُرْجَ فَأَكْرَمُ مَرْجُوٍّ. اَللّٰهُمَّ وَقَدْ بَسَطْتَ لِي فِيمَا لاَ أَمْدَحُ بِهِ غَيْرَكَ، وَلاَ أُثْنِي بِهِ عَلَى أَحَدٍ سِوَاكَ، وَلاَ أُوَجِّهُهُ إِلَى مَعَادِنِ الْخَيْبَةِ و مَوَاضِعِ الرِّيبَةِ وَعَدَلْتَ بِلِسَانِي عَنْ مَدَائِحِ الْآدَمِيِّينَ وَالثَّنَاءِ عَلَى الْمَرْبُوبِينَ الْمَخْلُوقِينَ. اَللّٰهُمَّ وَلِكُلِّ مُثْنٍ عَلَى مَنْ أَثْنَى عَلَيْهِ مَثُوبَةٌ مِنْ جَزَاءٍ، أَوْ عَارِفَةٌ مِنْ عَطَاءٍ، وَقَدْ رَجَوْتُكَ دَلِيلاً عَلَى ذَخَائِرِ الرَّحْمَةِ وَكُنُوزِ الْمَغْفِرَةِ. اَللّٰهُمَّ وَهٰذَا مَقَامُ مَنْ أَفْرَدَكَ بِالتَّوْحِيدِ الَّذِي هُوَ لَكَ، وَلَمْ يَرَ مُسْتَحِقّاً لِهٰذِهِ الْمَحَامِدِ وَالْمَمَادِحِ غَيْرَكَ، وَبِي فَاقَةٌ إِلَيْكَ لاَ يَجْبُرُ مَسْكَنَتَهَا إِلاَّ فَضْلُكَ، وَلاَ يَنْعَشُ مِنْ خَلَّتِهَا إِلاَّ مَنُّكَ وَجُودُكَ، فَهَبْ لَنَا فِي هٰذَا الْمَقَامِ رِضَاكَ، وَأَغْنِنَا عَنْ مَدِّ الْأَيْدِي إِلَى سِوَاكَ؛ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

اقول: هذا الفصل يشتمل على فصلين:

الفصل الاوّل، في تمجيدالله تعالى باعتبار خلقة الارض و جملة من أحوالها، واعداده فيها تمام مرافقها، و خلقه لآدم و ذرّيته بعد ذلك في معرض الإمتنان عليهم بذلك، وهو قوله: كبس الارض، الى قوله: طرقها. واستعار لفظ الكبس: لخلقها في وسط كرة الماء، والمور: التحرّك، و استعار لفظ الاستفحال: للموج ملاحظة للشبه بالفحل عند صياله، والأواذي جمع آذيّ و هو: ما عظم من موج البحر. والا ثباج جمع ثبج وهو: معظمها و عواليها، واستعار لفظ الجماح: بحركة الماء على وجه لايملك. والارتماء: التقاذف. الترداد والتمعّك: التمرّغ. و استعار لفظ كلكل وهو: الصدر للأرض. والمستخذي:الخاضع. واصطخاب الأمواج: غلبتها. و الساجي: الساكن. واستعار لفظ الحكمة و هي ما احاط من اللجام بحنك الدّابة: لأمرالله بتسكينه. والمدحوّة: المبسوطة. والتيار: الموج. والبأو: الفخر. و شموخ الأنف كناية: عن التكبر. والغلواء: تجاوز الحد.

و كعمته: سددت فاه. والكظة: شدّة الامتلاء. و همد: سكن. والترقات جمع ترقه و هي: الخفة. و لبد: لصق بالارض ساكنًا. و الزيفان: التمايل. والاكناف: الجوانب. والبذّخ: العالية. والعرنين: اعلى الأنف عند ملتقى الحاجبين و لفظ مستعار: لأعالي الجبال. والسهوب جمع سهب و هو: الفلاة الواسعة. و البيد جمع بيداء و هي: الفلاة ايضا. والجلاميد: الصخور. والشناخيب: رؤس الجبال. والشم: العالية. والصيخود: الصخرة الصلبة. و اديمها: سطحها. والتسرّب الدخول في اسرابها واعماقها. و المتنسم: المستنشق. والمرافق: المنافع. و ارض جرز: لانبات بها لانقطاع الماء عنها. واللمع: القطع، و كذلك القزع. والكفة بالضم: ما استطال من السحاب و ما استدار. و بالكسر وميضه: ضياؤه. والكنهور: العظيم من السحاب. والرباب: الغمام الابيض.

والسح: الصب. واسّف: دنا من الأرض اى: تدلّى. و تمريه: تستخرج ماءه و درّه القطر. والشآبيب جمع شؤبوب وهو: الرشقة القويّة من المطر. والبرك: الصدر. والبواني: ما يليه من الاعضاء وهو مستعار: لماثقل من المطر. وبعاع السحاب: ثقله بالمطر. العبُ: الثقل. و هو امدالارض: ما تبت به كأنّها ساكنة من الحركة باثبات كقوله تعالى: (و ترى الارض هامدة)[1] الآية. و جبلة زعراء: لا نبت بها. و تزدهي: تزدان و تتكبّر. والريط جمع ريطة و هي: الازاهير النيّرة. و سمطت زيّنت بالسمط و هو: العقد، و روى بالشين المعجمة اى: خلطت. والفجاج: الخلقة و اراد: اوّل الجبلة الانسانية. واوعز اليه بكذا: امره به و مانهاه عنه هوالاقدام على الشجرة و اكلها. و قرنا نصب على البدل من الضمير في تعاهدهم. والمقطع: الغاية. و قد تكرّرت قصة آدم عليه السلام. و عقابيل: المرض و الفقر بقاياه. والاتراح: الحزن. و استعار لفظ الاسباب و هي الحبال: لما امتد من الآجال. والخلج: الجذب، و كذلك لفظ الاشطان. و المرائر: ايضا الحبال. الأقران جمع قرن وهي: الحبال لما امتدّ منها. و باقي الفصل ظاهر وان تعلّقت به فوائد خارجة عن المتن ذكرناها في الاصل.

الفصل الثاني، في تمجيده سبحانه باعتبار كونه عالماً بالاشياء و عد من جزئياتها جملة يشهد باحاطة علمه و كماله و هي قوله: عالم السر، الى قوله: اهله.

---

١ ـ سورة الحج / ٥.

والتخافت: المسارّه. و استعار لفظ الرجم: باعتبار الرمي بالظن كما يرمى بالحجر ونحوه. وعقد عزيمات اليقين: ما انعقد فى النفس من العزوم عن يقين. و استعار لفظ المسارق: لمخارج اللحظ من العيون على غرّة. و روى مشارق بالشين المعجمة. والغيابة: ظلمة قعر البئر، و استعار لفظ الأكنان و الغيابات: للغيوب باعتبار ما خفى فيها من الأسرار. ومصائخ الاسماع: خروقها. و رجع الحنين: ترديده. والمولهات: النوق فقدت اولادها. والولائج: المداخل. والاكمام جمع كم بالكسر وهو: غلاف الطلع. والمنقمع: محلّ الانقماع و هوالارتداع. ولحاء الشجرة: قشرها. والامشاج: النطفة المختلطة بالدّم. ونبات الارض: حشراتها، واستعارلها وصف العوم: باعتبار دخولها فى اعماق الرمال. والشناخيب: رؤس الجبال. والدياجير جمع ديجور و هو: الظلام. و وصف الحصن مستعار: لاشتمال امواج البحار على ما اشتملت عليه. والسدفة: الظلمة. وذرّ: طلع. وسبحات النور: مظانّه. و اثر عطف على المجرورات السابقة. والهمهمة: الصوت الخفيّ. والنقاعة: نقرة يجتمع فيها الدم و كنّى بها: عن الأرحام. و اعتورته: احاطت به. والتعداد: الكثير. تعداد: اعتبارات وصفه بالنسبة الى مخلوقاته، اذ كان له بكلّ نسبة الى كلّ جزءين منها مدحة و ثناء. و استعار لفظ معادن الخيبة: للناس باعتبار انّهم مظنّة ردّ الطالب، و مواضع الشّك فى ذلك، و باقى الفصل ظاهر. و بالله التوفيق.

٨٩ ـ وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

لما أريد على البيعة بعد قتل عثمان

دَعُونِي وَالْتَمِسُوا غَيْرِي فَإِنَّا مُسْتَقْبِلُونَ أَمْرًا لَهُ وُجُوهٌ وَأَلْوَانٌ، لَا تَقُومُ لَهُ الْقُلُوبُ، وَلَا تَثْبُتُ عَلَيْهِ الْعُقُولُ، وَإِنَّ الْآفَاقَ قَدْ أَغَامَتْ، وَالْمَحَجَّةَ قَدْ تَنَكَّرَتْ، وَاعْلَمُوا إِنْ أَجَبْتُكُمْ رَكِبْتُ بِكُمْ مَا أَعْلَمُ، وَلَمْ أُصْغِ إِلَى قَوْلِ الْقَائِلِ وَعَتْبِ الْعَاتِبِ، وَإِنْ تَرَكْتُمُونِي فَأَنَا كَأَحَدِكُمْ وَلَعَلِّي أَسْمَعُكُمْ وَأَطْوَعُكُمْ لِمَنْ وَلَّيْتُمُوهُ أَمْرَكُمْ، وَأَنَا لَكُمْ وَزِيرًا خَيْرٌ لَكُمْ مِنِّي أَمِيرًا.

اقول: اراد بذلك الامر ما كان يعلمه من اختلاف الناس عليه بضروب الشبهة الفاسدة، و فتنتهم، و استعار لفظ الوجوه والالوان لتفنّن[1] الاختلافات و وصف الغيم: لما غشي البلاد من ظلمات الظلم، و تغيّر الشريعة و وصف التنكّر: ليغيّر طريق الشريعة وجهل الناس بها، و اهمالهم لسلوكها لا تقوم لها القلوب، ولا تثبت عليه بل تنفر منه لمخالفته الدين، و وزيراً و اميراً: حالان، والعامل فيهما هوالعامل في لكم، و كونه خيراً في وزارته لانّه في امارته يَحْمِلُهُم على ما يكرهون دون حال و زارته، والله اعلم.

٩٠ ـ وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

أَمَّا بَعْدُ أَيُّهَا النَّاسُ؛ فَأَنَا فَقَأْتُ عَيْنَ الْفِتْنَةِ، وَلَمْ تَكُنْ لِيَجْرُؤَ عَلَيْهَا أَحَدٌ غَيْرِي بَعْدَ أَنْ مَاجَ غَيْهَبُهَا، وَاشْتَدَّ كَلَبُهَا، فَاسْأَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي؛ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ السَّاعَةِ، وَلَا عَنْ فِئَةٍ تَهْدِي مِائَةً وَتُضِلُّ مِائَةً إِلَّا أَنْبَأْتُكُمْ بِنَاعِقِهَا، وَقَائِدِهَا، وَسَائِقِهَا، وَمُنَاخِ رِكَابِهَا، وَمَحَطِّ رِحَالِهَا، وَمَنْ يُقْتَلُ مِنْ أَهْلِهَا قَتْلاً، وَيَمُوتُ مِنْهُمْ مَوْتاً، وَلَوقَدْ فَقَدْتُمُونِي، وَنَزَلَتْ بِكُمْ كَرَائِهُ الْأُمُورِ، وَحَوَازِبُ الْخُطُوبِ، لَأَطْرَقَ كَثِيرٌ مِنَ السَّائِلِينَ، وَفَشِلَ كَثِيرٌ مِنَ الْمَسْئُولِينَ، وَذٰلِكَ إِذَا قَلَّصَتْ حَرْبُكُمْ وَشَمَّرَتْ عَنْ سَاقٍ، وَضَاقَتِ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ ضِيقًا تَسْتَطِيلُونَ مَعَهُ أَيَّامَ الْبَلَاءِ عَلَيْكُمْ حَتَّى يَفْتَحَ اللّٰهُ لِبَقِيَّةِ الْأَبْرَارِ مِنْكُمْ؛ إِنَّ الْفِتَنَ إِذَا أَقْبَلَتْ شَبَّهَتْ، وَإِذَا أَدْبَرَتْ نَبَّهَتْ: يُنْكَرْنَ مُقْبِلَاتٍ، وَيُعْرَفْنَ مُدْبِرَاتٍ، يَحُمْنَ حَوْلَ الرِّيَاحِ يُصِبْنَ بَلَدًا وَيُخْطِئْنَ بَلَدًا، أَلَا إِنَّ أَخْوَفَ الْفِتَنِ عِنْدِي عَلَيْكُمْ فِتْنَةُ بَنِي أُمَيَّةَ؛ فَإِنَّهَا فِتْنَةٌ عَمْيَاءُ مُظْلِمَةٌ: عَمَّتْ خُطَّتُهَا، وَخَصَّتْ بَلِيَّتُهَا، وَأَصَابَ الْبَلَاءُ مَنْ أَبْصَرَ فِيهَا وَأَخْطَأَ الْبَلَاءُ مَنْ عَمِيَ عَنْهَا، وَايْمُ اللّٰهِ لَتَجِدُنَّ بَنِي أُمَيَّةَ لَكُمْ أَرْبَابَ سُوءٍ بَعْدِي كَالنَّابِ الضَّرُوسِ: تَعْذِمُ بِفِيهَا، وَتَخْبِطُ بِيَدِهَا، وَتَزْبِنُ بِرِجْلِهَا، وَتَمْنَعُ دَرَّهَا، لَا يَزَالُونَ بِكُمْ حَتَّى لَا يَتْرُكُوا مِنْكُمْ إِلَّا نَافِعًا لَهُمْ أَوْغَيْرَ ضَائِرٍ بِهِمْ، وَلَا يَزَالُ بَلَاؤُهُمْ حَتَّى لَا يَكُونَ انْتِصَارُ أَحَدِكُمْ مِنْهُمْ إِلَّا كَانْتِصَارِ الْعَبْدِ مِنْ رَبِّهِ وَالصَّاحِبِ مِنْ مُسْتَصْحِبِهِ، تَرِدُ عَلَيْكُمْ فِتْنَتُهُمْ شَوْهَاءَ مَخْشِيَّةً، وَقِطَعًا جَاهِلِيَّةً لَيْسَ فِيهَا مَنَارُ هُدًى، وَلَا عَلَمٌ يُرَى، نَحْنُ أَهْلَ الْبَيْتِ مِنْهَا

---

[1] ـ في ش: اليقين.

بِمَنْجَاةٍ، وَلَسْنَا فِيهَا بِدُعَاةٍ، ثُمَّ يُفَرِّجُهَا اللهُ عَنْكُمْ كَتَفْرِيجِ الْأَدِيمِ: بِمَنْ يَسُومُهُمْ خَسْفًا، وَيَسُوقُهُمْ عُنْفًا، وَيَسْقِيهِمْ بِكَأْسٍ مُصَبَّرَةٍ، لَايُعْطِيهِمْ إِلَّا السَّيْفَ، وَلَايُحْلِسُهُمْ إِلَّا الْخَوْفَ، فَعِنْدَ ذٰلِكَ تَوَدُّ قُرَيْشٌ، بِالدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، لَوْيَرَوْنَنِي مَقَامًا وَاحِدًا، وَلَوْ قَدْرَ جَزْرِ جَزُورٍ لِأَقْبَلَ مِنْهُمْ مَا أَطْلُبُ الْيَوْمَ بَعْضَهُ فَلَايُعْطُونَنِي.

اقول: اراد بالفتنة فتنة اهل البصرة، و استعار وصف فقاء العين: لقتله لهم وازالة فتنتهم، و قوله: ولم يكن ليجرئ عليها احد غيري لانّ الناس كانوا لايتجاسرون على قتال اهل القبلة ولايعلمون كيفية قتالهم، هل يلحقون بالكفّار في اتّباع مدبرهم والاجهاز على جريحهم و سبي ذراريهم واخذ أموالهم اذا بغوا، ام لهم حكم آخر حتّى اقدم عليه السلام على قتلهم و علّمهم كيف تصنع بهم، و استعار لفظ الغيهب و هوالظلمة: لتلك الفتنة باعتبار التباس الحقّ فيها. والكلب: الشرّ. واستعار اوصاف الإبل ولواحقها من الناعق والقائد والسائق والمناخ والركاب والرجال: للفئة الهادية والمضلّة والمهديّة والضالّة باعتبار انقيادهم لدعاتهم. وحوازب الامور: ما عظم منها و اهمّ. واطراق السائلين لحيرتهم في عواقب تلك الخطوب و كيفية الخلاص في الدّين. و قوله: و ذلك اشارة الى فشل المسئولين. و استعار وصف التقلّص و هو: التقبّض للحرب ملاحظة لشبهها بالجدّ في السعي المشمّر ثوبه. و بقية الابرار من يسلم من دولة بني اميّة في دينه و من يولد من اهل طاعة الله. و قوله: انّ الفتن اذا اقبلت شبّهت، اي: تكون في مبدء امرها مشابهة للحق في اذهان الخلق فاذا ادبرت نبّهت اذهانهم على كونها فتنة بعد وقوع الهرج والمرج واضطراب الامر.

و قوله: ينكرن، الى قوله: مدبرات: تفسير له و استعار وصف الحوم: لدورانها الموهوم، و وقوعها عن قضاء الله من دعاة الضلال في بلد، دون بلد، ملاحظة لشبهها بالطائر. و قوله: الا انّ اخوف الفتن، الى آخره: انّما كانت هذه اخوف الفتن لشدّتها وطول مدّتها وانهدام قواعدالدين بها. واستعار لها لفظ العمياء: لانّها مخالفة للحق او لجريانها على غير طريق شرعيّ كالأعمى في طريقه، و كذلك لفظ الظلمة و عموم خطتها: كناية عن احاطتها و شمولها الناس. وخصّت بليّتها اي: بأهل التقوى من شيعة

عليّ، و من بقى من الصحابة والتابعين الّذين هم اعيان الاسلام. و من أبصر فيها أي: علم كونها فتنة كان منها فى ملاء مع نفسه بالحزن الطويل لمشاهدة المنكرات، و من شأن ائمة الضّلال تتّبع من انكر افعالهم بالقتل والإذلال فكان البلاء به اخصّ، وامّا من عمى عن كونها فتنة حتى خبط معهم فى ضلالهم اخطاء هم بلاؤهم، و شبّههم فى أفعالهم الرّدية بالناب الضرس و هى: الناقة المسنّة التى تعضّ حالبها. و وجه شبه انتصارهم من ائمة الضّلال بانتصار العبد من سيّده عدم انتصافه منه الّا بالغيبة والسبّ فى الخلوة. والشآبيب جمع شؤبوب وهو: الدفعة من المطر. واستعار لفظ الشوهاء: لقبحها عقلا وشرعاً. و لفظ المنار هوالعلم: للامام العادل، باعتبار الهداية به. و قوله: نحن اهل البيت منها بمنجاة،اى: من آثامها والدعوة الى مثلها، و ليس المراد انّا سالمون من اذاها. و من يسومهم خسفاً: اشارة الى بنى العباس و ظهورهم عليهم واستيصالهم. و استعار لفظ الكأس المصبّرة: لمرارة ما يفعل بهم وتألّمهم به. و وصف الاحلاس: لالزامهم البلاء ممن يظهر عليهم. والحليس: كساء رقيق يوضع تحت قتب البعير. و قوله: حتّى، الى آخره: اشارة الى ما ينتهى اليه هذه الفرقة المتغلّبة من قريش من التراذل والضعف الى ان يتمنّوا رؤيته مقاماً واحدا.

و روى انّ مروان بن محمد آخر ملوك بنى امية قال يوم الزاب حين شاهد عبدالله ابن محمد بن على بن عبدالله بن العبّاس مارّا به فى صفّ خراسان: لوددت انّ على بن ابى طالب تحت هذه الرايات بدلاً من هذا الفتى. والقصّة مشهورة و بالله التوفيق.

٩١ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

فَتَبارَكَ اللهُ الَّذِى لَايَبْلُغُهُ بُعْدُ الْهِمَمِ، وَلَايَنالُهُ حَدْسُ الْفِطَنِ، اَلْاَوَّلُ الَّذِى لَاغَايَةَ لَهُ فَيَنْتَهِيَ، وَلَاآخِرَ لَهُ فَيَنْقَضِيَ.

اقول: الحدس فى اللّغة: الظن، و فى الاصطلاح العلمى: سرعة انتقال الذهن من المبادى الى المطالب، و قدمر تفسير اوّليته و آخريته.

منها: في وصف الانبياء

فَاسْتَوْدَعَهُمْ فِي أَفْضَلِ مُسْتَوْدَعٍ، وَأَقَرَّهُمْ فِي خَيْرِ مُسْتَقَرٍّ، تَنَاسَخَتْهُمْ كَرَائِمُ الْأَصْلَابِ إِلَى مُطَهَّرَاتِ الْأَرْحَامِ، كُلَّمَا مَضَى مِنْهُمْ سَلَفٌ قَامَ مِنْهُمْ بِدِينِ اللهِ خَلَفٌ، حَتَّى أَفْضَتْ كَرَامَةُ اللهِ سُبْحَانَهُ إِلَى مُحَمَّدٍ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَأَخْرَجَهُ مِنْ أَفْضَلِ الْمَعَادِنِ مَنْبِتاً، وَأَعَزِّ الْأَرُومَاتِ مَغْرِساً مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي صَدَعَ مِنْهَا أَنْبِيَاءَهُ، وَانْتَخَبَ مِنْهَا أُمَنَاءَهُ، عِتْرَتُهُ خَيْرُ الْعِتَرِ، وَأُسْرَتُهُ خَيْرُ الْأُسَرِ، وَشَجَرَتُهُ خَيْرُ الشَّجَرِ، نَبَتَتْ فِي حَرَمٍ، وَبَسَقَتْ فِي كَرَمٍ لَهَا فُرُوعٌ طِوَالٌ، وَثَمَرَةٌ لَا تُنَالُ، فَهُوَ إِمَامُ مَنِ اتَّقَى، وَبَصِيرَةُ مَنِ اهْتَدَى، سِرَاجٌ لَمَعَ ضَوْءُهُ، وَشِهَابٌ سَطَعَ نُورُهُ، وَزَنْدٌ بَرَقَ لَمْعُهُ، سِيرَتُهُ الْقَصْدُ وَسُنَّتُهُ الرُّشْدُ، وَكَلَامُهُ الْفَصْلُ، وَحُكْمُهُ الْعَدْلُ، عَلَى حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ وَهَفْوَةٍ عَنِ الْعَمَلِ، وَغَبَاوَةٍ مِنَ الْأُمَمِ.

اِعْمَلُوا، رَحِمَكُمُ اللهُ، عَلَى أَعْلَامٍ بَيِّنَةٍ، فَالطَّرِيقُ نَهْجٌ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَأَنْتُمْ فِي دَارِ مُسْتَعْتَبٍ عَلَى مَهَلٍ وَفَرَاغٍ، وَالصُّحُفُ مَنْشُورَةٌ، وَالْأَقْلَامُ جَارِيَةٌ، وَالْأَبْدَانُ صَحِيحَةٌ، وَالْأَلْسُنُ مُطْلَقَةٌ، وَالتَّوْبَةُ مَسْمُوعَةٌ وَالْأَعْمَالُ مَقْبُولَةٌ.

اقول: الاشارة الى الانبياء عليهم السلام، و افضل مستودع استودعهم فيه، امّا نفوسهم فحضائر القدس و منازل الملائكة فى مقعد صدق عند مليك مقتدر. و امّا أبدانهم و اصولها فكرايم الاصلاب التى هى مستودع النّطف، و ارحام المطهّرات التى هى مفازها. والشيعة يطهّرون اصول الانبياء من طرف الآباء والامّهات عن الشرك . واليه اشار الرسول صلّى الله عليه وآله بقوله: (نقلنا من الاصلاب الطاهرة الى الارحام الزكيّة)[1].

و امضت: انتهت، و كنّى بكرامة الله عن: النبوّة. و استعار لفظ المعدن والمغرس والمنبت: لطينة النبوّة و هى مادّته القريبة التى استعدّت لقبول مثله. و قيل: اراد بذلك مكة. و قيل: بيته و قبيلته. والارومة: الاصل، و لفظ الشجرة: لقريش. و عترة الرجل: نسله و اسرته و قومه، و وجه افضليّة عترته قوله صلّى الله عليه و آله: (سادة اهل المحشر سادة اهل الدنيا انا، و علىّ وحسن وحسين و حمزة و جعفر)[2]. و وجه افضليّة اسرته قوله

١ ـ دلائل النبوة/ ٢٤. تفسير الفخر الرازى ١٧٣/٢٤.

٢ ـ مستدرك الصحيحين ٢١١/٣. تاريخ بغداد ٤٣٤/٩.

صلّى الله عليه وآله: (انّ الله اصطفى من العرب معداً، واصطفى من معدبنى النضر بن كنانة، واصطفى هاشماً من بني النضر، واصطفانى من بني هاشم). وقوله: (الناس تبع لقريش برّهم لبرّهم، و فاجرهم لفاجرهم).

و قيل: اراد بالشجرة في الموضعين ابراهيم عليه السلام. و قيل: اراد هاشما و ولده بقرينة قوله: نبتت في حرم و اراد مكة. و بسقت: طابت و كني بفروعها عن: مثله عليه السلام و ذريّته و بوصفهم بالطول عن بلوغهم في الشرف الغاية البعيدة. واستعار لفظ الثمرة: لكمالهم الّذى لايُدرك من العلوم والاخلاق الكريمة. واستعار لفظ البصيرة والسراج والشبهات والزند له: باعتبار كونه سبب هداية الخلق بانوارالدين. والفصل: الفاصل بين الحق والباطل. والهفوة: الذلّة. والغباوة: الجهل. واستعار لفظ الاعلام: لأئمة الدين و دلائله الواضحة وطريق نهج واضح. ودار مستعتب اى: يمكن فيها طلب العتبى، و هو الرجوع الى الحق. و قيل: اى داريمكنهم فيها ان يطلبوا من الله العتبى وهو: الرضى والعفوعنهم. والمنشورة: صحف الأعمال. والجارية: اقلام الكرام الكاتبين.

۹۲ ـ وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

بَعَثَهُ وَالنَّاسُ ضُلاَّلٌ فِي حَيْرَةٍ، وَخَابِطُونَ فِي فِتْنَةٍ، قَدِ اسْتَهْوَتْهُمُ الْأَهْوَاءُ وَاسْتَزَلَّتْهُمُ الْكِبْرِيَاءُ، وَاسْتَخَفَّتْهُمُ الْجَاهِلِيَّةُ الْجَهْلاَءُ. حَيَارَى فِي زَلْزَالٍ مِنَ الْأَمْرِ، وَبَلاَءٍ مِنَ الْجَهْلِ، فَبَالَغَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي النَّصِيحَةِ، وَمَضَى عَلَى الطَّرِيقَةِ، وَدَعَا إِلَى الْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ.

اقول: الخبط: المشي على غيرطريق. و روى خابطون و هومستعار: لجمعهم في فتنتهم مالاينبغي من اقوال، وافعال. واستزلّهم: استخفّهم. والجهلاء: وصف لما اشتقّ من الموصوف تأكيداً كما قال: ليل أليل، والطريقة التى مضى عليها: سبيل الله، ودعوته الى الحكمة والبرهان والى الموعظة الحسنة بالخطابة. و بالله التوفيق.

٩٣ ـ وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْأَوَّلِ فَلاَ شَيْءَ قَبْلَهُ، وَالآخِرِ فَلاَ شَيْءَ بَعْدَهُ؛ وَالظَّاهِرِ فَلاَ شَيْءَ فَوْقَهُ، وَالْبَاطِنِ فَلاَ شَيْءَ دُونَهُ.

اقول: المراد بالظاهرهنا العال لتأكيده بنفى الفوقية عنه، والباطن هو: الّذى بطن خفيات الامور، علماً، وهواقرب الاشياءاليهابهذاالاعتبارفلذلك سلب ما هودونه اى: ماهو اقرب اليها منه، وقد سبق بيان هذه الاعتبارات.

منها فى ذكر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم:

مُسْتَقَرُّهُ خَيْرُ مُسْتَقَرٍّ، وَمَنْبِتُهُ أَشْرَفُ مَنْبِتٍ، فِي مَعَادِنِ الْكَرَامَةِ، وَمَمَاهِدِ السَّلاَمَةِ، قَدْ صُرِفَتْ نَحْوَهُ أَفْئِدَةُ الْأَبْرَارِ، وَثُنِيَتْ إِلَيْهِ أَزِمَّةُ الْأَبْصَارِ، دَفَنَ بِهِ الضَّغَائِنَ، وَأَطْفَأَ بِهِ الثَّوَائِرَ، أَلَّفَ بِهِ إِخْوَاناً، وَفَرَّقَ بِهِ أَقْرَاناً أَعَزَّ بِهِ الذِّلَّةَ، وَأَذَلَّ بِهِ الْعِزَّةَ، كَلاَمُهُ بَيَانٌ، وَصَمْتُهُ لِسَانٌ.

اقول: مستقرّه: مكة، وهى خير مستقرّ لكونها امّ القرى، ومحلّ بيت الله الحرام. واستعار مماهد السّلامة: لأراضى الحجاز كالمدينة ومكة لكونهما محلّ العبادة والخلوة بالله والسّلامة من عذابه. ويحتمل ان يريد ما ينقلب فيه، وينشأ عليه من مكارم الاخلاق الممهّدة للسلامة من سخط الله، وفى قوله: قد صرفت: تنبيه على انّ الصارف لافئدة الابرار اليه، هو: لطف الله تعالى، وعنايته بهم. وثنيت اى: صرُفت. والأقران المفرّق لهم: المتالّفون على الشرك والذلّة التى اعزّها به ذلّة المسلمين، والذلّة التى اذلّها به عزّة المشركين. وقوله: وصمته لسان اى: انّ سكوته مما يفيد حكما ككلامه، فانّ الصحابة كانوا اذا فعلوا فعلاً على عادتهم فسكت عنه علموا انّه مباح فى الدين، فاشبه ذلك البيان باللسان فاستعار لفظه له.

٩٤ ـ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

وَلِئِنْ أَمْهَلَ الظَّالِمَ فَلَنْ يَفُوتَ أَخْذُهُ، وَهُوَ لَهُ بِالْمِرْصَادِ عَلَى مَجَازِ طَرِيقِهِ، وَبِمَوْضِعِ الشَّجَى مِنْ مَسَاغِ رِيقِهِ، أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيَظْهَرَنَّ هٰؤُلَاءِ الْقَوْمُ عَلَيْكُمْ، لَيْسَ لِأَنَّهُمْ أَوْلَى بِالْحَقِّ مِنْكُمْ، وَلٰكِنْ لِإِسْرَاعِهِمْ إِلَى بَاطِلِ صَاحِبِهِمْ وَإِبْطَائِكُمْ عَنْ حَقِّي. وَلَقَدْ أَصْبَحَتِ الْأُمَمُ تَخَافُ ظُلْمَ رُعَاتِهَا، وَأَصْبَحْتُ أَخَافُ ظُلْمَ رَعِيَّتِي: اسْتَنْفَرْتُكُمْ لِلْجِهَادِ فَلَمْ تَنْفِرُوا، وَأَسْمَعْتُكُمْ فَلَمْ تَسْمَعُوا، وَدَعَوْتُكُمْ سِرًّا وَجَهْرًا فَلَمْ تَسْتَجِيبُوا، وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَلَمْ تَقْبَلُوا أَشُهُودٌ كَغُيَّابٍ، وَعَبِيدٌ كَأَرْبَابٍ؟؟!! أَتْلُوا عَلَيْكُمُ الْحِكَمَ فَتَنْفِرُونَ مِنْهَا، وَأَعِظُكُمْ بِالْمَوْعِظَةِ الْبَالِغَةِ فَتَتَفَرَّقُونَ عَنْهَا، وَأَحُثُّكُمْ عَلَى جِهَادِ أَهْلِ الْبَغْيِ فَمَا آتِي عَلَى آخِرِ الْقَوْلِ حَتَّى أَرَاكُمْ مُتَفَرِّقِينَ أَيَادِي سَبَا تَرْجِعُونَ إِلَى مَجَالِسِكُمْ وَتَتَخَادَعُونَ عَنْ مَوَاعِظِكُمْ، أُقَوِّمُكُمْ غُدْوَةً وَتَرْجِعُونَ إِلَيَّ عَشِيَّةً كَظَهْرِ الْحَنِيَّةِ عَجَزَ الْمُقَوِّمُ، وَأَعْضَلَ الْمُقَوَّمُ.

أَيُّهَا الشَّاهِدَةُ أَبْدَانُهُمْ، الْغَائِبَةُ عُقُولُهُمْ الْمُخْتَلِفَةُ أَهْوَاؤُهُمْ الْمُبْتَلَى بِهِمْ أُمَرَاؤُهُمْ صَاحِبُكُمْ يُطِيعُ اللهَ وَأَنْتُمْ تَعْصُونَهُ، وَصَاحِبُ أَهْلِ الشَّامِ يَعْصِي اللهَ وَهُمْ يُطِيعُونَهُ؟! لَوَدِدْتُ وَاللهِ أَنَّ مُعَاوِيَةَ صَارَفَنِي بِكُمْ صَرْفَ الدِّينَارِ بِالدِّرْهَمِ، فَأَخَذَ مِنِّي عَشَرَةً مِنْكُمْ وَأَعْطَانِي رَجُلاً مِنْهُمْ.

يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ، مُنِيتُ مِنْكُمْ بِثَلَاثٍ وَاثْنَتَيْنِ: صُمٌّ ذَوُو أَسْمَاعٍ، وَبُكْمٌ ذَوُو كَلَامٍ، وَعُمْيٌ ذَوُو أَبْصَارٍ، لَا أَحْرَارُ صِدْقٍ عِنْدَ اللِّقَاءِ، وَلَا إِخْوَانُ ثِقَةٍ عِنْدَ الْبَلَاءِ. تَرِبَتْ أَيديكم.

يَا أَشْبَاهَ الْإِبِلِ غَابَ عَنْهَا رُعَاتُهَا؛ كُلَّمَا جُمِعَتْ مِنْ جَانِبٍ تَفَرَّقَتْ مِنْ جَانِبٍ آخَرَ، وَاللهِ لَكَأَنِّي بِكُمْ فِيمَا إِخَالُ أَنْ لَوْ حَمِسَ الْوَغَى، وَحَمِيَ الضِّرَابُ، وَقَدِ انْفَرَجْتُمْ عَنِ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ انْفِرَاجَ الْمَرْأَةِ عَنْ قُبُلِهَا، وَإِنِّي لَعَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي، وَمِنْهَاجٍ مِنْ نَبِيِّي، وَإِنِّي لَعَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ أَلْقُطُهُ لَقْطًا انْظُرُوا أَهْلَ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ فَالْزَمُوا سَمْتَهُمْ، وَاتَّبِعُوا أَثَرَهُمْ، فَلَنْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ هُدًى وَلَنْ يُعِيدُوكُمْ فِي رَدًى. فَإِنْ لَبَدُوا فَالْبُدُوا، وَإِنْ نَهَضُوا فَانْهَضُوا، وَلَا تَسْبِقُوهُمْ فَتَضِلُّوا، وَلَا تَتَأَخَّرُوا عَنْهُمْ فَتَهْلِكُوا، لَقَدْ رَأَيْتُ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَمَا أَرَى أَحَدًا مِنْكُمْ يُشْبِهُهُمْ! لَقَدْ كَانُوا يُصْبِحُونَ شُعْثًا غُبْراً، وَقَدْ بَاتُوا سُجَّدًا وَقِيَامًا، يُرَاوِحُونَ بَيْنَ جِبَاهِهِمْ وَخُدُودِهِمْ، وَيَقِفُونَ عَلَى مِثْلِ الْجَمْرِ مِنْ ذِكْرِ مَعَادِهِمْ! كَأَنَّ بَيْنَ

أَعْيُنِهِمْ رُكَبَ ٱلْمِعْزَى، مِنْ طُولِ سُجُودِهِمْ! إِذَا ذُكِرَ ٱللهُ هَمَلَتْ أَعْيُنُهُمْ حَتَّى تَبُلَّ جُيُوبَهُمْ، وَمَادُوا كَمَا يَمِيدُ الشَّجَرُ يَوْمَ الرِّيحِ الْعَاصِفِ، خَوفًا مِنَ الْعِقَابِ، وَرَجَاءً لِلثَّوَابِ.

اقول: المرصاد: الطريق يرصدبها. والشّجى: الغصص. وقوله: ولئن امهل الله، الى قوله: ريقه: في معرض الوعيد لمعاوية و اهل الشام بأخذ وعقوبة. والقوم: اهل الشام. وشبّههم في شهودهم بالغيّاب لعدم فائدة خطابهم. وبالارباب مع كونهم رعيّة من شأنهم التعبّد لأوامر امامهم، اولانّ فيهم عبيداً. و وجه الشبه كونهم لايأتمرون لأميرهم. وايادي سبا مثل: و هما اسمان جعلا اسمًا واحداً كمعدى كرب. وسبا: قبيلة من اولاد سبأ بن يشحب بن يعرب بن قحطان. وهذه القبيلة كانت بمأرب وقصتهم في تفرّقهم مشهورة يضرب بها المثل. و شبّه رجوعهم عن الصلاح مظهر الخيبة و هي: القوس. واعضل: اشكل، و انّما قال:

بثلاث و اثنتين لتناسب الثلاث، وكون الثنتين من نوع واحد فالثلاث اثبات والثنتيان سلب و استعار لهم: وصف الصمّ والبكم والعمى، باعتبار عدم انتفاعهم بهذه الالآت في طاعة الله. ولا احرار صدق لعدم خلوص حرّيتهم من الجبن والغشّ. و تربت: اصابت التراب و هودعاء بالخيبة والحرمان. و يروى عوض جمّعت: حيصت اى: جمعت ايضا. و اخال: احسب. و حمس الوغى: اشتدّت الحرب. ولفظ الطريق اذا مشى على بصيرة وَ تُؤَدَة، ويلزم ذلك ان يعرفها خلاف المستعجل فيها. ولبدوا سكنوا، واراد: ان سكنوا عن طلب الأمر فاتبعوهم في ذلك، و ان نهضوا فى طلبه فانهضوا و لا تسبقوهم اى: الى امرلم يتقدّموا فيه، فانّ التقدّم على الدليل مظنّة الضلال عن القصد، و ان لا تتاخّروا عن امتثال اوامرهم بالمخالفة لهم اوعدم متابعتهم.

والشعث الغبر كناية: عن قشفهم و تركهم لزينة الدنيا. وكنّى بوقوفهم على مثل الجمر عن خوفهم من ذكر معادهم، و بالله التوفيق.

٩٥ - وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

وَٱللهِ لَا يَزَالُونَ حَتَّى لَا يَدَعُوا لِلهِ مُحَرَّمًا إِلَّا ٱسْتَحَلُّوهُ، وَلَا عَقْدًا إِلَّا حَلُّوهُ وَحَتَّى لَا يَبْقَى بَيْتُ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا دَخَلَهُ ظُلْمُهُمْ، وَنَبَا بِهِ سُوءُ رَعْيِهِمْ، وَحَتَّى يَقُومَ الْبَاكِيَانِ يَبْكِيَانِ: بَاكٍ يَبْكِي لِدِينِهِ، وَبَاكٍ يَبْكِي لِدُنْيَاهُ، وَحَتَّى تَكُونَ نُصْرَةُ أَحَدِكُمْ مِنْ أَحَدِهِمْ كَنُصْرَةِ الْعَبْدِ مِنْ سَيِّدِهِ: إِذَا شَهِدَ أَطَاعَهُ، وَإِذَا غَابَ ٱغْتَابَهُ، وَحَتَّى يَكُونَ أَعْظَمُكُمْ فِيهَا عَنَاءً أَحْسَنَكُمْ بِاللهِ ظَنًّا، فَإِنْ أَتَاكُمُ ٱللهُ بِعَافِيَةٍ فَاقْبَلُوا؛ وَإِنِ ٱبْتُلِيتُمْ فَاصْبِرُوا، فَإِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ.

٩٦ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

نَحْمَدُهُ عَلَى مَا كَانَ، وَنَسْتَعِينُهُ مِنْ أَمْرِنَا عَلَى مَا يَكُونُ، وَنَسْأَلُهُ الْمُعَافَاةَ فِي الْأَدْيَانِ، كَمَا نَسْأَلُهُ الْمُعَافَاةَ فِي الْأَبْدَانِ.

عِبَادَ ٱللهِ؛ أُوصِيكُمْ بِالرَّفْضِ لِهٰذِهِ الدُّنْيَا التَّارِكَةِ لَكُمْ، وَإِنْ لَمْ تُحِبُّوا تَرْكَهَا وَالْمُبْلِيَةِ لِأَجْسَامِكُمْ، وَإِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ تَجْدِيدَهَا؛ فَإِنَّمَا مَثَلُكُمْ وَمَثَلُهَا كَسَفْرٍ سَلَكُوا سَبِيلاً فَكَأَنَّهُمْ قَدْ قَطَعُوهُ، وَأَمُّوا عَلَماً، فَكَأَنَّهُمْ قَدْ بَلَغُوهُ، وَكَمْ عَسَى الْمُجْرِي إِلَى الْغَايَةِ أَنْ يَجْرِيَ إِلَيْهَا، حَتَّى يَبْلُغَهَا، وَمَا عَسَى أَنْ يَكُونَ بَقَاءُ مَنْ لَهُ يَوْمٌ لَا يَعْدُوهُ؟ وَطَالِبٌ حَثِيثٌ يَحْدُوهُ فِي الدُّنْيَا حَتَّى يُفَارِقَهَا؟ فَلَا تَنَافَسُوا فِي عِزِّ الدُّنْيَا وَفَخْرِهَا، وَلَا تَعْجَبُوا بِزِينَتِهَا وَنَعِيمِهَا، وَلَا تَجْزَعُوا مِنْ ضَرَّائِهَا وَبُؤْسِهَا؛ فَإِنَّ عِزَّهَا وَفَخْرَهَا إِلَى ٱنْقِطَاعٍ، وَإِنَّ زِينَتَهَا وَنَعِيمَهَا إِلَى زَوَالٍ وَضَرَّاءَهَا وَبُؤْسَهَا إِلَى نَفَادٍ، وَكُلُّ مُدَّةٍ فِيهَا إِلَى ٱنْتِهَاءٍ، وَكُلُّ حَيٍّ فِيهَا إِلَى فَنَاءٍ، أَوَلَيْسَ لَكُمْ فِي آثَارِ الْأَوَّلِينَ مُزْدَجَرٌ، وَفِي آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ تَبْصِرَةٌ وَمُعْتَبَرٌ، إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ؟ أَوَلَمْ تَرَوْا إِلَى الْمَاضِينَ مِنْكُمْ لَا يَرْجِعُونَ؟ وَإِلَى الْخَلَفِ الْبَاقِينَ لَا يَبْقَوْنَ؟ أَوَلَسْتُمْ تَرَوْنَ أَهْلَ الدُّنْيَا يُصْبِحُونَ وَيُمْسُونَ عَلَى أَحْوَالٍ شَتَّى: فَمَيِّتٌ يُبْكَى، وَآخَرُ يُعَزَّى، وَصَرِيعٌ مُبْتَلًى، وَعَائِدٌ يَعُودُ، وَآخَرُ بِنَفْسِهِ يَجُود، وَطَالِبٌ لِلدُّنْيَا وَالْمَوْتُ يَطْلُبُهُ، وَغَافِلٌ وَلَيْسَ بِمَغْفُولٍ عَنْهُ؟؟!! وَعَلَى أَثَرِ الْمَاضِي مَا يَمْضِي الْبَاقِي.

أَلَا فَاذْكُرُوا هَادِمَ اللَّذَّاتِ، وَمُنَغِّصَ الشَّهَوَاتِ، وَقَاطِعَ الْأُمْنِيَّاتِ، عِنْدَ الْمُسَاوَرَةِ لِلْأَعْمَالِ الْقَبِيحَةِ، وَاسْتَعِينُوا اللهَ عَلَى أَدَاءِ وَاجِبِ حَقِّهِ، وَمَا لَا يُحْصَى مِنْ أَعْدَادِ نِعَمِهِ وَإِحْسَانِهِ.

أقول: خصّ الحمد بما كان لانّ الشكر على النعمة مترتّب على وقوعها، والاستعانة بما يكون،لانّ طلب المعونة انّما هو فيما يتوقّع فعله، ولما كان للاديان سقمًا اشدّ من سقم الأبدان، وهو: مرض النفوس بداء الجهل، و رذائل الاخلاق،سأل العافية فيها، و رفض الدنيا: تركها. والسفر: المسافرون. وفائدةكان في الموضعين تقريب الاحوال المستقبلة. من الاحوال الواقعه وكم عسى، وماعسى، استفهام تحقيرلما يرجى من البقاء في الدنيا. وكنّى بالطالب: الحثيث عن الموت، واستعار وصف الحد و لمايتوهم من سوق اسباب الموت اليه. و ما في قوله: ما يمضي: مصدريّة. و كنّى بها دم اللذّات: عن الموت. والمساورة: المواثبة. و انّما اتى بوزن المفاعلة باعتبار انّ الفعل القبيح، لابد فيه من ممانع كواضع الشرع والعرف فيتوهم فيه معنى المواثبة.و باقي الفصل ظاهر.

٩٧ ـ وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ النَّاشِرِ فِي الْخَلْقِ فَضْلَهُ، وَالْبَاسِطِ فِيهِمْ بِالْجُودِ يَدَهُ. نَحْمَدُهُ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ، وَنَسْتَعِينُهُ عَلَى رِعَايَةِ حُقُوقِهِ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ: أَرْسَلَهُ بِأَمْرِهِ صَادِعًا، وَبِذِكْرِهِ نَاطِقًا، فَأَدَّى أَمِينًا، وَمَضَى رَشِيدًا. وَخَلَّفَ فِينَا رَايَةَ الْحَقِّ: مَنْ تَقَدَّمَهَا مَرَقَ، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا زَهَقَ، وَمَنْ لَزِمَهَا لَحِقَ، دَلِيلُهَا مَكِيثُ الْكَلَامِ، بَطِيءُ الْقِيَامِ، سَرِيعٌ إِذَا قَامَ. فَإِذَا أَنْتُمْ أَلَنْتُمْ لَهُ رِقَابَكُمْ، وَأَشَرْتُمْ إِلَيْهِ بِأَصَابِعِكُمْ، جَاءَهُ الْمَوْتُ فَذَهَبَ بِهِ، فَلَبِثْتُمْ بَعْدَهُ مَا شَاءَ اللهُ، حَتَّى يُطْلِعَ اللهُ لَكُمْ مَنْ يَجْمَعُكُمْ، وَيَضُمُّ نَشْرَكُمْ فَلَا تَطْمَعُوا فِي غَيْرِ مُقْبِلٍ، وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ مُدْبِرٍ؛ فَإِنَّ الْمُدْبِرَ عَسَى أَنْ تَزِلَّ إِحْدَى قَائِمَتَيْهِ، وَتَثْبُتَ الْأُخْرَى، وَتَرْجِعَا حَتَّى تَثْبُتَا جَمِيعًا.

أَلَا إِنَّ مَثَلَ آلِ مُحَمَّدٍ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، كَمَثَلِ نُجُومِ السَّمَاءِ: إِذَا خَوَى نَجْمٌ طَلَعَ

نَجْمٌ، فَكَأَنَّكُمْ قَدْ تَكَامَلَتْ مِنَ ٱللهِ فِيكُمُ الصَّنَائِعُ، وَ أَرَاكُمْ مَاكُنْتُمْ تَأْمُلُونَ.

اقول: لفظ اليد مجاز فى النعمة اطلاقا لاسم السبب على المسبّب. واقتصّ فى الفصل ما يكون بعده من امر الائمة. والصدع: الشّق، وذلك انه صلّى الله عليه وآله صدع بأمر الله، بيضة الشرك و شقّ عصا المشركين، و قطع ما اتّصل من كفرهم و دام من عقائدهم الباطلة. و روى بذكره ناطقا. و استعار لفظ الراية: لكتاب الله و سنّة رسوله. و اشار بتقدّمها: الى طرف الافراط من فضيلة الاستقامة عليها و بالتخلّف عنها الى طرف التفريط منها، والتقصير و كنّى بدليلها: عن نفسه اذ كان هوالهادى بالكتاب والسنّة الى سبيل الله، كما يهدى حامل الراية بها. و كنّى بكونه مكيث الكلام اى: بعيئه عن تأنّيه فى حركاته في الامور الى حين تبيّن الرأى الأصلح، و بسرعة قيامه عن: مبادرته إلى الامر حين ظهور وجه المصلحة فيه وانتهازه الفرصة. و بالانة رقابكم[1] له عن: خضوعهم لطاعته. وباشارتهم اليه بِالاصابع عن: اشتهاره فيهم و تعيّنه، و تعظيمهم له. و نبّه بقوله: فلبثتم بعده ماشاءالله: على انّهم يخلون عن امام يجمعُهُم مُدّة، واراد مدّة دولة بنى اميّة. وبقوله: حتى يطلع الله، الى قوله: نشركم: على انّه لابدّ لهم بعد تلك المدّة من شخص يجمعهم و طلوعه: ظهوره، و تعيّنه للرياسة بعد اختفاء، فقيل: هوالامام المنتظر. و قيل: هو قيام بنى العباس بعد بنى اميّة. وقوله: فلا تطمعوا فى غير مقبل، اى: من يقبل على طلب هذا الامر ممن هو له، و اثر تركه الى الخلوة بالله فلا تطمعوا فيه فانّ لله به شغلا. و قيل: اراد بغير المقبل من انحرف عن الدين بارتكاب منكر فانّه لايجوز الطمع فى ان يكون امراً لكم. و روى: فلا تطعنوا في عين مقبل اى: من اقبل عليكم من اهل البيت طالباً لهذا الامر و هو من اهله فكونوا معه.

و كنّى بالطعن فى عينه: عن دفعه عمّا يريد. و قوله: ولا تيأسوا من مدبر، الى قوله: تثبّتا جميعا: اى من ادبر عن طلب الخلافة من اهلهافلا تيأسوا من عوده الى الطلب، فعساه انّما ادبر لاختلال بعض الشرائط التى يتعيّن عليه معها القيام. واشار بزوال احدى قائمتيه الى فقده لبعض الشرائط كعدم الناصر و نحوه. و بثبات الاخرى الى وجدانه لبعضها. و

[1] ـ في ش: رقابهم.

بقوله، فيرجعاحتى تثبّتا اليّ بكامل شرائط قيامه.

و اراد بآل محمد: الائمّة منهم، قالت الاماميّة: هم الاثناعشر من اهل البيت عليهم السلام. و اشار الى وجه شبههم بالنجوم، بقوله: كلّما خوى نجم اى: سقط للمغيب، اى: كلّما خلاسيّد منهم قام بالأمر بعده سيّد. والامامية يستدلّون بذلك بعد بيان عصمته عليه السلام، انّه لايخلو زمان من ازمنة التكليف عن وجود قائم من اهل البيت عليهم السلام يهدى الى الحق، و الى طريق مستقيم. و قوله: فكأنّكم الى آخره: تنبيه على منة الله عليهم بامام منتظر يظهر فيصلح بوجوده احوالهم، و يتكامل به نعم الله لديهم.

۹۸ ـ وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

(يشتمل على ذكر الملاحم ...)

الْأَوَّلُ قَبْلَ كُلِّ أَوَّلٍ، وَالآخِرُ بَعْدَ كُلِّ آخِرٍ، بِأَوَّلِيَّتِهِ وَجَبَ أَنْ لاَأَوَّلَ لَهُ وَ بِآخِرِيَّتِهِ وَجَبَ أَنْ لاَآخِرَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَإِلٰهَ إِلاَّ اللهُ شَهَادَةً يُوَافِقُ فِيهَا السِّرُّ الْإِعْلاَنَ، وَالْقَلْبُ اللِّسَانَ.

أَيُّهَا النَّاسُ، لاَيَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي، وَلاَيَسْتَهْوِيَنَّكُمْ عِصْيَانِي، وَلاَ تَتَرَامَوْا بِالْأَبْصَارِ عِنْدَ مَا تَسْمَعُونَهُ مِنِّي، فَوَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، إِنَّ الَّذِي أُنَبِّئُكُمْ بِهِ عَنِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، مَاكَذَبَ الْمُبَلِّغُ، وَلاَجَهِلَ السَّامِعُ. وَلَكِنِّي أَنْظُرُ إِلَى ضِلِّيلٍ، قَدْ نَعَقَ بِالشَّامِ، وَفَحَصَ بِرَايَاتِهِ، فِي ضَوَاحِي كُوفَانَ. فَإِذَا فَغَرَتْ فَاغِرَتُهُ، وَاشْتَدَّتْ شَكِيمَتُهُ، وَثَقُلَتْ فِي الْأَرْضِ وَطْأَتُهُ عَضَّتِ الْفِتْنَةُ أَبْنَاءَهَا بِأَنْيَابِهَا، وَمَاجَتِ الْحَرْبُ بِأَمْوَاجِهَا وَبَدَا مِنَ الْأَيَّامِ كُلُوحُهَا، وَمِنَ اللَّيَالِي كُدُوحُهَا، فَإِذَا أَيْنَعَ زَرْعُهُ، وَقَامَ عَلَى يَنْعِهِ، وَهَدَرَتْ شَقَاشِقُهُ، وَبَرَقَتْ بَوَارِقُهُ، عُقِدَتْ رَايَاتُ الْفِتَنِ الْمُعْضِلَةِ وَأَقْبَلْنَ كَاللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، وَالْبَحْرِ الْمُلْتَطِمِ، هٰذَا، وَكَمْ يَخْرِقُ الْكُوفَةَ مِنْ قَاصِفٍ، وَيَمُرُّ عَلَيْهَا مِنْ عَاصِفٍ، وَعَنْ قَلِيلٍ تَلْتَفُّ الْقُرُونُ بِالْقُرُونِ، وَيُحْصَدُ الْقَائِمُ، وَيُحْطَمُ الْمَحْصُودُ.

اقول: لما كان معنى اوليّته كونه مبدأ لكل موجود، و معنى آخريته كونه غاية ينتهى

اليها كل شئ فى جميع احواله، علم من ذلك انّ لا اوّل له و لا آخر والّا لم يكن اوّلا وآخرا بالمعنيين المذكورين. ولايجرمنكم اى: لايحق عليكم. واستهواه: اشتماله. والضليل: كثير الضلال، قيل: هو اشارة الى السفياني، والدجّال. و قيل: اراد معاوية، فانّ مبدء دولته بالشام، و دعوته بها، و انتهت غاراته الى نواحي كوفان، والانبار. و كوفان: اسم للكوفة. والضواحي: النواحي البارزة. و فحص الطائر برجله الارض: بحثها. فغرفوه: انفتح، هو كناية عن اقدامه و قوّة طمعه فى امرالناس. واشتداد شكيمته: قوّة بأسه وشدّته. و قيل: اراد عبدالملك بن مروان. و استعار وصف العضّ: للفتنة باعتبار شدّتها ولزومها الناس. و رشح بذكر الانياب والكلوح: تكثر فى العبوس و هو مجاز فى الشدّة. والكدح: فوق الخدش و كنى به: عن اذى الفتنة. واينع الزرع: ادرك و استعار و صفه لتمام فعله، و لفظ الشقائق والبروق: بحركاته الهائلة واحواله المخوفة، و اراد انّ هذا الخارج اذا تمت فتنته اثارت فتنا كثيرة بعدها يكون فيها الهرج والمرج. و شبه تلك الفتن فى اقبالها: بالليل المظلم، باعتبار انّه لايُهتدى فيها للحق كما لايُهتدى فى الظلمة. و بالبحر الملتطم: باعتبار عظمها. و اشار الى ما يلحق الكوفة بسبب تلك الفتنة من الوقائع والفتن. و استعار و صفى القاصف والعاصف: لما يمرّبها من الشدائد كالريح، و قد وقع فيها وفق اخباره فتن كثيرة و وقائع جمة كفتنة الحجّاج والمختار. و اشار بالتفاف بعض القرون ببعض: الى اجتماعهم فى بطن الارض. و استعارلهم وصف الحصد والحطم: ملاحظة لشبههم بما يحصد من الزرع و يداس، و بالله التوفيق.

٩٩ ـ وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

تجري هذا المجرى ...

١ وَ ذٰلِكَ يَوْمٌ يَجْمَعُ اللهُ فِيهِ الْأَوَّلِينَ وَ الآخِرِينَ لِنِقَاشِ الْحِسَابِ، وَجَزَاءِ الْأَعْمَالِ، خُضُوعًا، قِيَامًا، قَدْ أَلْجَمَهُمُ الْعَرَقُ، وَ رَجَفَتْ بِهِمُ الْأَرْضُ؛ فَأَحْسَنُهُمْ حَالاً مَنْ وَجَدَ لِقَدَمَيْهِ مَوْضِعًا، وَلِنَفْسِهِ مُتَّسَعًا.

اقول:الفصل اقتصاص لبعض أهوال يوم القيامة، و نقاش الحساب: الاستقصاء فيه. والجمهم العرق: بلغ منهم الافواه، و هو كناية: عن غاية الشدّة.

منها:

فِتَنٌ كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، لَا تَقُومُ لَهَا قَائِمَةٌ، وَلَا تُرَدُّ لَهَا رَايَةٌ، تَأْتِيكُمْ مَزْمُومَةً مَرْحُولَةً: يَحْفِزُهَا قَائِدُهَا، وَيُجْهِدُهَا رَاكِبُهَا، أَهْلُهَا قَوْمٌ شَدِيدٌ كَلَبُهُمْ، قَلِيلٌ سَلَبُهُمْ، يُجَاهِدُهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ قَوْمٌ أَذِلَّةٌ عِنْدَ الْمُتَكَبِّرِينَ، فِي الْأَرْضِ مَجْهُولُونَ، وَفِي السَّمَاءِ مَعْرُوفُونَ، فَوَيْلٌ لَكِ يَابَصْرَةُ عِنْدَ ذٰلِكَ، مِنْ جَيْشٍ مِنْ نِقَمِ اللهِ لَارَهَجَ لَهُ، وَلَاحَسَّ، وَسَيُبْتَلَى أَهْلُكِ بِالْمَوْتِ الْأَحْمَرِ، وَالْجُوعِ الْأَغْبَرِ.

اقول : انذر فى هذا الفصل بما سيقع بعده من الفتن و خص فتنة صاحب الزنج بالبصرة.و شبهها بقطع الليل المظلم فى كونها لايهتدى فيها لوجه الخلاص منها. و كنى: بكونها لايقوم لها قائمة الى قوله: راية عن شدّتها، و اراد بقائدها: منشيها، و براكبها: اعوانه فيها استعارة. و كذلك حفزها و هو: سوقها، و جهدها سرعتهم فيها: استعارة اوصاف الناقة المركوبة لغاية اشتد طلبها فى الفتن، واهلها: الزنج و كلبهم: شرّهم. وقليل سلبهم: اذ لم يكونوا اهل حرب و عدّة و خيل. و وصف مقاتليهم بأوصاف المتّقين ويحتمل ان يريد بمجاهدتهم فى الله اخلاص همّهم فى دفعهم و هلاكهم، و ظاهر انّه لم يكن للريح رهج و هو: الغبار و لاحسّ اذ لم يكن له خيل و لاقعقعة لجم، و ظاهره انّهم من نقم الله للعصاة و ان عمّت الفتنة اذ قلّما يخص الفتنة بقوم كما قال تعالى : (واتّقوا فتنة لا تصيبنّ الذين ظلموا منكم خاصّة)[1] والموت الأحمر كناية: عن القتل بالسيف، و قيل: ذلك اشارة الى الطّاعون. و وصف الجوع بالأغبر: لانّ اشدّ الجوع ما اغبرّ معه الوجه و غيّر السحنة و قيل: لانّه يلصق صاحبة بالغبراء و واقعة الزنج مشهورة.

---

١ ـ سورة الانفال / ٢٥.

١٠٠ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

اُنْظُرُوا إِلَى الدُّنْيَا نَظَرَ الزَّاهِدِينَ فِيهَا، الصَّادِفِينَ عَنْهَا، فَإِنَّهَا وَ اللهِ عَمَّا قَلِيلٍ تُزِيلُ الثَّاوِيَ السَّاكِنَ، وَ تَفْجَعُ الْمُتْرَفَ الآمِنَ، لاَيَرْجِعُ مَاتَوَلَّى مِنْهَا فَأَدْبَرَ، وَلاَيُدْرَى مَاهُوَ آتٍ مِنْهَا فَيُنْتَظَرَ، سُرُورُهَا مَشُوبٌ بِالْحُزْنِ، وَ جَلَدُ الرِّجَالِ فِيهَا إِلَى الضَّعْفِ وَالْوَهْنِ، فَلاَ يَغُرَّنَّكُمْ كَثْرَةُ مَا يُعْجِبُكُمْ فِيهَا، لِقِلَّةِ مَا يَصْحَبُكُمْ مِنْهَا.

رَحِمَ اللهُ امْرَأً تَفَكَّرَ فَاعْتَبَرَ، وَ اعْتَبَرَ فَأَبْصَرَ، فَكَأَنَّ مَاهُوَ كَائِنٌ مِنَ الدُّنْيَا عَنْ قَلِيلٍ لَمْ يَكُنْ، وَ كَأَنَّ مَاهُوَ كَائِنٌ مِنَ الآخِرَةِ عَمَّا قَلِيلٍ لَمْ يَزَلْ، وَ كُلُّ مَعْدُودٍ مُنْقَضٍ، وَ كُلُّ مُتَوَقَّعٍ آتٍ، وَ كُلُّ آتٍ قَرِيبٌ دَانٍ.

اقول: نظر الزاهدين فيها الصارفين نظر الاحتقار لها و الاعراض عنها. والثاوى: المقيم بها. والجلد: القوّة. واللام فى قوله: لقلّة ما يصحبكم للتعليل، اى: لايغرنّكم كثيرها لانّ الّذى يصحبكم من ذلك قليل كالكفن و نحوه، والاعتبار ما يفيده الفكر الى ما هو الحق من وجوب ترك الدنيا، والعمل للآخرة. والابصار: مايلزم ذلك الانتقال من ادراك الحق و مشاهدته ببصر البصيرة. ثم افاد بالتشبيه الاوّل تقريب حال وجود متاع الدنيا من عدمه، و بالتشبيه الثانى تقريب حال عدم الاحوال الاخرويّة من وجودها، و نبّه على ذلك بقياس كامل من الشكل الاوّل، و هو قوله: كلّ متوقّع. الى آخره.

منها:

الْعَالِمُ مَنْ عَرَفَ قَدْرَهُ، وَ كَفَى بِالْمَرْءِ جَهْلاً أَنْ لاَيَعْرِفَ قَدْرَهُ، وَإِنَّ مِنْ أَبْغَضِ الرِّجَالِ لَعَبْدًا وَكَلَهُ اللهُ إِلَى نَفْسِهِ! جَائِراً عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ، سَائِرًا بِغَيْرِ دَلِيلٍ، إِنْ دُعِيَ إِلَى حَرْثِ الدُّنْيَا عَمِلَ، وَإِنْ دُعِيَ إِلَى حَرْثِ الآخِرَةِ كَسِلَ! كَأَنَّ مَا عَمِلَ لَهُ وَاجِبٌ عَلَيْهِ، وَ كَأَنَّ مَاوَنَى فِيهِ سَاقِطٌ عَنْهُ.

اقول: حصر العالم فيمن عرف قدره لانّ ذلك يستلزم معرفته لنفسه، و نسبتها الى

العالم و مقدار مرتبته من خلق الله، و في ذلك تمام العلم، و يلزم من ذلك انّ من لايعرف قدره لايكون عالماً لانّ سلب اللازم يستلزم سلب الملزوم فيكون اذن جاهلا. و اشار الى قوله: ذلك الجهل، بقوله: و كفى، الى قوله: قدره: و اراد بالدليل ماهدى الى الحق من امام او كتاب و سنّة و ما عمل له هوالدنيا، و ماونى فيه: حرث الآخرة. والفصل واضح.

منها:

وَ ذٰلِكَ زَمَنٌ لاَيَنْجُوفِيهِ إلاَّ كُلُّ مُؤْمِنٍ نُوَمَةٍ: إنْ شَهِدَ لَمْ يُعْرَفْ. وَإنْ غَابَ لَمْ يُفْتَقَدْ، أُولَئِكَ مَصَابِيحُ ٱلْهُدَى، وَأَعْلاَمُ السُّرَى لَيْسُوا بِالْمَسَايِيحِ، وَلاَ ٱلْمَذَايِيعِ الْبُذُرِ، أُولٰئِكَ يَفْتَحُ ٱللهُ لَهُمْ أَبْوَابَ رَحْمَتِهِ، وَيَكْشِفُ عَنْهُمْ ضَرَّاءَ نِقْمَتِهِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، سَيَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ يُكْفَأُ فِيهِ الْإِسْلاَمُ كَمَا يُكْفَأُ الْإِنَاءُ بِمَا فِيهِ! أَيُّهَاالنَّاسُ، إنَّ ٱللهَ قَدْ أَعَاذَكُمْ مِنْ أَنْ يَجُورَ عَلَيْكُمْ، وَلَمْ يُعِذْكُمْ مِنْ أَنْ يَبْتَلِيَكُمْ، وَقَدْ قَالَ جَلَّ مِنْ قَائِلٍ: (إنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَاتٍ وَإنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ).

اقول : ذلك اشارة الى زمان بني امية و ما بعدها. و اولئك اشارة: الى كلّ مؤمن. و روى نومة بسكون الواو و هو: الضعيف، و استعار لهم لفظ المسابيح والاعلام: لهدى الخلق بهم في سبيل الله. و كفأت الاناء: كببته لوجهه، و استعار وصف الكفاء للاسلام بأعتبار خروجه عن الانتفاع به، كما يقلب ما في الاناء من ماء و غيره، و ذلك وجه الشبه واعاذه الله تعالى عباده من الظلم في قوله: (و ما ربّك بظلام للعبيد)[1].

١٠١ ـ وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

و قد تقدم مختارها بخلاف هذه الرواية

أَمَّا بَعْدُ، فَإنَّ ٱللهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّدًا، صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ يَقْرَأُ كِتَابًا، وَلاَيَدَّعِي نُبُوَّةً وَ لاَوَحْيًا، فَقَاتَلَ بِمَنْ أَطَاعَهُ مَنْ عَصَاهُ، يَسُوقُهُمْ إلَى مَنْجَاتِهِمْ، وَ

١ ـ سورة فصلت / ٤٦.

يُبَادِرُ بِهِمُ السَّاعَةَ أَنْ تَنْزِلَ بِهِمْ يَحْسِرُ الْحَسِيرُ وَيَقِفُ الْكَسِيرُ، فَيُقِيمُ عَلَيْهِ حَتَّى يُلْحِقَهُ غَايَتَهُ، إِلَّا هَالِكًا لَاخَيْرَ فِيهِ، حَتَّى أَرَاهُمْ مَنْجَاتَهُمْ، وَبَوَّأَهُمْ مَحَلَّتَهُمْ، فَاسْتَدَارَتْ رَحَاهُمْ، وَاسْتَقَامَتْ قَنَاتُهُمْ، وَايْمُ اللهِ لَقَدْ كُنْتُ فِي سَاقَتِهَا حَتَّى تَوَلَّتْ بِحَذَافِيرِهَا، وَاسْتَوْثَقَتْ قِيَادَهَا: مَا ضَعُفْتُ وَلَا جَبُنْتُ، وَلَاخُنْتُ، وَلَا وَهَنْتُ، وَايْمُ اللهِ لَأَبْقُرَنَّ الْبَاطِلَ، حَتَّى أُخْرِجَ الْحَقَّ مِنْ خَاصِرَتِهِ.

و قد تقدّم مختارها

قال السيّد: قد تقدّم مختار هذه الخطبة الّا انّني وجدتها في هذه الرواية على خلاف ما سبق من زيادة او نقصان فأوجبتِ الحالُ إثباتها.

اقول: الحسير الذى اعيا في طريقه. و قوله: يحسر، الى قوله: لاخير فيه: بعض مكارم اخلاق الرسول عليه السلام من الشّفقة على الخلق، و منجاتهم: هداهم بالاسلام الذى هو محلّ نجاتهم من عذاب الله. و محلّتهم: مقامهم من الدين والملك. و بوّأهم: اقامهم ذلك المقام. و أوصلهم: اياه. والرّحا: القطعة من الارض تستدير و ترتفع على ما حولها، و استعار لفظها لحالهم باعتبار اجتماعهم و ارتفاعهم على غيرهم. والضمير في ساقتها: للعرب. و حذافيرها: جميعها. و استوثقت: انتظمت في دخول الاسلام. و استعار لفظ البقر: لتفريق الباطل عن الحق، و تميّزه منه، و لفظ الخاصرة: ترشيحا للاستعارة، وباقي الفصل ظاهر ممامرّ.

١٠٢ ـ وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

حَتَّى بَعَثَ اللهُ مُحَمَّدًا، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، شَهِيدًا، وَبَشِيرًا، وَنَذِيرًا، خَيْرُ الْبَرِيَّةِ طِفْلًا، وَأَنْجَبُهَا كَهْلًا، أَطْهَرُ الْمُطَهَّرِينَ شِيمَةً، وَأَمْطَرُ الْمُسْتَمْطَرِينَ دِيمَةً، فَمَا احْلَوْلَتْ لَكُمُ الدُّنْيَا فِي لَذَّتِهَا، وَلَا تَمَكَّنْتُمْ مِنْ رَضَاعِ أَخْلَافِهَا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا صَادَفْتُمُوهَا جَائِلًا خِطَامُهَا، قَلِقًا وَضِينُهَا، قَدْ صَارَ حَرَامُهَا عِنْدَ أَقْوَامٍ بِمَنْزِلَةِ السِّدْرِ الْمَخْضُودِ، وَحَلَالُهَا بَعِيداً غَيْرَ مَوْجُودٍ، وَصَادَفْتُمُوهَا، وَاللهِ، ظِلًّا مَمْدُودًا إِلَى أَجَلٍ مَعْدُودٍ، فَالْأَرْضُ لَكُمْ شَاغِرَةٌ وَأَيْدِيكُمْ فِيهَا

مَبْسُوطَةٌ. وَ أَيْدِى الْقَادَةِ عَنْكُمْ مَكْفُوفَةٌ، وَ سُيُوفُكُمْ عَلَيْهِمْ مُسَلَّطَةٌ وَ سُيُوفُهُمْ عَنْكُمْ مَقْبُوضَةٌ، أَلاَ إِنَّ لِكُلِّ دَمٍ ثَائِراً، وَلِكُلِّ حَقٍّ طَالِباً، وَ إِنَّ الثَّائِرَ فِي دِمَائِنَا كَالْحَاكِمِ فِي حَقِّ نَفْسِهِ، وَ هُوَ اللهُ الَّذِي لاَيُعْجِزُهُ مَنْ طَلَبَ وَلاَيَفُوتُهُ مَنْ هَرَبَ. فَأُقْسِمُ بِاللهِ يَا بَنِي أُمَيَّةَ عَمَّا قَلِيلٍ لَتَعْرِفُنَّهَا فِي أَيْدِي غَيْرِكُمْ وَ فِي دَارِ عَدُوِّكُمْ. أَلاَ وَ إِنَّ أَبْصَرَ الأَبْصَارِ مَانَفَذَ فِي الْخَيْرِ طَرْفُهُ، أَلاَ إِنَّ أَسْمَعَ الأَسْمَاعِ مَاوَعَى التَّذْكِيرَ وَقَبِلَهُ.

أَيُّهَا النَّاسُ، اسْتَصْبِحُوا مِنْ شُعْلَةِ مِصْبَاحٍ وَاعِظٍ مُتَّعِظٍ، وَامْتَاحُوا مِنْ صَفْوِ عَيْنٍ قَدْ رُوِّقَتْ مِنَ الْكَدَرِ.

عِبَادَاللهِ، لاَ تَرْكَنُوا إِلَى جَهَالَتِكُمْ، وَلاَ تَنْقَادُوا إِلَى أَهْوَائِكُمْ؛ فَإِنَّ النَّازِلَ بِهٰذَا الْمَنْزِلِ، نَازِلٌ بِشَفَا جُرُفٍ هَارٍ، يَنْقُلُ الرَّدَى عَلَى ظَهْرِهِ مِنْ مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ، لِرَأْيٍ يُحْدِثُهُ بَعْدَ رَأْيٍ، يُرِيدُ أَنْ يُلْصِقَ مَالاَيَلْتَصِقُ، وَ يُقَرِّبَ مَا لاَيَتَقَارَبُ، فَاللهَ اللهَ، أَنْ تَشْكُوا إِلَى مَنْ لاَيُشْكِي شَجْوَكُمْ وَلاَ يَنْقُضُ بِرَأْيِهِ مَا قَدْ أَبْرَمَ لَكُمْ. إِنَّهُ لَيْسَ عَلَى الْإِمَامِ إِلاَّ مَا حُمِّلَ مِنْ أَمْرِ رَبِّهِ، إِلاَّ الْبَلاَغُ فِي الْمَوْعِظَةِ، وَالْاِجْتِهَادُ فِي النَّصِيحَةِ، وَالْإِحْيَاءُ لِلسُّنَّةِ، وَإِقَامَةُ الْحُدُودِ عَلَى مُسْتَحِقِّيهَا، وَ إِصْدَارُ السُّهْمَانِ عَلَى أَهْلِهَا: فَبَادِرُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِ تَصْوِيحِ نَبْتِهِ، وَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُشْغَلُوا بِأَنْفُسِكُمْ عَنْ مُسْتَثَارِ الْعِلْمِ مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ وَ انْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَ تَنَاهَوْا عَنْهُ؛ فَإِنَّمَا أُمِرْتُمْ بِالنَّهْيِ بَعْدَ التَّنَاهِي.

اقول : الفصل غاية لكلام سبق فيه ذكر العرب و ما كانت عليه من سوء الحال.

والنجابة: الكرم. والشيمة: الخلق، و استعار لفظ الديمة و هي المطر الّذى لارعد له و لابرق: باعتبار غاية جوده صلّى الله عليه و آله، وكان اذا امسى آوى الى البيت فلا يجد فيه شيئاً من ذهب او فضّة الاّ تصدّق به و لم يبت بيته شئ منه، و شيمة و ديمة: تمييز واحلولى: حلا، والخطاب للعرب. و استعار لفظ الاخلاف جمع خلف وهو: حلمة ضرع الناقة لوجوه المطالب والمكاسب من الدنيا. و وصف الناقة: من جولان الخطام، و قلق الوضين وهو: حزام القتب باعتبار عدم صلاح الدنيا لعدم الرسول صلى الله عليه و آله و من يجرى الامور على سنن الحق. ووجه الشبه بالسدر المخضود: استحلال الحرام. و استعار لها لفظ الظّل: باعتبار كون ما ينتفع به منها في معرض الزوال. و لفظ الشاغرة: باعتبار

خلوّها عن مدبّر، يقال: بقيت البلاد شاغرة برجلها اذا خلت عن مدبّرها. و قوله: و انّ الثائر، الى قوله: وهوالله: يريد انّ دمائهم ـ عليهم السلام ـ و دماء غيرهم ممن عصم دمه يجرى مجرى الحق لله فى انّه لابدّ من طلبه، وهو الحاكم المطلق فهوالثائر بها لنفسه كالحاكم بحقّ نفسه لها، و ذلك فى معرض الوعيد. والضمير فى قول لتعرفنّها: للدنيا او للامرة. و استعار لفظ المصباح: لنفسه، و رشح بذكر الشعلة و وصف المتح: لاستفادة العلوم منه. والماتح: جاذب الدلو من البئر، و لفظ العين له. و وصف ترويقها عن الكدر: براءة نفسه القدسيّة عن شوائب شُبَهِ الباطل، واشار بهذا المنزل الى مقام الركون الى الجهل والانقياد للهوى.

و اصل هار، هائر اى: منهدم واراد انّ البانى لأموره على جهالته فى معرض ان لايتمّ عمله لكونه على غير اصل. والرّدى: الهلاک، واراد بنقله: من موضع الى آخر انّ المشير بالرأى عن جهل منه يشير على واحد بما يستلزم اذاه و هلاكه، ثم ينقل ذلك الرأى المهلك الى غيره، فيكون كناقل الهلاك من واحد الى آخر لرأى يحدثه بعد رأي. و قوله: يريد، الى قوله: يتقارب، اى: يريد مثلا الصلح بين الناس كما كان يشير به بعض اصحابه ممن لايرى الحرب بينه و بين معاوية مع مخالفة ذلك الصلح للحق، وكون الرأى به يستلزم تفرّق الكلمة فلا يلتصق بالحق و لا يليق به، و يقرب بذلك الرأى مالا يتقارب من القلوب والطباع، و من لأيشكي شجوهم اى: حزنهم كالمنافقين فلا يشير بما ينبغى. واستعار لفظ تصويح النبت وهو: تنبيه لموته عليه السلام. و نبّه على انّهم سيشغلون عن العلم، وما يستفاد منه اى: بالحوادث والفتن بعده. و اكثر الفصل ظاهر، و بالله التوفيق.

۱۰۳ ـ وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِى شَرَعَ الْإِسْلَامَ فَسَهَّلَ شَرَائِعَهُ لِمَنْ وَرَدَهُ، وَ أَعَزَّ أَرْكَانَهُ عَلَى مَنْ غَالَبَهُ فَجَعَلَهُ أَمْنًا لِمَنْ عَلِقَهُ، وَ سِلْمًا لِمَنْ دَخَلَهُ، وَ بُرْهَاناً لِمَنْ تَكَلَّمَ بِهِ، وَ شَاهِدًا لِمَنْ خَاصَمَ بِهِ، وَ نُورًا لِمَنِ ٱسْتَضَاءَ بِهِ، وَ فَهْمًا لِمَنْ عَقَلَ، وَلُبًّا لِمَنْ تَدَبَّرَ، وَ آيَةً لِمَنْ تَوَسَّمَ، وَتَبْصِرَةً لِمَنْ

عَزَمَ، وَ عِبْرَةً لِمَنِ اتَّعَظَ، وَنَجاةً لِمَنْ صَدَّقَ، وَثِقَةً لِمَنْ تَوَكَّلَ، وَ راحَةً لِمَنْ فَوَّضَ، وَجُنَّةً لِمَنْ صَبَرَ، فَهُوَ أَبْلَجُ الْمَناهِجِ، وَ أَوْضَحُ الْوَلائِجِ، مُشْرَفُ الْمَنارِ مُشْرِقُ الْجَوادِّ، مُضِيءُ الْمَصابِيحِ، كَرِيمُ الْمِضْمارِ، رَفِيعُ الْغايَةِ، جامِعُ الْحَلْبَةِ، مُتَنافَسُ السُّبْقَةِ، شَرِيفُ الْفُرْسانِ: التَّصْدِيقُ مِنْهاجُهُ، وَ الصَّالِحاتُ مَنارُهُ، وَالْمَوْتُ غايَتُهُ، وَالدُّنْيا مِضْمارُهُ وَالْقِيامَةُ حَلْبَتُهُ، وَ الْجَنَّةُ سُبْقَتُهُ.

اقول: تسهيله لشرائع الاسلام جعلها واضحة للذكيّ والغبي،واعزاز اركانه: حمايتها فمن قصد هدمها، و استعار لفظ الأمن له: باعتبار سلامة داخله من عذاب الله. و لفظ السلم: باعتبار عدم اذاه. لمن دخله فهو كالمسالم له. ولفظ النور: باعتبار هدايته. و فهما اى: مفهوما او اطلق عليه لفظ الفهم مجازا اطلاقا لاسم المسبب على السبب، اذ هو سبب فهم من فهم عنه و عقل مقاصده و كذلك لفظ اللّب و هو: العقل، اذ كان تدبّره سبباً لمراتب العقل. والآية: العلامة. والتوسّم: التفرّس اى: من تفرّس الخير فى الاسلام كان علامة له عليه، و من عزم على امر كان فى الاسلام تبصرة و هداية الى كيفية فعله، و عبرة لمن اتّعظ اى: فيه معبر لذهن الخائف من الله اليه، و فيه الثقة بالله للمتوكّلين عليه لقوله تعالى: (وَ مَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ)[1] والقرآن اصل الدين والاسلام، و فيه الندب اى: تفويض الامور الى الله، و علم ما لم يعلم منها، و ترك التكليف بذلك و هو راحة و جنة لمن صبر اى: على العمل الصالح. و مناهج الاسلام: طرقه من الكتاب والسنة. والأبلج: الواضح المشرق. والولائج: البواطن. والاسرار و هى واضحة لمن تدبّرها، و جوادّه: طرقه. و استعار لفظ المنار و هى الاعلام والمصابيح: لأئمة الدين. و كنى باشرافها: عن علو قدرهم. واستعار لفظ المضمار: للدين باعتبار انّ النفوس تضمر فيه للسباق الى حضرة الله و ظاهر به كرم ذلك المضمار و شرفه، و غايته الوصول الى حضرة الربوبية. و ارفع منها: مرتبة. و استعار لفظ الحلبة للقيامة. والسبقة للجنة و متنافس السبقة اى سبقته مما تنافس فيها و فرسانه المؤمنون والصّديقون. و قوله: التصديق منهاجه، الى آخره: تفسير للامور السابقة واراد التصديق بالله و بما جاء به الاسلام واشتمل عليه. و بالله التوفيق.

---

١ ـ سورة الطلاق /٣.

منها في ذكر النبي صلى الله عليه وآله و سلم:

حَتَّى أَوْرَى قَبَسًا لِقَابِسٍ، وَأَنَارَ عَلَمًا لِحَابِسٍ، فَهُوَ أَمِينُكَ الْمَأْمُونُ، وَشَهِيدُكَ يَوْمَ الدِّينِ، وَبَعِيثُكَ نِعْمَةً، وَرَسُولُكَ بِالْحَقِّ رَحْمَةً. اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَهُ مَقْسَمًا مِنْ عَدْلِكَ، وَاجْزِهِ مُضَاعَفَاتِ الْخَيْرِ مِنْ فَضْلِكَ. اللَّهُمَّ أَعْلِ عَلَى بِنَاءِ الْبَانِينَ بِنَاءَهُ، وَأَكْرِمْ لَدَيْكَ نُزُلَهُ، وَشَرِّفْ عِنْدَكَ مَنْزِلَتَهُ، وَآتِهِ الْوَسِيلَةَ وَأَعْطِهِ السَّنَاءَ وَالْفَضِيلَةَ، وَاحْشُرْنَا فِي زُمْرَتِهِ غَيْرَ خَزَايَا، وَلَا نَادِمِينَ، وَلَا نَاكِبِينَ، وَلَا نَاكِثِينَ، وَلَا ضَالِّينَ، وَلَا مُضِلِّينَ، وَلَا مَفْتُونِينَ.

اقول: الفصل غاية من كلام مدح فيه الرسول صلى الله عليه وآله بجهاده، و اجتهاده في اقامة الدين. واورى: اشعل، و استعار لفظ القبس و هوالشعلة: لأنوار الدين التى تقتبسها قلوب المؤمنين. والحابس: الواقف بالمكان. واستعار لفظ العلم: لدليل الهدىٰ. و انارته له ايضاحه ادلّة الهدى للواقفين في حيرة الضلال والجهل. و يحتمل ان يريد بالعلم: ائمة الدين، وانارته: تنوير قلوبهم باشراق نفسه القدسية بالعلوم، والكمالات على مرايا نفوسهم. والمقْسَم: النصيب و مقتضى عدله تعالى ان يقسم لاشراف النفوس اشرف الكمالات و اعلى المراتب من حضرته. و بنائه ما شيّده من قواعد الاسلام، و اركانه و هودعاء بظهوره على سائر الاديان. والوسيلة: الاستعداد التامّ لكمال اعلى المراتب[1] و قيل: هي درجة عالية من درجات الجنة. والسناء: الرفعة. والناكب: المنحرف عن الطريق. وقد مضىٰ هذا الكلام فيما تقدم إلّا اننا كررناه هاهنا لما في الروايتين من الاختلاف.

و منها في خطاب أصحابه:

وَقَدْ بَلَغْتُمْ مِنْ كَرَامَةِ اللهِ لَكُمْ مَنْزِلَةً تُكْرَمُ بِهَا إِمَاؤُكُمْ، وَيُوصَلُ بِهَا جِيرَانُكُمْ وَيُعَظِّمُكُمْ مَنْ لَافَضْلَ لَكُمْ عَلَيْهِ، وَلَايَدَلَكُمْ عِنْدَهُ، وَيَهَابُكُمْ مَنْ لَايَخَافُ لَكُمْ سَطْوَةً، وَلَا لَكُمْ عَلَيْهِ إِمْرَةٌ، وَقَدْ تَرَوْنَ عُهُودَ اللهِ مَنْقُوضَةً فَلَا تَغْضَبُونَ وَأَنْتُمْ لِنَقْضِ ذِمَمِ آبَائِكُمْ تَأْنَفُونَ، وَكَانَتْ أُمُورُ اللهِ عَلَيْكُمْ تَرِدُ، وَعَنْكُمْ تَصْدُرُ، وَإِلَيْكُمْ تَرْجِعُ، فَمَكَّنْتُمُ الظَّلَمَةَ مِنْ مَنْزِلَتِكُمْ،

---

١ ـ هذه الكلمة غير موجودة في ش.

وَأَلْقَيْتُمْ إِلَيْهِمْ أَزِمَّتَكُمْ وَأَسْلَمْتُمْ أُمُورَ اللهِ فِي أَيْدِيهِمْ، يَعْمَلُونَ فِي الشُّبُهَاتِ، وَيَسِيرُونَ فِي الشَّهَوَاتِ وَايْمُ اللهِ لَوْ فَرَّقُوكُمْ تَحْتَ كُلِّ كَوْكَبٍ لَجَمَعَكُمُ اللهُ لِشَرِّ يَوْمٍ لَهُمْ.

اقول : كرامة الله لهم بالاسلام. و قوله: وكانت امور الله، الى قوله ترجع، اى: انكم كنتم اهل الاسلام والحلّ والعقد فيه لانّهم المهاجرون والانصار، والظلمة والبغاة، و امور الله التى اسلمت فى ايديهم احوال العباد والبلاد و تسليمهم ذلك بترك جهادهم. و قوله: وايم الله، الى آخره: و عيد لهم بدولة بني اميّة، و يحتمل ان يكون و عدالبقية اصحابه، و ذرّيتهم بالظهور على بنى اميّة عند انتهاء دولتهم. و بالله التوفيق.

١٠٤ ـ وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

فى بعض ايام صفين

وَقَدْ رَأَيْتُ جَوْلَتَكُمْ، وَ انْحِيَازَكُمْ عَنْ صُفُوفِكُمْ، تَحُوزُكُمُ الْجُفَاةُ الطَّغَامُ وَأَعْرَابُ أَهْلِ الشَّامِ، وَ أَنْتُمْ لَهَامِيمُ الْعَرَبِ، وَيَآفِيخُ الشَّرَفِ، وَأَنْفُ الْمُقَدَّمِ وَالسَّنَامُ الْأَعْظَمُ، وَلَقَدْ شَفَى، وَحَاوِحَ صَدْرِي، أَنْ رَأَيْتُكُمْ بِأَخَرَةٍ تَحُوزُونَهُمْ كَمَا حَازُوكُمْ، وَتُزِيلُونَهُمْ عَنْ مَوَاقِفِهِمْ كَمَا أَزَالُوكُمْ؛ حَسًّا بِالنِّصَالِ وَشَجْرًا بِالرِّمَاحِ، تَرْكَبُ أُولَاهُمْ أُخْرَاهُمْ كَالْإِبِلِ الْهِيمِ الْمَطْرُودَةِ، تُرْمَى عَنْ حِيَاضِهَا، وَتُذَادُ عَنْ مَوَارِدِهَا.

أقول : الطّغام: اراذل الناس. واللهاميم جمع لهموم و هو: الجواد من الناس، و استعار لهم لفظ اليآفيخ، واليافوخ اعلى الدماغ: اذ كانوا سادات العرب. و لفظ الأنف والسنام، والوحاوح. جمع و حوحة و هى: صوت فيه بحح، يصدر عن المتألم كنى بها: عمّا كان يجده من التألّم بسبب تعاجز اصحابه عن عدوّهم. والحسّ: القطع. والاستئصال والنضال: السيوف. والشجر: الطعن. والهيم: الابل العطشى. و تذاد: تساق، و تطرد.

١٠٥ ـ وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام
وهى من خطب الملاحم

الْحَمْدُلِلَهِ الْمُتَجَلِّى لِخَلْقِهِ بِخَلْقِهِ، وَالظَّاهِرِ لِقُلُوبِهِمْ بِحُجَّتِهِ، خَلَقَ الْخَلْقَ مِنْ غَيْرِ رَوِيَّةٍ؛ إِذْ كَانَتِ الرَّوِيَّاتُ لَا تَلِيقُ إِلَّا بِذَوِى الضَّمائِر. وَ لَيْسَ بِذِى ضَمِيرٍ فِى نَفْسِهِ خَرَقَ عِلْمُهُ بَاطِنَ غَيْبِ السُّتُرَاتِ، وَ أَحَاطَ بِغُمُوضِ عَقَائِدِ السَّرِيرَاتِ.

اقول : تجليه لخلقه بخلقه يعود الى ظهوره فى بدائع مصنوعاته لقلوب عباده. و حجته: آثار قدرته. و غيب السترات: ما غاب من الامور المحجوبة عن علوم الخلق.

منها فى ذكر النبى صلى الله عليه و آله و سلم:

اَخْتَارَهُ مِنْ شَجَرَةِ الْأَنْبِيَاءِ، وَمِشْكَاةِ الضِّيَاءِ، وَ ذُؤَابَةِ الْعَلْيَاءِ، وَ سُرَّةِ الْبَطْحَاءِ، وَ مَصَابِيحِ الظُّلْمَةِ، وَيَنَابِيعِ الْحِكْمَةِ.

اقول: استعار لفظ الشجرة لصنف الانبياء اولآل ابراهيم عليه السلام، باعتبار فروعهاوهى الانبياء، و ثمرها و هى العلوم و مكارم الاخلاق. و لفظ المشكاة: باعتبار سطوع ضياء النبوّة عنهم. و لفظ الذؤابة و هى ماتدلّى من الشعر و نحوه: باعتبار هبوط هذا الصنف و تدلّيهم من مقاوم العزوالشرف وهى حضائر القدس. و بطحاء: مكة بسيط واديها. و سرّة: الوادى اشرف موضع فيه. و استعار لفظ المصابيح: للانبياء لهداية الخلق بهم. و لفظ الينابيع: لتفجر العلوم والحكمة عنهم.

و منها:

طَبِيبٌ دَوَّارٌ بِطِبِّهِ: قَدْ أَحْكَمَ مَرَاهِمَهُ، وَأَحْمَى مَوَاسِمَهُ يَضَعُ مِنْ ذٰلِكَ حَيْثُ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ: مِنْ قُلُوبٍ عُمْيٍ، وَآذَانٍ صُمٍّ، وَأَلْسِنَةٍ بُكْمٍ مُتَّبِعٌ بِدَوَائِهِ مَوَاضِعَ الْغَفْلَةِ، وَمَوَاطِنَ الْحَيْرَةِ، لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِأَضْوَاءِ الْحِكْمَةِ وَلَمْ يَقْدَحُوا بِزِنَادِ الْعُلُومِ الثَّاقِبَةِ، فَهُمْ فِى ذٰلِكَ كَالْأَنْعَامِ

السَّائِمَةِ، وَالصُّخُورِ الْقَاسِيَةِ، قَدِ انْجَابَتِ السَّرَائِرُ لِأَهْلِ الْبَصَائِرِ، وَوَضَحَتْ مَحَجَّةُ الْحَقِّ لِخَابِطِهَا وَأَسْفَرَتِ السَّاعَةُ عَنْ وَجْهِهَا، وَظَهَرَتِ الْعَلاَمَةُ لِمُتَوَسِّمِهَا. مَالِي أَرَاكُمْ أَشْبَاحاً بِلاَ أَرْوَاحٍ؟ وَأَرْوَاحاً بِلاَ أَشْبَاحٍ، وَنُسَّاكًا بِلاَ صَلاَحٍ، وَتُجَّارًا بِلاَ أَرْبَاحٍ، وَأَيْقَاظًا نُوَّمًا، وَشُهُودًا غُيَّبًا، وَنَاظِرَةً عَمْيَاءَ، وَسَامِعَةً صَمَّاءَ، وَنَاطِقَةً بَكْمَاءَ؟ رَأَيْتُ ضَلاَلَةً، قَدْ قَامَتْ عَلَى قُطْبِهَا، وَتَفَرَّقَتْ بِشُعَبِهَا، تَكِيلُكُمْ بِصَاعِهَا وَتَخْبِطُكُمْ بِبَاعِهَا، قَائِدُهَا خَارِجٌ عَنِ الْمِلَّةِ، قَائِمٌ عَلَى الضِّلَّةِ، فَلاَ يَبْقَى يَوْمَئِذٍ مِنْكُمْ إِلاَّ ثُفَالَةٌ كَثُفَالَةِ الْقِدْرِ، أَوْ نُفَاضَةٌ كَنُفَاضَةِ الْعِكْمِ، تَعْرُكُكُمْ، عَرْكَ الْأَدِيمِ، وَتَدُوسُكُمْ دَوْسَ الْحَصِيدِ، وَتَسْتَخْلِصُ الْمُؤْمِنَ مِنْ بَيْنِكُمْ اسْتِخْلاَصَ الطيرِ الْحَبَّةَ الْبَطِينَةَ، مِنْ بَيْنِ هَزِيلِ الْحَبِّ، أَيْنَ تَذْهَبُ بِكُمُ الْمَذَاهِبُ وَ تَتِيهُ بِكُمُ الْغَيَاهِبُ، وَتَخْدَعُكُمُ الْكَوَاذِبُ؟ وَمِنْ أَيْنَ تُؤْتَوْنَ وَأَنَّى تُؤْفَكُونَ؟ ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾، وَلِكُلِّ غَيْبَةٍ إِيَابٌ، فَاسْتَمِعُوا مِنْ رَبَّانِيِّكُمْ وَأَحْضِرُوهُ قُلُوبَكُمْ، وَاسْتَيْقِظُوا إِنْ هَتَفَ بِكُمْ، وَلْيَصْدُقْ رَائِدٌ أَهْلَهُ، وَلْيَجْمَعْ شَمْلَهُ، وَلْيُحْضِرْ ذِهْنَهُ؛ فَلَقَدْ فَلَقَ لَكُمُ الْأَمْرَ فَلْقَ الْخَرَزَةِ، وَقَرَفَهُ قَرْفَ الصَّمْغَةِ، فَعِنْدَ ذَلِكَ أَخَذَ الْبَاطِلُ مَآخِذَهُ، وَرَكِبَ الْجَهْلُ مَرَاكِبَهُ، وَعَظُمَتِ الطَّاغِيَةُ، وَقَلَّتِ الدَّاعِيَةُ، وَصَالَ الدَّهْرُ صِيَالَ السَّبُعِ الْعَقُورِ، وَهَدَرَ فَنِيقُ الْبَاطِلِ بَعْدَ كُظُومٍ، وَتَوَاخَى النَّاسُ عَلَى الْفُجُورِ وَتَهَاجَرُوا عَلَى الدِّينِ، وَتَحَابُّوا عَلَى الْكَذِبِ، وَتَبَاغَضُوا عَلَى الصِّدْقِ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَانَ الْوَلَدُ غَيْظًا وَالْمَطَرُ قَيْظًا، وَتَفِيضُ اللِّئَامُ فَيْضًا، وَتَغِيضُ الْكِرَامُ غَيْضًا، وَكَانَ أَهْلُ ذَلِكَ الزَّمَانِ ذِئَابًا، وَسَلاَطِينُهُ سِبَاعًا، وَأَوْسَاطُهُ أُكَّالاً، وَفُقَرَاؤُهُ أَمْوَاتاً، وَغَارَ الصِّدْقُ، وَفَاضَ الْكَذِبُ، وَاسْتُعْمِلَتِ الْمَوَدَّةُ بِاللِّسَانِ، وَتَشَاجَرَتِ النَّاسُ بِالْقُلُوبِ، وَصَارَ الْفُسُوقُ نَسَبًا، وَالْعَفَافُ عَجَباً، وَلُبِسَ الْإِسْلاَمُ لُبْسَ الْفَرْوِ مَقْلُوباً.

اقول: اراد بالطبيب نفسه فانّه طبيب مرضى الجهل ورذائل الاخلاق، وَدَورانُهُ بطبه: تعرّضه لعلاج الجهّال، و نصب نفسه لذلك، و استعار لفظ المراهم لما عنده من العلم والحكمة. و لفظ المواسم و هي المكاوى: لما عنده من القوّة على اصلاح من لاينفعه الموعظة، و من يحتاج الى الجلد والقطع و سائر الحدود، فهو كالطبيب الكامل يضع كل واحد من أدويته حيث الحاجة اليه من قلوب عمى يفتحها لفهم مراد الله، و من آذان صمّ: يعدّها لسماع الموعظة، و تجوز بلفظ الصمم فى عدم انتفاعها بالموعظة اطلاقا لاسم السبب

على المسبب. و من ألسنة بكم: يطلقها بذكر الله، و استعار لها لفظ البكم: باعتبار عدم تكلّمها بما ينبغي، و مواضع الغفلة والحيرة كناية: عن قلوب الجهّال. و استعار لفظ الزناد: للفكرة و وصف القدح: لاكتساب العلم به. و قوله: فهم فى ذلك اى: فى عدم استضاءتهم بأضواء الحكمة. و غفلتهم فى الدنيا: كالانعام السائمة، وكالصخور القاسية فى عدم انفعالهم عن المواعظ. و انجابت: انكشفت. والسرائر: ما يكون بعده من الحوادث. و ذوالبصائر: نفسه عليه السلام، و اهل بيته، و يحتمل ان يريد بالسرائر: اسرار الدين و منازل سبيل الله. و كذلك قوله: و وضحت محجة الحق لخابطها، والمحجة: الطريق القاصد. و كنى باسفار الساعة عن« بدوها بوقوع الفتن وقوّتها بعلاماتها المتفرّسة»وهى: الفتن. و كنى بكونهم اشباحا بلاارواح عن: غفلتهم و عدم انتفاعهم بعقولهم فيما ينبغى من طاعة الله، و أرواحا بلااشباح قيل: هومع ما قبله فى معرض التنقيص لهم، فانّ فيهم من هو كروح بلا جسد فى قلة نهضته للحرب والجهاد، وذلك ككثير من زهّادهم، و معتزلىّ الحرب منهم كعبدالله بن عمر و غيره. والنسّاك بلاصلاح، كناية: عمن زهد منهم عن جهل اورياء. و تجّارا بلا ارباح لمعا ملتهم لله بالاعمال المدخولة التى لا ثواب فيها. وايقاظا نوّما، اى: ايقاظ العيون نوم العقول و شهودًا بأبدانهم، غيبا بعقولهم عن قبول انوار الله. و ناظرة اى: نفسا ناظرة تحسبها عمياء يعنى: بصيرتها. و كذلك سامعة صُمّا: لفقدها قبول الموعظة. و ناطقة بكماء: عما ينبغي لها من القول. و روى عميًا، وصمًا، و بكمًا: صفة للجميع اى: نفوسا لذلك. و قوله: راية ضلالة اى: هذه راية ضلالة و اراد ما قرب ظهوره من قيام دولة بنى اميّة، فهوالموجود المشاراليه. و كنى بقيامها على قطبها عن: اجتماع اهلها على من تدور عليه من الرؤساء. و تفرّقها بشعبها: انتشارها فى الآفاق، و استعار لها وصف الليل: باعتبار اهلاكها لهم جزافا. و وصف الخبط: ملاحظة لشبهها بالناقة النفور، و قيامها على المضلة: وقوفُها على طريق الضلال لاضلال الخلق و فتنتهم. و كنى بالثفالة: عمّن لاخير فيه من الاراذل. والعلم: العدل. و نفاضته: ما بقى فيه من اثر الزاد. و اراد انّه لايبقى منهم يومئذ من يلتفت اليه ممن له شهرة، و استعار لفظ العرك: للفتن باعتبار ما ينزل بهم من بلائها.

و وصف الدوس: باعتبار اهانتها لهم، و استخلاص المؤمن لايقاع المكروه به،

والغياهب: ظلمات الجهل، والكواذب: النفوس الامّارة الخادعة للانسان بالآمال الكاذبة. و ايّ بمعنى: متى، اى: متى تصرفون عما انتم عليه من الغفلة. والربّانى، العالم علم الربوبية و عين نفسه. و قوله: و ليصدق: رائد اهله مثل، و اصله: لايكذب رائداهله، و اراد: ان يبلغ كل من الحاضرين أهله و قبيلته ما سمع منه من الحكمة والموعظة ليرجعوا الى طاعته، و ينتفعوا بعلمه كما يرجع طلب الكلاء والماء الواجد له الى قومه، فيبشّرهم و يصدّقهم، و يحتمل ان يريد بالرائد: الفكر، و بأهله: النفس الانسانية فكأنه قال: فلتصدق افكاركم نفوسكم، اذ كان الفكر مبعوثا من قبل النفس فى طلب مرعاها، و ماحياتها من العلوم والكمالات كالرائد لأهله و صدقه لها: تصرّفه على حسب العقل فيما يشير به دون مشاركة الهوى فانّه اذا أرسلْه النفس عن مشاركة الهوى كذّبها و دلّاها بغرور. و قوله: و ليجمع شمله، اى: ما تفرّق من خواطره و همومه فى امر الدنيا. و فلق الأمر: اوضحه. و شق ظلمة الجهل عن مصابيح اليقين. و خصّ فلق الخرزة: لانّ فلقها لايكاد يلتحم و يخفى. و قرفه قرف الصمغة: القى علمه اليهم بالكلية، يقال: تركته على مثل مفرق الصمغة: اذا لم يترك له شيئا، لانّ الصمغة تقتلع من شجرتها حتى لايبقى عليها علقة.

و قوله: فعند ذلك متصل، بقوله: من بينِ هزيل الحب، واخذ الباطل مأخذه: استحكامه و استقراره فى مقارّه. و مراكب الجهل: حملته، و استعار له وصف الركوب: ملاحظة له بالمستعد المغير. والطاغية: الفئة الطاغية، والداعية: رعاة الدين، و روى الداعية اى: الفرقة الداعية الى الله. و استعار لفظ الفينق هو: الفحل المكرّم. و وصف الهدير: لاستفحال الباطل و قوّته يومئذ. و لفظ الكظوم و هو امساك البعير عن الجرّة: لضعف الباطل و سكون الفتن فى زمان العدل، و كون الولد غيظا اى: سببا لغيظ والده لنشأته على غير دين و ادب ناظم له، او لحاجته الى مؤنته التى يصعب فى زمن الجور. و كون المطر قيظا كناية عن: الجدب و استعداد الزمان للشرور، او المفسدة لحال الخلق بسبب الجور اذالمطر القَيْظِيّ لاينبت ما ينتفع به من الزرع، و مقتضى قسمته عليه السلام الناس اربعة اقسام: سلاطين، و اكابر، و اوساط، و فقراء. و استعار لفظ السباع: للسلاطين. و لفظ الذئاب: للأكابر بأعتبار تسلّطهم على من دونهم من اهل الحرفة

والمتجر. و اكَالا: جمع آكلة و لفظ الأموات: للفقراء باعتبار انقطاع مادّة الحياة عنهم و استيلاء الظلمة عليهم. و تشبيه لبس الاسلام بلبس الفرو كناية عن: النفاق و استعمال الاسلام في الظاهر دون الباطن، بخلاف مراد عناية الله به كلبس الفرو، و بالله التوفيق.

١٠٦ ـ وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

كُلُّ شَيْءٍ خَاضِعٌ لَهُ، وَ كُلُّ شَيْءٍ قَائِمٌ بِهِ: غِنَى كُلِّ فَقِيرٍ، وَ عِزُّ كُلِّ ذَلِيلٍ، وَ قُوَّةُ كُلِّ ضَعِيفٍ، وَمَفْزَعُ كُلِّ مَلْهُوفٍ، وَ مَنْ تَكَلَّمَ سَمِعَ نُطْقَهُ، وَمَنْ سَكَتَ عَلِمَ سِرَّهُ، وَمَنْ عَاشَ فَعَلَيْهِ رِزْقُهُ، وَمَنْ مَاتَ فَإِلَيْهِ مُنْقَلَبُهُ، لَمْ تَرَكَ ٱلْعُيُونُ فَتُخْبِرَ عَنْكَ، بَلْ كُنْتَ قَبْلَ ٱلْوَاصِفِينَ مِنْ خَلْقِكَ، لَمْ تَخْلُقِ ٱلْخَلْقَ لِوَحْشَةٍ، وَلَا ٱسْتَعْمَلْتَهُمْ لِمَنْفَعَةٍ، وَلَا يَسْبِقُكَ مَنْ طَلَبْتَ، وَلَا يُفْلِتُكَ مَنْ أَخَذْتَ، وَلَا يَنْقُصُ سُلْطَانَكَ مَنْ عَصَاكَ، وَلَا يَزِيدُ فِي مُلْكِكَ مَنْ أَطَاعَكَ، وَلَا يَرُدُّ أَمْرَكَ مَنْ سَخِطَ قَضَاءَكَ، وَلَا يَسْتَغْنِي عَنْكَ مَنْ تَوَلَّى عَنْ أَمْرِكَ، كُلُّ سِرٍّ عِنْدَكَ عَلَانِيَةٌ، وَ كُلُّ غَيْبٍ عِنْدَكَ شَهَادَةٌ، أَنْتَ ٱلْأَبَدُ لَا أَمَدَ لَكَ، وَأَنْتَ ٱلْمُنْتَهَى لَا مَحِيصَ عَنْكَ، وَ أَنْتَ ٱلْمَوْعِدُ لَا مَنْجَى مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، بِيَدِكَ نَاصِيَةُ كُلِّ دابَّةٍ، وَإِلَيْكَ مَصِيرُ كُلِّ نَسَمَةٍ، سُبْحَانَكَ مَا أَعْظَمَ مَا نَرَى مِنْ خَلْقِكَ، وَمَا أَصْغَرَ عِظَمَهُ فِي جَنْبِ قُدْرَتِكَ، وَ مَا أَهْوَلَ مَا نَرَى مِنْ مَلَكُوتِكَ، وَمَا أَحْقَرَ ذٰلِكَ فِيمَا غَابَ عَنَّا مِنْ سُلْطَانِكَ، وَ مَا أَسْبَغَ نِعَمَكَ فِي ٱلدُّنْيَا، وَ مَا أَصْغَرَهَا فِي نَعِيمِ ٱلآخِرَةِ.

أقول : خشوع الاشياء له دخولها فيما يتوهم من ذلّة الحاجة اليه، و قيامها به في الوجود قيام المعلول بعلته. والملهوف: المظلوم يستغيث. و سمعه تعالى: يعود الى علمه بالمسموعات. و قوله: فيخبر عنك اى: ارباب العيون اى: لم تَرَكَ ارباب العيون بعيونها، فحذف المضاف و قدمرّ تنزيهه تعالى عن الوحشة والمنفعة. و قوله: انت الأبَدُ لا امد لك، اى: الدائم فلاغاية لك. و قيل: ذوالابد اى: ذوالدوام. والمحيص: المعدّل، و باقي الفصل ظاهر.

منها:

مِنْ مَلاَئِكَةٍ أَسْكَنْتَهُمْ سَمٰوَاتِكَ، وَرَفَعْتَهُمْ عَنْ أَرْضِكَ، هُمْ أَعْلَمُ خَلْقِكَ بِكَ، وَأَخْوَفُهُمْ لَكَ، وَأَقْرَبُهُمْ مِنْكَ، لَمْ يَسْكُنُوا ٱلْأَصْلاَبَ، وَلَمْ يُضَمَّنُوا ٱلْأَرْحَامَ، وَلَمْ يُخْلَقُوا مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ، وَلَمْ يَشْعَبْهُمْ رَيْبُ ٱلْمَنُونِ، وَإِنَّهُمْ ـ عَلَى مَكَانِهِمْ مِنْكَ، وَمَنْزِلَتِهِمْ عِنْدَكَ، وَاسْتِجْمَاعِ أَهْوَائِهِمِ فِيكَ، وَكَثْرَةِ طَاعَتِهِمْ لَكَ، وَقِلَّةِ غَفْلَتِهِمْ عَنْ أَمْرِكَ ـ لَوْعَايَنُوا كُنْهَ مَا خَفِيَ عَلَيْهِمْ مِنْكَ لَحَقَّرُوا أَعْمَالَهُمْ، وَلَزَرَوْا عَلَى أَنْفُسِهِمْ، وَلَعَرَفُوا أَنَّهُمْ لَمْ يَعْبُدُوكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ، وَلَمْ يُطِيعُوكَ حَقَّ طَاعَتِكَ.

سُبْحَانَكَ خَالِقًا وَمَعْبُودًا: بِحُسْنِ بَلاَئِكَ عِنْدَ خَلْقِكَ، خَلَقْتَ دَارًا، وَجَعَلْتَ فِيهَا مَأْدُبَةً: مَشْرَبًا، وَمَطْعَمًا، وَأَزْوَاجًا، وَخَدَمًا، وَقُصُورًا، وَأَنْهَارًا، وَزُرُوعًا، وَثِمَارًا، ثُمَّ أَرْسَلْتَ دَاعِيًا يَدْعُو إِلَيْهَا، فَلاَ ٱلدَّاعِيَ أَجَابُوا، وَلاَفِيمَا رَغَّبْتَ إِلَيْهِ رَغِبُوا، وَلاَ إِلَى مَاشَوَّقْتَ إِلَيْهِ اشْتَاقُوا أَقْبَلُوا عَلَى جِيفَةٍ ٱفْتَضَحُوا بِأَكْلِهَا، وَٱصْطَلَحُوا عَلَى حُبِّهَا، وَمَنْ عَشِقَ شَيْئاً أَعْشَى بَصَرَهُ، وَأَمْرَضَ قَلْبَهُ، فَهُوَيَنْظُرُ بِعَيْنٍ غَيْرِ صَحِيحَةٍ، وَيَسْمَعُ بِأُذُنٍ غَيْرِ سَمِيعَةٍ، قَدْ خَرَقَتِ الشَّهَوَاتُ عَقْلَهُ، وَأَمَاتَتِ الدُّنْيَا قَلْبَهُ، وَوَلِهَتْ عَلَيْهَا نَفْسُهُ فَهُوَعَبْدٌ لَهَا، وَلِمَنْ فِي يَدِهِ شَيْءٌ مِنْهَا: حَيْثُمَا زَالَتْ زَالَ إِلَيْهَا، وَحَيْثُمَا أَقْبَلَتْ أَقْبَلَ عَلَيْهَا، وَلاَيَزْدَجِرُ مِنَ ٱللهِ بِزَاجِرٍ، وَلاَيَتَّعِظُ مِنْهُ بِوَاعِظٍ؛ وَهُوَيَرَى الْمَأْخُوذِينَ عَلَى الْغِرَّةِ ـ حَيْثُ لاَإِقَالَةَ وَلاَ رَجْعَةَ ـ كَيْفَ نَزَلَ بِهِمْ مَا كَانُوا يَجْهَلُونَ، وَجَاءَهُمْ مِنْ فِرَاقِ الدُّنْيَا مَا كَانُوا يَأْمَنُونَ، وَقَدِمُوا مِنَ الآخِرَةِ عَلَى مَا كَانُوا يُوعَدُونَ، فَغَيْرُ مَوْصُوفٍ مَا نَزَلَ بِهِمْ، ٱجْتَمَعَتْ عَلَيْهِمْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ وَحَسْرَةُ الْفَوْتِ، فَفَتَرَتْ لَهَا أَطْرَافُهُمْ، وَتَغَيَّرَتْ لَهَا أَلْوَانُهُمْ، ثُمَّ ازْدَادَالْمَوْتُ فِيهِمْ وُلُوجًا، فَحِيلَ بَيْنَ أَحَدِهِمْ وَبَيْنَ مَنْطِقِهِ، وَإِنَّهُ لَبَيْنَ أَهْلِهِ يَنْظُرُ بِبَصَرِهِ، وَيَسْمعُ بِأُذُنِهِ ـ عَلَى صِحَّةٍ مِنْ عَقْلِهِ، وَبَقَاءٍ مِنْ لُبِّهِ ـ يُفَكِّرُ فِيمَ أَفْنَى عُمْرَهُ، وَفِيمَ أَذْهَبَ دَهْرَهُ، وَيَتَذَكَّرُ أَمْوَالاً جَمَعَهَا: أَغْمَضَ فِي مَطَالِبِهَا، وَأَخَذَهَا مِنْ مُصَرَّحَاتِهَا وَمُشْتَبِهَاتِهَا، قَدْ لَزِمَتْهُ تَبِعَاتُ جَمْعِهَا، وَأَشْرَفَ عَلَى فِرَاقِهَا: تَبْقَى لِمَنْ وَرَاءَهُ يَنْعَمُونَ فِيهَا، وَيَتَمَتَّعُونَ بِهَا، فَيَكُونُ الْمَهْنَأُ لِغَيْرِهِ، وَالْعِبْءُ عَلَى ظَهْرِهِ. وَالْمَرْءُ قَدْ غَلِقَتْ رُهُونُهُ بِهَا، فَهُوَ يَعَضُّ يَدَهُ، نَدَامَةً عَلَى مَا أَصْحَرَ لَهُ عِنْدَ الْمَوْتِ مِنْ أَمْرِهِ، وَيَزْهَدُ فِيمَا كَانَ يَرْغَبُ فِيهِ أَيَّامَ عُمْرِهِ، وَيَتَمَنَّى أَنَّ الَّذِي كَانَ يَغْبِطُهُ بِهَا وَيَحْسُدُهُ عَلَيْهَا قَدْ حَازَهَا دُونَهُ! فَلَمْ يَزَلِ الْمَوْتُ يُبَالِغُ فِي جَسَدِهِ حَتَّى خَالَطَ لِسَانُهُ سَمْعَهُ، فَصَارَ بَيْنَ أَهْلِهِ لاَيَنْطِقُ

بِلِسَانِهِ، وَلَايَسْمَعُ بِسَمْعِهِ: يُرَدِّدُ طَرْفَهُ بِالنَّظَرِ فِي وُجُوهِهِمْ يَرَى حَرَكَاتِ أَلْسِنَتِهِمْ، وَلَايَسْمَعُ رَجْعَ كَلَامِهِمْ. ثُمَّ ازْدَادَ الْمَوْتُ الْتِيَاطاً بِهِ فَقُبِضَ بَصَرُهُ كَمَا قُبِضَ سَمْعُهُ، وَخَرَجَتِ الرُّوحُ مِنْ جَسَدِهِ فَصَارَ جِيفَةً بَيْنَ أَهْلِهِ: قَدْ أَوْحَشُوا مِنْ جَانِبِهِ، وَتَبَاعَدُوا مِنْ قُرْبِهِ، لَايُسْعِدُ بَاكِياً، وَلَايُجِيبُ دَاعِياً. ثُمَّ حَمَلُوهُ إِلَى مَخَطٍّ فِي الْأَرْضِ، وَأَسْلَمُوهُ فِيهِ إِلَى عَمَلِهِ، وَانْقَطَعُوا عَنْ زَوْرَتِهِ.

حَتَّى إِذَا بَلَغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ، وَالْأَمْرُ مَقَادِيرَهُ، وَأُلْحِقَ آخِرُ الْخَلْقِ بِأَوَّلِهِ، وَجَاءَ مِنْ أَمْرِ اللهِ مَايُرِيدُهُ: مِنْ تَجْدِيدِ خَلْقِهِ، أَمَادَ السَّمَاءَ وَفَطَرَهَا، وَأَرَجَّ الْأَرْضَ وَأَرْجَفَهَا، وَقَلَعَ جِبَالَهَا وَنَسَفَهَا، وَدَكَّ بَعْضُهَا بَعْضاً مِنْ هَيْبَةِ جَلَالَتِهِ، وَمَخُوفِ سَطْوَتِهِ، وَأَخْرَجَ مَنْ فِيهَا فَجَدَّدَهُمْ عَلَى أَخْلَاقِهِمْ، وَجَمَعَهُمْ بَعْدَ تَفَرُّقِهِمْ، ثُمَّ مَيَّزَهُمْ لِمَا يُرِيدُ مِنْ مَسْأَلَتِهِمْ عَنْ خَفَايَا الْأَعْمَالِ، وَخَبَايَا الْأَفْعَالِ؛ وَجَعَلَهُمْ فَرِيقَيْنِ: أَنْعَمَ عَلَى هٰؤُلَاءِ، وَانْتَقَمَ مِنْ هٰؤُلَاءِ: فَأَمَّا أَهْلُ طَاعَتِهِ فَأَثَابَهُمْ بِجِوَارِهِ وَخَلَّدَهُمْ فِي دَارِهِ، حَيْثُ لَايَظْعَنُ النُّزَّالُ، وَلَا يَتَغَيَّرُ لَهُمُ الْحَالُ، وَلَا تَنُوبُهُمُ الْأَفْزَاعُ، وَلَا تَنَالُهُمُ الْأَسْقَامُ، وَلَا تَعْرِضُ لَهُمُ الْأَخْطَارُ، وَلَا تُشْخِصُهُمُ الْأَسْفَارُ؛ وَأَمَّا أَهْلُ الْمَعْصِيَةِ، فَأَنْزَلَهُمْ شَرَّ دَارٍ، وَغَلَّ الْأَيْدِيَ إِلَى الْأَعْنَاقِ وَقَرَنَ النَّوَاصِيَ بِالْأَقْدَامِ، وَأَلْبَسَهُمْ سَرَابِيلَ الْقَطِرَانِ، وَمُقَطَّعَاتِ النِّيرَانِ فِي عَذَابٍ قَدِ اشْتَدَّ حَرُّهُ، وَبَابٍ قَدْ أُطْبِقَ عَلَى أَهْلِهِ فِي نَارٍ لَهَا كَلَبٌ وَلَجَبٌ وَلَهَبٌ سَاطِعٌ، وَقَصِيفٌ هَائِلٌ، لَايَظْعَنُ مُقِيمُهَا، وَلَايُفَادَى أَسِيرُهَا، وَلَا تُفْصَمُ كُبُولُهَا، لَامُدَّةَ لِلدَّارِ فَتَفْنَى، وَلَاأَجَلَ لِلْقَوْمِ فَيُقْضَى.

اقول : انّما كانت الملائكة أعلم خلق الله به، لبراءة علومهم من منازعة النفس الامارة، و لقربهم من ابداع قدرته و كونهم اخوف لكونهم اعلم به. و ريب المنون: حادث الموت. و قوله: و انّهم، الى قوله: طاعتك: اشارة الى تنزيهه تعالى عن اطّلاع الملائكة على كنه معرفته، لانّ ذلك غير ممكن لأحد سواه كما مرّ بيانه. والباء في قوله بحسن بلائك قيل: انّها يتعلق بسبحانك اى: انزّهك بهذا الاعتبار. و خالقًا و معبودًا: حالان و يحتمل ان يتعلق بمعبود، و يحتمل ان يتعلق بخلقت. و استعار لفظ الدار للاسلام: باعتبار جمعه لأهله. و لفظ المأدبة و هي الطعام: يدعى اليه للجنة بأعتبار جمعها للمشتهيات. والداعي هو: الرسول صلى الله عليه و آله. و قد جمعها الخبر: انّ الله جعل الاسلام دارًا

والجنة مأدبة والداعي اليها محمدا. و استعار لفظ الجيفة: للدنيا لاستقذار نفوس الاولياء لها. و وصف الافتضاح بأكلها: للاستهتار بافتنائها والخروج به عن شعار الصالحين و طاعة الله. و وصف العشاء لما يعرض لأبصارِ بصائر اهلها من اغفلية الجهل فيفسد نظرها فلايبصر ما ينتفع به ولا تسمع ما يتعظ به. و وصف التخريق لتفريق افكاره في تحصيل المشتبهات. و وصف الاماتة: لاخراج قلبه عن الانتفاع به في امر الآخرة فهو كالميت عنها. و ولهت عليها نفسه اى: حيرته محبة لها. و قوله: فغير موصوف ما نزل بهم اى: لشدّته. و اغمض في مطالبها تساهل في وجوه اخذها، و لم يضبط دينه فيها. و مصرّحاتها: ما وضح منها. والمهنأ: المصدر من هنأبهنأ. والعبأ: الثقل. و استعار وصف غلق الرهون: ملاحظة لعدم انفكاك نفسه من تبعاتها المشبه لغلق الرهن بما عليه من مال. واصحر ظهر وانكشف. و رجع القول جوابه و ترديده. والالتياط: الالتصاق. والمخط: كناية عن اللحد لانّه يخط ثم يحفر، و روى بالحاء المهملة. و محط القوم: منزلهم. وبلوغ الكتاب أجله: انقضاء المدة المضروبة لبقاء الخلق في الدنيا أوفي البرزخ. والمقطعات: ثياب من نار. والكلب: الشدة. واللجب: غلبة الاصوات. والقصيف الصوت الشديد. والكبول: جمع كبل، وهو: القيد الضخم. و صفة القيامة و احوالها و غايتها في غاية الوضوح،و بالله التوفيق.

و منها في ذكر النبي صلى الله عليه وآله و سلم:

قَدْ حَقَّرَ الدُّنْيَا وَصَغَّرَهَا، وَأَهْوَنَهَا وَهَوَّنَهَا، وَعَلِمَ أَنَّ اللهَ زَوَاهَا عَنْهُ اخْتِيَارًا، وَبَسَطَهَا لِغَيْرِهِ احْتِقَارًا، فَأَعْرَضَ عَنْهَا بِقَلْبِهِ، وَأَمَاتَ ذِكْرَهَا عَنْ نَفْسِهِ، وَأَحَبَّ أَنْ تَغِيبَ زِينَتُهَا عَنْ عَيْنِهِ، لِكَيْلَا يَتَّخِذَ مِنْهَا رِيَاشًا، أَوْيَرْجُوَ فِيهَا مَقَامًا، بَلَّغَ عَنْ رَبِّهِ مُعْذِرًا، وَنَصَحَ لِأُمَّتِهِ مُنْذِرًا، وَدَعَا إِلَى الْجَنَّةِ مُبَشِّرًا.نَحْنُ شَجَرَةُ النُّبُوَّةِ، وَمَحَطُّ الرِّسَالَةِ، وَمُخْتَلَفُ الْمَلَائِكَةِ، وَمَعَادِنُ الْعِلْمِ، وَيَنَابِيعُ الْحِكَمِ، نَاصِرُنَا وَمُحِبُّنَا يَنْتَظِرُ الرَّحْمَةَ، وَعَدُوُّنَا وَمُبْغِضُنَا يَنْتَظِرُ السَّطْوَةَ.

أقول: روى: حقرالدنيا مخففا و مشدداً، اى: زهد فيها او زهّد غيره فيها، و كذلك:

اهوانُه بها،وتهوينُهُ لها. والرياش: اللباس والزينة. والمعذر: الذى ابلى فى العذر فلا يلام بعده. و استعار لفظ الشجرة: لبنى هاشم، و كذلك لفظ المعادن و الينا بيع والسطوة المنتظرة لعدوّهم، من الله تعالى. والفصل واضح.

١٠٧ ـ وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

إنَّ أَفْضَلَ مَاتَوَسَّلَ بِهِ الْمُتَوَسِّلُونَ إلَى ٱللهِ، سُبْحَانَهُ، الْإيمَانُ بِهِ وَ بِرَسُولِهِ وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ فَإنَّهُ ذِرْوَةُ الْإسْلاَمِ، وَ كَلِمَةُ الْإخْلاَصِ فَإنَّهَا الْفِطْرَةُ، وَإقَامُ الصَّلاَةِ فَإنَّهَا الْمِلَّةُ، وَإيتَاءُ الزَّكَاةِ فَإنَّهَا فَرِيضَةٌ وَاجِبَةٌ، وَ صَوْمُ شَهْرِ رَمَضَانَ فَإنَّهُ جُنَّةٌ مِنَ الْعِقَابِ، وَحِجُّ الْبَيْتِ وَ ٱعْتِمَارُهُ فَإنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَيَرْحَضَانِ الذَّنْبَ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ فَإنَّهَا مَثْرَاةٌ فِي الْمَالِ، وَ مَنْسَأَةٌ فِي الْأَجَلِ وَصَدَقَةُ السِّرِّ فَإنَّهَا تُكَفِّرُ الْخَطِيئَةَ، وَ صَدَقَةُ الْعَلاَنِيَةِ فَإنَّهَا تَدْفَعُ مِيتَةَ السُّوءِ، وَ صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ فَإنَّهَا تَقِي مَصَارِعَ الْهَوَانِ.

أَفِيضُوا فِي ذِكْرِ ٱللهِ فَإنَّهُ أَحْسَنُ الذِّكْرِ، وَ ٱرْغَبُوا فِيمَا وَعَدَ الْمُتَّقِينَ فَإنَّهُ أَصْدَقُ الْوَعْدِ، وَٱقْتَدُوا بِهَدْيِ نَبِيِّكُمْ فَإنَّهُ أَفْضَلُ الْهَدْيِ، وَ ٱسْتَنُّوا بِسُنَّتِهِ فَإنَّهُ أَهْدَى السُّنَنِ، وَ تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ فَإنَّهُ أَحْسَنُ الْحَدِيثِ، وَ تَفَقَّهُوا فِيهِ فَإنَّهُ رَبِيعُ الْقُلُوبِ، وَٱسْتَشْفُوا بِنُورِهِ فَإنَّهُ شِفَاءُ الصُّدُورِ، وَ أَحْسِنُوا تِلاَوَتَهُ فَإنَّهُ أَنْفَعُ الْقَصَصِ، فَإنَّ الْعَالِمَ الْعَامِلَ بِغَيْرِ عِلْمِهِ كَالْجَاهِلِ الْحَائِرِ الَّذِي لاَيَسْتَفِيقُ مِنْ جَهْلِهِ، بَلِ الْحُجَّةُ عَلَيْهِ أَعْظَمُ، وَالْحَسْرَةُ لَهُ أَلْزَمُ، وَ هُوَ عِنْدَ ٱللهِ أَلْوَمُ.

أقول : اراد: انّ افضل الوسائل الى الله، الايمان الكامل، فالايمان بالله و رسوله هو اصله، و باقى الفرائض والسنن كمالات له، و رغّب فى كل منهما بضمير صغراه، قوله: فانّه كذا، و تقدير الكبرى فى الكلّ، و كل ما كان كذلك فينبغي ان يفعل. و استعار لفظ الذروة: للجهّال لانّه اصل لقيام الدين فى الوجود، فكان اشرف و اعلى من غيره من سائر العبادات. والفطرة: فطرة الله التى فطر الناس عليها من التعبّدله، والاقرار بربوبيته. وجعل الصلاة هى الملّة: مجازاً تشريفا لانها اكثر اشتمالا على مقصود الملة فى جميع اجزائها، و هو: الالتفات الى الله تعالى و دوام ملاحظة عظمته.

قال الراوندى رحمه الله:[1] اراد بكون الزكاة فريضة: كونها سهما مقتطعا من المال وجوبا، والاّ لما كان لتخصيصها بالفريضة من بين سائرالفرائض معنىً. و خصّص صوم رمضان باستعارة لفظ الجُنَّة: لانّه اشد فى كسر النفس الامارة و قطع وسائل الشيطان التى هى الشهوات، و لذلك قال النّبى صلى الله عليه و آله: (انّ الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى الدم فضيّقوا مجاريه بالجوع). فكان الصوم على الخصوص اشدّ قمعًا للشيطان من سائر العبادات فكان اقوى جنّة فى دفع ما يلزم بسببه من العقاب.

و رغّب فى الحجّ، والعمرة، بفضيلتين: دنيوية و هى: كونهما ينفيان الفقر، و كان ذلك بسبب التجارة الحاصلة فى موسم الحجّ، و قيام الاسواق بمكة حينئذ. و اخروية و هى: كونهما يرحضان الذنب اى: يغسلانه. و كون صلة الرحم مثراة للمال يفهم له شيئان: احدهما: انّ العناية الالهية قسّمت لكل حيّ قسطاً من الرزق مدّ حياته فاذا إعدّت شخصًا من الناس للقيام بأمر جماعة و كفّلته بامدادهم، وجب فى العناية افاضته ارزاقهم بحسب استعداده لذلك و هو معنى كونه مثراة للمال. الثانى، انّ صلة الرحم من الاخلاق الحميدة التى تستمال بها طباع الخلق و تستجلب عاطفتهم فيكون سبباً لامداده ومعونته من ذوى الامداد، والمعونات: كالملوك وغيرهم فكان مثراة. و امّا كونها منسأة فى الأجل فلانّها توجب تعاطف ذوى الارحام، و معاضدتهم لواصلهم، فيكون عن اذى الاعداء ابعد و ذلك مظنّة طول عمره و تأخيره، و لانّها توجب تعلّق هَمِّهم ببقاءه واصلهم وامداده بالدعاء الّذى قد يكون شرطاً فى بقائه، فكانت صلتهم منساةً. والمنسأة: محل النسأ و هو: التأخير.

و كون صدقة السرّ تكفّر الخطيئة: لانّها ابعد عن الرياء، و اقرب الى رضى الله. وتكفيرها: سترها. و كون صدقة العلانية تدفع مِيتة السوء لاستلزامها الشهرة بفعل الخيرات، والذكر الجميل، و محبّة المتصدّق، و ذلك يمنع غالبا من ميتات السوء كالقتل، والحريق، و كل ما يكون بقصد الغير و فعله، لكان محبته و اشتهاره بفعل الجميل. والافاضة فى ذكر الله: الاندفاع وكونه أحسن الحديث لقوله تعالى: (اَللهُ نَزَّلَ اَحْسَنَ الْحَدِيثِ)[2] الآية. و استعار لفظ الربيع: لما فيه من فنون العلم الّذى هو مسارح أبصار

---

١ ـ منهاج البراعة ١/٤٧٣.
٢ ـ سورة الزمر / ٢٣.

البصائر لرياض الربيع. و شفاء للصدور: من امراض الجهل. والحجّة على العالم اعظم: لانّ العالمين ليس لهم ان يقولوا يوم القيامة (إِنَّا كُنَّا عَنْ هٰذا غافِلِينَ)[1]. والحسرة له الزم: لعلمه بما يفوته من الكمال بسبب التفريط، بخلاف الجاهل لجهله بما يفوته من ذلك، وهو عندالله ألوَم: باعتبار انقطاع عذره يومئذ، و قوّته: جرأته على المخالفة عن علم[2].

١٠٨ ـ وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أُحَذِّرُكُمُ الدُّنْيَا فَإِنَّهَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ، وَ تَحَبَّبَتْ بِالْعَاجِلَةِ، وَ رَاقَتْ بِالْقَلِيلِ، وَ تَحَلَّتْ بِالآمَالِ، وَ تَزَيَّنَتْ بِالْغُرُورِ؛ لاَ تَدُومُ حَبْرَتُهَا، وَلاَ تُؤْمَنُ فَجْعَتُهَا، غَرَّارَةٌ ضَرَّارَةٌ، حَائِلَةٌ زَائِلَةٌ، نَافِدَةٌ بَائِدَةٌ، أَكَّالَةٌ غَوَّالَةٌ، لاَ تَعْدُو إِذَا تَنَاهَتْ إِلَى أُمْنِيَّةِ أَهْلِ الرَّغْبَةِ فِيهَا، وَالرِّضَاءِ بِهَا، أَنْ تَكُونَ كَمَا قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: (كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ، وَ كَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا)[3] لَمْ يَكُنِ امْرُؤٌ مِنْهَا فِي حَبْرَةٍ إِلاَّ أَعْقَبَتْهَا عَبْرَةٌ، وَلَمْ يَلْقَ فِي سَرَّائِهَا بَطْنًا، إِلاَّ مَنَحَتْهُ مِنْ ضَرَّائِهَا ظَهْرًا، وَلَمْ تَطُلَّهُ فِيهَا دِيمَةُ رَخَاءٍ، إِلاَّ هَتَنَتْ عَلَيْهِ مُزْنَةُ بَلاَءٍ، وَ حَرِيٌّ، إِذَا أَصْبَحَتْ لَهُ مُنْتَصِرَةً، أَنْ تُمْسِيَ لَهُ مُتَنَكِّرَةً وَ إِنْ جَانِبٌ مِنْهَا اعْذَوْذَبَ، وَ احْلَوْلَى أَمَرَّ مِنْهَا جَانِبٌ فَأَوْبَى، لاَيَنَالُ امْرُؤٌ مِنْ غَضَارَتِهَا رَغَبًا، إِلاَّ أَرْهَقَتْهُ مِنْ نَوَائِبِهَا تَعَبًا، وَلاَيُمْسِي مِنْهَا فِي جَنَاحِ أَمْنٍ إِلاَّ أَصْبَحَ عَلَى قَوَادِمِ خَوْفٍ، غَرَّارَةٌ غُرُورٌ مَافِيهَا فَانِيَةٌ، فَانٍ مَنْ عَلَيْهَا لاَخَيْرَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَزْوَادِهَا إِلاَّ التَّقْوَى، مَنْ أَقَلَّ مِنْهَا اسْتَكْثَرَ مِمَّا يُؤْمِنُهُ، وَ مَنِ اسْتَكْثَرَ مِنْهَا اسْتَكْثَرَ مِمَّا يُوبِقُهُ، وَ زَالَ عَمَّا قَلِيلٍ عَنْهُ، كَمْ مِنْ وَاثِقٍ بِهَا فَجَعَتْهُ، وَذِي طُمَأْنِينَةٍ قَدْ صَرَعَتْهُ، وَ ذِي أُبَّهَةٍ قَدْ جَعَلَتْهُ حَقِيرًا، وَذِي نَخْوَةٍ قَدْرَدَّتْهُ ذَلِيلاً؟ سُلْطَانُهَا دُوَلٌ، وَعَيْشُهَا رَنِقٌ، وَعَذْبُهَا أُجَاجٌ، وَ حُلْوُهَا صَبِرٌ، وَغِذَاؤُهَا سِمَامٌ، وَ أَسْبَابُهَا رِمَامٌ، حَيُّهَا بِعَرَضِ مَوْتٍ، وَصَحِيحُهَا بِعَرَضِ سُقْمٍ، مُلْكُهَا مَسْلُوبٌ، وَعَزِيزُهَا مَغْلُوبٌ، وَمَوْفُورُهَا مَنْكُوبٌ وَجَارُهَا مَحْرُوبٌ، أَلَسْتُمْ فِي مَسَاكِنِ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَطْوَلَ أَعْمَارًا، وَ أَبْقَى آثَارًا، وَ أَبْعَدَ آمَالاً،

---

١ ـ سورة الاعراف / ١٧٢.
٢ ـ كلمة: يومئذ الى اخرها لم تكن في ش.
٣ ـ سورة الكهف/٤٥.

وَأَعَدَّ عَدِيدًا، وَأَكْثَفَ جُنُودًا: تَعَبَّدُوا لِلدُّنْيَا أَيَّ تَعَبُّدٍ وَآثَرُوهَا أَيَّ إِيْثَارٍ، ثُمَّ ظَعَنُوا عَنْهَا بِغَيْرِ زَادٍ مُبَلِّغٍ، وَلَاظَهْرٍ قَاطِعٍ؟؟!! فَهَلْ بَلَغَكُمْ أَنَّ الدُّنْيَا سَخَتْ لَهُمْ نَفْسًا بِفِدْيَةٍ، أَوْ أَعَانَتْهُمْ بِمَعُونَةٍ، أَوْ أَحْسَنَتْ لَهُمْ صُحْبَةً؟ بَلْ أَرْهَقَتْهُمْ بِالْفَوَادِحِ، وَأَوْهَنَتْهُمْ بِالْقَوَارِعِ وَضَعْضَعَتْهُمْ بِالنَّوَائِبِ، وَعَفَّرَتْهُمْ لِلْمَنَاخِرِ، وَوَطِئَتْهُمْ بِالْمَنَاسِمِ، وَأَعَانَتْ عَلَيْهِمْ رَيْبَ الْمَنُونِ، فَقَدْ رَأَيْتُمْ تَنَكُّرَهَا لِمَنْ دَانَ لَهَا، وَآثَرَهَا، وَأَخْلَدَ لَهَا حَتَّى ظَعَنُوا عَنْهَا لِفِرَاقِ الْأَبَدِ، وَهَلْ زَوَّدَتْهُمْ إِلَّا السَّغَبَ، أَوْ أَحَلَّتْهُمْ إِلَّا الضَّنْكَ أَوْ نَوَّرَتْ لَهُمْ إِلَّا الظُّلْمَةَ، أَوْ أَعْقَبَتْهُمْ إِلَّا النَّدَامَةَ؟ أَفَهٰذِهِ تُؤْثِرُونَ، أَمْ إِلَيْهَا تَطْمَئِنُّونَ، أَمْ عَلَيْهَا تَحْرِصُونَ؟؟ فَبِئْسَتِ الدَّارُ لِمَنْ لَمْ يَتَّهِمْهَا وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا عَلَى وَجَلٍ مِنْهَا، فَاعْلَمُوا ـ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ـ بِأَنَّكُمْ تَارِكُوهَا، وَظَاعِنُونَ عَنْهَا وَاتَّعِظُوا فِيهَا بِالَّذِينَ قَالُوا: (مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً) حُمِلُوا إِلَى قُبُورِهِمْ فَلَايُدْعَوْنَ رُكْبَانًا، وَأُنْزِلُوا الْأَجْدَاثَ فَلَا يُدْعَوْنَ ضِيفَانًا، وَجُعِلَ لَهُمْ مِنَ الصَّفِيحِ أَجْنَانٌ وَمِنَ التُّرَابِ أَكْفَانٌ، وَمِنَ الرُّفَاتِ جِيرَانٌ، فَهُمْ جِيرَةٌ لَايُجِيبُونَ دَاعِيًا وَلَايَمْنَعُونَ ضَيْمًا، وَلَايُبَالُونَ مَنْدَبَةً: إِنْ جِيدُوا لَمْ يَفْرَحُوا وَإِنْ قُحِطُوا لَمْ يَقْنَطُوا: جَمِيعٌ وَهُمْ آحَادٌ وَجِيرَةٌ وَهُمْ أَبْعَادٌ مُتَدَانُونَ لَا يَتَزَاوَرُونَ وَقَرِيبُونَ لَايَتَقَارَبُونَ، حُلَمَاءُ قَدْ ذَهَبَتْ أَضْغَانُهُمْ، وَجُهَلَاءُ قَدْ مَاتَتْ أَحْقَادُهُمْ، لَايُخْشَى فَجْعُهُمْ وَلَايُرْجَى دَفْعُهُمْ؛ اسْتَبْدَلُوا بِظَهْرِ الْأَرْضِ بَطْنًا، وَبِالسَّعَةِ ضِيقًا وَبِالْأَهْلِ غُرْبَةً، وَبِالنُّورِ ظُلْمَةً، فَجَاءُوهَا كَمَا فَارَقُوهَا حُفَاةً عُرَاةً، قَدْ ظَعَنُوا عَنْهَا بِأَعْمَالِهِمْ إِلَى الْحَيَاةِ الدَّائِمَةِ، وَالدَّارِ الْبَاقِيَةِ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: (كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ، وَعْدًا عَلَيْنَا، إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ).[1]

أقول : مدار[2] الفصل على ذمّ الدنيا، والتنفير عنها، بذكر معايبها، و ما يلزمها من غاية الموت. و استعار لها لفظ الحلوة الخضرة: باعتبار زينتها، و بهجتها، و خصّ متعلقي الذوق والبصر اعني: الخضرة والحلوة: لاكثريّة تأدية الحاستين المذكورتين، الى النفس الالتذاذ بواسطتهما دون سائر الحواسّ.

و راقت: أعجبت. والقليل: متاعها في متاع الآخرة، و وجه زينتها بالغرور: انّ ما يعدّ فيها زينة و خيراً من متاعها انّما هو بسبب الغفلة عن عاقبة ذلك و ثمرته في الآخرة. وحَبرتها: سرورها. والحائلة: الزائلة. و بائدة: هالكة. والغوّالة: التي تأخذ على غرّة.

---

١ ـ الانبياء/ ١٠٤.

٢ ـ في ش: هذا الفصل.

وقوله: لا تعدوا، الى قوله مقتدراً، اى: غاية ما يحصل للراغبين منها، و ما بلغته امانيّهم ان يفنى و هو وجه التمثيل. و كنّى بالبطن والظهر: عن اقبالها، وادبارها عن المرء. و طلّته اى: بلته، و استعار لفظ الديمة: للرخاء، و لفظ المزنة: للبلاء. و هتنت: سالت و اراد: انّ كل خير ناله المرء فيها فانّه غالب الأحوال يستعقب شرّا اكثر منه. و نبّه على ذلك بالطلّ، والهتن. والمتنكرة: المتغيّرة. واعذوذب و احلولى: مبالغة فى العذوبة والحلاوة. و اوبى: امرض. والغضارة: طيّب العيش. وارهقه تعباً: كلّفه اياه. و نبّه باستعارة لفظ الجناح: للأمن. و لفظ القوادم: للخوف و اراد: انّه ما من آمن فيها الّا و يستعقب خوفا اقوى منه و ما يؤمنه: هو الاعمال الصالحة. و ما يوبقه اى: يهلكه ففنياتها المهلكة بمحبّتها فى الآخرة. والابهة: العظمة، والنخوة: الكبر. و رنق: كدر. و استعار لفظ الاجاج والصبر والسمام لعذبها، و حلوها، و عذابها، باعتبار ما يلزمها فى الآخرة من مرارة العقاب و سوءالمذاق. وأسبابها: ما يتعلّق به المرء منها. والرمام: البالية لانّها فى عدم بقائها كالبالية. والموفور: ذوالوفور من المال. و المحروب: المسلوب ماله. والظهر: المركوب. وارهقتهم: غشيتهم. والفادح: الامر الشديد. والقارعة: الداهية. و ضعضعتهم: اذلّتهم. والتعفير: الصاق الوجه بالعفر و هوالتراب. والمنسم: خف البعير. و ريب المنون: صروفها. و دان: اطاع. و اخلد الى كذا: لصق به ولزمه. والسغب: الجوع.

و قوله: اَوَنَوَّرَتْ لهم الّا الظلمة اى: مانوّرت لهم، و لكن اوجبت لهم الظلمة و ذلك ما يكتسبه طالبوها من الجهل و ملكات السوء و من لم يتهمها هوالمعتقد انّها مطلوبة لذاتها، و ذلك من الهالكين لغفلته عن حقيقتها. و بئست الدار له، و نعم الدار لمن اتّهمها فعمل فيها على وجل منها و علم بعاقبتها. والمندبة: النوح. وجيدوا: مطروا. والقنوط: اليأس. و قوله: فجاؤها، الى آخره، اى: فكان مجيئهم اليها بالعود فيها كما فارقوها، و انفصلوا عنها بالخلق منها، و هو اشارة الى قوله تعالى: (منها خلقناكم و فيها نعيدكم)[1].

---

١ - سورة طه / ٥٥.

١٠٩ ـ وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

ذكر فيها ملك الموت

هَلْ تُحِسُّ بِهِ إِذَا دَخَلَ مَنْزِلًا؟ أَمْ هَلْ تَرَاهُ إِذَا تَوَفَّى أَحَدًا؟ بَلْ كَيْفَ يَتَوَفَّى الْجَنِينَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ؟ أَيَلِجُ عَلَيْهِ مِنْ بَعْضِ جَوَارِحِهَا، أَمِ الرُّوحُ أَجَابَتْهُ بِإِذْنِ رَبِّهَا؟ أَمْ هُوَ سَاكِنٌ مَعَهُ فِي أَحْشَائِهَا؟ كَيْفَ يَصِفُ إِلٰهَهُ مَنْ يَعْجِزُ عَنْ صِفَةِ مَخْلُوقٍ مِثْلِهِ!!؟

أقول: هذا الفصل من خطبة ذكرها في معرض تنزيه الله تعالى عن ادراك العقول البشرية.ووجه الاستدلال به: انّ الانسان عاجز عن وصف مخلوق مثله، كملك الموت، وعن معرفة كيفيّة تصرّفه في قبض النفوس الانسانية،وكلّ من كان كذلك كان عن صفة الٓهه الّذي هوابعد الاشياء عنه مناسبة اعجز.

١١٠ ـ وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

وَأُحَذِّرُكُمُ الدُّنْيَا، فَإِنَّهَا مَنْزِلُ قُلْعَةٍ، وَلَيْسَتْ بِدَارِ نُجْعَةٍ، قَدْ تَزَيَّنَتْ بِغُرُورِهَا، وَغَرَّتْ بِزِينَتِهَا، هَانَتْ عَلَى رَبِّهَا: فَخَلَطَ حَلَالَهَا بِحَرَامِهَا، وَخَيْرَهَا بِشَرِّهَا، وَحَيَاتَهَا بِمَوْتِهَا، وَحُلْوَهَا بِمُرِّهَا: لَمْ يُصْفِهَا اللّٰهُ تَعَالَى لِأَوْلِيَائِهِ، وَلَمْ يَضِنَّ بِهَا عَلَى أَعْدَائِهِ، خَيْرُهَا زَهِيدٌ، وَشَرُّهَا عَتِيدٌ، وَجَمْعُهَا يَنْفَدُ، وَمُلْكُهَا يُسْلَبُ وَعَامِرُهَا يَخْرَبُ، فَمَا خَيْرُ دَارٍ تُنْقَضُ نَقْضَ الْبِنَاءِ، وَعُمُرٍ يَفْنَى فِيهَا فَنَاءَ الزَّادِ وَمُدَّةٍ تَنْقَطِعُ انْقِطَاعَ السَّيْرِ؟! اجْعَلُوا مَا افْتَرَضَ اللّٰهُ عَلَيْكُمْ مِنْ طَلَبِكُمْ وَاسْأَلُوهُ مِنْ أَدَاءِ حَقِّهِ مَا سَأَلَكُمْ، وَأَسْمِعُوا دَعْوَةَ الْمَوْتِ آذَانَكُمْ قَبْلَ أَنْ يُدْعَى بِكُمْ. إِنَّ الزَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيَا تَبْكِي قُلُوبُهُمْ وَإِنْ ضَحِكُوا، وَيَشْتَدُّ حُزْنُهُمْ وَإِنْ فَرِحُوا، وَيَكْثُرُ مَقْتُهُمْ أَنْفُسَهُمْ وَإِنِ اغْتُبِطُوا بِمَا رُزِقُوا، قَدْ غَابَ عَنْ قُلُوبِكُمْ ذِكْرُ الْآجَالِ، وَحَضَرَتْكُمْ كَوَاذِبُ الْآمَالِ، فَصَارَتِ الدُّنْيَا أَمْلَكَ بِكُمْ مِنَ الْآخِرَةِ، وَالْعَاجِلَةُ أَذْهَبَ بِكُمْ مِنَ الْآجِلَةِ وَإِنَّمَا أَنْتُمْ إِخْوَانٌ عَلَى دِينِ اللّٰهِ: مَا فَرَّقَ بَيْنَكُمْ إِلَّا خُبْثُ السَّرَائِرِ، وَسُوءُ الضَّمَائِرِ: فَلَا تَوَازَرُونَ، وَلَا تَنَاصَحُونَ، وَلَا تَبَاذَلُونَ، وَلَا تَوَادُّونَ!! مَا بَالُكُمْ تَفْرَحُونَ بِالْيَسِيرِ مِنَ الدُّنْيَا

تُدْرِكُونَهُ، وَلَايَحْزُنُكُمُ الْكَثِيرُ مِنَ الآخِرَةِ تُحْرَمُونَهُ، وَيُقْلِقُكُمُ الْيَسِيرُ مِنَ الدُّنْيَا يَفُوتُكُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ ذٰلِكَ فِي وُجُوهِكُمْ وَقِلَّةِ صَبْرِكُمْ عَمَّا زُوِيَ مِنْهَا عَنْكُمْ؟؟!! كَأَنَّهَا دَارُ مُقَامِكُمْ، وَ كَأَنَّ مَتَاعَهَا بَاقٍ عَلَيْكُمْ!! وَمَا يَمْنَعُ أَحَدَكُمْ أَنْ يَسْتَقْبِلَ أَخَاهُ بِمَا يَخَافُ مِنْ عَيْبِهِ إِلَّا مَخَافَةَ أَنْ يَسْتَقْبِلَهُ بِمِثْلِهِ، قَدْ تَصَافَيْتُمْ عَلَى رَفْضِ الآجِلِ، وَحُبِّ الْعَاجِلِ، وَ صَارَ دِينُ أَحَدِكُمْ لُعْقَةً عَلَى لِسَانِهِ صَنِيعَ مَنْ قَدْ فَرَغَ مِنْ عَمَلِهِ وَأَحْرَزَ رِضَا سَيِّدِهِ!

اقول: منزل قلعة، بالضم اذا لم يصلح للاستيطان، والنجعة: بالضم طلب الكلاء، والمراد بغرورها الاول: افتنانها و ملذاتها مجازاً، اطلاقا لاسم المسبّب على السبب. وقوله: غرّت اى: استغفلت. و هوانها على ربّها: يعود الى عدم العناية بها بالذات، فلم تكن خيراً محضاً. و معنى خلطه حلالها بحرامها: جمعه فيها بينهما. و استعار لفظ حلوها و مرّها: لخيرها و شرّها. والعتيد: المهيّا. وقوله: من طلبتكم، اى: من جملة طلبتكم في الدنيا. و قوله: و اسألوه، الى قوله: ما سألكم، اى: اسألوه الّذى سألكم ايّاه من اداء حقه بالاعانة[1] والتوفيق له. و اسماعه دعوة الموت: إذانهم اخطار نزوله بهم بالبال من سماع ذكره. و قلّة صبركم: عطف على وجوهكم. واللعقة بالضمّ: اسم لما يأخذه الملعقة مما يلعق، و استعاره: للاقرار بالدين باللسان، و كنّى به: عن ضعفه و قلّته. و صنيع: مصدر اى: يصنعون فى ترك الدين الصنيع المذكور.

١١١ ـ وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الْوَاصِلِ الْحَمْدَ بِالنِّعَمِ، وَالنِّعَمَ بِالشُّكْرِ. نَحْمَدُهُ عَلَى آلَائِهِ، كَمَا نَحْمَدُهُ عَلَى بَلَائِهِ، وَ نَسْتَعِينُهُ عَلَى هٰذِهِ النُّفُوسِ الْبِطَاءِ عَمَّا أُمِرَتْ بِهِ، السِّرَاعِ إِلَى مَا نُهِيَتْ عَنْهُ، وَ نَسْتَغْفِرُهُ مِمَّا أَحَاطَ بِهِ عِلْمُهُ وَ أَحْصَاهُ كِتَابُهُ: عِلْمٌ غَيْرُ قَاصِرٍ وَ كِتَابٌ غَيْرُ مُغَادِرٍ. وَ نُؤْمِنُ بِهِ إِيمَانَ مَنْ عَايَنَ الْغُيُوبَ، وَ وَقَفَ عَلَى الْمَوْعُودِ: إِيمَاناً نَفَى إِخْلَاصُهُ الشِّرْكَ، وَيَقِينُهُ الشَّكَّ. وَ نَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَ رَسُولُهُ، صَلَّى اللّٰهُ

[1] ـ في نسخة ش بزيادة: عليه.

عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ. شَهَادَتَيْنِ تُصْعِدَانِ الْقَوْلَ، وَ تَرْفَعَانِ الْعَمَلَ: لَا يَخِفُّ مِيزَانٌ تُوضَعَانِ فِيهِ، وَلَا يَثْقُلُ مِيزَانٌ تُرْفَعَانِ عَنْهُ.

أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللهِ بِتَقْوَى اللهِ الَّتِي هِيَ الزَّادُ، وَبِهَا الْمَعَادُ، زَادٌ مُبَلِّغٌ، وَمَعَادٌ مُنْجِحٌ، دَعَا إِلَيْهَا أَسْمَعُ دَاعٍ، وَ وَعَاهَا خَيْرُ وَاعٍ، فَأَسْمَعَ دَاعِيهَا، وَ فَازَ وَاعِيهَا. عِبَادَ اللهِ، إِنَّ تَقْوَى اللهِ حَمَتْ أَوْلِيَاءَ اللهِ مَحَارِمَهُ، وَأَلْزَمَتْ قُلُوبَهُمْ مَخَافَتَهُ حَتَّى أَسْهَرَتْ لَيَالِيَهُمْ، وَأَظْمَأَتْ هَوَاجِرَهُمْ، فَأَخَذُوا الرَّاحَةَ بِالنَّصَبِ وَالرِّيَّ بِالظَّمَأِ، وَ اسْتَقْرَبُوا الْأَجَلَ، فَبَادَرُوا الْعَمَلَ، وَكَذَّبُوا الْأَمَلَ، فَلَاحَظُوا الْأَجَلَ. ثُمَّ إِنَّ الدُّنْيَا دَارُ فَنَاءٍ وَعَنَاءٍ، وَغِيَرٍ وَعِبَرٍ: فَمِنَ الْفَنَاءِ أَنَّ الدَّهْرَ مُوتِرٌ قَوْسَهُ، لَا تُخْطِىءُ سِهَامُهُ، وَلَا تُؤْسَى جِرَاحُهُ، يَرْمِي الْحَيَّ بِالْمَوْتِ وَالصَّحِيحَ بِالسُّقْمِ، وَالنَّاجِيَ بِالْعَطَبِ؛ آكِلٌ لَا يَشْبَعُ، وَشَارِبٌ لَا يَنْقَعُ وَمِنَ الْعَنَاءِ أَنَّ الْمَرْءَ يَجْمَعُ مَا لَا يَأْكُلُ، وَيَبْنِي مَا لَا يَسْكُنُ، ثُمَّ يَخْرُجُ إِلَى اللهِ لَا مَالاً حَمَلَ، وَلَا بِنَاءً نَقَلَ، وَمِنْ غِيَرِهَا أَنَّكَ تَرَى الْمَرْحُومَ مَغْبُوطاً، وَالْمَغْبُوطَ مَرْحُوماً، لَيْسَ ذٰلِكَ إِلَّا نَعِيماً زَلَّ، وَ بُؤْساً نَزَلَ، وَمِنْ عِبَرِهَا أَنَّ الْمَرْءَ يُشْرِفُ عَلَى أَمَلِهِ، فَيَقْتَطِعُهُ حُضُورُ أَجَلِهِ، فَلَا أَمَلٌ يُدْرَكُ، وَلَا مُؤَمَّلٌ يُتْرَكُ! فَسُبْحَانَ اللهِ!! مَا أَغَرَّ سُرُورَهَا، وَأَظْمَأَ رِيَّهَا، وَأَضْحَى فَيْئَهَا، لَا جَاءٍ يُرَدُّ، وَلَا مَاضٍ يَرْتَدُّ! فَسُبْحَانَ اللهِ!! مَا أَقْرَبَ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ لِلَحَاقِهِ بِهِ، وَ أَبْعَدَ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ لِانْقِطَاعِهِ عَنْهُ.

إِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ بِشَرٍّ مِنَ الشَّرِّ إِلَّا عِقَابُهُ، وَلَيْسَ شَيْءٌ بِخَيْرٍ مِنَ الْخَيْرِ إِلَّا ثَوَابُهُ وَ كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا سَمَاعُهُ أَعْظَمُ مِنْ عِيَانِهِ، وَ كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الْآخِرَةِ عِيَانُهُ أَعْظَمُ مِنْ سَمَاعِهِ، فَلْيَكْفِكُمْ مِنَ الْعِيَانِ السَّمَاعُ، وَ مِنَ الْغَيْبِ الْخَبَرُ، وَاعْلَمُوا أَنَّ مَا نَقَصَ مِنَ الدُّنْيَا وَ زَادَ فِي الْآخِرَةِ خَيْرٌ مِمَّا نَقَصَ مِنَ الْآخِرَةِ وَ زَادَ فِي الدُّنْيَا؛ فَكَمْ مِنْ مَنْقُوصٍ رَابِحٍ وَ مَزِيدٍ خَاسِرٍ. إِنَّ الَّذِي أُمِرْتُمْ بِهِ أَوْسَعُ مِنَ الَّذِي نُهِيتُمْ عَنْهُ، وَ مَا أُحِلَّ لَكُمْ أَكْثَرُ مِمَّا حُرِّمَ عَلَيْكُمْ، فَذَرُوا مَا قَلَّ لِمَا كَثُرَ. وَ مَا ضَاقَ لِمَا اتَّسَعَ، قَدْ تُكُفِّلَ لَكُمْ بِالرِّزْقِ، وَ أُمِرْتُمْ بِالْعَمَلِ، فَلَا يَكُونَنَّ الْمَضْمُونُ لَكُمْ طَلَبُهُ أَوْلَى بِكُمْ مِنَ الْمَفْرُوضِ عَلَيْكُمْ عَمَلُهُ، مَعَ أَنَّهُ، وَاللهِ، لَقَدِ اعْتَرَضَ الشَّكُّ وَ دَخَلَ الْيَقِينُ، حَتَّى كَأَنَّ الَّذِي ضُمِنَ لَكُمْ قَدْ فُرِضَ عَلَيْكُمْ، وَكَأَنَّ الَّذِي فُرِضَ عَلَيْكُمْ قَدْ وُضِعَ عَنْكُمْ! فَبَادِرُوا الْعَمَلَ، وَخَافُوا بَغْتَةَ الْأَجَلِ؛ فَإِنَّهُ لَا يُرْجَى مِنْ رَجْعَةِ الْعُمُرِ مَا يُرْجَى مِنْ رَجْعَةِ الرِّزْقِ، مَا فَاتَ مِنَ الرِّزْقِ رُجِيَ غَداً زِيَادَتُهُ، وَمَا فَاتَ أَمْسِ مِنَ الْعُمُرِ لَمْ يُرْجَ الْيَوْمَ رَجْعَتُهُ. الرَّجَاءُ مَعَ الْجَائِي، وَالْيَأْسُ مَعَ الْمَاضِي (فَاتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا

وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ).

اقول: وصله تعالى الحمد بالنعم: افاضتها على الشاكرين، بحسب استعدادهم لحمده و مقتضي وعده الكريم (لئن شكرتم لأزيدنكم)[1] و وصله النعم بالشكر: افاضة صور الشكر على قلوب المنعم عليهم، و اعترافهم بالنعمة و تلك الافاضة نعمة اخرى من فضله و يحتمل ان يريد: انّه تعالى يصل نعمته على حامديه بشكره لهم (فأنّ الله شاكر عليم)[2].

و جعل الحمد على البلاء اصلا في التشبيه: لانّ الابتلاء نعمة عظيمة و في حق أولياء الله اقوى من النعم المشهورة، تنبيها و جذبا الى الله و كنيّ به: اللوح المحفوظ الّذي (لايغادر صغيرة و لاكبيرة الّا احصاها). و من عاين الغيوب اى: شاهدبعين يقينه الامور الغائبة، و كوشف بالموعود من احوال الآخرة، و تصعّدان القول الى محل القبول من حضرة العزّة لانّهما اصلان في الإيمان. و اسمع داع: هوالرسول صلى الله عليه وآله اى: اشدّهم اسماعا للخلق و تبليغا. و خير واع هوعليه السلام، و من سارع الى اجابة الداعي. و نسبة السهر الى الليالي والظماء الى الهواجر: مجاز به اقامة الظرف مقام المظروف المفعول به مبالغة كقولهم: نهاره صائم، و ليله قائم. و قوله: فأخذوا الى قوله: الظمأ، اى: استعدّوا بتعبهم في الدنيا، و ظمائهم فيها لراحة الآخرة، والدين من رحيقها المختوم، و روى: فلاحظوا بالفاء والاشبه الواو لترتب تكذيب الأمل على ملاحظة الأجل، دون العكس والواو لايفيد الترتّب، و يحتمل الفاء لافادة الملازمة بين تكذيب الأمل و ملاحظة الأجل، و ترتّب تصوّر كل منهما على تصور السابق منهما في الذهن. و لا توسى اى: لايمكن طبها و دوائها. و لاينقع: لايروى. و قوله: و من غيرها، الى قوله: تدلّ، اى: انّك ترى المرحوم بها و هوالفقير العاجز قد استبدل بفقره غنى، و بذلّه عزّا، فصار مغبوطا بعد ان كان مرحوما، و تارة يرى العكس من ذلك و ليس ذلك الا نعيما زال عن المغبوط، و بؤسا بدل به: و هو معنى تغيّرها. و استعار لفظ الرّي: لكمال الالتذاذ بها، و لفظ الفئ:

---

١ - سورة ابراهيم / ٧.

٢ - سورة البقرة / ١٥٨.

للانتفاع بفيئاتها، و اذ ذلك اقوى صارف يستغفل العبد عن الله، فسرورها اقوى مايغر صاحبه. و ريّها اعظم ما يظمأ به صاحبه من شراب الأبرار في دار القران، وفيها اشدّ ضحى للمستظلّ بها. والضحى: البروز لحرالشمس.

و قوله: ليس شيئ الى قوله: ثوابه، يريد الخير والشر، المتصوّرين بالقياس الى شرور الدنيا و خيراتها، فانّها امور مستحقرة في جنب عقاب الله و ثوابه، و يحتمل ان يريد الشر والخير المطلقين للمبالغة، اذ يقال: هذا اشدّ من الشديد. و قوله: فليكفكم اى: من عيان الامور الاخرويّة سماعها، و من غيبها الخير عنها اذ لايمكن الاطّلاع عليها في هذا العالم، و ما نقص من الدنيا: كالزكاة، والعبادة البدنية الآخذين من المال والبدن، فانّه مستلزم لزيادة الدرجة في الآخرة لمن قصدها به، و ما يقابل ذلك من الزيادة في الدنيا مستلزم للغفلة عن الآخرة، و نقصان الحال فيها، و ما امرنا به و احلّ لنا اوسع من الّذي نهينا عنه و حرّم علينا، لانّ الحلال اقسام اربعة: و هي: الواجب، والمندوب، والمباح، والمكروه، والحرام قسم واحد فقط، و اعترض الشك فيما اقول من ضمان الرزق و فرض العبادة. و قوله: الرجاء مع الجائي، اى: مع الرزق. و اليأس مع الماضي اى: من العمر.

١١٢ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

في الاستسقاء

اللَّهُمَّ قَدِ انْصَاحَتْ جِبَالُنَا، وَاغْبَرَّتْ أَرْضُنَا، وَهَامَتْ دَوَابُّنَا، وَتَحَيَّرَتْ فِي مَرَابِضِهَا، وَعَجَّتْ عَجِيجَ الثَّكَالَى عَلَى أَوْلَادِهَا، وَمَلَّتِ التَّرَدُّدَ فِي مَرَاتِعِهَا، وَالْحَنِينَ إِلَى مَوَارِدِهَا. اللَّهُمَّ فَارْحَمْ أَنِينَ الآنَّةِ، وَحَنِينَ الْحَانَّةِ. اللَّهُمَّ فَارْحَمْ حَيْرَتَهَا فِي مَذَاهِبِهَا وَأَنِينَهَا فِي مَوَالِجِهَا، اللَّهُمَّ خَرَجْنَا إِلَيْكَ حِينَ اعْتَكَرَتْ عَلَيْنَا حَدَابِيرُ السِّنِينَ، وَأَخْلَفَتْنَا مَخَايِلُ الْجُودِ؛ فَكُنْتَ الرَّجَاءَ لِلْمُبْتَئِسِ وَالْبَلَاغَ لِلْمُلْتَمِسِ: نَدْعُوكَ حِينَ قَنَطَ الأَنَامُ، وَمُنِعَ الْغَمَامُ، وَهَلَكَ السَّوَامُ أَنْ لَا تُؤَاخِذَنَا بِأَعْمَالِنَا، وَلَا تَأْخُذَنَا بِذُنُوبِنَا، وَانْشُرْ عَلَيْنَا رَحْمَتَكَ بِالسَّحَابِ الْمُنْبَعِقِ، وَالرَّبِيعِ الْمُغْدِقِ، وَالنَّبَاتِ الْمُونِقِ، سَحّاً وَابِلاً، تُحْيِي بِهِ مَا قَدْ مَاتَ وَتَرُدُّ بِهِ مَا قَدْ فَاتَ. اللَّهُمَّ سُقْيَا مِنْكَ، مُحْيِيَةً، مُرْوِيَةً، تَامَّةً، عَامَّةً، طَيِّبَةً، مُبَارَكَةً، هَنِيئَةً، مَرِيعَةً، زَاكِيًا

نَبْتُهَا، ثَامِراً فَرْعُهَا، نَاضِرًا وَرَقُهَا، تُنْعِشُ بِهَا الضَّعِيفَ مِنْ عِبَادِكَ، وَتُحْيِي بِهَا الْمَيْتَ مِنْ بِلاَدِكَ . اَللَّهُمَّ سُقْيًا مِنْكَ تُعْشِبُ بِهَا نِجَادُنَا، وَتَجْرِي بِهَاوِهَادُنَا، وَتُخْصِبُ بِهَا جَنَابُنَا، وَتُقْبِلُ بِهَا ثِمَارُنَا، وَتَعِيشُ بِهَا مَوَاشِينَا، وَتَنْدَى بِهَا أَقَاصِينَا، وَتَسْتَعِينُ بِهَا ضَوَاحِينَا، مِنْ بَرَكَاتِكَ الْوَاسِعَةِ، وَعَطَايَاكَ الْجَزِيلَةِ عَلَى بَرِيَّتِكَ الْمُرْمِلَةِ وَوَحْشِكَ الْمُهْمَلَةِ، وَأَنْزِلْ عَلَيْنَا سَمَاءً مُخْضِلَةً، مِدْرَاراً هَاطِلَةً، يُدَافِعُ الْوَدْقُ مِنْهَا الْوَدْقَ، وَيَحْفِزُ الْقَطْرُ مِنْهَا الْقَطْرَ، غَيْرَ خُلَّبٍ بَرْقُهَا، وَلَا جَهَامٍ عَارِضُهَا وَلَاقَزَعٍ رَبَابُهَا. وَلَاشَفَّانٍ ذِهَابُهَا، حَتَّى يُخْصِبَ لِإِمْرَاعِهَا الْمُجْدِبُونَ، وَيَحْيَا بِبَرَكَتِهَا الْمُسْنِتُونَ، فَإِنَّكَ تُنْزِلُ الْغَيْثَ بَعْدَ مَاقَنَطُوا، وَتَنْشُرُ رَحْمَتَكَ وَأَنْتَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ.

قال السيد ـ رحمه الله ـ! قوله عليه السلام «انصاحت جبالُنا» أي تشققت من المحول. يقال: انصاح الثوب، اذا انشق. ويقال ايضاً: انصاح النبت وصاح وصوّح اذا جفّ ويبسَ، وقوله «وهامت دوابنا» اي: عطشت، والهيام: العطش، وقوله «حدابير السنين» جمع حدبار: وهي الناقه التي أنضاها السير فشبه السنه التي فشا فيها الجدب، قال ذوالرمه:

حدابير ماتنفكّ إلّا مُناخةً | على الخسف أونرمي بهابَلَداًقفرا

وقوله «ولاقزع ربابها»: القزع: القطع الصغار المتفرقه من السحاب، وقوله «ولاشفان ذهابها» فانّ تقديره: ولاذات شفان ذهابها، والشفان: الريح البارده، والذهاب: الأمطار اللينه، فحذف «ذات» لعلم السامع به.

أقول: اعتكرت: اختلطت. والمخايل: جمع مخيلة: للسحابة التى ترجى المطر منها. والمبتئس: الحزين. والمنبعق والمنبعج: السحاب المنصب بشدّة. والمغدق: كثير الماء، و يحتمل ان يريد بالربيع هنا: المطر. والسقيا: بالضم، الاسم من السقى. والخلّب: السحاب الّذى يكذب الظّن. والمربع: المخصب. والنجاد: جمع نجد، للمرتفع من الارض. والضواحي البارزة اى: اهل نواحينا. والمرمّلة: القليلة المطر. والمخضلة: الرطبة. والودق: القطر. والجهام: المظلم الذى لاماء فيه. والمسنتون الّذين اصابتهم شدة السنة. و سحاً: مصدر اوحال. والسماء المخضلة: المطر نفسه. والفصل واضح.

۱۱۳ ـ وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

أَرْسَلَهُ دَاعِيًا إِلَى الْحَقِّ، وَشَاهِدًا عَلَى الْخَلْقِ، فَبَلَّغَ رِسَالاَتِ رَبِّهِ، غَيْرَ وَانٍ وَلَا مُقَصِّرٍ، وَجَاهَدَ فِي اللّهِ أَعْدَاءَهُ غَيْرَ وَاهِنٍ وَلَامُعَذِّرٍ، إِمَامُ مَنِ اتَّقَى وَبَصَرُ مَنِ اهْتَدَى.

أقول: الوهن: الضعف. والمعذّر: المقصّر في عذره. واستعار له لفظ البصر: لهداية الخلق به.

منها:

لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ مِمَّا طُوِيَ عَنْكُمْ غَيْبُهُ إِذًا لَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعُدَاتِ، تَبْكُونَ عَلَى أَعْمَالِكُمْ، وَتَلْتَدِمُونَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلَتَرَكْتُمْ أَمْوَالَكُمْ لَاحَارِسَ لَهَا، وَلَا خَالِفَ عَلَيْهَا، وَلَهَمَّتْ كُلَّ امْرِيءٍ نَفْسُهُ، لَايَلْتَفِتُ إِلَى غَيْرِهَا، وَلٰكِنَّكُمْ نَسِيتُمْ مَا ذُكِّرْتُمْ، وَأَمِنْتُمْ مَا حُذِّرْتُمْ، فَتَاهَ عَنْكُمْ رَأْيُكُمْ، وَتَشَتَّتَ عَلَيْكُمْ أَمْرُكُمْ، وَلَوَدِدْتُ أَنَّ اللّهَ فَرَّقَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ، وَأَلْحَقَنِي بِمَنْ هُوَ أَحَقُّ بِي مِنْكُمْ: قَوْمٌ، وَاللّهِ، مَيَامِينُ الرَّأْيِ، مَرَاجِيحُ الْحِلْمِ مَقَاوِيلُ بِالْحَقِّ، مَتَارِيكُ لِلْبَغْيِ، مَضَوْا قُدُمًا عَلَى الطَّرِيقَةِ، وَأَوْجَفُوا عَلَى الْمَحَجَّةِ، فَظَفِرُوا بِالْعُقْبَى الدَّائِمَةِ، وَالْكَرَامَةِ الْبَارِدَةِ، أَمَا وَاللّهِ لَيُسَلَّطَنَّ عَلَيْكُمْ غُلَامُ ثَقِيفٍ الذَّيَّالُ الْمَيَّالُ: يَأْكُلُ خَضِرَتَكُمْ، وَيُذِيبُ شَحْمَتَكُمْ إِيهٍ أَبَا وَذَحَةَ!

قال السيد ـ رحمه الله ـ: أقول: الوذحه: الخنفساء، وهذا القول يومئ به الى الحجّاج، وله مع الوذحه حديثٌ ليس هذا موضع ذكره.

أقول: ما طوى عنهم علم غيبه: هي الفتن المستقبلة. وقيل: الاحوال الاخرويّة. والصعدات: جمع صعيد، وهي: الطرق. وكنّى بذلك: عن قوّة جزعهم لو علموا ماسيقع. واللّدم ضرب الوجه والصدر ونحوه. ونسيانهم ما ذكّروا اى: من آيات الله. وقوله: قوم: تفسير لمن هو احقّ به منهم، واراد: من درج من اصحابه رضى الله عنهم. ورأى ميمون: مبارك. وقدماً: بضمّ الدال اى: متقدّمين فى سبيل الله لم ينثنوا عنها. الوجيف: سيرفيه سرعة. والمحجّة: طريق الله الواضحة. والعرب تصف الكرامة والنعمة: بالبرد. وغلام

ثقيف: هوالحجاج بن يوسف. من الاخلاف: قوم من ثقيف. والذيّال: طويل الذيل يسحبه تبختراً. و كنى به: عن تكبره و كنى بخضرتهم: عن دنياهم. و ايه: كلمة من اسماء الأفعال لامريستدعي بها الحديث او الفعل المعهود، و تنوّن في الدارج، و اصل الوَذَحة: بفتح الذال، ما يتعلّق بذنب الشاة من بعرها، و استعار لفظها: للخنفساء. و امّا حديثه معها فروى: انّه كان يوماً على سجادة له فدبّت اليه خنفساء، و كان يكرهها، فقال: نحّوها فانّها وذحة من و ذوح الشيطان.

١١٤ - وَمِنْ كلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

فَلاَ أَمْوَالَ بَذَلْتُمُوهَا لِلَّذِي رَزَقَهَا، وَلاَ أَنْفُسَ خَاطَرْتُمْ بِهَا لِلَّذِي خَلَقَهَا، تكْرُمُونَ بِاللهِ عَلَى عِبَادِهِ، وَلاَ تُكْرِمُونَ ٱللهَ فِي عِبَادِهِ، فَٱعْتَبِرُوا بِنُزُولِكُمْ مَنَازِلَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَ ٱنْقِطَاعِكُمْ عَنْ أَوْصَلِ إِخْوانِكُمْ.

أقول: تكرمون بالله: اى يعظمكم عباد الله بطاعته، و دخولكم فى دينه. و اصل اخوانهم: هى الدنيا. و روى: اصل اى: اقربهم اليه اصلا. و روى: اوصل. والفصل ظاهر.

١١٥ - وَمِنْ كلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

أَنْتُمُ الأَنْصَارُ عَلَى الْحَقِّ، وَ الإِخْوَانُ فِي الدِّينِ، وَالْجُنَنُ يَوْمَ الْبَأْسِ وَالْبِطَانَةُ دُونَ النَّاسِ، بِكُمْ أَضْرِبُ الْمُدْبِرَ، وَأَرْجُو طَاعَةَ الْمُقْبِلِ، فَأَعِينُونِي بِمُنَاصَحَةٍ خَلِيَّةٍ مِنَ الْغِشِّ؛ سَلِيمَةٍ مِنَ الرَّيْبِ؛ فَوَٱللهِ إِنِّي لَأَوْلَى النَّاسِ بِالنَّاسِ.

أقول: الجنّة ما استترت به من السلاح. و بطانة الرجل: خاصّته. والريب: الشّك.

١١٦ ـ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

وقد جمع الناس وحضّهم على الجهاد فسكتوا مليّاً

فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ: ما بالُكُم أَمُخْرَسُونَ أَنْتُمْ؟ فقال قوم منهم: يا أمير المؤمنين، إن سرت سرنا معك؛ فقال عليه السلام:

مَا بَالُكُمْ لاَ سُدِّدْتُمْ لِرُشْدٍ، وَلاَهُدِيتُمْ لِقَصْدٍ؟ أَفِي مِثْلِ هٰذَا يَنْبَغِي لي أَنْ أَخْرُجَ؟! إِنَّمَا يَخْرُجُ فِي مِثْلِ هٰذَا رَجُلٌ مِمَّنْ أَرْضَاهُ مِنْ شُجْعَانِكُمْ وَ ذَوِي بَأْسِكُمْ، وَلاَيَنْبَغِي لِي أَنْ أَدَعَ الْمِصْرَ، وَالْجُنْدَ، وَبَيْتَ الْمَالِ، وَجِبَايَةَ الْأَرْضِ وَالْقَضَاءَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، وَالنَّظَرَ فِي حُقُوقِ الْمُطَالِبِينَ، ثُمَّ أَخْرُجَ فِي كَتِيبَةٍ أَتْبَعُ أُخْرَى أَتَقَلْقَلُ تَقَلْقُلَ الْقِدْحِ فِي الْجَفِيرِ الْفَارِغِ. وَإِنَّمَا أَنَا قُطْبُ الرَّحَى: تَدُورُ عَلَيَّ وَأَنَا بِمَكَانِي، فَإِذَا فَارَقْتُهَا ٱسْتَحَارَ مَدَارُهَا، وَٱضْطَرَبَ ثِفَالُهَا هٰذا ـ لَعَمْرُ ٱللهِ ـ الرَّأْيُ السُّوءُ!! وَٱللهِ لَوْلاَ رَجَائِي الشَّهَادَةَ عِنْدَ لِقَائِي الْعَدُوَّ لَوْقَدْ حُمَّ لِي لِقَاؤُهُ، لَقَرَّبْتُ رِكَابِي، ثُمَّ شَخَصْتُ عَنْكُمْ، فَلاَ أَطْلُبُكُمْ مَا ٱخْتَلَفَ جَنُوبٌ وَشَمَالٌ. إِنَّهُ لاَغَنَاءَ فِي كَثْرَةِ عَدَدِكُمْ، مَعَ قِلَّةِ ٱجْتِمَاعِ قُلُوبِكُمْ. لَقَدْ حَمَلْتُكُمْ عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ الَّتِي لاَيَهْلِكُ عَلَيْهَا إِلاَّ هَالِكٌ، مَنِ ٱسْتَقَامَ فَإِلَى الْجَنَّةِ، وَمَنْ زَلَّ فَإِلَى النَّارِ.

أقول: الحض: التحريض. والكتيبة: الجيش. والقدح: السهم قبل ان يراش. والجفير: الكنانة اوسع منها، واستعار لنفسه: لفظ القطب باعتبار دوران رحى الاسلام عليه. و استحار: تردّد، و اضطرب. و ثفال الرحى: الجلد الّذى توضع عليه لحفظ الدقيق. وحمّ: قدّر. ولقرّبت: جواب لولا، و جواب لو: مقدّر فيما قبلها.

١١٧ ـ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

تَاللهِ لَقَدْ عَلِمْتُ تَبْلِيغَ الرِّسَالاَتِ، وَإِتْمَامَ الْعِدَاتِ، وَتَمَامَ الْكَلِمَاتِ، وَعِنْدَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ أَبْوَابُ الْحِكَمِ، وَضِيَاءُ الْأَمْرِ، أَلاَ وَإِنَّ شَرَائِعَ الدِّينِ وَاحِدَةٌ، وَسُبُلَهُ قَاصِدَةٌ، مَنْ أَخَذَ بِهَا لَحِقَ وَغَنِمَ، وَمَنْ وَقَفَ عَنْهَا ضَلَّ وَنَدِمَ اعْمَلُوا لِيَوْمٍ تُذْخَرُ لَهُ الذَّخَائِرُ، وَتُبْلَى فِيهِ

السَّرَائِرُ، وَمَنْ لاَيَنْفَعُهُ حَاضِرُ لُبِّهِ فَعَازِبُهُ عَنْهُ أَعْجَزُ، وَغَائِبُهُ أَعْوَزُ، وَاتَّقُوا نَارًا حَرُّهَا شَدِيدٌ، وَقَعْرُهَا بَعِيدٌ، وَحِلْيَتُهَا حَدِيدٌ، وَشَرَابُهَا صَدِيدٌ.

أَلاَ وَإِنَّ اللِّسَانَ الصَّالِحَ يَجْعَلُهُ اللهُ لِلْمَرْءِ فِي النَّاسِ، خَيْرٌ لَهُ مِنَ الْمَالِ يُورِثُهُ مَنْ لاَ يَحْمَدُهُ.

اقول : علم تبليغ الرسالات: علمه بكيفيّة ادائها، بحسب كلّ فهم. و اتمام العدات اى: من الله تعالى لعباده الصالحين. و تمام الكلمات: تفسير كلام الله وتأويله. و ضياء الامر: بيان الامور المشبّهة في الدين. استعار لفظ الشرائع والسبل: لقوانين الدين اولأئمته، لانّهم موارد الخلق، يغترفون منها فرات العلم والحكمة واحدة، اى: من مقصدها و غايتها. و قاصدة لاجور فيها. والذخائر: الأعمال الصالحة. و ابتلاء السرائر: اختبارها بالسؤال في محفل القيامة. و من لاينفعه حاضر لبّه، اى في الحياة الدنيا. فعازبه اى: حين الموت اعوز اى: اشدّ فوتاً لمنفعته. و قوله: و حليتها حديد: كالسلاسل والاغلال. واللسان الصالح: هوالذكر الجميل بفعل الخير.

١١٨ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

و قد قام إليه رجل من أصحابه فقال: نهيتنا عن الحكومة ثم أمرتنابها، فلم ندر أي الأمرين أرشد؟ فصفق عليه السلام إحدى يديه على الأخرى ثم قال:

هٰذَا جَزَاءُ مَنْ تَرَكَ الْعُقْدَةَ! أَمَا وَاللهِ لَوْأَنِّي حِينَ أَمَرْتُكُمْ بِمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ حَمَلْتُكُمْ عَلَى الْمَكْرُوهِ الَّذِي يَجْعَلُ اللهُ فِيهِ خَيْرًا: فَإِنِ اسْتَقَمْتُمْ هَدَيْتُكُمْ، وَإِنِ اعْوَجَجْتُمْ قَوَّمْتُكُمْ، وَإِنْ أَبَيْتُمْ تَدَارَكْتُكُمْ؛ لَكَانَتِ الْوُثْقَى، وَلٰكِنْ بِمَنْ؟ وَإِلَى مَنْ؟ أُرِيدُ أَنْ أُدَاوِيَ بِكُمْ وَأَنْتُمْ دَائِي، كَنَاقِشِ الشَّوْكَةِ بِالشَّوْكَةِ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ ضَلْعَهَا مَعَهَا.

اللّٰهُمَّ قَدْ مَلَّتْ أَطِبَّاءُ هٰذَا الدَّاءِ الدَّوِيِّ، وَكَلَّتِ النَّزَعَةُ بِأَشْطَانِ الرَّكِيِّ أَيْنَ الْقَوْمُ الَّذِينَ دُعُوا إِلَى الْإِسْلاَمِ فَقَبِلُوهُ؟ وَقَرَأُوا الْقُرْآنَ فَأَحْكَمُوهُ، وَهِيجُوا إِلَى الْقِتَالِ فَوَلِهُوا وَلَهَ اللِّقَاحِ إِلَى أَوْلاَدِهَا، وَسَلَبُوا السُّيُوفَ أَغْمَادَهَا وَأَخَذُوا بِأَطْرَافِ الْأَرْضِ زَحْفًا زَحْفًا وَصَفًّا صَفًّا؟ بَعْضٌ هَلَكَ وَبَعْضٌ نَجَا! لاَيُبَشَّرُونَ بِالْأَحْيَاءِ، وَلاَيُعَزَّوْنَ بِالْمَوْتَى، مُرْهُ الْعُيُونِ مِنَ الْبُكَاءِ،

خُمْصُ الْبُطُونِ، مِنَ الصِّيَامِ، ذُبُلُ الشِّفَاهِ مِنَ الدُّعَاءِ، صُفْرُ الْأَلْوَانِ مِنَ السَّهَرِ، عَلَى وُجُوهِهِمْ غُبْرَةُ الْخَاشِعِينَ، أُولَئِكَ إِخْوَانِي الذَّاهِبُونَ، فَحَقٌّ لَنَا أَنْ نَظْمَأَ إِلَيْهِمْ، وَنَعَضَّ الْأَيْدِيَ عَلَى فِرَاقِهِمْ. إِنَّ الشَّيْطَانَ يُسَنِّي لَكُمْ طُرُقَهُ، وَيُرِيدُ أَنْ يَحُلَّ دِينَكُمْ عُقْدَةً عُقْدَةً، وَيُعْطِيَكُمْ بِالْجَمَاعَةِ الْفُرْقَةَ، فَاصْدِفُوا عَنْ نَزَغَاتِهِ وَنَفَثَاتِهِ، وَاقْبَلُوا النَّصِيحَةَ مِمَّنْ أَهْدَاهَا إِلَيْكُمْ، وَاعْقِلُوهَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ.

أقول: كان عليه السلام انهاهم عن الحكومة حين طلبها اهل الشام، فلمّا غلبه عليها اكثر اصحابه، رجع اليها فبقيت الخوارج على انكارها، وقال له بعضهم: كنت نهيتنا، الى قوله: ارشد، فصفّق بأحدى يديه على الاخرى: فعل المغضب النادم. والعقدة: ما عقده واحكمه من الرأى في البقاء على الحرب، وهي: المكروه الّذى لوحملهم عليه لجعل الله فيه الخير، و هو: الظفر و سلامة العاقبة و تقويمهم و تداركهم: بما يمكن كالضرب والقتل و نحوه. و قوله: لكانت الوثقى اى: الغفلة المحكمة و لكن بمن اى: بمن اغفل ذلك من الأعوان، والى من ارجع فيه. و قوله: كناقش الشوكة إلى قوله: معها: كالمثل يضرب لمن يستعان به، و ميله مع المستعان عليه. والضلع: بفتح الضاد و سكون اللام: الميل، واصله: انّ الشوكة لمّا تلتها اختها ربّما انكسرت في عضو الانسان معها، فكانّه يقول: كيف استعين ببعضكم على بعض مع اتّحاد طباعكم و ميل بعضكم الى بعض. واستعار لفظ الداء الدّوى: لما يتمّ عليه من مخالفة امره. و لفظ الاطبّاء: لنفسه و اعوانه، وكذلك لفظ النزعة: و وجهها انّه ينتزع لهم وجوه الآراء الصالحة كما ينتزع المستقى الدلو من البئر. والوله: اشد الحزن. و توليه اللقاح اولادها: تفرّقهم بينها كركوبها فى الجهال، ونصب اولادها بحذف الجار، اذ لايتعدّى الفعل الى مفعولين بنفسه. و اغمادها: بدل من السيوف. و قوله: لايبشّرون، الى قوله: القتلى: كناية عن شدّة تجدّدهم للجهاد حتى لايعتنون بحياة حيّ منهم فيبشّرون به اويعزون عنه. و عين مارهة: اذا فسدت. والمرة: الجمع. و سنّى لكم: كذا حسّنه و سهّله. و عقد الدين: ما انحكم منه فى النفوس فاعتقد. و صدف على الأمر: أعرض عنه. و نزعات الشيطان: حركاته بالافساد بين الناس. ونفثاته، القاء و ساوسه فى الصدور. واعقلوها: احبسوها.

١١٩ ـ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

قاله للخوارج، و قد خرج إلى معسكرهم و هم مقيمون على إنكار الحكومة فقال عليه السلام: أَكُلُّكُمْ شَهِدَ مَعَنَا صِفِّينَ؟ فقالوا: منا من شهد و منامن لم يشهد، قَالَ: فَامْتَازُوا فِرْقَتَيْنِ، فَلْيَكُنْ مَنْ شَهِدَ صِفِّينَ فِرْقَةً، وَمَنْ لَمْ يَشْهَدْهَا فِرْقَةً، حَتَّى أُكَلِّمَ كُلاًّ بِكَلاَمِهِ؛ وَنَادَى النَّاسَ فَقَالَ: أَمْسِكُوا عَنِ الْكَلاَمِ، وَ أَنْصِتُوا لِقَوْلِي، وَأَقْبِلُوا بِأَفْئِدَتِكُمْ إِلَيَّ، فَمَنْ نَشَدْنَاهُ شَهَادَةً فَلْيَقُلْ بِعِلْمِهِ فِيهَا ثم كلمهم عليه السلام بكلام طويل منه:

أَلَمْ تَقُولُوا عِنْدَ رَفْعِهِمُ الْمَصَاحِفَ ـ حِيلَةً وَغِيلَةً، وَ مَكْرًا، وَخَدِيعَةً ـ إِخْوَانُنَا، وَأَهْلُ دَعْوَتِنَا: اسْتَقَالُونَا، وَاسْتَرَاحُوا إِلَى كِتَابِ اللهِ سُبْحَانَهُ، فَالرَّأْيُ الْقَبُولُ مِنْهُمْ، وَالتَّنْفِيسُ عَنْهُمْ؟ فَقُلْتُ لَكُمْ: هٰذَا أَمْرٌ ظَاهِرُهُ إِيمَانٌ وَبَاطِنُهُ عُدْوَانٌ، وَ أَوَّلُهُ رَحْمَةٌ، وَآخِرُهُ نَدَامَةٌ، فَأَقِيمُوا عَلَى شَأْنِكُمْ، وَالْزَمُوا طَرِيقَتَكُمْ، وَعَضُّوا عَلَى الْجِهَادِ بَنَواجِذِكُمْ، وَلاَ تَلْتَفِتُوا إِلَى نَاعِقٍ نَعَقَ: إِنْ أُجِيبَ أَضَلَّ، وَإِنْ تُرِكَ ذَلَّ. وَقَدْ كَانَتْ هٰذِهِ الْفَعْلَةُ، وَقَدْ رَأَيْتُكُمْ أَعْطَيْتُمُوهَا وَاللهِ لَئِنْ أَبَيْتُهَا مَاوَجَبَتْ عَلَيَّ فَرِيضَتُهَا، وَلاَ حَمَّلَنِي اللهُ ذَنْبَهَا، وَ وَاللهِ إِنْ جِئْتُهَا إِنِّي لَلْمُحِقُّ الَّذِي يُتَّبَعُ، وَإِنَّ الْكِتَابَ لَمَعِي: مَافَارَقْتُهُ مُذْ صَحِبْتُهُ: فَلَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَسَلَّمَ، وَ إِنَّ الْقَتْلَ لَيَدُورُ عَلَى الآبَاءِ وَالأَبْنَاءِ وَالإِخْوَانِ وَالْقَرَابَاتِ فَلاَنَزْدَادُ عَلَى كُلِّ مُصِيبَةٍ وَ شِدَّةٍ إِلاَّ إِيمَانًا، وَمُضِيًّا عَلَى الْحَقِّ، وَتَسْلِيمًا لِلأَمْرِ، وَصَبْرًا عَلَى مَضَضِ الْجِرَاحِ، وَلٰكِنَّا إِنَّمَا أَصْبَحْنَا نُقَاتِلُ إِخْوَانَنَا فِي الإِسْلاَمِ عَلَى مَادَخَلَ فِيهِ مِنَ الزَّيْغِ وَالاِعْوِجَاجِ وَالشُّبْهَةِ وَالتَّأْوِيلِ، فَإِذَا طَمِعْنَا فِي خَصْلَةٍ يَلُمُّ اللهُ بِهَا شَعَثَنَا، وَنَتَدَانَى بِهَا إِلَى الْبَقِيَّةِ فِيمَا بَيْنَنَا؛ رَغِبْنَا فِيهَا، وَ أَمْسَكْنَا عَمَّا سِوَاهَا.

أقول: ظاهره ايمان: لانّه اجتهاد في الدين. و باطنه عدوان: اذا كان حيلة للظلم والغلبة. واوّله رحمة: منكم لهم، و آخره ندامة: منكم، عند تمام الحيلة عليكم. و شأنهم و طريقهم: ما كانوا عليه من الرأى في الحرب. والعض عليه بالنواجذ: كناية عن لزومه. والناعق: معاوية،و عمرو بن العاص. و قوله: ولكنا، الى آخره، اى: انا الآن لانقاتل على ما كنانقاتل عليه من الكفر في اوّل الدين، و لكنا اصبحنا نقاتل على ما دخل

فيه من الزيغ والشبهة بالتأويل، و غرضنا الاوّل هوقيام الدين. خصلة: ينتظم بها امره، و يجمع الله بها ما تفرّق من امر المسلمين، و يتقاربون بها الى ان يبقوا بينهم شيئاً من الألفة والاجتماع في الحق، وجب ان يسارع اليها، و تلك الخصلة ما كان يرجوه من تمام الصلح، و رجوع الفئة الباغية الى الحق.

١٢٠ ـ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

قاله لأصحابه في ساعة الحرب

وَأَيُّ امْرِىءٍ مِنْكُمْ أَحَسَّ مِنْ نَفْسِهِ رَباطَةَ جَأْشٍ عِنْدَ اللِّقَاءِ، وَرَأَى مِنْ أَحَدٍ مِنْ إِخْوَانِهِ فَشَلاً، فَلْيَذُبَّ عَنْ أَخِيهِ، بِفَضْلِ نَجْدَتِهِ الَّتِي فُضِّلَ بِهَا عَلَيْهِ، كَمَا يَذُبُّ عَنْ نَفْسِهِ. فَلَوْشَاءَ اللهُ لَجَعَلَهُ مِثْلَهُ. إِنَّ الْمَوْتَ طَالِبٌ حَثِيثٌ: لاَيَفُوتُهُ الْمُقِيمُ وَلاَيُعْجِزُهُ الْهَارِبُ. إِنَّ أَكْرَمَ الْمَوْتِ الْقَتْلُ، وَالَّذِي نَفْسُ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ بِيَدِهِ لَأَلْفُ ضَرْبَةٍ بِالسَّيْفِ أَهْوَنُ عَلَيَّ مِنْ مِيتَةٍ عَلَى الْفِرَاشِ.

أقول: جأش القلب: روعته و اضطرابه، من الفزع. و رباطته: ثباته. والنجدة: فضيلة تحت الشجاعة. و رغّب في الاقدام للحرب بضميرين: صغرى الاوّل، قوله: انّ الموت، الى قوله: الهارب، و تقدير كبراه، و كل ما كان كذلك فلاينبغي الفرار منه، اذ لافائدة فيه، و صغرى الثاني، قوله: انّ اكرم الموت الى آخره. تقدير الكبرى: و كل ما كان اكرم الموت الّذي لابد منه فينبغي ان يموت الانسان عليه.

١٢١ ـ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْكُمْ تَكِشُّونَ كَشِيشَ الضِّبَابِ، لاَ تَأْخُذُونَ حَقّاً، وَلاَ تَمْنَعُونَ ضَيْماً! قَدْ خُلِّيتُمْ وَالطَّرِيقَ. فَالنَّجَاةُ لِلْمُقْتَحِمِ، وَالْهَلَكَةُ لِلْمُتَلَوِّمِ.

أقول: كشيش الضباب: صوت حكّ جلودها بعضها بالبعض، و كنى بذلك: عن

حالهم في الازدحام في الهزيمة. والطريق: طريق الآخرة، وانتصب على المفعول معه. والنجاة للمقتحم، اى: لمقتحم الجهاد. والمتلوّم: المتوقف عن سلوكها واراد: الهلاك الاخروي.

۱۲۲ - وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

في حث أصحابه على القتال

فَقَدِّمُوا الدَّارِعَ، وَأَخِّرُوا الْحَاسِرَ، وَعَضُّوا عَلَى الْأَضْرَاسِ؛ فَإِنَّهُ أَنْبَى لِلسُّيُوفِ عَنِ الْهَامِ، وَالْتَوُوا فِي أَطْرَافِ الرِّمَاحِ، فَإِنَّهُ أَمْوَرُ لِلأَسِنَّةِ، وَغُضُّوا الْأَبْصَارَ فَإِنَّهُ أَرْبَطُ لِلْجَأْشِ، وَأَسْكَنُ لِلْقُلُوبِ وَأَمِيتُوا الْأَصْوَاتَ فَإِنَّهُ أَطْرَدُ لِلْفَشَلِ، وَرَايَتَكُمْ فَلاَ تُمِيلُوهَا، وَلاَ تُخِلُّوهَا وَلاَ تَجْعَلُوهَا إِلَّا بِأَيْدِي شُجْعَانِكُمْ، وَالْمَانِعِينَ الذِّمَارَ مِنْكُمْ، فَإِنَّ الصَّابِرِينَ عَلَى نُزُولِ الْحَقَائِقِ، هُمُ الَّذِينَ يَحُفُّونَ بِرَايَاتِهِمْ، وَيَكْتَنِفُونَهَا: حِفَافَيْهَا، وَوَرَاءَهَا، وَأَمَامَهَا لاَيَتَأَخَّرُونَ عَنْهَا فَيُسْلِمُوهَا، وَلاَيَتَقَدَّمُونَ عَلَيْهَا فَيُفْرِدُوهَا.

أَجْزَأَ امْرُؤٌ قِرْنَهُ، وَآسَى أَخَاهُ بِنَفْسِهِ، وَلَمْ يَكِلْ قِرْنَهُ إِلَى أَخِيهِ فَيَجْتَمِعَ عَلَيْهِ قِرْنُهُ وَقِرْنُ أَخِيهِ. وَايْمُ اللهِ لَئِنْ فَرَرْتُمْ مِنْ سَيْفِ الْعَاجِلَةِ لاَ تَسْلَمُوا مِنْ سَيْفِ الآخِرَةِ، وَأَنْتُمْ لَهَامِيمُ الْعَرَبِ، وَالسَّنَامُ الْأَعْظَمُ. إِنَّ فِي الْفِرَارِ مَوْجِدَةَ اللهِ، وَالذُّلَّ اللاَّزِمَ، وَالْعَارَ الْبَاقِيَ، وَإِنَّ الْفَارَّ لَغَيْرُ مَزِيدٍ فِي عُمْرِهِ، وَلاَمَحْجُوزٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ يَوْمِهِ. الرَّائِحُ إِلَى اللهِ، كَالظَّمْآنِ يَرِدُ الْمَاءَ، الْجَنَّةُ تَحْتَ أَطْرَافِ الْعَوَالِي، الْيَوْمَ تُبْلَى الْأَخْبَارُ، وَاللهِ لَأَنَا أَشْوَقُ إِلَى لِقَائِهِمْ مِنْهُمْ إِلَى دِيَارِهِمْ. اللَّهُمَّ فَإِنْ رَدُّوا الْحَقَّ فَافْضُضْ جَمَاعَتَهُمْ، وَشَتِّتْ كَلِمَتَهُمْ وَأَبْسِلْهُمْ بِخَطَايَاهُمْ؛ إِنَّهُمْ لَنْ يَزُولُوا عَنْ مَوَاقِفِهِمْ دُونَ طَعْنٍ دِرَاكٍ يَخْرُجُ مِنْهُ النَّسِيمُ، وَضَرْبٍ يَفْلِقُ الْهَامَ، وَيُطِيحُ الْعِظَامَ، وَيُنْدِرُ السَّوَاعِدَ، وَالْأَقْدَامَ، وَحَتَّى يُرْمَوْا بِالْمَنَاسِرِ تَتْبَعُهَا الْمَنَاسِرُ، وَيُرْجَمُوا بِالْكَتَائِبِ تَقْفُوهَا الْحَلاَئِبُ، وَحَتَّى يُجَرَّ بِبِلاَدِهِمُ الْخَمِيسُ يَتْلُوهُ الْخَمِيسُ، وَحَتَّى تَدْعَقَ الْخُيُولُ فِي نَوَاحِرِ أَرْضِهِمْ، وَبِأَعْنَانِ مَسَارِبِهِمْ وَمَسَارِحِهِمْ.

أقول: صدرالفصل تعليم كيفية الحرب، و نبّه على امر[1] صغراه. و قوله: فانّه، الى

---

۱ - في ش بزيادة: بضميه.

تمام الكلام و قد سبق مثله والحاسر: العاري من الدرع. و امور: اشدّ حركة و نفوذا. والمور: الحركة. وفائدة غضّ البصر: انّ مده الى العدو يوجب انفعالا عنه، و ربما خيف على البصر من بريق النصال والاسنّة. والذمار: ما يحميه الرجل. والحقائق: كناية عن الامور الشديدة التى حَقَّ نزولها و وجب فى القدر. و حفافا الشيء: جانباه.

و قوله: أجزأ و آسى: خبران فى معنى الامر. واللهاميم: الاشراف جمع لهوم. والموجدة: الغضب. و كالظمآن: فى محل الرفع صفة لرائح اى: من يروح الى الله بهذه الصفة. والعوالى: جمع عالية للقناة. والاخبار المبلوة: اخبار بواطن اهل الحرب يختبر بها والضمير فى لقائهم لاهل الشام. وابسلهم: اسلمهم للهلكة. و دراك ، اى: متدارك . والمنسر: القطعة من الجيش. والحلائب: جمع حلوبة اى: حتى يرموا بالكتائب فى الخيل يتبعها الأبل. و قيل: الحلائب جمع حلبة و هى: الخيل، يجمع للسباق و فى الحرب. والخميس: الجيش. والدعق: الدّق. ونواحر ارضهم: اواخرها و اقاصيها جمع نحيرة. واعنان مساربهم: نواحى مراعيهم.

١٢٣ - وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

فى التحكيم

فى معنى الخوارج لما انكروا تحكيم الرجال ويذمّ فيه اصحابه قال عليه السلام

إنّا لَمْ نُحَكِّمِ الرِّجَالَ، وَإِنَّمَا حَكَّمْنَا الْقُرْآنَ، وَهٰذَا الْقُرْآنُ إِنَّمَا هُوَ خَطٌّ مَسْتُورٌ بَيْنَ الدَّفَّتَيْنِ، لَايَنْطِقُ بِلِسَانٍ، وَلَابُدَّ لَهُ مِنْ تَرْجُمَانٍ، وَ إِنَّمَا يَنْطِقُ عَنْهُ الرِّجَالُ. وَ لَمَّا دَعَانَا الْقَوْمُ إِلَى أَنْ نُحَكِّمَ بَيْنَنَا الْقُرْآنَ لَمْ نَكُنِ الْفَرِيقَ الْمُتَوَلِّيَ عَنْ كِتَابِ اللهِ تَعَالَى، وَقَدْ قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ: (فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ)[1] فَرَدُّهُ إِلَى اللهِ: أَنْ نَحْكُمَ بِكِتَابِهِ، وَرَدُّهُ إِلَى الرَّسُولِ أَنْ نَأْخُذَ بِسُنَّتِهِ، فَإِذَا حُكِمَ بِالصِّدْقِ فِي كِتَابِ اللهِ فَنَحْنُ أَحَقُّ النَّاسِ بِهِ، وَإِنْ حُكِمَ بِسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَنَحْنُ أَوْلَاهُمْ بِهِ.

وَأَمَّا قَوْلُكُمْ: لِمَ جَعَلْتَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ أَجَلاً فِي التَّحْكِيمِ، فَإِنَّمَا فَعَلْتُ ذٰلِكَ لِيَتَبَيَّنَ

١ - سورة النساء/ ٥٩.

الْجَاهِلُ، وَيَتَثَبَّتَ الْعَالِمُ، وَلَعَلَّ اللهَ أَنْ يُصْلِحَ فِي هٰذِهِ الْهُدْنَةِ أَمْرَ هٰذِهِ الْأُمَّةِ، وَلاَ تُؤْخَذَ بِأَكْظَامِهَا، فَتَعْجَلَ عَنْ تَبَيُّنِ الْحَقِّ، وَتَنْقَادَ لِأَوَّلِ الْغَيِّ إِنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ عِنْدَ اللهِ مَنْ كَانَ الْعَمَلُ بِالْحَقِّ أَحَبَّ إِلَيْهِ ـ وَإِنْ نَقَصَهُ وَكَرَثَهُ ـ مِنَ الْبَاطِلِ وَإِنْ جَرَّ إِلَيْهِ فَائِدَةً وَزَادَهُ، أَيْنَ يُتَاهُ بِكُمْ؟ مِنْ أَيْنَ أُتِيتُمْ؟ اسْتَعِدُّوا لِلْمَسِيرِ إِلَى قَوْمٍ حَيَارَى عَنِ الْحَقِّ لاَ يُبْصِرُونَهُ، وَمُوزَعِينَ بِالْجَوْرِ لاَ يَعْدِلُونَ بِهِ! جُفَاةٍ عَنِ الْكِتَابِ، نُكُبٍ عَنِ الطَّرِيقِ، مَا أَنْتُمْ بِوَثِيقَةٍ يُعْلَقُ بِهَا، وَلاَ زَوَافِرِ عِزٍّ يُعْتَصَمُ إِلَيْهَا، لَبِئْسَ حُشَّاشُ نَارِ الْحَرْبِ أَنْتُمْ أُفٍّ لَكُمْ، لَقَدْ لَقِيتُ مِنْكُمْ بَرْحاً! يَوْماً أُنَادِيكُمْ، وَيَوْماً أُنَاجِيكُمْ! فَلاَ أَحْرَارُ صِدْقٍ عِنْدَ النِّدَاءِ، وَلاَ إِخْوَانُ ثِقَةٍ عِنْدَ النَّجَاءِ.

أقول: الفصل من اوّله، الى قوله: اولاهم به: جواب لمّا انكره الخوارج من موافقته عليه السلام على التحكيم. و قوله: ليتبيّن الجاهل، اى: طريق الحق، والهدنة: الصلح. والكظم: مجرى النفس والاخذ به، كناية عن الاعجال والاخذ بغتة. فانّه عليه السلام لو اخذهم بالقتال بغتة الجأهم الى لزوم ضلالهم من غير تروّ، و ذلك يخالف مقصود الشارع من جمع الخلق على الدين. و كرثه: حزنه و من الباطل: متعلّق باحبّ. و موزعين بكذا اى: مغرين به. و جفاة عن كتاب الله، تنبوا افهامهم عنه. و نكّب: بضمّ الكاف وسكونها جمع نكوب و هو كثير العدول عن الطريق. والوثيقة ما يوثق به عند الشدائد. وزوافر الرجل: انصاره و عشيرته. والحشاش: مايحشّ به النار اى توقد. والترح: الحزن. وروى: برحاً اى: شدّة. و قوله: يوما، الى آخره، اى: يوما اناديكم للنصرة في الدين، و يومًا اسارّكم فيه بالنصيحة والمشورة بالرأى فلا احرار صدق عندالنداء: اذ شأن الحرّ أن يخنص من وثاق اللائمة والتقصير: ولااخوان يوثق بهم: فيما يسرّاليهم ويلقى من النصيحة، اذ كانوا يفشون سرّه ولايقبلون نصيحته.

۱۲٤ ـ وَمِنْ كَلاَمٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلاَم:

لما عوتب على تصيرّه الناس اسوة في العطاء من غير تفضيل اولى السابقات والشرف فقال:

أَتَأْمُرُونِّي أَنْ أَطْلُبَ النَّصْرَ بِالْجَوْرِ فِيمَنْ وُلِّيتُ عَلَيْهِ؟ وَاللهِ مَا أَطُورُ بِهِ مَا سَمَرَ سَمِيرٌ،

وَمَا أَمَّ نَجْمٌ فِي السَّمَاءِ نَجْمًا، لَوْ كَانَ الْمَالُ لِي لَسَوَّيْتُ بَيْنَهُمْ؛ فَكَيْفَ وَإِنَّمَا الْمَالُ مَالُ اللهِ! أَلَا وَ إِنَّ إِعْطَاءَ الْمَالِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ تَبْذِيرٌ وَ إِسْرَافٌ، وَ هُوَ يَرْفَعُ صَاحِبَهُ فِي الدُّنيا وَ يَضَعُهُ فِي الآخِرَةِ، وَيُكْرِمُهُ فِي النَّاسِ، وَيُهِينُهُ عِنْدَ اللهِ، وَلَمْ يَضَعِ امْرُؤٌ مَالَهُ فِي غَيْرِ حَقِّهِ وَلَا عِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ إِلَّا حَرَمَهُ اللهُ شُكْرَهُمْ، وَ كَانَ لِغَيْرِهِ وُدُّهُمْ، فَإِنْ زَلَّتْ بِهِ النَّعْلُ يَوْمًا فَاحْتَاجَ إِلَى مَعُونَتِهِمْ فَشَرُّ خَدِينٍ، وَأَلْأَمُ خَلِيلٍ.

أقول: التسوية: سنة رسول الله صلى الله عليه وآله، و لزمها ابوبكر، فلما فضّل من بعده، اعتاد كبار الامة ذلك، فلما ترك عليه السلام التفضيل، شقّ على القوم و ثارت اضغانهم. حتى كان من طلحة والزبير و غيرهما ما كان من نكث البيعة، والخلاف عليه. والنصر: نصر الناس له. ولاطور به اي: لا اقرّبه. والسمير: الدهر. يقال: لاافعله ما سمر سميراى: الدهر كله، و كذلك لاافعله ما سمر بناسمير، وهما: الليل والنهار. والتبذير، والاسراف: رذيلة الافراط من فضيلة السخاء، وظاهر انّ الرذائل سبب للاهانة عند الله فى الآخرة. والضمير فى اهله: للمال. و بالحرى ان يمنعه الله شكرهم اذا عدل عنهم بما هم به احقّ ويلحقه خذلانهم. و قيل: اراد بالذين يمنعه الله شكرهم: الذين اعطاهم المال من غير اهله، و يلوح من سرّ ذلك: انّ اعطاء المال لغير أهله يكون امّا رغبة اورهبة للمعطى من دون الله، و نظر الآخذ الى تلك الجهة يمنعه عن الشكر، و يصرفه عن معاونة المعطى.

١٢٥ - وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام:

أيضاً للخوارج

فَإِنْ أَبَيْتُمْ إِلَّا أَنْ تَزْعُمُوا أَنِّي أَخْطَأْتُ وَضَلَلْتُ فَلِمَ تُضَلِّلُونَ عَامَّةَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ، بِضَلَالِي، وَتَأْخُذُونَهُمْ بِخَطَئِي وَ تُكَفِّرُونَهُمْ بِذُنُوبِي؟! سُيُوفُكُمْ عَلَى عَوَاتِقِكُمْ تَضَعُونَهَا مَوَاضِعَ الْبُرْءِ وَالسُّقْمِ وَتَخْلِطُونَ مَنْ أَذْنَبَ بِمَنْ لَمْ يُذْنِبْ، وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ رَسُولَ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، رَجَمَ الزَّانِيَ ثُمَّ صَلَّى عَلَيْهِ، ثُمَّ وَرَّثَهُ أَهْلَهُ، وَقَتَلَ الْقَاتِلَ وَ وَرَّثَ مِيرَاثَهُ أَهْلَهُ، وَقَطَعَ السَّارِقَ وَجَلَدَ الزَّانِيَ غَيْرَ الْمُحْصَنِ ثُمَّ قَسَمَ عَلَيْهِمَا مِنَ الْفَيْءِ، وَنَكَحَا

ٱلْمُسْلِمَاتِ فَأَخَذَهُمْ رَسُولُ ٱللهِ، صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، بِذُنُوبِهِمْ، وَأَقَامَ حَقَّ ٱللهِ فِيهِمْ، وَلَمْ يَمْنَعْهُمْ سَهْمَهُمْ مِنَ ٱلْإِسْلَامِ، وَلَمْ يُخْرِجْ أَسْمَاءَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَهْلِهِ، ثُمَّ أَنْتُمْ شِرَارُ النَّاسِ، وَمَنْ رَمَى بِهِ الشَّيْطَانُ مَرَامِيَهُ، وَضَرَبَ بِهِ تِيهَهُ.

وَسَيَهْلِكُ فِيَّ صِنْفَانِ: مُحِبٌّ مُفْرِطٌ يَذْهَبُ بِهِ الْحُبُّ إِلَى غَيْرِ الْحَقِّ، وَمُبْغِضٌ مُفْرِطٌ يَذْهَبُ بِهِ الْبُغْضُ إِلَى غَيْرِ الْحَقِّ، وَخَيْرُ النَّاسِ فِيَّ حَالاً النَّمَطُ الْأَوْسَطُ فَالْزَمُوهُ، وَالْزَمُوا السَّوَادَ الأَعْظَمَ، فَإِنَّ يَدَاللهِ عَلَى الْجَمَاعَةِ. وَ إِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ فَإِنَّ الشَّاذَّ مِنَ النَّاسِ لِلشَّيْطَانِ، كَمَا أَنَّ الشَّاذَّ مِنَ الْغَنَمِ لِلذِّئْبِ! أَلَا مَنْ دَعَا إِلَى هٰذَا الشِّعَارِ فَاقْتُلُوهُ، وَ لَوْ كَانَ تَحْتَ عِمَامَتِي هٰذِهِ.

وَ إِنَّمَا حُكِّمَ الْحَكَمَانِ لِيُحْيِيَا مَا أَحْيَا الْقُرْآنُ، وَيُمِيتَا مَا أَمَاتَ الْقُرْآنُ، وَإِحْيَاؤُهُ الْاِجْتِمَاعُ عَلَيْهِ، وَإِمَاتَتُهُ الْاِفْتِرَاقُ عَنْهُ: فَإِنْ جَرَّنَا الْقُرْآنُ إِلَيْهِمْ اتَّبَعْنَاهُمْ وَإِنْ جَرَّهُمْ إِلَيْنَا اتَّبَعُونَا، فَلَمْ آتِ ـ لَا أَبَا لَكُمْ ـ بُجْرًا، وَلَا خَتَلْتُكُمْ عَنْ أَمْرِكُمْ، وَلَا لَبَّسْتُهُ عَلَيْكُمْ، إِنَّمَا اجْتَمَعَ رَأْيُ مَلَئِكُمْ عَلَى اخْتِيَارِ رَجُلَيْنِ أَخَذْنَا عَلَيْهِمَا أَنْ لَا يَتَعَدَّيَا الْقُرْآنَ فَتَاهَا عَنْهُ، وَتَرَكَا الْحَقَّ وَهُمَا يُبْصِرَانِهِ، وَكَانَ الْجَوْرُ هَوَاهُمَا فَمَضَيَا عَلَيْهِ، وَقَدْ سَبَقَ اسْتِثْنَاؤُنَا عَلَيْهِمَا ـ فِي الْحُكُومَةِ بِالْعَدْلِ، وَالصَّمْدِ لِلْحَقِّ ـ سُوءَ رَأْيِهِمَا وَجَوْرَ حُكْمِهِمَا.

أقول: كانت الخوارج تقول: انه عليه السلام: ضلّ واخطأ في التحكيم، و كل مخطى كافر، و كانوا يقتلون حين اعتزالهم عنه من خالف اعتقادهم، فبيّن عليه السلام كذب رأيهم: بانّ رسول الله صلى الله عليه و آله لم يخرج احدا من الاسلام بذنب ارتكبه، بل كان يجزيه على احكام المسلمين، و يؤاخذه بما فعل. والضمير في قوله: و نكحا: يرجع الى السارق، والزاني. و في قوله: فأخذهم: راجع الى كل من جرى ذكره من المذنبين. والضمير في اهله: يرجع الى الاسلام، و مرامي الشيطان: الخطايا والمعاصي. و تيهه: حيث لايهتدي الضالّ لوجه الحق والغلو في حبه: طرف الافراط من فضيلة محبته كما عليه الغلاة، و في بغضه: تفريط كما عليه الخوارج، و كلاهما رذيلتان يستلزمان الكفر والهلاک الاخروي، والنمط الاوسط: اهل فضيلة العدل في محبته، و في الحديث (خير هذه الامّة النمط الأوسط يلحق بهم التالي، و يرجع اليهم الغالي)[1]

١ ـ مجمع البحرين ٢٧٦/٤.

والسواد الأعظم جمهورالمسلمين المتفقين على عمود الاسلام، المتمسكين بسنّة الله. و استعارلفظ اليد: لعناية الله. والشعار: شعار الخوارج من مفارقتهم الجماعة و ما ارتكبوه من البدعة.

و قوله: و لوكان تحت عمامتي هذه، قيل: اراد و لو كنت انا ذاك. و قيل: انّه مبالغة في صفة من كان بغاية القرب منه والعناية به. والبجر: الشر والامر العظيم. والختل: الخديعة. والصمد: القصد. و سوء رايهما: مفعول به لما يُسَبّق.

١٢٦ ـ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام:

فيما يخبربه عن الملاحم بالبصرة

يَا أَحْنَفُ، كَأَنّي بِهِ وَقَدْ سَارَ بِالْجَيْشِ الَّذِي لاَيَكُونُ لَهُ غُبَارٌ وَلاَ لَجَبٌ، وَلاَ قَعْقَعَةُ لُجُمٍ، وَلاَ حَمْحَمَةُ خَيْلٍ يُثِيرُونَ الْأَرْضَ بِأَقْدَامِهِمْ كَأَنّها أَقْدَامُ النَّعَامِ.

يومىء بذلك إلى صاحب الزنج. ثم قال عليه السلام: وَيْلٌ لِسِكَكِكُمُ الْعَامِرَةِ، وَالدُّورِ الْمُزَخْرَفَةِ الَّتِي لَها أَجْنِحَةٌ كَأَجْنِحَةِ النُّسُورِ وَ خَرَاطِيمُ كَخَرَاطِيمِ الْفِيلَةِ، مَنْ أُولٰئِكَ الَّذِينَ لاَيُنْدَبُ قَتِيلُهُمْ، وَلاَ يُفْتَقَدُ غَائِبُهُمْ؟ أَنَا كَابُّ الدُّنْيَا لِوَجْهِهَا، وَقَادِرُها بِقَدْرِهَا، وَنَاظِرُهَا بِعَيْنِهَا.

أقول: الملحمة: الواقعة العظيمة، الفتنة. والاشارة في ذلك: الى صاحب الزنج، و فتنته بالبصرة مشهورة، والجيش بالصفة المذكورة هم: الزنج، لانّهم لم يكونوا اصحاب خيل. واللجب: الصوت الهائل، و شبّه اقدامهم: بأقدام النعام باعتبار عرض صدورها، و تفرّق اصابعها و قصرها. والسكة: المحلة، و استعار لفظ الاجنحة: للقطانيّات[1]، والخراطيم: للمياذيب من الخشب والخوص المقيّرة. و قوله: لايندب، الى قوله: غائبهم، قيل: اراد: انّهم لاينالون بالموت والقتل لشدّة بأسهم، و شبه ان يكون ذلك، لانّهم غرباء مجتمعون لااهل لأحدهم يبكيه و يفتقده. و قوله: انا كابّ الدنيا، الى آخره، كناية: عن زهده فيها عن علم بها و بقدرها و ما خلقت له، يقال: كببت فلانالوجهه اذا لم يلتفت

١ ـ نسخة ش بزيادة : لفظ.

اليه. و قدرها: منزلتها فی أعین المعتبرین التی وضعها الله علیه. و عینها: هی العین التی ینبغی ان یعتبر بها و هی عین البصرة.

۱۲۷ ـ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام:

يؤمی به إلی وصف الأتراك

كَأَنّي أَرَاهُمْ قَوْماً كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الْمِجَانُ الْمُطَرَّقَةُ، يَلْبَسُونَ السَّرَقَ وَالدِّيبَاجَ، وَيَعْتَقِبُونَ الْخَيْلَ الْعِتَاقَ، وَيَكُونُ هُنَاكَ اسْتِحْرَارُ قَتْلٍ حَتَّى يَمْشِيَ الْمَجْرُوحُ عَلَى الْمَقْتُولِ، وَيَكُونَ الْمُفْلِتُ أَقَلَّ مِنَ الْمَأْسُورِ.

فقال له بعض أصحابه: لقد أعطيت يا أمير المؤمنين علم الغيب! فضحك عليه السلام، و قال للرجل و كان كلبياً:

يَا أَخَا كَلْبٍ، لَيْسَ هُوَ بِعِلْمِ غَيْبٍ وَإِنَّمَا هُوَ تَعَلُّمٌ مِنْ ذِي عِلْمٍ! وَ إِنَّمَا عِلْمُ الْغَيْبِ عِلْمُ السَّاعَةِ، وَمَا عَدَّدَهُ اللهُ بِقَوْلِهِ: (إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ)[۱] الآيَةَ فَيَعْلَمُ سُبْحَانَهُ مَا فِي الأَرْحَامِ: مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى، وَقَبِيحٍ أَوْ جَمِيلٍ، وَسَخِيٍّ أَوْ بَخِيلٍ، وَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ، وَمَنْ يَكُونُ فِي النَّارِ حَطَباً أَوْ فِي الْجِنَانِ لِلنَّبِيِّينَ مُرَافِقاً، فَهذَا عِلْمُ الْغَيْبِ الَّذِي لاَيَعْلَمُهُ أَحَدٌ إِلاَّ اللهُ، وَ مَا سِوَى ذلِكَ فَعِلْمٌ عَلَّمَهُ اللهُ نَبِيَّهُ فَعَلَّمَنِيهِ، وَدَعَا لِي بِأَنْ يَعِيَهُ صَدْرِي،[۲] وَ تَضْطَمَّ عَلَيْهِ جَوَانِحِي.

اقول: المجان: جمع مجن، وهی: الترس. والمطرقة: بضم المیم و تخفیف الراء و فتحها، التی اطرقت بالجلود والعصب ای: البست. والسرق: شقق الحریر، واحدتها سرقة. و یعتقبون الخیل ای: یحتبسونها و یرتبطونها. والعتق: الجمال، و فرس عتیق: رائع. واستحرّ القتل: اشتدّ. و شبه وجوهم بالمجان: باعتبار اتّساعها و استدارتها، و وصف كونها مطرقة: باعتبار غلظتها، و كثرة لحمها. و نبّه علیه السلام، علی الفرق بین علم الغیب و غیره، بما یعود خلاصته الی انّ ما كان بواسطة معلم و مفید فلیس بعلم غیب، و ما كان دون واسطة فهو علم غیب.

---

۱ ـ سورة لقمان / ۳٤.

۲ ـ حلیة الاولیاء ۱/٦۸. كنزالعمال ٦/۳۹۸. مستدرك الحاكم ۳/۱۱۰. كفایة الطالب /۱۰۹.

١٢٨ ـ وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام
في ذكر المكايل والموازين

عِبَادَ ٱللهِ، إنَّكُمْ وَمَا تَأْمُلُونَ فِي هٰذِهِ الدُّنْيَا أَثْوِيَاءُ مُؤَجَّلُونَ، وَمَدِينُونَ مُقْتَضَوْنَ، أَجَلٌ مَنْقُوصٌ، وَ عَمَلٌ مَحْفُوظٌ، فَرُبَّ دَائِبٍ مُضَيَّعٌ، وَرُبَّ كَادِحٍ خَاسِرٌ. وَقَدْ أَصْبَحْتُمْ فِي زَمَنٍ لَايَزْدَادُ الْخَيْرُ فِيهِ إلَّا إدْبَارًا، وَالشَّرُّ فِيهِ إلَّا إقْبَالاً، وَالشَّيْطَانُ فِي هَلَاكِ النَّاسِ إلَّا طَمَعًا. فَهٰذَا أَوَانٌ قَوِيَتْ عُدَّتُهُ وَعَمَّتْ مَكِيدَتُهُ، وَأَمْكَنَتْ فَرِيسَتُهُ. اِضْرِبْ بِطَرْفِكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ النَّاسِ: هَلْ تُبْصِرُ إلَّا فَقِيرًا يُكَابِدُ فَقْرًا، أَوْ غَنِيًّا بَدَّلَ نِعْمَةَ ٱللهِ كُفْرًا، أَوْ بَخِيلاً ٱتَّخَذَ الْبُخْلَ بِحَقِّ ٱللهِ وَفْرًا، أَوْ مُتَمَرِّدًا كَأَنَّ بِأُذُنِهِ عَنْ سَمْعِ الْمَوَاعِظِ وَقْرًا؟ أَيْنَ خِيَارُكُمْ وَ صُلَحَاؤُكُمْ؟ وَأَحْرَارُكُمْ وَسُمَحَاؤُكُمْ؟ وَ أَيْنَ الْمُتَوَرِّعُونَ فِي مَكَاسِبِهِمْ؟ وَالْمُتَنَزِّهُونَ فِي مَذَاهِبِهِمْ؟ أَلَيْسَ قَدْ ظَعَنُوا جَمِيعًا عَنْ هٰذِهِ الدُّنْيَا الدَّنِيَّةِ وَالْعَاجِلَةِ الْمُنَغِّصَةِ؟ وَهَلْ خُلِقْتُمْ إلَّا فِي حُثَالَةٍ، لاَ تَلْتَقِي بِذَمِّهِمُ الشَّفَتَانِ اسْتِصْغَاراً لِقَدْرِهِمْ، وَذَهَاباً عَنْ ذِكْرِهِمْ، فَإِنَّا لِلّٰهِ وَإِنَّا إلَيْهِ رَاجِعُونَ: ظَهَرَ الْفَسَادُ فَلاَ مُنْكِرٌ مُغَيِّرٌ، وَلاَزَاجِرٌ مُزْدَجِرٌ! أَفَبِهٰذَا تُرِيدُونَ أَنْ تُجَاوِرُوا ٱللهَ فِي دَارِ قُدْسِهِ؟ وَتَكُونُوا أَعَزَّ أَوْلِيَائِهِ عِنْدَهُ؟! هَيْهَاتَ! لَايُخْدَعُ ٱللهُ عَنْ جَنَّتِهِ وَلاَ تُنَالُ مَرْضَاتُهُ إلَّا بِطَاعَتِهِ. لَعَنَ ٱللهُ الآمِرِينَ بِالْمَعْرُوفِ التَّارِكِينَ لَهُ، وَالنَّاهِينَ عَنِ الْمُنْكَرِ الْعَامِلِينَ بِهِ.

اقول: أثوياء: جمع ثويّ وهو: الضيف. و مدينون: عليهم دين واراد كونهم مكلّفين بأمور تقتضى منهم و تطلب وهي: اوامر الله. و نبّه بقوله: فربّ دائب اى: مجدّ في العمل مطيع على اقليّة اهل طاعة الله وان كثر عملهم. و روى: مضيع، و معناه: انّ العامل قديدأب في عمله لله لكنه يكون مضيعًا لعمله، لجهله بكيفية ايقاعه واتيانه به على غير وجه المرضى، و كذلك قوله: و ربّ كادح خاسر، والكدح: العمل. و استعار لفظ الفريسة للانسان: باعتبار استيلاء الشيطان عليه و اهلاكه له. و قوله: اضرب بطرفك الى قوله: وقرا، شرح لانواع الشر و ازدياد اقباله. والوفر: المال. والمتمرّد: الخارج عن الطاعة. والوقر: الصمم. والحثالة: الثفل والردئ من الشئ. واستعار لفظه لأهل الزمان. و باقي الفصل واضح.

١٢٩ - وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام
لأبي ذر رحمه الله لما أخرج إلى الربذة

يَا أَبَاذَرٍ، إِنَّكَ غَضِبْتَ للهِ فَارْجُ مَنْ غَضِبْتَ لَهُ. إِنَّ الْقَوْمَ خَافُوكَ عَلَى دُنْيَاهُمْ، وَخِفْتَهُمْ عَلَى دِينِكَ، فَاتْرُكْ فِي أَيْدِيهِمْ مَاخَافُوكَ عَلَيْهِ، وَاهْرُبْ بِمَا خِفْتَهُمْ عَلَيْهِ، فَمَا أَحْوَجَهُمْ إِلَى مَا مَنَعْتَهُمْ، وَمَا أَغْنَاكَ عَمَّا مَنَعُوكَ! وَسَتَعْلَمُ مَنِ الرَّابِحُ غَداً، وَالأَكْثَرُ حُسَّدًا؟؟! وَلَوْ أَنَّ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا عَلَى عَبْدٍ رَتْقاً ثُمَّ اتَّقَى اللهَ لَجَعَلَ اللهُ لَهُ مِنْهُمَا مَخْرَجاً، لَايُؤْنِسَنَّكَ إِلَّا الْحَقُّ وَلَايُوحِشَنَّكَ إِلَّا الْبَاطِلُ، فَلَوْ قَبِلْتَ دُنْيَاهُمْ لَأَحَبُّوكَ، وَلَوْ قَرَضْتَ مِنْهَا لَأَمِنُوكَ.

اقول: الرّبذة: موضع قريب من المدينة والمخرج لأبي ذر: هو عثمان. قيل: لانّه كان يغلظ له في القول، و ينكر عليه ما كان يراه منكرًا من افعاله و ينفرّ عنه، و اراد: ما خافوك عليه، و استغنى بالثاني عنه. و «ما» في قوله: ما منعتهم: مصدرية، و يحتمل ان يريد: ما منعتهم بخروجك عنهم من دينك، و انكارك للمنكر، و ما منعوه عنه: هو دنياهم. والرتق: ضدالفتق، و هو كناية: عن شدّة الضيق. والقرض: كناية عن الأخذمنهم و قبول عطاياهم.

١٣٠ - وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

أَيَّتُهَا النُّفُوسُ الْمُخْتَلِفَةُ، وَالْقُلُوبُ الْمُتَشَتِّتَةُ، الشَّاهِدَةُ أَبْدَانُهُمْ، وَالْغَائِبَةُ عَنْهُمْ عُقُولُهُمْ! أَظْأَرُكُمْ عَلَى الْحَقِّ، وَ أَنْتُمْ تَنْفِرُونَ عَنْهُ نُفُورَ الْمِعْزَى مِن وَعْوَعَةِ الأَسَدِ! هَيْهَاتَ أَنْ أَطْلَعَ بِكُمْ سِرَارَ الْعَدْلِ، أَوْأُقِيمَ اعْوِجَاجَ الْحَقِّ.

اللّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنِ الَّذِى كَانَ مِنَّا مُنَافَسَةً فِى سُلْطَانٍ، وَلَاالْتِمَاسَ شَيْءٍ مِنْ فُضُولِ الْحُطَامِ، وَلٰكِنْ لِنَرُدَّ الْمَعَالِمَ مِنْ دِينِكَ، وَنُظْهِرَ الإِصْلَاحَ فِى بِلَادِكَ، فَيَأْمَنَ الْمَظْلُومُونَ مِنْ عِبَادِكَ، وَتُقَامَ الْمُعَطَّلَةُ مِنْ حُدُودِكَ.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَوَّلُ مَنْ أَنَابَ وَسَمِعَ وَأَجَابَ: لَمْ يَسْبِقْنِي إِلَّا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَسَلَّمَ، بِالصَّلاَةِ.

وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّهُ لاَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْوَالِيَ عَلَى الْفُرُوجِ، وَالدِّمَاءِ، وَالْمَغَانِمِ وَالْأَحْكَامِ، وَإِمَامَةِ الْمُسْلِمِينَ الْبَخِيلُ؛ فَتَكُونَ فِي أَمْوَالِهِمْ نُهْمَتُهُ، وَلاَ الْجَاهِلُ فَيُضِلَّهُمْ بِجَهْلِهِ، وَلاَ الْجَافِي فَيَقْطَعَهُمْ بِجَفَائِهِ ، وَ لاَ الْخَائِفُ لِلدُّوَلِ ، فَيَتَّخِذَ قَوْمًا دُونَ قَوْمٍ ، وَ لاَ الْمُرْتَشِي فِي الْحُكْمِ فَيَذْهَبَ بِالْحُقُوقِ، وَيَقِفَ بِهَا دُونَ الْمَقَاطِعِ، وَلاَ الْمُعَطِّلُ لِلسُّنَّةِ فَيُهْلِكَ الْأُمَّةَ.

أقول: المختلفة: مختلفة الآراء. وأظأركم: اعطفكم. وعوعة الاسد: صوته. و سرار العدل: ما خفى منه. وحمله: الليلة والليلتان تكون فى آخر الشهر يستتر فيها القمر، و اراد: انّه بعد ان اظهر بكم العدل لتخاذلكم و تفرّق اهوائكم، والّذى كان منه عليه السلام هو الحرب والمقاومة فى امر الخلافة. والمعالم: جمع معلم و هو: المنار ينصب فى الطريق للهداية، و استعاره لقوانين الدين وانواره. و أناب: رجع الى الله، و سمع لله واجاب داعيه، لانّه عليه السلام اوّل الناس دخولا فى طاعة الرسول صلّى الله عليه وآله. و قوله: و قد علمتم، الى آخره: اشارة الى تمييز الإمام بفضائل يجب ان تكون فيه، و الى رذائل تنا فى الامامة، و برذيلة الجهل و خوف الدول وتعطيل السنة خرج معاوية عن الصلاحيّة لها. و بالبخل: خرج الزبير. و نهمته: حرصه على الدنيا. و بالجفا: خرج طلحة، والله اعلم.

١٣١ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

نَحْمَدُهُ عَلَى مَا أَخَذَ وَأَعْطَى، وَعَلَى مَا أَبْلَى وَابْتَلَى، الْبَاطِنُ لِكُلِّ خَفِيَّةٍ، وَالْحَاضِرُ لِكُلِّ سَرِيرَةٍ، الْعَالِمُ بِمَا تُكِنُّ الصُّدُورُ، وَمَا تَخُونُ الْعُيُونُ، وَنَشْهَدُ أَنْ لاَإِلَهَ غَيْرُهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا نَجِيبُهُ وَ بَعِيثُهُ، شَهَادَةً يُوَافِقُ فِيهَا السِّرُّ الْإِعْلاَنَ وَالْقَلْبُ اللِّسَانَ.

أقول: أبلى و ابتلى: اختبر، و بطن الامر: خبر باطنه. و خائنة الأعين: نظرها

الحرام. و كنى بموافقة سرّ الشهادة: لأعلانها عن اخلاصها.

ومنها:

فَإِنَّهُ وَٱللهِ الجِدُّ لَااللَّعِبُ، وَالْحَقُّ لَاالْكَذِبُ، وَمَا هُوَ إِلَّا الْمَوْتُ قَدْ أَسْمَعَ دَاعِيهِ، وَأَعْجَلَ حَادِيهِ، فَلَايَغُرَّنَّكَ سَوَادُ النَّاسِ مِنْ نَفْسِكَ فَقَدْ رَأَيْتَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ مِمَّنْ جَمَعَ الْمَالَ، وَحَذِرَ الْإِقْلَالَ، وَأَمِنَ الْعَوَاقِبَ؛ طُولَ أَمَلٍ، وَ ٱسْتِبْعَادَ أَجَلٍ، كَيْفَ نَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ فَأَزْعَجَهُ عَنْ وَطَنِهِ، وَأَخَذَهُ مِنْ مَأْمَنِهِ وَمَحْمُولاً عَلَى أَعْوَادِ الْمَنَايَا، يَتَعَاطَى بِهِ الرِّجَالُ الرِّجَالَ حَمْلاً عَلَى الْمَنَاكِبِ، وَإِمْسَاكًا بِالْأَنَامِلِ، أَمَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يُؤَمِّلُونَ بَعِيدًا، وَ يَبْنُونَ مَشِيدًا، وَيَجْمَعُونَ كَثِيرًا، كَيْفَ أَصْبَحَتْ بُيُوتُهُمْ قُبُورًا، وَمَا جَمَعُوا بُورًا، وَصَارَتْ أَمْوَالُهُمْ لِلْوَارِثِينَ، وَأَزْوَاجُهُمْ لِقَوْمٍ آخَرِينَ، لَافِي حَسَنَةٍ يَزِيدُونَ، وَلَامِنْ سَيِّئَةٍ يَسْتَعْتِبُونَ؟! فَمَنْ أَشْعَرَ التَّقْوَى قَلْبَهُ بَرَّزَ مَهَلُهُ، وَفَازَ عَمَلُهُ، فَاهْتَبِلُوا هَبَلَهَا، وَٱعْمَلُوا لِلْجَنَّةِ عَمَلَهَا، فَإِنَّ الدُّنْيَا لَمْ تُخْلَقْ لَكُمْ دَارَ مُقَامٍ، بَلْ خُلِقَتْ لَكُمْ مَجَازًا لِتَزَوَّدُوا مِنْهَا ٱلْأَعْمَالَ إِلَى دَارِ الْقَرَارِ، فَكُونُوا مِنْهَا عَلَى أَوْفَازٍ، وَقَرِّبُوا الظُّهُورَ لِلزِّيَالِ.

أقول: الضمير في انّه للشأن، و يحتمل أن يعود الى المعنى بالتحذير منه والانذار به، و هو: الموت، ولذلك فسّره به، فقال: و ماهو الّا الموت. واسمع واعجل: في محل النصب على الحال من معنى الاشارة. و قوله: فلا يغرّنك سوادالناس من نفسك، اى: فلايغرّنك رؤيتك لكثرة الناس والوسوسة من نفسك بذلك عن ملاحظة الموت و نزوله، اذ كثير ما يرى الانسان الميت محمولا فيدركه رقّة و روعة ثم يعاوده الوسواس الخنّاس و يأمره باعتبار كثرة المشيعين له من الناس فيأنس اليهم و يسكن الى الدنيا بعداده فيهم. و ممن جمع: بدل ممن كان، و طول أمل: نصب على المفعول له. والبور: الهلاك. و لامن سيئة يستعتبون، اى: لايطلب منهم العتبى و هى: الرجوع عن السيئة لعدم امكان ذلك منهم، واستعار لفظ الاشعار: لاتّخاذ التقوى كالشعار في ملازمتها للقلب. والشعار: ما يلي الجسد من الثياب. واهتبلوا هبلها: اى اهتمّوا لها اهتمامها الذى ينبغى. والضمير: للتقوى. والاوفاز: جمع و فز بالتحريك والسكون، و هو: العجلة. و قوله: و قرّبوا، الى

آخره: كناية عن الاستعداد للرحيل الى الآخرة بما ينبغى من ازوادها و تذكير بالموت.

۱۳۲ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

وَانْقَادَتْ لَهُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةُ بِأَزِمَّتِهَا، وَقَذَفَتْ إِلَيْهِ السَّمٰوَاتُ وَالْأَرَضُونَ مَقَالِيدَهَا، وَسَجَدَتْ لَهُ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ الْأَشْجَارُ النَّاضِرَةُ، وَقَدَحَتْ لَهُ مِنْ قُضْبَانِهَا النِّيرَانَ الْمُضِيئَةَ، وَآتَتْ أُكُلَهَا بِكَلِمَاتِهِ الثِّمَارُ الْيَانِعَةُ.

اقول: انقياد الدنيا والآخرة بازمّتها كناية: عن دخولها فى ذلّ الحاجة والامكان تحت تصريف قدرته. ولفظ الأزمّة مستعار للامكان المحوج لها الى الصانع. قال ابن عباس: مقاليدالسماوات والارض: مفاتيحها بالرحمة والرزق، و قيل: خزائنها. والمقاليد: جمع مقلاد، و هى: الخزائن. و سجودالاشجار دخولها فى الحاجة اليه والخضوع له، وكلماته: امر قدرته و حكمها بخروج الثمار.واليانعة: المدركة.

منها:

وَكِتَابُ اللّٰهِ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ نَاطِقٌ لَايَعْيَى لِسَانُهُ، وَبَيْتٌ لَا تُهْدَمُ أَرْكَانُهُ، وَعِزٌّ لَا تُهْزَمُ أَعْوَانُهُ.

اقول: استعار للكتاب: لفظ الناطق، لما فيه من البيان. و لفظ البيت له: لحفظه من حفظه، و عمل به، و بأركانه قوانينه الكليّة. واعوانه: العاملون به وناصروهم.

منها:

أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ، وَتَنَازُعٍ مِنَ الْأَلْسُنِ، فَقَفَّى بِهِ الرُّسُلَ وَخَتَمَ بِهِ الْوَحْيَ، فَجَاهَدَ فِي اللّٰهِ الْمُدْبِرِينَ عَنْهُ، وَالْعَادِلِينَ بِهِ.

اقول: قفّى: اتبع. والعادل به: الجاعل له عديلا و مثلا.

منها:

وَإِنَّمَا الدُّنْيَا مُنْتَهى بَصَرِ الْأَعْمَى، لَايُبْصِرُ مِمَّا وَرَاءَهَا شَيْئاً، وَالْبَصِيرُ يُنْفِذُهَا بَصَرُهُ وَيَعْلَمُ أَنَّ الدَّارَ وَرَاءَهَا، فَالْبَصِيرُ مِنْهَا شَاخِصٌ، وَالْأَعْمَى إِلَيْهَا شَاخِصٌ، وَالْبَصِيرُ مِنْهَا مُتَزَوِّدٌ، وَالْأَعْمَى لَهَا مُتَزَوِّدٌ.

اقول: استعار لفظ الأعمى: للجاهل، لعدم ادراكه لحقائق الامور كالاعمى،و كونه لايبصر من وراءالدنيا شيئا: اشارة الى جهله بأحوال المعاد. ولفظ البصير: للعالم. و نفوذ بصره: كناية عن ادراكه لما بعدالموت من احوال الآخرة. و قوله: البصير منها شاخص، اى العالم منها راحل به قد جعلها طريق سفره الى الله.والاعمى اى: الجاهل اليها شاخص اى: متطلع اليها بعين بصره و همه محبّتها. و قوله: والبصير منها متزوّد اى: زاد التقوى والعمل الصالح. و الأعمى لها متزوّد اى: جاعل همه ايّاها فهى: زاده الّذى عليه يعتمد.

منها:

وَاعْلَمُوا أَنْ لَيْسَ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا وَيَكَادُ صَاحِبُهُ أَنْ يَشْبَعَ مِنْهُ وَيَمَلَّهُ، إِلَّا الْحَيَاةَ فَإِنَّهُ لَايَجِدُ لَهُ فِي الْمَوْتِ رَاحَةً، وَإِنَّمَا ذٰلِكَ بِمَنْزِلَةِ الْحِكْمَةِ الَّتِي هِيَ حَيَاةٌ لِلْقَلْبِ الْمَيِّتِ، وَبَصَرٌ لِلْعَيْنِ الْعَمْيَاءِ، وَسَمْعٌ لِلأُذُنِ الصَّمَّاءِ، وَرِيٌّ لِلظَّمْآنِ، وَفِيهَا الْغِنَى كُلُّهُ وَالسَّلَامَةُ: كِتَابُ اللهِ تُبْصِرُونَ بِهِ، وَتَنْطِقُونَ بِهِ، وَتَسْمَعُونَ بِهِ، وَيَنْطِقُ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ، وَيَشْهَدُ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ، وَلَا يَخْتَلِفُ فِي اللهِ، وَلَايُخَالِفُ بِصَاحِبِهِ عَنِ اللهِ.

قَدِ اصْطَلَحْتُمْ عَلَى الْغِلِّ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَنَبَتَ الْمَرْعَى عَلَى دِمَنِكُمْ، وَتَصَافَيْتُمْ عَلَى حُبِّ الْآمَالِ، وَتَعَادَيْتُمْ فِي كَسْبِ الْأَمْوَالِ، لَقَدِ اسْتَهَامَ بِكُمُ الْخَبِيثُ وَتَاهَ بِكُمُ الْغُرُورُ، وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى نَفْسِي وَأَنْفُسِكُمْ.

أقول: قال بعض الشارحين: فقدان الرّاحة في الموت مخصوص بأهل الشقاوة، و امّا اولياءالله فلهم الراحة الكبرى كما قال صلى الله عليه و آله: (ليس للمؤمن راحة دون لقاءالله). و قال بعضهم: بل هو عام لانّ بالموت ينقطع متجر الآخرة والازدياد من الكمالات الباقية، و ذلك لاينافي الخبر لانّ بازدياد الكمال في الحياة يحصل راحة اعظم مما قبله، ولانّ المعارف لما لم تكن ضروريّه، لم تتمكن النفوس البشريّة مادامت في عالم الغربة من الاطّلاع على ما بعدالموت من الأحوال الاخرويّة، فبالحريّ ان يخاف العاقل الموت ويكره سرعته. و ان لم تكن له راحة دونه كما نقل عن الحسن بن على عليهما السلام انّه حين الاحتضار بكى فقال له الحسين عليه السلام: مالى اراك تكاد تجزع مع يقينك بانّك تقدم حيث تقدم على جدّك و أبيك؟ فقال: نعم يا اخى لاشكّ في ذلك، الّا انّني سالك مسلكالم أسلكه من قبل.

اقول: لا منافاة بين القولين، لانّه لاراحة في نفس الموت لأحد لكونه مجرّد آلام ومخاوف، لكنه مستعقب لراحة اولياءالله بلقائه فكانت فيه راحتهم، و كلامه عليه السلام أشبه بالعموم لانّ الوليّ و غيره لا يجد في الموت راحة حين نزوله. و قوله: انّما ذلك اى: الأمر الّذى هو احقّ بأن لا يملّ ولا يشبع منه انّما هو، اى: بمنزلة الحكمة و اراد: الحكمة نفسها و لا يقتضى الكلام انّ شيئافي منزلتهاغيرها. و استعار لها لفظ الحياة: باعتبار انّها تحيي القلب الميت بداءالجهل، و لفظ البصر و السمع: لعين الجاهل واذنه اللتين يستفيد بهما عبرة، و لفظ الظمآن: للجاهل المتعطّش الى العلم، و لفظ الرى: لأنّها كالماء في استغناء النفس بها. و كتاب الله: خبر مبتدأ و امّا: خبر ثان لذلك. بمنزلة الحكمة: خبر اوّل، والمبتدأ: محذوف تقديره: و هو، اى: الّذى بمنزلة الحكمة كتاب الله، و لا ينافي ذلك ايضا ان يكون نفسه حكمة و تفسيرا لها.

و قوله: تبصرون به، اى: تهتدون لمقاصدكم الدنيويّة والاخرويّة، و تنطقون به، اى: في الفتوى والاستدلال والقصص و نحوه. و تسمعون به أى: ما ينفعكم من الموعظة الحسنة والعبر النافعة. و ينطق بعضه ببعض اى: يفسّر بعضا كالمبين للمجمل، و المقيد: للمطلق، والخاص: للعام. و يشهد بعضه على بعض اى: يستشهد ببعضه على انّ المراد ببعض آخر كذا، وهو كالّذى قبله. و قوله: ولا يختلف في الله، اى: لا يختلف في الدلالة

على المقاصد الموصلة الى الله، بل كلّها متطابقة على ذلك و ان تعدّدت. و لا يخالف بصاحبه عن الله اى: لايعدل بمن يهتدى به من سبيل الله عن الوصول اليه. و استعار وصف الاصطلاح: لما هم عليه من الغلّ، وهو الغش والحقد لا تّفاق ذلك فى جميعهم و اشتراكهم فيه.

و قوله: و نبت المرعى على دمنكم: مثل يضرب للمتصالحين فى الله مع غلّ القلوب، و وجهه: انّ ذلك سريع الزوال لا اصل له كانبات فى الدمن، وهى ما تلبّد من آثار القوم و مرابط انعامهم. و الآمال: ما يؤمّل كلّ من صاحبه من نفع عاجل، وهو: الجامع بينهم، و سبب صفائهم فى الظّاهر. و استهام بكم الخبيث اى: اشتدّ عشق الشيطان لكم، و ذلك تنبيه على ما يظهر منهم من آثار وسوسته، و هو: الغرور ايضا.

۱۳۳ ـ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

وقد شاوره عمر بن الخطاب

فى الخروج إلى غزو الروم بنفسه

وَقَدْ تَوَكَّلَ ٱللهُ لِأَهْلِ هٰذَا الدِّينِ بِإعْزَازِ الْحَوْزَةِ، وَسَتْرِ الْعَوْرَةِ، وَالّذِى نَصَرَهُمْ وَهُمْ قَلِيلٌ لَايَنْتَصِرُونَ، وَمَنَعَهُمْ وَهُمْ قَلِيلٌ لَايَمْتَنِعُونَ؛ حَيٌّ لَايَمُوتُ إِنَّكَ مَتى تَسِرْ إلَى هٰذَا ٱلْعَدُوِّ بِنَفْسِكَ فَتَلْقَهُمْ فَتُنْكَبْ لَا تَكُنْ لِلْمُسْلِمِينَ كَانِفَةٌ دُونَ أَقْصَى بِلَادِهِمْ، لَيْسَ بَعْدَكَ مَرْجِعٌ يَرْجِعُونَ إلَيْهِ، فَٱبْعَثْ إلَيْهِمْ رَجُلاً مِحْرَباً، وَٱحْفِزْ مَعَهُ أَهْلَ الْبَلَاءِ وَالنَّصِيحَةِ، فَإِنْ أَظْهَرَ ٱللهُ فَذَاكَ مَاتُحِبُّ، وَإنْ تَكُنِ الْأُخْرَى كُنْتَ رِدْءً لِلنَّاسِ، وَمَثَابَةً لِلْمُسْلِمِينَ.

أقول: توكّل الله لأهل دينه: وعده ايّاهم بالنّصر والأعزاز. والحوزة: الناحية، و كنّى بعورتهم: عن حريمهم و حماهم. و كنفه: حفظه وآواه. والمِحرب: بكسر الميم، و فتح الراء، الرجل صاحب حروب. و احفز معه اى: إدفع. و اهل البلاء: هم الّذين اختبرُوا و جرّبوا. و اظهرالله: نصر. والردء: العون. والمثابة: المرجع.

۱۳۴ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

قد وقعت مشاجرة بينه وبين عثمان فقال المغيرة ابن الأخنس لعثمان: أنا أكفيكه. فقال أمير المؤمنين عليه السلام:

يَاابْنَ اللَّعِينِ الْأَبْتَرِ، وَالشَّجَرَةِ الَّتِي لَاأَصْلَ لَهَا، وَلَافَرْعَ، أَنْتَ تَكْفِينِي! وَاللهِ مَا أَعَزَّ اللهُ مَنْ أَنْتَ نَاصِرُهُ، وَلَاقَامَ مَنْ أَنْتَ مُنْهِضُهُ؛ أُخْرُجْ عَنَّا أَبْعَدَ اللهُ نَوَاكَ، ثُمَّ ابْلُغْ جَهْدَكَ فَلَا أَبْقَى اللهُ عَلَيْكَ إِنْ أَبْقَيْتَ.

أقول: الأبتر: كل امرء انقطع من الخير اثره. والنوى: القصد الذى ينويه المسافر. و روى: نؤك، و النوى: لغة في النأي وهو: البعد. و استعار لفظ الشجرة: لبيته، و كنى عن سقوط اصله: بنفي اصلها و فرعها. و لا ابقى الله عليه اى: لاراعاه و لا رحمه.

۱۳۵ - وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

لَمْ تَكُنْ بَيْعَتُكُمْ إِيَّايَ فَلْتَةً، وَلَيْسَ أَمْرِي وَأَمْرُكُمْ وَاحِدًا: إِنِّي أُرِيدُكُمْ لِلهِ، وَأَنْتُمْ تُرِيدُونِي لِأَنْفُسِكُمْ! أَيُّهَا النَّاسُ، أَعِينُونِي عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَايْمُ اللهِ لَأُنْصِفَنَّ الْمَظْلُومَ مِنْ ظَالِمِهِ، وَلَأَقُودَنَّ الظَّالِمَ بِخِزَامَتِهِ، حَتَّى أُورِدَهُ مَنْهَلَ الْحَقِّ وَإِنْ كَانَ كَارِهًا.

أقول: الفلتة: وقوع الأمر من غير تدبّر ولاروية. و فيه ايماء الى بيعة ابى بكر حيث قال عمر: (كانت بيعة ابى بكر فلتة و قى الله شرّها)[1] و قوله: و ليس امرى و امركم واحدا، اى: و ليس مقصدى و مقصدكم واحدا، و بين ذلك الفرق بقوله: انّى اريدكم، الى قوله: لأنفسكم، اى: لحظوظ انفسكم من العطاء، و سائر منافع الدنيا. و قوله: اعينونى على انفسكم اى: على قهر انفسكم الأمّارة، و ذلك بموافقتى على العمل بطاعة الله. والخزامة: حلقة من شعر يجعل في وترة انف البعير يشد فيها زمامه، و هو كناية: عن قوده للظالم ذليلا طائعا. والمنهل: المورد.

---

۱ - الصواعق المحرقة /۳٦. الغدير ۵/ ۳۷۰ و ج ۷/ ۷۹.

١٣٦ ـ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام
في معنى طلحة والزبير

وَٱللهِ مَا أَنْكَرُوا عَلَيَّ مُنْكَرًا، وَلاَ جَعَلُوا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ نَصَفًا، وَإِنَّهُمْ لَيَطْلُبُونَ حَقًّا هُمْ تَرَكُوهُ، وَدَمًا هُمْ سَفَكُوهُ؛ فَإِنْ كُنْتُ شَرِيكَهُمْ فِيهِ فَإِنَّ لَهُمْ نَصِيبَهُمْ مِنْهُ؛ وَإِنْ كَانُوا وُلُوهُ دُونِي فَمَا الطِّلْبَةُ إِلاَّ قِبَلَهُمْ، وَإِنَّ أَوَّلَ عَدْلِهِمْ لَلْحُكْمُ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، وَإِنَّ مَعِي لَبَصِيرَتِي: مَا لَبَسْتُ وَلاَ لُبِسَ عَلَيَّ، وَإِنَّهَا لَلْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ فِيهَا الْحَمَا وَالْحُمَةُ، وَالشُّبْهَةُ الْمُغْدِفَةُ، وَإِنَّ ٱلْأَمْرَ لَوَاضِحٌ وَقَدْ زَاحَ الْبَاطِلُ عَنْ نِصَابِهِ، وَٱنْقَطَعَ لِسَانُهُ عَنْ شَغْبِهِ، وَٱيْمُ ٱللهِ لَأُفْرِطَنَّ لَهُمْ حَوْضًا أَنَا مَاتِحُهُ: لاَيُصْدِرُونَ عَنْهُ بِرِيٍّ، وَلاَيَعُبُّونَ بَعْده فِي حَسْيٍ.

أقول: النصف: النصفة.والحق. والدم: دم عثمان. والطلبة: المطلوب. و قوله: و انّ اوّل عدلهم اى: ان كان لهم عدل و طلب حق،و بصيرته، عقله و علمه، و البصيرة ايضا: البرهان، و في تعريفه للفئة تنبيه على انّه كان حالها معلوما من رسول الله صلى الله عليه وآله، فلما ظهرت اشار اليها بما عهده منها. و استعار لفظ الحمأ و هوالطين المتغير: للغلّ والحسد في صدور القوم له، و وجه المشابهة استلزام ذلك لتكدير صفاءالمسلمين كالحمأ. و لفظ الحمة: بضم الحاء والتخفيف وهو: سمّ العقرب، لذلك باعتبار ما يلزمه من الأذى. و روى: الحمة مشددا و هوالسواد، و اراد به: ظلمة جهلهم و شبهتهم و لذلك وصفها بالمغدفة و هي: الظلمة، لانّها لايهتدي فيها للحق. و قوله: وانّ الأمر واضح، اى: امر تلك الشبهة. والنصاب: الأجل و اراد: انّ باطلهم لا اصل له، و قوله: فيه منقطع عنه. و لأفرّطن اى: لأملأنّ. و استعار لفظ الحوض: لاستعداده في حربهم. والعبّ: شرب الماء من غير مصّ. والحسي: موضع يحفر ليجتمع فيه الماء.

منه :

فَأَقْبَلْتُمْ إِلَيَّ إِقْبَالَ الْعُوذِ الْمَطَافِيلِ عَلَى أَوْلاَدِهَا، تَقُولُونَ: الْبَيْعَةَ الْبَيْعَةَ!! قَبَضْتُ يَدِي فَبَسَطْتُمُوهَا، وَنَازَعْتُكُمْ يَدِي فَجَذَبْتُمُوهَا، اللَّهُمَّ إِنَّهُمَا قَطَعَانِي وَظَلَمَانِي، وَنَكَثَا بَيْعَتِي،

وَأَلَّبَا النَّاسَ عَلَيَّ، فَاحْلُلْ مَا عَقَدَا، وَلَا تُحْكِمْ لَهُمَا مَا أَبْرَمَا، وَأَرِهِمَا الْمَسَاءَةَ فِيمَا أَمَّلَا وَعَمِلَا، وَلَقَدْ اسْتَثَبْتُهُمَا قَبْلَ الْقِتَالِ، وَاسْتَأْنَيْتُ بِهِمَا أَمَامَ الْوِقَاعِ، فَغَمَطَا النِّعْمَةَ، وَرَدَّا الْعَافِيَةَ.

أقول: العوذ: جمع عائذ بالذال المعجمة، وهي: كل انثى قريبة العهد بالولادة وهي: لسبعة ايام الى عشرة ايام، وخمسة عشريوما، ثم هي: مطفل اى ذات طفل، و الجمع مطافيل، والضمير في انّهما لطلحة، والزبير. والتأليب: التحريض. و ما عقداه و ما ابرماه اى: من الآراء، و العزوم فى حربه. و استثبتهما اى: طلبت انابتهما الى الحق، و روى بالتاء من التوبة اى: من ذنبهما في نكث بيعته. و استأنيت: توقّفت. و غمطا النعمة: احتقراها و بطراها. و ردّا العافية اى: من البلاء بالحرب.

١٣٧ ـ وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام
فى ذكر الملاحم

يَعْطِفُ الْهَوَى عَلَى الْهُدَى إِذَا عَطَفُوا الْهُدَى عَلَى الْهَوَى، وَيَعْطِفُ الرَّأْيَ عَلَى الْقُرْآنِ إِذَا عَطَفُوا الْقُرْآنَ عَلَى الرَّأْيِ.

اقول: الاشارة هنا، الى الامام المنتظر الموعود به، في الخبر و الأثر. فعطفه الهوى على الهدى: عرضه لميول النفس الامّارة على قوانين الحق و ردّها اليها، وكذلك عطف الرأى على القرآن ردّه اليه.

منها:

حَتَّى تَقُومَ الْحَرْبُ بِكُمْ عَلَى سَاقٍ بَادِياً نَوَاجِذُهَا، مَمْلُوءَةً أَخْلَافُهَا، حُلْواً رَضَاعُهَا، عَلْقَماً عَاقِبَتُهَا. أَلَا وَفِي غَدٍ ـ وَسَيَأْتِي غَدٌ بِمَا لَا تَعْرِفُونَ ـ يَأْخُذُ الْوَالِي مِنْ غَيْرِهَا عُمَّالَهَا عَلَى مَسَاوِىءِ أَعْمَالِهَا، وَتُخْرِجُ لَهُ الْأَرْضُ مِنْ أَفَالِيذِ كَبِدِهَا، وَتُلْقِي إِلَيْهِ سِلْماً مَقَالِيدَهَا، فَيُرِيكُمْ كَيْفَ عَدْلُ السِّيرَةِ، وَيُحْيِي مَيِّتَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

أقول: قيامها على ساق، كناية عن غاية شدتها، و كذلك بذو نواجذها: ملاحظة لشبهها بالسَّبُع عند غضبه. و مملوّة اخلافها: كناية عن تمام استعدادها برجالها و آلا تها كاستكمال الضرع اللبن، و اخلاف الناقة: حلمات ضرعها. و استعار لفظ الحلو: للدخول فيها، باعتبار اقبال أهل النجدة عليها. و لفظ العلقم: لعاقبتها، لما يجده الناس بعدها من الهلاك والضعف. و قوله: الا وفى غد: اخبار بما سيكون من امر الامام المنتظر، وهو المراد بالوالى. و قوله: من غيرها: يشبه ان يكون قد سبقه ذكر طائفة من الناس او البلاد ذات ملك و امرة، فأخبر عليه السلام: انّ الوالى من غير تلك الطائفة، و هو الامام عليه السلام يأخذ عمالها بذنوبهم. الأفاليذ: جمع للفلذة، وهي: القطعة من الكبد. واستعار لفظ الكبد: لما فى الارض من الكنوز باعتبار خفائها و عزّتها كالأكباد في الأجساد. والمقاليد: الخزائن. و ميت الكتاب والسنة: مستعار لما ترك منهما. فان قلت قوله: و يريكم يدلّ على انّ المخاطبين يدركونه مع انّكم زعمتم انّه يكون في آخر الزمان فكيف ذلك ؟ قلت: خطاب الحاضرين عام او في حكم العام، كسائر خطابات القرآن الكريم مع الصّحابة، المتناول لمن وجد الى يوم القيامة ثم يخرج المخاطبون بدليل العقل.

منها:

كَأَنّي بِهِ قَدْ نَعَقَ بِالشَّامِ وَفَحَصَ بِرَايَاتِهِ فِي ضَوَاحِي كُوفَانَ، فَعَطَفَ إِلَيْهَا عَطْفَ الضَّرُوسِ وَفَرَشَ الْأَرْضَ بِالرُّءُوسِ، قَدْ فَغَرَتْ فَاغِرَتُهُ وَثَقُلَتْ فِي الْأَرْضِ وَطْأَتُهُ، بَعِيدَ الْجَوْلَةِ، عَظِيمَ الصَّوْلَةِ. وَاللهِ لَيُشَرِّدَنَّكُمْ فِي أَطْرَافِ الْأَرْضِ، حَتَّى لَايَبْقَى مِنْكُمْ إِلَّا قَلِيلٌ، كَالْكُحْلِ فِي الْعَيْنِ؛ فَلَا تَزَالُونَ كَذٰلِكَ حَتَّى تَؤُوبَ إِلَى الْعَرَبِ عَوَازِبُ أَحْلَامِهَا، فَالْزَمُوا السُّنَنَ الْقَائِمَةَ، وَالْآثَارَ الْبَيِّنَةَ، وَالْعَهْدَ الْقَرِيبَ الَّذِي عَلَيْهِ بَاقِي النُّبُوَّةِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ الشَّيْطَانَ إِنَّمَا يُسَنِّي لَكُمْ طُرُقَهُ لِتَتَّبِعُوا عَقِبَهُ.

أقول: قيل: الاشارة الى عبدالملك بن مروان، لانّه ظهر بالشام حين جعله أبوه الخليفة من بعده، و سار الى الكوفة لقتال مصعب بن الزبير فقتله و دخل الكوفة، و بعث

الحجّاج الى ابن الزبير فقتله، و هدّم الكعبة[1]، و قتل خلقا كثيرًا من العرب فى وقائع عبدالرحمان بن الأشعث و رمى الناس بالحجّاج.

و نعق: صاح، و هو كناية عن دعوته. و فحص الطير التراب: قلّبه. و ضواحى كوفان: نواحى الكوفة البارزة. و فحصه براياته: كناية عن تقليبه لأمور الكوفة و أهلها بسطوته و بأسه. والضروس: الناقة سيئة الخلق تعضّ حالبها. و وجه شبه عطفه على الكوفة بعطف الضروس: شدّة الحنق والغضب. و فغرت فاغرته: انفتح فوه، هو كناية: عن اقباله بالأذى كالسّبع الصائد، واكّد الفعل بذكر الفاعل من لفظه. و كنّى بثقل وطأته: عن شدّة بأسه، و بعد جولته: عن اتّساع تصرّفه و تملكه و جولانه فى البلاد البعيدة. و بعيد وعظيم: حالان. و روى: رفعهما خبرى مبتدأ و عوازب احلام العرب: ما كان ذهب من عقولها العملية فى نظام احوالهم فى الاجتماع، والعرب قيل: هم بنوالعباس، و من نصرهم ايّام ظهور دولتهم كقحطبة بن شبيب الطائى، و بنى زريق و غيرهم. و يُسَنّى: يسهل.

١٣٨ ـ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

فى وقت الشورى

لَنْ يُسْرِعَ أَحَدٌ قَبْلِي إِلَى دَعْوَةِ حَقٍّ، وَصِلَةِ رَحِمٍ، وَعَائِدَةِ كَرَمٍ، فَاسْمَعُوا قَوْلِي، وَعُوا مَنْطِقِي، عَسَى أَنْ تَرَوْا هٰذَا الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِ هٰذَا الْيَوْمِ تُنْتَضَى فِيهِ السُّيُوفُ، وَتُخَانُ فِيهِ الْعُهُودُ، حَتَّى يَكُونَ بَعْضُكُمْ أَئِمَّةً لِأَهْلِ الضَّلَالَةِ، وَشِيعَةً لِأَهْلِ الْجَهَالَةِ.

اقول: اشار الى بعض فضائله لغاية سماع قوله: والّذى يأمرهم بسماعه: هوالتنبيه على عاقبة أمرالخلافة و ما يقع فيها من الهرج والمرج بعدهم.

---

[1] ـ من هنا الى آخر السطر لم يكن في نسخة ش.

١٣٩ ـ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

فى النهى عن غيبة الناس

وَإِنَّمَا يَنْبَغِى لِأَهْلِ الْعِصْمَةِ، وَالْمَصْنُوعِ إِلَيْهِمْ فِى السَّلَامَةِ، أَنْ يَرْحَمُوا أَهْلَ الذُّنُوبِ وَالْمَعْصِيَةِ، وَيَكُونَ الشُّكْرُ هُوَ الْغَالِبَ عَلَيْهِمْ، وَالْحَاجِزَ لَهُمْ عَنْهُمْ فَكَيْفَ بِالْغَائِبِ الَّذِى عَابَ أَخَاهُ، وَعَيَّرَهُ بِبَلْوَاهُ؟! أَمَا ذَكَرَ مَوْضِعَ سَتْرِ اللهِ عَلَيْهِ مِنْ ذُنُوبِهِ مِمَّا هُوَ أَعْظَمُ مِنَ الذَّنْبِ الَّذِى عَابَهُ بِهِ!! وَ كَيْفَ يَذُمُّهُ بِذَنْبٍ قَدْ رَكِبَ مِثْلَهُ! فَإِنْ لَمْ يَكُنْ رَكِبَ ذٰلِكَ الذَّنْبَ بِعَيْنِهِ فَقَدْ عَصَى اللهَ فِيمَا سِوَاهُ مِمَّا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ. وَايْمُ اللهِ لَئِنْ لَمْ يَكُنْ عَصَاهُ فِى الْكَبِيرِ وَعَصَاهُ فِى الصَّغِيرِ لَجَرَاءَتُهُ عَلَى عَيْبِ النَّاسِ أَكْبَرُ.

يَا عَبْدَ اللهِ، لَا تَعْجَلْ فِى عَيْبِ أَحَدٍ بِذَنْبِهِ فَلَعَلَّهُ مَغْفُورٌ لَهُ، وَلَا تَأْمَنْ عَلَى نَفْسِكَ صَغِيرَ مَعْصِيَةٍ فَلَعَلَّكَ مُعَذَّبٌ عَلَيْهِ، فَلْيَكْفُفْ مَنْ عَلِمَ مِنْكُمْ عَيْبَ غَيْرِهِ لِمَا يَعْلَمُ مِنْ عَيْبِ نَفْسِهِ؛ وَلْيَكُنِ الشُّكْرُ شَاغِلاً لَهُ عَلَى مُعَافَاتِهِ مِمَّا ابْتُلِىَ بِهِ غَيْرُهُ.

أقول: اهل العصمة: هم الذين أعانهم الله على قهر نفوسهم الامّارة فملكوها. والمصنوع اليهم اى: من اصطنع الله عنده نعمة السلامة من الذنوب، و رحمتهم لأهل الذنوب: تظهر فى كفّهم عن عيبهم، و اعانتهم على الخروج منها بصالح القول. و قوله: فكيف بالعائب اى: اذا كان اهل السلامة فينبغى لهم ان يرحموا اهل الذنوب و يشتغلوا بشكر الله عن عيبهم، فكيف يليق العيب من غيرهم من الناس، و اراد بما هو اعظم عيبه لأخيه لانّ الغيبة من الكبائر، و جعلها اكبر مبالغة او بالنسبة الى بعض الكبائر.

١٤٠ ـ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ عَرَفَ مِنْ أَخِيهِ وَثِيقَةَ دِينٍ، وَسَدَادَ طَرِيقٍ؛ فَلَا يَسْمَعَنَّ فِيهِ أَقَاوِيلَ الرِّجَالِ، أَمَا إِنَّهُ قَدْ يَرْمِى الرَّامِى وَتُخْطِئُ السِّهَامُ، وَيَحِيلُ الْكَلَامُ، وَبَاطِلُ ذٰلِكَ يَبُورُ، وَاللهُ سَمِيعٌ وَشَهِيدٌ. أَمَا إِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَ الْبَاطِلِ وَالْحَقِّ إِلَّا أَرْبَعُ أَصَابِعَ.

قال الشريف: فسئل عليه السلام عن معنى قوله هذا، فجمع أصابعه و وضعها بين أذنه و عينه، ثم قال: الْبَاطِلُ أَنْ تَقُولَ سَمِعْتُ، وَالْحَقُّ أَنْ تَقُولَ رَأَيْتُ.

اقول: حاصل الفصل: النّهى عن التسرّع الى سماع الغيبة. و قوله: اما انّه، اى قوله: يبور: تنبيه على قوّة اذى الكلام و انّه اشدّ من الرّمى بالسّهام، اذ السهام قد تخطئ ولا تؤثر، والكلام لابدّ ان يؤثر. و حاك واحاك اى: اثّر، و يروى يحيل باللام اى: يبطل. و قوله: ذلك يبور اى: العرض منه يهلك من مال اوجاه و نحوه. و قيل: الباطل من ذلك القول يهلك و لاينتفع به و يبقى شهادة الله و جزاؤه عليه. و قوله: الباطل ان يقول سمعت: ليس بكلّى بل كلام خطابى مهمل بصدق يجزى.

١٤١ ـ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

وَلَيْسَ لِوَاضِعِ الْمَعْرُوفِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ، وَعِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ، مِنَ الْحَظِّ إِلَّا مَحْمَدَةُ اللِّئَامِ، وَثَنَاءُ الْأَشْرَارِ، وَمَقَالَةُ الْجُهَّالِ ـ مَادَامَ مُنْعِمًا عَلَيْهِمْ ـ «مَا أَجْوَدَ يَدَهُ» وَهُوَ عَنْ ذَاتِ اللهِ بَخِيلٌ!! فَمَنْ آتَاهُ اللهُ مَالاً فَلْيَصِلْ بِهِ الْقَرَابَةَ، وَلْيُحْسِنْ مِنْهُ الضِّيَافَةَ، وَلْيَفُكَّ بِهِ الْأَسِيرَ وَالْعَانِيَ وَلْيُعْطِ مِنْهُ الْفَقِيرَ وَالْغَارِمَ، وَلْيَصْبِرْ نَفْسَهُ عَلَى الْحُقُوقِ وَالنَّوَائِبِ ابْتِغَاءَ الثَّوَابِ؛ فَإِنَّ فَوْزًا بِهٰذِهِ الْخِصَالِ شَرَفُ مَكَارِمِ الدُّنْيَا، وَدَرْكُ فَضَائِلِ الآخِرَةِ، إِنْ شَاءَ اللهُ.

أقول: غرض الفصل: التنبيه على مواضع المعروف التى ينبغى صرف المعروف فيها. و غير حقّه اى: غير وجهه الّذى ينبغى صرفه فيه، و فيما اتى، اى: فيما فعل من المعروف و ارشد من مواضعه الى خمسة. والعانى هو: الأسير. والغارم من عليه الدين. والنوائب: ما ينوب الانسان مما يوجب غرمه كالمصادرات و نحوها. و اراد بالخصال: مواقع المعروف المذكورة فانّها فضائل داخلة تحت فضيلة الكرم و المواظبة عليها تصيّرها ملكاتٍ واخلاقا محمودة. و نكّر الفوز: لتفيد شياعا دون تقيّده باللام لابهامه الخصوص والجزئية و احتماله لهما.

١٤٢ ـ وَمِنْ كَلام لَهُ عَلَيْهِ السَّلام
في الاستسقاء

أَلَا وَإِنَّ الْأَرْضَ الَّتِي تَحْمِلُكُمْ وَالسَّمَاءَ الَّتِي تُظِلُّكُمْ، مُطِيعَتَانِ لِرَبِّكُمْ، وَمَا أَصْبَحَتَا تَجُودَانِ لَكُمْ بِبَرَكَتِهِمَا تَوَجُّعًا لَكُمْ، وَلَا زُلْفَةً إِلَيْكُمْ، وَلَا لِخَيْرٍ تَرْجُوَانِهِ مِنْكُمْ، وَلَكِنْ أُمِرَتَا بِمَنَافِعِكُمْ فَأَطَاعَتَا، وَأُقِيمَتَا عَلَى حُدُودِ مَصَالِحِكُمْ فَأَقَامَتَا.

إِنَّ اللهَ يَبْتَلِي عِبَادَهُ ـ عِنْدَ الْأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ ـ بِنَقْصِ الثَّمَرَاتِ، وَحَبْسِ الْبَرَكَاتِ وَإِغْلَاقِ خَزَائِنِ الْخَيْرَاتِ، لِيَتُوبَ تَائِبٌ، وَيُقْلِعَ مُقْلِعٌ، وَيَتَذَكَّرَ مُتَذَكِّرٌ، وَيَزْدَجِرَ مُزْدَجِرٌ! وَقَدْ جَعَلَ اللهُ الْاِسْتِغْفَارَ سَبَبًا لِدُرُورِ الرِّزْقِ وَرَحْمَةِ الْخَلْقِ، فَقَالَ: (اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا؛ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا، وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ)[1] فَرَحِمَ اللهُ امْرَأً اسْتَقْبَلَ تَوْبَتَهُ، وَاسْتَقَالَ خَطِيئَتَهُ، وَبَادَرَ مَنِيَّتَهُ.

اللَّهُمَّ إِنَّا خَرَجْنَا إِلَيْكَ مِنْ تَحْتِ الْأَسْتَارِ وَالْأَكْنَانِ، وَبَعْدَ عَجِيجِ الْبَهَائِمِ وَالْوِلْدَانِ، رَاغِبِينَ فِي رَحْمَتِكَ، وَرَاجِينَ فَضْلَ نِعْمَتِكَ، وَخَائِفِينَ مِنْ عَذَابِكَ وَنِقْمَتِكَ.

اللَّهُمَّ فَاسْقِنَا غَيْثَكَ، وَلَا تَجْعَلْنَا مِنَ الْقَانِطِينَ، وَلَا تُهْلِكْنَا بِالسِّنِينَ، وَلَا تُؤَاخِذْنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ إِنَّا خَرَجْنَا إِلَيْكَ، نَشْكُو إِلَيْكَ مَا لَا يَخْفَى عَلَيْكَ، حِينَ أَلْجَأَتْنَا الْمَضَايِقُ الْوَعْرَةُ، وَأَجَاءَتْنَا الْمَقَاحِطُ الْمُجْدِبَةُ، وَأَعْيَتْنَا الْمَطَالِبُ الْمُتَعَسِّرَةُ، وَتَلَاحَمَتْ عَلَيْنَا الْفِتَنُ الْمُسْتَصْعِبَةُ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ لَا تَرُدَّنَا خَائِبِينَ، وَلَا تَقْلِبَنَا وَاجِمِينَ، وَلَا تُخَاطِبَنَا بِذُنُوبِنَا، وَلَا تُقَايِسَنَا بِأَعْمَالِنَا.

اللَّهُمَّ انْشُرْ عَلَيْنَا غَيْثَكَ وَبَرَكَتَكَ، وَرِزْقَكَ وَرَحْمَتَكَ، وَاسْقِنَا سُقْيَا نَافِعَةً مُرْوِيَةً مُعْشِبَةً: تُنْبِتُ بِهَا مَا قَدْ فَاتَ، وَتُحْيِي بِهَا مَا قَدْ مَاتَ، نَافِعَةَ الْحَيَا كَثِيرَةَ الْمُجْتَنَى، تُرْوِي بِهَا الْقِيعَانَ، وَتُسِيلُ الْبُطْنَانَ، وَتَسْتَوْرِقُ الْأَشْجَارَ، وَتُرْخِصُ الْأَسْعَارَ؛ إِنَّكَ عَلَى مَا تَشَاءُ قَدِيرٌ.

---

١ - نوح/١٠/١١/١٢.

أقول: نبّه بقوله: الا و انّ الأرض، الى قوله: فقامتا: على انّهما ليستا مبدأين اوّلين للرزق، بل هما مطيعتان لله في اخراجهما الرزق للحيوان، وهوالّذى جعل السماء كالأب بارسالها مدرارا، و جعل الارض كالأم في قبولها للماء و استعدادها به للنبات، و اخرج منها رزق العباد كما قال تعالى: (فلينظر الانسان الى طعامه) الى قوله: (متاعا لكم ولأنعامكم)[1] و طاعتهما: دخولهما تحت تصرّف قدرته، و امرهما بمنافعهم، و اقامتهما على حدود مصالحهم حكم العناية الألّهية عليهما باخراج هذه المنافع، و جعلها وفق مصالح الحيوان و قيامهما و طاعتهما وجود ذلك منهما حسب مقتضى القدرة الألّهية. والزلفة: المنزلة. وقوله: انّ الله، الى قوله: مزدجر: تنبيه على سبب حبس المطر، ووجه الحكمة الألّهية في ابتلاء الخلق بما ذكر،و هو كقوله تعالى: (و لنبلونّكم بشيئ من الخوف)[2] الآية. والاقلاع عن السّيئة: الرجوع عنها. و قوله: و قد جعل الله، الى قوله: مدرارا: تنبيه على وجه الخلاص من الابتلاء المذكور، و ذلك هوالاستعداد بالاستغفار. والمبادرة: المسابقة بالعمل الصالح. و العجيج: رفع الصوت بالحنين والبكاء. و القنوط: اليأس. و تلاحمت: اتّصلت. والواجم: الّذى اشتد حزنه، و مقايستهم بأعمالهم: جزاؤهم بما يشبهها و يقايسها من السّيئة. والنافعة: المرويّة. و القيعان: جمع قاع وقوع و هو: المستوي من الارض. والبطنان: جمع بطن، وهو: المنخفض من الارض. و باقي الفصل ظاهر.

١٤٣ ـ وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

بَعَثَ اللهُ رُسُلَهُ بِمَا خَصَّهُمْ بِهِ مِنْ وَحْيِهِ، وَجَعَلَهُمْ حُجَّةً لَهُ عَلَى خَلْقِهِ؛ لِئَلاَّ تَجِبَ الْحُجَّةُ لَهُمْ بِتَرْكِ الْإِعْذَارِ إِلَيْهِمْ، فَدَعَاهُمْ بِلِسَانِ الصِّدْقِ إِلَى سَبِيلِ الْحَقِّ. أَلَا إِنَّ اللهَ قَدْ كَشَفَ الْخَلْقَ كَشْفَةً، لَا أَنَّهُ جَهِلَ مَا أَخْفَوْهُ مِنْ مَصُونِ أَسْرَارِهِمْ وَمَكْنُونِ ضَمَائِرِهِمْ؛ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً؛ فَيَكُونَ الثَّوَابُ جَزَاءً، وَالْعِقَابُ بَوَاءً، أَيْنَ الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّهُمُ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ دُونَنَا؟ كَذِباً وَبَغْياً عَلَيْنَا أَنْ رَفَعَنَا اللهُ وَوَضَعَهُمْ، وَأَعْطَانَا وَحَرَمَهُمْ،

---

١ ـ سورة عبس / ٢٤ الى ٣٢.

٢ ـ سورة البقرة / ١٥٥.

وَأَدْخَلَنَا وَأَخْرَجَهُمْ، بِنَا يُسْتَعْطَى الْهُدَى، وَيُسْتَجْلَى الْعَمَى، إِنَّ الْأَئِمَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ غُرِسُوا فِي هٰذَا الْبَطْنِ مِنْ هَاشِمٍ: لَا تَصْلُحُ عَلَى سِوَاهُمْ، وَلَا تَصْلُحُ الْوُلَاةُ مِنْ غَيْرِهِم.

أقول: الضمير في قوله: لهم و اليهم: للخلق ر هو اشارة الى قوله تعالى: (رسلا مبشّرين و منذرين)[1] الآية. و لسان الصدق: دعوته صلى الله و آله المؤيّدة بالمعجزات الباهرة. و سبيل الحق: شريعته القائدة الى الله. و البواء: الجزاء. و امّا الّذين زعموا انّهم الراسخون في العلم: فانّ جمعا من الصحابة كان كل منهم يدّعي الأفضلية في فن من العلم، فمنهم من كان يدّعي انّه أفرض، و منهم من كان يدّعي انّه اقرأ،و منهم من كان يدّعي انّه أعلم بالحلال والحرام، و رووا: افرضكم زيد بن ثابت،واقرأكم ابيّ، و رووا: مع ذلك: اقضاكم عليّ[2].

و لما كان القضاء مستجمعًا لأنواع العلوم لزمه انّه افضل، لأستجماعه ما تفرّق فيهم من الفضائل، فعلم صدقه في تكذيبهم. و ان: في محل النصب بالمفعول به، وهو اشارة: الى العلة الحاملة لهم على تكليف هذه الدعوى. و اعطانا: الملك والنبوّة و ادخلنا: في عنايته الخاصة بنا. و استعار لفظ العمى: للجهل. و قوله: انّ الأئمة من قريش: نصّ متفق عليه من النبيّ صلى الله عليه و آله، و تخصيص ذلك بهذا البطن من هاشم نصّ منه يجب اتباعه لعصمته، و لقول الرسول صلى الله عليه و آله في حقه (انّه لمع الحق و انّ الحق معه يدور حيث دار)[3] و الاشارة بهذا البطن :الى ولده الأحد عشر بنصّ كل منهم على من بعده.

منها:

آثَرُوا عَاجِلاً، وَأَخَّرُوا آجِلاً؛ وَتَرَكُوا صَافِيًا، وَشَرِبُوا آجِنًا كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى فَاسِقِهِمْ وَقَدْ صَحِبَ الْمُنْكَرَ فَأَلِفَهُ وَبَسِيءَ بِهِ وَوَافَقَهُ،حَتَّى شَابَتْ عَلَيْهِ مَفَارِقُهُ، وَصُبِغَتْ بِهِ خَلَائِقُهُ! ثُمَّ أَقْبَلَ مُزْبِدًا كَالتَّيَّارِ لَايُبَالِي مَاغَرَّقَ، أَوْكَوَقْعِ النَّارِ فِي الْهَشِيمِ لَايَحْفِلُ مَاحَرَّقَ!! أَيْنَ الْعُقُولُ

---

۱ ـ سورة النساء / ۱۶۵.

۲ ـ الغدير۳/۹۶.مطالب السؤل ۱ /۲۳.الاستيعاب۳/۳۸ـ هامش الاصابة ـ الرياض النضرة،۱۹۸/،تاريخ الخلفاء/۱۱۵.

۳ ـ الغدير ۳/ ۱۷۶ ـ ۱۷۰ وقداخرج الحديث جمع من الحفاظ والاعلام.

الْـمُسْتَصْبِحَةُ بِمَصَابِيحِ الْهُدَى؟ وَالْأَبْصَارُ اللاَّمِحَةُ إِلَى مَنَارِ التَّقْوَى؟ أَيْنَ الْقُلُوبُ الَّتِي وُهِبَتْ للهِ وَعُوقِدَتْ عَلَى طَاعَةِ اللهِ؟ ازْدَحَمُوا عَلَى الْحُطَامِ، وَتَشَاحُّوا عَلَى الْحَرَامِ، وَرُفِعَ لَهُمْ عَلَمُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ فَصَرَفُوا عَنِ الْجَنَّةِ وُجُوهَهُمْ وَأَقْبَلُوا إِلَى النَّارِ بِأَعْمَالِهِمْ؛ وَدَعَاهُمْ رَبُّهُمْ فَنَفَرُوا وَوَلَّوْا، وَدَعَاهُمُ الشَّيْطَانُ فَاسْتَجَابُوا وَأَقْبَلُوا.

اقول: الاشارة: الى بني اميّة و من تبعهم ممن خف دينه. و العاجل: متاع الدنيا. واستعار لفظ الآجن: باعتبار ما يخالطه من كدر الأعراض و الامراض المنغّصة. والآجل: هو ثواب الآخرة. و استعار لفظ الصافي: باعتبار خلوصه عن الأكدار المذكورة. و فاسقهم: يشبه ان يريد به: معينا قيل: هو عبدالملك بن مروان. و بسئ به: ألفه و انس اليه. و كنى بغايته في ذلك، عن صيرورته ملكة، وخلقاً له، و شبه اقباله في حركاته الخارجه عن الدين: بالبحر الطّامي، و استعار له: لفظ المزبد، و كذلك شبّه فعله: بوقع النار في الهشيم و هو ما تكسّر من نبت الارض بعد يبسه، باعتبار سرعة افساده، و عبثه في البلاد من غير مبالاة بالدّين كما قال: (لا يبالي ما حرّق). و استعار لفظ مصابيح الهدى و منار التقوى اى: اعلاقها لأئمة الدين اولقوانينه. و وصف هبة القلوب و معاقدتها: لقصرها على طاعةالله. و الضمير في قوله: ازدحموا: عائد الى من سبق وهو الى آخره ذمّ لهم،و انّما قال: و اقبلوا بأعمالهم، و لم يقل: بوجوههم، كما قال: فصرفوا وجوههم، لانّ اقبالهم بوجوه نفوسهم على لذّات الدنيا يستلزم صرفها عن الأعمال الموصله الى الجنة و ذلك يستلزم اعراضها عن الجنّة.

ثم لما كانت غاية الانسان من الدنيا هوالحصول على لذّاتها، و كانت النار لازمة للأعمال الموصلة الى تلك الغاية لزوماً عرضياً لم تكن النار غاية ذاتية قد اقبلوا بوجوههم وقصورهم اليها، بل كان اقبالهم عليها بأعمالهم المستلزمة لها. و باقي الفصل واضح.

١٤٤ ـ وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا أَنْتُمْ فِي هٰذِهِ الدُّنْيَا غَرَضٌ تَنْتَضِلُ فِيهِ الْمَنَايَا، مَعَ كُلِّ جُرْعَةٍ شَرَقٌ؛

وَفِي كُلِّ أَكْلَةٍ غَصَصٌ لَا تَنَالُونَ مِنْهَا نِعْمَةً إِلَّا بِفِرَاقِ أُخْرَى، وَلَا يُعَمَّرُ مُعَمَّرٌ مِنْكُمْ يَوْمًا مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا بِهَدْمِ آخَرَ مِنْ أَجَلِهِ، وَلَا تُجَدَّدُ لَهُ زِيَادَةٌ فِي أَكْلِهِ إِلَّا بِنَفَادِ مَا قَبْلَهَا مِنْ رِزْقِهِ، وَلَا يَحْيَا لَهُ أَثَرٌ إِلَّا مَاتَ لَهُ أَثَرٌ، وَلَا يَتَجَدَّدُ لَهُ جَدِيدٌ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَخْلَقَ لَهُ جَدِيدٌ، وَلَا تَقُومُ لَهُ نَابِتَةٌ إِلَّا وَتَسْقُطُ مِنْهُ مَحْصُودَةٌ. وَقَدْ مَضَتْ أُصُولٌ نَحْنُ فُرُوعُهَا، فَمَا بَقَاءُ فَرْعٍ بَعْدَ ذَهَابِ أَصْلِهِ؟!!

اقول: استعار لهم لفظ الغرض: لرميهم بسهام المنايا، و الانتضال: الرمي: و كنّى بالجرعة والاكلة: عن لذّات الدنيا، و بالشرق و الغصص: عما يلزمها من الاكدار. و قوله: لايبالون، الى قوله: محصورة: فرق لطيف بين لذّات الدنيا والآخرة، هو: انّ لذّات الدنيا، لا يمكن ان يجتمع للانسان نوعان منها معًا، لكونها حاصلة من طرق الحوّاس المختلفة، فعند ما يتوجّه النفس الى تحصيل نوع منها و يستغلّ به، يفارق غيره، و لانّ ملذّاتها زمانيّة فهي في معرض الزوال، فلا يكاد يجتمع منها نوعان يستلّذ بهما في حال واحد، بخلاف اللذّات الاخرويّة. واكله: بالهاء وضمّ الهمزة: ماكوله. والاثر: كالولد، والنابتة والمحصورة: حقيقتان في النبات، و كنّى بهما عما يتجدّد للانسان من خير و عما يعدم له. والأصول الماضية: الآباء.

منها:

وَمَا أُحْدِثَتْ بِدْعَةٌ إِلَّا تُرِكَتْ بِهَا سُنَّةٌ؛ فَاتَّقُوا الْبِدَعَ، وَالْزَمُوا الْمَهْيَعَ، إِنَّ عَوَازِمَ الْأُمُورِ أَفْضَلُهَا، وَإِنَّ مُحْدَثَاتِهَا شِرَارُهَا.

أقول: البدعة: كلّما احدث في الدين من غير حجّة شرعية، و وجه استلزامها لترك السّنة ان تركها من السّنة: فارتكابها يستلزم ترک السّنة. والمهيع: الطريق الواسع و هي: الشريعة. والعوازم: جمع عوزم و اراد بها: قدائم السنن التي كانت على عهد الرسول صلّى الله عليه و آله. و محدثاتها: هي البدع و كونها شرارا لمخالفتها الدين.

١٤٥ ـ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

لعمر بن الخطاب، وقد استشاره في غزو الفرس بنفسه

إنَّ هٰذَا الْأَمْرَ لَمْ يَكُنْ نَصْرُهُ وَلَاخِذْلَانُهُ بِكَثْرَةٍ وَلَاقِلَّةٍ، وَهُوَ دِينُ ٱللهِ الَّذِي أَظْهَرَهُ، وَجُنْدُهُ الَّذِي أَعَدَّهُ وَأَمَدَّهُ، حَتَّى بَلَغَ مَا بَلَغَ وَطَلَعَ حَيْثُمَا طَلَعَ، وَنَحْنُ عَلَى مَوْعُودٍ مِنَ ٱللهِ، وَٱللهُ مُنْجِزٌ وَعْدَهُ، وَنَاصِرٌ جُنْدَهُ. وَمَكَانُ الْقَيِّمِ بِالْأَمْرِ مَكَانَ النِّظَامِ مِنَ الْخَرَزِ: يَجْمَعُهُ وَيَضُمُّهُ، فَإِذَا ٱنْقَطَعَ النِّظَامُ تَفَرَّقَ الْخَرَزُ وَذَهَبَ ثُمَّ لَمْ يَجْتَمِعْ بِحَذَافِيرِهِ أَبَداً. وَالْعَرَبُ الْيَوْمَ وَإِنْ كَانُوا قَلِيلاً فَهُمْ كَثِيرُونَ بِالْإِسْلَامِ، عَزِيزُونَ بِالاجْتِمَاعِ، فَكُنْ قُطْبًا، وَٱسْتَدِرِ الرَّحَى بِالْعَرَبِ وَأَصْلِهِمْ دُونَكَ نَارَ الْحَرْبِ؛ فَإِنَّكَ إِنْ شَخَصْتَ مِنْ هٰذِهِ الْأَرْضِ ٱنْتَقَضَتْ عَلَيْكَ الْعَرَبُ مِنْ أَطْرَافِهَا وَأَقْطَارِهَا، حَتَّى يَكُونَ مَا تَدَعُ وَرَاءَكَ مِنَ الْعَوْرَاتِ أَهَمَّ إِلَيْكَ مِمَّا بَيْنَ يَدَيْكَ.

إِنَّ الْأَعَاجِمَ إِنْ يَنْظُرُوا إِلَيْكَ غَداً يَقُولُوا: هٰذَا أَصْلُ الْعربِ فَإِذَا قَطَعْتُمُوهُ ٱسْتَرَحْتُمْ، فَيَكُونُ ذٰلِكَ أَشَدَّ لِكَلَبِهِمْ عَلَيْكَ، وَطَمَعِهِمْ فِيكَ. فَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ مَسِيرِ الْقَوْمِ إِلَى قِتَالِ الْمُسْلِمِينَ فَإِنَّ ٱللهَ سُبْحَانَهُ هُوَ أَكْرَهُ لِمَسِيرِهِمْ مِنْكَ، وَهُوَ أَقْدَرُ عَلَى تَغْيِيرِ مَا يَكْرَهُ، وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ عَدَدِهِمْ فَإِنَّا لَمْ نَكُنْ نُقَاتِلُ فِيمَا مَضَى بِالْكَثْرَةِ؛ وَإِنَّمَا كُنَّا نُقَاتِلُ بِالنَّصْرِ وَالْمَعُونَةِ.

أقول: حتى بلغ ما بلغ اى: من الكثرة والعزّة. و طلع حيث طلع: من آفاق البلاد، وموعودالله: في قوله: (وعدالله الّذين آمنوا) إلى قوله: (من بعد خوفهم امناً)[1] والقيّم بالامر: الامام. و حذافير الشئ: اطرافه جمع حذفار. و قوله: بحذافيره اى: بأسره. و استعار له لفظ القطب و لفظ الرّحى: لامور الاسلام او للحرب. والعورات: مواضع المخالفة على الاسلام و أهله. والكلب: الشر. و قد كان ذكر له مسير القوم، و هم: الفرس، في وقعة القادسية الى قتال المسلمين و ذكر كثرة عددهم، فأجابه عن هذين الوهمين بضميرين: صغرى الاولى، قوله: فانّ الله سبحانه، الى قوله: يكره. و تقدير كبراه: و كل

١ ـ سورة النور/ ٥٥.

ما كان اكره له و اقدر على تغييره منك فيجب ان يفوّض امره اليه. و صغرى الثانى، قوله: فانا لم نكن، الى آخره، و تقدير كبراه: و كلّ ما كان كذلك فلا ينبغى ان ينظر الى كثرة العدد و يحفل به.

١٤٦ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

فَبَعَثَ مُحَمَّدًا، صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، بِالْحَقِّ لِيُخْرِجَ عِبَادَهُ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ إِلَى عِبَادَتِهِ، وَمِنْ طَاعَةِ الشَّيْطَانِ إِلَى طَاعَتِهِ، بِقُرْآنٍ قَدْ بَيَّنَهُ وَأَحْكَمَهُ، لِيَعْلَمَ الْعِبَادُ رَبَّهُمْ إِذْ جَهِلُوهُ، وَلِيُقِرُّوا بِهِ إِذْ جَحَدُوهُ، وَلِيُثْبِتُوهُ بَعْدَ إِذْ أَنْكَرُوهُ. فَتَجَلَّى لَهُمْ سُبْحَانَهُ فِي كِتَابِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونُوا رَأَوْهُ: بِمَا أَرَاهُمْ مِنْ قُدْرَتِهِ، وَخَوَّفَهُمْ مِنْ سَطْوَتِهِ، وَكَيْفَ مَحَقَ مَنْ مَحَقَ بِالْمَثُلَاتِ، وَٱحْتَصَدَ مَنِ احْتَصَدَ بِالنَّقِمَاتِ.

وَإِنَّهُ سَيَأْتِي عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي زَمَانٌ لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ أَخْفَى مِنَ الْحَقِّ، وَلَاأَظْهَرَ مِنَ الْبَاطِلِ، وَلَاأَكْثَرَ مِنَ الْكَذِبِ عَلَى ٱللهِ وَرَسُولِهِ!! وَلَيْسَ عِنْدَ أَهْلِ ذٰلِكَ الزَّمَانِ سِلْعَةٌ أَبْوَرُ مِنَ الْكِتَابِ إِذَا تُلِيَ حَقَّ تِلَاوَتِهِ، وَلَا أَنْفَقُ مِنْهُ إِذَا حُرِّفَ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَلَا فِي الْبِلَادِ شَيْءٌ أَنْكَرُ مِنَ الْمَعْرُوفِ وَلَا أَعْرَفُ مِنَ الْمُنْكَرِ، فَقَدْ نَبَذَ الْكِتَابَ حَمَلَتُهُ، وَتَنَاسَاهُ حَفَظَتُهُ، فَالْكِتَابُ يَوْمَئِذٍ وَأَهْلُهُ طَرِيدَانِ مَنْفِيَّانِ، وَصَاحِبَانِ مُصْطَحِبَانِ فِي طَرِيقٍ وَاحِدٍ لَايُؤْوِيهِمَا مُؤْوٍ!! فَالْكِتَابُ وَأَهْلُهُ فِي ذٰلِكَ الزَّمَانِ فِي النَّاسِ وَلَيْسَا فِيهِمْ وَمَعَهُمْ؛ لِأَنَّ الضَّلَالَةَ لَا تُوَافِقُ الْهُدَى، وَإِنِ ٱجْتَمَعَا فَٱجْتَمَعَ الْقَوْمُ عَلَى الْفُرْقَةِ وَٱفْتَرَقُوا عَنِ الْجَمَاعَةِ، كَأَنَّهُمْ أَئِمَّةُ الْكِتَابِ وَلَيْسَ الْكِتَابُ إِمَامَهُمْ! فَلَمْ يَبْقَ عِنْدَهُمْ مِنْهُ إِلَّا ٱسْمُهُ، وَلَايَعْرِفُونَ إِلَّا خَطَّهُ وَزَبْرَهُ!! وَمِنْ قَبْلُ مَا مَثَّلُوا بِالصَّالِحِينَ كُلَّ مُثْلَةٍ، وَسَمَّوْا صِدْقَهُمْ عَلَى ٱللهِ فِرْيَةً، وَجَعَلُوا فِي الْحَسَنَةِ عُقُوبَةَ السَّيِّئَةِ.

وَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِطُولِ آمَالِهِمْ، وَتَغَيُّبِ آجَالِهِمْ، حَتَّى نَزَلَ بِهِمُ الْمَوْعُودُ، الَّذِي تُرَدُّ عَنْهُ الْمَعْذِرَةُ، وَتُرْفَعُ عَنْهُ التَّوْبَةُ، وَتَحُلُّ مَعَهُ الْقَارِعَةُ وَالنِّقْمَةُ.

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ مَنِ ٱسْتَنْصَحَ ٱللهَ وُفِّقَ، وَمَنِ ٱتَّخَذَ قَوْلَهُ دَلِيلاً هُدِيَ لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ؛ فَإِنَّ جَارَ ٱللهِ آمِنٌ، وَعَدُوَّهُ خَائِفٌ، وَإِنَّهُ لَايَنْبَغِي لِمَنْ عَرَفَ عَظَمَةَ ٱللهِ أَنْ يَتَعَظَّمَ؛ فَإِنَّ رِفْعَةَ

الَّذِينَ يعلمون مَا عَظَمَتُهُ أَنْ يَتَوَاضَعُوا لَهُ، وَسَلَامَةَ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ مَا قُدْرَتُهُ أَنْ يَسْتَسْلِمُوا لَهُ. فَلاَ تَنْفِرُوا مِنَ الْحَقِّ نِفَارَ الصَّحِيحِ مِنَ الْأَجْرَبِ، وَالْبَارِىءِ مِنْ ذِي السَّقَمِ، وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ لَنْ تَعْرِفُوا الرُّشْدَ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي تَرَكَهُ، وَلَنْ تَأْخُذُوا بِمِيثَاقِ الْكِتَابِ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي نَقَضَهُ، وَلَنْ تَمَسَّكُوا بِهِ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي نَبَذَهُ، فَالْتَمِسُوا ذٰلِكَ مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ؛ فَإِنَّهُمْ عَيْشُ الْعِلْمِ، وَمَوْتُ الْجَهْلِ: هُمُ الَّذِينَ يُخْبِرُكُمْ حُكْمُهُمْ عَنْ عِلْمِهِمْ، وَصَمْتُهُمْ عَنْ مَنْطِقِهِمْ، وَظَاهِرُهُمْ عَنْ بَاطِنِهِمْ: لَايُخَالِفُونَ الدِّينَ، وَلَايَخْتَلِفُونَ فِيهِ، فَهُوَ بَيْنَهُمْ شَاهِدٌ صَادِقٌ، وَصَامِتٌ نَاطِقٌ.

اقول: ذكر اغراض البعثة في معرض مدح الرّسول صلّى الله عليه و آله، و تجليه سبحانه في كتابه: هو ظهور وجوده لقلوب عبيده بالتنبيهات التى اشتمل عليها، كالتنبيه على أنواع المقدورات و اصنافها على كمال قدرته بانواع المبدعات المحكمة على كمال علمه و حكمته، و بالتخويف بالمثلات: وهى العقوبات النازلة بالقرون الماضية، وافنائهم على انّ مثل ذلك واقع بهم فتعملوا لما بعدالموت. و أبور اى: اكسد. فامّا الكذب على الله و على رسوله: فروى عن شعبة، وكان امام المحدّثين، انّه قال: تسعة اعشارالحديث كذب. وعن الدارقطني: ما الحديث الصحيح الاكالشعرة البيضاء في الثور الأسود. و تلى حق تلاوته اى: وضع مواضعه، وفسّر كما هوالمراد، و تحريفه عن مواضعه: حمله على غير محامله. و نبذ حملته له: اعراضهم عن تدبّر ما فيه والعمل به، و اهله: هم الواعون له العاملون بما فيه. والطريق المصطحبان فيه: طريق الله، واصطحابهما: ملازمة العمل به و اتّفاقهما على الدلالة في طريق الله، وهم فى الناس و معهم بأبدانهم، والكتاب معهم بألفاظه و كتبته، وليسوا في الناس و لا معهم بقلوبهم، و الكتاب بمقاصده و ثمرته، و اشار الى وجه المباينة بينهما و بين الناس: بكونهما على هدى، والناس على ضلالة. والضدّان لا يجتمعان في محل واحد هوالقلب و ان اجتمعا الاجتماع المذكور. والقوم: اهل زمانه كالخوارج وغيرهم، ومن بعده كأهل الآراء والمذاهب المختلفة. و زبره: كتبته، و شبّههم بأئمةالكتاب: في جعله تبعا لآرائهم. وقوله: و من قبل ما مثّلوا بالصّالحين، الى قوله: عقوبة السيئة: اشارة الى ما فعل امراء بنى اميّة، و ولا تهم

كعبيدالله بن زياد، والحجّاج، و مثّل: بالتخفيف والتشديد نكل، والاسم: المثلة، بضم الميم و سكون الثاء. و «ما» مصدريّة محلها: الرفع بالابتداء و خبرها: من قبل، و اراد: الّذين فعلوا ذلك من قبل، وبالنسبة الى من بعدهم من الداخلين في وصفه. والقارعة: الشديدة. واستنصاح الله تعالى: قبول قوله، و اتّخاذه دليلا في طريقه التي هي اقوم الطرق. و جارالله: من لزم بابه بالطاعة، و بيّن معرفةالله و عظمته والتعظيم معاندة لأستلزام معرفة العارف به استصغار نفسه في جنب عظمته، و ذلك مناف لتكبّره، و لذلك تواضع العارف لعظمته، و استيلاء قدرته و استسلامه له مستلزمان لرفعته و سلامته في الدارين، ومعرفة تارك الرشد وناقض الكتاب و نابذه، شرط في المعرفة التّامة للرشد، وللتمسك التامّ بالكتاب و لزوم ميثاقه المأخوذ على العباد في العمل به، لانّ المعرفة التامة للشئ، تستدعي معرفة ما عليه من الشكوك والشبهات التي هي سبب نقصان معرفته، والشك فيه، و لما كان الرشد هوالحق الّذي هو عليه و تابعوه، والتارك لذلك هم مخالفوه من أئمة الضلال، لاجرم كان من تمام الرشد الّذي يدعو اليه، و يتمسّك به من الكتاب: معرفة خصومه الّذين تركوا الرشد و نقضوا الكتاب، و معرفة شبههم الباطلة، لتحصل المعرفة على بصيرة.

و لما نبّه على تلك المعرفة امر بالتماسها من عند أهلها، و اراد: نفسه و اهل بيته عليهم السلام، و استعار لهم: وصفي عيش العلم اى: حياته، و موت الجهل، باعتبار انّ بهم وجودالعلم و الانتفاع به، و عدم الجهل والتضرّر به، و حكمتهم: منطقهم بالحكمة. ولما كان صمت الحكيم في موضعه كان من جملة حكمته، و ظاهرهم هيئة الخاشعين العابدين،وهو دالّ على اتّصاف نفوسهم بكمال قوّتي العلم والعمل. و استعار لفظ الصامت والناطق: للدّين باعتبار افادة الاحكام الشرعيّة منه عندالرجوع اليه و عدمها.

١٤٧ ـ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام
في ذكر أهل البصرة

كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَرْجُوا لْأَمْرَ لَهُ، وَيَعْطِفُهُ عَلَيْهِ دُونَ صَاحِبِه: لَايَمُتَّانِ إِلَى ٱللهِ بِحَبْلٍ،

وَلَا يَمُدَّانِ إِلَيْهِ بِسَبَبٍ!! كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَامِلُ ضَبٍّ لِصَاحِبِهِ، وَعَمَّا قَلِيلٍ يُكْشَفُ قِنَاعُهُ بِهِ. وَٱللهِ لَئِنْ أَصَابُوا ٱلَّذِي يُرِيدُونَ لَيَنْتَزِعَنَّ هٰذَا نَفْسَ هٰذَا وَلَيَأْتِيَنَّ هٰذَا عَلَى هٰذَا؛ قَدْ قَامَتِ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ فَأَيْنَ الْمُحْتَسِبُونَ، فَقَدْ سُنَّتْ لَهُمُ السُّنَنُ، وَقُدِّمَ لَهُمُ الْخَبَرُ، وَلِكُلِّ ضَلَّةٍ عِلَّةٌ، وَلِكُلِّ نَاكِثٍ شُبْهَةٌ، وَٱللهِ لَا أَكُونُ كَمُسْتَمِعِ اللَّدْمِ، يَسْمَعُ النَّاعِيَ وَيَحْضُرُ الْبَاكِيَ.

أقول: يشير الى: طلحة والزبير. و الأمر: امر الأمارة. و يعطفه: يجذبه اليه، و اراد: انّهما مختلفان في نفس الأمر و ان اتّفقا على خلافه، و ليس غرضهما ما زعماه من انكار المنكر. و متّ بكذا: توسّل به. والضبّ: الحقد والغل. و استعار لفظ القناع: لظاهره الساتر لباطنه. و قد نقل انّهما اختلفا قبل الحرب في اللاحق بالتقديم في الصلاة حتى اقامت عائشة محمد بن طلحة، و عبدالله بن الزبير، يصلي بالناس هذا يوما، و هذا يوما، وادّعى كل واحد منهما كونه أحقّ بشبهة ذكرها، فامرت الناس ان يسلموا عليهما جميعًا بالأمرة وهم الفئة الباغية هاهنا. و المحتسبون: طالبوا الأجر والثواب من الله. و الخبر الّذي قدّم لهم: ما اخبر به الرسول صلى الله عليه و آله بقوله: يا علي انّك ستقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين[1]. والمراد: انّ من سمع هذا الخبر من طالبي ثواب الله، وجب عليه قتال هؤلاء لنكثهم.

و قوله: و لكل ضلّة علّة، الى قوله: شبهة: كالجواب لمن عساه يقول: انّهم يحتجّون بكذا. واللّدم: الضرب على الصدر و الوجه و نحوه، و اراد: انّه بعد علمه بقصد هؤلاء لقتاله بامارات ظاهرة،لاينام عنهم حتى توافوه فيكون في الغرور كمستمع اللدم، والبكاء الّذي هو مظنة الخطر ثم لا يصدق حتى يحضر الباكي ليشاهد الحال،فيسلّم نفسه للعدو و قد كان الاولى ان يكتفي بذلك السماع و يستعدّ للقائه والهرب منه.

---

١ - اسد الغابة ٣٣/٤. تاريخ بغداد ١٨٦/١٣. كنزالعمال ٨٨/٦. كفاية الطالب /١٦٧. الغدير ١٩٢/٣وج ٣٠٨/٩. فضائل الخمسة ٣٥٨/٢. مستدرك الصحيحين ١٣٩/٣.

١٤٨ - وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

قبل موته

أَيُّهَا النَّاسُ، كُلُّ امْرِىءٍ لَاقٍ مَا يَفِرُّ مِنْهُ فِي فِرَارِهِ، وَالْأَجَلُ مَسَاقُ النَّفْسِ وَالْهَرَبُ مِنْهُ مُوَافَاتُهُ. كَمْ اَطْرَدْتُ الْأَيَّامَ أَبْحَثُهَا عَنْ مَكْنُونِ هٰذَا الْأَمْرِ فَأَبَى اللهُ إِلا إِخْفَاءَهُ. هَيْهَاتَ! عِلْمٌ مَخْزُونٌ، أَمَّا وَصِيَّتِي فَاللهَ لَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً؛ وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَلَا تُضَيِّعُوا سُنَّتَهُ. أَقِيمُوا هٰذَيْنِ الْعَمُودَيْنِ، وَأَوْقِدُوا هٰذَيْنِ الْمِصْبَاحَيْنِ، وَخَلَاكُمْ ذَمٌّ مَا لَمْ تَشْرُدُوا. حَمَلَ كُلُّ امْرِىءٍ مِنْكُمْ مَجْهُودَهُ، وَخَفَّفَ عَنِ الْجَهَلَةِ رَبٌّ رَحِيمٌ، وَدِينٌ قَوِيمٌ، وَإِمَامٌ عَلِيمٌ. أَنَا بِالْأَمْسِ صَاحِبُكُمْ، وَأَنَا الْيَوْمَ عِبْرَةٌ لَكُمْ، وَغَداً مُفَارِقُكُمْ، غَفَرَ اللهُ لِي وَلَكُمْ.

إِنْ ثَبَتَتِ الْوَطْأَةُ فِي هٰذِهِ الْمَزَلَّةِ فَذَاكَ، وَإِنْ تَدْحَضِ الْقَدَمُ، فَإِنَّا كُنَّا فِي أَفْيَاءِ أَغْصَانٍ وَمَهَبِّ رِيَاحٍ وَتَحْتَ ظِلِّ غَمَامٍ اضْمَحَلَّ فِي الْجَوِّ مُتَلَفَّقُهَا وَعَفَا فِي الْأَرْضِ مَخَطُّهَا، وَإِنَّمَا كُنْتُ جَاراً جَاوَرَكُمْ بَدَنِي أَيَّاماً وَسَتُعْقَبُونَ مِنِّي جُثَّةً خَلَاءً، سَاكِنَةً بَعْدَ حَرَاكٍ، وَصَامِتَةً بَعْدَ نُطُوقٍ. لِيَعِظْكُمْ هُدُوِّي وَخُفُوتُ أَطْرَافِي، وَسُكُونُ أَطْرَافِي؛ فَإِنَّهُ أَوْعَظُ لِلْمُعْتَبِرِينَ مِنَ الْمَنْطِقِ الْبَلِيغِ وَالْقَوْلِ الْمَسْمُوعِ. وَدَاعِيكُمْ وَدَاعُ امْرِىءٍ مُرْصِدٍ لِلتَّلَاقِي، غَداً تَرَوْنَ أَيَّامِي، وَيُكْشَفُ لَكُمْ عَنْ سَرَائِرِي، وَتَعْرِفُونَنِي بَعْدَ خُلُوِّ مَكَانِي وَقِيَامِ غَيْرِي مَقَامِي.

اقول: انما قال: في فراره: لكون الأنسان ابدًا فارا من الموت، و اذا كان لابدّ من لقائه وَقتاماً فلقاؤه في فراره. و الأجل: قد يراد به: مدّة الحياة و هو: مساق النفس الى غايتها. و في قوله: والهرب منه موافاته: لطف به لانّ الفرار منه مثلا بالحركات والعلاجات و نحوها، يستلزم فناء الأوقات، و في فنائها موافاته، فكان الهرب منه موافاة له. و اطّردت الايّام: جعلتها طريدة لما اتبعها بالبحث عن مكنون هذا الأمر و هو قتله، فأن رسول الله صلى الله عليه و آله اخبره به اجمالا حيث قال له: (أتدرى مَن اشقى الأوّلين، قال: نعم عاقر الناقة، فقال: او تعلم من اشقى الآخرين فقال: لا، فقال: من يخضب هذه)[1] و اشار الى لحيته من هذا و اشار الى رأسه. والمكنون: وقته و كيفيته

١ ـ مناقب ابن شهر اشوب ٣٠٩/٣. الرياض النضرة ٢٢٣/٢. مجمع الزوائد ١٣٧/٩. خصائص الحافظ ←

بالتفصيل. وهيهات أي: بعد ذلك العلم. و حزنه لقوله تعالى: (و عنده علم الساعة)[1] الآية، و روى: اسم الله، و محمد منصوبين اى: اعبدوالله و اتّبعوا محمدا. و استعار لفظ العمودين: للتوحيد والسنة، و باعتبار قيام الدين بهما. و لفظ المصباحين: باعتبار هداية الخلق بهما. و ايقادهما: احياءهما ولزومهما. وخلاكم ذمّ: مثل يضرب لمن يبرأ من العيب. و اوّل من قاله: قصير مولى جذيمه. و قوله: ما لم تشرّدوا: استثناء من نفى لحوق الذمّ. و قوله: و حمل كل امرئ، الى قوله: الجهلة: اشارة الى تفاوت التكليف بذلك انّ الله قد حمل كل امرئ مجهوده، و ما استعد لقبوله. و أراد بالإمام العليم: الرسول صلى الله عليه و آله، و نفسه عليه السلام لعلمهما بوضع الدين و تفاوت قسمته بحسب الأذهان. و كنى بثبات الوطأة: عن البقاء فى حالته تلك، و بد حض القدم: و هو زلفة عن الموت. و استعار لفظ افياء الأغصان: لما يشبه الظلّ من الحياة الدنيا و متاعها للاستراحة اليه كالظل.

و كذلك لفظ الأغصان: للأبدان، و كذلك لفظ مهابّ الرياح: لأنهما قوابل للنفحات الألهية. و لفظ ظل الغمام: لما يعقل من البقاء. و متاع الدنيا، و لفظ الغمام: لأسباب البقاء المجتمعة. و وصف اضمحلال ما تلفق: من الغمام، و اجتمع لزوال تلك الأسباب و تفرّقها. والضمير فى مخطها: يعود الى الرياح، و لفظ المخط مستعار: للأبدان ايضا، كالمهاب و عفاؤها. و قوله: جاوركم بدني: فيه تنبيه على انّ الانسان امر وراء هذا البدن،و انّ نفسه القدسيّة كانت متّصلة بالملأ الأعلى. و ستعقبون: اى توجدون في العاقبة منى جثة خالية من الروح.

و قوله: وداعيكم اى: و داعى لكم مرصد للتلاقى، اى: معد للقائهم يوم القيامة. وقوله: غدًا، اى: بعد موته الى آخره اراد: انّهم لم يكونوا عارفين بحقه فى امرالدين ومقاصده في حروبه، و انّما يعرفون ذلك و ينكشف لهم بعد خلوّ مكانه و قيام غيره فيه مقامه.

النسائي/١٢٩. كنزالعمال ٣٩٩/٦. مستدرك الصحيحين ١١٣/٣. اسدالغابة ٣٣/٤. نورالابصار/٩٧. فضائل الخمسة ٦٤/٣.

١ ـ سورة الزخرف / ٨٥.

١٤٩ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام
في الملاحم

وَأَخَذُوا يَمِينًا وَشِمَالًا: طَعْنًا فِي مَسَالِكِ الْغَيِّ، وَتَرْكًا لِمَذَاهِبِ الرُّشْدِ، فَلَا تَسْتَعْجِلُوا مَا هُوَ كَائِنٌ مُرْصَدٌ، وَلَا تَسْتَبْطِئُوا مَا يَجِيءُ بِهِ الْغَدُ فَكَمْ مِنْ مُسْتَعْجِلٍ بِمَا إِنْ أَدْرَكَهُ وَدَّ أَنَّهُ لَمْ يُدْرِكْهُ، وَمَا أَقْرَبَ الْيَوْمَ مِنْ تَبَاشِيرِ غَدٍ يَاقَوْمِ، هٰذَا إِبَّانُ وُرُودِ كُلِّ مَوْعُودٍ، وَدُنُوٍّ مِنْ طَلْعَةِ مَالَا تَعْرِفُونَ، أَلَا وَإِنَّ مَنْ أَدْرَكَهَا مِنَّا يَسْرِيْ فِيهَا بِسِرَاجٍ مُنِيرٍ، وَيَحْذُو فِيهَا عَلَى مِثَالِ الصَّالِحِينَ؛ لِيَحُلَّ فِيهَا رِبْقًا، وَيُعْتِقَ رِقًّا، وَيَصْدَعَ شَعْبًا، وَيَشْعَبَ صَدْعًا، فِي سُتْرَةٍ عَنِ النَّاسِ، لَايُبْصِرُ الْقَائِفُ أَثَرَهُ، وَلَوْ تَابَعَ نَظَرَهُ، ثُمَّ لَيُشْحَذَنَّ فِيهَا قَوْمٌ شَحْذَ الْقَيْنِ النَّصْلَ، تُجْلَى بِالتَّنْزِيلِ أَبْصَارُهُمْ، وَيُرْمَى بِالتَّفْسِيرِ فِي مَسَامِعِهِمْ، وَيُغْبَقُونَ كَأْسَ الْحِكْمَةِ بَعْدَ الصَّبُوحِ.

اقول: الضمير في قوله: و اخذوا: لمن ضلّ من المسلمين عن طريق الهدى. واليمين والشمال: طرفا التفريط والافراط من الفضائل التي ذكرناها قبل، و تلك الأطراف هي: الرذائل، و هي: مسالك الغي، و مذاهب الرشد: و هي الفضائل النفسانية. والكائن المرصد: هو ما كانوا يتوقّعونه من الفتن الموعود بها و كانوا كثيرا ما يسألونه عن وقتها فنهاهم عن استعجال مالابدّ من وقوعه و استبطائه. وأبان الشئ: وقته. و من أدركها، اى: تلك الفتن منّا ، اى: من اهل البيت الائمة الاطهار. و استعار لفظ السراج: لكمالات النفس التي استضاءت بها في طريق الله، واستعار لفظ الربق، و هو: الحبل فيه عدّة عرى يشدّ بها البهم: لما انعقد في النفوس من العقائد الباطلة والشبه، والامام يحلها و يعتق الرقاب من رقّ آثامها، و يصدع ما انشعب والتأم من الباطل، و يشعب ما انصدع من الحق و هو مغمور في الناس. والقائف: قصّاص الأثر و اراد: انّه لا يعرفه من يتعرّفه، و ما زال ائمة اهل البيت عليهم السلام مغمورين في الناس، لايعرفهم الّا من عرّفوه انفسهم. وقوله: ثم ليشحذنّ الى قوله: النصل، فاستعار وصف الشحذ، و هو: التحذير: لأعداد اذهان قوم فيها لقبول العلوم والحكمة،كما يعد الحدّاد النصل للقطع بالشحذ.

و قوله: تجلّى بالتنزيل، الى آخره: بيان لكيفية ذلك الشحذ والاعداد، و اسبابه وهى: تدبّر القرآن، و جلاء ابصار بصائرها بأنوار علومه و حكمته، و قذف تفسيره فى مسامعهم، كما ينبغى من امام الوقت. و لفظ الصبوح والغبوق: مستعاران.

منها:

وَطَالَ الْأَمَدُ بِهِمْ، لِيَسْتَكْمِلُوا الْخِزْىَ، وَيَسْتَوْجِبُوا الْغِيَرَ، حَتّى إِذَا اخْلَوْلَقَ الْأَجَلُ: وَاسْتَرَاحَ قَوْمٌ إِلَى الْفِتَنِ، وَأَشَالُوا عَنْ لَقَاحِ حَرْبِهِمْ، لَمْ يَمُنُّوا عَلَى اللهِ بِالصَّبْرِ، وَلَمْ يَسْتَعْظِمُوا بَذْلَ أَنْفُسِهِمْ فِي الْحَقِّ؛ حَتّى إِذَا وَافَقَ وَارِدُ الْقَضَاءِ انْقِطَاعَ مُدَّةِ الْبَلَاءِ حَمَلُوا بَصَائِرَهُمْ عَلَى أَسْيَافِهِمْ، وَدَانُوا لِرَبِّهِمْ بِأَمْرِ وَاعِظِهِمْ.

حَتّى إِذَا قَبَضَ اللهُ رَسُولَهُ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، رَجَعَ قَوْمٌ عَلَى الْأَعْقَابِ، وَغَالَتْهُمُ السُّبُلُ، وَاتَّكَلُوا عَلَى الْوَلَائِجِ، وَوَصَلُوا غَيْرَ الرَّحِمِ، وَهَجَرُوا السَّبَبَ الَّذِي أُمِرُوا بِمَوَدَّتِهِ، وَنَقَلُوا الْبِنَاءَ عَنْ رَصِّ أَسَاسِهِ، فَبَنَوْهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ: مَعَادِنُ كُلِّ خَطِيئَةٍ، وَأَبْوَابُ كُلِّ ضَارِبٍ فِي غَمْرَةٍ، قَدْ مَارُوا فِي الْحَيْرَةِ، وَذَهَلُوا فِي السَّكْرَةِ عَلَى سُنَّةٍ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ مِنْ مُنْقَطِعٍ إِلَى الدُّنْيَا رَاكِنٍ، أَوْ مُفَارِقٍ لِلدِّينِ مُبَايِنٍ.

اقول: اشار بمن طال الأمد بهم: الى من كان من اهل الجاهلية. و قوله: ليستكملوا، الى قوله: الغير، كقوله تعالى: (ولا تحسبنّ الّذين كفروا انّما نملى لهم الى قوله ليزدادوا اثما)[1]. حتى اذا اخلولق الأجل و استراح قوم منهم الى الفتن والوقائع. و اشالوا عن لقاح حربهم اى: اعدّوا أنفسهم لها كما تعدالناقة نفسها بشول ذنبها و رفعه للقاحها، و تسمى شائلا. والضمير فى قوله: لم تمنّوا: يرجع الى ذكر سبق للصحابة فى هذه الخطبة، حين قام رسول الله صلى الله عليه و آله فيهم و بهم للحرب فلم يمنّوا على الله بصبرهم معه، و لم يستعظموا بذل انفسهم فى نصرة الحق، حتى اذا وافق وارد القضاء انقطاع مدّة البلاء بدولة الجاهلية، حمل هؤلاء الذين لم يمنّوا على الله بنصرهم له بصايرهم اى: برؤوسهم على سيوفهم فى نصرة الدين، و دانوا لربّهم بأمر عظيم، وهو الرسول صلى الله عليه و آله

1 ـ سورة آل عمران / ١٧٨.

حتى اذا قبض الله رسوله رجع قوم عن الاسلام، على اعقابهم، و اراد: من ارتدّ بعدالرسول صلى الله عليه و آله من العرب. و غيلة السبل لهم: استراق طرق الباطل المشبهة عليهم لهم، و اتكالهم على الولائج: اعتماد كل منهم فى نصرة رأيه الفاسد على شبهته التى بلج فيها، اوعلى خاصّته و بطانته و هى: الوليجة. والسبب الّذى امروا بمودّته: هم اهل البيت، و استعار لهم لفظ السبب: باعتبار ايصالهم للتمسك بولائهم الى الله و الأمر بمودّتهم فى قوله تعالى: (قل لا اسئلكم عليه اجرا الّا المودّة فى القربى)[1] و قوله: نقلوا، الى قوله: غير موضعه: اشارة الى عدول من عدل بـأمر الخلافة عنه الى غير بينته. واستعار لهم لفظ الابواب: باعتبار انّهم مبادى الشُبَه والآراء الفاسدة التى تدخل الناس فى الجهل منها. والضارب فى الغمرة: الداخل فى غمرة الجهل. و ماروا: تردّدوا. و لفظ السكرة: مستعار لغفلة الجهل.

١٥٠ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

وَأَسْتَعِينُهُ عَلَى مَدَاحِرِ الشَّيْطَانِ وَمَزَاجِرِهِ، وَالاعْتِصَامِ مِنْ حَبَائِلِهِ وَمَخَاتِلِهِ. وَأَشهدُ أن لا اله الّا الله وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَنَجِيبُهُ وَصَفْوَتُهُ، لَايُوَازَى فَضْلُهُ، وَلَايُجْبَرُ فَقْدُهُ، أَضَاءَتْ بِهِ الْبِلَادُ بَعْدَ الضَّلَالَةِ الْمُظْلِمَةِ، وَالْجَهَالَةِ الْغَالِبَةِ، وَالْجَفْوَةِ الْجَافِيَةِ، وَالنَّاسُ يَسْتَحِلُّونَ الْحَرِيمَ، وَيَسْتَذِلُّونَ الْحَكِيمَ، يَحْيَوْنَ عَلَى فَتْرَةٍ، وَيَمُوتُونَ عَلَى كَفْرَةٍ، ثُمَّ إِنَّكُمْ مَعْشَرَ الْعَرَبِ أَغْرَاضُ بَلَايَا قَدِ اقْتَرَبَتْ فَاتَّقُوا سَكَرَاتِ النِّعْمَةِ، وَاحْذَرُوا بَوَائِقَ النِّقْمَةِ، وَتَثَبَّتُوا فِي قَتَامِ الْعِشْوَةِ، وَاعْوِجَاجِ الْفِتْنَةِ، عِنْدَ طُلُوعِ جَنِينِهَا، وَظُهُورِ كَمِينِهَا، وَانْتِصَابِ قُطْبِهَا، وَمَدَارِ رَحَاهَا: تَبْدُو فِي مَدَارِجَ خَفِيَّةٍ، وَتَؤُولُ إِلَى فَظَاعَةٍ جَلِيَّةٍ، شِبَابُهَا كَشِبَابِ الْغُلَامِ، وَآثَارُهَا كَآثَارِ السِّلَامِ. تَتَوَارَثُهَا الظَّلَمَةُ بِالْعُهُودِ، أَوَّلُهُمْ قَائِدٌ لِآخِرِهِمْ، وَآخِرُهُمْ مُقْتَدٍ بِأَوَّلِهِمْ، يَتَنَافَسُونَ فِي دُنْيَا دَنِيَّةٍ، وَيَتَكَالَبُونَ عَلَى جِيفَةٍ مُرِيحَةٍ، وَعَنْ قَلِيلٍ يَتَبَرَّأُ التَّابِعُ مِنَ الْمَتْبُوعِ، وَالْقَائِدُ مِنَ الْمَقُودِ فَيَتَزَايَلُونَ بِالْبَغْضَاءِ، وَيَتَلَاعَنُونَ عِنْدَ اللِّقَاءِ، ثُمَّ يَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ طَالِعُ الْفِتْنَةِ الرَّجُوفِ، الْقَاصِمَةِ الزَّحُوفِ، فَتَزِيغُ قُلُوبٌ بَعْدَ اسْتِقَامَةٍ، وَتَضِلُّ رِجَالٌ بَعْدَ سَلَامَةٍ، وَتَخْتَلِفُ

---

١ - سورة الشورى / ٢٣.

الْأَهْوَاءُ عِنْدَ هُجُومِهَا، وَتَلْتَبِسُ الْآرَاءُ عِنْدَ نُجُومِهَا مَنْ أَشْرَفَ لَهَا قَصَمَتْهُ، وَمَنْ سَعَى فِيهَا حَطَمَتْهُ، يَتَكَادَمُونَ فِيهَا تَكَادُمَ الْحُمُرِ فِي الْعَانَةِ، قَدِ اضْطَرَبَ مَعْقُودُ الْحَبْلِ، وَعَمِيَ وَجْهُ الْأَمْرِ، تَغِيضُ فِيهَا الْحِكْمَةُ، وَتَنْطِقُ فِيهَا الظَّلَمَةُ، وَتَدُقُّ أَهْلَ الْبَدْوِ بِمِسْحَلِهَا، وَتَرُضُّهُمْ بِكَلْكَلِهَا، يَضِيعُ فِي غُبَارِهَا الْوُحدانُ، وَيَهْلِكُ فِي طَرِيقِهَا الرُّكْبَانُ؛ تَرِدُ بِمُرِّ الْقَضَاءِ، وَتَحْلُبُ عَبِيطَ الدِّمَاءِ، وَتَثْلِمُ مَنَارَ الدِّينِ، وَتَنْقُضُ عَقْدَ الْيَقِينِ، تَهْرُبُ مِنْهَا الْأَكْيَاسُ، وَتُدَبِّرُهَا الْأَرْجَاسُ، مِرْعَادٌ مِبْرَاقٌ، كَاشِفَةٌ عَنْ سَاقٍ، تُقْطَعُ فِيهَا الْأَرْحَامُ، وَيُفَارَقُ عَلَيْهَا الْإِسْلاَمُ، بَرِيُّهَا سَقِيمٌ، وَظَاعِنُهَا مُقِيمٌ.

أقول: الدحر: الطرد، و مداحر الشيطان: مظانّ دحره، من العبادات والطاعات، واستعار لفظ الحبائل: للشهوات التى هى شباك الشيطان، و مخائله: مخادعه. و لا يوازى اى: لا يقابل بمثله اذ ليس لفضله مثل. وأضاءت البلاد: بسبب ما جاء به من نورالاسلام. والضلالة: الكفر. والجفوة: ما كانت العرب عليه من الغلظة، و وصفها بما اشتق منها مبالغة. والناس: اهل الجاهلية. والبلايا: الفتن الموعود بها. و استعار لفظ السكرات: للغفلة فى نعمة الله عن ذكره فانّها يعد لتعميرها، و نزول بوائق النقمة: وهى: الدواهى. واستعار لفظ العشوة: للفتنة. و لفظ القتام: لما يعرض من الشبهة بسببها، واراد فتنة بنى اميّة. و لفظ جنينها: لصغير ما يبدوا منها، و كمينها: مستورها. و لفظ القطب: لصاحب الفتنة الداعى فيها. و كنى بانتصابه: عن قيامه فيها، و بمدار رحاها: عن اجتماع الخلق عليه. والمدارج الخفية: صدور من ينوى القيام فيها. والفظاعة: تجاوز الأمر الشديد المقدار. والسلام: الحجارة: والظلمة: امراء بنى اميّة. والضمير فى يتوارثها للفتنة وهى: امرة الظالمين، باعتبار ابتلاء الخلق بها. والتكالب: التشاور. والمريحة: ذات الريح. والفتنة الاخرى يشبه ان تكون فتنة التتار. و قيل: فتنة تأتى فى آخرالزمان كفتنة الدجّال. والرجوف: كثيرة الارجاف و اضطراب الخلق فيها. و الزحوف: كثرة الزحف. و نجومها: ظهورها. والمشرف لها: المتطلّع الى دفعها و مقاومتها. والساعى فيها اى: فى قيامها، والمراد: انّ قائمها و مقاومها يهلكان فيها. و استعار وصف التكادم: للتغالب. و العانة: القطيع من حمرالوحش. و معقود الحبل: ما انتظم من امرالدين. و

وجه الأمر: وجه المصلحة، و استعار وصف الغيض: لعدم الحكمة. و اوصاف الفرس للفتنة كالمسحل و هي: حلقة تكون في طرف شكيمة اللجام. والعبيط الخالص من الدّم الطريّ. ومرّ القضاء: اصعبه كالقتل و نحوه. و منار الدين: مستعار لأئمّته. و عقد اليقين: ما انعقد في النفس من الأمور المتيقنة و نقضه: ترك العمل على وفقه. والأكياس: أهل العقول والآراء الصحيحة، وكشفها عن ساق، كناية: عن اقبالها مسرعة كالمشمّر في مهمة. و قوله: بريّها الى آخره اى: من تبرّأ منها و هرب عنها، لم ينج منها.

منها:

بَيْنَ قَتِيلٍ مَطْلُولٍ، وَخَائِفٍ مُسْتَجِيرٍ، يُخْتَلُونَ بِعَقْدِ الْأَيْمَانِ، وَبِغُرُورِ الْإِيمَانِ، فَلَا تَكُونُوا أَنْصَابَ الْفِتَنِ، وَأَعْلَامَ الْبِدَعِ، وَالْزَمُوا مَا عُقِدَ عَلَيْهِ حَبْلُ الْجَمَاعَةِ، وَبُنِيَتْ عَلَيْهِ أَرْكَانُ الطَّاعَةِ، وَاقْدَمُوا عَلَى اللهِ مَظْلُومِينَ وَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ ظَالِمِينَ، وَاتَّقُوا مَدَارِجَ الشَّيْطَانِ، وَمَهَابِطَ الْعُدْوَانِ، وَلَا تُدْخِلُوا بُطُونَكُمْ لُعَقَ الْحَرَامِ، فَإِنَّكُمْ بِعَيْنِ مَنْ حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَعْصِيَةَ، وَسَهَّلَ لَكُمْ سُبُلَ الطَّاعَةِ.

أقول: قوله: بين قتيل، الى قوله: مستجير، يشبه ان يكون تفصيلا لحال المؤمنين في الفتنة. و دم مطلول: اذا هدر فلم يطلب به. و قوله: يختلون بعقد الايمان: صفة استجلاب هؤلاء المقتولين، و خديعتهم عن انفسهم. و انصاب الفتن و اعلامها: رؤساء المعتدى بهم فيها. و حبل الجماعة: نظام المسلمين بالدّين و ما عقدت عليه الألفة والتوازر و على ذلك بُنِيَ الأسلام، و اركان طاعة الله. و قوله: و اقدموا على الله مظلومين: ليس فيه امر بالانظلام لكونه رذيلة بل اذا تعارض الظالمية والمظلومية، فالمظلومية اولى، مع علم النفس بالعجز عن المقاومة اوالعلم بما تشتمل عليه المقاومة من فساد زائد على القدر الفائت بالانظلام، و انّما يكون الانظلام رذيلة اذا كان مع مهانة لا تنبعث النفس معها الى دفع الظلم و المقاومة. و مدارج الشيطان: مذاهبه و طرقه. و مهابط العدوان: المظالم. و كنّى بلعق الحرام: عما يؤكل منه، واللعقة: ما تتناوله الملعقة. و لفظ العين مجاز في العلم.

١٥١ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

الْحَمْدُ للهِ الدَّالِّ عَلَى وُجُودِهِ بِخَلْقِهِ، وَبِمُحْدَثِ خَلْقِهِ عَلَى أَزَلِيَّتِهِ، وَبِاشْتِبَاهِهِمْ عَلَى أَنْ لَاشَبَهَ لَهُ، لَا تَسْتَلِمُهُ الْمَشَاعِرُ، وَلَا تَحْجُبُهُ السَّوَاتِرُ؛ لِافْتِرَاقِ الصَّانِعِ وَالْمَصْنُوعِ، وَالْحَادِّ وَالْمَحْدُودِ، وَالرَّبِّ وَالْمَرْبُوبِ، الْأَحَدِ بِلَا تَأْوِيلِ عَدَدٍ، وَالْخَالِقِ لَابِمَعْنَى حَرَكَةٍ وَنَصَبٍ، وَالسَّمِيعِ لَابِأَدَاةٍ، وَالْبَصِيرِ بِلَا تَفْرِيقِ آلَةٍ، وَالشَّاهِدِ لَابِمُمَاسَّةٍ، وَالْبَائِنِ لَابِتَرَاخِي مَسَافَةٍ، وَالظَّاهِرِ لَابِرُؤْيَةٍ، وَالْبَاطِنِ لَابِلَطَافَةٍ، بَانَ مِنَ الْأَشْيَاءِ بِالْقَهْرِ لَهَا، وَالْقُدْرَةِ عَلَيْهَا، وَبَانَتِ الْأَشْيَاءُ مِنْهُ بِالْخُضُوعِ لَهُ وَالرُّجُوعِ إِلَيْهِ، مَنْ وَصَفَهُ فَقَدْ حَدَّهُ، وَمَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ، وَمَنْ عَدَّهُ فَقَدْ أَبْطَلَ أَزَلَهُ، وَمَنْ قَالَ «كَيْفَ؟» فَقَدِ اسْتَوْصَفَهُ، وَمَنْ قَالَ «أَيْنَ؟» فَقَدْ حَيَّزَهُ، عَالِمٌ إِذْلَا مَعْلُومٌ، وَرَبٌّ إِذْ لَا مَرْبُوبٌ، وَقَادِرٌ إِذْ لَامَقْدُورٌ.

اقول: حمدالله تعالى باعتبارات من أوصافه، فالاوّل: الاشارة الى وجوده الواجب، وللناس في اثباته طريقتان: احداهما: اثبات وجوده باعتبار الوجود نفسه، و قسمته الى واجب، و ممكن، و بيان انّه لابدّ من وجود الواجب في الجملة، و هو طريق العليّين. والثانية: الاستدلال بالنظر في المخلوقات و طبائعها، و تغيّراتها على مبدأ لها وهي طريق الطبعيّين، والمليّين، والمتكلّمون فرّعوا هذه الطرق الى طرق اربع،و ذلك انّهم استدلّوا بامكان الاشياء ثم بحدوثها على الصانع، و على التقديرين في ذواتها و في صفاتها. و قد اشرنا الى تفصيلها في الأصل، والكلام عليها مستوفى في الكلام. و اشارته عليه السلام بقوله: الدالّ على وجوده بخلقه: الى الاستدلال بحدوث العالم على وجود صانعه، و هي الطريقة المشهورة للمتكلّمين.

الثاني: في ازليّته و اشار اليه بقوله: و بمحدث خلقه على ازليّته.

الثالث: لا شبيه له، و اشار اليه بقوله: و باشتباههم على انّه لا شبيه له.

الرابع: تنزيهه عن الجسميّة ولوا حقها، و اشار اليه بقوله: لا تستلمه المشاعر و هي: الحواسّ.

الخامس: انّ السماوات لا تحجبه، و نبّه على دليل الاعتبارات الخمسة بقوله:

لأفتراق الصانع، الى قوله: والمربوب. وبيانه انّ لكلّ من الصانع و المصنوع، صفات تخصّه بها تفارق الآخر، و تقرير الحجّة: انّ المخلوقية والحدوث والاشتباه، والملموسيّة بالمشاعر والحجب بالسواتر من الصفات المختصّة بالمصنوع والمحدود والمربوب، و كلّ ما كان كذلك فيجب أن ينزّه الصانع الحادث الكل عنه، و بيانه بالتفصيل، قد نبّهنا عليه فى الأصل.

السادس: في وحدانيّته و قد سبق بيانها فى الخطبة الأولى. و قوله: ليس بمعنى العدد اى: كونه واحدا ليس كونه مبدأ لكثرة يعدّبها.

السابع: كونه تعالى فى خالقيّته منزّها عن الحركات و المتاعب.

الثامن: كونه سميعًا لا بأداة.

التاسع: كونه بصيرًا لا بتفريق الآلة، و اراد بتفريق الآلة: امّا توزيع آلة الأبصار، وهو الشعاع على المبصرات او الآلة المفرّقة، و هما القوّتان فى العينين، او الأرواح الحاملة لهما.

العاشر: كونه شاهداً اى حاضرًا مع الأشياء لابمماسّة منها.

الحادى عشر: تنزيهه عن المباينة بمعنى الافتراق فى المسافة.

الثانى عشر: كونه ظاهراً منزّها فى ظاهريّته عن رؤية الابصار، و باطنا منزّها فى ذلك عن لطافة المقدار.

الثالث عشر: في تفسير مباينته للأشياء، و مباينتها له بالوجه اللائق بكماله ونقصانها.

الرابع عشر: تنزيهه عن الصفات الزائدة بالقياس الّذى ذكره، والمراد بوصفه هنا: اشارة الوهم اليه، و لما كان عدّه، امّا جعله مبدأ كثرة معدودة، او ذا اجزاء معدودة و كان ذلك من لواحق المحدثات غيرالمستحقة الأزليّة بالذّات كان عدّه بأحد الاعتبارين مبطلاً ازله الذّاتي.

الخامس عشر: تنزيهه عن السؤال عنه بكيف و اين، لأمتناع المسؤول عنه بهما عليه. و قد مرّت الاشارة الى هذه الصفات و ما بعدها، و الى براهينها فى الخطبة الاولى. و بالله التوفيق.

منها :

قَدْ طَلَعَ طَالِعٌ، وَلَمَعَ لَامِعٌ، وَلَاحَ لَائِحٌ، وَاعْتَدَلَ مَائِلٌ، وَاسْتَبْدَلَ اللهُ بِقَوْمٍ قَوْمًا، وَبِيَوْمٍ يَوْمًا، وَانْتَظَرْنَا الْغِيَرَ انْتِظَارَ الْمُجْدِبِ الْمَطَرَ، وَإِنَّمَا الْأَئِمَّةُ قُوَّامُ اللهِ عَلَى خَلْقِهِ، وَعُرَفَاؤُهُ عَلَى عِبَادِهِ، لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ عَرَفَهُمْ وَعَرَفُوهُ، وَلَا يَدْخُلُ النَّارَ إِلَّا مَنْ أَنْكَرَهُمْ وَأَنْكَرُوهُ.

إِنَّ اللهَ تَعَالَى خَصَّكُمْ بِالْإِسْلَامِ، وَاسْتَخْلَصَكُمْ لَهُ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ اسْمُ سَلَامَةٍ وَجِمَاعُ كَرَامَةٍ، اصْطَفَى اللهُ تَعَالَى مَنْهَجَهُ، وَبَيَّنَ حُجَجَهُ، مِنْ ظَاهِرِ عِلْمٍ، وَبَاطِنِ حِكَمٍ، لَا تَفْنَى غَرَائِبُهُ، وَلَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ، فِيهِ مَرَابِيعُ النِّعَمِ، وَمَصَابِيحُ الظُّلَمِ، لَا تُفْتَحُ الْخَيْرَاتُ إِلَّا بِمَفَاتِيحِهِ، وَلَا تُكْشَفُ الظُّلُمَاتُ إِلَّا بِمَصَابِيحِهِ، قَدْ أَحْمَى حِمَاهُ، وَأَرْعَى مَرْعَاهُ، فِيهِ شِفَاءُ الْمُشْتَفِي، وَكِفَايَةُ الْمُكْتَفِي.

أقول: اشار بطلوع الطالع: الى ظهور امر الخلافة، و انتقالها اليه. و بلموع اللامع: الى ظهور نورالعدل بانتقالها الى مقرّها. و بلوح اللائح: الى ما يلوح من امارات الفتنة. والمائل: كونها فى غيره قبله. و اعتداله: انتقالها اليه. والقوم المستبدل بهم: من سبقه به و زمانهم بزمانه. و انتظاره للغير: توقّعه لتغيّر الأمر اليه. والعرفاء: النقباء. و لما ثبت فى الأصول انّ معرفتهم اى: معرفة حقية امانتهم، و معرفتهم لأوليائهم بالولاية لهم شرطين متساويين للايمان، و الايمان و استحقاق الجنة متلازمان، ثبت انّ معرفتهم والمعرفة بهم ملازمة لدخول الجنة، و حينئذ يكون انكارهم و دخول النار متلازمين، و الّا لصدق احدهما على بعض نقيض الآخر. و امّا ان يصدق انكارهم على بعض من لايدخل النار فبعض من يدخل الجنة منكر لهم، او يصدق دخول النار على بعض من لاينكرهم فبعض من يعرفهم يدخل النار، و كلاهما باطلان لما يتنافى الملازمة من دخول الجنة و معرفتهم، فظهر بذلك وجه الحصر فى القضيتين، و فضيلة الاسلام من جهة اسمه كونه عبارة عن الدخول فى الطاعة التى هى: سلامة الدارين، و من جهة معناه كونه جماع كرامة لانّ مداره على تعليم الفضائل، والطهارة عن الرذائل، و منهجه طريقه، و حججه ادلّته و اماراته واستعار لفظ المرابيع و هى: الامطار الربيعيّة للعلوم والحكمة باعتبار احيائها القلوب. و لفظ المصابيح لها: للهداية بها من ظلمة الجهل. و لفظ المفاتيح: للتوصّل به الى

الخيرات الحقيقية الباقية. و لفظ الحمى: للمحرّمات التى منعها بنواهيه. و لفظ المرعى: للمباحات التى اباحها وحلّلها بارشاده.

١٥٢ - ومِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

وَهُوَفِي مُهْلَةٍ مِنَ ٱللهِ يَهْوِي مَعَ الْغَافِلِينَ، وَيَغْدُو مَعَ الْمُذْنِبِينَ، بِلاَ سَبِيلٍ قَاصِدٍ، وَلاَ إِمَامٍ قَائِدٍ:

اقول: يصف ضالاّ. والمهلة: مدة العمر، و هواه مع الغافلين: انخراطه فى سلكهم الى مهاوى الهلاك .

منها:

حَتَّى إِذَا كَشَفَ لَهُمْ عَنْ جَزَاءِ مَعْصِيَتِهِمْ، وَٱسْتَخْرَجَهُمْ مِنْ جَلاَبِيبِ غَفْلَتِهِمْ، ٱسْتَقْبَلُوا مُدْبِرًا، وَٱسْتَدْبَرُوا مُقْبِلاً، فَلَمْ يَنْتَفِعُوا بِمَا أَدْرَكُوا مِنْ طَلِبَتِهِمْ، وَلَا بِمَا قَضَوْا مِنْ وَطَرِهِمْ! وَإِنِّي أُحَذِّرُكُمْ وَنَفْسِي هٰذِهِ الْمَنْزِلَةَ، فَلْيَنْتَفِعِ ٱمْرُؤٌ بِنَفْسِهِ؛ فَإِنَّمَا الْبَصِيرُ مَنْ سَمِعَ فَتَفَكَّرَ، وَنَظَرَ فَأَبْصَرَ وَٱنْتَفَعَ بِالْعِبَرِ، ثُمَّ سَلَكَ جَدَدًا وَاضِحًا يَتَجَنَّبُ فِيهِ الصَّرْعَةَ فِي الْمَهَاوِي، وَالضَّلاَلَ فِي الْمَغَاوِي، وَلاَيُعِينُ عَلَى نَفْسِهِ الْغُوَاةَ بِتَعَسُّفٍ فِي حَقٍّ، أَوْ تَحْرِيفٍ فِي نُطْقٍ، أَوْ تَخَوُّفٍ مِنْ صِدْقٍ. فَأَفِقْ أَيُّهَا السَّامِعُ مِنْ سَكْرَتِكَ، وَٱسْتَيْقِظْ مِنْ غَفْلَتِكَ! وَٱخْتَصِرْ مِنْ عَجَلَتِكَ، وَأَنْعِمِ الْفِكْرَ فِيمَا جَاءَكَ عَلَى لِسَانِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ، صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، مِمَّا لَابُدَّ مِنْهُ، وَلَا مَحِيصَ عَنْهُ، وَخَالِفْ مَنْ خَالَفَ ذٰلِكَ إِلَى غَيْرِهِ، وَدَعْهُ وَمَا رَضِيَ لِنَفْسِهِ، وَضَعْ فَخْرَكَ، وَٱحْطُطْ كِبْرَكَ، وَٱذْكُرْ قَبْرَكَ؛ فَإِنَّ عَلَيْهِ مَمَرَّكَ؛ وَكَمَا تَدِينُ تُدَانُ، وَكَمَا تَزْرَعُ تَحْصُدُ، وَكَمَا قَدَّمْتَ الْيَوْمَ تَقْدَمُ عَلَيْهِ غَدًا، فَامْهَدْ لِقَدَمِكَ، وَقَدِّمْ لِيَوْمِكَ. فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ أَيُّهَا الْمُسْتَمِعُ، وَالْجِدَّ الْجِدَّ أَيُّهَا الْغَافِلُ (وَلَايُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ) إِنَّ مِنْ عَزَائِمِ ٱللهِ فِي الذِّكْرِ الْحَكِيمِ الَّتِي عَلَيْهَا يُثِيبُ وَيُعَاقِبُ، وَلَهَا يَرْضَى.

اقول: قوله: حتى، الى قوله: و طرهم، وصف حال العصاة الغافلين بعدالموت.

واستعار لفظ الجلابيب: للأبدان والهيئات المكتسبة منها باعتبار حجبها لامور الآخرة عنهم، والمدبر الذى استقبلوه: امرالآخرة والمقبل الذى استدبروه: امورالدنيا. والوطر: الحاجة. والمنزلة: حال الغافلين المذكورين فإنها منزلة اقدام العقول. و قوله: فانما، الى قوله: صدق، شرح لكيفية انتفاع الانسان بنفسه كما أمر به. والجدد: الطريق الواضح وهى: سبيل الله المستلزمة للسلامة من صرعة المهاوى و هى: المعاصى. والتعسف فى الحق: تكلّف ثبوت الأمر بالشبهة الضعيفة والاحتمال البعيد، والطرق غير الواضحة فى الدين. وتحريف القول: تغييره بزيادة او نقصان. و ظاهر انّ من عرف بذلك او بالتخوّف من الصدق فى بعض ما يتوهم فيه مضرة، هان على الجهال والغواة، و دعاهم ذلك منه الى الطمع فى انفعاله عن باطلهم، فكان معيناً لهم على نفسه، والاحتجاج عليه بمثل فعله، بل الواجب لزوم الطريق الواضح فى كل مشتبهٍ والكفّ عما سواها، و اراد بعجلته: سرعته فى طلب الدنيا، وما لابدّ منه: الموت و ما بعده، والمحيص: المعدل.

و قوله: و كما تدين تدان، الى قوله: يحصد: مثلان يضربان لمن يفعل فعلا و لابد من جزائه به والتمهيد: التوطئة. و قوله: انّ من عزائم الله، الى قوله: منها، اى: من جملة نصوص الله التى هى فى محكم كتابه التى باعتقادها والعمل على وفقها، يثيب و يرضى، و بتركها يسخط و يعاقب،انّه لا ينفع عبدا خروجه من الدنيا لاقيا ربّه باحدى الخصال المذكورة غير تائب منها، و ان اجهد نفسه فى العمل، و اخلص فيه:

الشرك فى العبادة المفترضة: الرياء، و يحتمل ان يريد الشرك المعهود.

و شفا غيظه بهلاك نفسه: ان يشفيه بمحرّم يستعقب الهلاك فى الدارين او فى الآخرة. و روى: بهلاك نفس. و الأقرار بفعل الغير: النميمة، و السعاية. و البدعة: المتوصّل بها الى الحاجة، كشهادة الزور و كارضاءالملوك بفعل بعض المحرّمات.

و لقاء الناس بوجهين او لسانين: كناية: عن النفاق. و هذه الرذائل بئس الزاد ليوم المعاد.

وَيَسْخَطُ، أَنَّهُ لَايَنْفَعُ عَبْدًا ـوَإِنْ أَجْهَدَ نَفْسَهُ وَأَخْلَصَ فِعْلَهُـ أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيَا لَاقِيًا رَبَّهُ بِخَصْلَةٍ مِنْ هٰذِهِ الْخِصَالِ لَمْ يَتُبْ مِنْهَا: أَنْ يُشْرِكَ بِاللهِ فِيمَا افْتَرَضَ عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَتِهِ،

أَوْ يَشْفِيَ غَيْظَهُ بِهَلَاكِ نَفْسٍ، أَوْ يَقِرَّ بِأَمْرٍ فَعَلَهُ غَيْرُهُ، أَوْ يَسْتَنْجِحَ حَاجَةً إِلَى النَّاسِ بِإِظْهَارِ بِدْعَةٍ فِي دِينِهِ، أَوْ يَلْقَى النَّاسَ بِوَجْهَيْنِ، أَوْ يَمْشِيَ فِيهِمْ بِلِسَانَيْنِ؛ اَعْقِلْ ذَلِكَ فَإِنَّ الْمِثْلَ دَلِيلٌ عَلَى شِبْهِهِ.

إِنَّ الْبَهَائِمَ هَمُّهَا بُطُونُهَا، وَإِنَّ السِّبَاعَ هَمُّهَا الْعُدْوَانُ عَلَى غَيْرِهَا، وَإِنَّ النِّسَاءَ هَمُّهُنَّ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْفَسَادُ فِيهَا، إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ مُسْتَكِينُونَ، إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ مُشْفِقُونَ، إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ خَائِفُونَ.

و قوله: اعقل، الى آخره اى: اعقل ما اضربه لك من المثل، و احمل عليه ما يشبهه، فانّ المثل دليل على شبهه و ذلك المثل قوله: انّ البهائم، الى قوله: والفساد فيها. فقوله انّ البهائم همها بطونها: اشارة الى انّ الانسان المتبع لشهوته بمنزلة البهيمة اذ همها ما تشتهيه من طعام و شراب. و قوله: و انّ السباع همّها العدوان، اشارة: الى متبع القوّة الغضبية بمنزلة السبع فى اتباعها و محبة الانتقام. و قوله: انّ النساء، الى قوله: فيها، اشارة: الى أنّ النساء متبعات للقوّتين الشهويّة ولما كان همّهن بزينة الحياة الدنيا، والغضبية و كان همّهن الفساد فى الدنيا، فالتابع لشهوته بهيمة، و لغضبه سبع،و لهما امرأة.

و لما حصر منابع الشر فى قوّتى الشهوة والغضب، حقق للمؤمن صفات تستلزم كسر تلك القوّتين ليلزمهما متدبّر المثل، و باللّه التوفيق.

١٥٣ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

وَنَاظِرُ قَلْبِ اللَّبِيبِ: بِهِ يُبْصِرُ أَمَدَهُ، وَيَعْرِفُ غَوْرَهُ وَنَجْدَهُ، دَاعٍ دَعَا وَرَاعٍ رَعَى، فَاسْتَجِيبُوا لِلدَّاعِي ، وَاتَّبِعُوا الرَّاعِيَ

قَدْ خَاضُوا بِحَارَ الْفِتَنِ، وَأَخَذُوا بِالْبِدَعِ دُونَ السُّنَنِ، وَأَرَزَ الْمُؤْمِنُونَ وَنَطَقَ الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ. نَحْنُ الشِّعَارُ، وَالْأَصْحَابُ، وَالْخَزَنَةُ وَالْأَبْوَابُ وَلَا تُؤْتَى الْبُيُوتُ إِلَّا مِنْ أَبْوَابِهَا، فَمَنْ أَتَاهَا مِنْ غَيْرِ أَبْوَابِهَا سُمِّيَ سَارِقاً.

اقول: ناظر قلب اللبيب: فكره، و به يبصر غايته: و هي الموت و ما بعده. وغوره، ونجده، كنايتان: عن طريقي الخير والشر. واشار بالداعي: الى الرسول صلى الله عليه وآله، والقرآن الكريم، و بالراعي: الى نفسه. والضمير في خاضوا: لمحاربيه. وارَز بفتح الراء: تقبضوا و انضموا. و استعار لفظ الشعار: لنفسه و أهل بيته، باعتبار قربهم من الرسول صلى الله عليه و آله كالثوب الذى يلي الجسد دون باقي الثياب. والخزنة والأبواب اى: خزنة علم الرسول و ابوابه كما قال صلى الله عليه و آله: (انا مدينة العلم وعلى بابها)[1]. و قوله: لا تؤتي: ارشاد للناس الى نفسه و اهل بيته بضمير صغراه قوله: فمن أتاها الى آخره. و تقدير كبراه، و من سمى سارقا لحقه الاثم ، والعار ، والعقاب.

منها:

فِيهِمْ كَرَائِمُ الْقُرْآنِ، وَهُمْ كُنُوزُ الرَّحْمٰانِ، إنْ نَطَقُوا صَدَقُوا وَإنْ صَمَتُوا لَمْ يُسْبَقُوا، فَلْيَصْدُقْ رَائِدٌ أهْلَهُ، وَلْيُحْضِرْ عَقْلَهُ، وَلْيَكُنْ مِنْ أبْنَاءِ الآخِرَةِ فَإنَّهُ مِنْهَا قَدِمَ، وَإلَيْهَا يَنْقَلِبُ، فَالنَّاظِرُ بِالْقَلْبِ الْعَامِلُ بِالْبَصَرِ يَكُونُ مُبْتَدَأ عَمَلِهِ أنْ يَعْلَمَ: أعَمَلُهُ عَلَيْهِ أمْ لَهُ؟ فَإنْ كَانَ لَهُ مَضَى فِيهِ، وَإنْ كَانَ عَلَيْهِ وَقَفَ عَنْهُ؛ فَإنَّ الْعَامِلَ بِغَيْرِ عِلْمٍ كَسَائِرٍ فِي غَيْرِ طَرِيقٍ، فَلاَيَزِيدُهُ بُعْدُهُ عَنِ الطَّرِيقِ إلاَّ بُعْداً مِنْ حَاجَتِهِ، وَالْعَامِلُ بِالْعِلْمِ كَسَائِرٍ عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ، فَلْيَنْظُرْ نَاظِرٌ أسَائِرٌ هُوَ أمْ رَاجِعٌ.

وَاعْلَمْ أنَّ لِكُلِّ ظَاهِرٍ بَاطِناً عَلَى مِثَالِهِ، فَمَا طَابَ ظَاهِرُهُ طَابَ بَاطِنُهُ، وَمَا خَبُثَ ظَاهِرُهُ خَبُثَ بَاطِنُهُ وَقَدْ قَالَ الرَّسُولُ الصَّادِقُ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ «إنَّ ٱللّٰهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ، وَيُبْغِضُ عَمَلَهُ، وَيُحِبُّ الْعَمَلَ وَيُبْغِضُ بَدَنَهُ». وَاعْلَمْ أنَّ لِكُلِّ عَمَلٍ نَبَاتاً، وَكُلُّ نَبَاتٍ لاَغِنَى بِهِ عَنِ الْمَاءِ، وَالْمِيَاهُ مُخْتَلِفَةٌ: فَمَا طَابَ سَقْيُهُ طَابَ غَرْسُهُ وَحَلَتْ ثَمَرَتُهُ، وَمَا خَبُثَ سَقْيُهُ خَبُثَ غَرْسُهُ وَأمَرَّتْ ثَمَرَتُهُ.

اقول: الاشارة الى فضائل أهل البيت عليهم السلام. و كرائم الايمان: نفائسه كالاعتقادات الحقة، والاخلاق الفاضلة. و كنوز الرحمان: استعارة باعتبار كونهم خزان

---

١ - راجع كتاب (فتح الملك العلّي بصحة حديث باب مدينة العلم علّي).

علم الله. و خصّص وصف الرحمن لأنه مبدأ بعثة الأنبياء والاولياء، اذ جعلهم الله برحمته هداة خلقه. و قوله: لم يسبقوا اى: عند صمتهم لايسبقون الى فضيلة نطق، اذ كان صمتهم فى موضع الصمت حكمة. و قوله: فليصدّق رائد اهله:. كالمثل و قد سبق مثله، وفائدته التنبيه على فضله، والأمر يصدق الخبر عنه لمن يعنيهم أمره و انّ عنده من مراعى النفوس و ماء حياتها ما ينبغى. و ليحضر عقله اى: ليفهم ما يقوله: و استعار لفظ الابناء: للآخرة، و وجه الشبه قوله: فانّه الى قوله ينقلب، و ذلك انّ الانسان مبدأ الحضرة الألّهية فعنها ينقلب و اليها يعود، كالمنقلب عن الامّ الراجع اليها.

و قوله: و اعلم، الى قوله: باطنه، اشارة: الى ما اقتضته الحكمة الالّهية من جعل العالم الجسمانى مثالا للعالم الروحانى، و طريقا للنفوس البشريّة الى مثالها من المعقولات، وانّه لولا ذلك لتعذّر السفر الى الحضرة الالّهية، و من ذلك ما اشار اليه عليه السلام: من اشخاص الناس او افعالهم الظاهرة، فانّها دالّة على ما يناسبها فى بواطنهم من الأخلاق و اعمال القلوب دلالة اكثريّة، فربّ حسن الصورة قبيح الباطن، وربّ خبيث الظاهر حسن الباطن، و لذلك استشهد بالخبر النبوىّ (فانّ الله يحب العبد من حيث صورته الحسنة) لكونها مقتضى الحكمة الالهية، وانسب الى الوجود من القبيحة التى هى انسب الى العدم الّذى هوالشر المحض، و يبغض عمله من جهة ما هو شر مكروه بالذات و يحب ويبغض بالعكس من كان على العكس، و من النص الحكيم على دلالة الظاهر على الباطن قوله تعالى: (وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا)[1] و استعار لفظ النبات: لزيادة الأعمال و نموّها و لفظ الماء للمادية القلبية من الارادات والنيّات المخالفة، و ظاهر انّ طيب الأعمال بطيبها، و خبثها بخبثها كالماء و ما يسقى به.

١ ـ سورة الاعراف / ٥٨.

١٥٤ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

يذكر فيها بديع خلقة الخفاش

الْحَمْدُ للهِ الَّذِي انْحَسَرَتِ الْأَوْصَافُ عَنْ كُنْهِ مَعْرِفَتِهِ، وَرَدَعَتْ عَظَمَتُهُ الْعُقُولَ فَلَمْ تَجِدْ مَسَاغاً إِلَى بُلُوغِ غَايَةِ مَلَكُوتِهِ، هُوَ اللهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ الْمُبِينُ، أَحَقُّ وَأَبْيَنُ مِمَّا تَرَاهُ الْعُيُونُ، لَمْ تَبْلُغْهُ الْعُقُولُ بِتَحْدِيدٍ فَيَكُونَ مُشَبَّهاً، وَلَمْ تَقَعْ عَلَيْهِ الْأَوْهَامُ بِتَقْدِيرٍ فَيَكُونَ مُمَثَّلاً، خَلَقَ الْخَلْقَ عَلَى غَيْرِ تَمْثِيلٍ، وَلَامَشُورَةِ مُشِيرٍ، وَلَامَعُونَةِ مُعِينٍ، فَتَمَّ خَلْقُهُ بِأَمْرِهِ، وَأَذْعَنَ لِطَاعَتِهِ فَأَجَابَ وَلَمْ يُدَافِعْ وَانْقَادَ وَلَمْ يُنَازِعْ.

وَمِنْ لَطَائِفِ صَنْعَتِهِ، وَعَجَائِبِ حِكْمَتِهِ؛ مَا أَرَانَا مِنْ غَوَامِضِ الْحِكْمَةِ فِي هٰذِهِ الْخَفَافِيشِ الَّتِي يَقْبِضُهَا الضِّيَاءُ الْبَاسِطُ لِكُلِّ شَيْءٍ، وَيَبْسُطُهَا الظَّلَامُ الْقَابِضُ لِكُلِّ حَيٍّ، وَكَيْفَ عَشِيَتْ أَعْيُنُهَا، عَنْ أَنْ تَسْتَمِدَّ مِنَ الشَّمْسِ الْمُضِيئَةِ نُوراً تَهْتَدِي بِهِ فِي مَذَاهِبِهَا، وَتَصِلَ بِعَلَانِيَةِ بُرْهَانِ الشَّمْسِ إِلَى مَعَارِفِهَا، وَرَدَعَهَا تَلَأْلُؤُ ضِيَائِهَا عَنِ الْمُضِيِّ فِي سُبُحَاتِ إِشْرَاقِهَا، وَأَكَنَّهَا فِي مَكَامِنِهَا عَنِ الذَّهَابِ فِي بُلَجِ ائْتِلَاقِهَا، فَهِيَ مُسْدِلَةُ الْجُفُونِ بِالنَّهَارِ عَلَى أَحْدَاقِهَا، وَجَاعِلَةُ اللَّيْلِ سِرَاجاً تَسْتَدِلُّ بِهِ فِي الْتِمَاسِ أَرْزَاقِهَا، فَلَايَرُدُّ أَبْصَارَهَا إِسْدَافُ ظُلْمَتِهِ، وَلَا تَمْتَنِعُ مِنَ الْمُضِيِّ فِيهِ لِغَسَقِ دُجُنَّتِهِ، فَإِذَا أَلْقَتِ الشَّمْسُ قِنَاعَهَا، وَبَدَتْ أَوْضَاحُ نَهَارِهَا، وَدَخَلَ مِنْ إِشْرَاقِ نُورِهَا عَلَى الضِّبَابِ فِي وِجَارِهَا أَطْبَقَتِ الْأَجْفَانَ عَلَى مَآقِيهَا، وَتَبَلَّغَتْ بِمَا اكْتَسَبَتْ مِنْ فَيْءِ ظُلَمِ لَيَالِيهَا. فَسُبْحَانَ مَنْ جَعَلَ اللَّيْلَ لَهَا نَهَارًا وَمَعَاشًا، وَالنَّهَارَ سَكَنًا وَقَرَارًا، وَجَعَلَ لَهَا أَجْنِحَةً مِنْ لَحْمِهَا تَعْرُجُ بِهَا عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَى الطَّيَرَانِ، كَأَنَّهَا شَظَايَا الآذَانِ غَيْرَ ذَوَاتِ رِيشٍ وَلَاقَصَبٍ، إِلَّا أَنَّكَ تَرَى مَوَاضِعَ الْعُرُوقِ بَيِّنَةً أَعْلَامًا، لَهَا جَنَاحَانِ لَمَّا يَرِقَّا فَيَنْشَقَّا، وَلَمْ يَغْلُظَا فَيَثْقُلَا، تَطِيرُ وَوَلَدُهَا لَاصِقٌ بِهَا، لَاجِئٌ إِلَيْهَا: يَقَعُ إِذَا وَقَعَتْ، وَيَرْتَفِعُ إِذَا ارْتَفَعَتْ، لَايُفَارِقُهَا حَتَّى تَشْتَدَّ أَرْكَانُهُ، وَيَحْمِلَهُ لِلنُّهُوضِ جَنَاحُهُ، وَيَعْرِفَ مَذَاهِبَ عَيْشِهِ وَمَصَالِحَ نَفْسِهِ، فَسُبْحَانَ الْبَارِي لِكُلِّ شَيْءٍ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ خَلَا مِنْ غَيْرِهِ.

اقول: انحسار الأوصاف: كلالها عن كشف حقيقته لبراءتها عن التركيب.

و ردعت: كفت. والمساغ: المسلك، و اشار الى هويّته المطلقة بقوله: و لما لم تكن الهويّة مركّبة لم يمكن ان يدلّ عليها الّا باعتبارات من المسلوب، والاضافات اللازمة والعارضة، واللوازم الأضافية اشدّها تعريفا والأكمل فى التعريف هواللازم الجامع لنوعى الاضافة، والسلب، و ذلك كون تلك الهويّة إلها، فأن الإله هوالّذى ينسب اليه غيره و لا ينسب هو الى غيره، فانتساب غيره اليه اضافيّ، و عدم انتسابه الى غيره سلبيّ، فلاجرم عقب ذكر الهويّة بما يدلّ على ذلك اللازم لأكمليته فى التعريف. ثم لما شرح اسم الهويّة اشار الى كونها: حقًّا اى: موجودا ثابتا وجوده عندالعقل احق و أبين مما ترى العيون اذ هوفطريّ. ومن الاعتبارات السلبية كون العقول لم تبلغه بتحديد لما يلزم من التشبيه، لأنك علمت انّ العقل يستثبت المعقول بصورة تحاكيه المخيلة بها من المحسوسات فيكون مشبهًا بها. ثم نبّه على غامض حكمة الله فى خلق الخفّاش ومخالفته لسائرالحيوان فى قبض الضياء لأبصارها مع كونه مادّة لسائر ابصار الحيوانات، وبسط الظلام لها مع قبضه لسائر الأبصار. و اشار الى ما يصلح علّة لذلك و هوعشاء ابصارها و ضعفها من الاستمداد بنورالشمس. و قيل: في سبب ضعفه انّه تحلل الروح الباصِر منهُ اذا لقى حرّالنهار فيستكمل بالبدل بقرب الليل لمكان برده، فتعود مبصرًا. والعلانية: الظهور، و«ردعها» عطف على «ارانا». و سبحات اشراقها: بهاؤه و صفاؤه. والبلج: جمع بلجة وهى اوّل ضوء الصبح. و ائتلاقها: لمعانها. والاسداف: مصدراسدف الليل: اظلم. و غسق الدجنة: ظلام الليل. و استعار لفظ القناع: لما يستر الشمس قبل طلوعها. و وضح النهار: ضوؤه. و وجارالضب: بيته. و شظايا الاذان: رؤوسها البارزة.

ثم نبّه على عظمته تعالى، باعتبار خلقه لها مخالفة لسائر الحيوان فى خلقه الجناح، وفى حالها مع ولدها وشرح ذلك بافصح عبارة تكشف عن الغرض.

١٥٥ ـ وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

خاطب به أهل البصرة على جهة اقتصاص الملاحم

فَمَنِ ٱسْتَطَاعَ عِنْدَ ذٰلِكَ أَنْ يَعْتَقِلَ نَفْسَهُ عَلَى ٱللهِ فَلْيَفْعَلْ! فَإِنْ أَطَعْتُمُونِى فَإِنِّى

حَامِلُكُمْ -إِنْ شَاءَ اللهُ- عَلَى سَبِيلِ الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ ذَا مَشَقَّةٍ شَدِيدَةٍ، وَمَذَاقَةٍ مَرِيرَةٍ.

وَأَمَّا فُلاَنَةُ فَأَدْرَكَهَا رَأْيُ النِّسَاءِ، وَضِغْنٌ غَلاَ فِي صَدْرِهَا كَمِرْجَلِ الْقَيْنِ، وَلَوْ دُعِيَتْ لِتَنَالَ مِنْ غَيْرِي مَا أَتَتْ إِلَيَّ لَمْ تَفْعَلْ. وَلَهَا بَعْدُ حُرْمَتُهَا الْأُولَى، وَالْحِسَابُ عَلَى اللهِ

أقول: مفهوم الفصل انّه سبق قبله ذكر فتن و حروب بعده بين المسلمين، يجب على من ادركها ان يعتقل نفسه على الله اى: يحبسها عن الدخول فيها على طاعة. و سبيل الجنة هو: الدين القيم، و لزوم المشقة فيه ظاهر كالجهاد. وفلانة: عائشة، و رأي النساء رأيها في حربه بالبصرة، و رأيهنّ الضعف[1]. و امّا الطعن الذى كان لها و هوالحقد فقد نبّهنا عليه في الأصل فلا نطول بذكره. و حرمتها الاولى: حرمتها برسول الله صلي الله عليه وآله. و في قوله: والحساب علي الله: وعيد لها بلقائه.

منها:

سَبِيلٌ أَبْلَجُ الْمِنْهَاجِ، أَنْوَرُ السِّرَاجِ، فَبِالْإِيمَانِ يُسْتَدَلُّ عَلَى الصَّالِحَاتِ، وَبِالصَّالِحَاتِ يُسْتَدَلُّ عَلَى الْإِيمَانِ، وَبِالْإِيمَانِ يُعْمَرُ الْعِلْمُ، وَبِالْعِلْمِ يُرْهَبُ الْمَوْتُ، وَبِالْمَوْتِ تُخْتَمُ الدُّنْيَا، وَبِالدُّنْيَا تُحْرَزُ الْآخِرَةُ، وَإِنَّ الْخَلْقَ لاَمَقْصَرَ لَهُمْ عَنِ الْقِيَامَةِ، مُرْقِلِينَ فِي مِضْمَارِهَا إِلَى الْغَايَةِ الْقُصْوَى.

اقول: السبيل الابلج هو: الدين. والأبلج: الواضح. و الإيمان: هوالتصديق القلبيّ بالله و برسله و ما جاؤا به من الاعمال الصالحات ثمراته، ومعلومات يستدلّ بوجودها من العبد على وجود الايمان في قلبه على لزوم الصالحات استدلالا بالعلّة على المعلول. ولما كانت ثمرات و كمالات له فبالحريّ أن يكون بها عمارة العالم، اى: الايمان بالمعنى المذكور اذا عضدها البرهان، و هو قليل الفائدة كالخراب اذا لم يعضد بالعمل. ولمّا كان من الايمان العلم بأحوال المعاد استلزم ذلك العلم دوام ملاحظة الموت المستلزم لرهبته. و لمّا كانت الدنيا محل الاستعداد لتحصيل الزاد ليوم المعاد، كان بها

---

١ - في نسخة ش: الضعيف.

احراز الآخرة. والارقال: ضرب من السير سريع، و هو مستعار لسيرهم المتوهم فى مدة اعمارهم الى الآخرة. والغاية القصوى هي السعادة، والشقاوة الاخرويّة. منها:

قَدْ شَخَصُوا مِنْ مُسْتَقَرِّ الْأَجْدَاثِ، وَصَارُوا إِلَى مَصَائِرِ الْغَايَاتِ، لِكُلِّ دَارٍ أَهْلُهَا: لَايَسْتَبْدِلُونَ بِهَا، وَلَايُنْقَلُونَ عَنْهَا؛ وَإِنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ لَخُلُقَانِ مِنْ خُلُقِ اللهِ سُبْحَانَهُ، وَإِنَّهُمَا لَايُقَرِّبَانِ مِنْ أَجَلٍ وَلَايَنْقُصَانِ مِنْ رِزْقٍ، وَعَلَيْكُمْ بِكِتَابِ اللهِ فَإِنَّهُ الْحَبْلُ الْمَتِينُ، وَالنُّورُ الْمُبِينُ، وَالشِّفَاءُ النَّافِعُ، وَالرِّيُّ النَّاقِعُ، وَالْعِصْمَةُ لِلْمُتَمَسِّكِ، وَالنَّجَاةُ لِلْمُتَعَلِّقِ لَايَعْوَجُّ فَيُقَامَ، وَلَايَزِيغُ فَيُسْتَعْتَبَ، وَلَا تُخْلِقُهُ كَثْرَةُ الرَّدِّ وَوُلُوجُ السَّمْعِ. مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ سَبَقَ،

وقام إليه رجل و قال: أخبرنا عن الفتنة، و هل سألت عنها رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم؟ فقال عليه السلام: لَمَّا أَنْزَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ قَوْلَهُ: (الٓمٓ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَايُفْتَنُونَ) عَلِمْتُ أَنَّ الْفِتْنَةَ لَا تَنْزِلُ بِنَا وَرَسُولُ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، بَيْنَ أَظْهُرِنَا، فَقُلْتُ: يَارَسُولَ اللهِ، مَا هٰذِهِ الْفِتْنَةُ الَّتِي أَخْبَرَكَ اللهُ بِهَا؟ فَقَالَ: «يَا عَلِيُّ، إِنَّ أُمَّتِي سَيُفْتَنُونَ مِنْ بَعْدِي» فَقُلْتُ: يَارَسُولَ اللهِ، أَوَلَيْسَ قَدْ قُلْتَ لِي يَوْمَ أُحُدٍ حَيْثُ اسْتُشْهِدَ مَنِ اسْتُشْهِدَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَحِيزَتْ عَنِّي الشَّهَادَةُ، فَشَقَّ ذٰلِكَ عَلَيَّ فَقُلْتَ لِي «أَبْشِرْ، فَإِنَّ الشَّهَادَةَ مِنْ وَرَائِكَ»؟ فَقَالَ لِي «إِنَّ ذٰلِكَ لَكَذٰلِكَ، فَكَيْفَ صَبْرُكَ إِذًا؟» فَقُلْتُ: يَارَسُولَ اللهِ؛ لَيْسَ هٰذَا مِنْ مَوَاطِنِ الصَّبْرِ، وَلٰكِنْ مِنْ مَوَاطِنِ الْبُشْرَى وَالشُّكْرِ، وَقَالَ «يَا عَلِيُّ، إِنَّ الْقَوْمَ سَيُفْتَنُونَ بَعْدِي بِأَمْوَالِهِمْ، وَيَمُنُّونَ بِدِينِهِمْ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَتَمَنَّوْنَ رَحْمَتَهُ، وَيَأْمَنُونَ سَطْوَتَهُ، وَيَسْتَحِلُّونَ حَرَامَهُ بِالشُّبُهَاتِ الْكَاذِبَةِ وَالْأَهْوَاءِ السَّاهِيَةِ، فَيَسْتَحِلُّونَ الْخَمْرَ بِالنَّبِيذِ، وَالسُّحْتَ بِالْهَدِيَّةِ، وَالرِّبَا بِالْبَيْعِ» فَقُلْتُ: يَارَسُولَ اللهِ؛ بِأَيِّ الْمَنَازِلِ أُنْزِلُهُمْ عِنْدَ ذٰلِكَ؟ أَبِمَنْزِلَةِ رِدَّةٍ أَمْ بِمَنْزِلَةِ فِتْنَةٍ؟ فَقَالَ: «بِمَنْزِلَةِ فِتْنَةٍ»[1].

اقول: صدرالفصل تماما لصفة سبقت لحال أهل القبور. و مصائر الغايات: الجنة والنار، و لكل دار منهما اهل. ونبّه على وجوب الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، بضميرين صغرى الاوّل منهما قوله: انّهما خلقان من خلق الله، و تقدير كبراه: و كلّ ما

---

١ ـ شرح ابن ابى الحديد ٩/٢٠٧.

كان كذلك وجب التخلّق به و صغرى الثانى قوله: لايقربان، الى قوله: من رزق ـ و تقدير كبراه: و كلّ ما كان كذلك فلا ينبغى ان يحذر فعله. والناقع: المروى. ويستعتب: يطلب منه العتبى، وهى الرجوع عن الأساءة. والرد: الترديد فى الألسنة. و حيزت أى: قبضت و منعت. والسحت: الحرام. و باقى الفصل ظاهر.

١٥٦ ـ وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي جَعَلَ الْحَمْدَ مِفْتَاحاً لِذِكْرِهِ، وَسَبَبًا لِلْمَزِيدِ مِنْ فَضْلِهِ، وَدَلِيلاً عَلَى آلائِهِ وَعَظَمَتِهِ.

عِبَادَ اللّهِ، إِنَّ الدَّهْرَ يَجْرِي بِالْبَاقِينَ كَجَرْيِهِ بِالْمَاضِينَ، لَايَعُودُ مَا قَدْ وَلَّى مِنْهُ، وَلَايَبْقَى سَرْمَدًا مَا فِيهِ. آخِرُ فِعَالِهِ كَأَوَّلِهِ، مُتَسَابِقَةٌ أُمُورُهُ، مُتَظَاهِرَةٌ أَعْلامُهُ، فَكَأَنَّكُمْ بِالسَّاعَةِ تَحْدُوكُمْ حَدْوَ الزَّاجِرِ بِشَوْلِهِ، فَمَنْ شَغَلَ نَفْسَهُ بِغَيْرِ نَفْسِهِ تَحَيَّرَ فِي الظُّلُمَاتِ، وَارْتَبَكَ فِي الْهَلَكَاتِ، وَمَدَّتْ بِهِ شَيَاطِينُهُ فِي طُغْيَانِهِ، وَزَيَّنَتْ لَهُ سَيِّئَ أَعْمَالِهِ، فَالْجَنَّةُ غَايَةُ السَّابِقِينَ، وَالنَّارُ غَايَةُ الْمُفَرِّطِينَ.

اعْلَمُوا عِبَادَ اللّهِ، أَنَّ التَّقْوَى دَارُ حِصْنٍ عَزِيزٍ، وَالْفُجُورَ دَارُ حِصْنٍ ذَلِيلٍ: لَايَمْنَعُ أَهْلَهُ، وَلَايُحْرِزُ مَنْ لَجَأَ إِلَيْهِ. أَلَا وَبِالتَّقْوَى تُقْطَعُ حُمَةُ الْخَطَايَا وَبِالْيَقِينِ تُدْرَكُ الْغَايَةُ الْقُصْوَى.

عِبَادَ اللّهِ، اللّهَ اللّهَ فِي أَعَزِّ الأَنْفُسِ عَلَيْكُمْ، وَأَحَبِّهَا إِلَيْكُمْ، فَإِنَّ اللّهَ قَدْ أَوْضَحَ لَكُمْ سَبِيلَ الْحَقِّ وَأَنَارَ طُرُقَهُ. فَشِقْوَةٌ لَازِمَةٌ، أَوْسَعَادَةٌ دَائِمَةٌ، فَتَزَوَّدُوا فِي أَيَّامِ الْفَنَاءِ لِأَيَّامِ الْبَقَاءِ، قَدْ دُلِلْتُمْ عَلَى الزَّادِ، وَ أُمِرْتُمْ بِالظَّعْنِ، وَ حُثِثْتُمْ عَلَى الْمَسِيرِ، فَإِنَّمَا أَنْتُمْ كَرَكْبٍ وُقُوفٍ، لَا تَدْرُونَ مَتَى تُؤْمَرُونَ بِالْمَسِيرِ.

أَلَا فَمَا يَصْنَعُ بِالدُّنْيَا مَنْ خُلِقَ لِلآخِرَةِ؟ وَ مَا يَصْنَعُ بِالْمَالِ مَنْ عَمَّا قَلِيلٍ يُسْلَبُهُ، وَ تَبْقَى عَلَيْهِ تَبِعَتُهُ وَ حِسَابُهُ؟!

عِبَادَ اللّهِ، إِنَّهُ لَيْسَ لِمَا وَعَدَ اللّهُ مِنَ الْخَيْرِ مَتْرَكٌ، وَلَا فِيمَا نَهَى عَنْهُ مِنَ الشَّرِّ مَرْغَبٌ!

عِبَادَ اللّهِ، احْذَرُوا يَوْمًا تُفْحَصُ فِيهِ الأَعْمَالُ، وَ يَكْثُرُ فِيهِ الزِّلْزَالُ، وَ تَشِيبُ فِيهِ الأَطْفَالُ.

اعْلَمُوا، عِبَادَ اللّهِ، أَنَّ عَلَيْكُمْ رَصَدًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ، وَ عُيُوناً مِنْ جَوَارِحِكُمْ، وَحُفَّاظَ

صِدْقٍ يَحْفظُونَ أَعْمَالَكُمْ وَ عَدَدَ أَنْفَاسِكُمْ، لَا تَسْتُرُكُمْ مِنْهُمْ ظُلْمَةُ لَيْلٍ دَاجٍ، وَلَا يُكِنُّكُمْ مِنْهُمْ بَابٌ ذُو رِتَاجٍ، وَ إِنَّ غَدًا مِنَ الْيَوْمِ قَرِيبٌ.

يَذْهَبُ الْيَوْمُ بِمَا فِيهِ، وَيَجِيءُ الْغَدُ لَاحِقًا بِهِ، فَكَأَنَّ كُلَّ امْرِئٍ مِنْكُمْ قَدْ بَلَغَ مِنَ الْأَرْضِ مَنْزِلَ وَحْدَتِهِ، وَ مَخَطَّ حُفْرَتِهِ، فَيَالَهُ مِنْ بَيْتِ وَحْدَةٍ، وَ مَنْزِلِ وَحْشَةٍ، وَ مُفْرَدِ غُرْبَةٍ! وَ كَأَنَّ الصَّيْحَةَ قَدْ أَتَتْكُمْ، وَالسَّاعَةَ قَدْ غَشِيَتْكُمْ وَبَرَزْتُمْ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ، قَدْ زَاحَتْ عَنْكُمُ الْأَبَاطِيلُ، وَ اضْمَحَلَّتْ عَنْكُمُ الْعِلَلُ وَ اسْتَحَقَّتْ بِكُمُ الْحَقَائِقُ، وَ صَدَرَتْ بِكُمُ الْأُمُورُ مَصَادِرَهَا، فَاتَّعِظُوا بِالْعِبَرِ، وَ اعْتَبِرُوا بِالْغِيَرِ، وَ انْتَفِعُوا بِالنُّذُرِ.

اقول: كون الحمد دليلا على الآية: لأختصاص الشكر بمولى النعم، و على عظمته: لأختصاصه باستحقاق ذلك لذاته، اذ هو مبدأ كلّ نعمة. والتظاهر: الترادف والتعاون. والشول: النوق التى جف لبنها و ارتفع ضرعها و أتى عليها من نتاجها سبعة اشهر. الواحدة شائلة على غير قياس. و انّما خص الشول لخفتها، وكون سوقها اسرع. و شغل المرء بنفسه: تطهيرها و تزكيتها بالعلوم و الكمالات، و شغله بغيرها يستلزم إهمالها و تحيّرها فى ظلمات الجهل والهوى والإرتباك: الاختلاط، و شياطينه: قواه الخارجة عن أوامر عقله وهي: نفسه الأمارة. والمفرطون: المقصّرون فى تحصيل الكمالات النفسانية، والتقوى: فضيلة تحت العفّة، والفجور: رذيلة الافراط من العفّة. وحمة العقرب: إبرتها. ولفظها مستعار: للخطايا باعتبار ما فيها من الأذى. و روى حمّتها بالتشديد وهي: شدّتها. ونبّه بقوله: وبالتقوى، الى قوله: القصوى: على كمال قوّتى النفس العلمية والعمليّة، فالتّقوى: كمال العمليّة، واليقين: كمال العلميّة، و بهما تنال الغاية القصوى من المطالب الحقيقية. وأعز الأنفس هي: النفس المطمئنة، ولها الثواب وعليها العقاب. و وجه تمثيلهم بالركب ظاهر، فالانسان: هوالنفس، والمطايا هي: الأبدان والقوى النفسانية. . والطريق هي: العالم الحسّي والعقلي. والسير الّذى ذكره قبل الموت هو: تصرّف النفس فى العالمين، لتحصيل الكمالات المسعدة وهي: الزاد لغاية السعادة الباقية. والسير الثانى الّذى ينتظرونه هو: الرحيل الى الآخرة، وطرح البدن و قطع عقبات الموت. وقوله: انّه ليس، الى قوله: مترك اى: ليس بعده أمر يرغب فيه، لنفاسته و شرفه. والمرغب: محلّ

الرغبة. والفحص: البحث. و نقاش الحساب: الاستقصاء فيه. و استعار لفظ الرصد للنفوس التي تظهر فيها يوم القيامة صور السيّئات . ولفظ العيون: للجوارح الشاهدة يومئذ. و حفّاظ الصدق: الكرام الكاتبون. والرتاج: العلق، والأمور التي صدرت بهم مصادرها هي: اعمالهم و احوالهم التي كانوا عليها في الدنيا، وكلّ ما ينبه على احوال الآخرة عبرة. والغير: جمع غيرة فعلة من التغير، و اعتبارها طريق الا تّعاظ. والنذر: جمع نذير وهو: كل ما افاد تخويفا.

١٥٧ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

أَرْسَلَهُ على حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ الرُسُلِ، وَطُولِ هَجْعَةٍ مِنَ الأُمَمِ، وَانْتِقَاضٍ مِنَ الْمُبْرَمِ، فَجَاءَهُمْ بِتَصْدِيقِ الَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ، وَالنُّورِ الْمُقْتَدَى بِهِ: ذٰلِكَ الْقُرآنُ فَاسْتَنْطِقُوهُ وَلَنْ يَنْطِقَ، وَلٰكِنْ أُخْبِرُكُمْ عَنْهُ، أَلَا إنَّ فِيهِ عِلْمَ مَا يَأْتِي، وَالْحَدِيثَ عَنِ الْمَاضِي، وَدَوَاءَ دَائِكُمْ، وَنَظْمَ مَا بَيْنَكُمْ.

اقول: استعار لفظ الهجعة: للغفلة الشاملة يومئذ للناس عن احوال الآخرة. و لفظ المبرم: وهوالحبل لماكان الخلق عليه من نظام الحال بالشرائع السابقة. ولفظ الانتقاض: لفساد ذلك بتغير الشرائع، والّذى صدّقه بين يديه هو: التوراة والانجيل، وكلّ امرتقدّم امراً منتظرا قريبا منه يقال انّه جاءبين يديه. و لفظ النور: القرآن. و استنطاقه: استماع فوائده منه عليه السلام، اذ هو لسان الكتاب، و دلّ عليه بقوله: و لن ينطق، الى قوله: عنه. و علم ما يأتي اي: من الفتن و أحوال القيامة،والحديث عن الماضي من علم الأوّلين و قصصهم. و دائرهم هو: الجهل و رذائل الاخلاق. و دوائهم من ذلك: تزكية نفوسهم بما فيه من الحثّ على مكارم الاخلاق، والتحلّي بالكمالات النفسانية. ونظم مابينهم: بما اشتمل عليه من القوانين المصلحيّة،والحكمة السياسية، والمدنية،التي فيها نظام العالم، واستقامة اموره.

منها:

فَعِنْدَ ذٰلِكَ لَا يَبْقَى بَيْتُ مَدَرٍ وَ لَا وَبَرٍ، إِلَّا وَ أَدْخَلَهُ الظَّلَمَةُ تَرْحَةً، وَ أَوْلَجُوا فِيهِ نِقْمَةً، فَيَوْمَئِذٍ لَا يَبْقَى لَكُمْ فِي السَّمَاءِ عَاذِرٌ، وَ لَا فِي الْأَرْضِ نَاصِرٌ، أَصْفَيْتُمْ بِالْأَمْرِ غَيْرَ أَهْلِهِ، وَ أَوْرَدْتُمُوهُ غَيْرَ مَوْرِدِهِ، وَ سَيَنْتَقِمُ اللّٰهُ مِمَّنْ ظَلَمَ: مَأْكَلًا بِمَأْكَلٍ، وَ مَشْرَبًا بِمَشْرَبٍ: مِنْ مَطَاعِمِ الْعَلْقَمِ، وَ مَشَارِبِ الصَّبِرِ وَالْمَقِرِ، وَ لِبَاسِ شِعَارِ الْخَوْفِ، وَدِثَارِ السَّيْفِ، وَ إِنَّمَا هُمْ مَطَايَا الْخَطِيئَاتِ، وَزَوَامِلُ الْآثَامِ، فَأُقْسِمُ ثُمَّ أُقْسِمُ لَتَنْخَمَنَّهَا أُمَيَّةُ مِنْ بَعْدِي كَمَا تُلْفَظُ النُّخَامَةُ، ثُمَّ لَا تَذُوقُهَا وَلَا تَطْعَمُ بِطَعْمِهَا أَبَدًا مَا كَرَّ الْجَدِيدَانِ.

اقول: سياق الكلام الإخبار عن حال بني امية في دولتهم من الظلم و استحقاقهم عند ذلك التغيير، و كني عنه: بعدم العاذر في السماء، و الناصر في الارض. والأمر امر الخلافة، و التوبيخ و الوعيد بالله لهم، و لمن عدل بها عنه، و مأكلا و مشرباً نصب بفعل مضمر اي: يبدّلهم الله مأكلا بمأكل. و استعار لفظ العلقم و الصبر و المقر وهو: المرّ لما يتجرّعونه من شدائد القتل و زوال الدولة.

و افاد بعض الشارحين انّه انّما خصص الخوف بالشعار لأنه باطن في القلوب، والسيف بالدثار، لانّه ظاهر كما انّ الشعار: ماكان يلي الحديد، والدثار: ما كان فوقه، واستعارلهم لفظ المطايا. و الزوامل: جمع زاملة للحمل يستظهر به الانسان في سفره باعتبار حملهم للخطايا. و وصف التنخم لزوال الخلافة عنهم، فكأنهم قذفوها من أفواههم كالنخامة. و أمّا هنا بمعنى: المدّة. والجديدان: الليل، و النهار.

١٥٨ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَ لَقَدْ أَحْسَنْتُ جِوَارَكُمْ، وَ أَحَطْتُ بِجُهْدِي مِنْ وَرَائِكُمْ: وَ أَعْتَقْتُكُمْ مِنْ رِبَقِ الذُّلِّ، وَ حَلَقِ الضَّيْمِ، شُكْرًا مِنِّي لِلْبِرِّ الْقَلِيلِ! وَ إِطْرَاقًا عَمَّا أَدْرَكَهُ الْبَصَرُ، وَ شَهِدَهُ الْبَدَنُ مِنَ الْمُنْكَرِ الْكَثِيرِ.

استعار لفظ الربق، و الحلق: لما يخاف عليهم من دولة غيره من الأرذال. والبر القليل اى: منهم و هو: طاعتهم القليلة له. والمنكر الكثير: منكرهم، ويحمل اطرافه عنه على عدم تمكّنه من ازالته لاستلزام ذلك مفسدة اكثر منه، والتجاوز عن بعض الأساءات المنكرة من الرعيّة، كالضّروري فى تدبّر الدولة.

١٥٩ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

أَمْرُهُ قَضَاءٌ وَ حِكْمَةٌ، وَ رِضَاهُ أَمَانٌ وَ رَحْمَةٌ، يَقْضِي بِعِلْمٍ، وَ يَعْفُو بِحِلْمٍ اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى مَا تَأْخُذُ وَ تُعْطِي، وَ عَلَى مَا تُعَافِي وَ تَبْتَلِي، حَمْدًا يَكُونُ أَرْضَى الْحَمْدِ لَكَ، وَ أَحَبَّ الْحَمْدِ إِلَيْكَ، وَ أَفْضَلَ الْحَمْدِ عِنْدَكَ، حَمْدًا يَمْلأُ مَا خَلَقْتَ، وَ يَبْلُغُ مَا أَرَدْتَ، حَمْدًا لَا يُحْجَبُ عَنْكَ، وَ لَا يَقْصُرُ دُونَكَ، حَمْدًا لَا يَنْقَطِعُ عَدَدُهُ، وَ لَا يَفْنى مَدَدُهُ، فَلَسْنَا نَعْلَمُ كُنْهَ عَظَمَتِكَ، إِلَّا أَنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ حَيٌّ قَيُّومٌ لَا تَأْخُذُكَ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ، لَمْ يَنْتَهِ إِلَيْكَ نَظَرٌ، وَ لَمْ يُدْرِكْكَ بَصَرٌ، أَدْرَكْتَ الْأَبْصَارَ، وَ أَحْصَيْتَ الْأَعْمَالَ، وَ أَخَذْتَ بِالنَّوَاصِي وَ الْأَقْدَامِ، وَ مَا الَّذِي نَرَى مِنْ خَلْقِكَ وَ نَعْجَبُ لَهُ مِنْ قُدْرَتِكَ، وَ نَصِفُهُ مِنْ عَظِيمِ سُلْطَانِكَ، وَ مَا تَغَيَّبَ عَنَّا مِنْهُ، وَقَصُرَتْ أَبْصَارُنَا عَنْهُ، وَ انْتَهَتْ عُقُولُنَا دُونَهُ، وَحَالَتْ سُتُورُ الْغُيُوبِ بَيْنَنَا وَ بَيْنَهُ؛ أَعْظَمُ فَمَنْ فَرَّغَ قَلْبَهُ، وَأَعْمَلَ فِكْرَهُ، لِيَعْلَمَ كَيْفَ أَقَمْتَ عَرْشَكَ، وَ كَيْفَ ذَرَأْتَ خَلْقَكَ، وَ كَيْفَ عَلَّقْتَ فِي الْهَوَاءِ سَمٰوَاتِكَ، وَ كَيْفَ مَدَدْتَ عَلَى مَوْرِ الْمَاءِ أَرْضَكَ؛ رَجَعَ طَرْفُهُ حَسِيرًا، وَعَقْلُهُ مَبْهُوراً، وَسَمْعُهُ وَالِهاً وَفِكْرُهُ حَائِرًا.

أقول: أمره: حكم قدرته الالهية، و كونه قضاء اى: حكمًا لازمًا لايرد. و كونه حكمة: كونه على وفق الحكمة الالهية والنظام الأكمل، و رضاه يعود الى علمه بطاعة العبد له، وعفوه يعود الى عدم عقابه للمذنبين. و انّما يتحقق العفو مع القدرة على العقاب فلذلك قال: يعفو بحلم. و قوله: فلسنا الى آخره: اعتراف بالعجز عن ادراك كنه عظمته، و اشار الى بيان وجه معرفته الممكنة للخلق، وهى امّا بالصفات الحقيقيّة، لكونه حيًا او بالاعتبارات السلبيّة لكونه لا تأخذه سنة و لانوم، ولاينتهى اليه نظر عقلىّ او بصرىّ،

اوالاضافية لكونه مدركا للأبصار محصيًا للأعمال آخذا بالنواصي والاقدام. و «ما» في قوله: و ماالّذى: استفهامية على سبيل الاستحقار لما استفهم عنه مما عدّده من المدركات بالنسبة الى مالم يدركـ من عظيم ملكوته. و «ما» الثّانية في قوله: و ما يغيب: بمعنى الّذى محله الرفع بالابتداء و خبره اعظم. والواو فيها للحال. و مبهورا: مغلوبا. و باقى الفصل ظاهر.

منها:

يَدَّعِي بِزَعْمِهِ أَنَّهُ يَرْجُو ٱللهَ! كَذَبَ والْعَظِيمِ! مَا بَالُهُ لَايَتَبَيَّنُ رَجَاؤُهُ فِي عَمَلِهِ؛ فَكُلُّ مَنْ رَجَا عُرِفَ رَجَاؤُهُ فِي عَمَلِهِ، إِلَّا رَجَاءَ ٱللهِ فَإِنَّهُ مَدْخُولٌ، وَكُلُّ خَوْفٍ مُحَقَّقٌ، إِلَّا خَوْفَ ٱللهِ فَإِنَّهُ مَعْلُولٌ: يَرْجُو ٱللهَ فِي الْكَبِيرِ، وَيَرْجُو الْعِبَادَ فِي الصَّغِيرِ، فَيُعْطِي الْعَبْدَ مَا لَايُعْطِي الرَّبَّ، فَمَا بَالُ ٱللهِ، جَلَّ ثَنَاؤُهُ، يُقَصَّرُ بِهِ عَمَّا يُصْنَعُ لِعِبَادِهِ؟ أَتَخَافُ أَنْ تَكُونَ فِي رَجَائِكَ لَهُ كَاذِبًا، أَوْ تَكُونَ لَا تَرَاهُ لِلرَّجَاءِ مَوْضِعًا، وَكَذٰلِكَ إِنْ هُوَ خَافَ عَبْدًا مِنْ عَبِيدِهِ أَعْطَاهُ مِنْ خَوْفِهِ مَالَايُعْطِي رَبَّهُ، فَجَعَلَ خَوْفَهُ مِنَ الْعِبَادِ نَقْدًا، وَخَوْفَهُ مِنْ خَالِقِهِمْ ضِمَارًا وَوَعْدًا، وَكَذٰلِكَ مَنْ عَظُمَتِ الدُّنْيَا فِي عَيْنِهِ وَكَبُرَ مَوْقِعُهَا فِي قَلْبِهِ، آثَرَهَا عَلَى ٱللهِ فَانْقَطَعَ إِلَيْهَا وَصَارَ عَبْداً لَهَا.

وَقَدْ كَانَ فِي رَسُولِ ٱللهِ، صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، كَافٍ لَكَ فِي الْأُسْوَةِ وَدَلِيلٌ لَكَ عَلَى ذَمِّ الدُّنْيَا وَعَيْبِهَا، وَكَثْرَةِ مَخَازِيهَا وَمَسَاوِيهَا؛ إِذْ قُبِضَتْ عَنْهُ أَطْرَافُهَا، وَوُطِّئَتْ لِغَيْرِهِ أَكْنَافُهَا، وَفُطِمَ عَنْ رَضَاعِهَا، وَزُوِيَ عَنْ زَخَارِفِهَا، وَإِنْ شِئْتَ ثَنَّيْتُ بِمُوسَى كَلِيمِ ٱللهِ، صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، إِذْ يَقُولُ: (رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ)[1] وَٱللهِ مَاسَأَلَهُ إِلَّا خُبْزًا يَأْكُلُهُ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يَأْكُلُ بَقْلَةَ الْأَرْضِ. وَلَقَدْ كَانَتْ خُضْرَةُ الْبَقْلِ تُرَى مِنْ شَفِيفِ صِفَاقِ بَطْنِهِ لِهُزَالِهِ وَتَشَذُّبِ لَحْمِهِ، وَإِنْ شِئْتَ ثَلَّثْتُ بِدَاوُدَ، صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ صَاحِبِ الْمَزَامِيرِ، وَقَارِئِ أَهْلِ الْجَنَّةِ؛ فَلَقَدْ كَانَ يَعْمَلُ سَفَائِفَ الْخُوصِ بِيَدِهِ، وَيَقُولُ لِجُلَسَائِهِ: أَيُّكُمْ يَكْفِينِي بَيْعَهَا؟! وَيَأْكُلُ قُرْصَ الشَّعِيرِ مِنْ ثَمَنِهَا، وَإِنْ شِئْتُ قُلْتُ فِي عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَلَقَدْ كَانَ يَتَوَسَّدُ الْحَجَرَ وَيَلْبَسُ الْخَشِنَ، ويأكل الجَشِب وَكَانَ إِدَامُهُ الْجُوعَ وَسِرَاجُهُ بِاللَّيْلِ

---

١ ـ سورة القصص / ٢٤.

الْقَمَرَ، وَظِلاَلُهُ فِي الشِّتَاءِ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا، وَفَاكِهَتُهُ وَرَيْحَانُهُ مَا تُنْبِتُ الْأَرْضُ لِلْبَهَائِمِ، وَلَمْ تَكُنْ لَهُ زَوْجَةٌ تَفْتِنُهُ، وَلاَوَلَدٌ يَحْزُنُهُ، وَلاَمَالٌ يَلْفِتُهُ، وَلاَ طَمَعٌ يُذِلُّهُ، دَابَّتُهُ رِجْلاَهُ، وَخَادِمُهُ يَدَاهُ.

فَتَأَسَّ بِنَبِيِّكَ الْأَطْيَبِ الْأَطْهَرِ، صلّى اللهُ عليهِ وآلِهِ؛ فَإِنَّ فِيهِ أُسْوَةً لِمَنْ تَأَسَّى، وَعَزَاءً لِمَنْ تَعَزَّى، وَأَحَبُّ الْعِبَادِ إِلَى اللهِ الْمُتَأَسِّي بِنَبِيِّهِ، وَالْمُقْتَصُّ لِأَثَرِهِ: قَضَمَ الدُّنْيَا قَضْمًا، وَلَمْ يُعِرْهَا طَرْفًا، أَهْضَمُ أَهْلِ الدُّنْيَا كَشْحًا، وَأَخْمَصُهُمْ مِنَ الدُّنْيَا بَطْنًا، عُرِضَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهَا، وَعَلِمَ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ أَبْغَضَ شَيْئاً فَأَبْغَضَهُ، وَحَقَّرَ شَيْئاً فَحَقَّرَهُ، وَصَغَّرَ شَيْئاً فَصَغَّرَهُ، وَلَوْلَمْ يَكُنْ فِينَا إِلاَّ حُبُّنَا مَا أَبْغَضَ اللهُ وَرَسُولُهُ، وَتَعْظِيمُنَا مَا صَغَّرَ اللهُ وَرَسُولُهُ؛ لَكَفَى بِهِ شِقَاقًا للهِ، وَمُحَادَّةً عَنْ أَمْرِ اللهِ، وَلَقَدْ كَانَ، صلّى الله عليه وآله وسلّم، يَأْكُلُ عَلَى الْأَرْضِ، وَيَجْلِسُ جِلْسَةَ الْعَبْدِ، وَيَخْصِفُ بِيَدِهِ نَعْلَهُ، وَيَرْقَعُ بِيَدِهِ ثَوْبَهُ، وَيَرْكَبُ الْحِمَارَ الْعَارِيَ، وَيُرْدِفُ خَلْفَهُ، وَيَكُونُ السِّتْرُ عَلَى بَابِ بَيْتِهِ فَتَكُونُ فِيهِ التَّصَاوِيرُ فَيَقُولُ: يَافُلاَنَةُ-لِإِحْدَى أَزْوَاجِهِ- غَيِّبِيهِ عَنِّي؛ فَإِنِّي إِذَا نَظَرْتُ إِلَيْهِ ذَكَرْتُ الدُّنْيَا وَزَخَارِفَهَا، فَأَعْرَضَ عَنِ الدُّنْيَا بِقَلْبِهِ، وَأَمَاتَ ذِكْرَهَا مِنْ نَفْسِهِ، وَأَحَبَّ أَنْ تَغِيبَ زِينَتُهَا عَنْ عَيْنِهِ؛ لِكَيْلاَ يَتَّخِذَ مِنْهَا رِيَاشاً، وَلاَيَعْتَقِدَهَا قَرَارًا، وَلاَيَرْجُوَ فِيهَا مُقَامًا، فَأَخْرَجَهَا مِنَ النَّفْسِ، وَأَشْخَصَهَا عَنِ الْقَلْبِ، وَغَيَّبَهَا عَنِ الْبَصَرِ، وَكَذٰلِكَ مَنْ أَبْغَضَ شَيْئاً أَبْغَضَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهِ، وَأَنْ يُذْكَرَ عِنْدَهُ.

وَلَقَدْ كَانَ فِي رَسُولِ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، مَايَدُلُّكَ عَلَى مَسَاوِئِ الدُّنْيَا وَعُيُوبِهَا؛ إِذْ جَاعَ فِيهَا مَعَ خَاصَّتِهِ، وَزُوِيَتْ عَنْهُ زَخَارِفُهَا مَعَ عَظِيمِ زُلْفَتِهِ. فَلْيَنْظُرْ نَاظِرٌ بِعَقْلِهِ أَكْرَمَ اللهُ مُحَمَّدًا بِذٰلِكَ أَمْ أَهَانَهُ؟! فَإِنْ قَالَ: «أَهَانَهُ» فَقَدْ كَذَبَ وَأَتَى بِالْإِفْكِ الْعَظِيمِ، وَإِنْ قَالَ: «أَكْرَمَهُ» فَلْيَعْلَمْ أَنَّ اللهَ قَدْ أَهَانَ غَيْرَهُ حَيْثُ بَسَطَ الدُّنْيَا لَهُ، وَزَوَاهَا عَنْ أَقْرَبِ النَّاسِ مِنْهُ، فَتَأَسَّى مُتَأَسٍّ بِنَبِيِّهِ، وَاقْتَصَّ أَثَرَهُ، وَوَلَجَ مَوْلِجَهُ، وَإِلاَّ فَلاَ يَأْمَنِ الْهَلَكَةَ؛ فَإِنَّ اللهَ جَعَلَ مُحَمَّدًا، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، عَلَماً لِلسَّاعَةِ، وَمُبَشِّرًا بِالْجَنَّةِ، وَمُنْذِرًا بِالْعُقُوبَةِ: خَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا خَمِيصًا، وَوَرَدَ الْآخِرَةَ سَلِيمًا، لَمْ يَضَعْ حَجَرًا عَلَى حَجَرٍ حَتَّى مَضَى لِسَبِيلِهِ، وَأَجَابَ دَاعِيَ رَبِّهِ، فَمَا أَعْظَمَ مِنَّةَ اللهِ عِنْدَنَا حِينَ أَنْعَمَ عَلَيْنَا بِهِ سَلَفاً نَتَّبِعُهُ، وَقَائِدًا نَطَأُ عَقِبَهُ، وَاللهِ لَقَدْ رَقَعْتُ مِدْرَعَتِي هٰذِهِ حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَاقِعِهَا، وَلَقَدْ قَالَ لِي قَائِلٌ: أَلاَ تَنْبِذُهَا عَنْكَ؟ فَقُلْتُ: اغْرُبْ عَنِّي «فَعِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ السُّرَى».

اقول: مساق الكلام ذمّ من يرجو الله بلا عمل فهو كالمدّعى للرجاء، و تنبيهه ان رجاءه ليس[1] بخالص بتكذيبه، والاشارة الى تقصيره فى العمل و توبيخه عليه. والمدخول: غير الخالص. و قوله: ما باله، الى قوله: عمله، قياس من الشكل الثانى، بيّن فيه، انّ المقصّر غير راج الرجاء التام، وتلخيصه: انّ هذا المدّعى لايتّبين رجاؤه فى عمله، و كل من رجايتّبين رجاؤه فى عمله، فينتج: انّ هذا المدّعى للرجاء غير راج، و تقديرالاستثناء مع المستثنى منه، و كل رجاء لراج تعريف فى عمله خلوص رجائه الّا رجاءالراجى لله فانّه غير خالص. و روى: فكل رجاء الّا رجاءالله فأنه مدخول. والتقدير: و كل رجاء محقّق او خالص ليطابق الكليّتين على مساق واحد. والضمار: مالا يرجى من الوعد. و قبض اطراف الدنيا عنه كناية: عن منعه منهما. والأكناف: الجوانب. و زوى: غيّب. و استعار لفظ الادام: للجوع. و لفظ السراج: للقمر، و الظلال لمشارق الارض و مغاربها. وخص التأسّى بمحمد صلى الله عليه و آله، لكونه مستجمعا لجميع هدى من سبق فالمقتدى به مقتد بجميعهم. والقضم: الأكل بأدنى الفم. والهضيم الخميص: لقلة الأكل. والكشح: الخاصرة. و المحادّة: المعاداة. و جلسة العبد: كما فى التشهّد. والرياش: الزينة. والاخلاق الكريمة التى عدّدها فيه صلى الله عليه و آله هى: الامور المقتدى به فيها. والزلفة: القربة والمنزلة. و قوله: فتأسي: خبر فى معنى الأمر بالتأسيّ. و النبذ: الالقاء. واغرب: تباعد. و قوله: فعند الصباح، الى قوله: السرى، مثل: يضرب لمحتمل المشقة ليصل الى الراحة. واصله: انّ القوم يسيرون ليلاً فيحمدون عاقبة ذلك بقرب المنزل اذا اصبحوا،[2] و مطابقة الصباح لا تصال النفس العاقلة بالملأ الأعلى، و اشراق نورالحق عليها عند مفارقة ظلمة البدن، والهيئات الدنيوية بالرياضة الكاملة التى عندها يحمد عواقب الصبر على مكاره الدنيا، و معاناة شدائدها مطابقة ظاهره حسنة الموقع.

---

١ ـ في ش: غير خالص.

٢ ـ مجمع الامثال ٣/٢، المستقصى فى امثال العرب ١٨٦/٢.

١٦٠ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

بَعَثَهُ بِالنُّورِ الْمُضِيءِ، وَالْبُرْهَانِ الْجَلِيِّ، وَالْمِنْهَاجِ الْبَادِي، وَالْكِتَابِ الْهَادِي: أُسْرَتُهُ خَيْرُ أُسْرَةٍ، وَشَجَرَتُهُ خَيْرُ شَجَرَةٍ: أَغْصَانُهَا مُعْتَدِلَةٌ، وَثِمَارُهَا مُتَهَدِّلَةٌ مَوْلِدُهُ بِمَكَّةَ، وَهِجْرَتُهُ بِطَيْبَةَ، عَلاَبِهَا ذِكْرُهُ، وَامْتَدَّ بِهَا صَوْتُهُ. أَرْسَلَهُ بِحُجَّةٍ كَافِيَةٍ، وَمَوْعِظَةٍ شَافِيَةٍ، وَدَعْوَةٍ مُتَلاَفِيَةٍ، أَظْهَرَ بِهِ الشَّرَائِعَ الْمَجْهُولَةَ، وَقَمَعَ بِهِ الْبِدَعَ الْمَدْخُولَةَ، وَبَيَّنَ بِهِ الْأَحْكَامَ الْمَفْصُولَةَ، فَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلاَمِ دِيناً تَتَحَقَّقْ شِقْوَتُهُ،وَتَنْفَصِمْ عُرْوَتُهُ، وَتَعْظُمْ كَبْوَتُهُ، وَيَكُنْ مَآبُهُ إِلَى الْحُزْنِ الطَّوِيلِ، وَالْعَذَابِ الْوَبِيلِ.

وَأَتَوَكَّلُ عَلَى اللهِ تَوَكُّلَ الْإِنَابَةِ إِلَيْهِ، وَأَسْتَرْشِدُهُ السَّبِيلَ الْمُؤَدِّيَةَ إِلَى جَنَّتِهِ؛ الْقَاصِدَةَ إِلَى مَحَلِّ رَغْبَتِهِ. أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللهِ بِتَقْوَى اللهِ وَطَاعَتِهِ، فَإِنَّهَا النَّجَاةُ غَداً، وَالْمَنْجَاةُ أَبَداً، رَهَّبَ فَأَبْلَغَ، وَرَغَّبَ فَأَسْبَغَ، وَوَصَفَ لَكُمُ الدُّنْيَا وَانْقِطَاعَهَا وَزَوَالَهَا وَانْتِقَالَهَا، فَأَعْرِضُوا عَمَّا يُعْجِبُكُمْ فِيهَا لِقِلَّةِ مَا يَصْحَبُكُمْ مِنْهَا. أَقْرَبُ دَارٍ مِنْ سُخْطِ اللهِ، وَأَبْعَدُهَا مِنْ رِضْوَانِ اللهِ! فَغُضُّوا عَنْكُمْ عِبَادَاللهِ غُمُومَهَا وَأَشْغَالَهَا لِمَا أَيْقَنْتُمْ بِهِ مِنْ فِرَاقِهَا وَتَصَرُّفِ حَالِهَا، فَاحْذَرُوهَا حَذَرَ الشَّفِيقِ النَّاصِحِ، وَالْمُجِدِّ الْكَادِحِ، وَاعْتَبِرُوا بِمَا قَدْ رَأَيْتُمْ مِنْ مَصَارِعِ الْقُرُونِ قَبْلَكُمْ: قَدْ تَزَايَلَتْ أَوْصَالُهُمْ، وَزَالَتْ أَبْصَارُهُمْ وَأَسْمَاعُهُمْ، وَذَهَبَ شَرَفُهُمْ وَعِزُّهُمْ، وَانْقَطَعَ سُرُورُهُمْ وَنَعِيمُهُمْ، فَبُدِّلُوا بِقُرْبِ الْأَوْلاَدِ فَقْدَهَا، وَبِصُحْبَةِ الْأَزْوَاجِ مُفَارَقَتَهَا، لاَيَتَفَاخَرُونَ، وَلاَيَتَنَاسَلُونَ، وَلاَيَتَزَاوَرُونَ، وَلاَ يَتَجَاوَرُونَ. فَاحْذَرُوا عِبَادَ اللهِ حَذَرَ الْغَالِبِ لِنَفْسِهِ، الْمَانِعِ لِشَهْوَتِهِ، النَّاظِرِ بِعَقْلِهِ؛ فَإِنَّ الْأَمْرَ وَاضِحٌ، وَالْعَلَمَ قَائِمٌ، وَالطَّرِيقَ جَدَدٌ، وَالسَّبِيلَ قَصْدٌ.

اقول: استعار لفظ النور: لهدى النبوّة. والبرهان الجليّ: المعجزات، والمنهاج البادي: شريعته الواضحة و اسرته: اهله، و استعار لفظ الشجرة: لقريش، و لفظ الأغصان: لأشخاص بيته صلى الله عليه و آله، و اعتدال هذه الاغصان: تقاربهم في الفضل، و لفظ الثمار: لفضائلهم العلمية و العمليّة. و لفظ التهدّل: لظهورها و كثرتها، و سهولة الانتفاع بها. و طيبة: اسم للمدينة. وامتداد صوته كناية: عن انتشار دعوته. و تلافي دعوته: تداركها للخلق، و انقاذهم اياهم من الهلكة. و الشرائع المجهولة: طرق

دينه، والمدخولة: التي فيها. دخل بالتحريك اى: عيب، وعروته: استعارة فى متمسكه من عصم النجاة. والوبيل: المهلك. والضمير فى رهّب و رغّب لله. والاعراض عن الدنيا هو: الزهد الحقيقىّ. و غضّ غمومها: كفّها. والكادح: المجدّ فى السّعى والعمل، والغالب لنفسه اى: الأمّارة بالسوء. الناظر بعين عقله مقابح شهوته. والأمر الواضح: سبيل الخير و الشرّ. والعلم القائم: كتاب الله و دينه. والفصل واضح.

١٦١ـ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

لبعض أصحابه وقد سأله: كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وأنتم أحق به؟

فقال:

يَاأَخَا بَنِي أَسَدٍ، إِنَّكَ لَقَلِقُ الْوَضِينِ، تُرْسِلُ فِي غَيْرِ سَدَدٍ! وَلَكَ بَعْدُ ذِمَامَةُ الصِّهرِ وَحَقُّ الْمَسْأَلَةِ، وَقَدِ اسْتَعْلَمْتَ فَاعْلَمْ: أَمَّا الْاِسْتِبْدَادُ عَلَيْنَا بِهٰذَا الْمقَامِ ـ وَنَحْنُ الْأَعْلَوْنَ نَسَبًا، وَالْأَشَدُّونَ بِرَسُولِ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، نَوْطًا ـ فَإِنَّهَا كَانَتْ أَثَرَةً شَحَّتْ عَلَيْهَا نُفُوسُ قَوْمٍ، وَسَخَتْ عَنْهَا نُفُوسُ آخَرِينَ، وَالْحَكَمُ اللهُ وَالْمعودُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وَدَعْ عَنْكَ نَهْبًا صِيحَ فِي حَجَرَاتِهِ ٭ وَهَلُمَّ الْخَطْبَ فِي ابْنِ أَبِي سُفْيَانَ فَلَقَدْ أَضْحَكَنِي الدَّهْرُ بَعْدَ إِبْكَائِهِ، وَلَاغَرْوَ وَاللهِ فَيَالَهُ خَطْبًا يَسْتَفْرِغُ الْعَجَبَ وَيُكْثِرُ الْأَوَدَ، حَاوَلَ الْقَوْمُ إِطْفَاءَ نُورِ اللهِ مِنْ مِصْبَاحِهِ، وَسَدَّ فَوَّارِهِ مِنْ يَنْبُوعِهِ. وَجَدَحُوا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ شِرْباً وَبِيئاً. فَإِنْ تَرْتَفِعْ عَنَّا وَعَنْهُمْ مِحَنُ الْبَلْوَى أَحْمِلْهُمْ مِنَ الْحَقِّ عَلَى مَحْضِهِ، وَإِنْ تَكُنِ الْأُخْرَى (فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ؛ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ).[١]

اقول: الوضين: الحزام. والمثل يقال: لمن لايتثبت في قوله: والسدد: الصواب. والذمامة بالكسر: الحرمة. و امّا كون الأسدى صهرا فلان زينب بنت جحش زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله كانت اسديّة و امّها ميمونة بنت عبدالمطلب، فهي بنت عمة رسول الله. قالوا: والمصاهرة المشار اليها هذه. و قيل: بل كان على عليه السلام متزوّجا

١ ـ سورة فاطر / ٨.

فی بنی اسد. والنوط: التعلّق. والأثرة: الاستبداد بالشئ، يقال: لما يستبدّ به، والمراد: الخلافة. والبيت لأمرئ القيس، و أصله انه تنقل فی احياء العرب بعد قتل أبيه، فنزل علی رجل من جديله طئ يقال له طريف فأحسن جواره فمدحه و اقام معه. ثمّ إنّه خاف ان لايمنعُهُ فتحوّل عنه، و نزل علی خالدبن سدوس بن اسمع النبهانی، فأغارت بنوجديله عليه و هو فی جوار خالد، فذهبوابإبله فلما أتاه الخبر ذكر ذلك لخالد، فقال له: اعطنی رواحلك اُلحَقُ عليها، فاردّ عليك ابلك ففعل، فركب خالد فی اثر القوم حتی ادركهم، فقال: يا بنی جديله اغرتم علی ابل جاری؟ قالوا: ما هو لك بجار، قال: بلی والله، و هذه رواحله. فرجعوا اليه، فأنزلوه عنهن و ذهبوا بهن و بالابل، فقال امرؤ القيس القصيدة التی اوّلها البيت:

فدع عنك نهبا صيح فی حجراته وهاتِ حديثاً ما حديث الرواحل

والنهب: المنهوب. و حجراته: جوانبه. و حديث الثانی: مبتدا، والاوّل: خبره، وما: للتنكير، و هی التی اذا دخلت علی اسم زادته ابهاما، كقوله: لأمر ما جدع قصير انفه؟ و اراد: انّی لا ادری كيف هو و ذلك انه قيل: ان خالداهو الّذی ذهب بالرواحل فكان عنده شكّ فی امرها. فأما مطابقته لما هوفيه فهوانّ الائمة السابقين وان كانواقد استبدّوا بهذا الأمر فحديثهم مفهوم: اذ لهم الشبهة بالقدمة فی الاسلام، والهجرة، و قرب المنزلة من الرسول فدع ذكرهم و ذكر نهبهم لهذا المقام فيما سبق، و لكن هات ما نحن فيه الآن من خطب معاوية، والخطب الحادث. و لاغرو ای: لاعجب. والأود: الاعوجاج. والقوم: قريش. و استعار لفظ المصباح: لنفسه لانّ انوار دين الله تقتبس منه. و لفظ الينبوع اذ هو منبع ما يفوز من العلوم التی هی ماء الحياة الأبدية. و لفظ الشرب الوبئ: لما حصل فی صدورهم من الاحن بسبب هذا الأمر حتی لزم عنه القتل، والقتال الی يوم القيامة. و وصف الجدح بالجيم بعده الحاء و هو: الخلط للكدر الواقع بينهم و اختلاط الامر بسبب ذلك. و محن البلوی: المحن ممّا ابتلاهم الله به من الخلاف، و محض الشئ: خالصة.

١٦٢ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

الْحَمْدُللهِ خَالِقِ الْعِبَادِ، وَسَاطِحِ الْمِهَادِ، وَمُسِيلِ الْوِهَادِ، وَمُخْصِبِ النِّجَادِ لَيْسَ لِأَوَّلِيَّتِهِ ابْتِدَاءٌ، وَلَا لِأَزَلِيَّتِهِ انْقِضَاءٌ، هُوَ الْأَوَّلُ لَمْ يَزَلْ، وَالْبَاقِي بِلَاأَجَلٍ خَرَّتْ لَهُ الْجِبَاهُ، وَوَحَّدَتْهُ الشِّفَاهُ، حَدَّالْأَشْيَاءَ عِنْدَ خَلْقِهِ لَهَا إِبَانَةً لَهُ مِنْ شَبَهِهَا، لَا تُقَدِّرُهُ الْأَوْهَامُ بِالْحُدُودِ وَالْحَرَكَاتِ، وَلَابِالْجَوَارِحِ وَالْأَدَوَاتِ لَايُقَالُ لَهُ: «مَتَى؟» وَلَايُضْرَبُ لَهُ أَمَدٌ بِحَتَّى، الظَّاهِرُ لَايُقَالُ «مِمَّا»، وَالْبَاطِنُ لَايُقَالُ «فِيمَا»، لَاشَبَحٌ فَيَتَقَضَّى، وَلَامَحْجُوبٌ فَيُحْوَى. لَمْ يَقْرُبْ مِنَ الْأَشْيَاءِ بِالْتِصَاقٍ، وَلَمْ يَبْعُدْ عَنْهَا بِافْتِرَاقٍ، لَايَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ عِبَادِهِ شُخُوصُ لَحْظَةٍ، وَلَاكُرُورُ لَفْظَةٍ، وَلَاازْدِلَافُ رَبْوَةٍ، وَلَا انْبِسَاطُ خُطْوَةٍ فِي لَيْلٍ دَاجٍ، وَلَاغَسَقٍ سَاجٍ، يَتَفَيَّأُ عَلَيْهِ الْقَمَرُ الْمُنِيرُ، وَتَعْقُبُهُ الشَّمْسُ ذَاتُ النُّورِ، فِي الْأُفُولِ وَالْكُرُورِ، وَتَقَلُّبِ الْأَزْمِنَةِ وَالدُّهُورِ، مِنْ إِقْبَالِ لَيْلٍ مُقْبِلٍ، وَإِدْبَارِ نَهَارٍ مُدْبِرٍ، قَبْلَ كُلِّ غَايَةٍ وَمُدَّةٍ، وَكُلِّ إِحْصَاءٍ وَعِدَّةٍ، تَعَالَى عَمَّا يَنْحَلُهُ الْمُحَدِّدُونَ مِنْ صِفَاتِ الْأَقْدَارِ، وَنِهَايَاتِ الْأَقْطَارِ، وَتَأَثُّلِ الْمَسَاكِنِ، وَتَمَكُّنِ الْأَمَاكِنِ: فَالْحَدُّ لِخَلْقِهِ مَضْرُوبٌ، وَإِلَى غَيْرِهِ مَنْسُوبٌ، لَمْ يَخْلُقِ الْأَشْيَاءَ، مِنْ أُصُولٍ أَزَلِيَّةٍ، وَلَا مِنْ أَوَائِلَ أَبَدِيَّةٍ، بَلْ خَلَقَ مَا خَلَقَ فَأَقَامَ حَدَّهُ، وَصَوَّرَ مَاصَوَّرَ فَأَحْسَنَ صُورَتَهُ، لَيْسَ لِشَيْءٍ مِنْهُ امْتِنَاعٌ، وَلَا لَهُ بِطَاعَةِ شَيْءٍ انْتِفَاعٌ. عِلْمُهُ بِالْأَمْوَاتِ الْمَاضِينَ كَعِلْمِهِ بِالْأَحْيَاءِ الْبَاقِينَ وَعِلْمُهُ بِمَا فِي السَّمَوَاتِ الْعُلَى كَعِلْمِهِ بِمَا فِي الْأَرَضِينَ السُّفْلَى.

أقول: ساطع المهاد: جاعل الأرض مهادًا للحيوان. والوهاد: جمع وهدة و هي: المطمئن من الأرض. والنجاد جمع نجد و هو: المرتفع منها. و اشار بعدم ابتداء اوليّته: الى قدمه لذاته و بعدم انقضاء ازليّته: الى سلب الغاية عن وجوده. و حدّه للاشياء: جعلها ذات حدود، و نهايات من اجزاء و اشكال، و اقطار تنتهي بها. ولما ظهر من خلقه تعالى للموجودات انّه مباين لها بذاته اشبهت ارادته لأيجادها قصد إبانته منها، فاستعار لفظها لتميزه بذاته عنها. و لما كانت الأوهام لا تدركه لا جرم لم يمكن تقديرها ايّاه بما من شأنها الادراك به مما عدّد، و لما تنزّه عن الزمان و المادة والمكان لم تصدق عليه الألفاظ المقولة بحسبها. و شخوص اللحظة مدّالبصر. و ازدلاف الربوة: تقدمها اى: الربوة

المتقدّمة. والضمير في «عليه» للغسق. و في تعقبه للقمر. و قوله: من اقبال ليل: متعلق بتقليب. والبدئة: المبتدأة، و اشار بتشابه علمه في الماضين والباقين، و بما في السماوات والأرضين: الى ازليّته و عدم تجدّده تغيره.

منها:

أَيُّهَا الْمَخْلُوقُ السَّوِيُّ، وَالْمُنْشَأُ الْمَرْعِيُّ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْحَامِ وَمُضَاعَفَاتِ الْأَسْتَارِ؛ بُدِئْتَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ، وَوُضِعْتَ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ، وَأَجَلٍ مَقْسُومٍ، تَمُورُ فِي بَطْنِ أُمِّكَ جَنِيناً: لَا تُحِيرُ دُعَاءً، وَلَا تَسْمَعُ نِدَاءً، ثُمَّ أُخْرِجْتَ مِنْ مَقَرِّكَ إِلَى دَارٍ لَمْ تَشْهَدْهَا، وَلَمْ تَعْرِفْ سُبُلَ مَنَافِعِهَا، فَمَنْ هَدَاكَ لِاجْتِرَارِ الْغِذَاءِ مِنْ ثَدْيِ أُمِّكَ؟ وَعَرَّفَكَ عِنْدَ الْحَاجَةِ مَوَاضِعَ طَلَبِكَ وَإِرَادَتِكَ؟ هَيْهَاتَ! إِنَّ مَنْ يَعْجِزُ عَنْ صِفَاتِ ذِي الْهَيْئَةِ وَالْأَدَوَاتِ فَهُوَ عَنْ صِفَاتِ خَالِقِهِ أَعْجَزُ؛ وَمِنْ تَنَاوُلِهِ بِحُدُودِ الْمَخْلُوقِينَ أَبْعَدُ.

اقول: الخطاب للإنسان. والسويّ: مستوى الخلقة. والمرعى: المعتنى بأمره. و نبّه بكونه مخلوقا سويّا مرعيا في اطوار خلقته و تقلّبات حالاته الى غايته على وجود صانع حكيم لطيف خبير، وهذا القدر من المعرفة هو الضروري للفطن، وان احتاج الى تنبيه ما، وما وراء ذلك فامر لا تطلع العقول البشرية منه الّا على اعتبارات، ومقايسات له الى خلقه كما سبق بيانه. و نبّه على بعد ادراكه بقوله: هيهات، الى قوله: والادوات اى: من يعجز عن صفات نفسه في حال بخليقه، والاطلاع على منافع جزئيات اعضائه مع كونها اقرب الاشياء اليه، فهو عن وصف خالقه الذى هو ابعد الاشياء عنه مناسبة اعجز، ومن ادراكه بالمقايسة، والتشبيه بحدود المخلوقات و صفاتها أبعد.

١٦٣ ـ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

لما اجتمع الناس عليه وشكوا ما نقموه على عثمان، وسألوه مخاطبته عنهم واستعتابه لهم، فدخل عليه فقال:ـ

إِنَّ النَّاسَ وَرَائِي، وَقَدِ اسْتَسْفَرُونِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ، وَوَاللهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لَكَ؟! مَا أَعْرِفُ شَيْئاً تَجْهَلُهُ، وَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى أَمْرٍ لاَ تَعْرِفُهُ. إِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نَعْلَمُ، مَا سَبَقْنَاكَ إِلَى شَيْءٍ فَنُخْبِرَكَ عَنْهُ، وَلاَ خَلَوْنَا بِشَيْءٍ فَنُبَلِّغَكَهُ، وَقَدْ رَأَيْتَ كَمَا رَأَيْنَا، وَسَمِعْتَ كَمَا سَمِعْنَا، وَصَحِبْتَ رسولَ اللهِ كَمَا صَحِبْنَا، وَمَا ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ وَلاَ ابْنُ الْخَطَّابِ أَوْلَى بِعَمَلِ الْحَقِّ مِنْكَ، وَأَنْتَ أَقْرَبُ إِلَى رسولِ اللهِ، صلى الله عليه وآله وسلم، وَشِيجَةَ رَحِمٍ مِنْهُمَا، وَقَدْ نِلْتَ مِنْ صِهْرِهِ مَالَمْ يَنَالاَ، فَاللهَ اللهَ فِي نَفْسِكَ فَإِنَّكَ، وَاللهِ، مَا تُبَصَّرُ مِنْ عَمىً، وَلاَ تُعَلَّمُ مِنْ جَهْلٍ، وإِنَّ الطُّرُقَ لَوَاضِحَةٌ، وَإِنَّ أَعْلاَمَ الدِّينِ لَقَائِمَةٌ. فَاعْلَمْ أَنَّ أَفْضَلَ عِبَادِ اللهِ عِنْدَ اللهِ إِمَامٌ عَادِلٌ هُدِيَ وَهَدَى، فَأَقَامَ سُنَّةً مَعْلُومَةً، وَأَمَاتَ بِدْعَةً مَجْهُولَةً، وَإِنَّ السُّنَنَ لَنَيِّرَةٌ لَهَا أَعْلاَمٌ، وَإِنَّ الْبِدَعَ لَظَاهِرَةٌ لَهَا أَعْلاَمٌ، وَإِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللهِ إِمَامٌ جَائِرٌ ضَلَّ وَضُلَّ بِهِ، فَأَمَاتَ سُنَّةً مَأْخُوذَةً، وَأَحْيَا بِدْعَةً مَتْرُوكَةً، وَإِنِّي سَمِعْتُ رسولَ اللهِ، صلى الله عليه وآله وسلم، يَقُولُ: «يُؤْتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالإِمَامِ الْجَائِرِ وَلَيْسَ مَعَهُ نَصِيرٌ وَلاَ عَاذِرٌ، يُلْقَى فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَيَدُورُ فِيهَا كَمَا تَدُورُ الرَّحَى: ثُمَّ يَرْتَبِطُ فِي قَعْرِهَا»، وَإِنِّي أَنْشُدُكَ اللهَ أَنْ لاَ تَكُونَ إِمَامَ هٰذِهِ الأُمَّةِ الْمَقْتُولَ؛ فَإِنَّهُ كَانَ يُقَالُ: يُقْتَلُ فِي هٰذِهِ الأُمَّةِ إِمَامٌ يَفْتَحُ عَلَيْهَا الْقَتْلَ وَالْقِتَالَ إلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَيَلْبِسُ أُمُورَهَا عَلَيْهَا، وَيَبُثُّ الْفِتَنَ فِيهَا، فَلاَ يُبْصِرُونَ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ؛ يَمُوجُونَ فِيهَا مَوْجاً، وَيَمْرُجُونَ فِيهَا مَرْجاً، فَلاَ تَكُونَنَّ لِمَرْوَانَ سَيِّقَةً، يَسُوقُكَ حَيْثُ شَاءَ بَعْدَ جَلاَلِ السِّنِّ، وَتَقَضِّي الْعُمُرِ!!

فقال له عثمان رضي الله عنه: كلم الناس في أن يؤجلوني حتى أخرج إليهم من مظالمهم، فقال عليه السلام:

مَا كَانَ بِالْمَدِينَةِ فَلاَ أَجَلَ فِيهِ، وَمَاغَابَ فَأَجَلُهُ وُصُولُ أَمْرِكَ إِلَيْهِ.

اقول: استسفروني: بعثوني رسولاً. والوشيجة: عروق الشجرة. و استعار لفظها:

لنسبته من رسول الله صلى الله عليه و آله، و اما كونه اقرب من الشيخين، فكونه من ولد عبدمناف دونهما. والطرق الواضحة طرق الدين. و اعلامه ادلته و ائمته. والسّيقة بتشديد الياء: ما يسوقه العدوّ في الغارة من الدواب. و قد كان مروان من أقوى الاسباب الباعثة على قتلة، بتصريفه إيّاه عليٰ، حسب آرائه و عكس الاراء[1] التي كان يشار عليه بها.

١٦٤ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

يذكر فيها عجيب خلقة الطاووس

اَبْتَدَعَهُمْ خَلْقاً عَجِيباً مِنْ حَيَوَانٍ وَمَوَاتٍ، وَسَاكِنٍ وَذِي حَرَكَاتٍ، فَأَقَامَ مِنْ شَوَاهِدِ الْبَيِّنَاتِ عَلَى لَطِيفِ صَنْعَتِهِ وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ مَا انْقَادَتْ لَهُ الْعُقُولُ مُعْتَرِفَةً بِهِ، وَمُسَلِّمَةً لَهُ، وَنَعَقَتْ فِي أَسْمَاعِنَا دَلاَئِلُهُ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ، وَمَاذَرَأَ مِنْ مُخْتَلِفِ صُوَرِ الْأَطْيَارِ، الَّتِي أَسْكَنَهَا أَخَادِيدَ الْأَرْضِ، وَخُرُوقَ فِجَاجِهَا وَرَوَاسِيَ أَعْلاَمِهَا، مِنْ ذَاتِ أَجْنِحَةٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَهَيْئَاتٍ مُتَبَايِنَةٍ، مُصَرَّفَةٍ فِي زِمَامِ التَّسْخِيرِ، وَمُرَفْرِفَةٍ بِأَجْنِحَتِهَا فِي مَخَارِقِ الْجَوِّ الْمُنْفَسِحِ وَالْفَضَاءِ الْمُنْفَرِجِ، كَوَّنَهَا بَعْدَ أَنْ لَمْ تَكُنْ فِي عَجَائِبِ صُوَرٍ ظَاهِرَةٍ، وَرَكَّبَهَا فِي حِقَاقِ مَفَاصِلَ مُحْتَجِبَةٍ، وَمَنَعَ بَعْضَهَا بِعَبَالَةِ خَلْقِهِ أَنْ يَسْمُوَ فِي السَّمَاءِ خُفُوفاً، وَجَعَلَهُ يَدِفُّ دَفِيفاً، وَنَسَقَهَا عَلَى اخْتِلاَفِهَا فِي الْأَصَابِيغِ، بِلَطِيفِ قُدْرَتِهِ، وَدَقِيقِ صَنْعَتِهِ، فَمِنْهَا مَغْمُوسٌ فِي قَالَبِ لَوْنٍ لاَيَشُوبُهُ غَيْرُ لَوْنِ مَا غُمِسَ فِيهِ؛ وَمِنْهَا مَغْمُوسٌ فِي لَوْنِ صِبْغٍ قَدْ طُوِّقَ بِخِلاَفِ مَا صُبِغَ بِهِ.

وَمِنْ أَعْجَبِهَا خَلْقاً الطَّاوُوسُ الَّذِي أَقَامَهُ فِي أَحْكَمِ تَعْدِيلٍ، وَنَضَّدَ أَلْوَانَهُ فِي أَحْسَنِ تَنْضِيدٍ، بِجَنَاحٍ أَشْرَجَ قَصَبَهُ، وَذَنَبٍ أَطَالَ مَسْحَبَهُ، إِذَا دَرَجَ إِلَى الْأُنْثَى نَشَرَهُ مِنْ طَيِّهِ، وَسَمَا بِهِ مُطِلاً عَلَى رَأْسِهِ، كَأَنَّهُ قِلْعُ دَارِيٍّ عَنَجَهُ نُوتِيُّهُ يَخْتَالُ بِأَلْوَانِهِ، وَيَمِيسُ بِزَيَفَانِهِ، يُفْضِي كَإِفْضَاءِ الدِّيَكَةِ، وَيَؤُرُّ بِمُلاَقَحَةٍ أَرَّ الْفُحُولِ الْمُغْتَلِمَةِ فِي الضِّرَابِ! أُحِيلُكَ مِنْ ذٰلِكَ عَلَى مُعَايَنَةٍ، لاَكَمَنْ يُحِيلُ عَلَى ضَعِيفٍ إِسْنَادِهِ؛ وَلَوْ كَانَ كَزَعْمِ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّهُ يُلْقِحُ بِدَمْعَةٍ تَسْفَحُهَا مَدَامِعُهُ، فَتَقِفُ فِي ضَفَّتَيْ جُفُونِهِ، وَإِنَّ أُنْثَاهُ تَطْعَمُ ذٰلِكَ ثُمَّ تَبِيضُ لاَمِنْ لِقَاحِ فَحْلٍ سِوَى الدَّمْعِ الْمُنْبَجِسِ لَمَا كَانَ ذٰلِكَ بِأَعْجَبَ مِنْ مُطَاعَمَةِ الْغُرَابِ تَخَالُ قَصَبَهُ مَدَارِيَ مِنْ

[1] ـ في نسخة ش هكذا: حسب آرائه التي كان يشاء عليه بها.

فِضَّةٍ، وَمَا أُنْبِتَ عَلَيْهِ مِنْ عَجِيبِ دَارَاتِهِ وَشُمُوسِهِ خَالِصَ الْعِقْيَانِ وَفِلَذَ الزَّبَرْجَدِ؛ فَإِنْ شَبَّهْتَهُ بِمَا أَنْبَتَتِ الْأَرْضُ قُلْتَ: جَنًى جُنِيَ مِنْ زَهْرَةِ كُلِّ رَبِيعٍ: وَإِنْ ضَاهَيْتَهُ بِالْمَلَابِسِ، فَهُوَ كَمَوْشِيِّ الْحُلَلِ، أَوْ مُونِقِ عَصْبِ الْيَمَنِ؛ وَإِنْ شَاكَلْتَهُ بِالْحُلِيِّ فَهُوَ كَفُصُوصٍ ذَاتِ أَلْوَانٍ قَدْ نُطِّقَتْ بِاللُّجَيْنِ الْمُكَلَّلِ، يَمْشِي مَشْيَ الْمَرِحِ الْمُخْتَالِ، وَيَتَصَفَّحُ ذَنَبَهُ وَجَنَاحَيْهِ فَيُقَهْقِهُ ضَاحِكًا لِجَمَالِ سِرْبَالِهِ، وَأَصَابِيغِ وِشَاحِهِ.

فَإِذَا رَمَى بِبَصَرِهِ إِلَى قَوَائِمِهِ زَقَا مُعْوِلًا بِصَوْتٍ يَكَادُ يُبِينُ عَنِ اسْتِغَاثَتِهِ. وَيَشْهَدُ بِصَادِقِ تَوَجُّعِهِ؛ لِأَنَّ قَوَائِمَهُ حُمْشٌ كَقَوَائِمِ الدِّيَكَةِ الْخِلَاسِيَّةِ، وَقَدْ نَجَمَتْ مِنْ ظُنْبُوبِ سَاقِهِ صِيصِيَةٌ خَفِيَّةٌ، وَلَهُ فِي مَوْضِعِ الْعُرْفِ قُنْزُعَةٌ خَضْرَاءُ، مُوَشَّاةٌ، وَمَخْرَجُ عُنُقِهِ كَالْإِبْرِيقِ؛ وَمَغْرَزُهَا إِلَى حَيْثُ بَطْنُهُ كَصِبْغِ الْوَسِمَةِ الْيَمَانِيَّةِ، أَوْ كَحَرِيرَةٍ مُلْبَسَةٍ مِرْآةً ذَاتَ صِقَالٍ، وَكَأَنَّهُ مُتَلَفِّعٌ بِمِعْجَرٍ أَسْحَمَ إِلَّا أَنَّهُ يُخَيَّلُ لِكَثْرَةِ مَائِهِ وَشِدَّةِ بَرِيقِهِ أَنَّ الْخُضْرَةَ النَّاضِرَةَ مُمْتَزِجَةٌ بِهِ. وَمَعَ فَتْقِ سَمْعِهِ خَطٌّ كَمُسْتَدَقِّ الْقَلَمِ فِي لَوْنِ الْأُقْحُوَانِ، أَبْيَضُ يَقَقٌ، فَهُوَ بِبَيَاضِهِ فِي سَوَادِ مَا هُنَالِكَ يَأْتَلِقُ. وَقَلَّ صِبْغٌ إِلَّا وَقَدْ أَخَذَ مِنْهُ بِقِسْطٍ، وَعَلَاهُ بِكَثْرَةِ صِقَالِهِ وَبَرِيقِهِ وَبَصِيصِ دِيبَاجِهِ وَرَوْنَقِهِ، فَهُوَ كَالْأَزَاهِيرِ الْمَبْثُوثَةِ لَمْ تُرَبِّهَا أَمْطَارُ رَبِيعٍ، وَلَا شُمُوسُ قَيْظٍ، وَقَدْ يَنْحَسِرُ مِنْ رِيشِهِ، وَيَعْرَى مِنْ لِبَاسِهِ فَيَسْقُطُ تَتْرَى، وَيَنْبُتُ تِبَاعًا، فَيَنْحَتُّ مِنْ قَصَبِهِ انْحِتَاتَ أَوْرَاقِ الْأَغْصَانِ ثُمَّ يَتَلَاحَقُ نَامِيًا حَتَّى يَعُودَ كَهَيْئَتِهِ قَبْلَ سُقُوطِهِ: لَا يُخَالِفُ سَالِفَ أَلْوَانِهِ، وَلَا يَقَعُ لَوْنٌ فِي غَيْرِ مَكَانِهِ. وَإِذَا تَصَفَّحْتَ شَعْرَةً مِنْ شَعَرَاتِ قَصَبِهِ أَرَتْكَ حُمْرَةً وَرْدِيَّةً، وَتَارَةً خُضْرَةً زَبَرْجَدِيَّةً، وَأَحْيَانًا صُفْرَةً عَسْجَدِيَّةً، فَكَيْفَ تَصِلُ إِلَى صِفَةِ هٰذَا عَمَائِقُ الْفِطَنِ، أَوْ تَبْلُغُهُ قَرَائِحُ الْعُقُولِ، أَوْ تَسْتَنْظِمُ وَصْفَهُ أَقْوَالُ الْوَاصِفِينَ وَأَقَلُّ أَجْزَائِهِ قَدْ أَعْجَزَ الْأَوْهَامَ أَنْ تُدْرِكَهُ وَالْأَلْسِنَةَ أَنْ تَصِفَهُ؟! فَسُبْحَانَ الَّذِي بَهَرَ الْعُقُولَ، عَنْ وَصْفِ خَلْقٍ جَلَّاهُ لِلْعُيُونِ فَأَدْرَكَتْهُ مَحْدُودًا مُكَوَّنًا وَمُؤَلَّفًا مُلَوَّنًا؛ وَأَعْجَزَ الْأَلْسُنَ عَنْ تَلْخِيصِ صِفَتِهِ وَقَعَدَ بِهَا عَنْ تَأْدِيَةِ نَعْتِهِ. وَسُبْحَانَ مَنْ أَدْمَجَ قَوَائِمَ الذَّرَّةِ وَالْهَمَجَةِ إِلَى مَا فَوْقَهُمَا مِنْ خَلْقِ الْحِيتَانِ وَالْفِيَلَةِ؛ وَوَأَى عَلَى نَفْسِهِ أَنْ لَا يَضْطَرِبَ شَبَحٌ مِمَّا أَوْلَجَ فِيهِ الرُّوحَ إِلَّا وَجَعَلَ الْحِمَامَ مَوْعِدَهُ وَالْفَنَاءَ غَايَتَهُ.

أقول: غرض الخطبة التنبيه على عجائب صنع الله، لغاية الإلتفات اليه، و شواهد البيّنات ما ظهر للعقول من لطائف المخلوقات، فاستدلّت بها علىٰ حكمته و قدرته. و

«ما» الاول: مفعول لاقام. والضمير فى له: يرجع الى ما و فىّ به. و له الثانية: يرجع الى الله، وفى دلائله يحتمل العود الى كل منهما. و ما الثانيّة: محلّها الجرّ عطفا على الضمير فى دلائله، و استعار وصف النعيق: لظهور تلك الدلائل فى العقل كالأصوات الظاهرة عندالسمع. و الاخاديد: شقوق الأرض و شعابها. و الفج: الطريق بين الجبلين. و رواسي أعلامها: ثوابت جبالها. و عبل الجثة: كالنعام. و خصّ الطاووس بشرح الوصف لكونه أدلّ على كمال القدرة لإشتماله على جميع الألوان. و قصبه قصب ريشه. أشرج قصبه: ضبط اصولها بالأعصاب والعظام، وشرح بعضها ببعض. والقلع: الشراع. والداريّ: نسبة الى دارين مدينة قديمة بساحل القطيف من البحرين[1] يقال: انّ الطيب كان يجلب اليها. و شبّه ذنبه: بالقلع الدّارى عند ارادته للفساد، باعتبار انّه يرفعه و ينشره فيصير كالشراع. و عنجه: عطفه، و اداره. النوتي: الربان للسفينة: و يختال: يتداخله الخيلاء. والافضاء: النكاح. وأَرَّ الفَحْلُ بالراء المهملة نكح. و الملاقحة: المناكحة. و روى: بملاقحه بالهاء أي: محالّ لقاحه.

و قوله: و لو كان كزعم، الى قوله: المنبجس، اى: لو كان حاله فى النكاح كزعم من يزعم انّ الذكر يلقح بدمعة تنشجها مدامعه، اى: تغص بها فيقف الدمع فى ضفتى اجفانه، اى: جانباها فتطعمها الأنثى فتلقح من تلك الدمعة لما كان ذلك بأعجب ممّا يقال فى مطاعمة الغراب. فانّ العرب تزعم انّ الغراب لايسفد، و من أمثالهم: اخفى من سفاد الغراب، و يزعمون انّ اللقاح من مطاعمة الذكر و الأنثى، و ايصال جزء من الماء الذى فى فايضته اليها بأن يضع كل منهما منقاره فى منقار الآخر ويتزاقا. وروى «عوض تنشجها»: تسفحها. والمنبجس: المنفجر. وهو عليه السلام لم يتعرّض لنفى ذلك ولا اثباته.

ونقل الشيخ فى الشفاء: انّ القبجة تحيلها ريح تهبّ من ناحية الحجل و من سماع صوته. قال: والنوع المسمّى «مالاقيا» يتلاصق بأفواهها ثم يتشابك فذلك سفادها. و شبّه قصب ذنبه: بالمدارى من الفضّة جمع مدرى بالدّال المهملة و هو: كالميل يتّخذ من قرن او فضة تخلل به المرأة شعرها. و داراته و شموسه: ما على ريشه من الدوائر الملوّنة

---

۱ ـ معجم البلدان ۲/۴۳۱.

المشعشعة. والعقيان: الذهب. والفلذ: القطع. والمضاهاة: المشابهة. و الموشى: المنقوش: و عصب اليمن: برود تعمل بها. و نطقت باللجين: شدّت بالفضّة. و الحمش: الدقاق. والخلاسية: هى المتولّدة بين الدجاج الهندى و الفارسى. و ظنبوب: حرف الساق. والصيصة: الشوكة النابتة فى مؤخر ساق الديك. والقنزعة: شعرات تجتمع فى موضع من الرأس. والوسمة: شجر يخضب به. والتلفّع: التلّحف. والأسحم: الاسود. و مستدقّ القلم بفتح الدال: رأسه و بكسرها أيضا. واليقق: خالص البياض. وأدمجه: احكمه. والذّر صغار النمل. والهمجة: ذبابة صغيرة كالبعوضة.

و وصفه عليه السلام لعجائب صنع الله في خلق هذا الطائر لا مزيد على بلاغته.

منها فى صفة الجنة:

فَلَوْرَمَيْتَ بِبَصَرِ قَلْبِكَ نَحْوَ مَايُوصَفُ لَكَ مِنْهَا لَعَزَفَتْ نَفْسُكَ مِنْ بَدَائِعِ مَا أُخْرِجَ إِلَى الدُّنْيَا مِنْ شَهَوَاتِهَا وَلَذَّاتِهَا وَزَخَارِفِ مَنَاظِرِهَا، وَلَذَهَلَتْ بِالْفِكْرِ فِي اصْطِفَاقِ أَشْجَارٍ غُيِّبَتْ عُرُوقُهَا فِي كُثْبَانِ الْمِسْكِ عَلَى سَوَاحِلِ أَنْهَارِهَا؛ وَفِي تَعْلِيقِ كَبَائِسِ اللُّؤْلُؤِ الرَّطْبِ فِي عَسَالِيجِهَا وَأَفْنَانِهَا، وَطُلُوعِ تِلْكَ الثِّمَارِ مُخْتَلِفَةً فِي غُلُفِ أَكْمَامِهَا، تُجْنَى مِنْ غَيْرِ تَكَلُّفٍ، فَتَأْتِي عَلَى مُنْيَةِ مُجْتَنِيهَا، وَيُطَافُ عَلَى نُزَّالِهَا فِي أَفْنِيَةِ قُصُورِهَا بِالْأَعْسَالِ الْمُصَفَّقَةِ، وَالْخُمُورِ الْمُرَوَّقَةِ، قَوْمٌ لَمْ تَزَلِ الْكَرَامَةُ تَتَمَادَى بِهِمْ حَتَّى حَلُّوا دَارَ الْقَرَارِ، وَأَمِنُوا نُقْلَةَ الْأَسْفَارِ. فَلَوْ شَغَلْتَ قَلْبَكَ أَيُّهَا الْمُسْتَمِعُ بِالْوُصُولِ إِلَى مَا يَهْجُمُ عَلَيْكَ مِنْ تِلْكَ الْمَنَاظِرِ الْمُونِقَةِ، لَزَهِقَتْ نَفْسُكَ شَوْقاً إِلَيْهَا، وَلَتَحَمَّلْتَ مِنْ مَجْلِسِي هٰذَا إِلَى مُجَاوَرَةِ أَهْلِ الْقُبُورِ اسْتِعْجَالاً بِهَا، جَعَلَنَا اللهُ وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ سَعَى بِقَلْبِهِ إِلَى مَنَازِلِ الْأَبْرَارِ بِرَحْمَتِهِ.

أقول: اكثر الألفاظ المستعملة ها هنا استعارات، اذ ليست أشجار الجنة و أنهارها و كثبان مسكها و كبائس لؤلؤها: كما هوالمحسوس عند نا، بل أعلى من ذلك و أشرف، و هذه أمثلة لها تعقّل لما بينهما من المناسبة، وانت بعد معرفتك بقواعد التأويل، و وقوفك على ما دلّ البرهان عليه من العلوم الالهية ربّما امكنك ان تعرف طرفا صالحا من مناسبة هذه الأمثلة. والكبائس: جمع كباسة و هى: العذق. والعساليج: الغصون واحدها

عُسلُوج. والافنان: جمع فنن و هى: الغصون. والأكمام: جمع كمامة بكسر الكاف، و هى: غلاف الطلع. والمصفق: المصفّى.

١٦٥ - وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

لِيَتَأَسَّ صَغِيرُكُمْ بِكَبِيرِكُمْ، وَلْيَرْأَفْ كَبِيرُكُمْ بِصَغِيرِكُمْ وَلَا تَكُونُوا كَجُفَاةِ الْجَاهِلِيَّةِ: لَافِي الدِّينِ يَتَفَقَّهُونَ، وَلَا عَنِ اللهِ يَعْقِلُونَ؛ كَقَيْضِ بَيْضٍ فِى أَدَاحٍ: يَكُونُ كَسْرُهَا وِزْرًا؛ وَيُخْرِجُ حِضَانُهَا شَرًّا!!

أقول: قيض البيضة: قشرها الأعلى. والاداح جمع ادحى: افعول من الدحو، و هو: الموضع الذى تفرخ به النعامة و شبّههم على تقدير كونهم كجفاة الجاهلية، بقشر البيضة من الأفعى و نحوه، و وجه الشبه انّها ان كسرها كاسر اثم لتأذّى الحيوان به. و قيل: لانّه يظنّ بيض القطا فيأثم كاسره، وان لم يكسر يخرج حضانها افعى قاتلا و هو شرّ، فكذلك هؤلاء لا تحل لأحد اذاهم لحرمة ظاهر الاسلام عليهم، و ان هم تركوا على ما هم عليه من الجهل و قلة الأدب خرجوا شياطين.

و منه:

اَفْتَرَقُوا بَعْدَ أُلْفَتِهِمْ، وَتَشَتَّتُوا عَنْ أَصْلِهِمْ: فَمِنْهُمْ آخِذٌ بِغُصْنٍ أَيْنَمَا مَالَ مَالَ مَعَهُ؛ عَلَى أَنَّ اللهَ تَعَالَى سَيَجْمَعُهُمْ لِشَرِّ يَوْمٍ لِبَنِي أُمَيَّةَ كَمَا تَجْتَمِعُ قَزَعُ الْخَرِيفِ، يُؤَلِّفُ اللهُ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَجْعَلُهُمْ رُكَاماً كَرُكَامِ السَّحَابِ، ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُ لَهُمْ أَبْوَاباً يَسِيلُونَ مِنْ مُسْتَثَارِهِمْ كَسَيْلِ الْجَنَّتَيْنِ حَيْثُ لَمْ تَسْلَمْ عَلَيْهِ قَارَةٌ، وَلَمْ تَثْبُتْ عَلَيْهِ أَكَمَةٌ، وَلَمْ يَرُدَّ سَنَنَهُ رَصُّ طَوْدٍ، وَلَاحِدَابُ أَرْضٍ، يُذَعْذِعُهُمُ اللهُ فِي بُطُونِ أَوْدِيَتِهِ، ثُمَّ يَسْلُكُهُمْ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ يَأْخُذُ بِهِمْ مِنْ قَوْمٍ حُقُوقَ قَوْمٍ، وَيُمَكِّنُ لِقَوْمٍ فِي دِيَارِ قَوْمٍ؛ وَآيْمُ اللهِ لَيَذُوبَنَّ مَا فِي أَيْدِيهِمْ بَعْدَ الْعُلُوِّ وَالتَّمْكِينِ، كَمَا تَذُوبُ الْأَلْيَةُ عَلَى النَّارِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، لَوْلَمْ تَتَخَاذَلُوا عَنْ نَصْرِ الْحَقِّ، وَلَمْ تَهِنُوا عَنْ تَوْهِينِ الْبَاطِلِ، لَمْ يَطْمَعْ

فِيكُمْ مَنْ لَيْسَ مِثْلَكُمْ، وَلَمْ يَقْوَ مَنْ قَوِيَ عَلَيْكُمْ، لٰكِنَّكُمْ تِهْتُمْ مَتَاهَ بَنِي إِسْرَائِيلَ!! وَلَعَمْرِي لَيُضَعَّفَنَّ لَكُمُ التِّيهُ مِنْ بَعْدِي أَضْعَافاً بِمَا خَلَّفْتُمُ الْحَقَّ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ، وَقَطَعْتُمُ الْأَدْنَى، وَوَصَلْتُمُ الْأَبْعَدَ!! وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِنِ اتَّبَعْتُمُ الدَّاعِيَ لَكُمْ سَلَكَ بِكُمْ مِنْهَاجَ الرَّسُولِ، وَكُفِيتُمْ مَؤُونَةَ الِاعْتِسَافِ وَنَبَذْتُمُ الثِّقْلَ الْفَادِحَ عَنِ الْأَعْنَاقِ.

اقول: الاشارة الى أصحابه، و اصلهم: هو عليه السلام اذ افترقوا عنه الى خوارج وغيرهم. و استعار لفظ الغصن: لمن يخلفه من ولده: «الائمة عليه السلام» والاخذ به: لزوم هديه، الآخذون به هم: الشيعة، وان افترقوا فرقا. و القزع: قطع السحاب المتفرّقة، واراد انّ الله سيجمعهم بعد تفرّقهم لشّر يوم لبني اميّة لازالة ملكهم و قتلهم. و انما خصّ الخريف، لسرعة تألّف سحابه وامطاره. والركام: المتراكم، والأبواب الذى يفتحها لهم: كوجوه الآراء التي يجتمعون بها، و سائر اسباب الغلبة. و شبّه خروجهم من مستثارهم و مكامنهم: بسيل جنّتى مأرب و هو: سيل العرم المشار اليه فى القرآن الكريم[1]. و وجه الشبه: شدّة خروجهم، و سرعة افساد ما يأتون عليه، حتى لايسلم منهم أحد، كما لم يسلم على ذلك السيل قارة اى: اكمه، سننه: قصده. و حداب الأرض جمع حدب وهو: المرتفع منها. و الذعذعة بالذال المعجمة: التفريق.

و قد كان من أمر الشيعة الها شمية، واجتماعها على ملك بنى اميّة، من كان منهم على ولاء عليّ و اهل بيته، و من حاد منهم عن ذلك فى اواخر ايّام مروان الحمار عند ظهور دعوة الها شمية ما هو معلوم مشهور[2] في التواريخ. و تهنوا: تضعفوا. و توهين الباطل: اضعافه. و الداعى: هو عليه السلام. و كفيتم مؤونة الاعتساف اى: فى طرق الضلال. والفادح: المثقل،و هو ثقل الأوزار عن اعناق نفوسهم.

---

١ ـ سورة سبأ / ١٦.

٢ ـ في نسخة ش: ماهو مشهور معلوم.

١٦٦ ـ وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام
في أول خلافته

إِنَّ ٱللهَ تَعَالَى أَنْزَلَ كِتَابًا هَادِيًا بَيَّنَ فِيهِ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ، فَخُذُوا نَهْجَ الْخَيْرِ تَهْتَدُوا، وَٱصْدِفُوا عَنْ سَمْتِ الشَّرِّ تَقْصِدُوا؛ الْفَرَائِضَ الْفَرَائِضَ! أَدُّوهَا إِلَى ٱللهِ تُؤَدِّكُمْ إِلَى الْجَنَّةِ. إِنَّ ٱللهَ حَرَّمَ حَرَاماً غَيْرَ مَجْهُولٍ، وَأَحَلَّ حَلاَلاً غَيْرَ مَدْخُولٍ، وَفَضَّلَ حُرْمَةَ الْمُسْلِمِ عَلَى الْحُرَمِ كُلِّهَا، وَشَدَّ بِالْإِخْلاَصِ وَالتَّوْحِيدِ حُقُوقَ الْمُسْلِمِينَ فِي مَعَاقِدِهَا، فَالْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ إِلَّا بِالْحَقِّ. وَلَايَحِلُّ أَذَى الْمُسْلِمِ إِلَّا بِمَا يَجِبُ، بَادِرُوا أَمْرَ الْعَامَّةِ وَخَاصَّةَ أَحَدِكُمْ وَهُوَ الْمَوْتُ، فَإِنَّ النَّاسَ أَمَامَكُمْ، وَإِنَّ السَّاعَةَ تَحْدُوكُمْ مِنْ خَلْفِكُمْ. تَخَفَّفُوا تَلْحَقُوا!! فَإِنَّمَا يُنْتَظَرُ بِأَوَّلِكُمْ آخِرُكُمْ. ٱتَّقُوا ٱللهَ فِي عِبَادِهِ وَبِلاَدِهِ فَإِنَّكُمْ مَسْؤُولُونَ حَتَّى عَنِ الْبِقَاعِ وَالْبَهَائِمِ، وَأَطِيعُوا ٱللهَ وَلَا تَعْصُوهُ، وَإِذَا رَأَيْتُمُ الْخَيْرَ فَخُذُوا بِهِ، وَإِذَا رَأَيْتُمُ الشَّرَّ فَأَعْرِضُوا عَنْهُ.

اقول: أصدفوا: أعرضوا. والمدخول: المعيوب. و قوله: و فضل، الى قوله: معاقدها، اى: اوجب على الموحّدين المحافظة على حقوق المسلمين، و مراعاة مواضعها و ربط توحيده بذلك، حتى صار فضله كفضل التوحيد، فمن قتل مسلمًا بغير حقّ فكأنما سلب توحيدالله. و معاقدها: مواضع عقد وجوبها، و مناقشة الحساب عن البقاع كما روى انه يقال: لم استوطنتم هذا المكان و زهدتم في ذلك؟ و عن البهائم: لِمَ ضربتم هذه و قتلتم هذه؟ ولِمَ او جعتموها؟ وهو داخل فى قوله تعالى: (و لتُسألنّ عمّا كنتم تعملون)[1].

---

١ ـ سورة النحل / ٩٣.

۱۶۷ ـ وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

بعد مابويع بالخلافة، وقد قال له قوم من الصحابه: لو عاقبت قوما ممن أجلب على عثمان؟ فقال عليه السلام:

يَاإِخْوَتَاهُ: إِنِّي لَسْتُ أَجْهَلُ مَا تَعْلَمُونَ، وَلٰكِنْ كَيْفَ لِي بِقُوَّةٍ وَالْقَوْمُ الْمُجْلِبُونَ عَلَى حَدِّ شَوْكَتِهِمْ يَمْلِكُونَنَا وَلَا نَمْلِكُهُم؟ وَهَاهُمْ هٰؤُلَاءِ قَدْ ثَارَتْ مَعَهُمْ عُبْدَانُكُمْ، وَالْتَفَّتْ إِلَيْهِمْ أَعْرَابُكُمْ، وَهُمْ خِلَالَكُمْ، يَسُومُونَكُمْ مَاشَاءُوا، وَهَلْ تَرَوْنَ مَوْضِعًا لِقُدْرَةٍ عَلَى شَيْءٍ تُرِيدُونَهُ؟ وَإِنَّ هٰذَا الْأَمْرَ أَمْرُ جَاهِلِيَّةٍ، وَإِنَّ لِهٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ مَادَّةً، إِنَّ النَّاسَ مِنْ هٰذَا الْأَمْرِ ـ إِذَا حُرِّكَ ـ عَلَى أُمُورٍ: فِرْقَةٌ تَرَى مَاتَرَوْنَ، وَفِرْقَةٌ تَرَى مَالَا تَرَوْنَ، وَفِرْقَةٌ لَا تَرَى هٰذَا وَلَاذَاكَ. فَاصْبِرُوا حَتَّى يَهْدَأَ النَّاسُ، وَتَقَعَ الْقُلُوبُ مَوَاقِعَهَا، وَتُؤْخَذَ الْحُقُوقُ مُسْمِحَةً، فَاهْدَأُوا عَنِّي، وَانْظُرُوا مَاذَا يَأْتِيكُمْ بِهِ أَمْرِي، وَلَا تَفْعَلُوا فَعْلَةً تُضَعْضِعُ قُوَّةً وَتُسْقِطُ مُنَّةً وَتُورِثُ وَهْنًا وَذِلَّةً، وَسَأُمْسِكُ الْأَمْرَ مَا اسْتَمْسَكَ، وَإِذَا لَمْ أَجِدْ بُدًّا فَآخِرُ الدَّوَاءِ الْكَيُّ.

أقول: الألف في «يا إخوتاه» هي: المنقلبة عن ياءالنفس. وأجلب عليه جمع. و شوكتهم قوتهم. والعبدان بتشديد الدال و تخفيفها و كسرالعين و ضمّها: جمع عبد. والتفت: انضمتّ و يسومونكم: يكلّفونكم. و مسمحة: مسهلة. و الفصل يدلّ على انّه عليه السلام كان مترصّداً للفرصة، والتمكّن من القصاص على وجه الشرع فلم يُمهل. وروى: انّه عليه السلام جمع الناس و وعظهم، ثم قال: ليقم قتلة عثمان، فقاموا بأسرهم الّا القليل، و كان ذلك استشهادا منه على صدق قوله، والناس على حدّ شوكتهم، وعلى انّه لا قدرة له على القصاص حينئذ. و قوله: فاذا لم أجد بُدّاً الى قوله: الكى، اى: اذا لم يكن بدّاً من القتال قاتلت، و كنّى عنه: بالكى.

١٦٨ ـ وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

عند مسير أصحاب الجمل إلى البصرة

إنَّ ٱللهَ بَعَثَ رَسُولاً هَادِيًا بِكِتَابٍ نَاطِقٍ وَأَمْرٍ قَائِمٍ؛ لَايَهْلِكُ عَنْهُ إلَّا هَالِكٌ، وَإِنَّ الْمُبْتَدَعَاتِ الْمُشَبَّهَاتِ هُنَّ الْمُهْلِكَاتُ، إلَّا مَا حَفِظَ ٱللهُ مِنْهَا، وَإِنَّ فِي سُلْطَانِ ٱللهِ عِصْمَةً لِأَمْرِكُمْ فَأَعْطُوهُ طَاعَتَكُمْ غَيْرَ مُلَوَّمَةٍ وَلَامُسْتَكْرَهٍ بِهَا. وَٱللهِ لَتَفْعَلُنَّ أَوْ لَيَنْقُلَنَّ ٱللهُ عَنْكُمْ سُلْطَانَ الْإِسْلَامِ، ثُمَّ لَايَنْقُلُهُ إِلَيْكُمْ أَبَدًا حَتَّى يَأْرِزَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِكُمْ.

إِنَّ هٰؤُلَاءِ قَدْ تَمَالَأُوا عَلَى سَخْطَةِ إِمَارَتِي، وَسَأَصْبِرُ مَالَمْ أَخَفْ عَلَى جَمَاعَتِكُمْ؛ فَإِنَّهُمْ إِنْ تَمَّمُوا عَلَى فَيَالَةِ هٰذَا الرَّأْيِ، ٱنْقَطَعَ نِظَامُ الْمُسْلِمِينَ، وَإِنَّمَا طَلَبُوا هٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَدًا لِمَنْ أَفَاءَهَا ٱللهُ عَلَيْهِ، فَأَرَادُوا رَدَّ الْأُمُورِ عَلَى أَدْبَارِهَا، وَلَكُمْ عَلَيْنَا الْعَمَلُ بِكِتَابِ ٱللهِ تَعَالَى وَسِيرَةِ رَسُولِ ٱللهِ، صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَالْقِيَامِ بِحَقِّهِ، وَالنَّعْشِ لِسُنَّتِهِ.

أقول: قوله: لا يهلك عنه الّا هالك اى: لايهلك عن مخالفته الّا اعظم هالك، كما تقول: لا يعلم هذا الفن الّا عالم اى: بالغ في العلم، والمبتدعات: المشتبهات ما ابتدع في الدين مشتبها بالسنّة و ليس منها. و روى: المشبّهات اى: للسنّة. و روى: المشتبهات و هو: ما أشتبه على الناس، و لبس عليهم و هى: المهلكات اى: في الآخرة، الّا ما عصم الله اى: حفظه من الوقوع فيها. و سلطان الله: القائم بدينه و أمره، و هو اشارة: الى نفسه. و غيره ملومة: اى غير ملوم صاحبها بالغش فيها. و روى: غير ملويّة اى: معوجّة، و أُرزالأمر يأرز: انجاز و انقبض. و هؤلاء: اشارة الى طلحة، والزبير، و عائشة، و اتباعهم. و تمالؤوا: اجتمعوا. و فيالة الرأى: ضعفه. والنعش: الرفع. و باقى الفصل ظاهر.

١٦٩ ـ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

لما قال لكُليب الجرميّ قبل وقعة الجمل: بايعْ. فقال: إنّي رسولُ قومٍ ولاأُحدث حَدَثاً دونهم حتى أرجع اليهم. فقال ـ عليه السلام ـ:

أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ الَّذِينَ وَرَاءَكَ بَعَثُوكَ رَائِدًا تَبْتَغِي لَهُمْ مَسَاقِطَ الْغَيْثِ فَرَجَعْتَ إِلَيْهِمْ

وَأَخْبَرْتَهُمْ عَنِ الْكَلاَءِ وَالْمَاءِ فَخَالَفُوا إِلَى الْمَعَاطِشِ وَالْمَجَادِبِ، مَا كُنْتَ صَانِعًا؟ قال: كنت تاركهم و مخالفهم إلى الكلأ والماء. فقال عليه السلام:

فَامْدُدْ إِذًا يَدَكَ! فقال الرجل: فوالله ما استطعت أن أمتنع عند قيام الحجة على، فبايعته عليه السلام

اقول: «الجرمى» منسوب الى بنى جرم قبيلة، و كان قوم من أهل البصرة بعثوه اليه عليه السلام ليستعلم حاله، أهو على حجة، ام هو على شبهة؟ فلما رآه و سمع لفظه لم يتخالجه شك فى صدقه، فبايعه و كان بينهما الكلام المنقول. و لا الطف من التمثيل الذى جَذَبَهُ به عليه السلام، و لذلك اقسم انّه لم يتمكّن من مخالفته.

١٧٠ ـ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

لما عزم على لقاء القوم بصفين

اللّهُمَّ رَبَّ السَّقْفِ الْمَرْفُوعِ، وَالْجَوِّ الْمَكْفُوفِ، الَّذِى جَعَلْتَهُ مَغِيضًا لِلَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَمَجْرًى لِلشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَمُخْتَلَفًا لِلنُّجُومِ السَّيَّارَةِ، وَجَعَلْتَ سُكَّانَهُ سِبْطًا مِنْ مَلاَئِكَتِكَ، لاَيَسْأَمُونَ مِنْ عِبَادَتِكَ؛ وَرَبَّ هَذِهِ الْأَرْضِ الَّتِي جَعَلْتَهَا قَرَارًا لِلأَنَامِ، وَمَدْرَجاً لِلْهَوَامِّ وَالْأَنْعَامِ، وَمَا لاَيُحْصَى مِمَّا يُرَى وَمِمَّا لاَيُرَى؛ وَرَبَّ الْجِبَالِ الرَّوَاسِي الَّتِي جَعَلْتَهَا لِلأَرْضِ أَوْتَادًا وَلِلْخَلْقِ اعْتِمَادًا ـ إِنْ أَظْهَرْتَنَا عَلَى عَدُوِّنَا فَجَنِّبْنَا الْبَغْيَ، وَسَدِّدْنَا لِلْحَقِّ؛ وَإِنْ أَظْهَرْتَهُمْ عَلَيْنَا فَارْزُقْنَا الشَّهَادَةَ وَاعْصِمْنَا مِنَ الْفِتْنَةِ.

أَيْنَ الْمَانِعُ لِلذِّمَارِ، وَالْغَائِرُ عِنْدَ نُزُولِ الْحَقَائِقِ مِنْ أَهْلِ الْحِفَاظِ؟! الْعَارُ وَرَاءَكُمْ، والْجَنَّةُ أَمَامَكُمْ.

أقول: كون الفلك مغيضا لليل و النهار باعتبار حركته المستلزمة بحركة الشمس عن وجه الارض، و الى وجهها فبالاعتبار الاوّل يكون: كالمغيض للنهار، و بالاعتبار الثانى يكون: كالمغيض لليل. و استعار له لذينك الاعتبارين لفظ: المغيض. والسبط: القبيلة. و كون الجبال اعتمادا للخلق: لما فيها من المرافق لهم. و قوله: فجنبنا البغى، و سدّدنا

للحق: طلب للوقوف على حدّ الفضيلة في الجهاد، من طرفي الافراط والتفريط، والعصمة من الفتنة وهي: الابتلاء بالمعصية في طرفي الغلب و الانغلاب. والذمار: ما لزمك حفظه. والحقائق: ما يقع من عظائم الأمور. و قوله: النار الى قوله: أمامكم اى: في رجوعكم عن الحرب دخول النار، و في اقدامكم عليها دخول الجنة.

١٧١ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

اَلْحَمْدُ للهِ الَّذِى لَا تُوَارِى عَنْهُ سَمَاءٌ سَمَاءً، وَلَاأَرْضٌ أَرْضًا

منها :

وَقَدْ قَالَ قَائِلٌ: إِنَّكَ عَلَى هٰذَا الْأَمْرِيَا ابْنَ أَبِي طَالِبٍ لَحَرِيصٌ! فَقُلْتُ: بَلْ أَنْتُمْ وَاللهِ لَأَحْرَصُ وَأَبْعَدُ، وَأَنَا أَخَصُّ وَأَقْرَبُ! وَإِنَّمَا طَلَبْتُ حَقًّا لِي وَأَنْتُمْ تَحُولُونَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ، وَتَضْرِبُونَ وَجْهِي دُونَهُ، فَلَمَّا قَرَعْتُهُ بِالْحُجَّةِ فِي الْمَلَإِ الْحَاضِرِينَ هَبَّ كَأَنَّهُ [بُهِتَ] لَايَدْرِى مَا يُجِيبُنِي بِهِ!

اللّٰهُمَّ إِنِّي أَسْتَعِينُكَ عَلَى قُرَيْشٍ وَمَنْ أَعَانَهُمْ، فَإِنَّهُمْ قَطَعُوا رَحِمِي، وَصَغَّرُوا عَظِيمَ مَنْزِلَتِي، وَأَجْمَعُوا عَلَى مُنَازَعَتِي أَمْرًا هُوَلِي؛ ثُمَّ قَالُوا: أَلَا إِنَّ فِي الْحَقِّ أَنْ تَأْخُذَهُ وَفِي الْحَقِّ أَنْ تَتْرُكَهُ.

أقول: روى انّ القائل له كان سعد بن ابى وقّاص، في ايام الشورى، بعد مقتل عمر، و قوله: هب، اى: استيقظ من غفلته، و روى بهت. و قوله: و قالوا الى آخره، اى: انّهم لم يقتصروا على أخذ حقّي ساكتين عن دعوى كفّه حقالهم، بل اخذوه مع دعواهم انّه حق لهم يجب عليّ ترك المنازعة فيه، و هو أصعب. و روى: «نأخذه، و نتركه» بالنونين في الموضعين، اى: نتصرّف فيه بالأخذ و الترك، وكيف شئنا، وهذه شكاية ظاهرة.

منها في ذكر أصحاب الجمل:

فَخَرَجُوا يَجُرُّونَ حُرْمَةَ رسول الله، صلى الله عليه و آله، كَمَا تُجَرُّ الْأَمَةُ عِنْدَ شِرَائِهَا؛

مُتَوَجِّهِينَ بِهَا إِلَى الْبَصْرَةِ: فَحَبَسَا نِسَاءَ هُمَا فِي بُيُوتِهِمَا وَأَبْرَزَا حَبِيسَ رَسُولِ ٱللهِ، صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، لَهُمَا وَلِغَيْرِهِمَا، فِي جَيْشٍ مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا وَقَدْ أَعْطَانِي الطَّاعَةَ، وَسَمَحَ لِي بِالْبَيْعَةِ، طَائِعًا غَيْرَ مُكْرَهٍ؛ فَقَدِمُوا عَلَى عَامِلِي بِهَا وَخُزَّانِ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِهَا: فَقَتَلُوا طَائِفَةً صَبْرًا، وَطَائِفَةً غَدْرًا! فَوَٱللهِ لَوْ لَمْ يُصِيبُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا رَجُلاً وَاحِدًا مُعْتَمِدِينَ لِقَتْلِهِ، بِلَاجُرْمٍ جَرَّهُ؛ لَحَلَّ لِي قَتْلُ ذٰلِكَ الْجَيْشِ كُلِّهِ: إِذْ حَضَرُوهُ فَلَمْ يُنْكِرُوا، وَلَمْ يَدْفَعُوا عَنْهُ بِلِسَانٍ وَلَابِيَدٍ. دَعْ مَا أَنَّهُمْ قَدْ قَتَلُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِثْلَ الْعِدَّةِ ٱلَّتِي دَخَلُوا بِهَا عَلَيْهِمْ.

اقول: غرض الفصل اظهار عذره في قتال اهل الجمل، و ذكر لهم ثلاث كبائر تستلزم اباحة قتالهم، و قتلهم و هي:

خروجهم بحرمة رسول الله صلى الله عليه وآله (و حبيسه مع حبسهما لنسائهما و ذلك انتهاك لحرمة رسول الله صلى الله عليه وآله)[1] و ضمير التثنيه: لطلحة،والزبير.

الثانية، نكثهما البيعة.

الثالثة: اقدامهم على عامله بالبصرة وتعذيبهم له، و قتلهم للجماعة المسلمة منهم صبرا، أي: بعد الاسر، و بعض غدرا؛ اى: بعد الأمان. و كان عامله يومئذ عليها، عثمان ابن حنيف الانصاري، و قصّتهم في ذلك مشهورة، و قد نبّهنا عليها في الأصل[2] فامّا جواز قتالهم فلقوله تعالى: (و ان طائفتان) الآية[3] و اما تعليله جواز قتل الجيش بما ذكر: فلعموم قوله تعالى: (أنما جزاء الذين يحاربون الله و رسوله) الآية[4] و «ما» بعد دع زائدة. والفصل واضح.

---

١ ـ الجملة بين القوسين غير موجودة في نسخة ش.

٢ ـ الشرح الكبير ٣/٣٣٧.

٣ ـ سورة الحجرات / ٩.

٤ ـ سورة المائدة / ٣٣.

١٧٢ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

أَمِينُ وَحْيِهِ، وَخَاتَمُ رُسُلِهِ، وَبَشِيرُ رَحْمَتِهِ، وَنَذِيرُ نِقْمَتِهِ

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِهٰذَا الْأَمْرِ أَقْوَاهُمْ عَلَيْهِ؛ وَأَعْلَمُهُمْ بِأَمْرِ ٱللهِ فِيهِ؛ فَإِنْ شَغَبَ شَاغِبٌ ٱسْتُعْتِبَ، فَإِنْ أَبَى قُوتِلَ. وَلَعَمْرِي لَئِنْ كَانَتِ الْإِمَامَةُ لَا تَنْعَقِدُ حَتَّى تَحْضُرَهَا عَامَّةُ النَّاسِ فَمَا إِلَى ذٰلِكَ سَبِيلٌ؛ وَلٰكِنْ أَهْلُهَا يَحْكُمُونَ عَلَى مَنْ غَابَ عَنْهَا؛ ثُمَّ لَيْسَ لِلشَّاهِدِ أَنْ يَرْجِعَ، وَلَا لِلْغَائِبِ أَنْ يَخْتَارَ.

أَلَا وَإِنِّي أُقَاتِلُ رَجُلَيْنِ: رَجُلاً ٱدَّعَى مَا لَيْسَ لَهُ؛ وَآخَرَ مَنَعَ الَّذِي عَلَيْهِ.

أُوصِيكُمْ عِبَادَ ٱللهِ بِتَقْوَى ٱللهِ؛ فَإِنَّهَا خَيْرُ مَا تَوَاصَى الْعِبَادُ بِهِ، وَخَيْرُ عَوَاقِبِ الْأُمُورِ عِنْدَ ٱللهِ، وَقَدْ فُتِحَ بَابُ الْحَرْبِ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ أَهْلِ الْقِبْلَةِ، وَلَا يَحْمِلُ هٰذَا الْعَلَمَ إِلَّا أَهْلُ الْبَصَرِ وَالصَّبْرِ، وَالْعِلْمِ بِمَوَاقِعِ الْحَقِّ، فَامْضُوا لِمَا تُؤْمَرُونَ بِهِ، وَقِفُوا عِنْدَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ، وَلَا تَعْجَلُوا فِي أَمْرٍ حَتَّى تَتَبَيَّنُوا؛ فَإِنَّ لَنَا مَعَ كُلِّ أَمْرٍ تُنْكِرُونَهُ غِيَراً.

أَلَا وَإِنَّ هٰذِهِ الدُّنْيَا الَّتِي أَصْبَحْتُمْ تَتَمَنَّوْنَهَا وَتَرْغَبُونَ فِيهَا، وَأَصْبَحَتْ تُغْضِبُكُمْ وَتُرْضِيكُمْ؛ لَيْسَتْ بِدَارِكُمْ وَلَا مَنْزِلِكُمُ الَّذِي خُلِقْتُمْ لَهُ وَلَا الَّذِي دُعِيتُمْ إِلَيْهِ، أَلَا وَإِنَّهَا لَيْسَتْ بِبَاقِيَةٍ لَكُمْ، وَلَا تَبْقَوْنَ عَلَيْهَا، وَهِيَ وَإِنْ غَرَّتْكُمْ مِنْهَا فَقَدْ حَذَّرَتْكُمْ شَرَّهَا. فَدَعُوا غُرُورَهَا لِتَحْذِيرِهَا، وَإِطْمَاعَهَا لِتَخْوِيفِهَا، وَسَابِقُوا فِيهَا إِلَى الدَّارِ الَّتِي دُعِيتُمْ إِلَيْهَا، وَانْصَرِفُوا بِقُلُوبِكُمْ عَنْهَا وَلَا يَخِنَّنَّ أَحَدُكُمْ خَنِينَ الْأَمَةِ عَلَى مَا زُوِيَ عَنْهُ مِنْهَا، وَٱسْتَتِمُّوا نِعْمَةَ ٱللهِ عَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ عَلَى طَاعَةِ ٱللهِ، وَالْمُحَافَظَةِ عَلَى مَا ٱسْتَحْفَظَكُمْ مِنْ كِتَابِهِ. أَلَا وَإِنَّهُ لَا يَضُرُّكُمْ تَضْيِيعُ شَيْءٍ مِنْ دُنْيَاكُمْ بَعْدَ حِفْظِكُمْ قَائِمَةَ دِينِكُمْ. أَلَا وَإِنَّهُ لَا يَنْفَعُكُمْ بَعْدَ تَضْيِيعِ دِينِكُمْ شَيْءٌ حَافَظْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِ دُنْيَاكُمْ، أَخَذَ ٱللهُ بِقُلُوبِنَا وَقُلُوبِكُمْ إِلَى الْحَقِّ وَأَلْهَمَنَا وَإِيَّاكُمُ الصَّبْرَ.

اقول: هذا اشارة الى صفات الامام الحق، و هو كونه اقواهم على امر الخلافة، أى: اقدر هم على تدبيرها عن علم و اعملهم واعلمهم بأوامرالله فيها، و ذلك يستلزم علمه بأصول الدين و فروعه ليضع الأعمال مواضعها، و قد استلزم الوصف الاول: فضيلة

الشجاعة، والثاني: فضيلتي العلم والعفة، و تلزم الفضائل الثلاث فضيلة العدل.

و روى بعد قوله: و اقواهم عليه، واعلمهم به، و اعملهم بأمرالله فيه،و هذه الفضائل الأربع هي جماع مكارم الاخلاق و أصولها. و قوله: فان شغب شاغب، اى: خرج باغ على الإمام. والشغب: الشرّ. و الاستعتاب: طلب العتبى و هى: الرجوع الى الحق. وقوله: و لعمرى، الى قوله: ان يختار: جواب لما انكره معاوية و اهل الشام، من الاجماع على بيعته و انّه يحتاج فى انعقادها الى حضور جميع الناس. و اشار الى انّ الاجماع على هذا الوجه غير ممكن، و ان امكن ففي غاية العسر بل المعتبر منه اتّفاق اهل الحلّ والعقد من امّة محمد صلى الله عليه و آله ،على امر من الأمور و هم اهل الامامة الذين يحكمون على من غاب عنها. ثم ليس لمن حضرو رضى كطلحة و الزبير، ان يرجع ولا للغائب كمعاوية، ان يختار، و هذا هو رسم الاجماع الذى اتّفقت كلمة محقّقى الأصوليين عليه. و انّما احتيج بالاجماع حيث لم يسلم له النص على امامته، و المدّعى ما ليس له بحق: كمعاوية للامامة، والمانع للّذى عليه: كطلحة والزبير فى منعهما، ما له عليهما من الطاعة.

و قوله: و قد فتح، الى قوله: غيرًا: اعلام لأصحابه بحكم البغاة من أهل القبلة اجمالا، و احال بالتفصيل على اوامره حال الحرب، و قد كان الناس قبل حرب الجمل لايعرفون كيفية قتال اهل القبلة، ولا كيفية السّنّة فيهم، الى ان علموا ذلك منه عليه السلام. و نقل عن الشافعى[1] انّه قال: لولا على ما عرفت شيئاً من أحكام أهل البغي.

و قوله: و لا يحتمل، الى قوله: الحق، اى: العلم بوجوب حرب هؤلاء و قتالهم و قتلهم. وأهل البصر: اهل العقول الراجحة، والصبر على المكاره، و عن التسرّع الى الوسواس بالشّبه والعلم بمواضع الحقّ، و ذلك انّ المسلمين عظم عليهم حرب أهل القبلة و اكبروه، والمقدمون على ذلك أقدموا على خوف و حذر، فقال عليه السلام: انّ هذا العلم لا يدركه كلّ أحد. و روى «العَلَم» بالفتح اى: علم الحرب و ذلك انّ صاحب الراية عليه

---

١ ـ في ش بزيادة: رحمه الله.

مدارالحرب، و قلوب العسكر منوطة به فيجب ان يكون بالشرائط المذكورة. و قوله: ولا تعجلوا، الى قوله: غيرًا: اى لا تتسرّعوا الى انكار امر ترونه منكرا حتى تتبيّنوا منّا ما نفعله فيه، فانّا نغير كلّ امر ينكر العرف و الشرع. و خصّ خنين الامة: لأن العادة ان تضرب وتؤذى فيكثر خنينها، اولانّ الغالب عليها الغربة فيحنّ الى اصلها. و استحفاظهم لكتاب الله: امرهم بالمحافظة على قوانينه والعمل به.

١٧٣ ـ وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام
فى طلحة بن عبيدالله

قَدْ كُنْتُ وَمَا أُهَدَّدُ بِالْحَرْبِ، وَلَا أُرَهَّبُ بِالضَّرْبِ، وَأَنَا عَلَى مَاقَدْ وَعَدَنِى رَبِّى مِنَ النَّصْرِ، وَٱللهِ مَاٱسْتَعْجَلَ مُتَجَرِّدًا لِلطَّلَبِ بِدَمِ عُثْمَانَ، إِلَّا خَوْفًا مِنْ أَنْ يُطَالَبَ بِدَمِهِ لِأَنَّهُ مَظِنَّتُهُ، وَلَمْ يَكُنْ فِي الْقَوْمِ أَحْرَصُ عَلَيْهِ مِنْهُ، فَأَرَادَ أَنْ يُغَالِطَ بِمَا أَجْلَبَ فِيهِ لِيُلْبِسَ الْأَمْرَ، وَيَقَعَ الشَّكُّ! وَوَٱللهِ مَا صَنَعَ فِي أَمْرِ عُثْمَانَ وَاحِدَةً مِنْ ثَلَاثٍ: لَئِنْ كَانَ ابْنُ عَفَّانَ ظَالِمًا، كَمَا كَانَ يَزْعُمُ، لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُوَازِرَ قَاتِلِيهِ، أَوْ أَنْ يُنَابِذَ نَاصِرِيهِ، وَلَئِنْ كَانَ مَظْلُومًا لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُنَهْنِهِينَ عَنْهُ، وَالْمُعَذِّرِينَ فِيهِ، وَلَئِنْ كَانَ فِي شَكٍّ مِنَ الْخَصْلَتَيْنِ لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَعْتَزِلَهُ وَيَرْكُدَ جَانِبًا، وَيَدَعَ النَّاسَ مَعَهُ، فَمَا فَعَلَ وَاحِدَةً مِنَ الثَّلَاثِ، وَجَاءَ بِأَمْرٍ لَمْ يُعْرَفْ بَابُهُ، وَلَمْ تَسْلَمْ مَعَاذِيرُهُ.

اقول: هذا الفصل من كلام قاله حين بلغه خروج طلحة، و الزبير، الى البصرة وتهديدهما له بالحرب و كان: تامة. و الواو فى قوله: وما: للحال: اى: قد وجدت الى هذه الغاية، و ما هددت بالحرب، و اجلب: جمع، و نهنه عنه: كفّ. والمعذرين بالتخفيف، المعتذرين عنه، و بالتشديد: المظهرين للعذر مع انّه لاعذر. و ركد: سكن.

١٧٤ ـ وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

أَيُّهَا الْغَافِلُونَ غَيْرُ الْمَغْفُولِ عَنْهُمْ، وَالتَّارِكُونَ الْمَأْخُوذُ مِنْهُمْ، مَالِي أَرَاكُمْ عَنِ اللهِ ذَاهِبِينَ، وَإِلَى غَيْرِهِ رَاغِبِينَ؟ كَأَنَّكُمْ نَعَمٌ أَرَاحَ بِهَا سَائِمٌ إِلَى مَرْعىً وَبِيٍّ، وَمَشْرَبٍ دَوِيٍّ!! إِنَّمَا هِيَ كَالْمَعْلُوفَةِ لِلْمُدَى، لاَ تَعْرِفُ مَا ذَا يُرَادُ بِهَا: إِذَا أُحْسِنَ إِلَيْهَا تَحْسَبُ يَوْمَهَا دَهْرَهَا، وَشِبَعَهَا أَمْرَهَا؛ وَاللهِ لَوْ شِئْتُ أَنْ أُخْبِرَ كُلَّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِمَخْرَجِهِ وَمَوْلِجِهِ وَجَمِيعِ شَأْنِهِ لَفَعَلْتُ، وَلٰكِنْ أَخَافُ أَنْ تَكْفُرُوا فِيَّ بِرَسُولِ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، أَلا وَإِنِّي مُفْضِيهِ إِلَى الْخَاصَّةِ مِمَّنْ يُؤْمَنُ ذٰلِكَ مِنْهُ. وَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ، وَاصْطَفَاهُ عَلَى الْخَلْقِ؛ مَا أَنْطِقُ إِلاَّ صَادِقاً، وَقَدْ عَهِدَ إِلَيَّ بِذٰلِكَ كُلِّهِ، وَبِمَهْلِكِ مَنْ يَهْلِكُ، وَمَنْجَى مَنْ يَنْجُو؛ وَمَآلِ هٰذَا الْأَمْرِ؛ وَمَا أَبْقَى شَيْئاً يَمُرُّ عَلَى رَأْسِي إِلاَّ أَفْرَغَهُ فِي أُذُنَيَّ وَأَفْضَى بِهِ إِلَيَّ.

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي وَاللهِ مَا أَحُثُّكُمْ عَلَى طَاعَةٍ إِلاَّ وَأَسْبِقُكُمْ إِلَيْهَا وَلاَ أَنْهَاكُمْ عَنْ مَعْصِيَةٍ إِلاَّ وَأَتَنَاهَى قَبْلَكُمْ عَنْهَا.

أقول: مـأخوذ منهم اى: من اشخاصهم بالموت، و من احوالهم بالعدم. والسائم: الراعي. والمدى: جمع مدية وهي: السكين. و وجه شبههم بالنعم: غفلتهم عمّا ينبغي لهم. والنفس الأمّارة كالسائم. و قوله: انّما، الى قوله: امرها: شبيه لها بالنعم. المعلوفة: باعتبارغفلتها عن غايتها و ما يراد بها. و وجه الشبه هو قوله: لا تعرف الى آخره. و مفضيه: موصله. و كفر هم فيه برسول الله: بتفضيلهم ايّاه عليه. و الخاصّة: اهل العلم و الثبات من اصحابه ممّن يؤمن ذلک الكفر منه.

١٧٥ ـ وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

اِنْتَفِعُوا بِبَيَانِ اللهِ، وَاتَّعِظُوا بِمَوَاعِظِ اللهِ، وَاقْبَلُوا نَصِيحَةَ اللهِ. فَإِنَّ اللهَ قَدْ أَعْذَرَ إِلَيْكُمْ بِالْجَلِيَّةِ، وَأَخَذَ عَلَيْكُمُ الْحُجَّةَ، وَبَيَّنَ لَكُمْ مَحَابَّهُ مِنَ الْأَعْمَالِ وَمَكَارِهَهُ مِنْهَا؛ لِتَتَّبِعُوا هٰذِهِ وَتَجْتَنِبُوا هٰذِهِ؛ فَإِنَّ رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم، كَانَ يَقُولُ: «حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ

وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ». وَاعْلَمُوا أَنَّهُ مَا مِنْ طَاعَةِ اللهِ شَيْءٌ إِلَّا يَأْتِي فِي كُرْهٍ؛ وَمَا مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ شَيْءٌ إِلَّا يَأْتِي فِي شَهْوَةٍ. فَرَحِمَ اللهُ رَجُلاً نَزَعَ عَنْ شَهْوَتِهِ، وَقَمَعَ هَوَى نَفْسِهِ؛ فَإِنَّ هٰذِهِ النَّفْسَ أَبْعَدُ شَيْءٍ مَنْزَعًا، وَإِنَّهَا لَا تَزَالُ تَنْزِعُ إِلَى مَعْصِيَةٍ فِي هَوىً.

وَاعْلَمُوا عِبَادَ اللهِ أَنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يُمْسِي وَلَا يُصْبِحُ إِلَّا وَنَفْسُهُ ظَنُونٌ عِنْدَهُ فَلَا يَزَالُ زَارِيًا عَلَيْهَا، وَمُسْتَزِيدًا لَهَا. فَكُونُوا كَالسَّابِقِينَ قَبْلَكُمْ وَالْمَاضِينَ أَمَامَكُمْ، قَوَّضُوا مِنَ الدُّنْيَا تَقْوِيضَ الرَّاحِلِ، وَطَوَوْهَا طَيَّ الْمَنَازِلِ. وَاعْلَمُوا أَنَّ هٰذَا الْقُرْآنَ هُوَ النَّاصِحُ الَّذِي لَا يَغُشُّ، وَالْهَادِي الَّذِي لَا يُضِلُّ، وَالْمُحَدِّثُ الَّذِي لَا يَكْذِبُ، وَمَا جَالَسَ هٰذَا الْقُرْآنَ أَحَدٌ إِلَّا قَامَ عَنْهُ بِزِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ: زِيَادَةٌ فِي هُدًى، وَنُقْصَانٌ مِنْ عَمًى. وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ عَلَى أَحَدٍ بَعْدَ الْقُرْآنِ مِنْ فَاقَةٍ، وَلَا لِأَحَدٍ قَبْلَ الْقُرْآنِ مِنْ غِنًى، فَاسْتَشْفُوهُ مِنْ أَدْوَائِكُمْ، وَاسْتَعِينُوا بِهِ عَلَى لَأْوَائِكُمْ، فَإِنَّ فِيهِ شِفَاءً مِنْ أَكْبَرِ الدَّاءِ؛ وَهُوَ الْكُفْرُ وَالنِّفَاقُ وَالْغَيُّ وَالضَّلَالُ. فَاسْأَلُوا اللهَ بِهِ، وَتَوَجَّهُوا إِلَيْهِ بِحُبِّهِ، وَلَا تَسْأَلُوا بِهِ خَلْقَهُ. إِنَّهُ مَا تَوَجَّهَ الْعِبَادُ إِلَى اللهِ بِمِثْلِهِ، وَاعْلَمُوا أَنَّهُ شَافِعٌ وَمُشَفَّعٌ، وَقَائِلٌ وَمُصَدَّقٌ، وَأَنَّهُ مَنْ شَفَعَ لَهُ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُفِّعَ فِيهِ، وَمَنْ مَحَلَ بِهِ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صُدِّقَ عَلَيْهِ؛ فَإِنَّهُ يُنَادِي مُنَادٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: «أَلَا إِنَّ كُلَّ حَارِثٍ مُبْتَلًى فِي حَرْثِهِ وَعَاقِبَةِ عَمَلِهِ غَيْرَ حَرَثَةِ الْقُرْآنِ» فَكُونُوا مِنْ حَرَثَتِهِ وَأَتْبَاعِهِ، وَاسْتَدِلُّوهُ عَلَى رَبِّكُمْ، وَاسْتَنْصِحُوهُ عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَاتَّهِمُوا عَلَيْهِ آرَاءَكُمْ، وَاسْتَغِشُّوا فِيهِ أَهْوَاءَكُمْ، الْعَمَلَ الْعَمَلَ، ثُمَّ النِّهَايَةَ النِّهَايَةَ وَالْاِسْتِقَامَةَ الْاِسْتِقَامَةَ ثُمَّ الصَّبْرَ الصَّبْرَ، وَالْوَرَعَ الْوَرَعَ، إِنَّ لَكُمْ نِهَايَةً فَانْتَهُوا إِلَى نِهَايَتِكُمْ، وَإِنَّ لَكُمْ عَلَمًا فَاهْتَدُوا بِعَلَمِكُمْ، وَإِنَّ لِلْإِسْلَامِ غَايَةً فَانْتَهُوا إِلَى غَايَتِهِ، وَاخْرُجُوا إِلَى اللهِ مِمَّا افْتَرَضَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَقِّهِ، وَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ وَظَائِفِهِ. أَنَا شَهِيدٌ لَكُمْ وَحَجِيجٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْكُمْ.

أَلَا وَإِنَّ الْقَدَرَ السَّابِقَ قَدْ وَقَعَ، وَالْقَضَاءَ الْمَاضِيَ قَدْ تَوَرَّدَ، وَإِنِّي مُتَكَلِّمٌ بِعِدَةِ اللهِ وَحُجَّتِهِ؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى: (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَنْ لَا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ) وَقَدْ قُلْتُمْ رَبُّنَا اللهُ، فَاسْتَقِيمُوا عَلَى كِتَابِهِ وَعَلَى مِنْهَاجِ أَمْرِهِ، وَعَلَى الطَّرِيقَةِ الصَّالِحَةِ مِنْ عِبَادَتِهِ، ثُمَّ لَا تَمْرُقُوا مِنْهَا، وَلَا تَبْتَدِعُوا فِيهَا، وَلَا تُخَالِفُوا عَنْهَا؛ فَإِنَّ أَهْلَ الْمُرُوقِ مُنْقَطَعٌ بِهِمْ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ إِيَّاكُمْ وَتَهْزِيعَ الْأَخْلَاقِ وَتَصْرِيفَهَا، وَاجْعَلُوا اللِّسَانَ وَاحِدًا، وَلْيَخْزُنِ الرَّجُلُ لِسَانَهُ، فَإِنَّ هٰذَا اللِّسَانَ جَمُوحٌ

بِصَاحِبِهِ، وَٱللهِ مَاأَرَى عَبْداً يَتَّقِي تَقْوَى تَنْفَعُهُ حَتَّى يَخْتَزِنَ لِسَانَهُ، وَإِنَّ لِسَانَ الْمُؤْمِنِ مِنْ وَرَاءِ قَلْبِهِ، وَإِنَّ قَلْبَ الْمُنَافِقِ مِنْ وَرَاءِ لِسَانِهِ؛ لِأَنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِكَلَامٍ تَدَبَّرَهُ فِي نَفْسِهِ: فَإِنْ كَانَ خَيْرًا أَبْدَاهُ، وَإِنْ كَانَ شَرًّا وَارَاهُ، وَإِنَّ الْمُنَافِقَ يَتَكَلَّمُ بِمَا أَتَى عَلَى لِسَانِهِ: لَايَدْرِي مَاذَا لَهُ؛ وَمَاذَا عَلَيْهِ!!

وَلَقَدْ قَالَ رَسُولُ ٱللهِ، صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «لَايَسْتَقِيمُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ، وَلَايَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ» فَمَنِ ٱسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَلْقَى ٱللهَ وَهُوَ نَقِيُّ الرَّاحَةِ مِنْ دِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَأَمْوَالِهِمْ، سَلِيمُ اللِّسَانِ مِنْ أَعْرَاضِهِمْ؛ فَلْيَفْعَلْ.

وَٱعْلَمُوا، عِبَادَ ٱللهِ، أَنَّ الْمُؤْمِنَ يَسْتَحِلُّ الْعَامَ مَا ٱسْتَحَلَّ عَامًا أَوَّلَ، وَيُحَرِّمُ الْعَامَ مَا حَرَّمَ عَامًا أَوَّلَ، وَإِنَّ مَا أَحْدَثَ النَّاسُ لَايُحِلُّ لَكُمْ شَيْئاً مِمَّا حُرِّمَ عَلَيْكُمْ، وَلٰكِنِ الْحَلَالُ مَا أَحَلَّ ٱللهُ، وَالْحَرَامُ مَا حَرَّمَ ٱللهُ، فَقَدْ جَرَّبْتُمُ الْأُمُورَ وَضَرَّسْتُمُوهَا، وَوُعِظْتُمْ بِمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَضُرِبَتْ لَكُمُ الْأَمْثَالُ، وَدُعِيتُمْ إِلَى الْأَمْرِ الْوَاضِحِ، فَلَا يَصَمُّ عَنْ ذٰلِكَ إِلَّا أَصَمُّ، وَلَا يَعْمَى عَنْ ذٰلِكَ إِلَّا أَعْمَى!! وَمَنْ لَمْ يَنْفَعْهُ ٱللهُ بِالْبَلَاءِ وَالتَّجَارِبِ لَمْ يَنْتَفِعْ بِشَيْءٍ مِنَ الْعِظَةِ، وَأَتَاهُ التَّقْصِيرُ مِنْ أَمَامِهِ حَتَّى يَعْرِفَ مَا أَنْكَرَ وَيُنْكِرَ مَا عَرَفَ؛ وَإِنَّمَا النَّاسُ رَجُلَانِ: مُتَّبِعٌ شِرْعَةً، وَمُبْتَدِعٌ بِدْعَةً، لَيْسَ مَعَهُ مِنَ ٱللهِ بُرْهَانُ سُنَّةٍ، وَلَاضِيَاءُ حُجَّةٍ، وَإِنَّ ٱللهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَعِظْ أَحَدًا بِمِثْلِ هٰذَا الْقُرْآنِ، فَإِنَّهُ حَبْلُ ٱللهِ الْمَتِينُ، وَسَبَبُهُ الْأَمِينُ، وَفِيهِ رَبِيعُ الْقَلْبِ، وَيَنَابِيعُ الْعِلْمِ، وَمَا لِلْقَلْبِ جِلَاءٌ غَيْرُهُ، مَعَ أَنَّهُ قَدْ ذَهَبَ الْمُتَذَكِّرُونَ، وَبَقِيَ النَّاسُونَ أَوِ الْمُتَنَاسُونَ. فَإِذَا رَأَيْتُمْ خَيْرًا فَأَعِينُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا رَأَيْتُمْ شَرًّا فَاذْهَبُوا عَنْهُ، فَإِنَّ رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم، كَانَ يَقُولُ: «يَاٱبْنَ آدَمَ ٱعْمَلِ الْخَيْرَ وَدَعِ الشَّرَّ فَإِذَا أَنْتَ جَوَادٌ قَاصِدٌ».

أَلَا وَإِنَّ الظُّلْمَ ثَلَاثَةٌ: فَظُلْمٌ لَايُغْفَرُ، وَظُلْمٌ لَايُتْرَكُ، وَظُلْمٌ مَغْفُورٌ لَايُطْلَبُ: فَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي لَايُغْفَرُ فَالشِّرْكُ بِاللهِ، قَالَ ٱللهُ تعالى: (إِنَّ ٱللهَ لَايَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ) وَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي يُغْفَرُ فَظُلْمُ الْعَبْدِ نَفْسَهُ عِنْدَ بَعْضِ الْهَنَاتِ، وَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي لَايُتْرَكُ فَظُلْمُ الْعِبَادِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا، الْقِصَاصُ هُنَاكَ شَدِيدٌ! لَيْسَ هُوَ جَرْحًا بِالْمُدَى، وَلَاضَرْباً بِالسِّيَاطِ، وَلٰكِنَّهُ مَا يُسْتَصْغَرُ ذٰلِكَ مَعَهُ. فَإِيَّاكُمْ وَالتَّلَوُّنَ فِي دِينِ ٱللهِ، فَإِنَّ جَمَاعَةً فِيمَا تَكْرَهُونَ مِنَ الْحَقِّ خَيْرٌ مِنْ فُرْقَةٍ فِيمَا تُحِبُّونَ مِنَ الْبَاطِلِ، وَإِنَّ ٱللهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يُعْطِ أَحَدًا بِفُرْقَةٍ خَيْرًا: مِمَّنْ مَضَى وَلَامِمَّنْ بَقِيَ.

يَا أَيُّهَا النَّاسُ؛ طُوبَى لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ، وَطُوبَى لِمَنْ لَزِمَ بَيْتَهُ وَأَكَلَ قُوتَهُ، وَاشْتَغَلَ بِطَاعَةِ رَبِّهِ، وَبَكَى عَلَى خَطِيئَتِهِ، فَكَانَ مِنْ نَفْسِهِ فِي شُغُلٍ، وَالنَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ!

اقول: قوله بـالجليّـة اى: بالاعذار الجليـة، او: بان أوضح لكـم جليـة الأمور. و نبّه بالخبر على انّ مكاره الله و ان كانت لذيذة، فانّ النار محفوفة بها، فمن لابسها و انهمك فيها وصل الى النار، وان محابّه من الاعمال و ان كانت شاقة فانّ الجنة محفوفة بها، فلا تنال بدون الوصول اليها، و نزع: قلع. و قمع: ردع والنفس اى: الامارة بالسوء أبعد شئ منزعًا، اى: رجوعا عن المعصية، اذهى مجبولة على محبّة الباطل. و ظنون: متهمة بالخيانة، والتقصير في طاعة الله. و تقويض البناء: نقضه. و مجالسة القرآن: مجالسة أهله، والاستماع اليهم، والتفّهم عنهم. و اراد بالفاقة: الحاجة الى ما ينبغى من الهداية، والكمال النفساني. و بالغنى: حصولهما. و ادوائهم: الجهل والرذائل. واللأواء: الشدّة، و استعارلفظ الشافع المشفع: للقرآن، باعتبار كونه: وسيلة لمن تقرّب به الى الله، موصلة له الى مطالبه. و محل به الى السلطان: سعى به، و وجه ذلك فى القرآن اعتبار كون العامل به معروفا عندالله بذلك، فأشبه القرآن الشاهد عليه بذلك. وَ حَرَثَةَ القرآن: مستثير وا دفاينه و كنوز علمه. و استنصحوه على أنفسكم، اى: اتّخذوه انصح منها، فانّه اولى بالنصيحة. و قوله: و اتّهموا عليه آراءكم اى: الآراء: و الأهواء: المخالفة له. والنهاية التى للخلق المطلوبة منهم: اخلاصهم لله، و التحلّى بزينته، و هى غاية الاسلام أيضا. والعلم: مستعار له عليه السلام وللقرآن. و قوله: من حقه: متعلّق بقوله: اخرجوا والخروج اليه: بأخلاص العمل له.والماضى: النافذ الّذى لايرّد. و تورّد اى: دخل فى الوجود شيئا بعد شئ، يقال: تورّدت الخيل البلد: اذا دخلته قِطعةً قِطعةً و اشار بالقدر: الى واقع خاص و هو خلافته و ما يصحبها من الفتن والوقائع. وعدة الله التى يتكلم بها هى: ما وعد به عباده الّذين اعترفوا بربوبيّته، و استقاموا على سلوك سبيله من تنزّل الملائكة عليهم بذهاب الخوف والحزن والبشارة بالجنّة. و امّا حجته التى تكلّم بها فقوله: «و قد قلتم: ربّنا الله، اى: اعترفتم بالرّبوبيّة. فأستقيموا على كتابه، و منهاج امره الى قوله عنها». و تهزيع الاخلاق:

تفريقها و تكثيرها، و هو نهي عن النفاق، و ذواللسانين، والوجهين، هوالمنافق. واستعار لفظ الوراء للسان المؤمن: باعتبار انّ قوله مؤخر عن فكر قلبه، و لقلب المنافق: باعتبار انّ فكره مؤخر عن كلامه، و استقامة القلب في الخبر بالاعتقاد الصالح لاستقامة الايمان و صحته، و استقامة اللسان اى: على الأقوال الصالحة علامة لاستقامة الايمان لا سبب، لكن لما كانت العلامة متقدّمة على ذى العلامة في العلم، اشار الى: توقّف استقامة القلب على استقامة اللسان بحتّى ايضا.

و نقاء الراحة: كناية عن الخلاص من حقوق المسلمين، دمائهم و أحوالهم. و قوله: انّ المؤمن، الى قوله: احلّ الله اى: انّ المؤمن يستحلّ و يحرّم في المستقبل ما كان حلالا او حراما في الماضي، و هو: ما احلّه الله و رسوله او حرّمه و ثبت بالكتاب و السنة اخذه او تركه دون ما احدث من البدع. و ضرست الأمر اى: احكمته خبرا. و قوله: و لا يصم عن ذلك الآ اصم اى: بعد بيان الأمر و ايضاحه بما ذكر لا يصم عنه الآ اصم اى: شديد الصمم والآ اعمى اى: شديد عمى الجهل و هو عمى البصيرة. والأمر: هو طريق الدين. وقوله: من امامه: لانّ الكمال الّذى يتوجّه اليه بوجه عقله يفوته لنقصان غريزته، و وقوف عقله عنها. و قوله: حتى تعرف، الى قوله: عرف، اشارة الى: غاية جهله، وهو: ان يتخيّل تارة فيما هو منكر و مجهول له انّه عالم به و فيما هو معروف عنده، و صحيح انّه لا يعرفه لشبهة تعتريه. والأمين: المأمون اى: من تمسّك به لم يخنه. و الهنة: كناية عن الصغيرة من الزلّات والعفو عنها في آيات الوعد. والتلوّن في الدين: النفاق فيه، وافتراق القلوب عنه. و باقي الفصل ظاهر.

١٧٦ ـ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام
في معنى الحكمين

فَأَجْمَعَ رَأْيُ مَلَئِكُمْ عَلَى أَنِ اخْتَارُوا رَجُلَيْنِ، فَأَخَذْنَا عَلَيْهِمَا أَنْ يُجَعْجِعَا عِنْدَ الْقُرْآنِ، وَلَا يُجَاوِزَاهُ، وَتَكُونَ أَلْسِنَتُهُمَا مَعَهُ، وَقُلُوبُهُمَا تَبَعَهُ، فَتَاهَا عَنْهُ، وَتَرَكَا الْحَقَّ وَهُمَا يُبْصِرَانِهِ، وَكَانَ الْجَوْرُ هَوَاهُمَا، وَالاِعْوِجَاجُ رَأْيَهُمَا، وَقَدْ سَبَقَ اسْتِثْنَاؤُنَا عَلَيْهِمَا فِي الْحُكْمِ بِالْعَدْلِ

وَالْعَمَلِ بِالْحَقِّ سُوءَ رَأْيِهِمَا، وَجَوْرَ حُكْمِهِمَا! وَالثِّقَةُ فِي أَيْدِينَا لِأَنْفُسِنَا، حِينَ خَالَفَا سَبِيلَ الْحَقِّ، وَأَتَيَا بِمَا لَايُعْرَفُ مِنْ مَعْكُوسِ الْحُكْمِ.

أقول: الاجماع، تصميم العزم. و يجعجعا: يحبسا نفسهما على القرآن. والخطاب لمن انكر عليه عدم رضاه بالتحكيم بعد الرضا به. و الرجلان الحكمان: ابوموسى الاشعرى، و عمروبن العاص. والثقة فى ايدينا اى: ثباتنا فى الحق فى عدم الرضا، اذ كان رضانا بحسب الشرط الذى خالفاه. وقد سبق ذكر الحكمين و طرف من حالهما.

١٧٧ ـ وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

لَايَشْغَلُهُ شَأْنٌ، وَلَايُغَيِّرُهُ زَمَانٌ، وَلَايَحْوِيهِ مَكَانٌ، وَلَايَصِفُهُ لِسَانٌ وَلَايَعْزُبُ عَنْهُ عَدَدُ قَطْرِ الْمَاءِ، وَلَانُجُومِ السَّمَاءِ، وَلَاسَوَافِي الرِّيحِ فِي الْهَوَاءِ، وَلَادَبِيبُ النَّمْلِ عَلَى الصَّفَا، وَلَامَقِيلُ الذَّرِّ فِي اللَّيْلَةِ الظَّلْمَاءِ. يَعْلَمُ مَسَاقِطَ الْأَوْرَاقِ، وَخَفِيَّ طَرْفِ الْأَحْدَاقِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَاإِلٰهَ إِلَّا اللهُ غَيْرَمَعْدُولٍ بِهِ وَلَامَشْكُوكٍ فِيهِ، وَلَامَكْفُورٍ دِينُهُ، وَلَامَجْحُودٍ تَكْوِينُهُ شَهَادَةَ مَنْ صَدَقَتْ نِيَّتُهُ، وَصَفَتْ دِخْلَتُهُ، وَخَلَصَ يَقِينُهُ، وَثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْمُجْتَبَى مِنْ خَلَائِقِهِ، وَالْمُعْتَامُ لِشَرْحِ حَقَائِقِهِ وَالْمُخْتَصُّ بِعَقَائِلِ كَرَامَاتِهِ، وَالْمُصْطَفَى لِكَرَائِمِ رِسَالَاتِهِ، وَالْمُوَضَّحَةُ بِهِ أَشْرَاطُ الْهُدَى، وَالْمَجْلُوُّ بِهِ غِرْبِيبُ الْعَمَى.

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ الدُّنْيَا تَغُرُّ الْمُؤَمِّلَ لَهَا، وَالْمُخْلِدَ إِلَيْهَا، وَلَا تَنْفَسُ بِمَنْ نَافَسَ فِيهَا، وَتَغْلِبُ مَنْ غَلَبَ عَلَيْهَا. وَايْمُ اللهِ مَا كَانَ قَوْمٌ قَطُّ فِي غَضِّ نِعْمَةٍ مِنْ عَيْشٍ فَزَالَ عَنْهُمْ إِلَّا بِذُنُوبٍ اجْتَرَحُوهَا؛ لِأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ. وَلَوْ أَنَّ النَّاسَ ـ حِينَ تَنْزِلُ بِهِمُ النِّقَمُ وَتَزُولُ عَنْهُمُ النِّعَمُ ـ فَزِعُوا إِلَى رَبِّهِمْ بِصِدْقٍ مِنْ نِيَّاتِهِمْ وَوَلَهٍ مِنْ قُلُوبِهِمْ؛ لَرَدَّ عَلَيْهِمْ كُلَّ شَارِدٍ، وَأَصْلَحَ لَهُمْ كُلَّ فَاسِدٍ. وَإِنِّي لَأَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تَكُونُوا فِي فَتْرَةٍ، وَقَدْ كَانَتْ أُمُورٌ مَضَتْ مِلْتُمْ فِيهَا مَيْلَةً كُنْتُمْ فِيهَا عِنْدِي غَيْرَ مَحْمُودِينَ، وَلَئِنْ رُدَّ عَلَيْكُمْ أَمْرُكُمْ إِنَّكُمْ لَسُعَدَاءُ وَمَا عَلَيَّ إِلَّا الْجُهْدُ! وَلَوْ أَشَاءُ أَنْ أَقُولَ لَقُلْتُ، عَفَا اللهُ عَمَّا سَلَفَ.

أقول: الدخلة: بكسر الدال و ضمّها باطن الشئ. والمعتام: المختار. و حقائقه: ما حقّ و ثبت من دينه. و عقائل كراماته: نفائس ما اكرم به عباده من قوانين الدين. واشراط الهدى: علاماته. و غربيب العمى: ما يعقل من ظلمة الجهل و سواه. اخلد الى كذا: سكن اليه. و تنفس: تبخل. و غض النعمة: طريها. و تجوز بلفظ الفترة في امر الجاهلية: اطلاقا لأسم الظرف على المظروف. و يحتمل ان يريد الفترة: من عذاب ينتظر بسبب مخالفتهم لآرائه. قالت الامامية: والأمور التى مالوا فيها: تقديمهم عليه من سبق من الأئمة. و قال غيرهم: ميلهم عليه في تقديم عثمان وقت الشورى. و امرهم الى اصلاح أحوالهم التى كانوا عليها في زمن الرسول عليه السلام. و ما عليّ الآ الجهد، اى: في عود مثل ذلك الأمر عليهم. و قوله: ولو اشاء الى آخره، يفهم منه: انّه لو قال: مقتضى قوله: نسبتهم الى ظلمه و تخطئتهم في التقديم عليه و ذكر وجوه تأخيرهم له. والله اعلم.

١٧٨ ـ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

وقد سأله ذعلب اليماني فقال: هل رأيت ربك يا أميرالمؤمنين؟ فقال عليه السلام: أفأ عبد مالا أرى؟ فقال: و كيف تراه؟ فقال:

لَا تُدْرِكُهُ الْعُيُونُ بِمُشَاهَدَةِ الْعِيَانِ، وَلكِنْ تُدْرِكُهُ الْقُلُوبُ بِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ قَرِيبٌ مِنَ الْأَشْيَاءِ غَيْرُ مُلَامِسٍ، بَعِيدٌ مِنْهَا غَيْرُ مُبَايِنٍ، مُتَكَلِّمٌ لَا بِرَوِيَّةٍ، مُرِيدٌ لَا بِهِمَّةٍ، صَانِعٌ لَا بِجَارِحَةٍ، لَطِيفٌ لَا يُوصَفُ بِالْخَفَاءِ، كَبِيرٌ لَا يُوصَفُ بِالْجَفَاءِ، بَصِيرٌ لَا يُوصَفُ بِالْحَاسَّةِ، رَحِيمٌ لَا يُوصَفُ بِالرِّقَّةِ. تَعْنُو الْوُجُوهُ لِعَظَمَتِهِ، وَتَجِبُ الْقُلُوبُ مِنْ مَخَافَتِهِ.

أقول: حقائق الإيمان: أركانه، و هي: التصديق بوجوده تعالى، و وحدانيته، واعتبارات اسمائه الحسنى مما عدّه. واحترز بقوله: غير ملامس و غير مباين: عن القرب والبعد المعهود للأجسام اذ معنى قربه تعالى: ايصال علمه و قدرته بكل شئ، ومعنى بعده: مباينته بذاته الكاملة عن مشابهة شئ. و احترز بسلب الرؤية في الكلام: عن كلام المخلوقين. و بسلب الهمّة عن مثله: ارادته لارادتنا في سبق العزم لها، و بسلب الجارحة:

عن مثلية صنعة كصنعتنا. و بسلب الوصف بالخفاء: عن اللطف بمعنى رقّة القوام، بل معنى لطفه تعالى تصرّفه في الذوات والصفات تصرّفا خفيًا بفعل الاسباب المعدّة لها لافاضة كمالا تها. و بسلب وصفه بالرّقة: عن رحمتنا. و باقي الفصل ظاهر.

١٧٩ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام [١]

اَلْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَظْهَرَ مِنْ آثَارِ سُلْطَانِهِ، وَجَلاَلِ كِبْرِيَائِهِ؛ مَا حَيَّرَ مُقَلَ الْعُيُونِ مِنْ عَجَائِبِ قُدْرَتِهِ، وَرَدَعَ خَطَرَاتِ هَمَاهِمِ النُّفُوسِ عَنْ عِرْفَانِ كُنْهِ صِفَتِهِ. وَأَشْهَدُ أَنْ لاَإِلٰهَ إِلاَّ اللهُ شَهَادَةَ إِيمَانٍ وَإِيقَانٍ، وَإِخْلاَصٍ وَإِذْعَانٍ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَرْسَلَهُ وَأَعْلاَمُ الْهُدَى دَارِسَةٌ، وَمَنَاهِجُ الدِّينِ طَامِسَةٌ، فَصَدَعَ بِالْحَقِّ، وَنَصَحَ لِلْخَلْقِ، وَهَدَى إِلَى الرُّشْدِ، وَأَمَرَ بِالْقَصْدِ، صلى الله عليه وآله و سلم.

وَاعْلَمُوا، عِبَادَاللهِ، أَنَّهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثاً، وَلَمْ يُرْسِلْكُمْ هَمَلاً. عَلِمَ مَبْلَغَ نِعَمِهِ عَلَيْكُمْ، وَأَحْصَى إِحْسَانَهُ إِلَيْكُمْ، فَاسْتَفْتِحُوهُ، وَاسْتَنْجِحُوهُ، وَاطْلُبُوا إِلَيْهِ وَاسْتَمْنِحُوهُ، فَمَا قَطَعَكُمْ عَنْهُ حِجَابٌ، وَلاَ أُغْلِقَ عَنْكُمْ دُونَهُ بَابٌ، وَإِنَّهُ لَبِكُلِّ مَكَانٍ، وَفِي كُلِّ حِينٍ وَأَوَانٍ، وَمَعَ كُلِّ إِنْسٍ وَجَانٍّ، لاَيَثْلِمُهُ الْعَطَاءُ، وَلاَيَنْقُصُهُ الْحِبَاءُ، وَلاَيَسْتَنْفِدُهُ سَائِلٌ، وَلاَيَسْتَقْصِيهِ نَائِلٌ، وَلاَيَلْوِيهِ شَخْصٌ عَنْ شَخْصٍ، وَلاَيُلْهِيهِ صَوْتٌ عَنْ صَوْتٍ، وَلاَ تَحْجُزُهُ هِبَةٌ عَنْ سَلْبٍ، وَلاَيَشْغَلُهُ غَضَبٌ عَنْ رَحْمَةٍ، وَلاَ تُولِهُهُ رَحْمَةٌ عَنْ عِقَابٍ، وَلاَيُجِنُّهُ الْبُطُونُ عَنِ الظُّهُورِ، وَلاَيَقْطَعُهُ الظُّهُورُ عَنِ الْبُطُونِ. قَرُبَ فَنَأَى، وَعَلاَ فَدَنَا، وَظَهَرَ فَبَطَنَ، وَبَطَنَ فَعَلَنَ، وَدَانَ وَلَمْ يُدَنْ، لَمْ يَذْرَإِ الْخَلْقَ بِاحْتِيَالٍ، وَلاَاسْتَعَانَ بِهِمْ لِكَلاَلٍ.

أُوصِيكُمْ، عِبَادَاللهِ، بِتَقْوَى اللهِ؛ فَإِنَّهَا الزِّمَامُ وَالْقِوَامُ، فَتَمَسَّكُوا بِوَثَائِقِهَا، وَاعْتَصِمُوا بِحَقَائِقِهَا؛ تَؤُلْ بِكُمْ إِلَى أَكْنَانِ الدَّعَةِ، وَأَوْطَانِ السَّعَةِ، وَمَعَاقِلِ الْحِرْزِ. وَمَنَازِلِ الْعِزِّ، فِي يَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ، وَتُظْلِمُ الْأَقْطَارُ، وَتُعَطَّلُ فِيهِ صُرُومُ الْعِشَارِ، وَيُنْفَخُ فِي الصُّورِ؛ فَتَزْهَقُ كُلُّ مُهْجَةٍ، وَتَبْكَمُ كُلُّ لَهْجَةٍ، وَتَذِلُّ الشُّمُّ الشَّوَامِخُ، وَالصُّمُّ الرَّوَاسِخُ، فَيَصِيرُ صَلْدُهَا سَرَابًا رَقْرَقًا، وَمَعْهَدُهَا قَاعًا سَمْلَقًا، فَلاَشَفِيعٌ يَشْفَعُ، وَلاَحَمِيمٌ يَدْفَعُ، وَلاَمَعْذِرَةٌ تَنْفَعُ.

---

١ ـ هذه الخطبة جاءت في الشرح الكبير تحت رقم ١٨٦. المجلد الثالث ص ٤٣١.

أقول: استعار لفظ المقلة وهي: شحمة العين لقوّة العقل، باعتبار ادراكها. وخطرات هماهم النفوس: ما يخطر لها فتهمهم به، والهمهمة: صوت خفي، وردعه لها: استلزام كماله المطلق عن ادراك حقيقته، والإيمان: التصديق القلبيّ بالله و ما جاءت به رسله، و ما يطابقه باللسان. والايقان: اعتقاد انّ ذلك التصديق لايكون الّا كذلك. والاخلاص: ان يحذف في توحيده تعالى كل امر سواه عن درجة الاعتبار، والاذعان: ثمرة ذلك الاخلاص وهي: كمال العبادات التابعة له. و اعلام الهدى: ائمة الدين. والمناهج: قوانين الشريعة و دروسها. و طموسها: اضمحلالها قبل النبوّة. وكونه تعالى بكل مكان: بعلمه. و في كل زمان: مساوقة وجوده لوجودالزمان، اذ هوتعالى عن احاطة بهما. و مع كل انس و جان: بعلمه. والحباء: النوال، و اشار باجتماع الاضداد تحت حكم قدرته: الى كمالها، و تنزيهها عن قدرةالبشر، و كذلك اجتماع الاحوال المتضادة له كالرحمة، والعقاب، والبطون والظهور و غيرها انّما هي باعتبارات مختلفة تعتبرها الاذهان لمعقوليته تعالى كمامر. والتوليه: شغل القلب و تحيّره. و دان: قهر. و ذرأ: خلق. و استعار لفظ الزّمام لتقوى الله: لقودها العبد الى الحق، و كونها قواما اى: للعبد على سبيل. و وثائقها: ما يتمسّك به منها و هوالمأمور بلزومه من العبادات والطاعات. وحقائقها: الخالص منهاالثابت في الدين، والجزم. تؤل: في جواب الامر بالتمسّك. وكنان الدعة: مواطن الراحة من العذاب و هي: غرفات الجنة و منازلها وهي: اوطان السعة. والمعاقل: المحارز و هي: منازل العزفي جوارالله. والصروم: جمع صرمة وهي: القطعة من الابل نحوالثلاثين. والعشار: النوق أتى عليها بعد طروق الفحل عشرة اشهر. والشّم الشوامخ: الجبال العالية. و معهدها: ما كان مسكونا. والقاع: الخالي. والسملق: الصفصف المستوى.

منها: [1]

بَعَثَهُ حِينَ لَاعَلَمٌ قَائِمٌ، وَلَامَنَارٌ سَاطِعٌ، وَلَا مَنْهَجٌ وَاضِحٌ: أُوصِيكُمْ عِبَادَاللهِ، بِتَقْوَى اللهِ، وَأُحَذِّرُكُمُ الدُّنْيَا؛ فَإِنَّهَا دَارُ شُخُوصٍ، وَمَحَلَّةُ تَنْغِيصٍ، سَاكِنُهَا ظَاعِنٌ، وَقَاطِنُهَا بَائِنٌ،

---

١ ـ في الشرح الكبيرج ٣ ص ٤٣٧ وردت بقية الخطبة مستقلة و برقم ١٨٧.

تَمِيدُ بِأَهْلِهَا مَيَدَانَ السَّفِينَةِ تَقْصِفُهَا الْعَوَاصِفُ فِي لُجَجِ الْبِحَارِ، فَمِنْهُمُ الْغَرِقُ الْوَبِقُ، وَمِنْهُمُ النَّاجِي عَلَى بُطُونِ الْأَمْوَاجِ، تَحْفِزُهُ الرِّيَاحُ بِأَذْيَالِهَا، وَتَحْمِلُهُ عَلَى أَهْوَالِهَا، فَمَا غَرِقَ مِنْهَا فَلَيْسَ بِمُسْتَدْرَكٍ ، وَمَا نَجَا مِنْهَا فَإِلَى مَهْلَكٍ!!

عِبَادَ اللهِ، الْآنَ فَاعْمَلُوا، وَالْأَلْسُنُ مُطْلَقَةٌ، وَالْأَبْدَانُ صَحِيحَةٌ، وَالْأَعْضَاءُ لَدْنَةٌ، وَالْمُنْقَلَبُ فَسِيحٌ، وَالْمَجَالُ عَرِيضٌ، قَبْلَ إِرْهَاقِ الْفَوْتِ، وَحُلُولِ الْمَوْتِ، فَحَقِّقُوا عَلَيْكُمْ نُزُولَهُ، وَلَا تَنْتَظِرُوا قُدُومَهُ!

اقول:استعار لفظ العلم، والمنار: للهداة الى الله. والساطع: المرتفع. و لفظ المنهج: للشريعة. والقاطن: المقيم و شبهها بأهلها: كالسفينة براكبها، و وجه التمثيل قوله: تقصفها الى آخره. و اشتمل هذا التمثيل على تشبهات، فالدنيا: كالسفينة في الريح العاصف، و تغيّراتها كحركات السفينة. و رميهم بحوادثها: كالأحوال التى تلحق اهل السفينة حينئذ. و قسمتهم الى غريق وبق اى: هالك بحوادثها، و الى ناج: الى حين مقاساة متاعها و لابدّ من هلاكه. واللدن: الناعم، والأرهاق: اللحوق، و تحقيق نزوله: بذكره و اخطاره بالبال، و تقدير كونه واقعًا بهم. و نهى عن انتظار قدومه: لاستلزام ذلك توهّم بعده، والتكاسل بسبب ذلك عن العمل.

١٨٠ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

وَلَقَدْ عَلِمَ الْمُسْتَحْفَظُونَ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ، صلى الله عليه وآله وسلم، أَنِّي لَمْ أَرُدَّ عَلَى اللهِ وَلَا عَلَى رَسُولِهِ سَاعَةً قَطُّ، وَلَقَدْ وَاسَيْتُهُ بِنَفْسِي فِي الْمَوَاطِنِ الَّتِي تَنْكُصُ فِيهَا الْأَبْطَالُ، وَتَتَأَخَّرُ فِيهَا الْأَقْدَامُ، نَجْدَةً أَكْرَمَنِي اللهُ بِهَا.

وَلَقَدْ قُبِضَ رَسُولُ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَإِنَّ رَأْسَهُ لَعَلَى صَدْرِي، وَلَقَدْ سَالَتْ نَفْسُهُ فِي كَفِّي، فَأَمْرَرْتُهَا عَلَى وَجْهِي، وَلَقَدْ وُلِّيتُ غُسْلَهُ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَالْمَلَائِكَةُ أَعْوَانِي ،فَضَجَّتِ الدَّارُ وَالْأَفْنِيَةُ، مَلَأٌ يَهْبِطُ وَمَلَأٌ يَعْرُجُ، وَمَا فَارَقَتْ سَمْعِي هَيْنَمَةٌ مِنْهُمْ، يُصَلُّونَ عَلَيْهِ حَتَّى وَارَيْنَاهُ فِي ضَرِيحِهِ، فَمَنْ ذَا أَحَقُّ بِهِ مِنِّي حَيًّا وَمَيِّتًا؟! فَانْفُذُوا

عَلَى بَصَائِرِكُمْ، وَلْتَصْدُقْ نِيَّاتُكُمْ فِي جِهَادِ عَدُوِّكُمْ. فَوَالَّذِي لَاإِلٰهَ إِلَّا هُوَإِنِّي لَعَلَى جَادَّةِ الْحَقِّ، وَإِنَّهُمْ لَعَلَى مَزَلَّةِ الْبَاطِلِ، أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ.

أقول: ألمستحفظون من الصحابة: العلماء الّذين استحفظوا كتاب الله و دينه فهم حفظته. و مواساته عليه السلام: تقدّمه دونه الى الموت فى مواطن القتال، كيوم حنين، واحد، و بدر. والنجدة: فضيلة تحت الشجاعة، و نصبها على المفعول له. و نفسه: دمه يقال: انّ رسول الله صلى الله عليه و آله قاءوقت موته دمًا يسيرًا، وانّ عليا عليه السلام مسح بذلك وجهه. و لا ينافي ذلك نجاسة الدم لجواز ان يخصّص دم الرسول عليه السلام، كما روى: انّ اباطيبة الحجام[1] شرب دمه حين حجمه. فقال له: اذن لايتجع بطنك، وهوالّذى غسّله صلى الله عليه، و الفضل بن عباس يصب عليه الماء. و روى انّه عصب عينى الفضل حينئذ، و كان يقول: ما قلبت منه عضوا الّا و انقلب لا اجد له ثقلا كأنّ معي من يساعدني عليه و ما ذاك الّا الملائكة.

والهينمة: صوت خفى، و ذكر هذه الفضائل لنفسه فى قوة: صغرى، تقدير كبراه: وكلّ من كان بهذا القرب هوالفضيلة فلا احقّ منه بأمره و خلافته، و امضوا اى: على جهاد عدوّكم. و بصائرهم: عقائدهم او عقولهم السليمة.

۱۸۱ ـ وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام
فى ذم أصحابه[2]

أَحْمَدُ اللهَ عَلَى مَا قَضَى مِنْ أَمْرٍ، وَقَدَّرَ مِنْ فِعْلٍ، وَعَلَى ابْتِلَائِي بِكُمْ أَيَّتُهَا الْفِرْقَةُ الَّتِي إِذَا أَمَرْتُ لَمْ تُطِعْ، وَإِذَا دَعَوْتُ لَمْ تُجِبْ، إِنْ أُمْهِلْتُمْ خُضْتُمْ، وَإِنْ حُورِبْتُمْ خُرْتُمْ! وَإِنِ اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَى إِمَامٍ طَعَنْتُمْ، وَإِنْ أُجِئْتُمْ إِلَى مُشَاقَّةٍ نَكَصْتُمْ. لَاأَبَا لِغَيْرِكُمْ مَا تَنْتَظِرُونَ

---

۱ ـ الاصابة ٤/ ١١٤.

۲ ـ التقديم والتأخير الحاصل فى الخطب هو من فعل المؤلف مع عدم وجود ايّ حذف و نقص وتحريف فى الخطب.

بِنَصْرِكُمْ رَبَّكُمْ، وَالْجِهَادِ عَلَى حَقِّكُمْ: الْمَوْتَ أوِ الذُّلَّ لَكُمْ! فَوَاللهِ لَئِنْ جَاءَ يَوْمِي -وَلَيَأتِيَنِّي- لَيُفَرِّقَنَّ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأَنَا لِكُمْ قَالٍ، وَبِكُمْ غَيْرُ كَثِيرٍ. لِلهِ أَنْتُمْ!! أَمَا دِينٌ يَجْمَعُكُمْ، وَلاَ حَمِيَّةٌ تَشْحَذُكُمْ؟ أَوَلَيْسَ عَجَباً أَنَّ مُعَاوِيَةَ يَدْعُو الْجُفَاةَ الطَّغَامَ، فَيَتَّبِعُونَهُ عَلَى غَيْرِ مَعُونَةٍ وَلاَ عَطَاءٍ، وَأَنَا أَدْعُوكُمْ -وَأَنْتُمْ تَرِيكَةُ الْإِسْلاَمِ، وَبَقِيَّةُ النَّاسِ إِلَى الْمَعُونَةِ وَطَائِفَةٍ مِنَ الْعَطَاءِ فَتَتَفَرَّقُونَ عَنِّي، وَتَخْتَلِفُونَ عَلَيَّ؟! إِنَّهُ لاَ يَخْرُجُ إِلَيْكُمْ مِنْ أَمْرِي رِضاً فَتَرْضَوْنَهُ، وَلاَ سُخْطٌ فَتَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ، وَإِنَّ أَحَبَّ مَا أَنَا لاَقٍ إِلَيَّ الْمَوْتُ. قَدْ دَارَسْتُكُمُ الْكِتَابَ، وَفَاتَحْتُكُمُ الْحِجَاجَ، وَعَرَّفْتُكُمْ مَا أَنْكَرْتُمْ، وَسَوَّغْتُكُمْ مَا مَجَجْتُمْ، لَوْ كَانَ الْأَعْمَى يَلْحَظُ، أَوِ النَّائِمُ يَسْتَيقِظُ!! وَأَقْرِبْ بِقَوْمٍ مِنَ الْجَهْلِ بِاللهِ قَائِدُهُمْ مُعَاوِيَةُ وَمُؤَدِّبُهُمُ ابْنُ النَّابِغَةِ.

أقول: انّما قال علي: ما قضى من امر و قدّر من فعل: لانّ القضاء هو احاطة علمه تعالى بكلّ شئ و هو اعمّ من ان يكون فعلا، و لما كان القدر هو تفصيل القضاء و ايجاد الأشياء على وفقه خصّ القدر بالفعل. و خضتم: مستعار للسعي في غير طاعة. و خرتم: ضعفتم او صحتم من الخوار. و قوله: الموت او الذّل لكم: في قوّة منفصلة ما نعة الخلوّ. والشحذ: التحديد. والطغام: اوغادالناس. و انّما قال: على غير معونة و لاعطاء اى: العطاء والمعونة المتعارفين بين الجند، لأنّ بذل معاوية كان جزافا لرؤساء القبائل، وقسمة علي عليه السلام كانت على وجه الرزق والعطاء من غير تفضيل لشريف على من دونه. و تريكة الاسلام: ما بقي منه. والتريكة: بيضة النعام، و كل بيضة بالعراء تريكة. و مجّه: ألقاه من فيه. و استعار لفظ التسويغ: لأعطائهم ما كانوا يحرّمونه من غيره من الارزاق، او اعطائهم العلوم التي لم تقبلها اذهانهم، قبل ذلك كما استعار له وصف المج. و قوله: لو كان، الى قوله: يستيقظ: اشارة الى غفلتهم و جهلهم. و ابن النابغة: عمرو بن العاص و هو رئيس المنافقين والجهّال فكيف بتلاميذه.

١٨٢ - وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

وقد أرسل رجلا من أصحابه يعلم له علم أحوال قوم من جندالكوفة قد هموا باللحاق بالخوارج، و كانوا على خوف منه عليه السلام، فلما عاد إليه الرجل قال له: أأمنوا فقطنوا أم

جبنوا فظعنوا؟؟ فقال الرجل: بل ظعنوا يا أميرالمؤمنين. فقال:

بُعْدًا لَهُمْ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ، أَمَا لَوْ أُشْرِعَتِ الأَسِنَّةُ إِلَيْهِمْ، وَصُبَّتِ السُّيُوفُ عَلَى هَامَاتِهِم! لَقَدْ نَدِمُوا عَلَى مَا كَانَ مِنْهُمْ، إِنَّ الشَّيْطَانَ الْيَوْمَ قَدْ اسْتَفَلَّهُمْ، وَهُوَ غَدًا مُتَبَرِّئٌ مِنْهُمْ، وَمُتَخَلٍّ عَنْهُمْ، فَحَسْبُهُمْ بِخُرُوجِهِمْ مِنَ الْهُدَى، وَارْتِكَاسِهِمْ فِي الضَّلَالِ وَالْعَمَى، وَصَدِّهِمْ عَنِ الْحَقِّ، وَجِمَاحِهِمْ فِي التِّيهِ.

أقول: قطنوا: اقاموا. و بعدت: بالكسر هلكت. و اشرعت الرمح نحوه: سددته. واستفلّهم: طلب تفريقهم و هزيمتهم. والارتكاس: الرجوع في الشئ مقلوبًا. و استعار لفظ الجماح: لخروجهم عن فضيلة العدل، الى طرف الافراط على جهل بمطلوبهم و هو معنى التيه.

١٨٣ ـ وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

روى عن نوف البكالي قال: خطبنا هذه الخطبة بالكوفة أميرالمؤمنين عليه السلام وهو قائم على حجارة نصبها له جعدة بن هبيرة المخزومي، وعليه مدرعة من صوف، وحمائل سيفه ليف، وفي رجليه نعلان من ليف، وكأن جبينه ثَفِنَةُ بعير. فقال عليه السلام:

الْحَمْدُلِلَّهِ الَّذِي إِلَيْهِ مَصَائِرُ الْخَلْقِ وَعَوَاقِبُ الْأَمْرِ، نَحْمَدُهُ عَلَى عَظِيمِ إِحْسَانِهِ، وَنَيِّرِ بُرْهَانِهِ، وَنَوَامِي فَضْلِهِ وَامْتِنَانِهِ، حَمْدًا يَكُونُ لِحَقِّهِ قَضَاءً، وَلِشُكْرِهِ أَدَاءً، وَإِلَى ثَوَابِهِ مُقَرِّبًا، وَلِحُسْنِ مَزِيدِهِ مُوجِبًا. وَنَسْتَعِينُ بِهِ اسْتِعَانَةَ رَاجٍ لِفَضْلِهِ، مُؤَمِّلٍ لِنَفْعِهِ، وَاثِقٍ بِدَفْعِهِ، مُعْتَرِفٍ لَهُ بِالطَّوْلِ، مُذْعِنٍ لَهُ بِالْعَمَلِ وَالْقَوْلِ. وَنُؤْمِنُ بِهِ إِيمَانَ مَنْ رَجَاهُ مُوقِنًا، وَأَنَابَ إِلَيْهِ مُؤْمِناً، وَخَنَعَ لَهُ مُذْعِنًا، وَأَخْلَصَ لَهُ مُوَحِّدًا، وَعَظَّمَهُ مُمَجِّدًا، وَلَاذَ بِهِ رَاغِبًا مُجْتَهِدًا: لَمْ يُولَدْ سُبْحَانَهُ فَيَكُونَ فِي الْعِزِّ مُشَارَكًا، وَلَمْ يَلِدْ فَيَكُونَ مُورِثًا هَالِكًا، وَلَمْ يَتَقَدَّمْهُ وَقْتٌ وَلَازَمَانٌ، وَلَمْ يَتَعَاوَرْهُ زِيَادَةٌ وَلَانُقْصَانٌ، بَلْ ظَهَرَ لِلْعُقُولِ بِمَا أَرَانَا مِنْ عَلَامَاتِ التَّدْبِيرِ الْمُتْقَنِ، وَالْقَضَاءِ الْمُبْرَمِ.

وَمِنْ شَوَاهِدِ خَلْقِهِ خَلْقُ السَّمٰوَاتِ مُوَطَّدَاتٍ بِلاَعَمَدٍ، قَائِمَاتٍ بِلاَسَنَدٍ. دَعَاهُنَّ فَأَجَبْنَ طَائِعَاتٍ مُذْعِنَاتٍ، غَيْرَ مُتَلَكِّئَاتٍ وَلاَمُبْطِئَاتٍ، وَلَوْلاَ إِقْرَارُهُنَّ لَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ وَإِذْعَانُهُنَّ لَهُ بِالطَّوَاعِيَةِ لَمَا جَعَلَهُنَّ مَوْضِعًا لِعَرْشِهِ وَلاَ مَسْكَنًا لِمَلاَئِكَتِهِ. وَلاَ مَصْعَدًا لِلْكَلِمِ الطَّيِّبِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ مِنْ خَلْقِهِ، جَعَلَ نُجُومَهَا أَعْلاَمًا يَسْتَدِلُّ بِهَا الْحَيْرَانُ فِي مُخْتَلِفِ فِجَاجِ الْأَقْطَارِ، لَمْ يَمْنَعْ ضَوْءَ نُورِهَا ادْلِهْمَامُ سُجُفِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، وَلاَ اسْتَطَاعَتْ جَلاَبِيبُ سَوَادِ الْحَنَادِسِ أَنْ تَرُدَّ مَاشَاعَ فِي السَّمٰوَاتِ مِنْ تَلأْلُؤِ نُورِ الْقَمَرِ، فَسُبْحَانَ مَنْ لاَيَخْفَى عَلَيْهِ سَوَادُ غَسَقٍ دَاجٍ، وَلاَ لَيْلٍ سَاجٍ فِي بِقَاعِ الْأَرَضِينَ الْمُتَطَأْطِئَاتِ، وَلاَ فِي يَفَاعِ السُّفْعِ الْمُتَجَاوِرَاتِ، وَمَا يَتَجَلْجَلُ بِهِ الرَّعْدُ فِي أُفُقِ السَّمَاءِ، وَمَا تَلاَشَتْ عَنْهُ بُرُوقُ الْغَمَامِ، وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ تُزِيلُهَا عَنْ مَسْقَطِهَا عَوَاصِفُ الْأَنْوَاءِ وَانْهِطَالُ السَّمَاءِ، وَيَعْلَمُ مَسْقَطَ الْقَطْرَةِ وَمَقَرَّهَا، وَمَسْحَبَ الذَّرَّةِ وَمَجَرَّهَا، وَمَا يَكْفِي الْبَعُوضَةَ مِنْ قُوتِهَا، وَمَا تَحْمِلُ الْأُنْثَى فِي بَطْنِهَا.

الْحَمْدُ لله الْكَائِنِ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ كُرْسِيٌّ أَوْ عَرْشٌ، أَوْ سَمَاءٌ أَوْ أَرْضٌ، أَوْجَانٌّ أَوْ إِنْسٌ لاَيُدْرَكُ بِوَهْمٍ، وَلاَيُقَدَّرُ بِفَهْمٍ، وَلاَيَشْغَلُهُ سَائِلٌ، وَلاَيَنْقُصُهُ نَائِلٌ، وَلاَ يُنْظَرُ بِعَيْنٍ، وَلاَيُحَدُّ بِأَيْنٍ، وَلاَ يُوصَفُ بِالْأَزْوَاجِ، وَلاَيَخْلُقُ بِعِلاَجٍ، وَلاَيُدْرَكُ بِالْحَوَاسِّ، وَلاَيُقَاسُ بِالنَّاسِ. الَّذِي كَلَّمَ مُوسَى تَكْلِيمًا، وَأَرَاهُ مِنْ آيَاتِهِ عَظِيمًا، بِلاَ جَوَارِحَ وَلاَأَدَوَاتٍ، وَلاَنُطْقٍ وَلاَلَهَوَاتٍ. بَلْ إِنْ كُنْتَ صَادِقًا أَيُّهَا الْمُتَكَلِّفُ لِوَصْفِ رَبِّكَ، فَصِفْ جِبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَجُنُودَ الْمَلاَئِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ فِي حُجُرَاتِ الْقُدُسِ مُرْجَحِنِّينَ، مُتَوَلِّهَةً عُقُولُهُمْ أَنْ يَحُدُّوا أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ. فَإِنَّمَا يُدْرَكُ بِالصِّفَاتِ ذَوُوالْهَيْئَاتِ وَالْأَدَوَاتِ، وَمَنْ يَنْقَضِي إِذَا بَلَغَ أَمَدَ حَدِّهِ بِالْفَنَاءِ! فَلاَ إِلٰهَ إِلاَّ هُوَ أَضَاءَ بِنُورِهِ كُلَّ ظَلاَمٍ، وَأَظْلَمَ بِظُلْمَتِهِ كُلَّ نُورٍ.

أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللهِ بِتَقْوَى اللهِ الَّذِي أَلْبَسَكُمُ الرِّيَاشَ، وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمُ الْمَعَاشَ وَلَوْأَنَّ أَحَدًا يَجِدُ إِلَى الْبَقَاءِ سُلَّمًا أَوْإِلَى دَفْعِ الْمَوْتِ سَبِيلاً لَكَانَ ذٰلِكَ سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ: الَّذِي سُخِّرَ لَهُ مُلْكُ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ مَعَ النُّبُوَّةِ وَعَظِيمِ الزُّلْفَةِ، فَلَمَّا اسْتَوْفَى طُعْمَتَهُ، وَاسْتَكْمَلَ مُدَّتَهُ، رَمَتْهُ قِسِيُّ الْفَنَاءِ بِنِبَالِ الْمَوْتِ، وَأَصْبَحَتِ الدِّيَارُ مِنْهُ خَالِيَةً، وَالْمَسَاكِنُ مُعَطَّلَةً، وَوَرِثَهَا قَوْمٌ آخَرُونَ، وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْقُرُونِ السَّالِفَةِ لَعِبْرَةً! أَيْنَ الْعَمَالِقَةُ وَأَبْنَاءُ الْعَمَالِقَةِ؟ أَيْنَ الْفَرَاعِنَةُ وَأَبْنَاءُ الْفَرَاعِنَةِ؟ أَيْنَ أَصْحَابُ مَدَائِنِ الرَّسِّ الَّذِينَ قَتَلُوا النَّبِيِّينَ. وَأَطْفَأُوا سُنَنَ الْمُرْسَلِينَ، وَأَحْيَوْا سُنَنَ الْجَبَّارِينَ؟ أَيْنَ الَّذِينَ سَارُوا بِالْجُيُوشِ،

وَهَزَمُوا بِالْأُلُوفِ، وَعَسْكَرُوا الْعَسَاكِرَ، وَمَدَّنُوا الْمَدَائِنَ؟!

اقول: نقل الجوهری: انّ نوف البکالی، بفتح الباء وتخفیف الکاف کان صاحب علیّ علیه السلام، و نقل عن ثعلب انّه منسوب الی بکالة قبیلة، و قال القطب الراوندی[1] رحمه الله: هو منسوب الی بکال، حیّ من همدان، و یقال: بکیل و هو اکثر، وقال عبدالحمید بن ابی‌الحدید[2]: انّما هو بکال بکسر الباء من حمیر، فمنهم هذا الشخص و هو نوف بن فضالة صاحب علیّ علیه السلام، وجعدة‌بن هبیرة‌ابن اخت امیرالمؤمنین، امّ هانی.

وثفنة البعیر: مایقع علی الأرض من اعضائه. و نیّر برهانه: ما اظهره لنا من البرهان الواضح علی وجوده وکماله. و خنع: خضع. و اذعن: انقاد. و یتعاوره: یختلف علیه. وعلامات التدبیر: الاحکام والاتقان فی مصنوعاته الموجودة علی وفق. القضاء المبرم: ای المحکم. و دعا هن: حکم القدرة الألهیة علیهنّ بالدخول فی الوجود. و اجابتهنّ: دخولهنّ فیه. و غیر متلکئات: ای متوقفات. والطواعیة: الطاعة و اوصاف الدعاء والاقرار والاجابة، والطاعة: مستعارة لشهادة حال الممکن بذلك. والأدلهمام: شدّة الظلمة. والحندس بکسر الحاء: اللیل شدید الظلمة. والیفاع: المرتفع من الارض. والسفع: الجبال. والسفعة: سواد مشرب بحمرة و هو لون الجبال غالبًا. وجلجلة الرعد: صوته. و ما تلاشت عنه: بروق الغمام ای: ینکشف للأبصار بسبب اضاءتها فکأنها اضمحلت عنه و لم تکشفه لانّ العلم به اشرف لتعلّقه بما لا تدرکه ابصار المخلوقین دون ما یضیئه لأدراك الکلّ له. والانواء: جمع نوء و هو: سقوط نجم من منازل القمر الثمانیة والعشرین فی المغرب مع الفجر، وطلوع رقیبه من المشرق یقابله من ساعته، فی کل لیلة الی ثلاثة عشر یوما، (وهکذا کلّ نجم منها الی انقضاء السنة ما خلاالجبهة فانّ لها اربعة عشر یومًا)[3].

و انّما اضاف العواصف الی الأنواء: لانّ العرب تضیف الآثار العلویّة من الریاح

---

۱ ـ منهاج البراعة ۲/ ۱۸۱.

۲ ـ شرح ابن ابی الحدید. ۱۰/۷۶. لسان العرب ۱۱/۶۳.

۳ ـ العبارة بین القوسین غیر موجودة فی نسخة ش.

والأمطار والحرّ والبرد اليها. و سلب تحديده بالاين: سلب الكميّة المتّصلة عنه. وبالأزواج، سلب للكم المنفصل عنه اى: ليس فيه اثنينية و تعدّد. والمعالجة: الفعل بآلة والعظيم من آياته، كما روى انّه كان يسمع الصوت من كل الجهات ليس على حدّ سماع البشر، و قد ذكرنا كيفية سماع الأنبياء للوحي في الأصل، و قيل: اراد الآيات التسع كأنشقاق البحر، و قلب العصا ثعبانا، وغيرهما. و حجرات القدس: مقارّ الطهارة عن كدورات الشهوة والغضب. والمرجحنّ: المائل الى جهة تحت، و هو مستعار لخضوعهم تحت سلطان عظمته. والظلام: امّا محسوس فأضاءه نورالكواكب، او معقول و هو: ظلام العدم والجهل فأضاءه نورالوجود والعلم والشرائع. وكذلك النور: امّا محسوس فأظلمه معاقبة الظلام له، وامّا معقول كأنوار الوجود والنفوس البشريّة فانّها انوار الهية تغشاها ظلمة العدم والجهل. والرياش: اللباس. والعماليق: اولاد لاوذ بن ارم بن سام بن نوح، و كان ملك اليمن والحجاز، و ما تاخم ذلك من الأقاليم. و امّا الفراعنة: فهم ملوك مصر. و امّا اصحاب مدائن الرسّ فقيل: انّهم اصحاب شعيب النّبى عليه السلام. والرسّ: بئر عظيمة جدّا انخسفت بهم و كانوا حولها. و قيل: الرسّ قرية باليمامة كان يسكنها قوم من بقايا ثمود، والله اعلم.

منها:

قَدْ لَبِسَ لِلْحِكْمَةِ جُنَّتَهَا، وَأَخَذَهَا بِجَمِيعِ أَدَبِهَا: مِنَ الْإِقْبَالِ عَلَيْهَا، وَالْمَعْرِفَةِ بِهَا، وَالتَّفَرُّغِ لَهَا، وَهِيَ عِنْدَ نَفْسِهِ ضَالَّتُهُ الَّتِي يَطْلُبُهَا، وَحَاجَتُهُ الَّتِي يَسْأَلُ عَنْهَا، فَهُوَ مُغْتَرِبٌ إِذَا اغْتَرَبَ الْإِسْلَامُ، وَضَرَبَ بِعَسِيبِ ذَنَبِهِ وَأَلْصَقَ الْأَرْضَ بِجِرَانِهِ، بَقِيَّةٌ مِنْ بَقَايَا حُجَّتِهِ، خَلِيفَةٌ مِنْ خَلَائِفِ أَنْبِيَائِهِ.

ثم قال عليه السّلام:

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي قَدْ بَثَثْتُ لَكُمُ الْمَوَاعِظَ وَعَظَ الْأَنْبِيَاءُ بِهَا أُمَمَهُمْ؛ وَأَدَّيْتُ إِلَيْكُمْ مَا أَدَّتِ الْأَوْصِيَاءُ إِلَى مَنْ بَعْدَهُمْ؛ وَأَدَّبْتُكُمْ بِسَوْطِي فَلَمْ تَسْتَقِيمُوا؛ وَحَدَوْتُكُمْ بِالزَّوَاجِرِ فَلَمْ تَسْتَوْسِقُوا!! لِلّٰهِ أَنْتُمْ، أَتَتَوَقَّعُونَ إِمَامًا غَيْرِي يَطَأُ بِكُمُ الطَّرِيقَ، وَيُرْشِدُكُمُ السَّبِيلَ؟!

أَلَا إِنَّهُ قَدْ أَدْبَرَ مِنَ الدُّنْيَا مَا كَانَ مُقْبِلاً، وَأَقْبَلَ مِنْهَا مَا كَانَ مُدْبِراً، وَأَزْمَعَ التَّرْحَالَ

عِبَادُاللهِ الْاَخْيَارُ، وَبَاعُوا قَلِيلاً مِنَ الدُّنْيَا لَايَبْقَى بِكَثِيرٍ مِنَ الآخِرَةِ لَايَفْنَى، مَا ضَرَّ إِخْوَانَنَا الَّذِينَ سُفِكَتْ دِمَاؤُهُمْ وَهُمْ بِصِفِّينَ أَنْ لَايَكُونُوا الْيَوْمَ أَحْيَاءً يُسِيغُونَ الْغُصَصَ، وَيَشْرَبُونَ الرَّنَقَ؟! قَدْ -وَاللهِ- لَقُوا اللهَ فَوَفَّاهُمْ أُجُورَهُمْ، وَأَحَلَّهُمْ دَارَ الْأَمْنِ بَعْدَ خَوْفِهِمْ، أَيْنَ إِخْوَانِي الَّذِينَ رَكِبُوا الطَّرِيقَ وَمَضَوْا عَلَى الْحَقِّ؟ أَيْنَ عَمَّارٌ؟ وَأَيْنَ ابْنُ التَّيِّهَانِ؟ وَأَيْنَ ذُوالشَّهَادَتَيْنِ؟ وَأَيْنَ نُظَرَاؤُهُمْ مِنْ إِخْوَانِهِمِ الَّذِينَ تَعَاقَدُواعَلَى الْمَنِيَّهِ، وَأُبْرِدَ بِرُءُوسِهِمْ إِلَى الْفَجَرَةِ؟!

قال: ثم ضرب بيده على لحيته الشريفة الكريمة فأطال البكاء، ثم قال عليه السلام:

أَوِّهِ عَلَى إِخْوَانِي الَّذِينَ قَرَؤُوا الْقُرْآنَ فَأَحْكَمُوهُ، وَتَدَبَّرُوا الْفَرْضَ فَأَقَامُوهُ، أَحْيَوا السُّنَّةَ، وَأَمَاتُوا الْبِدْعَةَ، دُعُوا لِلْجِهَادِ فَأَجَابُوا، وَوَثِقُوا بِالْقَائِدِ فَاتَّبَعُوهُ. ثم نادى بأعلى صوته: الْجِهَادَ الْجِهَادَ عِبَادَ اللهِ!! أَلَا وَإِنِّي مُعَسْكِرٌ فِي يَوْمِي هٰذَا، فَمَنْ أَرَادَ الرَّوَاحَ إِلَى اللهِ فَلْيَخْرُجْ.

قال نوف: وعقد للحسين - عليه السلام - في عشرة آلاف، ولقيس بن سعد - رحمه الله - في عشرة آلاف، ولأبي ايوب الانصاري في عشرة آلاف، ولغيرهم علىٰ اعداد اخر، وهو يريدُ الرجعة الىٰ صفين، فما دارت الجمعة حتى ضربه الملعون ابن ملجم لعنه الله، فتراجعت العساكر فكنّا كأغنامٍ فقدت راعيها تختطفها الذئاب من كل مكان.

اقول: الضمير في لبس: للعارف مطلقا، وقيل: هوالامام المنتظر. واستعار لفظ الجنّة: للاستعداد بالزهد والعبادة الواقيين له كوقاء الجنة. والمعرفة بها: اي بقدرها و لفظ الضالة لها: باعتبار طلبه ايّاها، كما قال صلى الله عليه و آله: (الحكمة ضالّة المؤمن)[1] وقوله: فهو، الى قوله: الاسلام، اشارة الى خفائه بين الناس و قلّة وجود مثله، و غربة الاسلام: قلة لزومه، والعمل به كما قال صلى الله عليه وآله: (بدأ الاسلام غريبًا و سيعود كما بدأ)[2] واستعار لفظ عسيب الذنب و هو: طرفه، و لفظ الجران وهو: مقدّم عنق البعير، للاسلام ملاحظة لشبهه ايّاه في سقوطه عند ضعفه. و استوسق الأمر: اجتمع وانتظم. و ازمع: صمم عزمه. و قوله: ما ضرّ، الى قوله: الرنق: تنبيه على عدم ضررالموت لأخوانه المذكورين من الصحابة الّذين قتلوا بصفّين. والرنق، بالسكون: الكدر. و عمّار: هو عمار ابن ياسر الّذي قال رسول الله صلى الله عليه وآله فيه: عمار جلدة ما بين عيني، تقتله الفئة

١ - مجمع البحرين ٤٦/٦. التمثيل والمحاضرة /٢٥.

٢ - صحيح مسلم ١٣٠/١. النهاية في غريب الحديث ٣٤٨/٣.

الباغية لاانا لها الله شفاعتي[1]. و ابن التيهان: هو ابوالهيثم مالك بن مالك، و قيل: مالك ابن عمرو بن الحرث التيهان. ذوالشهادتين: هو ابوعمارة خزيمة بن ثابت الانصارى الأوسى، جعل رسول الله صلى الله عليه و آله شهادته بشهادة رجلين لقصة مشهورة. و ابرد: أرسل. والفجرة: امراء الشام. والقائد: يعني نفسه. وقيس: هو ابن سعد بن عبادة الانصارى. و ابو ايّوب: هو خالد بن سعد بن كعب من بني النجار، وعليه نزل رسول الله صلى الله عليه وآله حين هاجر الى المدينة حتى بنى مسجده ومساكنه.

١٨٤ ـ وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

اَلْحَمْدُللهِ الْمَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةٍ، الْخَالِقِ مِنْ غَيْرِ مَنْصَبَةٍ، خَلَقَ الْخَلاَئِقَ بِقُدْرَتِهِ، وَاسْتَعْبَدَ الْأَرْبَابَ بِعِزَّتِهِ، وَسَادَ الْعُظَمَاءَ بِجُودِهِ. وَهُوَالَّذِي أَسْكَنَ الدُّنْيَا خَلْقَهُ، وَبَعَثَ إِلَى الْجِنِّ وَالْإِنْسِ رُسُلَهُ؛ لِيَكْشِفُوا لَهُمْ عَنْ غِطَائِهَا، وَلِيُحَذِّرُوهُمْ مِنْ ضَرَّائِهَا، وَلِيَضْرِبُوا لَهُمْ أَمْثَالَهَا، وَلِيَهْجُمُوا عَلَيْهِمْ بِمُعْتَبَرٍ مِنْ تَصَرُّفِ مَصَاحِّهَا وَأَسْقَامِهَا، وَلِيُبْصِرُوهُمْ عُيُوبَهَا وَحَلاَلَهَا وَحَرَامَهَا، وَمَا أَعَدَّ اللهُ لِلْمُطِيعِينَ مِنْهُمْ وَالْعُصَاةِ مِنْ جَنَّةٍ وَنَارٍ وَ كَرَامَةٍ وَهَوَانٍ.

أَحْمَدُهُ إِلَى نَفْسِهِ كَمَا اسْتَحْمَدَ إِلَى خَلْقِهِ، وَجَعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا، وَلِكُلِّ قَدْرٍ أَجَلاً، وَلِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابًا.

أقول: نزّهه في معرفته عن الرؤية، و في خالقيته عن التعب، لاستلزامهما الجسميّة. و قوله: ليكشفوا لهم اى: اغطية الهيئات البدنيّة، و اغشية الجهل وكشفها بالتذكير، والموعظة عن اعين بصائرهم، ليروا ما تغطّى من احوال الآخرة التى خلقوا لها. و ضرّائها: ما يلزم الغفلة فيها من الضرر الاخروىّ. و بالله التوفيق.

منها:

في ذكر القرآن: فَالْقُرْآنُ آمِرٌ زَاجِرٌ، وَصَامِتٌ نَاطِقٌ، حُجَّةُ اللهِ عَلَى خَلْقِهِ: أَخَذَ عَلَيْهِمْ مِيثَاقَهُ، وَارْتَهَنَ عَلَيْهِ أَنْفُسَهُمْ، أَتَمَّ نُورَهُ، وَأَكْمَلَ بِهِ دِينَهُ، وَقَبَضَ نَبِيَّهُ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَقَدْ فَرَغَ إِلَى الْخَلْقِ مِنْ أَحْكَامِ الْهُدَى بِهِ، فَعَظِّمُوا مِنْهُ سُبْحَانَهُ مَا عَظَّمَ مِنْ نَفْسِهِ؛ فَإِنَّهُ لَمْ

---

١ ـ الغدير ٩/٢١. باسانيد وطرق مختلفة.

يُخْفِ عَنْكُمْ شَيْئاً مِنْ دِينِهِ، وَلَمْ يَتْرُكْ شَيْئاً رَضِيَهُ أَوْكَرِهَهُ، إلَّا وَجَعَلَ لَهُ عَلَمًا بَادِيًا، وَآيَةً مُحْكَمَةً تَزْجُرُ عَنْهُ أَوْ تَدْعُو إلَيْهِ، فَرِضَاهُ فِيمَا بَقِيَ وَاحِدٌ، وَسُخْطُهُ فِيمَا بَقِي وَاحِدٌ.

وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرْضَى عَنْكُمْ بِشَيْءٍ سَخِطَهُ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ؛ وَلَنْ يسْخَطَ عَلَيْكُمْ بِشَيْءٍ رَضِيَهُ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَإِنَّمَا تَسِيرُونَ فِي أَثَرٍ بَيِّنٍ، وَتَتَكَلَّمُونَ بِرَجْعِ قَوْلٍ قَدْ قَالَهُ الرِّجَالُ مِنْ قَبْلِكُمْ، قَدْ كَفَاكُمْ مَؤُونَةَ دُنْيَاكُمْ، وَحَثَّكُمْ عَلَى الشُّكْرِ، وَافْتَرَضَ مِنْ أَلْسِنَتِكُمُ الذِّكْرَ، وَأَوْصَاكُمْ بِالتَّقْوَى وَجَعَلَهَا مُنْتَهَى رِضَاهُ وَحَاجَتَهُ مِنْ خَلْقِهِ، فَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِعَيْنِهِ وَنَوَاصِيكُمْ بِيَدِهِ، وَتَقَلُّبُكُمْ فِي قَبْضَتِهِ: إِنْ أَسْرَرْتُمْ عَلِمَهُ، وَإِنْ أَعْلَنْتُمْ كَتَبَهُ، قَدْ وَكَّلَ بِكُمْ حَفَظَةً كِرَامًا، لَايُسْقِطُونَ حَقّاً، وَلَايُثْبِتُونَ بَاطِلاً، وَاعْلَمُوا أَنَّ مَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا مِنَ الْفِتَنِ، وَنُورًا مِنَ الظُّلَمِ، وَيُخَلِّدْهُ فِيمَا اشْتَهَتْ نَفْسُهُ، وَيُنْزِلْهُ مَنْزِلَةَ الْكَرَامَةِ عِنْدَهُ، فِي دَارٍ اصْطَنَعَهَا لِنَفْسِهِ: ظِلُّهَا عَرْشُهُ، وَنُورُهَا بَهْجَتُهُ، وَزُوَّارُهَا مَلَائِكَتُهُ، وَرُفَقَاؤُهَا رُسُلُهُ. فَبَادِرُوا الْمَعَادَ، وَسَابِقُوا الآجَالَ، فَإِنَّ النَّاسَ يُوشِكُ أَنْ يَنْقَطِعَ بِهِمُ الْأَمَلُ، وَيَرْهَقَهُمُ الْأَجَلُ، وَيُسَدَّ عَنْهُمْ بَابُ التَّوْبَةِ، فَقَدْ أَصْبَحْتُمْ فِي مِثْلِ مَاسَأَلَ إلَيْهِ الرَّجْعَةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَأَنْتُمْ بَنُوسَبِيلٍ عَلَى سَفَرٍ مِنْ دَارٍ لَيْسَتْ بِدَارِكُمْ، وَقَدْ أُوذِنْتُمْ مِنْهَا بِالارْتِحَالِ، وَأُمِرْتُمْ فِيهَا بِالزَّادِ، وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ لِهٰذَا الْجِلْدِ الرَّقِيقِ صَبْرٌ عَلَى النَّارِ، فَارْحَمُوا نُفُوسَكُمْ فَإِنَّكُمْ قَدْ جَرَّبْتُمُوهَا فِي مَصَائِبِ الدُّنْيَا. أَفَرَأَيْتُمْ جَزَعَ أَحَدِكُمْ مِنَ الشَّوْكَةِ تُصِيبُهُ وَالْعَثْرَةِ تُدْمِيهِ، وَالرَّمْضَاءِ تَحْرِقُهُ؟ فَكَيْفَ إذَا كَانَ بَيْنَ طَابَقَيْنِ مِنْ نَارٍ، ضَجِيعَ حَجَرٍ، وَقَرِينَ شَيْطَانٍ؟! أَعَلِمْتُمْ أَنَّ مَالِكًا إذَا غَضِبَ عَلَى النَّارِ حَطَمَ بَعْضُهَا بَعْضاً لِغَضَبِهِ، وَإِذَا زَجَرَهَا تَوَثَّبَتْ بَيْنَ أَبْوَابِهَا جَزَعًا مِنْ زَجْرَتِهِ؟؟!!

أَيُّهَا الْيَفَنُ الْكَبِيرُ، الَّذِي قَدْ لَهَزَهُ الْقَتِيرُ! كَيْفَ أَنْتَ إذَا الْتَحَمَتْ أَطْوَاقُ النَّارِ بِعِظَامِ الْأَعْنَاقِ، وَنَشِبَتِ الْجَوَامِعُ، حَتَّى أَكَلَتْ لُحُومَ السَّوَاعِدِ؟! فَاللهَ اللهَ، مَعْشَرَ الْعِبَادِ، وَأَنْتُمْ سَالِمُونَ فِي الصِّحَّةِ قَبْلَ السَّقَمِ!! وَفِي الْفُسْحَةِ قَبْلَ الضِّيقِ، فَاسْعَوْا فِي فَكَاكِ رِقَابِكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَغْلَقَ رَهَائِنُهَا: أَسْهِرُوا عُيُونَكُمْ. وَأَضْمِرُوا بُطُونَكُمْ، وَاسْتَعْمِلُوا أَقْدَامَكُمْ، وَأَنْفِقُوا أَمْوَالَكُمْ، وَخُذُوا مِنْ أَجْسَادِكُمْ فَجُدُوا بِهَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَلَا تَبْخَلُوا بِهَا عَنْهَا، فَقَدْ قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ: (إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ)[1] وَقَالَ تَعَالَى: (مَنْ ذَاالَّذِي يُقْرِضُ اللهَ

---

١ ـ سورة محمد (ص) /٧.

قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ؟)[1]، فَلَمْ يَسْتَنْصِرْكُمْ مِنْ ذُلٍّ؛ وَلَمْ يَسْتَقْرِضْكُمْ مِنْ قُلٍّ، اسْتَنْصَرَكُمْ وَلَهُ جُنُودُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَالْعَزِيزُ الْحَكِيمُ، وَاسْتَقْرَضَكُمْ وَلَهُ خَزَائِنُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ، وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنْ يَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً؛ فَبَادِرُوا بِأَعْمَالِكُمْ تَكُونُوامَعَ جِيرَانِ اللهِ فِي دَارِهِ رَافَقَ بِهِمْ رُسُلَهُ، وَأَزَارَهُمْ مَلائِكَتَهُ؛ وَأَكْرَمَ أَسْمَاعَهُمْ أَنْ تَسْمَعَ حَسِيسَ نَارٍ أَبَداً، وَصَانَ أَجْسَادَهُمْ أَنْ تَلْقَى لُغُوباً وَنَصَباً (ذٰلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ، وَاللهُ ذُوالْفَضْلِ الْعَظِيمِ)[2]. أَقُولُ مَاتَسْمَعُونَ، وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى نَفْسِي وَأَنْفُسِكُمْ. وَهُوَحَسْبِيَ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ.

أقول: استعار للقرآن الأوصاف المتضادّة باعتبارات مختلفة. و أخذ عليه اى: على العمل بما فيه، و ما: مصدريّة اى: فعظّموه تعظيما يناسب تعظيمه لنفسه. و قوله: فرضاه، الى قوله: واحد، اى: انّ الرضى له من الاحكام والمسخوط فيما مضى هوالمرضىّ، والمسخوط فيما بقى و استقبل من الزمان، و حكمه فى كونه مرضيًا او مسخوطا واحد فى جميع الاوقات، و فيه ايماء الى انّ رفع شئ من الاحكام بالرأى والقياس المتعارف لايجوز. و كذلك قوله: واعلموا، الى قوله: قبلكم: تأكيد له. و قوله: وانّما تسيرون، الى قوله: قبلكم اى: انّ الادلّة لكم واضحة قد تداولها الاوّلون قبلكم وانتم تتكلّمون بما تردّد منها فى الألسنة السابقة. و رجع القول: المردّد منه، و كونهم بعينه اى: بحيث يبصرهم ويعلم ما يفعلون. و لفظ العين: مجاز فى العلم وخصّ النواصي بالأخذ: لانّها أشرف والقدرة على الاشرف أتمّ و اقوى، و لأنه تعالى فى اعتبار الاوهام فى جهة فوق فاخذه اوّلا يكون بالنواصي. والدار التى اصطنعها لنفسه: الجنّة. و كون ظلها عرشه: يقتضى انها فى السماوات. و بهجته: يعود الى بهائه و جماله المعقول المشرق على نفوس أهل الجنة. و رفقاؤها: الرفقاء فيها: و حسن اولئك رفيقا. و يوشك: يقرب. و يرهقهم: يدركهم. و قوله: فقد اصبحتم. الى قوله: قبلكم، اى: فى حال الحياة من الصحة، والتمكّن من العمل، و هوما يتمنّاه من مضى قبلكم، لقولهم: «يا ليتنا نردّ فنعمل غيرالّذى كنّا نعمل»[3]. و كونهم بنى سبيل: باعتبار انّهم فى هذه الدارغرباء

---

١ ـ سورة البقرة/٢٤٥. ٢ ـ سورة الحديد/٢١. ٣ ـ سورة فاطر / ٣٧.

تسوقهم العناية الالهية الى غاية اخرى. و ضجيع حجر: كقوله: (وقودها الناس والحجارة)[1]. و قرين شيطان: كقوله تعالى: (فكبكبوا فيها هم والغاوون وجنود ابليس اجمعون)[2]. واليفن: الشيخ الكبير. ولهزه: خالطه. والقتير: الشيب. والجامعة: الغلّ لجمعها الأيدى الى الاعناق. واللغوب: التعب. والفصل واضح وبالله التوفيق.

١٨٥ ـ وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

قاله للبرج بن مسهر الطائي، وقد قال له بحيث يسمعه: «لاحكم إلا لله»، وكان من الخوارج

اُسْكُتْ! قَبَّحَكَ ٱللهُ يَا أَثْرَمُ، فَوَٱللهِ لَقَدْ ظَهَرَ الْحَقُّ فَكُنْتَ فِيهِ ضَئِيلاً شَخْصُكَ، خَفِيّاً صَوْتُكَ، حَتَّى إذَا نَعَرَ الْبَاطِلُ نَجَمْتَ نُجُومَ قَرْنِ الْمَاعِزِ.

أقول: البرج، بالباء المضمومة والجيم. وقبّحه الله: نحّاه عن الخير. والأثرم: ساقط الثنية. والضئيل: الصغير، الحقير، النحيف. وضؤولة شخصه عند ظهور الحق: كناية عن حقارته في زمن العدل و قوّة الاسلام، و خمول ذكره في الصحابة. و خفاء صوته: كناية عن قلة الإلتفات اليه. و نعر: صاح، و نعور الباطل: كناية عن قوّته وكثرته، و وجه التشبيه بنجوم قرن الماعز سرعة ظهوره.

١٨٦ ـ وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

روى أن صاحباً لأميرالمؤمنين عليه السلام ـ يقال له: همام ـ كان رجلا عابدا، فقال له: يا اميرالمؤمنين، صف لي المتقين حتى كأني أنظر إليهم! فتثاقل عليه السلام عن جوابه، ثم قال:

يَاهَمَّامُ ٱتَّقِ ٱللهَ وَأَحْسِنْ (إنَّ ٱللهَ مَعَ الَّذِينَ ٱتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ)[3] فلم يقنع همام

---

١ ـ سورة البقرة / ٢٤. و سورة التحريم / ٦.   ٢ ـ سورة الشعراء / ٩٤ـ٩٥

٣ ـ سورة النحل / ١٢٨.

بهذا القول حتى عزم عليه، فحمدالله وأثنى عليه، وصلى على النبي صلى الله عليه وآله، ثم قال:

أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ ٱللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خَلَقَ الْخَلْقَ ـ حِينَ خَلَقَهُمْ ـ غَنِيًّا عَنْ طَاعَتِهِمْ، آمِنًا مِنْ مَعْصِيَتِهِمْ؛ لأَنَّهُ لَا تَضُرُّهُ مَعْصِيَةُ مَنْ عَصَاهُ، وَلَا تَنْفَعُهُ طَاعَةُ مَنْ أَطَاعَهُ، فَقَسَمَ بَيْنَهُمْ مَعَايِشَهُمْ، وَوَضَعَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا مَوَاضِعَهُمْ، فَالْمُتَّقُونَ فِيهَا هُمْ أَهْلُ الْفَضَائِلِ: مَنْطِقُهُمُ الصَّوَابُ، وَمَلْبَسُهُمُ الْاِقْتِصَادُ، وَمَشْيُهُمُ التَّوَاضُعُ، غَضُّوا أَبْصَارَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ ٱللهُ عَلَيْهِمْ، وَوَقَفُوا أَسْمَاعَهُمْ عَلَى الْعِلْمِ النَّافِعِ لَهُمْ، نُزِّلَتْ أَنْفُسُهُمْ مِنْهُمْ فِي الْبَلَاءِ كَالَّتِي نُزِّلَتْ فِي الرَّخَاءِ، وَلَوْلَا الْأَجَلُ الَّذِي كُتِبَ عَلَيْهِمْ لَمْ تَسْتَقِرَّ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ طَرْفَةَ عَيْنٍ شَوْقًا إِلَى الثَّوَابِ، وَخَوْفًا مِنَ الْعِقَابِ، عَظُمَ الْخَالِقُ فِي أَنْفُسِهِمْ فَصَغُرَ مَادُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ، فَهُمْ وَالْجَنَّةُ كَمَنْ قَدْ رَآهَا، فَهُمْ فِيهَا مُنَعَّمُونَ، وَهُمْ وَالنَّارُ كَمَنْ قَدْ رَآهَا، فَهُمْ فِيهَا مُعَذَّبُونَ: قُلُوبُهُمْ مَحْزُونَةٌ، وَشُرُورُهُمْ مَأْمُونَةٌ، وَأَجْسَادُهُمْ نَحِيفَةٌ، وَحَاجَاتُهُمْ خَفِيفَةٌ، وَأَنْفُسُهُمْ عَفِيفَةٌ، صَبَرُوا أَيَّامًا قَصِيرَةً أَعْقَبَتْهُمْ رَاحَةً طَوِيلَةً. تِجَارَةٌ مُرْبِحَةٌ يَسَّرَهَا لَهُمْ رَبُّهُمْ، أَرَادَتْهُمُ الدُّنْيَا فَلَمْ يُرِيدُوهَا، وَأَسَرَتْهُمْ فَفَدَوْا أَنْفُسَهُمْ مِنْهَا. أَمَّا اللَّيْلُ فَصَافُّونَ أَقْدَامَهُمْ تَالِينَ لِأَجْزَاءِ الْقُرْآنِ: يُرَتِّلُونَهُ تَرْتِيلاً، يُحَزِّنُونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ، وَيَسْتَثِيرُونَ دَوَاءَ دَائِهِمْ، فَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَشْوِيقٌ رَكَنُوا إِلَيْهَا طَمَعًا، وَتَطَلَّعَتْ نُفُوسُهُمْ إِلَيْهَا شَوْقًا، وَظَنُّوا أَنَّهَا نُصْبُ أَعْيُنِهِمْ، وَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَخْوِيفٌ أَصْغَوْا إِلَيْهَا مَسَامِعَ قُلُوبِهِمْ، وَظَنُّوا أَنَّ زَفِيرَ جَهَنَّمَ وَشَهِيقَهَا فِي أُصُولِ آذَانِهِمْ، فَهُمْ حَانُونَ عَلَى أَوْسَاطِهِمْ، مُفْتَرِشُونَ لِجِبَاهِهِمْ وَأَكُفِّهِمْ وَرُكَبِهِمْ وَأَطْرَافِ أَقْدَامِهِمْ، يَطْلُبُونَ إِلَى ٱللهِ تَعَالَى فِي فَكَاكِ رِقَابِهِمْ وَأَمَّا النَّهَارُ فَحُلَمَاءُ عُلَمَاءُ، أَبْرَارٌ أَتْقِيَاءُ، قَدْ بَرَاهُمُ الْخَوْفُ بَرْيَ الْقِدَاحِ يَنْظُرُ إِلَيْهِمُ النَّاظِرُ فَيَحْسَبُهُمْ مَرْضَى، وَمَا بِالْقَوْمِ مِنْ مَرَضٍ، وَيَقُولُ قَدْ خُولِطُوا: وَلَقَدْ خَالَطَهُمْ أَمْرٌ عَظِيمٌ: لَا يَرْضَوْنَ مِنْ أَعْمَالِهِمُ الْقَلِيلَ، وَلَا يَسْتَكْثِرُونَ الْكَثِيرَ، فَهُمْ لِأَنْفُسِهِمْ مُتَّهِمُونَ، وَمِنْ أَعْمَالِهِمْ مُشْفِقُونَ، إِذَا زُكِّيَ أَحَدُهُمْ، خَافَ مِمَّا يُقَالُ لَهُ! فَيَقُولُ: أَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْ غَيْرِي؛ وَرَبِّي أَعْلَمُ بِي مِنِّي بِنَفْسِي. اللَّهُمَّ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا يَقُولُونَ، وَاجْعَلْنِي أَفْضَلَ مِمَّا يَظُنُّونَ، وَاغْفِرْلِي مَالَا يَعْلَمُونَ.

فَمِنْ عَلَامَةِ أَحَدِهِمْ: أَنَّكَ تَرَى لَهُ قُوَّةً فِي دِينٍ، وَحَزْمًا فِي لِينٍ، وَإِيمَاناً فِي يَقِينٍ، وَحِرْصًا فِي عِلْمٍ، وَعِلْمًا فِي حِلْمٍ، وَقَصْدًا فِي غِنًى، وَخُشُوعاً فِي عِبَادَةٍ، وَتَجَمُّلاً فِي فَاقَةٍ،

وَصَبْرًا فِي شِدَّةٍ، وَطَلَبًا فِي حَلاَلٍ، وَنَشَاطًا فِي هُدًى، وَتَحَرُّجًا عَنْ طَمَعٍ، يَعْمَلُ الأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ وَهُوَ عَلَى وَجَلٍ، يُمْسِي وَهَمُّهُ الشُّكْرُ، وَيُصْبِحُ وَهَمُّهُ الذِّكْرُ، يَبِيتُ حَذِرًا، وَيُصْبِحُ فَرِحًا، حَذِرًا لِمَا حُذِّرَ مِنَ الْغَفْلَةِ، وَفَرِحًا بِمَا أَصَابَ مِنَ الْفَضْلِ وَالرَّحْمَةِ. إِنِ اسْتَصْعَبَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِيمَا تَكْرَهُ لَمْ يُعْطِهَا سُؤْلَهَا فِيمَا تُحِبُّ، قُرَّةُ عَيْنِهِ فِيمَا لاَيَزُولُ، وَزَهَادَتُهُ فِيمَا لاَيَبْقَى، يَمْزُجُ الْحِلْمَ بِالْعِلْمِ، وَالْقَوْلَ بِالْعَمَلِ، تَرَاهُ قَرِيبًا أَمَلُهُ، قَلِيلاً زَلَلُهُ، خَاشِعًا قَلْبُهُ، قَانِعَةً نَفْسُهُ، مَنْزُورًا أَكْلُهُ، سَهْلاً أَمْرُهُ، حَرِيزًا دِينُهُ، مَيِّتَةً شَهْوَتُهُ، مَكْظُومًا غَيْظُهُ، الْخَيْرُ مِنْهُ مَأْمُولٌ. وَالشَّرُّ مِنْهُ مَأْمُونٌ، إِنْ كَانَ فِي الْغَافِلِينَ كُتِبَ فِي الذَّاكِرِينَ، وَإِنْ كَانَ فِي الذَّاكِرِينَ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ، يَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَهُ، وَيُعْطِي مَنْ حَرَمَهُ، وَيَصِلُ مَنْ قَطَعَهُ، بَعِيدًا فُحْشُهُ، لَيِّنًا قَوْلُهُ، غَائِبًا مُنْكَرُهُ، حَاضِرًا مَعْرُوفُهُ، مُقْبِلاً خَيْرُهُ، مُدْبِرًا شَرُّهُ، فِي الزَّلاَزِلِ وَقُورٌ، وَفِي الْمَكَارِهِ صَبُورٌ، وَفِي الرَّخَاءِ شَكُورٌ، لاَيَحِيفُ عَلَى مَنْ يُبْغِضُ، وَلاَيَأْثَمُ فِيمَنْ يُحِبُّ يَعْتَرِفُ بِالْحَقِّ قَبْلَ أَنْ يُشْهَدَ عَلَيْهِ، لاَيُضِيعُ مَا اسْتُحْفِظَ، وَلاَ يَنْسَى مَاذُكِّرَ، وَلاَيُنَابِزُ بِالأَلْقَابِ، وَلاَيُضَارُّ بِالْجَارِ، وَلاَيَشْمَتُ بِالْمَصَائِبِ، وَلاَيَدْخُلُ فِي الْبَاطِلِ، وَلاَيَخْرُجُ مِنَ الْحَقِّ. إِنْ صَمَتَ لَمْ يَغُمَّهُ صَمْتُهُ، وَإِنْ ضَحِكَ لَمْ يَعْلُ صَوْتُهُ، وَإِنْ بُغِيَ عَلَيْهِ صَبَرَ حَتَّى يَكُونَ اللهُ هُوَالَّذِي يَنْتَقِمُ لَهُ. نَفْسُهُ مِنْهُ فِي عَنَاءٍ، وَالنَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ. أَتْعَبَ نَفْسَهُ لِآخِرَتِهِ، وَأَرَاحَ النَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ. بُعْدُهُ عَمَّنْ تَبَاعَدَ عَنْهُ زُهْدٌ وَنَزَاهَةٌ، وَدُنُوُّهُ مِمَّنْ دَنَامِنْهُ لِينٌ وَرَحْمَةٌ. لَيْسَ تَبَاعُدُهُ بِكِبْرٍ وَعَظَمَةٍ، وَلاَدُنُوُّهُ بِمَكْرٍ وَخَدْعَةٍ.

قال: فصعق همام صعقة كانت نفسه فيها، فقال أمير المؤمنين عليه السلام:

أَمَا وَاللهِ لَقَدْ كُنْتُ أَخَافُهَا عَلَيْهِ! ثُمَّ قَالَ: أَهكَذَا تَصْنَعُ الْمَوَاعِظُ الْبَالِغَةُ بِأَهْلِهَا؟ فقال له قائل: فما بالك يا أميرالمومنين فقال: وَيْحَكَ! إِنَّ لِكُلِّ أَجَلٍ وَقْتًا لاَيَعْدُوهُ، وَسَبَبًا لاَيَتَجَاوَزُهُ، فَمَهْلاً لاَ تَعُدْ لِمِثْلِهَا، فَإِنَّمَا نَفَثَ الشَّيْطَانُ عَلَى لِسَانِكَ!!

أقول: هو همّام بن شريح كان من شيعة علّي عليه السلام. والمتقوّن: هم الّذين استجمعوا الفضائل النفسانية المتعلقة بصلاح قوّتي العلم، والعمل، وقد اشار عليه السلام فيها الى نيف وسبعين، فضيلة عدّدناها في الأصل[1]. والصواب في القول: هو فضيلة

---

١ ـ الشرح الكبير ٣/ ٤١٤ ـ ٤٢٥.

اللسان، وهو: قول ما ينبغي دون مالاينبغى. و استعار لفظ الملبس: للاقتصاد فى الأمور باعتبار ملازمتهم له. و قوله: نزلت، الى قوله: الرخاء: كمالا يبطر برخاء يصيبها كذلك لايقنط من بلاء ينزل بها، والتقدير كالنزول الّذى نزلته فى الرخاء، و يحتمل ان يريد بالّذى الذين. و تشبيههم بمن قدرأى الجنة أى: فى قوّة يقينهم بما وعدالمتّقون. وبمن قدرأى النار: فى قوّة يقينهم بوعيد أهلها، و ذلك عن مشاهدتهم بأعين أبصارهم حقائق الوعد والوعيد، و بحسب ذلك يكون غلبة الخوف والرجاء عليهم، و تنعمهم باللذّة وعذابهم بألم ما يتصوّرونه و يخافه أجسادهم: لهجرهم الترف والملاذ الدّنيوية، و نصبهم فى العبادة. و تجارة: مصدر. و دائهم: هوالجهل. و دوائهم: ما اشتمل عليه القرآن من الأسرار والفضائل. و حنوهم على اوساطهم: كيفية ركوعهم. والقدح: السهم لاريش له، و وجه الشبه به شدّة النحافة و قد يعرض لبعض العارفين اختلاط فى القول، عند اتصال نفسه بالملأ الأعلى، و اشتغال سرّه بالأنوار الالهية فربّما يكلّم بما يخرج عن المتعارف. والحزم فى اللين: ان يكون لينه حزما و فى موضعه لاعن مهانة و ذلّة. والقصد فى الغنى: فضيلة العدل فيه دون الاسراف والبخل، او دون تجاوز الحدّ فى طلب الدنيا والوقوف فى حدّالحاجة، والمسلة والوجل فى العمل الصالح من ان يكون على غير الوجه المرضىّ لله، كما روى عن زين العابدين عليه السلام، انّه كان فى التلبية وهو على راحلته اذ خَرَّ مغشيًّا عليه فلما أفاق قيل: له فى ذلك، فقال: خشيت ان تقول: لالبّيك ولاسعديك.

و سهولة امره: فى كونه لايتكلّف و لايكلف. و حرز دينه: حفظه من التساهل فيه. و قوله: ان كان من الغافلين: أى فى نظر الناس كتب فى الذاكرين عندالله لاشتغال سرّه به. والفحش: قول مالاينبغى. والزلازل: الفتن الكبار والامور العظام. و عدم اثمه فيمن يحب: ان لايتّبع الهوى فى رضاه. والمنابزة: المراماة بالألقاب التى ينادى بها. ولايغمّه صمته: لكونه حكمة. ولايعلو ضحكه: لغلبة ذكرالموت عليه. ونفسه منه فى عناء اى: الامّارة لمقاومته ايّاها و كسره لها. و باقى الفصل واضح.

١٨٧ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام
يصف فيها المنافقين

نَحْمَدُهُ عَلَى مَا وَفَّقَ لَهُ مِنَ الطَّاعَةِ، وَذَادَ عَنْهُ مِنَ الْمَعْصِيَةِ، وَنَسْأَلُهُ لِمِنَّتِهِ تَمَامًا، وَبِحَبْلِهِ اعْتِصَامًا، وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ: خَاضَ إِلَى رِضْوَانِ اللهِ كُلَّ غَمْرَةٍ، وَتَجَرَّعَ فِيهِ كُلَّ غُصَّةٍ، وَقَدْ تَلَوَّنَ لَهُ الْأَدْنَوْنَ، وَتَأَلَّبَ عَلَيْهِ الْأَقْصَوْنَ، وَخَلَعَتْ إِلَيْهِ الْعَرَبُ أَعِنَّتَهَا وَضَرَبَتْ لِمُحَارَبَتِهِ بُطُونَ رَوَاحِلِهَا حَتَّى أَنْزَلَتْ بِسَاحَتِهِ عَدَاوَتَهَا: مِنْ أَبْعَدِ الدَّارِ، وَأَسْحَقِ الْمَزَارِ.

أُوصِيكُمْ، عِبَادَاللهِ بِتَقْوَى اللهِ، وَ أُحَذِّرُكُمْ أَهْلَ النِّفَاقِ؛ فَإِنَّهُمُ الضَّالُّونَ الْمُضِلُّونَ، وَالزَّالُّونَ الْمُزِلُّونَ: يَتَلَوَّنُونَ أَلْوَاناً، وَيَفْتَنُّونَ افْتِنَاناً، وَيَعْمِدُونَكُمْ بِكُلِّ عِمَادٍ، وَيَرْصُدُونَكُمْ بِكُلِّ مِرْصَادٍ، قُلُوبُهُمْ دَوِيَّةٌ، وَصِفَاحُهُمْ نَقِيَّةٌ، وَيَمْشُونَ الْخَفَاءَ، وَيَدِبُّونَ الضَّرَاءَ. وَصْفُهُمْ دَوَاءٌ، وَقَوْلُهُمْ شِفَاءٌ، وَفِعْلُهُمُ الدَّاءُ الْعَيَاءُ، حَسَدَةُ الرَّخَاءِ، وَمُؤَكِّدُو الْبَلَاءِ؛ وَمُقْنِطُو الرَّجَاءِ، لَهُمْ بِكُلِّ طَرِيقٍ صَرِيعٌ، وَإِلَى كُلِّ قَلْبٍ شَفِيعٌ؛ وَلِكُلِّ شَجْوٍ دُمُوعٌ، يَتَقَارَضُونَ الثَّنَاءَ، وَيَتَرَاقَبُونَ الْجَزَاءَ: إِنْ سَأَلُوا أَلْحَفُوا، وَإِنْ عَذَلُوا كَشَفُوا، وَإِنْ حَكَمُوا أَسْرَفُوا. قَدْ أَعَدُّوا لِكُلِّ حَقٍّ بَاطِلاً، وَلِكُلِّ قَائِمٍ مَائِلاً، وَلِكُلِّ حَيٍّ قَاتِلاً، وَلِكُلِّ بَابٍ مِفْتَاحاً، وَلِكُلِّ لَيْلٍ مِصْبَاحاً: يَتَوَصَّلُونَ إِلَى الطَّمَعِ بِالْيَأْسِ لِيُقِيمُوا بِهِ أَسْوَاقَهُمْ، وَيُنْفِقُوا بِهِ أَعْلَاقَهُمْ: يَقُولُونَ فَيُشَبِّهُونَ، وَيَصِفُونَ فَيُوَهِّمُونَ، قَدْ هَوَّنُوا الطَّرِيقَ، وَأَضْلَعُوا الْمَضِيقَ؛ فَهُمْ لُمَّةُ الشَّيْطَانِ، وَحُمَةُ النِّيرَانِ (أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ، أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ)[1]!

اقول: ذاد: طرد. و ذوده تعالى عن المعصية: بالنواهي. و استعار لفظ حبله لدينه العاصم: لمن تمسّك به. و غمرة الشئ: معظمه، و اراد كل عظيم من الشدائد. و تلوّن الادنين: تغيّر قلوبهم و نفاقهم. والتألّب: التجمّع. و خلع العرب اعنّتها اليه: كناية عن تجرّدهم مسرعين الى حربه. و كذلك: ضربها الى محاربته بطون رواحلها. والسحيق: البعيد. ويعمدونكم: يقصدونكم بالأمور الفادحة. و دويّة: ذات داء كالغلّ والحسد

١ - سورة المجادلة/١٩

والخدعة ونحوها. وذلك مع نقاء صفاحهم اى: وجوههم، و سلامتها من شرّ ظاهر: كناية عن النفاق. و وصفهم دواء اى: يقولون اقوال الزاهدين في وصف سبيل الله و يفعلون أفعال المنافقين الفاسقين. و يقنطوا الرجاء اى: من رجا أمرًا قنطوه منه. والطريق: كناية عن الحيلة اوالمقصد، اى: كيف توجّهوا حصل منهم أذى. و الى كل قلب شفيع اى: من الأقوال والافعال المشبهة للحق. و دموعهم لكل شجو: كناية عن توجّعهم لكلّ ذى شجو و ان كان عدوا نفاقا. و تقارضهم للثناء؛ ثناء كلّ منهم على صاحبه مع توقّعه أن يثني عليه بمثله. والالحاف: اللحاح في السؤال. و ان عذلوا كشفوا عيوب من يعذلونه وهم في زيّ الناصحين. و استعار لفظ المفتاح: للحيلة ولفظ الليل: لما اظلم من الأمور، و لفظ المصباح: للرأى الذى يدخلون به فى كل مشكل. و توصلهم الى الطمع باليأس اى: عما فى أيدى الناس بإظهار الزهد فيه. والعلق: النفيس من كلّ شئ، و هو مستعار: لما يلتمسون ترويجه على الناس من امورهم. والتمويه: التشبيه. و هوّنوا الطريق اى: مسلك مقاصدهم من الآراء والحيل. واضلعوا المضيق اى: اعوجوا مضائق طرقهم، و مضايقها: دقائق المداخل فى الأمور. و اراد بتعويجها: انّهم اذا ارادوا مثلا امرًا اظهروا غيره نعمته على الغير خلافه. ولمة الشيطان: جماعته. وحمة النيران: مستعار لعظيم شرورهم.

١٨٨ ـ وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

يَعْلَمُ عَجِيجَ الْوُحُوشِ فِي الْفَلَوَات، وَمَعَاصِيَ الْعِبَادِ فِي الْخَلَوَاتِ، وَاخْتِلاَفَ النِّينَانِ فِي الْبِحَارِ الْغَامِرَاتِ، وَتَلاَطُمَ الْمَاءِ بِالرِّيَاحِ الْعَاصِفَاتِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا نَجِيبُ اللهِ، وَسَفِيرُ وَحْيِهِ، وَرَسُولُ رَحْمَتِهِ.

أَمَّا بَعْدُ؛ فَأُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ الَّذِي ابْتَدَأَ خَلْقَكُمْ، وَإِلَيْهِ يَكُونُ مَعَادُكُمْ، وَبِهِ نَجَاحُ طَلِبَتِكُمْ، وَإِلَيْهِ مُنْتَهَى رَغْبَتِكُمْ، وَنَحْوَهُ قَصْدُ سَبِيلِكُمْ، وَإِلَيْهِ مَرَامِي مَفْزَعِكُمْ، فَإِنَّ تَقْوَى اللهِ دَوَاءُ دَاءِ قُلُوبِكُمْ، وَبَصَرُ عَمَى أَفْئِدَتِكُمْ، وَشِفَاءُ مَرَضِ أَجْسَادِكُمْ، وَصَلاَحُ فَسَادِ صُدُورِكُمْ، وَطَهُورُ دَنَسِ أَنْفُسِكُمْ، وَجِلاَءُ غِشَاءِ أَبْصَارِكُمْ، وَأَمْنُ فَزَعِ جَأْشِكُمْ، وَضِيَاءُ سَوَادِ ظُلْمَتِكُمْ، فَاجْعَلُوا طَاعَةَ اللهِ شِعَارًا دُونَ دِثَارِكُمْ، وَدَخِيلاً دُونَ شِعَارِكُمْ، وَلَطِيفًا بَيْنَ

أَضْلَاعِكُمْ، وَأَمِيرًا فَوْقَ أُمُورِكُمْ، وَمَنْهَلاً لِحِينِ وُرُودِكُمْ، وَشَفِيعًا لِدَرَكِ طِلْبَتِكُمْ، وَجُنَّةً لِيَوْمِ فَزَعِكُمْ، وَمَصَابِيحَ لِبُطُونِ قُبُورِكُمْ، وَسَكَنًا لِطُولِ وَحْشَتِكُمْ، وَنَفَسًا لِكَرْبِ مَوَاطِنِكُمْ؛ فَإِنَّ طَاعَةَ اللهِ حِرْزٌ مِنْ مَتَالِفَ مُكْتَنِفَةٍ، وَمَخَاوِفَ مُتَوَقَّعَةٍ، وَأُوَارِ نِيرَانٍ مُوقَدَةٍ. فَمَنْ أَخَذَ بِالتَّقْوَى عَزَبَتْ عَنْهُ الشَّدَائِدُ بَعْدَ دُنُوِّهَا، وَاحْلَوْلَتْ لَهُ الْأُمُورُ بَعْدَ مَرَارَتِهَا، وَانْفَرَجَتْ عَنْهُ الْأَمْوَاجُ بَعْدَ تَرَاكُمِهَا، وَأَسْهَلَتْ لَهُ الصِّعَابُ بَعْدَ إِنْصَابِهَا، وَهَطَلَتْ عَلَيْهِ الْكَرَامَةُ بَعْدَ قُحُوطِهَا، وَتَحَدَّبَتْ عَلَيْهِ الرَّحْمَةُ بَعْدَ نُفُورِهَا، وَتَفَجَّرَتْ عَلَيْهِ النِّعَمُ بَعْدَ نُضُوبِهَا، وَوَبَلَتْ عَلَيْهِ الْبَرَكَةُ بَعْدَ إِرْذَاذِهَا.

فَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي نَفَعَكُمْ بِمَوْعِظَتِهِ، وَوَعَظَكُمْ بِرِسَالَتِهِ، وَامْتَنَّ عَلَيْكُمْ بِنِعْمَتِهِ، فَعَبِّدُوا أَنْفُسَكُمْ لِعِبَادَتِهِ، وَاخْرُجُوا إِلَيْهِ مِنْ حَقِّ طَاعَتِهِ.

ثُمَّ إِنَّ هٰذَا الْإِسْلَامَ دِينُ اللهِ الَّذِي اصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ، وَاصْطَنَعَهُ عَلَى عَيْنِهِ، وَأَصْفَاهُ خِيَرَةَ خَلْقِهِ، وَأَقَامَ دَعَائِمَهُ عَلَى مَحَبَّتِهِ، أَذَلَّ الْأَدْيَانَ بِعِزَّتِهِ، وَوَضَعَ الْمِلَلَ بِرَفْعِهِ، وَأَهَانَ أَعْدَاءَهُ بِكَرَامَتِهِ، وَخَذَلَ مُحَادِّيهِ بِنَصْرِهِ، وَهَدَمَ أَرْكَانَ الضَّلَالَةِ بِرُكْنِهِ، وَسَقَى مَنْ عَطِشَ مِنْ حِيَاضِهِ، وَأَتْأَقَ الْحِيَاضَ بِمَوَاتِحِهِ، ثُمَّ جَعَلَهُ لَا انْفِصَامَ لِعُرْوَتِهِ، وَلَا فَكَّ لِحَلْقَتِهِ، وَلَا انْهِدَامَ لِأَسَاسِهِ، وَلَا زَوَالَ لِدَعَائِمِهِ، وَلَا انْقِلَاعَ لِشَجَرَتِهِ، وَلَا انْقِطَاعَ لِمُدَّتِهِ، وَلَا عَفَاءَ لِشَرَائِعِهِ، وَلَا جَذَّ لِفُرُوعِهِ، وَلَا ضَنْكَ لِطُرُقِهِ، وَلَا وُعُوثَةَ لِسُهُولَتِهِ، وَلَا سَوَادَ لِوَضَحِهِ، وَلَا عِوَجَ لِانْتِصَابِهِ، وَلَا عَصَلَ فِي عُودِهِ، وَلَا وَعَثَ لِفَجِّهِ، وَلَا انْطِفَاءَ لِمَصَابِيحِهِ، وَلَا مَرَارَةَ لِحَلَاوَتِهِ. فَهُوَ دَعَائِمُ أَسَاخَ فِي الْحَقِّ أَسْنَاخَهَا، وَثَبَّتَ لَهَا أُسُسَهَا، وَيَنَابِيعُ غَزُرَتْ عُيُونُهَا، وَمَصَابِيحُ شَبَّتْ نِيرَانُهَا، وَمَنَارٌ اقْتَدَى بِهَا سُفَّارُهَا، وَأَعْلَامٌ قُصِدَ بِهَا فِجَاجُهَا، وَمَنَاهِلُ رَوِيَ بِهَا وُرَّادُهَا: جَعَلَ اللهُ فِيهِ مُنْتَهَى رِضْوَانِهِ، وَذِرْوَةَ دَعَائِمِهِ، وَسَنَامَ طَاعَتِهِ؛ فَهُوَ عِنْدَ اللهِ وَثِيقُ الْأَرْكَانِ، رَفِيعُ الْبُنْيَانِ، مُنِيرُ الْبُرْهَانِ، مُضِيءُ النِّيرَانِ، عَزِيزُ السُّلْطَانِ، مُشْرِفُ الْمَنَارِ، مُعْوِزُ الْمَثَارِ؛ فَشَرِّفُوهُ، وَاتَّبِعُوهُ، وَأَدُّوا إِلَيْهِ حَقَّهُ، وَضَعُوهُ مَوَاضِعَهُ.

ثُمَّ إِنَّ اللهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا، صلى الله عليه وآله وسلم، بِالْحَقِّ حِينَ دَنَا مِنَ الدُّنْيَا الِانْقِطَاعُ، وَأَقْبَلَ مِنَ الْآخِرَةِ الِاطِّلَاعُ: وَأَظْلَمَتْ بَهْجَتُهَا بَعْدَ إِشْرَاقٍ، وَقَامَتْ بِأَهْلِهَا عَلَى سَاقٍ، وَخَشُنَ مِنْهَا مِهَادٌ، وَأَزِفَ مِنْهَا قِيَادٌ، فِي انْقِطَاعٍ مِنْ مُدَّتِهَا، وَاقْتِرَابٍ مِنْ أَشْرَاطِهَا، وَتَصَرُّمٍ مِنْ أَهْلِهَا، وَانْفِصَامٍ مِنْ حَلْقَتِهَا، وَانْتِشَارٍ مِنْ سَبَبِهَا، وَعَفَاءٍ مِنْ أَعْلَامِهَا، وَتَكَشُّفٍ مِنْ عَوْرَاتِهَا، وَقِصَرٍ مِنْ طُولِهَا. جَعَلَهُ اللهُ بَلَاغًا لِرِسَالَتِهِ، وَكَرَامَةً لِأُمَّتِهِ، وَرَبِيعًا لِأَهْلِ زَمَانِهِ،

للجهل، ولفظ الشعار: و هومايلي الجسد من الثياب: للتقوى وهوامر بلزومها، ومباشرة القلوب بها، اذ الشعار ادخل من الدثار. ثم اكّد امرهم بلزومها باتخاذها دخيلا تحت الشعار و هو: الأمر بالاخلاص فيها، و جعلها ملكة، و فسرّ ذلك بقوله: و لطيفا بين اضلاعكم، و كنى بلفظها: عن تصوّرها و اعتقادها. و بكونها بين اضلاعهم: عن ايداعها القلوب. و استعار لفظ الأمر: لها باعتبار وجوب الزامها والائتمار لها. و لفظ المنهل و هو: المورد باعتبار انّها: مظنّة التروّى من شراب الأبرار. و لفظ المصباح: لأضاءتها القلوب. والمتالف المكتنفة: و هي الرذائل، تكتنف النفس فتوبقها. و المخاوف المتوقّعة: اهوال الآخرة. واوار النيران: حرّها. و عزبت: غابت، و مرارة الأذى، اللازم عنها كما يلزم عن الفقر ونحوه. ولما كان ذلك شعار المتقين، كان أحلى في نفوسهم من كلّ شعار، و ان كان مرّا في اذواقهم في اوّل الامر. و استعار لفظ الأمواج: لأهوال الدنيا وغمومها.

و لما كانت التقوى تستلزم سهولة تلك الشدائد كان ذلك تفريجًا لها، و يحتمل ان يريد بالأمواج: الهيئات البدنية الرديّة، اذ بالتقوى تزول و تنفرج. و سهولة صعاب امور الدنيا على المتّقين اشرف ماهم بصدده من المطالب الجليّة. و انصابها: اتعابها، والكرامات: تعود الى الافاضات العالية الهاطلة على نفوسهم، ويحتمل ان يريد: الغيث عندالقحط، فانّ نفوس المتقين تستنزله بدعائها. والتحدّب: التعطّب. و عبّدوا: ذلّلوا. و اصطنعه على عينه اى: على علم منه و عناية به. و اصفاه خيرة خلقه: اخلصه له. و دعائم الدين: قواعده الثابتة في قلوب المؤمنين. و اقامتها على محبّته: في قوله تعالى: (قل ان كنتم تحبّون الله فاتّبعوني يحببكم الله)[1] فكان اتّباعه عليه السلام و اقامته لتلك الدّعائم به مبنيّاً على محبّة الله. و يحتمل عودالضمير الى النبي صلى الله عليه و آله اذ لو لا محبته، و لزوم اتّباعه لم يقم الدين. و محادّوه: معادّوه، و استعار لفظ اركان الضلالة: لأهلها. و وصف السقي: لافاضة علوم الدين ،و لفظ الحياض: لعلماء الاسلام الّذين هم اوعية العلوم والحكمة: ولفظ المواتح: و هم المستقون لائمة الدين ايضا من الصحابة. و لفظ الحياض: للمستفيدين. و اتأق: املأ. و لفظ العروة: لما يتمسّك به الانسان منه كالعقائد الحقّة ومكارم الاخلاق. و لفظ الحلقة: لجماعته و أهله. و لفظ الأساس: للكتاب والسنة. و

١ ـ سورة آل عمران / ٣١.

لفظ الدعائم: لاهله و لقوانينه. و لفظ الشجرة: لأصله. و وصف الجذ لانقطاع المسائل والابحاث المتفرّعة عليه و تناهيها. والضنك: الضيق. والوعوثة: الصعوبة. و لفظ الوضح: و هو الضوء لأنواره القائدة الى الله. و لفظ السواد: لما يكدّرها من الشبه. و لفظ المصابيح: لعلمائه. و لفظ الدعائم: لقواعده و هي: العبادات لقوله صلى الله عليه و آله: (بني الاسلام على خمس). والاسناخ: الاصول. واساخها: اثبتها و ادخلها في الحق، وهو اشارة الى كون العبادات مبنيّة على اسرار من الحق عميقة. و لفظ الينابيع: لأصوله وهى الكتاب و السنة، باعتبار تفجّر العلوم عنهما: و لفظ العيون: لمبادئ تلك الينا بيع حيث صدرت. و شبّت النار: الهبت. و لفظ المنار والأعلام: لأمارات احكام الله و ادلّته. و لفظ المسافرين: لسالكى سبيل الله. والضمير في دعائمه: لله. و دعائمه: دعائم دينه و قواعده التي جعلها عمدة لخلقه في صلاح أحوالهم. و لفظ الذروة: للاسلام باعتبار شرفه على سائر الاديان فهو كالذروة لها. و لفظ البنيان: لما ارتقى اليه اهله من الشرف والفضيلة. ولفظ البرهان: للقرآن. و لفظ النيران: لعلومه. و اشراف مناره: علوّ قدر ائمته.

و معوذ المنار اى: يعجز الخلق عن اثارة دفائنه. و روى المنال والمثال. و ازف: دنا. والقياد: حبل يقاد به الدابّة اى: دنا منها قيادها للرحيل. و استعار لفظ السبب و هو الحبل: لما احكم من امورها. والضمير في جعله: للنبى عليه السلام، و نورًا و المنصوبات بعده: احوال[1] للكتاب. و بحبوحته: وسطه. والغيطان: الامكنة المطمئنة من الأرض جمع غائط. و استعار لفظ المنزل: لمقاصد الكتاب باعتبار وقوف الأذهان عندها بعد قصدها. و لفظ الاعلام: لادلّته. والمعقل: الحبل يعتصم به. و عذرا لمن انتحله اى: لمن نسب نفسه الى حمله و انّه من أهله معتذرًا من تكليف شاقّ. والفلج: الفوز والظفر. و حملة لمن حمله: قيامه بصلاح حاله في الدارين. و استعار له لفظ المطيّة: لادائه بصاحبه في سبيل الله الى الجنّة. والمتوسّم: المتدبّر لآياته و عبره كقوله تعالى: (انّ في ذلك لآياتٍ للمتوسّمين)[2] والمستلئم: الذى يتّخذه لامة. و اللّامة: الدرع. و حديثا لمن روى: باعتبار ما فيه من قصص الاوّلين او قولا و كلاما لمن نقله كما قال الله تعالى: (الله الّذى نزّل

---

١ ـ في ش: بعده الكتاب.

٢ ـ سورة الحجر / ٧٥.

احسن الحديث)[1]. و فائدة وصفه بذلك انّ فيه غنية لمن اراد ان يتحدّث بحديث غيره مما لا يفيد فائدته. و حكما اى: فيه الحكم لمن قضى، و روى: حكما اى حاكمًا.

١٨٩ ـ وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

كان يوصى به أصحابه

تَعَاهَدُوا أَمْرَ الصَّلاَةِ، وَحَافِظُوا عَلَيْهَا، وَاسْتَكْثِرُوا مِنْهَا، وَتَقَرَّبُوا بِهَا؛ فَإِنَّهَا كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا، أَلاَ تَسْمَعُونَ إِلَى جَوَابِ أَهْلِ النَّارِ حِينَ سُئِلُوا: (مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ؟ قَالُوا: لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ.)[2] وَإِنَّهَا لَتَحُتُّ الذُّنُوبَ حَتَّ الْوَرَقِ، وَتُطْلِقُهَا إِطْلاَقَ الرِّبَقِ، وَشَبَّهَهَا رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم، بِالْحَمَّةِ تَكُونُ عَلَى بَابِ الرَّجُلِ فَهُوَ يَغْتَسِلُ مِنْهَا فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ خَمْسَ مَرَّات، فَمَا عَسَى أَنْ يَبْقَى عَلَيْهِ مِنَ الدَّرَنِ؟! وَقَدْ عَرَفَ حَقَّهَا رِجَالٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ لاَ تَشْغَلُهُمْ عَنْهَا زِينَةُ مَتَاعٍ، وَلاَ قُرَّةُ عَيْنٍ مِنْ وَلَدٍ وَلاَ مَال. يَقُولُ اللهُ سُبْحَانَهُ: (رِجَالٌ لاَ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلاَةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ)[3]. وَكَانَ رَسُولُ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ نَصِبًا بِالصَّلاَةِ بَعْدَ التَّبْشِيرِ لَهُ بِالْجَنَّةِ؛ لِقَوْلِ اللهِ سُبْحَانَهُ: (وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاَةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا) فَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ، وَيُصْبِرُ عَلَيْهَا نَفْسَهُ.

ثُمَّ إِنَّ الزَّكَاةَ جُعِلَتْ مَعَ الصَّلاَةِ قُرْبَانًا لِأَهْلِ الْإِسْلاَمِ، فَمَنْ أَعْطَاهَا، طَيِّبَ النَّفْسِ بِهَا، فَإِنَّهَا تُجْعَلُ لَهُ كَفَّارَةً، وَمِنَ النَّارِ حِجَازًا وَوِقَايَةً. فَلاَ يُتْبِعَنَّهَا أَحَدٌ نَفْسَهُ، وَلاَ يُكْثِرَنَّ عَلَيْهَا لَهَفَهُ؛ فَإِنَّ مَنْ أَعْطَاهَا غَيْرَ طَيِّبِ النَّفْسِ بِهَا يَرْجُو بِهَا مَا هُوَ أَفْضَلُ مِنْهَا فَهُوَ جَاهِلٌ بِالسُّنَّةِ، مَغْبُونُ الْأَجْرِ، ضَالُّ الْعَمَلِ، طَوِيلُ النَّدَمِ.

ثُمَّ أَدَاءَ الْأَمَانَةِ؛ فَقَدْ خَابَ مَنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهَا، إِنَّهَا عُرِضَتْ عَلَى السَّمٰوَاتِ الْمَبْنِيَّةِ، وَالْأَرَضِينَ الْمَدْحُوَّةِ، وَالْجِبَالِ ذَاتِ الطُّولِ الْمَنْصُوبَةِ فَلاَ أَطْوَلَ وَلاَ أَعْرَضَ وَلاَ أَعْلَى وَلاَ أَعْظَمَ مِنْهَا، وَلَوِ امْتَنَعَ شَيْءٌ بِطُولٍ أَوْ عَرْضٍ أَوْ قُوَّةٍ أَوْ عِزٍّ لاَمْتَنَعْنَ، وَلٰكِنْ أَشْفَقْنَ مِنَ الْعُقُوبَةِ، وَعَقَلْنَ مَا جَهِلَ مَنْ هُوَ أَضْعَفُ مِنْهُنَّ وَهُوَ الْإِنْسَانُ (إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً)

إِنَّ اللهَ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ لاَ يَخْفَى عَلَيْهِ مَا الْعِبَادُ مُقْتَرِفُونَ فِي لَيْلِهِم، وَنَهَارِهِمْ، لَطُفَ

---

١ ـ سورة الزمر / ٢٣. ٢ ـ سورة المدثر/٤٢. ٣ ـ سورة النور/٣٧.

بِهِ خُبْرًا، وَأَحَاطَ بِهِ عِلْمًا، أَعْضَاؤُكُمْ شُهُودُهُ، وَجَوَارِحُكُمْ جُنُودُهُ، وَضَمَائِرُكُمْ عُيُونُهُ، وَخَلَوَاتُكُمْ عِيَانُهُ.

اقول: حاصل الفصل الوصيّة بالمحافظة على امور ثلاثة: و هى: الصلاة والزكاة والامانة، والتنبيه على فضائلها، و وجوب ادائها. و موقوتا: مفروضا و قيل: منجما فى كلّ وقت و هى: الصلوات الخمس. و قوله: الا تسمعون، الى قوله: نفسه: دلائل وجوبها وهى ضمائر ذكره صغرياتها. والربق: جمع ربقة وهى: الحلقة فى الحبل. والحمة: مجمع الماء و ذلك التشبيه فى قوله صلى الله عليه و آله لأصحابه (أيسر أحدكم أن يكون على بابه حِمّة يغتسل منها كلّ يوم وليلة خمس مرّات فلا يبقى من درنه شئ. فقالوا: نعم، قال: فانّها الصلوات الخمس)[1]. و نصبًا: اى تعبا، و انّما كان مُعطى الزكاة غير طيب النفس بها ضالّ العمل اذ لم يقصد بها وجهها. و لا اهتدى الى غاية وضعها فى السّنة. والاقتراف: الاكتساب. و قد نبّهنا على اسرار العبادات فيما سبق. و باقى الفصل ظاهر.

١٩٠ - وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

وَاللهِ مَا مُعَاوِيَةُ بِأَدْهَى مِنِّي، وَلٰكِنَّهُ يَغْدِرُ وَيَفْجُرُ، وَلَوْلَا كَرَاهِيَةُ الْغَدْرِ لَكُنْتُ مِنْ أَدْهَى النَّاسِ، وَلٰكِنْ كُلُّ غَدْرَةٍ فَجْرَةٌ، وَلِكُلِّ فَجْرَةٍ كَفْرَةٌ، وَلِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يُعْرَفُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاللهِ مَا أُسْتَغْفَلُ بِالْمَكِيدَةِ، وَلَا أُسْتَغْمَزُ بِالشَّدِيدَةِ.

اقول: الدهاء: استعمال العقل فيما لا ينبغى شرعًا مع اظهار ارادة ما ينبغى، وصاحبه داه و خبيث و مكّار و حيول. و هو: رذيلة تحت الجربزة. و لما كان الوفاء فضيلة تحت العفة، كان الغدر رذيلة تحت الفجور، الذى هو رذيلة العفّة و مستلزما له، فكل غدر فجور، و امّا ان يكون كل فجور كفر، فيحمل ان يريد كفرًا لنعمة الله، و يحتمل ان يريد: انّ الفجور على وجه استحلاله كفر كما فهم من فجور عمرو بن العاص. و قوله: و لكل

١ - منهاج البراعة ٣٠٥/٢. شرح ابن ابى الحديد ٢٠٢/١٠.

غادر، الى قوله: القيامة: لفظ الخبر النبوىّ. و لا استغمز، بالزاء المعجمة اى: لا يطلب غمزى، اى اضعافى و تعجيزى. و روى: بالراء اى: لا استجهل بشدائد المكائد.

١٩١ - وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

أَيُّهَا النَّاسُ؛ لَا تَسْتَوْحِشُوا فِي طَرِيقِ الْهُدَى لِقِلَّةِ أَهْلِهِ، فَإِنَّ النَّاسَ قَدِ اجْتَمَعُوا عَلَى مَائِدَةٍ، شِبَعُهَا قَصِيرٌ، وَجُوعُهَا طَوِيلٌ!!

أَيُّهَا النَّاسُ؛ إِنَّمَا يَجْمَعُ النَّاسَ الرِّضَا وَالسُّخْطُ، وَإِنَّمَا عَقَرَ نَاقَةَ ثَمُودَ رَجُلٌ وَاحِدٌ فَعَمَّهُمُ اللهُ بِالْعَذَابِ لَمَّا عَمُّوهُ بِالرِّضَا، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: (فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ)[1] فَمَا كَانَ إِلَّا أَنْ خَارَتْ أَرْضُهُمْ بِالْخَسْفَةِ، خُوَارَ السِّكَّةِ الْمُحْمَاةِ فِي الْأَرْضِ الْخَوَّارَةِ. أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ سَلَكَ الطَّرِيقَ الْوَاضِحَ وَرَدَ الْمَاءَ، وَمَنْ خَالَفَ وَقَعَ فِي التِّيهِ.

اقول: حاصل الفصل ترغيب اصحابه فى البقاء على سلوك طريق الهدى، و عدم التوحّش فيه لقلة سالكيه، اذ من العادة ان يستوحش الوحيد فى الطريق، لعدم الأنيس او لقلّته. و استعار لفظ المائدة : للدنيا و كنى عن قصر مدّتها: بقصر شبعها. و عن استعقاب الانهماك فيها للعذاب الطويل فى الآخرة: بطول جوعها، و لفظ الجوع: مستعار للحاجة الطويلة بعد الموت الى المطاعم الحقيقية من الكمالات النفسية، و يحتمل ان يريد بالجوع: فقد الملذّات البدنيّة بالموت. و قوله: ايهاالناس، الى قوله: السخط، اى: انّما يجمع الناس فى عذاب الله رضاهم بالمنكرات، و معاصى الله و سخطهم لمحابّه من الاعمال، و ان لم يباشر اكثرهم ذلك، او انّ سخطهم للمنكرات يكون جامعا لهم فى رحمة الله. و مصداق العذاب للرضا بالمنكر قصّة ثمود فى عموم العذاب لهم بفعل عاقر الناقة فانّ العقوبة عمّتهم لعموم الرضا لهم بفعله. و الضمير فى عمّوه: يعود الى الرجل او الى العقر الذى دلّ عليه قوله: عقر. و قوله: فما كان، الى آخره: تفسير للعذاب النازل. وخارت: صوّتت. والسكة: حديدة الفدّان. والخوارة: الضعيفة. و استعار لفظ الماء: للعلم

١ - سورة الشعراء / ١٥٧.

والهدى الحاصل لسالكى سبيل الله الواضحة. والتيه: تيه الجهل و عمى البصيرة. و قصة خسفهم مشهورة نبّهنا عليها فى الاصل. و بالله التوفيق.

۱۹۲ - وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

روى عنه أنه قاله عند دفن سيدة النساء فاطمة عليها السلام كالمناجى به رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم عند قبره.

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ عَنِّي وَعَنِ ابْنَتِكَ النَّازِلَةِ فِي جِوارِكَ ، والسَّرِيعَةِ اللَّحَاقِ بِكَ ، قَلَّ، يَا رَسُولَ اللهِ عَنْ صَفِيَّتِكَ صَبْرِي، وَرَقَّ عَنْهَا تَجَلُّدِي، إِلَّا أَنَّ لِي فِي التَّأَسِّي بِعَظِيمِ فُرْقَتِكَ ، وَفَادِحِ مُصِيبَتِكَ ؛ مَوْضِعَ تَعَزٍّ، فَلَقَدْ وَسَّدْتُكَ فِي مَلْحُودَةِ قَبْرِكَ ، وَفَاضَتْ بَيْنَ نَحْرِي وَصَدْرِي نَفْسُكَ ، إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، فَلَقَدِ اسْتُرْجِعَتِ الْوَدِيعَةُ، وَأُخِذَتِ الرَّهِينَةُ، أَمَّا حُزْنِي فَسَرْمَدٌ، وَأَمَّا لَيْلِي فَمُسَهَّدٌ، إِلَى أَنْ يَخْتَارَ اللهُ لِي دَارَكَ الَّتِي أَنْتَ بِهَا مُقِيمٌ، وَسَتُنَبِّئُكَ ابْنَتُكَ بِتَضَافُرِ أُمَّتِكَ عَلَى هَضْمِهَا، فَأَحْفِهَا السُّؤَالَ، وَاسْتَخْبِرْهَا الْحَالَ، هٰذَا وَلَمْ يَطُلِ الْعَهْدُ، وَلَمْ يَخْلُ مِنْكَ الذِّكْرُ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمَا سَلَامَ مُوَدِّعٍ لَا قَالٍ وَلَا سَئِمٍ، فَإِنْ أَنْصَرِفْ فَلَا عَنْ مَلَالَةٍ، وَإِنْ أُقِمْ فَلَا عَنْ سُوءِ ظَنٍّ بِمَا وَعَدَ اللهُ الصَّابِرِينَ.

اقول المروىّ: انّها بقيت بعد وفاة الرسول صلى الله عليه و عليها، اربعة اشهر[1] وذلك معنى سرعة لحاقها به. وصفيته: باعتبار انّه كان يكثر اكرامها. والفادح: الثقيل. و نفسه التى فاضت: دم قاءة-صلى الله عليه-حين وفاته. واستعار لفظ الوديعة والرهينة: لها باعتبار انّ النساء ودائع الكرام، اولنفسها الشريفة باعتبار انّ النفوس فى هذه الأبدان كالودائع فى استرجاعها، وكالمرهونة على الوفاء بعهد الله وميثاقه. والمسهد: المؤرّق. والاحفاء: الاستقصاء فى السؤال وهو: كالمشتكى ممّن يعتقد انّه ظلمها. والذكر: ذكر الرسول صلى الله عليه وآله.

---

١ - ذكر العلامة المجلسي في كتابه (بحارالانوار) ٤٣/ ٢١٣ روايات مختلفة في مدة مكوثها سلام الله عليها بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: اختلفت الروايات في وقت وفاتها ففي رواية انّها بقيت بعد رسول الله (ص) شهرين. وفي رواية ثلاثة اشهر. و في رواية مائة يوم. و في رواية ثمانية اشهر.

١٩٣ ـ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

ايُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا الدُّنْيَا دَارُ مَجَازٍ، وَالآخِرَةُ دَارُ قَرارٍ، فَخُذُوا مِنْ مَمَرِّكُمْ لِمَقَرِّكُمْ، وَلاَ تَهْتِكُوا أَسْتَارَكُمْ عِنْدَ مَنْ يَعْلَمُ أَسْرَارَكُمْ، وَأَخْرِجُوا مِنَ الدُّنْيَا قُلُوبَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَخْرُجَ مِنْهَا أَبْدَانُكُمْ، فَفِيهَا اخْتُبِرْتُمْ، وَلِغَيْرِهَا خُلِقْتُمْ، إِنَّ الْمَرْءَ إِذَا هَلَكَ قَالَ النَّاسُ: مَا تَرَكَ؟ وَ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ: مَا قَدَّمَ؟ لِلَّهِ آبَاؤُكُمْ! فَقَدِّمُوا بَعْضاً يَكُنْ لَكُمْ، وَلاَ تُخَلِّفُوا كُلاًّ فَيَكُونَ عَلَيْكُمْ.

أقول: هتك أستارهم عندالله: بمجاهرتهم المعصية. واخراجهم قلوبهم من الدنيا: اعراضهم بقلوبهم عنها، والزهد الحقيقي فيها. و في قوله: ما ترك و ما قدّم: لطف تنبيه على انّ متاع الدنيا مفارق متروك ليقلّ الرغبة فيه، و انّ الاعمال الصالحة مقدّمة للمرء في قدومه على الله، باقية نافعة له في معاده. قيل: انّما امر بتقديم البعض دون الكل لانّ حرمان الورثة لايجوز، وانّما نهى عن ترك الكلّ، لانّ اهمال الزكاة والصدقة لايجوز. وروى: يكن لكم قرضا، و يكون عليكم كلا، اى: لامنفعة فيه مع وجود مضرته. و بالله التوفيق.

١٩٤ ـ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

كان كثيرا ما ينادى به اصحابه

تَجَهَّزُوا، رَحِمَكُمُ اللهُ، فَقَدْ نُودِيَ فِيكُمْ بِالرَّحِيلِ، وَأَقِلُّوا الْعُرْجَةَ عَلَى الدُّنْيَا، وَ انْقَلِبُوا بِصَالِحِ مَا بِحَضْرَتِكُمْ مِنَ الزَّادِ؛ فَإِنَّ أَمَامَكُمْ عَقَبَةً كَؤُوداً، وَ مَنَازِلَ مَخُوفَةً مَهُولَةً، لاَبُدَّ مِنَ الْوُرُودِ عَلَيْهَا، وَالْوُقُوفِ عِنْدَهَا. وَاعْلَمُوا أَنَّ مَلاَحِظَ الْمَنِيَّةِ نَحْوَكُمْ دَانِيَةٌ، وَ كَأَنَّكُمْ بِمَخَالِبِهَا وَ قَدْ نَشِبَتْ فِيكُمْ، وَ قَدْ دَهَمَتْكُمْ فِيهَا مُفْظِعَاتُ الأُمُورِ، وَ مُعْضِلاَتُ الْمَحْذُورِ، فَقَطِّعُوا عَلاَئِقَ الدُّنْيَا، وَاسْتَظْهِرُوا بِزَادِ التَّقْوَى.

وقد مضى شيءٌ من هذا الكلام فيما تقدم، بخلاف هذه الروايه.

اقول: اراد بالتجهز: الاستعداد للآخرة بالأعمال الصالحة. والمنادى: لسان حال الانسان. والعرجة والتعريج: الاقامة بالمكان. و صالح الزاد: التقوى. واستعار لفظ العقبة: للموت. والكؤود: شاقة المصعد. والمنازل المخوفة: منازل البرزخ والقيامة. والملاحظ: مصدر او محل اللحظ، و هو: النظر بمؤخر العين، و استعار لفظه: لكونها لهم بالرصد، فكأنها دائمة النظر اليهم. و دائبة: مجدّة. و دهمه كذا: وقع عليه بغتة. ومفظعات الأمور: شدائدها: ومعضلات المحذور: ما ثقل منه فأمال.

۱۹۵ - وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

كلم به طلحة والزبير بعد بيعته بالخلافة وقد عتبا [عليه] من ترك مشورتهما، والاستعانة في الأمور بهما

لَقَدْ نَقَمْتُمَا يَسِيرًا، وَأَرْجَأْتُمَا كَثِيرًا، أَلاَ تُخْبِرَانِي أَيُّ شَيْءٍ لَكُمَا فِيهِ حَقٌّ دَفَعْتُكُمَا عَنْهُ؟ وَ أَيُّ قَسْمٍ اسْتَأْثَرْتُ عَلَيْكُمَا بِهِ؟ أَمْ أَيُّ حَقٍّ رَفَعَهُ إِلَيَّ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ضَعُفْتُ عَنْهُ أَمْ جَهِلْتُهُ أَمْ أَخْطَأْتُ بَابَهُ؟

وَاللهِ مَا كَانَتْ لِي فِي الْخِلاَفَةِ رَغْبَةٌ، وَلاَ فِي الْوِلاَيَةِ إِرْبَةٌ، وَلٰكِنَّكُمْ دَعَوْتُمُونِي إِلَيْهَا، وَحَمَلْتُمُونِي عَلَيْهَا، فَلَمَّا أَفْضَتْ إِلَيَّ نَظَرْتُ إِلَى كِتَابِ اللهِ وَ مَاوَضَعَ لَنَا، وَأَمَرَنَا بِالْحُكْمِ بِهِ؛ فَاتَّبَعْتُهُ، وَ مَااسْتَسَنَّ النَّبِيُّ ،صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ فَاقْتَدَيْتُهُ. فَلَمْ أَحْتَجْ فِي ذٰلِكَ إِلَى رَأْيِكُمَا، وَلاَ رَأْيِ غَيْرِكُمَا، وَلاَ وَقَعَ حُكْمٌ جَهِلْتُهُ، فَأَسْتَشِيرَكُمَا وَ إِخْوَانِي الْمُسْلِمِينَ، وَ لَوْ كَانَ ذٰلِكَ لَمْ أَرْغَبْ عَنْكُمَا، وَلاَ عَنْ غَيْرِكُمَا. وَ أَمَّا مَا ذَكَرْتُمَا مِنْ أَمْرِ الأُسْوَةِ، فَإِنَّ ذٰلِكَ أَمْرٌ لَمْ أَحْكُمْ أَنَا فِيهِ بِرَأْيِي، وَ لاَ وَلِيتُهُ هَوًى مِنِّي، بَلْ وَجَدْتُ أَنَا وَ أَنْتُمَا مَاجَاءَ بِهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ، قَدْ فُرِغَ مِنْهُ فَلَمْ أَحْتَجْ إِلَيْكُمَا فِيمَا قَدْ فَرَغَ اللهُ مِنْ قَسْمِهِ وَ أَمْضَى فِيهِ حُكْمَهُ، فَلَيْسَ لَكُمَا، وَاللهِ، عِنْدِي وَلاَ لِغَيْرِكُمَا فِي هٰذَا عُتْبَى. أَخَذَ اللهُ بِقُلُوبِنَا وَقُلُوبِكُمْ إِلَى الْحَقِّ، وَ أَلْهَمَنَا وَ إِيَّاكُمُ الصَّبْرَ.

ثم قال عليه السلام: رَحِمَ اللهُ امْرَأً رَأَى حَقًّا فَأَعَانَ عَلَيْهِ، أَوْ رَأَى جَوْرًا فَرَدَّهُ، وَ كَانَ عَوْنًا بِالْحَقِّ عَلَى صَاحِبِهِ.

اقول: اليسير الّذى نقماه: هو ترك استشارتهما فى الأمور و تسويتهما بغيرهما فى العطاء، و ذلك وان كان صعبا عندهما فهو عنده يسير سهل لكونه حقا، والكثير الّذى ارجآه اى: اخّراه هو: ما يعود الى مصالح الدين. و يحتمل ان يريد: انّ الّذى ابدياه ونقماه يسير من كثير ممّا فى نفسهما عليه اخّراه. والأربة والارب: الحاجة. و افضت: وصلت. والاسوة: التسوية فى العطاء. و قوله: ولا وليّته هوى منى، اى: ولا جعلت الحاكم فيه هواى: و روى: وليته بالتخفيف والكسر على ان يكون هوى مفعولا له. و العتبى: الاسم من العتاب.

۱۹۶ - وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

وقد سمع قوما من أصحابه يسبّون أهل الشام أيام حربهم بصفين

إِنِّى أَكْرَهُ لَكُمْ أَنْ تَكُونُوا سَبَّابِينَ، وَ لٰكِنَّكُمْ لَوْ وَصَفْتُمْ أَعْمَالَهُمْ، وَ ذَكَرْتُمْ حَالَهُمْ، كَانَ أَصْوَبَ فِى الْقَوْلِ، وَ أَبْلَغَ فِى الْعُذْرِ، وَ قُلْتُمْ مَكَانَ سَبِّكُمْ إِيَّاهُمْ: اللّٰهُمَّ احْقِنْ دِمَاءَنَا وَدِمَاءَهُمْ، وَ أَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا وَ بَيْنِهِمْ، وَ اهْدِهِمْ مِنْ ضَلاَلَتِهِمْ، حَتَّى يَعْرِفَ الْحَقَّ مَنْ جَهِلَهُ، وَ يَرْعَوِىَ عَنِ الْغَىِّ وَالْعُدْوَانِ مَنْ لَهِجَ بِهِ.

اقول: وصف أعمالهم تذكيرهم بكونهم ضالّين و ظالمين على وجه النصيحة، و الارشاد الى الدّين. و يرعوى: يرجع. و لهج بكذا: اولع به و حرص عليه.

۱۹۷ - وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

فى بعض أيام صفين وقد رأى الحسن عليه السلام يتسرع إلى الحرب

اَمْلِكُوا عَنِّى هٰذَا الْغُلاَمَ لاَيَهُدَّنِى، فَإِنَّنِى أَنْفَسُ بِهٰذَيْنِ (يعنى الحسن والحسين عليهما السلام) عَلَى الْمَوْتِ؛ لِئَلاَّ يَنْقَطِعَ بِهِمَا نَسْلُ رَسُولِ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ.

قال الرضى أبوالحسن: قوله عليه السلام «املكوا عنى هذا الغلام» من أعلى الكلام وأفصحه.

أقول: املكوا: اضبطوا. و يهذني: يكثرني. وانفس: ابخل بالفتح.

١٩٨ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام

لما اضطرب عليه أصحابه في أمر الحكومة

أَيُّهَا النَّاسُ؛ إِنَّهُ لَمْ يَزَلْ أَمْرِي مَعَكُمْ عَلَى مَا أُحِبُّ حَتَّى نَهَكَتْكُمُ الْحَرْبُ، وَقَدْ، وَاللهِ، أَخَذَتْ مِنْكُمْ وَتَرَكَتْ، وَهِيَ لِعَدُوِّكُمْ أَنْهَكُ.

لَقَدْ كُنْتُ أَمْسِ أَمِيرًا فَأَصْبَحْتُ الْيَوْمَ مَأْمُورًا، وَكُنْتُ أَمْسِ نَاهِيًا فَأَصْبَحْتُ الْيَوْمَ مَنْهِيًّا، وَقَدْ أَحْبَبْتُمُ الْبَقَاءَ، وَلَيْسَ لِي أَنْ أَحْمِلَكُمْ عَلَى مَا تَكْرَهُونَ.

اقول: نهكتكم اخلقتكم، و هو مستعار في اضعافهم،واخذت و تركت كناية عن تصرّفها فيهم بالاختيار.

١٩٩ ـ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

بالبصرة، وقد دخل على العلاء بن زياد الحارثي ـ وهو من أصحابه ـ يعوده، فلما رأى سعة داره قال:

مَا كُنْتَ تَصْنَعُ بِسَعَةِ هٰذِهِ الدَّارِ فِي الدُّنْيَا؟ أَمَا أَنْتَ إِلَيْهَا فِي الآخِرَةِ كُنْتَ أَحْوَجَ؟! وَبَلَى إِنْ شِئْتَ بَلَغْتَ بِهَا الآخِرَةَ: تَقْرِي فِيهَا الضَّيْفَ، وَتَصِلُ فِيهَا الرَّحِمَ، وَتُطْلِعُ مِنْهَا الْحُقُوقَ مَطَالِعَهَا، فَإِذَا أَنْتَ قَدْ بَلَغْتَ بِهَا الآخِرَةَ.

فقال له العلاء. يا أمير المؤمنين، أشكو إليك أخي عاصم بن زياد. قال: وما له؟ قال: لبس العباءة وتخلى عن الدنيا. قال: عليّ به، فلما جاء قال:

يَا عُدَيَّ نَفْسِهِ لَقَدِ اسْتَهَامَ بِكَ الْخَبِيثُ، أَمَا رَحِمْتَ أَهْلَكَ وَوَلَدَكَ، أَتَرَى اللهَ أَحَلَّ لَكَ الطَّيِّبَاتِ وَهُوَ يَكْرَهُ أَنْ تَأْخُذَهَا؟ أَنْتَ أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ ذٰلِكَ!

قال: يا أمير المؤمنين، هذا أنت في خشونة ملبسك وجشوبة مأكلك! قال:

وَيْحَكَ، إِنِّي لَسْتُ كَأَنْتَ، إِنَّ اللهَ فَرَضَ عَلَى أَئِمَّةِ الْعَدْلِ أَنْ يُقَدِّرُوا أَنْفُسَهُمْ بِضَعَفَةِ النَّاسِ كَيْلاَ يَتَبَيَّغَ بِالْفَقِيرِ فَقْرُهُ.

اقول: استفهامة للعلاء في معرض التوبيخ لما انّ ذلك ينافي الزهد في الدنيا. و قوله: ويلي، الى آخره هداية له الى وجوب استعمالها في مرضاة الله بعد التفريط في بنائها. و مطالع الحقوق مصارفها الشرعيّة. و قوله: على به ينوب مناب فعل الأمراى: ائتوني به. و عدّى[1] تصغير عدو ونهيه له عما فعل لانّه لم يكن على وجهه، بل فهم منه انّه عن جهل و هوى، و استلزام ترك حقوق تلزمه شرعا لأهله و ولده. والهيام: الذهاب في التيه. واستهام بك الخبيث اى: طلب منك الشيطان الهنام و زيّنه لك. و قوله: فكيف بك اى: فكيف بك هذه الحال، و انت القدوة: جوابه عليه السلام بالفرق بينهما.

٢٠٠ ـ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

وقد سأله سائل عن أحاديث البدع، وعما في أيدي الناس من اختلاف الخبر فقال عليه السلام:

إِنَّ فِي أَيْدِي النَّاسِ حَقّاً وَبَاطِلاً، وَصِدْقاً وَكَذِباً، وَنَاسِخاً وَمَنْسُوخاً، وَعَامّاً وَخَاصّاً، وَمُحْكَماً وَمُتَشَابِهاً، وَحِفْظاً وَوَهْماً. وَلَقَدْ كُذِبَ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، عَلَى عَهْدِهِ حَتَّى قَامَ خَطِيباً، فَقَالَ: «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»[2].

وَإِنَّمَا أَتَاكَ بِالْحَدِيثِ أَرْبَعَةُ رِجَالٍ لَيْسَ لَهُمْ خَامِسٌ:

رَجُلٌ مُنَافِقٌ مُظْهِرٌ لِلْإِيمَانِ، مُتَصَنِّعٌ بِالْإِسْلاَمِ، لاَيَتَأَثَّمُ وَلاَ يَتَحَرَّجُ يَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، مُتَعَمِّداً؛ فَلَوْ عَلِمَ النَّاسُ أَنَّهُ مُنَافِقٌ كَاذِبٌ لَمْ يَقْبَلُوا مِنْهُ، وَلَمْ يُصَدِّقُوا قَوْلَهُ، وَلٰكِنَّهُمْ قَالُوا صَاحِبُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: رَآهُ، وَسَمِعَ مِنْهُ، وَلَقِفَ عَنْهُ فَيَأْخُذُونَ بِقَوْلِهِ، وَقَدْ أَخْبَرَكَ اللهُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ بِمَا أَخْبَرَكَ، وَوَصَفَهُمْ بِمَا وَصَفَهُمْ بِهِ لَكَ، ثُمَّ بَقُوا بَعْدَهُ ـ عَلَيْهِ وَآلِهِ السَّلاَمُ ـ فَتَقَرَّبُوا إِلَى أَئِمَّةِ الضَّلاَلَةِ،

---

[1] ـ في نسخة ش: وعدى نفسه تصغير.

[2] ـ صحيح مسلم ١/١٠، الغدير ٥/٣٧٨.

وَالدُّعَاةِ إِلَى النَّارِ بِالزُّورِ وَالْبُهْتَانِ، فَوَلَّوْهُمُ الْأَعْمَالَ، وَ جَعَلُوهُمْ حُكَّامًا عَلَى رِقَابِ النَّاسِ، وَ أَكَلُوا بِهِمُ الدُّنْيَا، وَ إِنَّمَا النَّاسُ مَعَ الْمُلُوكِ وَالدُّنْيَا إِلَّا مَنْ عَصَمَ اللهُ، فَهٰذَا أَحَدُ الْأَرْبَعَةِ.

وَ رَجُلٌ سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللهِ شَيْئاً لَمْ يَحْفَظْهُ عَلَى وَجْهِهِ، فَوَهِمَ فِيهِ وَ لَمْ يَتَعَمَّدْ كَذِباً، فَهُوَ فِي يَدَيْهِ وَ يَرْوِيهِ وَ يَعْمَلُ بِهِ، وَ يَقُولُ: أَنَا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَسَلَّمَ، فَلَوْ عَلِمَ الْمُسْلِمُونَ أَنَّهُ وَهِمَ فِيهِ لَمْ يَقْبَلُوا مِنْهُ، وَلَوْ عَلِمَ هُوَ أَنَّهُ كَذٰلِكَ لَرَفَضَهُ!

وَ رَجُلٌ ثَالِثٌ: سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ شَيْئاً يَأْمُرُ بِهِ ثُمَّ نَهَى عَنْهُ وَ هُوَ لَا يَعْلَمُ، أَوْ سَمِعَهُ يَنْهَى عَنْ شَيْءٍ، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ وَ هُوَ لَا يَعْلَمُ، فَحَفِظَ الْمَنْسُوخَ، وَلَمْ يَحْفَظِ النَّاسِخَ، فَلَوْ عَلِمَ أَنَّهُ مَنْسُوخٌ لَرَفَضَهُ، وَ لَوْ عَلِمَ الْمُسْلِمُونَ إِذْ سَمِعُوهُ مِنْهُ أَنَّهُ مَنْسُوخٌ لَرَفَضُوهُ.

وَ آخَرُ رَابِعٌ: لَمْ يَكْذِبْ عَلَى اللهِ، وَلَا عَلَى رَسُولِهِ، مُبْغِضٌ لِلْكَذِبِ خَوْفاً مِنَ اللهِ؛ وَ تَعْظِيمًا لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَلَمْ يَهِمْ، بَلْ حَفِظَ مَا سَمِعَ عَلَى وَجْهِهِ، فَجَاءَ بِهِ عَلَى مَا سَمِعَهُ: لَمْ يَزِدْ فِيهِ وَلَمْ يَنْقُصْ مِنْهُ؛ فَحَفِظَ النَّاسِخَ فَعَمِلَ بِهِ، وَ حَفِظَ الْمَنْسُوخَ فَجَنَّبَ عَنْهُ، وَ عَرَفَ الْخَاصَّ وَالْعَامَّ، فَوَضَعَ كُلَّ شَيْءٍ مَوْضِعَهُ، وَعَرَفَ الْمُتَشَابِهَ وَ مُحْكَمَهُ.

وَ قَدْ كَانَ يَكُونُ مِنْ رَسُولِ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ، الْكَلَامُ لَهُ وَجْهَانِ: فَكَلَامٌ خَاصٌّ، وَ كَلَامٌ عَامٌّ، فَيَسْمَعُهُ مَنْ لَا يَعْرِفُ مَا عَنَى اللهُ سُبْحَانَهُ بِهِ، وَلَا مَا عَنَى بِهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ، فَيَحْمِلُهُ السَّامِعُ، وَ يُوَجِّهُهُ عَلَى غَيْرِ مَعْرِفَةٍ بِمَعْنَاهُ، وَمَا قُصِدَ بِهِ، وَ مَا خَرَجَ مِنْ أَجْلِهِ، وَ لَيْسَ كُلُّ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ، مَنْ كَانَ يَسْأَلُهُ وَ يَسْتَفْهِمُهُ، حَتَّى إِنْ كَانُوا لَيُحِبُّونَ أَنْ يَجِيءَ الْأَعْرَابِيُّ وَ الطَّارِئُ فَيَسْأَلَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى يَسْمَعُوا وَ كَانَ لَا يَمُرُّ بِي مِنْ ذٰلِكَ شَيْءٌ إِلَّا سَأَلْتُ عَنْهُ وَ حَفِظْتُهُ، فَهٰذِهِ وُجُوهُ مَا عَلَيْهِ النَّاسُ فِي اخْتِلَافِهِمْ، وَعِلَلِهِمْ فِي رِوَايَاتِهِمْ.

اقول: احاديث البدع: الأحاديث المسرعة بعد الرسول صلّى الله عليه و آله، والمكذوبة عليه. والّذى ترتكب منها البدع و هى: محدثات الامور فى الدين بما لاحجة شرعيّة فيه. والحفظ: ما حفظ عنه عليه السلام. والوهم: ما غلط فيه فتوّهم مثلاً انّه عام والمراد به الخصوص: او انّه ثابت و هو منسوخ، و وجه الحصر فى قسمة رجال الحديث،

انّ الناقل لـه المنتسب الى الاسلام، امّا منافق، اولا؟ والثاني : امّا ان يكون قدوهم فيه اولا؟ والثالث امّا ان يكون قد عرف ما يتعلق به من شرائط الرواية او لايكون. ودّل على الحصر بقوله: ليس لهم خامس واشار الى الاوّل بقوله: رجل منافق، الى قوله: فهذا احد الاربعة. ويتصنّع بالاسلام يتزين به ويتحلّى به في عيون أهله. ولايتأثّم: لايعترف بالاثم اولا يحجم عنه. و وجه الشبهة في قبول قوله: ظاهر الاسلام و صحبة الرسول عليه السلام. و خبّر الله تعالى عن المنافقين كقوله: (انّ المنافقين في الدرك الأسفل من النار) الآية[1] و نحوها. و وصفهم بالكذب في قوله تعالى : (والله يَشْهَدُ انّ المنافقين لكاذبون)[2] وائمة الضلال: بنواميّة. واشار الى الثاني بقوله: و رجل سمع مني، الى قوله: لرفضه والى الثالث بقوله: و رجل ثالث، الى قوله: لرفضوه. والى الرابع بقوله: وآخر رابع الى قوله: و محكمه و هو ظاهر.

٢٠١ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

وَ كَانَ مِنِ اقْتِدَارِ جَبَرُوتِهِ، وَ بَدِيعِ لَطَائِفِ صَنْعَتِهِ؛ أَنْ جَعَلَ مِنْ مَاءِ الْبَحْرِ الزَّاخِرِ الْمُتَرَاكِمِ الْمُتَقَاصِفِ يَبَسًا جَامِدًا، ثُمَّ فَطَرَ مِنْهُ أَطْبَاقًا، فَفَتَقَهَا سَبْعَ سَمٰوَاتٍ بَعْدَ ارْتِتَاقِهَا، فَاسْتَمْسَكَتْ بِأَمْرِهِ، وَ قَامَتْ عَلَى حَدِّهِ، وَ أَرْسَى أَرْضاً يَحْمِلُهَا الْأَخْضَرُ الْمُثْعَنْجِرُ، وَالْقَمْقَامُ الْمُسَخَّرُ، قَدْذَلَّ لِأَمْرِهِ، وَ أَذْعَنَ لِهَيْبَتِهِ، وَ وَقَفَ الْجَارِي مِنْهُ لِخَشْيَتِهِ، وَ جَبَلَ جَلَامِيدَهَا، وَ نُشُوزَ مُتُونِهَا وَ أَطْوَادِهَا، فَأَرْسَاهَا فِي مَرَاسِيهَا، وَ أَلْزَمَهَا قَرَارَتَهَا. فَمَضَتْ رُؤُسُهَا فِي الْهَوَاءِ، وَرَسَتْ أُصُولُهَا فِي الْمَاءِ، فَأَنْهَدَ جِبَالَهَا عَنْ سُهُولِهَا، وَ أَسَاخَ قَوَاعِدَهَا فِي مُتُونِ أَقْطَارِهَا وَ مَوَاضِعِ أَنْصَابِهَا، فَأَشْهَقَ قِلَالَهَا، وَ أَطَالَ أَنْشَازَهَا، وَ جَعَلَهَا لِلْأَرْضِ عِمَادًا، وَ أَرَّزَهَا فِيهَا أَوْتَادًا، فَسَكَنَتْ عَلَى حَرَكَتِهَا مِنْ أَنْ تَمِيدَ بِأَهْلِهَا، أَوْ تَسِيخَ بِحِمْلِهَا، أَوْتَزُولَ عَنْ مَوَاضِعِهَا. فَسُبْحَانَ مَنْ أَمْسَكَهَا بَعْدَ مَوَجَانِ مِيَاهِهَا، وَ أَجْمَدَهَا بَعْدَ رُطُوبَةِ أَكْنَافِهَا، فَجَعَلَهَا لِخَلْقِهِ مِهَادًا، وَ بَسَطَهَا لَهُمْ فِرَاشًا! فَوْقَ بَحْرٍ لُجِّيٍّ رَاكِدٍ لَايَجْرِي، وَ قَائِمٍ لَايَسْرِي، تُكَرْكِرُهُ الرِّيَاحُ

١ ـ سورة النساء / ١٤٥.

٢ ـ سورة المنافقون / ١.

الْعَوَاصِفُ. وَتَمْخُضُهُ الْغَمَامُ الذَّوَارِفُ (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى).

اقول: اشار هاهنا الى انّ اصل الاجرام السماويّة والأرضية: هو الماء. و وصف كيفية تكونّها عنه، و قد مرّ ذلك في الخطبة الأولى. و تعاصفه تراد أمواجه. واليبس الجامد الأرض وحدّه هوما مضى به لها من النهاية. والضمير في يحملها لليبس. والمثعنجر: السيّال كثير الماء. والقمقام: البحر. و جبل: خلق. و جلاميدها: صخورها. وانهد: رفع. و اساخ: ادخل. وانصابها: جمع نصب و هولما انتصب منها. والانشاز: جمع نشز و هوالعوالي منها. وارزّها: غرزها. و روى مخففا اى: اثبتها. واكنافها: اقطارها. وتكركره: تردّده و تصرّفه. والفصل واضح، وبالله التوفيق.

٢٠٢ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

اللَّهُمَّ أَيُّمَا عَبْدٍ مِنْ عِبَادِكَ سَمِعَ مَقَالَتَنَا الْعَادِلَةَ غَيْرَ الْجَائِرَةِ، وَالْمُصْلِحَةَ فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا غَيْرَ الْمُفْسِدَةِ فَأَبَى بَعْدَ سَمْعِهِ لَهَا إِلَّا النُّكُوصَ عَنْ نُصْرَتِكَ، وَالْإِبْطَاءَ عَنْ إِعْزَازِ دِينِكَ؛ فَإِنَّا نَسْتَشْهِدُكَ عَلَيْهِ بِأَكْبَرِ الشَّاهِدِينَ شَهَادَةً، وَنَسْتَشْهِدُ عَلَيْهِ جَمِيعَ مَنْ أَسْكَنْتَهُ أَرْضَكَ وَسَمَوَاتِكَ، ثُمَّ أَنْتَ بَعْدُ الْمُغْنِي عَنْ نَصْرِهِ، وَالْآخِذُ لَهُ بِذَنْبِهِ.

اقول: الفصل استنفار لأصحابه الى الجهاد بدعاء الله، واستشهاده على المتقاعدين عن صوته تخويفا و جذبا بذلك الى نصرة الدين. والنكوص: الرجوع.

٢٠٣ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ عَنْ شَبَهِ الْمَخْلُوقِينَ، الْغَالِبِ لِمَقَالِ الْوَاصِفِينَ، الظَّاهِرِ بِعَجَائِبِ تَدْبِيرِهِ لِلنَّاظِرِينَ، الْبَاطِنِ بِجَلَالِ عِزَّتِهِ عَنْ فِكْرِ الْمُتَوَهِّمِينَ، الْعَالِمِ بِلَا اكْتِسَابٍ، وَلَا ازْدِيَادٍ، وَلَا عِلْمٍ مُسْتَفَادٍ، الْمُقَدِّرِ لِجَمِيعِ الْأُمُورِ بِلَا رَوِيَّةٍ وَلَا ضَمِيرٍ، الَّذِي لَا تَغْشَاهُ الظُّلَمُ،

وَلَا يَسْتَضِيءُ بِالْأَنْوَارِ، وَلَا يَرْهَقُهُ لَيْلٌ، وَلَا يَجْرِي عَلَيْهِ نَهَارٌ. لَيْسَ إِدْرَاكُهُ بِالْأَبْصَارِ، وَلَا عِلْمُهُ بِالْأَخْبَارِ.

اقول: غلبه لمقال الواصفين: امتناعه بكمال ذاته و صفاته عن احاطة و صفهم به. و بطونه: خفاؤه عن تعلّق الفكر به لجلالته و نزاهته عن مناسبة من شأنه كذلك، والمقدر: الموجد، والرّوية: الفكر. والضمير: ما اضمر من عزم و ارادة و نحوهما. و يرهقه: يدركه. وظاهر تقدّس علم الله تعالى و تنزّه ذاته عن الأسباب واللواحق المذكورة. وانّما لم يكن علمنا له بالاخبار لانّ الاخبار انّما يصدق اذا اسندت الى محسوس، تعالى الله عن ذلك.

ومنها في ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

أَرْسَلَهُ بِالضِّيَاءِ، وَقَدَّمَهُ فِي الإِصْطِفَاءِ، فَرَتَقَ بِهِ الْمَفَاتِقَ، وَسَاوَرَ بِهِ الْمُغَالِبَ وَذَلَّلَ بِهِ الصُّعُوبَةَ، وَسَهَّلَ بِهِ الْحُزُونَةَ، حَتَّى سَرَّحَ الضَّلَالَ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ.

اقول: اراد بالمفاتق: امور العالم المتفرقة، و رتقها نظامها به. والمساورة: المغالبة. والصعوبة: صعوبة المشركين. والحزونة حزونة طريق الله. و سرح الضلال عن يمين و شمال: طرح رذيلتى الافراط والتفريط عن قوى النفس العاقلة كالقاء جنبتى الحمل عن ظهر الدابة. وهو من لطيف الاستعارة.

٢٠٤ ـ وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

وَأَشْهَدُ أَنَّهُ عَدْلٌ عَدَلَ، وَحَكَمٌ فَصَلَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَسَيِّدُ عِبَادِهِ كُلَّمَا نَسَخَ اللهُ الْخَلْقَ فِرْقَتَيْنِ، جَعَلَهُ فِي خَيْرِهِمَا، لم يُسْهِمْ فِيهِ عَاهِرٌ، وَلَا ضَرَبَ فِيهِ فَاجِرٌ.

أَلَا وَإِنَّ اللهَ قَدْ جَعَلَ لِلْخَيْرِ أَهْلاً، وَلِلْحَقِّ دَعَائِمَ، وَلِلطَّاعَةِ عِصَمًا، وَإِنَّ لَكُمْ عِنْدَ كُلِّ طَاعَةٍ عَوْنًا مِنَ اللهِ: يَقُولُ عَلَى الْأَلْسِنَةِ، وَيُثَبِّتُ الْأَفْئِدَةَ، فِيهِ كِفَاءٌ لِمُكْتَفٍ، وَشِفَاءٌ لِمُشْتَفٍ.

وَ اَعْلَمُوا أنَّ عِبادَاللهِ الْمُسْتَحْفَظِينَ عِلْمَهُ، يَصُونُونَ مَصُونَهُ، وَ يُفَجِّرُونَ عُيُونَهُ، يَتَواصَلُونَ بِالْوِلاَيَةِ، وَ يَتَلاَقَوْنَ بِالْمَحَبَّةِ، وَ يَتَساقَوْنَ بِكَأْسٍ رَوِيَّةٍ، وَ يَصْدُرُونَ بِرِيَّةٍ، لاَ تَشُوبُهُمُ الرِّيبَةُ، وَلاَ تُسْرِعُ فِيهِمُ الْغِيبَةُ، عَلَى ذٰلِكَ عَقَدَ خَلْقَهُمْ وَ أَخْلاَقَهُمْ، فَعَلَيْهِ يَتَحَابُّونَ، وَ بِهِ يَتَوَاصَلُونَ، فَكَانُوا كَتَفَاضُلِ الْبَذْرِ يُنْتَقَى، فَيُؤْخَذُ مِنْهُ وَ يُلْقَى، قَدْ مَيَّزَهُ التَّخْلِيصُ، وَ هَذَّبَهُ التَّمْحِيصُ، فَلْيَقْبَلِ امْرُؤٌ كَرَامَةً بِقَبُولِهَا، وَ لْيَحْذَرْ قَارِعَةً قَبْلَ حُلُولِهَا، وَلْيَنْظُرِ امْرُؤٌ فِي قَصِيرِ أَيَّامِهِ، وَ قَلِيلِ مُقَامِهِ، فِي مَنْزِلٍ حَتَّى يَسْتَبْدِلَ بِهِ مَنْزِلاً، فَلْيَصْنَعْ لِمُتَحَوَّلِهِ، وَ مَعَارِفِ مُنْتَقَلِهِ، فَطُوبَى لِذِي قَلْبٍ سَلِيمٍ أَطَاعَ مَنْ يَهْدِيهِ، وَ تَجَنَّبَ مَنْ يُرْدِيهِ وَ أَصَابَ سَبِيلَ السَّلاَمَةِ بِبَصَرِ مَنْ بَصَّرَهُ، وَطَاعَةِ هَادٍ أَمَرَهُ، وَ بَادَرَ الْهُدَى قَبْلَ أَنْ تُغْلَقَ أَبْوَابُهُ، وَ تُقْطَعَ أَسْبَابُهُ، وَ اسْتَفْتَحَ التَّوْبَةَ، وَ أَمَاطَ الْحَوْبَةَ. فَقَدْ أُقِيمَ عَلَى الطَّرِيقِ، وَ هُدِيَ نَهْجَ السَّبِيلِ.

اقول: نسخ الخلق: نقلهم عن أصولهم بالتناسل، واراد كلّما اوجد فرقتين من الخلق عن اصولهما جعله فى خيرهما كما قال صلى الله عليه و آله: (انامحمدبن عبدالله بن عبدالمطلب انّ الله خلق الخلق فجعلنى فى خيرهم، ثم جعلهم فرقتين، فجعلنى فى خيّرهم، ثم جعلهم قبائل، فجعلنى فى خيّرهم، ثم جعلهم بيوتا، فجعلنى فى خيّرهم، فأنا خيركم بيتاً و خيركم نفسا). ولم يسهم فيه عاهر: اى: لم يكن للزنا فيه شرك كما قال صلى الله عليه و آله: لم يزل ينقلنى الله تعالى من اصلاب الطاهرين الى ارحام الطاهرات. وقوله: عصما، اى: قوّما و ادلّة يعتصم بها ويلجأ اليها فى المعونة على الطاعة. و قوله: يقول الى قوله الافئدة: تفصيل لوجوه المعونة، والضمير فى يقول: الله، او للعون مجازا. و قوله: على الألسنة: كما فى القرآن الكريم. و تشبيته للأفئدة، اى: على محبته و طاعته، تذكيره تعالى. ولطائف موعظته و وعده و وعيده فى كتابه العزيز كما قال: (الا بذكرالله تطمئن القلوب[1]) و ما فيه الكفاية هو ذلك العون. والولاية بالكسر: الاسم من الولىّ واصله القرب، وبالفتح: مصدر و اراد انّهم يتواصلون فى قربتهم من الله و تجمعهم محبته. و استعار لفظ الكأس الرّوية، والرّية الفعلة من الرّى و اراد انّهم لايعترفون الّا عن فائدة. و قوله: على ذلك اى على ما عدّد من مكارم الاخلاق فى صفات عباد الله، ولا تشوبهم

١ ـ سورة الرعد / ٢٨.

الريبة، اى: لايتداخلهم شكّ فى الدّين بنفاق او فى صحبتهم. و قوله: فكانوا كتفاضل البدر، اى: كانوا فى النّاس كالبدر المتفاضل، و يفيدانّهم افضل من غيرهم مع تفاضلهم. و نبّه على وجه الشبه بقوله: ينتقى، الى قوله: التمحيص و هوالاختيار. والكرامة: نصيحته فى طاعة ربّه اى: الحسن التام. والقارعة: الشديدة من شدائد الدهر. و معارف انتقاله: المواضع التى يعلم انتقاله اليها. و سليم: لم يتدنّس بالعقائد الباطلة و من يهديه: ائمة الدّين،و من يرديه: ائمة الضلال فى مهاوى الهلاك . والحوبة: الأثم. و باللّه التوفيق.

٢٠٥ ـ وَمِنْ دُعائِهِ عَلَيْهِ السَّلام

اَلْحَمْدُلِلّهِ الَّذِى لَمْ يُصْبِحْ بِى مَيِّتًا وَلَا سَقِيمًا، وَ لَا مَضْرُوبًا عَلَى عُرُوقِي بِسُوءٍ وَلَا مَأْخُوذًا بِأَسْوَإِ عَمَلِي، وَلَا مَقْطُوعًا دَابِرِى، وَلَا مُرْتَدًّا عَنْ دِينِى، وَلَا مُنْكِرًا لِرَبِّى، وَلَا مُسْتَوْحِشًا مِنْ إِيمَانِى، وَلَا مُلْتَبِسًا عَقْلِى، وَلَا مُعَذَّبًا بِعَذَابِ الْأُمَمِ مِنْ قَبْلِى. أَصْبَحْتُ عَبْدًا مَمْلُوكًا ظَالِمًا لِنَفْسِي، لَكَ الْحُجَّةُ عَلَىَّ وَلَاحُجَّةَ لِى. لَاأَسْتَطِيعُ أَنْ آخُذَ إِلَّا مَا أَعْطَيْتَنِى، وَلَا أَتَّقِىَ إِلَّا مَا وَقَيْتَنِى.

اَللّهُمَّ إِنِّى أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَفْتَقِرَ فِى غِنَاكَ ، أَوْ أَضِلَّ فِى هُدَاكَ ، أَوْ أُضَامَ فِى سُلْطَانِكَ ، أَوْ أُضْطَهَدَ وَالْأَمْرُ لَكَ .

اَللّهُمَّ اجْعَلْ نَفْسِى أَوَّلَ كَرِيمَةٍ تَنْتَزِعُهَا مِنْ كَرَائِمِى، وَ أَوَّلَ وَدِيعَةٍ تَرْتَجِعُهَا مِن وَدَائِعِ نِعَمِكَ عِنْدِى.

اَللّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ أَنْ نَذْهَبَ عَنْ قَوْلِكَ ، أَوْ نُفْتَتَنَ عَنْ دِينِكَ ، أَوْ تَتَابَعَ بِنَا أَهْوَاؤُنَا دُونَ الْهُدَى الَّذِى جَاءَ مِنْ عِنْدِكَ .

اقول: الدّابر: الظهر. والدابر: بقية الرجل من ولده و نسله. والإلتباس: الإختلاط. و كرائمه: قواه و اعضاؤه التى تكرّم عليه، واراد متعنى بجميع قواى و جوارحى سليمة الى آخر عمرى،لانّ انتزاع النفس قبل جميع الكرائم يستلزم بقاؤها سليمة من الآفات الى حين الممات، و نحوه قول الرسول صلى اللّه عليه و آله (اللّهم متّعْنى بسمعى و بصرى و

اجعلهما الوارث منّي. والفصل واضح.

٢٠٦ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

خطبها بصفين

أَمَّا بَعْدُ؛ فَقَدْ جَعَلَ اللهُ لِي عَلَيْكُمْ حَقّاً بِوِلَايَةِ أَمْرِكُمْ، وَلَكُمْ عَلَيَّ مِنَ الْحَقِّ مِثْلُ الَّذِي لِي عَلَيْكُمْ، فَالْحَقُّ أَوْسَعُ الْأَشْيَاءِ فِي التَّوَاصُفِ، وَأَضْيَقُهَا فِي التَّنَاصُفِ، لَايَجْرِي لِأَحَدٍ إِلَّا جَرَى عَلَيْهِ، وَلَا يَجْرِي عَلَيْهِ إِلَّا جَرَى لَهُ. وَلَوْ كَانَ لِأَحَدٍ أَنْ يَجْرِيَ لَهُ وَلَايَجْرِي عَلَيْهِ لَكَانَ ذَلِكَ خَالِصًا للهِ سُبْحَانَهُ دُونَ خَلْقِهِ؛ لِقُدْرَتِهِ عَلَى عِبَادِهِ، وَلِعَدْلِهِ فِي كُلِّ مَاجَرَتْ عَلَيْهِ صُرُوفُ قَضَائِهِ، وَلَكِنَّهُ جَعَلَ حَقَّهُ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يُطِيعُوهُ وَجَعَلَ جَزَاءَهُمْ عَلَيْهِ مُضَاعَفَةَ الثَّوَابِ تَفَضُّلاً مِنْهُ وَتَوَسُّعًا بِمَا هُوَ مِنَ الْمَزِيدِ أَهْلُهُ.

ثُمَّ جَعَلَ - سُبْحَانَهُ - مِنْ حُقُوقِهِ حُقُوقًا افْتَرَضَهَا لِبَعْضِ النَّاسِ عَلَى بَعْضٍ، فَجَعَلَهَا تَتَكَافَأُ فِي وُجُوهِهَا، وَيُوجِبُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَلَا يُسْتَوْجَبُ بَعْضُهَا إِلَّا بِبَعْضٍ. وَأَعْظَمُ مَا افْتَرَضَ - سُبْحَانَهُ - مِنْ تِلْكَ الْحُقُوقِ حَقُّ الْوَالِي عَلَى الرَّعِيَّةِ، وَحَقُّ الرَّعِيَّةِ عَلَى الْوَالِي، فَرِيضَةٌ فَرَضَهَا اللهُ - سُبْحَانَهُ - لِكُلٍّ عَلَى كُلٍّ، فَجَعَلَهَا نِظَامًا لِأُلْفَتِهِمْ، وَعِزًّا لِدِينِهِمْ فَلَيْسَتْ تَصْلُحُ الرَّعِيَّةُ إِلَّا بِصَلَاحِ الْوُلَاةِ، وَلَا يَصْلُحُ الْوُلَاةُ إِلَّا بِاسْتِقَامَةِ الرَّعِيَّةِ، فَإِذَا أَدَّتِ الرَّعِيَّةُ إِلَى الْوَالِي حَقَّهُ، وَأَدَّى الْوَالِي إِلَيْهَا حَقَّهَا؛ عَزَّ الْحَقُّ بَيْنَهُمْ، وَقَامَتْ مَنَاهِجُ الدِّينِ، وَاعْتَدَلَتْ مَعَالِمُ الْعَدْلِ، وَجَرَتْ عَلَى أَذْلَالِهَا السُّنَنُ، فَصَلَحَ بِذَلِكَ الزَّمَانُ، وَطُمِعَ فِي بَقَاءِ الدَّوْلَةِ، وَيَئِسَتْ مَطَامِعُ الْأَعْدَاءِ. وَإِذَا غَلَبَتِ الرَّعِيَّةُ وَالِيَهَا، أَوْ أَجْحَفَ الْوَالِي بِرَعِيَّتِهِ؛ اخْتَلَفَتْ هُنَالِكَ الْكَلِمَةُ، وَظَهَرَتْ مَعَالِمُ الْجَوْرِ، وَكَثُرَ الْإِدْغَالُ فِي الدِّينِ، وَتُرِكَتْ مَحَاجُّ السُّنَنِ، فَعُمِلَ بِالْهَوَى، وَعُطِّلَتِ الْأَحْكَامُ وَكَثُرَتْ عِلَلُ النُّفُوسِ، فَلَا يُسْتَوْحَشُ لِعَظِيمِ حَقٍّ عُطِّلَ، وَلَالِعَظِيمِ بَاطِلٍ فُعِلَ!! فَهُنَالِكَ تَذِلُّ الْأَبْرَارُ وَتَعِزُّ الْأَشْرَارُ، وَتَعْظُمُ تَبِعَاتُ اللهِ عِنْدَ الْعِبَادِ، فَعَلَيْكُمْ بِالتَّنَاصُحِ فِي ذَلِكَ وَحُسْنِ التَّعَاوُنِ عَلَيْهِ؛ فَلَيْسَ أَحَدٌ - وَإِنِ اشْتَدَّ عَلَى رِضَا اللهِ حِرْصُهُ، وَطَالَ فِي الْعَمَلِ اجْتِهَادُهُ - بِبَالِغٍ حَقِيقَةَ مَا اللهُ أَهْلُهُ مِنَ الطَّاعَةِ [لَهُ] وَلَكِنْ مِنْ وَاجِبِ حُقُوقِ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ النَّصِيحَةُ بِمَبْلَغِ جُهْدِهِمْ، وَالتَّعَاوُنُ عَلَى إِقَامَةِ الْحَقِّ بَيْنَهُمْ،

وَلَيْسَ آمْرُؤٌ ـ وَإِنْ عَظُمَتْ فِي الْحَقِّ مَنْزِلَتُهُ، وَتَقَدَّمَتْ فِي الدِّينِ فَضِيلَتُهُ ـ بِفَوْقِ أَنْ يُعَانَ عَلَى مَا حَمَّلَهُ آللهُ مِنْ حَقِّهِ، وَلَاآمْرُؤٌ ـ وَإِنْ صَغَّرَتْهُ النُّفُوسُ، وَاقْتَحَمَتْهُ الْعُيُونُ ـ بِدُونِ أَنْ يُعِينَ عَلَى ذَلِكَ، أَوْ يُعَانَ عَلَيْهِ.

فأجابه عليه السلام رجل من أصحابه بكلام طويل يكثر فيه الثناء عليه و يذكر سمعه و طاعته له، فقال عليه السلام:

إِنَّ مِنْ حَقِّ مَنْ عَظُمَ جَلَالُ آللهِ فِي نَفْسِهِ، وَجَلَّ مَوْضِعُهُ مِنْ قَلْبِهِ، أَنْ يَصْغُرَ عِنْدَهُ ـ لِعِظَمِ ذَلِكَ ـ كُلُّ مَاسِوَاهُ، وَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ كَانَ كَذَلِكَ لَمَنْ عَظُمَتْ نِعْمَةُ آللهِ عَلَيْهِ، وَلَطُفَ إِحْسَانُهُ إِلَيْهِ؛ فَإِنَّهُ لَمْ تَعْظُمْ نِعْمَةُ آللهِ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا آزْدَادَ حَقُّ آللهِ عَلَيْهِ عِظَمًا، وَإِنَّ مِنْ أَسْخَفِ حَالَاتِ آلْوُلَاةِ عِنْدَ صَالِحِ النَّاسِ أَنْ يُظَنَّ بِهِمْ حُبُّ الْفَخْرِ، وَيُوضَعَ أَمْرُهُمْ عَلَى الْكِبْرِ، وَقَدْ كَرِهْتُ أَنْ يَكُونَ جَالَ فِي ظَنِّكُمْ أَنِّي أُحِبُّ آلْإِطْرَاءَ، وَآسْتِمَاعَ الثَّنَاءِ، وَلَسْتُ ـ بِحَمْدِآللهِ ـ كَذَلِكَ، وَلَوْ كُنْتُ أُحِبُّ أَنْ يُقَالَ ذَلِكَ لَتَرَكْتُهُ آنْحِطَاطًا للهِ سُبْحَانَهُ عَنْ تَنَاوُلِ مَاهُوَ أَحَقُّ بِهِ مِنَ الْعَظَمَةِوَالْكِبْرِيَاءِ، وَرُبَّمَا آسْتَحْلَى النَّاسُ الثَّنَاءَ بَعْدَ الْبَلَاءِ، فَلَا تُثْنُوا عَلَيَّ بِجَمِيلِ ثَنَاءٍ لِإِخْرَاجِي نَفْسِي إِلَى آللهِ وَإِلَيْكُمْ مِنَ التَّقِيَّةِ فِي حُقُوقٍ لَمْ أَفْرُغْ مِنْ أَدَائِهَا، وَفَرَائِضَ لَابُدَّ مِنْ إِمْضَائِهَا، فَلَا تُكَلِّمُونِي بِمَا تُكَلَّمُ بِهِ الْجَبَابِرَةُ، وَلَا تَتَحَفَّظُوا مِنِّي بِمَا يُتَحَفَّظُ بِهِ عِنْدَ أَهْلِ الْبَادِرَةِ، وَلَا تُخَالِطُونِي بِالْمُصَانَعَةِ، وَلَا تَظُنُّوا بِيَ آسْتِثْقَالًا فِي حَقٍّ قِيلَ لِي، وَلَاالْتِمَاسَ إِعْظَامٍ لِنَفْسِي؛ فَإِنَّهُ مَنِ آسْتَثْقَلَ الْحَقَّ أَنْ يُقَالَ لَهُ أَوِ الْعَدْلَ أَنْ يُعْرَضَ عَلَيْهِ كَانَ الْعَمَلُ بِهِمَا عَلَيْهِ أَثْقَلَ، فَلَا تَكُفُّوا عَنْ مَقَالَةٍ بِحَقٍّ، أَوْ مَشُورَةٍ بِعَدْلٍ؛ فَإِنِّي لَسْتُ فِي نَفْسِي بِفَوْقِ أَنْ أُخْطِيءَ، وَلَا آمَنُ ذَلِكَ مِنْ فِعْلِي إِلَّا أَنْ يَكْفِيَ آللهُ مِنْ نَفْسِي مَاهُوَ أَمْلَكُ بِهِ مِنِّي؛ فَإِنَّمَا أَنَاوَأَنْتُمْ عَبِيدٌ مَمْلُوكُونَ لِرَبٍّ لَارَبَّ غَيْرُهُ: يَمْلِكُ مِنَّا مَالَا نَمْلِكُ مِنْ أَنْفُسِنَا، وَأَخْرَجَنَا مِمَّا كُنَّا فِيهِ إِلَى مَا صَلَحْنَا عَلَيْهِ، فَأَبْدَلَنَا بَعْدَ الضَّلَالَةِ بِالْهُدَى، وَأَعْطَانَا الْبَصِيرَةَ بَعْدَ الْعَمَى.

اقول: انما كان الحق في التواصف أوسع منه في التناصف، لانّ القول أسهل و أيسر كلفة من العمل. و معالم العدل: مظانّه. و اذلالها: وجوهها و طرقها. واجحف به: ذهب بأصله. والادغال: الإفساد. والمحاج الطرق الواضحة. و علل النفوس: شبهاتها في

مخالفة الحق. و قوله: فعليكم بالتناصح في ذلك اى: فى حفظ حقّ الوالى على رعيّته و حقّهم عليه. و قوله: و ليس امرؤ الى قوله من حقّه، اى: انّه و ان بلغ المرء اعظم درجات طاعة الله، فهو محتاج ان يعان عليها و ليست درجته تلك بأرفع من ان يعان على ما حمله الله تعالى منها، و ذلك انّ تكليف الله تعالى بطاعته بحسب وسع المكلّف والوسع فى الطاعة: قد يكون مشروطا بمعونة الغير فيها فلا يستغنى احد عنه. و قوله: ولاامرؤ الى قوله: اويعان عليه، اى: انّه لاينبغى ان يحتقر احدعن الاستعانة به فى طاعة الله و ان اقتحمته النفوس اى: استصغرته، فانّه ليس بدون ان يعين على طاعة الله و لو بقبول الصدقة مثلا و غرضه من ذلك اتّفاق الكلمة والاتّحاد فى الدين، واسخف: اضعف. و صالح الناس: اكثرهم. و قوله: و ربّما، الى قوله البلاء: اى: ربّما استحلى من ابلى بلاء حسنا ان يمدح و احبّ أن يثنى عليه بعد بلائه. واللام فى قوله: لأخراجى متعلق بقوله: كرهت واراد انّ غرضى من طاعتى اخراجى نفسى من بقية حقوق الله الواجبة علّي له و لكم بأمره، فكأنه قال: و اذا كانت طاعتى اداء ما وجب علّيّ فكيف استحق به ثناء. والبادرة: سرعة الغضب و ما يتحفظ به عند اهل البادرة كترك المسارة مثلا فى مجالس الملوك ، اجلالا لهم و خوفا منهم. و ما كنا فيه هو: ضلال الجاهلية. و ما صلحنا عليه اى: الاسلام والهدى.

٢٠٧ ـ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

اللّهُمَّ إنّي أَسْتَعْدِيكَ عَلَى قُرَيْشٍ، فَإنَّهُمْ قَدْ قَطَعُوا رَحِمِي وَأَكْفَأُوا إنَائِي، وَأَجْمَعُوا عَلَى مُنَازَعَتِي حَقّاً كُنْتُ أَوْلَى بِهِ مِنْ غَيْرِي، وَقَالُوا أَلا إنَّ فِي الْحَقِّ أَنْ تَأْخُذَهُ وَفِي الْحَقِّ أَنْ تُمْنَعَهُ، فَاصْبِرْ مَغْمُومًا، أَوْمُتْ مُتَأَسِّفاً، فَنَظَرْتُ فَإذَا لَيْسَ لِي رَافِدٌ، وَلاَذَابٌّ، وَلاَمُسَاعِدٌ، إلاَّ أَهْلَ بَيْتِي فَضَنَنْتُ بِهِمْ عَنِ الْمَنِيَّةِ فَأَغْضَيْتُ عَلَى الْقَذَى، وَجَرِعْتُ رِيقِي عَلَى الشَّجَى، وَصَبَرْتُ مِنْ كَظْمِ الْغَيْظِ عَلَى أَمَرَّ مِنَ الْعَلْقَمِ، وَآلَمَ لِلْقَلْبِ مِنْ حَزِّ الشِّفَارِ.

قال الرضى: وقد مضى هذاالكلام فى أثناء خطبة متقدمة إلا أنى كررته ههنا لاختلاف الروايتين.

اقول: استعديک: اطلب عدواك أى: معونتك. و كفأت الاناء: كببته لوجهه، و هو كناية عن قلبهم لأمره و تغييرهم للخلافة عنه و هوالحق آلذى كان اولى به. والرافد: المعيّن. وضننت: بخلت. والشجى: ما يعرض فى الحلق من عظم و غيره، و هوكناية عن الغمّ والتألّم الحاصل له. والعلقم: شجرمرّ. و قدمرّ تفسير مثله.

منها فى ذكر السائرين إلى البصرة لحربه عليه السلام:

فَقَدِمُوا عَلَى عُمَّالِي وَخُزَّانِ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِي فِي يَدِي وَعَلَى أَهْلِ مِصْرٍ كُلُّهُمْ فِي طَاعَتِي وَعَلَى بَيْعَتِي، فَشَتَّتُوا كَلِمَتَهُمْ، وَأَفْسَدُوا عَلَيَّ جَمَاعَتَهُمْ، وَوَثَبُوا عَلَى شِيعَتِي، فَقَتَلُوا طَائِفَةً مِنْهُمْ غَدْرًا، وَطَائِفَةٌ مِنْهُمْ عَضُّوا عَلَى أَسْيَافِهِمْ، فَضَارَبُوا بِهَا حَتَّى لَقُوا ٱللهَ صَادِقِينَ.

أقول: عضوّا على اسيافهم اى لزموها، و قد اشرنا الى طرف من حال السائرين الى البصرة لحربه فى الاصل[1] و سبق بيان هذا الفصل مشروحا.

٢٠٨ - وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

لما مر بطلحة و عبدالرحمن بن عتاب بن أسيد وهما قتيلان يوم الجمل

لَقَدْ أَصْبَحَ أَبُو مُحَمَّدٍ بِهَذَا الْمَكَانِ غَرِيباً! أَمَا وَٱللهِ لَقَدْ كُنْتُ أَكْرَهُ أَنْ تَكُونَ قُرَيْشٌ قَتْلَى تَحْتَ بُطُونِ ٱلْكَوَاكِبِ، أَدْرَكْتُ وَتْرِي مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ وَأَفْلَتَتْنِي أَعْيَانُ بَنِي جُمَحَ، لَقَدْ أَتْلَعُوا أَعْنَاقَهُمْ إِلَى أَمْرٍ لَمْ يَكُونُوا أَهْلَهُ، فَوُقِصُوا دُونَهُ.

اقول: كان طلحة والزبيرمن بنى عبد مناف من قبل الامّ. و جمح قبيلة و كان فى زمنه عليه السلام منهم: عبدالله بن صفوان بن اميّة بن خلف، وعبدالرحمان بن صفوان. و قيل: كان مروان بن الحكم، منهم اخذ اسيرا يوم الجمل،و استشفع بالحسن الى أبيه

---

١ - الشرح الكبير ٤/٥٠.

عليهما السلام. و روى اغيار بالغين المعجمة اى: جهلائهم، و بالمهملة: جمع عَير، و عَير القوم سيّدهم. واتلعوا اعناقهم: رفعوها و مدّوها كالمتطلّعين، و هو كناية عن تطاولهم الى امر الخلافة. و وقصوا: كسرت اعناقهم. و بالله التوفيق.

۲۰۹ - وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

قَدْ أَحْيَا عَقْلَهُ، وَأَمَاتَ نَفْسَهُ، حَتَّى دَقَّ جَلِيلُهُ، وَلَطُفَ غَلِيظُهُ، وَبَرَقَ لَهُ لَامِعٌ كَثِيرُ الْبَرْقِ، فَأَبَانَ لَهُ الطَّرِيقَ، وَسَلَكَ بِهِ السَّبِيلَ، وَتَدَافَعَتْهُ ٱلْأَبْوَابُ إِلَى بَابِ السَّلَامَةِ، وَدَارِ الإِقَامَةِ، وَثَبَتَتْ رِجْلَاهُ بِطُمَأْنِينَةِ بَدَنِهِ فِي قَرَارِ الْأَمْنِ وَٱلرَّاحَةِ، بِمَا ٱسْتَعْمَلَ قَلْبَهُ، وَأَرْضَى رَبَّهُ.

اقول: يشير الى وصف العارف فأحيى عقله بالرياضة التّامة، و تحصيل الكمالات العلميّة والعمليّة وتكميل قوّته بهما. و اماتته نفسه اى: الامارة بالسوء بتطويعها لعقله و كسرها بالعبادة والزهد الحقيقي. واستعار وصف الاماتة لقطعها عما يخصها من المشتهيات التى هى مادّة حياتها من حيث هى نفس امّارة. و كنى بجليله عن بدنه و دقّته لانقطاع مادة توسّعه في المشتهيات. و غليظه: امّا بدنه او طباعه و قواه فانّها يلطف بالرياضة بعد غلظها و قساوتها. و اشار باللآم الى ما يعرض للسالك عند بلوغ الارادة والرياضة حدّاً مّا من الخلسات الى الجانب الأعلى،من ظهور أنوار الٰهية لذيذة شبيهة بالبرق فى سُرعةِ لمعانه و اختفائه، و تلك اللوامع مسماة في عرف المجرّدين بالأوقات. و هذه اللوامع فى مبدأ الامر تعرض قليلا فاذا امعن في الارتياض كثرت، فاشار باللامع الى نفس ذلك النور، و بكثرة بروقه الى كثرة عروضه له بعد الامعان في الرياضة. وقوله: فأبان له الطريق اى: اظهر له ذلك اللمعان طريق الحق الى الله تعالى، و كان سببا لسلوكه فى سبيله اليه، و تدافعته الابواب اى: ابواب الرياضة من الزهد والعبادة و غيرهما. ووجه التدافع هاهنا انتقاله من باب الى باب منها، و من عبادة الى اخرى. فكأنها تدافعه. و باب السلامة هوالباب الّذى يلقى فيه السلامة من الإنحراف عن الصراط المستقيم، بمعرفة انّ تلك هى الطريق و يشبه ان يكون هوالوقت. و قوله: و ثبتت رجلاه، الى قوله: والراحة فى قرار

الامن: اشارة الى درجة اعلى، و يسمّى طمأنينة، وذلك انّ السالك مادام فى مرتبة الوقت فانّه يعرض له عند لمعان تلك البروق فى سرّه اضطراب و انزعاج يحسّ به جليسه لانّ النفس اذا فاجأها امر عظيم انزعجت له، فاذا كثرت تلك الغواشى الفتها فصارت بحيث لا تنزعج عنها بل تسكن اليها و تطمئن عندها،لثبوت قدم عقلها فى درجة اعلى من درجات الجنة التى هى قرار الأمن والراحة من عذاب الله. و قوله: بما استعمل: متعلق بثبتت اى: بسبب هذا. و بالله التوفيق.

٢١٠ - وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

قاله بعد تلاوته: (أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ)[١]

يَالَهُ مَرَامًا مَا أَبْعَدَهُ، وَزَوْرًا مَا أَغْفَلَهُ، وَخَطَرًا مَا أَفْظَعَهُ، لَقَدِ اسْتَخْلَوْا مِنْهُمْ أَيَّ مُدَّكَرٍ، وَتَنَاوَشُوهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ!! أَفَبِمَصَارِعِ آبَائِهِمْ يَفْخَرُونَ أَمْ بِعَدِيدِ الْهَلْكَى يَتَكَاثَرُونَ؟! يَرْتَجِعُونَ مِنْهُمْ أَجْسَادًا خَوَتْ، وَحَرَكَاتٍ سَكَنَتْ، وَلَأَنْ يَكُونُوا عِبَرًا أَحَقُّ مِنْ أَنْ يَكُونُوا مُفْتَخَرًا، وَلَأَنْ يَهْبِطُوا بِهِمْ جَنَابَ ذِلَّةٍ أَحْجَى مِنْ أَنْ يَقُومُوا بِهِمْ مَقَامَ عِزَّةٍ!! لَقَدْ نَظَرُوا إِلَيْهِمْ بِأَبْصَارِ الْعِشْوَةِ، وَضَرَبُوا مِنْهُمْ فِي غَمْرَةِ جَهَالَةٍ، وَلَوِ اسْتَنْطَقُوا عَنْهُمْ عَرَصَاتِ تِلْكَ الدِّيَارِ الْخَاوِيَةِ، وَالرُّبُوعِ الْخَالِيَةِ؛ لَقَالَتْ ذَهَبُوا فِي الْأَرْضِ ضُلَّالًا، وَذَهَبْتُمْ فِي أَعْقَابِهِمْ جُهَّالًا، تَطَأُونَ فِي هَامِهِمْ، وَتَسْتَثْبِتُونَ فِي أَجْسَادِهِمْ وَتَرْتَعُونَ فِيمَا لَفَظُوا، وَتَسْكُنُونَ فِيمَا خَرَّبُوا، وَإِنَّمَا الْأَيَّامُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ بَوَاكٍ وَنَوَائِحُ عَلَيْكُمْ.

أُولَئِكُمْ سَلَفُ غَايَتِكُمْ، وَفُرَّاطُ مَنَاهِلِكُمْ، الَّذِينَ كَانَتْ لَهُمْ مَقَاوِمُ الْعِزِّ، وَحَلَبَاتُ الْفَخْرِ، مُلُوكًا وَسُوَقًا، سَلَكُوا فِي بُطُونِ الْبَرْزَخِ سَبِيلًا، سُلِّطَتِ الْأَرْضُ عَلَيْهِمْ فِيهِ، فَأَكَلَتْ مِنْ لُحُومِهِمْ، وَشَرِبَتْ مِنْ دِمَائِهِمْ، فَأَصْبَحُوا فِي فَجَوَاتِ قُبُورِهِمْ جَمَادًا لَايَنْمُونَ، وَضِمَارًا لَايُوجَدُونَ، لَايُفْزِعُهُمْ وُرُودُ الْأَهْوَالِ، وَلَايَحْزُنُهُمْ تَنَكُّرُ الْأَحْوَالِ، وَلَايَحْفِلُونَ بِالرَّوَاجِفِ، وَلَايَأْذَنُونَ لِلْقَوَاصِفِ، غُيَّبًا لَايُنْتَظَرُونَ، وَشُهُودًا لَايَحْضُرُونَ، وَإِنَّمَا كَانُوا جَمِيعًا فَتَشَتَّتُوا، وَآلَافًا فَافْتَرَقُوا، وَمَا عَنْ طُولِ عَهْدِهِم وَلَابُعْدِ مَحَلِّهِمْ عَمِيَتْ أَخْبَارُهُمْ، وَصَمَّتْ دِيَارُهُمْ،

---

١ - سورة التكاثر/١ - ٢.

وَلكِنَّهُمْ سُقُوا كَأْسًا بَدَّلَتْهُمْ بِالنُّطْقِ خَرَسًا وَبِالسَّمْعِ صَمَمًا، وَبِالْحَرَكَاتِ سُكُونًا فَكَأَنَّهُمْ فِي ارْتِجَالِ الصِّفَةِ صَرْعَى سُبَاتٍ، جِيرَانٌ لَايَتَأَنَّسُونَ، وَأَحِبَّاءُ لَايَتَزَاوَرُونَ، بَلِيَتْ بَيْنَهُمْ عُرَى التَّعَارُفِ، وَانْقَطَعَتْ مِنْهُمْ أَسْبَابُ الْإِخَاءِ، فَكُلُّهُمْ وَحِيدٌ وَهُمْ جَمِيعٌ، وَبِجَانِبِ الْهَجْرِ وَهُمْ أَخِلَّاءُ، لَايَتَعَارَفُونَ لِلَيْلٍ صَبَاحًا، وَلَالِنَهَارٍ مَسَاءً، أَيُّ الْجَدِيدَيْنِ ظَعَنُوا فِيهِ كَانَ عَلَيْهِمْ سَرْمَدًا، شَاهَدُوا مِنْ أَخْطَارِ دَارِهِمْ أَفْظَعَ مِمَّا خَافُوا، وَرَأَوْا مِنْ آيَاتِهَا أَعْظَمَ مِمَّا قَدَّرُوا، فَكِلْتَا الْغَايَتَيْنِ مُدَّتْ لَهُمْ إِلَى مَبَاءَةٍ، فَأَتَتْ مَبَالِغَ الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ، فَلَوْكَانُوا يَنْطِقُونَ بِهَا لَعَيُّوا بِصِفَةِ مَا شَاهَدُوا وَمَا عَايَنُوا، وَلَئِنْ عَمِيَتْ آثَارُهُمْ، وَانْقَطَعَتْ أَخْبَارُهُمْ؛ لَقَدْرَجَعَتْ فِيهِمْ أَبْصَارُ الْعِبَرِ، وَسَمِعَتْ عَنْهُمْ آذَانُ الْعُقُولِ، وَتَكَلَّمُوا مِنْ غَيْرِ جِهَاتِ النُّطْقِ، فَقَالُوا: كَلَحَتِ الْوُجُوهُ النَّوَاضِرُ، وَخَوَتِ الْأَجْسَامُ النَّوَاعِمُ، وَلَبِسْنَا أَهْدَامَ الْبِلَى، وَتَكَاءَدَنَا ضِيقُ الْمَضْجَعِ، وَتَوَارَثْنَا الْوَحْشَةَ، وَتَهَكَّمَتْ عَلَيْنَا الرُّبُوعُ الصُّمُوتُ،فَانْمَحَتْ مَحَاسِنُ أَجْسَادِنَا، وَتَنَكَّرَتْ مَعَارِفُ صُوَرِنَا، وَطَالَتْ فِي مَسَاكِنِ الْوَحْشَةِ إِقَامَتُنَا، وَلَمْ نَجِدْ مِنْ كَرْبٍ فَرَجاً، وَلَامِنْ ضِيقٍ مُتَّسَعًا! فَلَوْمَثَّلْتَهُمْ بِعَقْلِكَ، أَوْ كُشِفَ عَنْهُمْ مَحْجُوبُ الْغِطَاءِ لَكَ، وَقَدِ ارْتَسَخَتْ أَسْمَاعُهُمْ بِالْهَوَامِّ فَاسْتَكَّتْ، وَاكْتَحَلَتْ أَبْصَارُهُمْ بِالتُّرَابِ فَخَسَفَتْ، وَتَقَطَّعَتِ الْأَلْسِنَةُ فِي أَفْوَاهِهِمْ بَعْدَ ذَلَاقَتِهَا، وَهَمَدَتِ الْقُلُوبُ فِي صُدُورِهِمْ بَعْدَ يَقَظَتِهَا، وَعَاثَ فِي كُلِّ جَارِحَةٍ مِنْهُمْ جَدِيدُ بِلًى سَمَّجَهَا، وَسَهَّلَ طُرُقَ الْآفَةِ إِلَيْهَا، مُسْتَسْلِمَاتٍ فَلَاأَيْدٍ تَدْفَعُ، وَلَاقُلُوبٌ تَجْزَعُ؛ لَرَأَيْتَ أَشْجَانَ قُلُوبٍ، وَأَقْذَاءَ عُيُونٍ، لَهُمْ مِنْ كُلِّ فَظَاعَةٍ صِفَةُ حَالٍ لَاتَنْتَقِلُ، وَغَمْرَةٌ لَاتَنْجَلِي، وَكَمْ أَكَلَتِ الْأَرْضُ مِنْ عَزِيزِ جَسَدٍ، وَأَنِيقِ لَوْنٍ، كَانَ فِي الدُّنْيَا غَذِيَّ تَرَفٍ، وَرَبِيبَ شَرَفٍ، يَتَعَلَّلُ بِالسُّرُورِ فِي سَاعَةِ حُزْنِهِ، وَيَفْزَعُ إِلَى السَّلْوَةِ إِنْ مُصِيبَةٌ نَزَلَتْ بِهِ، ضَنًّا بِغَضَارَةِ عَيْشِهِ، وَشَحَاحَةً بِلَهْوِهِ وَلَعِبِهِ؟! فَبَيْنَا هُوَيَضْحَكُ إِلَى الدُّنْيَا وَتَضْحَكُ الدُّنْيَا إِلَيْهِ فِي ظِلِّ عَيْشٍ غَفُولٍ، إِذْ وَطِىءَ الدَّهْرُ بِهِ حَسَكَهُ وَنَقَضَتِ الْأَيَّامُ قُوَاهُ وَنَظَرَتْ إِلَيْهِ الْحُتُوفُ مِنْ كَثَبٍ فَخَالَطَهُ بَثٌّ لَايَعْرِفُهُ، وَنَجِيُّ هَمٍّ مَا كَانَ يَجِدُهُ، وَتَوَلَّدَتْ فِيهِ فَتَرَاتُ عِلَلٍ آنَسَ مَا كَانَ بِصِحَّتِهِ، فَفَزِعَ إِلَى مَا كَانَ عَوَّدَهُ الْأَطِبَّاءُ مِنْ تَسْكِينِ الْحَارِّ بِالْقَارِّ، وَتَحْرِيكِ الْبَارِدِ بِالْحَارِّ، فَلَمْ يُطْفِىءْ بِبَارِدٍ إِلَّا ثَوَّرَ حَرَارَةً، وَلَاحَرَّكَ بِحَارٍّ إِلَّا هَيَّجَ بُرُودَةً، وَلَااعْتَدَلَ بِمُمَازِجٍ لِتِلْكَ الطَّبَائِعِ إِلَّا أَمَدَّ مِنْهَا كُلَّ ذَاتِ دَاءٍ، حَتَّى فَتَرَ مُعَلِّلُهُ، وَذَهَلَ مُمَرِّضُهُ، وَتَعَايَا أَهْلُهُ بِصِفَةِ دَائِهِ، وَخَرِسُوا عَنْ جَوَابِ السَّائِلِينَ عَنْهُ، وَتَنَازَعُوا دُونَهُ شَجِيَّ خَبَرٍ يَكْتُمُونَهُ: فَقَائِلٌ هُوَ

لِمَآبِهِ، وَمُمَنٍّ لَهُمْ إِيَابَ عَافِيَتِهِ، وَمُصَبِّرٌ لَهُمْ عَلَى فَقْدِهِ، يُذَكِّرُهُمْ أَسَى الْمَاضِينَ مِنْ قَبْلِهِ. فَبَيْنَمَا هُوَ كَذٰلِكَ عَلَى جَنَاحٍ مِنْ فِرَاقِ الدُّنْيَا، وَتَرْكِ الْأَحِبَّةِ؛ إِذ عَرَضَ لَهُ عَارِضٌ مِنْ غُصَصِهِ فَتَحَيَّرَتْ نَوَافِذُ فِطْنَتِهِ، وَيَبِسَتْ رُطُوبَةُ لِسَانِهِ فَكَمْ مِنْ مُهِمٍّ مِنْ جَوَابِهِ عَرَفَهُ فَعَيَّ عَنْ رَدِّهِ، وَدُعَاءٍ مُؤْلِمٍ لِقَلْبِهِ سَمِعَهُ فَتَصَامَّ عَنْهُ: مِنْ كَبِيرٍ كَانَ يُعَظِّمُهُ، أَوْ صَغِيرٍ كَانَ يَرْحَمُهُ، وَإِنَّ لِلْمَوْتِ لَغَمَرَاتٍ هِيَ أَفْظَعُ مِنْ أَنْ تُسْتَغْرَقَ بِصِفَةٍ، أَوْ تَعْتَدِلَ عَلَى قُلُوبِ أَهْلِ الدُّنْيَا.

أقول: اللام في قوله ياله: لام الجرّ في المستغاث له، والمنادى محذوف. والمرام: المتعجّب من بعده هوالتكاثر اذلايتناهي والزور: المتعجّب من غفلته هم زائروا المقابر، والخطر: المتعجّب من فظاعته اى: شدّته، هو خطر تلك الغفلة في الآخرة. والمذكّر محل التذكير من الأموات والاعتبار بهم من آثارهم او حالهم الحاضرة. واستحلوا منهم اى: اتّخذوا الاحياء من الاموات تخلية ذكر احوالهم دأبهم. و ايّ مذكر: استفهام على سبيل التعجّب من ذلك المذكّر في قوّة افادته للعبرة. و تناوشوهم اى: تناولوهم من جهة بعيدة، و هى افتخار كلّ بأبيه، و قبيلته، و مكاثرته بالماضين من قومه الّذين هم بعدالموت أبعد الناس عنه في انفسهم و كمالاتهم. واحجى: اولى بالحجى و هوالعقل. و مقام الذّلة مقام الاعتباربهم، ومقام العزة مقام الافتخاربهم. و ابصار العشوة الابصار العاشية، والعشوة ركوب الامر على جهل، واضافة الابصار اليها اضافة الموصوف الى الصفة. و يرتعون فيما لفظوا، اى يتمتّعون فيما تركوه وراء ظهورهم من متاع الدنيا. والايام البواكى عليهم ايام الحياة. و سلف غايتكم و فرّاط مناهلكم اى: الذين سبقوكم اليها. والمناهل: الموارد. و مقاوم: جمع مقام لانّ ألفه منقلبة عن واو. و حلبات الفخر: جماعاته. و ملوكا: حال. والبرزخ: الحائل بين الشيئين و هو هنا ما بين الدنيا و الآخرة. والفجوة: المتّسع من الارض. والضمار: الغائب الّذى لايرجى ايابه. و يأذنون: يسمعون. والآفا: جمع اليف. و عميت اخبارهم: انقطع اثرها. وصمّت ديارهم: لم يسمع بها صوت، و هما مجازان في الاسناد. والسبات: النوم. و قوله: فكلتا الغايتين اى: غاية المؤمنين والكافرين و هما السعادة والشقاوة. مدّت اى: ضرب لها اجل ينتهون فيه الى مباءة: وهى المرجع، امّا الجنة وامّا النارفات ذلك المرجع مبالغ الخوف والرجاء عظمةً. والكلوح: تكشّر في

عبوس. والاهدام: جمع هدم وهوالثوب البالي. وتكأدنا: شق علينا. وتهكمت: تهدّمت. والاشجان الاحزان. و غضارة العيش: طيبه. و وطيء الدهر به حسكه كالمثل يضرب لمن يقع في الشدائد. والبث: الهم، و آنس: حال و ما: بمعنى المدّة. و بصحته: متعلق بآنس اى: انس اوقاته بصحّته. والقار: البارد. والأسى: جمع اسوة و هي الاقتداء. و تعتدل على عقول اهل الدنيا اى: يستقيم تصوّرها لهم. و باقي الفصل واضح، و بالله التوفيق.

٢١١ ـ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

قاله عند تلاوته: (رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَابَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ)[1]

إنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ الذِّكْرَ جِلاءً لِلقُلُوبِ، تَسْمَعُ بِهِ بَعْدَ الْوَقْرَةِ، وَتُبْصِرُ بِهِ بَعْدَ الْعِشْوَةِ، وَتَنْقَادُ بِهِ بَعْدَ الْمُعانَدَةِ، وَمَا بَرِحَ لِلّهِ ـ عَزَّتْ آلاؤُهُ ـ فِي الْبُرْهَةِ بَعْدَ الْبُرْهَةِ وَفِي أَزْمَانِ الْفَتَرَاتِ عِبَادٌ نَاجَاهُمْ فِي فِكْرِهِمْ، وَكَلَّمَهُمْ فِي ذَاتِ عُقُولِهِمْ، فَاسْتَصْبَحُوا بِنُورِ يَقَظَةٍ فِي الأَسْمَاعِ والأَبْصارِ وَالأَفْئِدَةِ يُذَكِّرُونَ بِأَيَّامِ اللهِ، وَيُخَوِّفُونَ مَقَامَهُ، بِمَنْزِلَةِ الأَدِلَّةِ فِي الْفَلَوَاتِ، مَنْ أَخَذَ الْقَصْدَ حَمِدُوا إِلَيْهِ طَرِيقَهُ، وَبَشَّرُوهُ بِالنَّجَاةِ، وَمَنْ أَخَذَ يَمِيناً وَشِمَالاً ذَمُّوا إِلَيْهِ الطَّرِيقَ وَحَذَّرُوهُ مِنَ الْهَلَكَةِ، وَكَانُوا كَذٰلِكَ مَصَابِيحَ تِلْكَ الظُّلُمَاتِ، وَأَدِلَّةَ تِلْكَ الشُّبُهَاتِ، وَإِنَّ لِلذِّكْرِ لَأَهْلاً أَخَذُوهُ مِنَ الدُّنْيَا بَدَلاً، فَلَمْ تَشْغَلْهُمْ تِجَارَةٌ وَلَابَيْعٌ عَنْهُ: يَقْطَعُونَ بِهِ أَيَّامَ الْحَيَاةِ، وَيَهْتِفُونَ بِالزَّوَاجِرِ عَنْ مَحَارِمِ اللهِ فِي أَسْمَاعِ الْغَافِلِينَ، وَيَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ وَيَأْتَمِرُونَ بِهِ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَتَنَاهَوْنَ عَنْهُ، فَكَأَنَّمَا قَطَعُوا الدُّنْيَا إِلَى الآخِرَةِ وَهُمْ فِيهَا فَشَاهَدُوا مَاوَرَاءَ ذٰلِكَ، فَكَأَنَّمَا اطَّلَعُوا غُيُوبَ أَهْلِ الْبَرْزَخِ فِي طُولِ الإِقَامَةِ فِيهِ، وَحَقَّقَتِ الْقِيَامَةُ عَلَيْهِمْ عِدَاتِهَا، فَكَشَفُوا غِطَاءَ ذٰلِكَ لِأَهْلِ الدُّنْيَا حَتَّى كَأَنَّهُمْ يَرَوْنَ مَالَا يَرَى النَّاسُ، وَيَسْمَعُونَ مَالَا يَسْمَعُونَ. فَلَوْ مَثَّلْتَهُمْ لِعَقْلِكَ فِي مَقَاوِمِهِمُ الْمَحْمُودَةِ، وَمَجَالِسِهِمُ الْمَشْهُودَةِ، وَقَدْ نَشَرُوا دَوَاوِينَ أَعْمَالِهِمْ، وَفَرَغُوا لِمُحَاسَبَةِ أَنْفُسِهِمْ عَلَى كُلِّ صَغِيرَةٍ وَكَبِيرَةٍ أُمِرُوا بِهَا فَقَصَّرُوا عَنْهَا، أَوْنُهُوا عَنْهَا فَفَرَّطُوا فِيهَا، وَحَمَّلُوا ثِقَلَ أَوْزَارِهِمْ ظُهُورَهُمْ، فَضَعُفُوا عَنِ الإِسْتِقْلَالِ بِهَا،

---

١ ـ سورة النور / ٣٦ ـ ٣٧.

فَنَشَجُوا نَشِيجًا، وَتَجَاوَبُوا نَحِيبًا، يَعِجُّونَ إِلَى رَبِّهِمْ مِنْ مَقَاوِمِ نَدَمٍ وَاعْتِرَافٍ؛ لَرَأَيْتَ أَعْلَامَ هُدًى، وَمَصَابِيحَ دُجًى قَدْ حَفَّتْ بِهِمُ الْمَلَائِكَةُ، وَتَنَزَّلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَفُتِحَتْ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَأُعِدَّتْ لَهُمْ مَقَاعِدُ الْكَرَامَاتِ، فِي مَقَامٍ اطَّلَعَ اللهُ عَلَيْهِمْ فِيهِ فَرَضِيَ سَعْيَهُمْ، وَحَمِدَ مَقَامَهُمْ، يَتَنَسَّمُونَ بِدُعَائِهِ رَوْحَ التَّجَاوُزِ، رَهَائِنُ فَاقَةٍ إِلَى فَضْلِهِ، وَأَسَارَى ذِلَّةٍ لِعَظَمَتِهِ، جَرَحَ طُولُ الْأَسَى قُلُوبَهُمْ، وَطُولُ الْبُكَاءِ عُيُونَهُمْ، لِكُلِّ بَابِ رَغْبَةٍ إِلَى اللهِ مِنْهُمْ يَدٌ قَارِعَةٌ، يَسْأَلُونَ مَنْ لَا تَضِيقُ لَدَيْهِ الْمَنَادِحُ، وَلَا يَخِيبُ عَلَيْهِ الرَّاغِبُونَ، فَحَاسِبْ نَفْسَكَ لِنَفْسِكَ؛ فَإِنَّ غَيْرَهَا مِنَ الْأَنْفُسِ لَهَا حَسِيبٌ غَيْرُكَ .

اقول: الذكر: هوالقرآن الكريم، وقيل: هو ذكر الله مطلقًا. والمنتفع به ما كان قلبيا مع دوامه فانّه بذلك يستلزم محبّة المذكور، والاعراض عما سواه. واستعار لفظ الجلاء: لازالة كل ما سوى المذكور عن لوح القلب بالذكر و تسمع به و تبصر اى: ما تدرك ، مما ينبغى ان يسمع من المواعظ و يبصر من العبر بعد وقره بالجهل و عشوته. والوقره: الصمم. والعشوة: ظلمة العين. والبرهة: المدة الطويلة. و ذلّت عقولهم انفسهم الناطقة و تكليمهم: بالافاضة والالهام و نور اليقظة فى الاسماع اضاءة عقولهم: بالفوائد المسموعة و فى الأبصار اضاءتها من قبل العبر المبصرة. و فى الافئدة: ادراكها للمعقولات و تكلّمها بها والقصد لزوم الفضيلة فى القوى العقليّة والنفسانية. واليمين والشمال: الانحراف عنها الى جانبى الافراط والتفريط منها. وقوله: و حققت القيامة عليهم عِداتِها اى: بطول ذكرهم للآخرة ينزل الموعود عندهم من امور القيامة منزلة الواقع المحقق. و مقاوم: جمع مقام و هو مقامهم بين يدى ربّهم فى خلواتهم به. والنشيج: الغصص بالبكاء دون النّحيب. والعج: رفع الصوت. والسكينة: مرتبة للسالكين سبق ذكرها. و التنسّم انتظار النسيم. والفاقة: الفقر وكنى بالايدى القارعة عن الدعوات فى طلب ما يرغب الى الله فيه من افاضته العالية. والمنادح: جمع مندح و هوالمتسع. والفصل من افصح العبارات. واغزرها مقاصدها.

٢١٢ ـ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

قاله عند تلاوته: (يَاأَيُّهَا الإِنْسَانُ مَاغَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ)

أَدْحَضُ مَسْئُولٍ حُجَّةً، وَأَقْطَعُ مُغْتَرٍّ مَعْذِرَةً، لَقَدْ أَبْرَحَ جَهَالَةً بِنَفْسِهِ.

يَاأَيُّهَا الإِنْسَانُ، مَاجَرَّأَكَ عَلَى ذَنْبِكَ، وَمَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ، وَمَا آنَسَكَ بِهَلَكَةِ نَفْسِكَ؟ أَمَا مِنْ دَائِكَ بُلُولٌ، أَمْ لَيْسَ مِنْ نَوْمَتِكَ يَقَظَةٌ؟ أَمَا تَرْحَمُ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَرْحَمُ مِنْ غَيْرِكَ؟ فَرُبَّمَا تَرَى الضَّاحِيَ مِنْ حَرِّ الشَّمْسِ فَتُظِلُّهُ، أَوْ تَرَى الْمُبْتَلَى بِأَلَمٍ يُمِضُّ جَسَدَهُ، فَتَبْكِي رَحْمَةً لَهُ، فَمَا صَبَّرَكَ عَلَى دَائِكَ، وَجَلَّدَكَ عَلَى مُصَابِكَ، وَعَزَّاكَ عَنِ الْبُكَاءِ عَلَى نَفْسِكَ وَهِيَ أَعَزُّ الأَنْفُسِ عَلَيْكَ؟ وَكَيْفَ لايُوقِظُكَ خَوْفُ بَيَاتِ نِقْمَةٍ، وَقَدْ تَوَرَّطْتَ بِمَعَاصِيهِ مَدَارِجَ سَطَوَاتِهِ، فَتَدَاوَ مِنْ دَاءِ الْفَتْرَةِ فِي قَلْبِكَ بِعَزِيمَةٍ، وَمِنْ كَرَى الْغَفْلَةِ فِي نَاظِرِكَ بِيَقَظَةٍ، وَكُنْ لِلّهِ مُطِيعًا، وَبِذِكْرِهِ آنِسًا، وَتَمَثَّلْ فِي حَالِ تَوَلِّيكَ عَنْهُ إِقْبَالَهُ عَلَيْكَ: يَدْعُوكَ إِلَى عَفْوِهِ، وَيَتَغَمَّدُكَ بِفَضْلِهِ، وَأَنْتَ مُتَوَلٍّ عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ، فَتَعَالَى مِنْ قَوِيٍّ مَا أَكْرَمَهُ، وَتَوَاضَعْتَ مِنْ ضَعِيفٍ مَا أَجْرَأَكَ عَلَى مَعْصِيَتِهِ، وَأَنْتَ فِي كَنَفِ سِتْرِهِ مُقِيمٌ، وَفِي سَعَةِ فَضْلِهِ مُتَقَلِّبٌ، فَلَمْ يَمْنَعْكَ فَضْلَهُ، وَلَمْ يَهْتِكْ عَنْكَ سِتْرَهُ، بَلْ لَمْ تَخْلُ مِنْ لُطْفِهِ مَطْرَفَ عَيْنٍ فِي نِعْمَةٍ يُحْدِثُهَا لَكَ، أَوْسَيِّئَةٍ يَسْتُرُهَا عَلَيْكَ، أَوْ بَلِيَّةٍ يَصْرِفُهَا عَنْكَ!! فَمَاظَنُّكَ بِهِ لَوْأَطَعْتَهُ، وَايْمُ اللّهِ لَوْ أَنَّ هٰذِهِ الصِّفَةَ كَانَتْ فِي مُتَّفِقَيْنِ فِي الْقُوَّةِ، مُتَوَازِنَيْنِ فِي الْقُدْرَةِ؛ لَكُنْتَ أَوَّلَ حَاكِمٍ عَلَى نَفْسِكَ بِذَمِيمِ الأَخْلاقِ، وَمَسَاوِئِ الأَعْمَالِ. وَحَقًّا أَقُولُ مَا الدُّنْيَا غَرَّتْكَ، وَلٰكِنْ بِهَا اغْتَرَرْتَ، وَلَقَدْ كَاشَفَتْكَ الْعِظَاتُ، وَآذَنَتْكَ عَلَى سَوَاءٍ، وَلَهِيَ بِمَا تَعِدُكَ مِنْ نُزُولِ الْبَلاءِ بِجِسْمِكَ، وَالنَّقْصِ فِي قُوَّتِكَ؛ أَصْدَقُ وَأَوْفَى مِنْ أَنْ تَكْذِبَكَ، أَوْ تَغُرَّكَ، وَلَرُبَّ نَاصِحٍ لَهَا عِنْدَكَ مُتَّهَمٌ، وَصَادِقٍ مِنْ خَبَرِهَا مُكَذَّبٌ، وَلَئِنْ تَعَرَّفْتَهَا فِي الدِّيَارِ الْخَاوِيَةِ، وَالرُّبُوعِ الْخَالِيَةِ؛ لَتَجِدَنَّهَا مِنْ حُسْنِ تَذْكِيرِكَ، وَبَلاغِ مَوْعِظَتِكَ، بِمَحَلَّةِ الشَّفِيقِ عَلَيْكَ، وَالشَّحِيحِ بِكَ، وَلَنِعْمَ دَارُ مَنْ لَمْ يَرْضَ بِهَا دَارًا، وَمَحَلُّ مَنْ لَمْ يُوَطِّنْهَا مَحَلاً! وَإِنَّ السُّعَدَاءَ بِالدُّنْيَا غَدًا هُمُ الْهَارِبُونَ مِنْهَا الْيَوْمَ.

إِذَا رَجَفَتِ الرَّاجِفَةُ، وَحَقَّتْ بِجَلائِلِهَا الْقِيَامَةُ، وَلَحِقَ بِكُلِّ مَنْسَكٍ أَهْلُهُ وَبِكُلِّ مَعْبُودٍ

---

١ ـ سورة الانفطار / ٦.

عَبَدَتُهُ، وَبِكُلِّ مُطاعٍ أَهْلُ طَاعَتِهِ، فَلَمْ يُجْزَ فِي عَدْلِهِ وَقِسْطِهِ يَوْمَئِذٍ خَرْقُ بَصَرٍ فِي الْهَوَاءِ، وَلَاهَمْسُ قَدَمٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا بِحَقِّهِ. فَكَمْ حُجَّةٍ يَوْمَ ذَاكَ دَاحِضَةٌ، وَعَلَائِقُ عُذْرٍ مُنْقَطِعَةٌ، فَتَحَرَّ مِنْ أَمْرِكَ مَا يَقُومُ بِهِ عُذْرُكَ ، وَتَثْبُتُ بِهِ حُجَّتُكَ ، وَخُذْ مَا يَبْقَى لَكَ مِمَّا لَا تَبْقَى لَهُ، وَتَيَسَّرْ لِسَفَرِكَ ، وَشِمْ بَرْقَ النَّجَاةِ، وَارْحَلْ مَطَايَا التَّشْمِيرِ.

اقول: دحض الحجة: بطلانها. وأبرح جهالة بنفسه: بالغ في تحصيل جهالتها و اعجبه ذلك. و لما كانت الهلكة في الآخرة بمحبّة الدنيا و باطلها، و كان الانسان شديد الانس بها صدق تعجّبه من أنسه بهلكة نفسه. والبلول: الصحة. والضاحي: البارز. و قوله: فربما. الى قوله: رحمة له في قوّة ضمير احتج به على وجوب رحمته لنفسه، و تقدير كبراه و كل من يرحم غيره فاولى ان يرحم نفسه من بلاءيقع فيه. والجلد: القوّة. والمدارج: الطرق. والتمثّل: التصوّر. وتعمدّه قصده. وقوله: وايم الله الى قوله الاعمال: اى لوكان هذا الوصف المذكور من اقبال الله عليك، و ادبارك عنه، وصف مثلين من الناس في القوّة والقدرة والمنزلة وانت المسئ منهما لكان فيما ينبغي لك من الحياء والانفة ان تكون اوّل حاكم على نفسك بتقصيرها وقبح اعمالها، و انّما تغرّه الدنيا اذا لم يخلق في العناية الالّهية كذلك و غروره بهاظنّه انّ المقصود منها هي لذاتّها الحاضرة، و مكاشفاتها بالعظات ظهور ما ينبغي الاتّعاظ به من الغير والتصاريف اللازمة لها، وآذنتك على سواء اى: اعلمتك على عدل منها تصاريفها اذ كان ذلك مقتضى خلقها بعدل من الله و حكمة، و تعرّفها اعتبار تصاريفها. و محلة الشفيق: منزلته و قد اضاف اسم نعم. و بئس هنا الى ما آيس فيه الالف واللام كقوله فنعم: صاحب قوم لاسلاح لهم. و جمع بين اسم الجنس والنكرة التى تبدّل منه و قد جاء مثله: فنعم الزّاد زاد ابيك زادا. والراجفة قيل: هي النفخة الاولى في الصور. و جلائلها: اهوالها العظيمة جمع جليلة. والمنسك: محل العبادة، و هو اشارة الى لحوق كل نفس يوم القيامة بمعبودها و مقصدها في الدنيا و ما احبّته فيها، كما قال صلّى الله عليه و آله: (لواحبّ احدكم حجراً لحُشِرَ معه). و خرق البصر في الهواء: لمحه. و تيسّر لسفره: استعداده بالرياضة للسفر الى الآخرة، وان يشم برق النجاة اى: يوجّه بصر عقله الى استلامة انوار الهداية المنجية.

٢١٣ - وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

وَاللهِ لَأَنْ أَبِيتَ عَلَى حَسَكِ السَّعْدَانِ مُسَهَّدًا، وَأُجَرَّ فِي الْأَغْلَالِ مُصَفَّدًا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَلْقَى اللهَ وَرَسُولَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ظَالِمًا لِبَعْضِ الْعِبَادِ، وَغَاصِبًا لِشَيْءٍ مِنَ الْحُطَامِ، وَكَيْفَ أَظْلِمُ أَحَدًا لِنَفْسٍ يُسْرِعُ إِلَى الْبِلَى قُفُولُهَا، وَيَطُولُ فِي الثَّرَى حُلُولُهَا؟!

وَاللهِ لَقَدْ رَأَيْتُ عَقِيلاً، وَقَدْ أَمْلَقَ حَتَّى اسْتَمَاحَنِي مِنْ بُرِّكُمْ صَاعًا، وَرَأَيْتُ صِبْيَانَهُ شُعْثَ الشُّعُورِ، غُبْرَ الْأَلْوَانِ مِنْ فَقْرِهِمْ،كَأَنَّمَا سُوِّدَتْ وُجُوهُهُمْ بِالْعِظْلِمِ؛ وَعَاوَدَنِي مُؤَكِّدًا، وَكَرَّرَ عَلَيَّ الْقَوْلَ مُرَدِّدًا؛ فَأَصْغَيْتُ إِلَيْهِ سَمْعِي فَظَنَّ أَنِّي أَبِيعُهُ دِينِي، وَأَتَّبِعُ قِيَادَهُ، مُفَارِقًا طَرِيقَتِي؛ فَأَحْمَيْتُ لَهُ حَدِيدَةً، ثُمَّ أَدْنَيْتُهَا مِنْ جِسْمِهِ لِيَعْتَبِرَ بِهَا، فَضَجَّ ضَجِيجَ ذِي دَنَفٍ مِنْ أَلَمِهَا، وَكَادَ أَنْ يَحْتَرِقَ مِنْ مِيسَمِهَا. فَقُلْتُ لَهُ: ثَكِلَتْكَ الثَّوَاكِلُ يَا عَقِيلُ، أَتَئِنُّ مِنْ حَدِيدَةٍ أَحْمَاهَا إِنْسَانُهَا لِلَعِبِهِ، وَتَجُرُّنِي إِلَى نَارٍ سَجَرَهَا جَبَّارُهَا لِغَضَبِهِ؟ أَتَئِنُّ مِنَ الْأَذَى وَلَا أَئِنُّ مِنْ لَظَى؟!! وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ طَارِقٌ طَرَقَنَا بِمَلْفُوفَةٍ فِي وِعَائِهَا، وَمَعْجُونَةٍ شَنِئْتُهَا، كَأَنَّمَا عُجِنَتْ بِرِيقِ حَيَّةٍ أَوْقَيْئِهَا، فَقُلْتُ: أَصِلَةٌ، أَمْ زَكَاةٌ، أَمْ صَدَقَةٌ؟؟؟ فَذَلِكَ مُحَرَّمٌ عَلَيْنَا أَهْلَ الْبَيْتِ، فَقَالَ: لَاذَا وَلَاذَاكَ، وَلَكِنَّهَا هَدِيَّةٌ،فَقُلْتُ: هَبِلَتْكَ الْهَبُولُ، أَعَنْ دِينِ اللهِ أَتَيْتَنِي لِتَخْدَعَنِي؟ أَمُخْتَبِطٌ، أَمْ ذُوجِنَّةٍ، أَمْ تَهْجُرُ؟ وَاللهِ لَوْأُعْطِيتُ الْأَقَالِيمَ السَّبْعَةَ بِمَا تَحْتَ أَفْلَاكِهَا عَلَى أَنْ أَعْصِيَ اللهَ فِي نَمْلَةٍ أَسْلُبُهَا جُلْبَ شَعِيرَةٍ مَا فَعَلْتُ، وَإِنَّ دُنْيَاكُمْ عِنْدِي لَأَهْوَنُ مِنْ وَرَقَةٍ فِي فَمِ جَرَادَةٍ تَقْضَمُهَا، مَالِعَلِيٍّ وَلِنَعِيمٍ يَفْنَى، وَلَذَّةٍ لَا تَبْقَى نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ سُبَاتِ الْعَقْلِ، وَقُبْحِ الزَّلَلِ، وبِهِ نَسْتَعِينُ.

اقول: السعدان: نبت. والمُصَفَّد: الموثوق غُلّاً. والقفول: الرجوع من السفر. والاستماحة: طلب المنح و هوالعطاء. والعِظلم: شجر يصبغ به،قيل هوالنيل.وميسمها: اثرها،و انسانها اى الّذى احماها والاضافة تكفى فيها بأدنى سبب. واعجب من ذلك اى: من عقيل. والطارق: الآتى ليلاً. والملفوفة: هديّة اتى بها قيل: كانت شيئا من حلوا العسل. و شنئتُها: ابغضتُها، وَ شَبّهها فى بغضه لها بما عُجِنَ بالسّم، و ذلك لما تصوّره من ارادة مهديها بها من الميل معه فى امرٍ دنيويّ يستلزم الظلم. و هبلته الهبول: ثكلته

الثواكل. والخبّاط: داء كالجنون و ليس به. والمختبط: الّذى يطلب معروفك من غير سابقٍ معرفةٍ له معك. والجِنّة: الجنون. والهجر: الهذيان. و جلب الشعيرة: قشرها. و غرض الفصل التبرّى من الظلم،و ذلك يشبه ان يكون لما فهم من صاحب الهدية ان يلتمس منه امرًا يستلزم ظلم احدفأيّسَهُ بهذا القول من ذلك، و الله اعلم.

٢١٤ ـ وَمِنْ دُعَاءٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

اللّهُمَّ صُنْ وَجْهِي بِالْيَسَارِ، وَلَا تَبْذُلْ جَاهِي بِالْإِقْتَارِ، فَأَسْتَرْزِقَ طَالِبِي رِزْقِكَ، وَأَسْتَعْطِفَ شِرَارَ خَلْقِكَ، وَأُبْتَلَى بِحَمْدِ مَنْ أَعْطَانِي، وَأُفْتَتَنَ بِذَمِّ مَنْ مَنَعَنِي، وَأَنْتَ مِنْ وَرَاءِ ذٰلِكَ كُلِّهِ وَلِيُّ الْإِعْطَاءِ وَالْمَنْعِ (إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ).

اقول: الغنى المطلوب لمثله عليه السلام هو: ما دفع الحاجة حسب الاقتصاد، والقناعة، والجاه المطلوب هو ما اعان على طاعة الله و رفع عن رذيلة المهانة لاماارید به الفخر من المباهاة الدنيويّة. والفصل ظاهر.

٢١٥ ـ وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

دَارٌ بِالْبَلَاءِ مَحْفُوفَةٌ، وَبِالْغَدْرِ مَعْرُوفَةٌ، لَا تَدُومُ أَحْوَالُهَا، وَلَا تَسْلَمُ نُزَّالُهَا، أَحْوَالٌ مُخْتَلِفَةٌ، وَتَارَاتٌ مُتَصَرِّفَةٌ، الْعَيْشُ فِيهَا مَذْمُومٌ، وَالْأَمَانُ فِيهَا مَعْدُومٌ، وَإِنَّمَا أَهْلُهَا فِيهَا أَغْرَاضٌ مُسْتَهْدَفَةٌ، تَرْمِيهِمْ بِسِهَامِهَا، وَتُفْنِيهِمْ بِحِمَامِهَا.

وَاعْلَمُوا، عِبَادَ اللهِ؛ أَنَّكُمْ وَمَا أَنْتُمْ فِيهِ مِنْ هٰذِهِ الدُّنْيَا عَلَى سَبِيلِ مَنْ قَدْ مَضَى قَبْلَكُمْ، مِمَّنْ كَانَ أَطْوَلَ، مِنْكُمْ أَعْمَارًا و أَعْمَرَ دِيَارًا، وَأَبْعَدَ آثَارًا، أَصْبَحَتْ أَصْوَاتُهُمْ هَامِدَةً، وَرِيَاحُهُمْ رَاكِدَةً، وَأَجْسَادُهُمْ بَالِيَةً، وَدِيَارُهُمْ خَالِيَةً، وَآثَارُهُمْ عَافِيَةً، فَاسْتَبْدَلُوا بِالْقُصُورِ الْمُشَيَّدَةِ، وَالنَّمَارِقِ الْمُمَهَّدَةِ، الصُّخُورَ وَالْأَحْجَارَ الْمُسَنَّدَةَ، وَالْقُبُورَ اللَّاطِئَةَ الْمُلْحَدَةَ، الَّتِي قَدْ بُنِيَ بِالْخَرَابِ فِنَاؤُهَا، وَشِيدَ بِالتُّرَابِ بِنَاؤُهَا، فَمَحَلُّهَا مُقْتَرِبٌ، وَسَاكِنُهَا مُغْتَرِبٌ، بَيْنَ

أَهْلِ مَحَلَّةٍ مُوحِشِينَ، وَأَهْلِ فَرَاغٍ مُتَشَاغِلِينَ، لَايَسْتَأْنِسُونَ بِالْأَوْطَانِ، وَلَايَتَوَاصَلُونَ تَوَاصُلَ الْجِيرَانِ، عَلَى مَابَيْنَهُمْ مِنْ قُرْبِ الْجِوَارِ، وَدُنُوِّ الدَّارِ، وَكَيْفَ يَكُونُ بَيْنَهُمْ تَزَاوُرٌ وَقَدْ طَحَنَهُمْ بِكَلْكَلِهِ الْبِلَى، وَأَكَلَتْهُمُ الْجَنَادِلُ وَالثَّرَى؟ وَكَأَنْ قَدْ صِرْتُمْ إِلَى مَا صَارُوا إِلَيْهِ، وَارْتَهَنَكُمْ ذَلِكَ الْمَضْجَعُ، وَضَمَّكُمْ ذَلِكَ الْمُسْتَوْدَعُ، فَكَيْفَ بِكُمْ لَوْتَنَاهَتْ بِكُمُ الْأُمُورُ، وَبُعْثِرَتِ الْقُبُورُ؟ (هُنَا لِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللهِ مَوْلَيهُمُ الْحَقِّ، وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ)[1].

اقول: حاصل الفصل النفير عن الدنيا بذكر معايبها. والجذب بذلك الى استعمالها على الوجه المطلوب لله من وجودها. ولفظ الغدر: مستعار لزينتها الظاهرة المستعقبة للهلاك في الآخرة. والتارة: المرة. والمستهدفة اى: جعلت هدفا و هوالغرض. و ابعد آثارًا، اى: أبعد ان ينال او يقدر على مثلها لعظمتها. وركود رياحهم: كناية عن سكون احوالهم و خمول ذكرهم. والنمارق: جمع نمرق، و نمرقة، و هى و سادة صغيرة. والواو: فى و ساكنها يشبه ان يكون للحال. والكلكل: الصدر وهو مستعار. والبعثرة: النبش والتفريق. و تبلو: تختبر.

٢١٦ - وَمِنْ دُعَاءٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

اللَّهُمَّ إِنَّكَ آنَسُ الْآنِسِينَ لِأَوْلِيَائِكَ، وَأَحْضَرُهُمْ بِالْكِفَايَةِ لِلْمُتَوَكِّلِينَ عَلَيْكَ، تُشَاهِدُهُمْ فِي سَرَائِرِهِمْ، وَتَطَّلِعُ عَلَيْهِمْ فِي ضَمَائِرِهِمْ، وَتَعْلَمُ مَبْلَغَ بَصَائِرِهِمْ، فَأَسْرَارُهُمْ لَكَ مَكْشُوفَةٌ، وَقُلُوبُهُمْ إِلَيْكَ مَلْهُوفَةٌ، إِنْ أَوْحَشَتْهُمُ الْغُرْبَةُ آنَسَهُمْ ذِكْرُكَ، وَإِنْ صُبَّتْ عَلَيْهِمُ الْمَصَائِبُ لَجَأُوا إِلَى الْاسْتِجَارَةِ بِكَ عِلْمًا بِأَنَّ أَزِمَّةَ الْأُمُورِ بِيَدِكَ، وَمَصَادِرَهَا عَنْ قَضَائِكَ.

اللَّهُمَّ إِنْ فَهِهْتُ عَنْ مَسْأَلَتِي، أَوْعَمِيتُ عَنْ طِلْبَتِي، فَدُلَّنِي عَلَى مَصَالِحِي، وَخُذْ بِقَلْبِي إِلَى مَرَاشِدِي، فَلَيْسَ ذَلِكَ بِنُكْرٍ مِنْ هِدَايَاتِكَ، وَلَابِبِدْعٍ مِنْ كِفَايَاتِكَ.

اللَّهُمَّ احْمِلْنِي عَلَى عَفْوِكَ، وَلَا تَحْمِلْنِي عَلَى عَدْلِكَ.

---

١ - سورة يونس / ٣٠.

اقول: انّما كان تعالى آنسَ الآنسين لأوليائه لانقطاعهم اليه عمّن سواه. ولهف القلوب[1] تحسّرها على الوصول اليه. والغربة الموحشة لهم: غربتهم فى الدنيا اذا كان مقصدهم الأصلى هو حضرة القدس. والفهاهة العيّ. والعمة: التحير.

٢١٧ ـ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

لِلّهِ بِلاَءُ فُلاَنٍ، فَقَدْ قَوَّمَ الْأَوَدَ، وَدَاوَى الْعَمَدَ، أَقَامَ السُّنَّةَ، وَخَلَّفَ الْفِتْنَةَ، ذَهَبَ نَقِّى الثَّوْبِ، قَلِيلَ الْعَيْبِ، أَصَابَ خَيْرَهَا، وَسَبَقَ شَرَّهَا، أَدَّى إِلَى اللهِ طَاعَتَهُ، وَاتَّقَاهُ بِحَقِّهِ، رَحَلَ وَتَرَكَهُمْ فِي طُرُقٍ مُتَشَعِّبَةٍ: لاَيَهْتَدِي فِيهَا الضَّالُّ، وَلاَيَسْتَيْقِنُ الْمُهْتَدِي.

أقول: يقال لله بلاءُ فلان، كما يقال لله درّه، و لله أبوه، و هى كلمة مدح، قيل: اراد به عمر[2] و قيل: بعض الصحابة ممن جاهد فى دين الله. والأود: الإعوجاج. والعمد: مرض يأخذ الابل فى اسنمتها، و هو مستعار لأمراض القلوب و مداواتها بالزواجر القوليّة والفعليّة. و نقاء ثوبه: كناية عن طهارته من المطاعن، والضمير فى خيرها و شرّها: للخلافة وان لم يجر ذكرها لكونها معهودة او لتقدّم ذكرها. والطرق المتشعبة: طرق الفتنة.

٢١٨ ـ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

في وصف بيعته بالخلافة، وقد تقدم مثله بألفاظ مختلفة

وَبَسَطْتُمْ يَدِي فَكَفَفْتُهَا، وَمَدَدْتُمُوهَا فَقَبَضْتُهَا، ثُمَّ تَدَاكَكْتُمْ عَلَيَّ تَدَاكَّ الْإِبِلِ الْهِيمِ عَلَى حِيَاضِهَا يَوْمَ وُرُودِهَا، حَتَّى انْقَطَعَتِ النَّعْلُ، وَسَقَطَ الرِّدَاءُ، وَوُطِىءَ الضَّعِيفُ، وَبَلَغَ

---

١ ـ في ش: قلوبهم.

٢ ـ عبارات الخطبة والفاظ الكلام تدل بصراحة ان المقصود لم يكن عمر... و تكذبها الخطبة الشقشقية التي تحامل الامام عليه السلام فيها على عمر...

مِنْ سُرُورِ النَّاسِ بِبَيْعَتِهِمْ إِيَّايَ أَنِ ابْتَهَجَ بِهَا الصَّغِيرُ، وَهَدَجَ إِلَيْهَا الْكَبِيرُ، وَتَحَامَلَ نَحْوَهَا الْعَلِيلُ، وَحَسَرَتْ إِلَيْهَا الْكِعَابُ!

اقول: التداكّ : الازدحام. والهيم: العطاش. والهدج: مشية الشيخ و هومشى فى ارتعاش، والتحامل: تكلّف المشى مع مشقة،و حسرت: كشفت وجهها. والكعاب: بالفتح التى نهد ثديها. والفصل احتجاج على من خالفه من البغاة و هو فى قوّة صغرى ضمير،تقدير كبراه و كلّ ما فعلتم به ذلك فليس لكم ان تختلفوا عليه من بعد وتنكثوا بيعته.

٢١٩ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

فَإِنَّ تَقْوَى اللهِ مِفْتَاحُ سَدَادٍ، وَذَخِيرَةُ مَعَادٍ، وَعِتْقٌ مِنْ كُلِّ مَلَكَةٍ، وَنَجَاةٌ مِنْ كُلِّ هَلَكَةٍ، بِهَا يَنْجَحُ الطَّالِبُ، وَيَنْجُو الْهَارِبُ، وَتُنَالُ الرَّغَائِبُ، فَاعْمَلُوا وَالْعَمَلُ يُرْفَعُ، وَالتَّوْبَةُ تَنْفَعُ، وَالدُّعَاءُ يُسْمَعُ، وَالْحَالُ هَادِئَةٌ، وَالْأَقْلَامُ جَارِيَةٌ، وَبَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ عُمْرًا نَاكِسًا، أَوْ مَرَضًا حَابِسًا، أَوْمَوْتاً خَالِسًا؛ فَإِنَّ الْمَوْتَ هَادِمُ لَذَّاتِكُمْ، وَمُكَدِّرُ شَهَوَاتِكُمْ، وَمُبَاعِدُ طِيَّاتِكُمْ، زَائِرٌ غَيْرُ مَحْبُوبٍ، وَقِرْنٌ غَيْرُ مَغْلُوبٍ، وَوَاتِرٌ غَيْرُ مَطْلُوبٍ، قَدْ أَعْلَقَتْكُمْ حَبَائِلُهُ، وَتَكَنَّفَتْكُمْ غَوَائِلُهُ، وَأَقْصَدَتْكُمْ مَعَابِلُهُ، وَعَظُمَتْ فِيكُمْ سَطْوَتُهُ، وَتَتَابَعَتْ عَلَيْكُمْ عَدْوَتُهُ، وَقَلَّتْ عَنْكُمْ نَبْوَتُهُ، فَيُوشِكُ أَنْ تَغْشَاكُمْ دَوَاجِي ظُلَلِهِ، وَاحْتِدَامُ عِلَلِهِ، وَحَنَادِسُ غَمَرَاتِهِ، وَغَوَاشِي سَكَرَاتِهِ، وَأَلِيمُ إِرْهَاقِهِ، وَدُجُوُّ إِطْبَاقِهِ، وَجُشُوبَةُ مَذَاقِهِ، فَكَأَنْ قَدْ أَتَاكُمْ بَغْتَةً، فَأَسْكَتَ نَجِيَّكُمْ، وَفَرَّقَ نَدِيَّكُمْ، وَعَفَّى آثَارَكُمْ، وَعَطَّلَ دِيَارَكُمْ، وَبَعَثَ وُرَّاثَكُمْ يَقْتَسِمُونَ تُرَاثَكُمْ، بَيْنَ حَمِيمٍ خَاصٍّ لَمْ يَنْفَعْ، وَقَرِيبٍ مَحْزُونٍ لَمْ يَمْنَعْ، وَآخَرَ شَامِتٍ لَمْ يَجْزَعْ، فَعَلَيْكُمْ بِالْجِدِّ وَالِاجْتِهَادِ، وَالتَّأَهُّبِ وَالِاسْتِعْدَادِ، وَالتَّزَوُّدِ فِي مَنْزِلِ الزَّادِ، وَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا كَمَا غَرَّتْ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ، وَالْقُرُونِ الْخَالِيَةِ، الَّذِينَ احْتَلَبُوا دِرَّتَهَا، وَأَصَابُوا غِرَّتَهَا، وَأَفْنَوْا عِدَّتَهَا، وَأَخْلَقُوا جِدَّتَهَا، أَصْبَحَتْ مَسَاكِنُهُمْ أَجْدَاثًا، وَأَمْوَالُهُمْ مِيرَاثًا، لَا يَعْرِفُونَ مَنْ أَتَاهُمْ، وَلَا يَحْفِلُونَ مَنْ بَكَاهُمْ، وَلَا يُجِيبُونَ مَنْ دَعَاهُمْ، فَاحْذَرُوا

١ ـ جاء الكلام هذا بصورة مفصلة فى كتاب (المعيار و الموازنة) ص٥٠.

الدُّنْيَا؛ فَإنَّهَا غَدَّارَةٌ غَرَّارَةٌ خَدُوعٌ، مُعْطِيَةٌ مَنُوعٌ، مُلْبِسَةٌ نَزُوعٌ، لَايَدُومُ رَخَاؤُهَا، وَلَايَنْقَضِي عَنَاؤُهَا، وَلَايَرْكُدُ بَلَاؤُهَا.

اقول: السداد: استقامة العبد على طريق الله الى جنته، والتقوى مفتاح ذلك، و في لزومها عتق للعبد من ملكات السوء و هلكات الآخرة والمطالب في الدنيا و الآخرة. والهارب اى: من عذاب الله. والاقلام: اقلام الكرام الكاتبين. وعمرا ناكسًا، اى: راذا ان طال بصاحبه الى الضعف والعجز عن العمل كقوله تعالى: (وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ)[1] و قوله: (وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ) الآية[2]. والخالس: المختطف. والطيّات: جمع طيّة بالكسر، و هى منزل السفر. والوتر: الحقد والغضب. والتكنف: الاحاطة. والغوائل: المصائب. والمعابل: جمع معبلة بكسر الميم، و هى نصل طويل عريض. و عدوته: ظلمه. و نبا السيف اذا لم يؤثر في الضربة. و دواجي ظلله: مظلمات سحابه. والاحتدام: شدّة الحدّة. وارهاقه: اعجاله. والجشوبة: بالجيم غلظ الطعام. والنجى: القوم يتناجون. والندى: القوم يجتمعون في النادى و هو مجتمعهم. و منزل الزاد الدنيا اذهى منزل زاد الآخرة. و غرتها: مستعار لأيام السلامة فيها. و يحفلون: يبالون. وركد: سكن.

منها فى صفة الزهاد.

كَانُوا قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا وَلَيْسُوا مِنْ أَهْلِهَا، فَكَانُوا فِيهَا كَمَنْ لَيْسَ مِنْهَا: عَمِلُوا فِيهَا بِمَا يُبْصِرُونَ، وَبَادَرُوا فِيهَا مَايَحْذَرُونَ، تَقَلَّبُ أَبْدَانُهُمْ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ أَهْلِ الآخِرَةِ، يَرَوْنَ أَهْلَ الدُّنْيَا يُعَظِّمُونَ مَوْتَ أَجْسَادِهِمْ، وَهُمْ أَشَدُّ إِعْظَامًا لِمَوْتِ قُلُوبِ أَحْيَائِهِمْ.

اقول: الاشارة الى بعض اصحابه الذين درجوا قبله و كونهم من الدنيا بأبدانهم و مشاركتهم الضّرورية لأهلها، وليسوا من اهلها بقلوبهم،لاستغراقها فى محبّة الله و مطالعة

---

١ ـ سورة يس / ٦٨.

٢ ـ سورة النحل / ٧٠. سورة الحج/ ٥.

انوار كبريائه، و عملهم بما يبصرون اى: من انوار العلم القائدة لهم فى سبيل الله، و مبادرتهم في الدنيا لما يحذرون مسارعتهم الى الأعمال الصالحة دفعًا لما يحذرون من عذاب الآخرة. و قوله: تقلب، الى قوله: الآخرة اى: تنقلب. والمراد انّ دأبهم معاشرة اهل الآخرة العاملين لهادون غيرهم. و يحتمل ان يريد انّهم مع سائر الناس بـأبدانهم كماسبق. والناس اهل الآخرة بأعتبارمصيرهم اليها. و بين ظهرانيهم: بفتح النون اى بينهم. و قوله: يرون، الى آخره: فرّق بينهم، و بين اهل الدنيا اذ كانوا لايرون وراء كمال اجسادهم كمالا. فهم يُعظمون موتها، و امّا الزهاد فيها فهم اشدّ اعظاما لموت قلوب احيائهم اذ لايرون كمالا فوق كمال القلوب.

۲۲۰ ـ وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

خطبها بذى قار، و هومتوجه إلى البصرة، ذكرها الواقدى فى كتاب الجمل[1]

فَصَدَعَ بِمَا أُمِرَ بِهِ، وَبَلَّغَ رِسَالَاتِ رَبِّهِ، فَلَمَّ اللهُ بِهِ الصَّدْعَ، وَرَتَقَ بِهِ الْفَتْقَ، وَأَلَّفَ بَيْنَ ذَوِي الْأَرْحَامِ، بَعْدَ الْعَدَاوَةِ الْوَاغِرَةِ فِي الصُّدُورِ، وَالضَّغَائِنِ الْقَادِحَةِ فِي الْقُلُوبِ.

أقول: الفصل من ممادح الرسول صلى الله عليه و آله. وصدع: اى شقّ بأمر الله عصا الكفر. ولمّ الله به ما انصدع به من عصا المسلمين، ورتق به: ما كان مفتتقاً من امورهم. والواغرة: ذات الوغرة و هى شدة حرارة الصدور و اضغانها.

۲۲۱ ـ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

كلم به عبدالله بن زمعة، وهومن شيعته، وذلك أنه قدم عليه في خلافته يطلب منه مالا، فقال عليه السلام:

إِنَّ هٰذَا الْمَالَ لَيْسَ لِي وَلَا لَكَ، وَإِنَّمَا هُوَ فَيْءٌ لِلْمُسْلِمِينَ، وَجَلْبُ أَسْيَافِهِمْ، فَإِنْ

---

١ ـ الذريعة ١٤١/٥، تأسيس الشيعة / ٢٤٣.

شَرِكْتَهُمْ فِي حَرْبِهِمْ كَانَ لَكَ مِثْلُ حَظِّهِمْ، وَإِلاَّ فَجَنَاةُ أَيْدِيهِمْ لاَ تَكُونُ لِغَيْرِ أَفْوَاهِهِمْ.

أقول: زمعة بفتح الميم. والجلب: المجلوب و روى بالخاء. و جناة الثمر: ما يجنى منه.

٢٢٢ - وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

أَلاَ إِنَّ اللِّسَانَ بَضْعَةٌ مِنَ الْإِنْسَانِ، فَلاَ يُسْعِدُهُ الْقَوْلُ إِذَا امْتَنَعَ، وَلاَ يُمْهِلُهُ النُّطْقُ إِذَا اتَّسَعَ، وَإِنَّا لَأُمَرَاءُ الْكَلاَمِ، وَفِينَا تَنَشَّبَتْ عُرُوقُهُ، وَعَلَيْنَا تَهَدَّلَتْ غُصُونُهُ.

وَاعْلَمُوا - رَحِمَكُمُ اللهُ - أَنَّكُمْ فِي زَمَانٍ الْقَائِلُ فِيهِ بِالْحَقِّ قَلِيلٌ، وَاللِّسَانُ عَنِ الصِّدْقِ كَلِيلٌ، وَاللاَّزِمُ لِلْحَقِّ ذَلِيلٌ، أَهْلُهُ مُعْتَكِفُونَ عَلَى الْعِصْيَانِ، مُصْطَلِحُونَ عَلَى الْإِدْهَانِ، فَتَاهُمْ عَارِمٌ، وَشَائِبُهُمْ آثِمٌ، وَعَالِمُهُمْ مُنَافِقٌ، وَقَارِئُهُمْ مُمَاذِقٌ، لاَيُعَظِّمُ صَغِيرُهُمْ كَبِيرَهُمْ، وَلاَيَعُولُ غَنِيُّهُمْ فَقِيرَهُمْ.

اقول: روى في سبب هذا الكلام، انّه عليه السلام امر ابن اخته جعدة بن هبيرة المخزومي يومًا ان يخطب، فصعد المنبر فحصر، فقام -عليه السلام- فصعد المنبر فخطب خطبة طويلة منها هذا الفصل. والبضعة: القطعة. والضمير في يسعده ويمهله: للسان. وفي امتنع واتّسع: للانسان، والمعنى: انّ اللسان لما كان آلة للانسان فاذا امتنع الانسان من القول النفساني، امتنع اللسان عن النطق، واذا اتّسع ذهنه بالمعاني، واستحصرها امكنه القول اللساني ولم يمهل النطق من الحركة به. وتهدّلت: تدلّت. والادهان: المصانعة. والعارم: الشرس سيّئ الخلق. والمماذق: الّذى يمزج الودّ ولايخلصه، وهو نوع من النفاق.

٢٢٣ - وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

روى ابومحمداليماني عن أحمدبن قتيبة عن عبدالله بن يزيدعن مالك بن دحية قال: كنا عند أميرالمؤمنين عليه السلام و قد ذُكِرَ عنده اختلاف الناس فقال:

إِنَّمَا فَرَّقَ بَيْنَهُمْ مَبَادِي طِينِهِمْ، وَذٰلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا فِلْقَةً مِنْ سَبَخِ أَرْضٍ وَعَذْبِهَا، وَحَزْنِ تُرْبَةٍ وَسَهْلِهَا، فَهُمْ عَلَى حَسَبِ قُرْبِ أَرْضِهِمْ يَتَقَارَبُونَ، وَعَلَى قَدْرِ اخْتِلَافِهَا يَتَفَاوَتُونَ، فَتَامُّ الرُّوَاءِ، نَاقِصُ الْعَقْلِ، وَمَادُّ الْقَامَةِ، قَصِيرُ الْهِمَّةِ، وَزَاكِي الْعَمَلِ، قَبِيحُ الْمَنْظَرِ، وَقَرِيبُ الْقَعْرِ، بَعِيدُ السَّبْرِ، وَمَعْرُوفُ الضَّرِيبَةِ، مُنْكَرُ الْجَلِيبَةِ، وَتَائِهُ الْقَلْبِ، مُتَفَرِّقُ اللُّبِّ، وَطَلِيقُ اللِّسَانِ، حَدِيدُ الْجَنَانِ.

اقول: الفصل اشارة الى السبب المادّي لاختلاف الناس في الصور والاخلاق. والطين: اشارة الى ما ذكره من التربة الممتزجة من السبخ، والعذب، والحزن، والسهل: و هي الجزء الارضي في الأبدان البشريّة، و انّما خصصه بالذكر دون سائر العناصر، لانّه الجزء الأرضي فيها كما علمت في الخطبة الاولى، و ظاهر انّ لتلك التربة بحسب ما يغلب عليها من الكيفيّات المذكورة أثرًا عظيمًا في اختلاف الصور والاخلاق، ففي الاغلب فيمن يتولّد في البلاد السبخة ان يكون مزاجه حاراً يابسًا. و بحسب ذلك تكون نحافة بدنه و سرعة نزقه و ما يتبع ذلك من ذميم الاخلاق او حميدها، و كذلك من عذبت تربته كان الأغلب عليه لطف الصورة و حسن الأخلاق. والفلقة: القطعة. و قوله: فتامّ الرواء الى آخره: كالتفصيل لهم في تفاوتهم، و ذكر اقساما خمسة. والرواء: المنظر الحسن. والسبر: اختبار الباطن. و قريب القعر: كناية عن القصر. و قيل: لبعض الحكماء حين سئل ما بال القصير من الناس ادهى و احذق؟ قال: لقرب قلبه من دماغه. و كأنه اراد انّ القلب لما كان مبدأ الحار الغريزى، و كانت الاعراض النفسانية من الفطنة والذكاء والفهم والاقدام والوقاحة وحسن الظن وجودة الرجاء والنشاط و رجولية الاخلاق وقلّة الكسل و قلة الانفعال عن الاشياء كل ذلك يدلّ على الحرارة، و توفّرها و اضداد ذلك يدلّ على البرودة لاجرم كان قرب القلب من الدماغ في القصر، لكونه سببًا لتوفّر الحرارة في الدماغ،وجودة استعداد القوى النفسانية فيه سببا لتلك الاعراض المذكورة، وكان بعده منه في الطويل سببًا لقلّة الحرارة فيه و ضعف استعداد القوى النفسانية لتلك الأعراض. والضريبة الخلق. والجليبة ما يجلبه الانسان و يتكلّفه. و بالله التوفيق.

٢٢٤ - وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

وهو يلي غسل رسول الله صلى الله عليه وآله وتجهيزه

بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي لَقَدِ انْقَطَعَ بِمَوْتِكَ مَالَمْ يَنْقَطِعْ بِمَوْتِ غَيْرِكَ مِنَ النُّبُوَّةِ وَالْأَنْبَاءِ، وَأَخْبَارِ السَّمَاءِ، خَصَّصْتَ حَتَّى صِرْتَ مُسَلِّيًا عَمَّنْ سِوَاكَ، وَعَمَّمْتَ حَتَّى صَارَ النَّاسُ فِيكَ سَوَاءً.

وَلَوْلَا أَنَّكَ أَمَرْتَ بِالصَّبْرِ، وَنَهَيْتَ عَنِ الْجَزَعِ؛ لَأَنْفَدْنَا عَلَيْكَ مَاءَ الشُّؤُونِ، وَلَكَانَ الدَّاءُ مُمَاطِلاً، وَالْكَمَدُ مُحَالِفاً، وَقَلَّا لَكَ، وَلٰكِنَّهُ مَالَا يُمْلَكُ رَدُّهُ، وَلَايُسْتَطَاعُ دَفْعُهُ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، اُذْكُرْنَا عِنْدَ رَبِّكَ، وَاجْعَلْنَا مِنْ بَالِكَ.

أقول: بأبي أنت وامّي: متعلق بمحذوف تقديره افديك. و من النبوّة والانباء: بيان الغير. وروى عوض الانباء الأنبياء اى: الخبر. و من على هذا بيان: لما انقطع. و خصصت اى: في مصيبتك من حيث انها عظيمة لايصاب الناس بمثلها، فلذلك كان مسلية لهم عن غيرها. و ماء الشئون: الدموع، والشؤون متصل قطع الرّاس مع المشعوب بعضها مع بعض،والعرب تزعم انّ الدموع تنزل منها. وقيل: الشأنان عرقان ينحدران من الرأس الى الحاجبين ثم الى العينين. و مما طلة الداء: ملازمة الحزن كأنه لملازمته مع من شأنه المفارقة مماطل فيها، والمحالف: الملازم. وضمير التثنية في قلاّ لانفاذ ماء الشئون و لمما طلة الحزن و في و لكنه لموته، والبال: القلب اى: اجعلنا ممن تباليه و تعتني به.

٢٢٥ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

فَاعْلَمُوا وَأَنْتُمْ فِي نَفَسِ الْبَقَاءِ، وَالصُّحُفُ مَنْشُورَةٌ، وَالتَّوْبَةُ مَبْسُوطَةٌ، وَالْمُدْبِرُ يُدْعَى، وَالْمُسِيءُ يُرْجَى قَبْلَ أَنْ يَخْمُدَ الْعَمَلُ، وَيَنْقَطِعَ الْمَهَلُ، وَيَنْقَضِيَ الْأَجَلُ، وَيُسَدَّ بَابُ التَّوْبَةِ، وَتَصْعَدَ الْمَلَائِكَةُ.

فَأَخَذَ امْرُؤٌ مِنْ نَفْسِهِ لِنَفْسِهِ، وَأَخَذَ مِنْ حَيٍّ لِمَيِّتٍ، وَمِنْ فَانٍ لِبَاقٍ، وَمِنْ ذَاهِبٍ

لَدائِمٍ، اَمْرُؤٌ خَافَ اللهَ، وَهُوَ مُعَمَّرٌ إِلَى أَجَلِهِ، وَمَنْظُورٌ إِلَى عَمَلِهِ، اَمْرُؤٌ أَلْجَمَ نَفْسَهُ بِلِجَامِهَا، وَزَمَّهَا بِزِمَامِهَا، فَأَمْسَكَهَا بِلِجَامِهَا عَنْ مَعَاصِي اللهِ، وَقَادَهَا بِزِمَامِهَا إِلَى طَاعَةِ اللهِ تَعَالَى.

اقول: في نَفْسِ البقاء اي: في سعة منه. والصحف صحف الأعمال. والمدبر اي: عن طاعة الله. واستعار لفظ الجمود: لوقوف العمل كالماء يجمد بعد جريانه. و قوله: فأخذ امرؤ في صورة الخبر اي: فليأخذ امرؤ من نفسه الامّارة بكسرها، و منعها عن مشتهياتها، و ميولها الطبيعية لنفسه العاقلة. و يحتمل أن يريد بالنفس الاولى: البدن والأخذ منه بالعبادة، كالصلاة، والصيام و ذلك كمال لنفسه العاقلة، و ذخرلها في الآخرة. قوله: وأخذ من حيّ لميت اي: فكذلك فليأخذ المدبر من نفسه باعتبار ما هو حيّ في الدنيا لنفسه باعتبار ما هو ميّت لايمكنه ذلك، و كذلك فليأخذ الحيّ من فان و هو دنياه لباق و دائم و هوأُخراه. و قوله: امرؤ الى آخره: كالجواب لسائل سأل عن ذلك المرء، الأخذ من نفسه لنفسه فكأنّه قال: هو امرؤ خاف الله و امرؤ كذا، و منظور الى عمله اي: ملتفت اليه من الله كقوله تعالى: (فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ)[1] و استعار لفظ اللجام والذمام: للتقوى.

٢٢٦ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

اَلْحَمْدُ للهِ الَّذِي لَا تُدْرِكُهُ الشَّوَاهِدُ، وَلَا تَحْوِيهِ الْمَشَاهِدُ، وَلَا تَرَاهُ النَّوَاظِرُ، وَلَا تَحْجُبُهُ السَّوَاتِرُ، الدَّالِّ عَلَى قِدَمِهِ بِحُدُوثِ خَلْقِهِ، وَبِحُدُوثِ خَلْقِهِ عَلَى وُجُودِهِ، وَبِاشْتِبَاهِهِمْ عَلَى أَنْ لَا شَبَهَ لَهُ؛ الَّذِي صَدَقَ فِي مِيعَادِهِ، وَارْتَفَعَ عَنْ ظُلْمِ عِبَادِهِ، وَقَامَ بِالْقِسْطِ فِي خَلْقِهِ، وَعَدَلَ عَلَيْهِمْ فِي حُكْمِهِ، مُسْتَشْهِدٌ بِحُدُوثِ الْأَشْيَاءِ عَلَى أَزَلِيَّتِهِ، وَبِمَا وَسَمَهَا بِهِ مِنَ الْعَجْزِ عَلَى قُدْرَتِهِ، وَبِمَا اضْطَرَّهَا إِلَيْهِ مِنَ الْفَنَاءِ عَلَى دَوَامِهِ. وَاحِدٌ لَا بِعَدَدٍ، دَائِمٌ لَا بِأَمَدٍ، وَقَائِمٌ لَا بِعَمَدٍ. تَتَلَقَّاهُ الْأَذْهَانُ لَا بِمُشَاعَرَةٍ، وَتَشْهَدُ لَهُ الْمَرَائِي لَا بِمُحَاضَرَةٍ. لَمْ تُحِطْ بِهِ الْأَوْهَامُ بَلْ تَجَلَّى لَهَا وَبِهَا امْتَنَعَ مِنْهَا، وَإِلَيْهَا حَاكَمَهَا لَيْسَ بِذِي كِبَرٍ امْتَدَّتْ بِهِ النِّهَايَاتُ فَكَبَّرَتْهُ تَجْسِيمًا، وَلَا بِذِي عِظَمٍ تَنَاهَتْ بِهِ الْغَايَاتُ فَعَظَّمَتْهُ تَجْسِيدًا، بَلْ كَبُرَ شَأْناً، وَعَظُمَ سُلْطَاناً.

---

١ ـ سورة الاعراف/ ١٢٩.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الصَّفِيُّ وَأَمِينُهُ الرَّضِيُّ، صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، أَرْسَلَهُ بِوُجُوبِ الْحُجَجِ، وَظُهُورِ الْفَلَجِ، وَإِيضَاحِ الْمَنْهَجِ، فَبَلَّغَ الرِّسَالَةَ صَادِعًا بِهَا، وَحَمَلَ عَلَى الْمَحَجَّةِ دَالًّا عَلَيْهَا، وَأَقَامَ أَعْلَامَ الاهْتِدَاءِ، وَمَنَارَ الضِّيَاءِ، وَجَعَلَ أَمْرَاسَ الْإِسْلَامِ مَتِينَةً، وَعُرَى الْإِيمَانِ وَثِيقَةً.

اقول : اراد بالشواهد: الخواص لكونها تشهد ما تدركه و تحضر عنده. والمشاهد: المحاضر والمجالس. و قوله: الدالّ على قدمه الى قوله: لاشبيه له: قد سبقت الاشارة الى الاعتبارات المذكورة في قوله (الحمدلله الدالّ على وجوده بخلقه) و كذلك باقي الاعتبارات كالاستدلال بعجز الخلق على قدرته، و بفنائهم على دوامه و كونه قائما لابعمد اى ثابت الوجود، من غير سبب يستند اليه، و تلقي الاذهان له لا بمشاعرة، اى ليس له من طريق الحواسّ اذ ليس بمحسوس بل بالعقول الصرفة و شهادة المرائى له لابمحاضرة شهادة النواظر بوجوده فى آثار قدرته من غير حضور معه. و يحتمل ان يريد بالمرائى: نفس الا ثار التى ترى فيها فانّها شاهدة بوجود شهادة المعلول بوجود علته، و تحليه للاوهام بها ظهوره لها فى صورة وجودها، و وجود مدركاتها من جهة ما هو صانعها و موجدها، اذ كانت الاوهام عند اعتبارها لاحوال نفسها معترفة بحاجتها الى موجد و مقيم،و مساعدة للعقول فى حكمها بذلك،و ان كان ادراكها على وجه جزئى فكانت مشاهدة له بحسب ما طبعت عليه و بقدر امكانها، و هو متحل لها كذلك. والباء في بها: للسّببيّة اذ وجودها هوالسبب المادّى فى تحلّيه لها. و يحتمل ان يكون بمعنى فى اي: فى وجودها و معنى بل هاهنا بعد سلب الاحاطة به،انّ الاوهام لم تكن ادراكها له على وجه الاحاطة به،بل على الوجه المذكور والممكن من تحلّيه لها. و قوله: و بها امتنع منها، اي بخلقها قاصرة عن ادراك المعاني الكلّية المجرّدة كانت مبدأ لامتناعه من ادراكها له، و محاكمته لها اليها جعلها حكما بينها و بينه عند رجوعها من توجّهها فى طلبه منجذبة خلف العقول، حسيرة معترفة بانّه لايمكن ادراكه. و قيل: اراد بالأوهام: العقول. و قوله: بها امتنع، اى: بالعقول و نظرها علم انّها لا تدركه، و اليها حاكمها، اى: جعل العقول المدّعية انّها تحيط به و تدركه كالخصوم ثم حاكمها الى العقول السليمة

فحكمت له العقول السليمة على المدّعية لما ليست أهلاًله. او انّه جعل تلك المدّعية هي الحاكمة على نفسها بعد اجتهادها في طلبه، و اعترافها بالعجز عن ادراكه، و وجوب الحجج، اى: الحجج الواجبة على الخلق. والفلج: الفوز. والنار: الاعلام. والأمراس جمع مرس بفتح الراء وهى الحبل. وبالله التوفيق.

منها: في صفة عجيب خلق أصناف من الحيوانات:

وَلَوْفَكَّرُوا فِي عَظِيمِ الْقُدْرَةِ، وَجَسِيمِ النِّعْمَةِ؛ لَرَجَعُوا إِلَى الطَّرِيقِ، وَخَافُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ، وَلكِنَّ الْقُلُوبَ عَلِيلَةٌ، وَالْأَبْصَارَ مَدْخُولَةٌ! أَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى صَغِيرِمَا خَلَقَ كَيْفَ أَحْكَمَ خَلْقَهُ،وَأَتْقَنَ تَرْكِيبَهُ،وَفَلَقَ لَهُ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ، وَسَوَّى لَهُ الْعَظْمَ وَالْبَشَرَ؟

أُنْظُرُوا إِلَى النَّمْلَةِ فِي صِغَرِ جُثَّتِهَا، وَلَطَافَةِ هَيْئَتِهَا، لَا تَكَادُتُنَالُ بِلَحْظِ الْبَصَرِ، وَلَابِمُسْتَدْرَكِ الْفِكْرِ، كَيْفَ دَبَّتْ عَلَى أَرْضِهَا، وَصُبَّتْ عَلَى رِزْقِهَا! تَنْقُلُ الْحَبَّةَ إِلَى جُحْرِهَا، وَتُعِدُّهَا فِي مُسْتَقَرِّهَا؛ تَجْمَعُ فِي حَرِّهَا لِبَرْدِهَا، وَفِي وُرُدِهَا لِصَدَرِهَا، مَكْفُولَةٌ بِرِزْقِهَا، مَرْزُوقَةٌ بِوِفْقِهَا؛ لَايُغْفِلُهَا الْمَنَّانُ، وَلَايَحْرِمُهَا الدَّيَّانُ، وَلَوْفِي الصَّفَا الْيَابِسِ، وَالْحَجَرِ الْجَامِسِ، وَلَوْ فَكَّرْتَ فِي مَجَارِي أَكْلِهَا، فِي عُلْوِهَا وَسُفْلِهَا، وَمَا فِي الْجَوْفِ مِنْ شَرَاسِيفِ بَطْنِهَا، وَمَا فِي الرَّأْسِ مِنْ عَيْنِهَا وَأُذُنِهَا؛ لَقَضَيْتَ مِنْ خَلْقِهَا عَجَباً، وَلَقِيتَ مِنْ وَصْفِهَا تَعَباً، فَتَعَالَى الَّذِي أَقَامَهَا عَلَى قَوَائِمِهَا؛ وَبَنَاهَا عَلَى دَعَائِمِهَا! لَمْ يَشْرَكْهُ فِي فِطْرَتِهَا فَاطِرٌ، وَلَمْ يُعِنْهُ فِي خَلْقِهَا قَادِرٌ. وَلَوْضَرَبْتَ فِي مَذَاهِبِ فِكْرِكَ لِتَبْلُغَ غَايَاتِهِ مَادَلَّتْكَ الدَّلَالَةُإِلَّاعَلَىٰ أَنَّ فَاطِرَالنَّمْلَةِ هُوَفَاطِرُ النَّخْلَةِ،لِدَقِيقِ تَفْصِيلِ كُلِّ شَيْءٍ،وَغَامِضِ اخْتِلَافِ كُلِّ حَيٍّ!! وَمَا الْجَلِيلُ وَاللَّطِيفُ، وَالثَّقِيلُ وَالْخَفِيفُ، وَالْقَوِيُّ وَالضَّعِيفُ؛ فِي خَلْقِهِ إِلَّا سَوَاءٌ!! وَكَذٰلِكَ السَّمَاءُ وَالْهَوَاءُ، وَالرِّيَاحُ وَالْمَاءُ فَانْظُرْإِلَى الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَالنَّبَاتِ وَالشَّجَرِ،وَالْمَاءِ وَالْحَجَرِ، وَاخْتِلَافِ هٰذَا اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَتَفَجُّرِ هٰذِهِ الْبِحَارِ، وَكَثْرَةِ هٰذِهِ الْجِبَالِ، وَطُولِ هٰذِهِ الْقِلَالِ، وَتَفَرُّقِ هٰذِهِ اللُّغَاتِ، وَالْأَلْسُنِ الْمُخْتَلِفَاتِ، فَالْوَيْلُ لِمَنْ أَنْكَرَ الْمُقَدِّرَ، وَجَحَدَ الْمُدَبِّرَ. زَعَمُوا أَنَّهُمْ كَالنَّبَاتِ مَالَهُمْ زَارِعٌ؛ وَلَالِاخْتِلَافِ صُوَرِهِمْ صَانِعٌ! وَلَمْ يَلْجَأُوا إِلَى حُجَّةٍ فِيمَا ادَّعَوْا؛ وَلَا تَحْقِيقٍ لِمَا أُوعُوا، وَهَلْ يَكُونُ بِنَاءٌ مِنْ غَيْرِ بَانٍ؛ أَوْ جِنَايَةٌ مِنْ غَيْرِ جَانٍ؟

وَإنْ شِئْتَ قُلْتَ فِي الْجَرَادَةِ إذْ خَلَقَ لَهَا عَيْنَيْنِ حَمْرَاوَيْنِ، وَأَسْرَجَ لَهَا حَدَقَتَيْنِ قَمْرَاوَيْنِ، وَجَعَلَ لَهَا السَّمْعَ الْخَفِيَّ، وَفَتَحَ لَهَا الْفَمَ السَّوِيَّ، وَجَعَلَ لَهَا الْحِسَّ الْقَوِيَّ، وَنَابَيْنِ بِهِمَا تَقْرِضُ وَمِنْجَلَيْنِ بِهِمَا تَقْبِضُ، يَرْهَبُهَا الزُّرَّاعُ فِي زَرْعِهِمْ، وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ذَبَّهَا، وَلَوْ أَجْلَبُوا بِجَمْعِهِمْ، حَتَّى تَرِدَ الْحَرْثَ فِي نَزَوَاتِهَا، وَتَقْضِيَ مِنْهُ شَهَوَاتِهَا! وَخَلْقُهَا كُلُّهُ لَا يَكُونُ إصْبَعاً مُسْتَدِقَّةً.

فَتَبَارَكَ اللهُ الَّذِي يَسْجُدُ لَهُ ﴿مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً﴾ وَيُعَفِّرُ لَهُ خَدّاً وَوَجْهاً، وَيُلْقِي إلَيْهِ بِالطَّاعَةِ سِلْماً وَضَعْفاً، وَيُعْطِي لَهُ الْقِيَادَ رَهْبَةً وَخَوْفاً. فَالطَّيْرُ مُسَخَّرَةٌ لِأَمْرِهِ، أَحْصَى عَدَدَ الرِّيشِ مِنْهَا وَالنَّفَسِ، وَأَرْسَى قَوَائِمَهَا عَلَى النَّدَى وَالْيَبَسِ، وَقَدَّرَ أَقْوَاتَهَا، وَأَحْصَى أَجْنَاسَهَا: فَهٰذَا غُرَابٌ، وَهٰذَا عُقَابٌ، وَهٰذَا حَمَامٌ، وَهٰذَا نَعَامٌ، دَعَا كُلَّ طَائِرٍ بِاسْمِهِ، وَكَفَلَ لَهُ بِرِزْقِهِ، وَأَنْشَأَ السَّحَابَ الثِّقَالَ فَأَهْطَلَ دِيَمَهَا، وَعَدَّدَ قِسَمَهَا فَبَلَّ الْأَرْضَ بَعْدَ جُفُوفِهَا، وَأَخْرَجَ نَبْتَهَا بَعْدَ جُدُوبِهَا.

اقول: علة القلوب مرض الجهل. و مدخولة: معيوبة. و عيبها كونها لايدرك العبر ولاينتفع بها. والبشر: الجلد. و نقل الجاحظ من عجائب النملة انّها: يدّخر في الصيف للشتاء فيقدّم في حال المهلة ولا تضيع اوقات الفرصة، و يبلغ من صحة تميّزها والنظر في عاقبة امرها أن تخاف على الحبوب التي ادّخرتها للشتاء ان تعفّن و تُسوّس في بطن الارض فتخرجها الى ظهرها لتنشرها، و تعيد اليها جفافها و يضربها النسيم فينفي عنها العفن والفساد، و ربّما تختار في الاكثر ان يكون ذلك العمل ليلا ليكون اخفى و في القمر لانّها فيه أبصر، فان كان مكانها نديّا و خافت ان تنبت الحبة نقرت موضع القطمير من وسطها لعلمها انّها من ذلك الموضع تنبت و ربّما فلقت الحبة بنصفين.

فأمّا ان كان الحب من الكزبرة فأنّها تفلقه ارباعا لان انصاف حب الكزبرة ينبت من بين جمع الحب. قال: و نقل اليّ من اثق به انّه احتفر بيت النمل، فوجد الحبوب التي جمعتها كلّ نوع وحدة. قال: و وجدنا في بعضها انّ بعض الحبوب فوق بعض و بينها فواصل حائلة من التبن و نحوه.[1] والجامس: الجامد، والشراسيف: اطراف الاضلاع المحتوية على البطن، ودعائمها ما يقوم في بدنها مقام العظام والاعصاب ونحوها. و قوله:

١ ـ الحيوان ١٨/٤، حياة الحيوان ٣٦٦/٢.

لدقيق تفصيل كل شي الى قوله حتى: اشارة الى اوسط الحجّة على ما ادّعاه من اشراك النملة على صغرها، والنخلة في طولها وعظمها في الاستناد الى صانع واحد حكيم،و تقرير الحجّة انّ في النملة والنخلة تفصيلا لطيفا دقيقا، واختلاف شكل و هيئة و مقدار ووجوها من الحكمة و كل ما اشتمل على ذلك فله صانع مدبّر حكيم خصّصه بها دون غيره، فينتج انّهما يشتركان في الحاجة الى صانع مدبّر حكيم خص كُلاًّ منهما بما يشتمل عليه، و هذه الحجة هي المسمّاة في عرف المتكلّمين بالاستدلال بامكان الصفات. و قوله: و ما الجليل الى قوله سواء: اشارة الى انّ كل المخلوقات و ان اختلفت صفاتها و مقاديرها لا تفاوت فيها بالنظر الى قدرته، و كمالها بين ان يفيض عنها صورة الحقير منها كالنملة، او العظيم منها كالنخلة بل التفاوت من جانب القابل.

و قوله: و كذلك السماء الى آخره اى: انّ الجميع متشابه في الحاجة الى الصانع الحكيم، و هو المخصص لِكُلٍّ بكماله اللائق به اذ ليس ذلك للجسميّة ولا للوازمها لتشابهها في الجميع، ولا لعوارضها لانّ الكلام في الاختصاص بذلك العارض كالكلام في الاختصاص بالصّفة و يلزم التسلسل، فبقى ان يكون لامر خارج عنها و هو المدبّر الحكيم. و اشار بالجاحدين: الّذين زعموا الزعم المذكور الى جماعة من العرب انكروا الخالق والبعث، و قالوا: بالدهر: المفنى كما حكى الله تعالى عنهم: (مٰا هِيَ إلّا حَيٰاتُنَا الدُّنْيٰا نَمُوتُ وَنَحْيىٰ وَمٰا يُهْلِكُنٰا إلّا الدَّهْرُ)[1] وقياس انفسهم على النبات من باب التمثيل والاصل فيه النبات. و الفرع انفسهم، والحكم هو ما توهّموه من كونهم بلا صانع، والجامع هو ما يشتركون فيه مع النبات من الموت والحياة او نحوه و جوابهم منع الحكم المذكور، والتنبيه على ما هو معلوم بالضرورة من انّ كل صنعة فلها صانع، و كل جناية فلها جان.

قوله: وان شئت قلت في الجرادة، الى قوله: مستدقّة: تنبيه آخر على وجود الصانع الحكيم في وجود الجرادة،و حدقه قمراء اى: مضيئة. والسويّ: المعتدل. واراد بحسّها قوّتها الوهميّة. واجلبوا: اجمعوا. والنزوات: الوثبات. و تعفير الخد: تمريغه في العفر و هو التراب. وارسى قوائمها: اثبتها وارساها في الندى كطير الماء. واراد بالجنس: اللغويّ وهو يصدق على النوع والصنف في المصطلح العلميّ. واستعار وصف الدعاء هنا: لحكم

١ ـ سورة الجاثية / ٢٤.

القدرة الالهية على كلّ منها بالدخول في الوجود، و هو كقوله تعالى: (فَقَالَ لَهَا وَ لِلأَرْضِ أئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ)[1]. والفصل من افصح العبارات.

٢٢٧ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

في التوحيد، وتجمع هذه الخطبة من أصول العلم مالا تجمعه خطبة

مَا وَحَّدَهُ مَنْ كَيَّفَهُ؛ وَلَا حَقِيقَتَهُ أَصَابَ مَنْ مَثَّلَهُ، وَلَا إِيَّاهُ عَنَى مَنْ شَبَّهَهُ، وَلَا صَمَدَهُ مَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ وَ تَوَهَّمَهُ. كُلُّ مَعْرُوفٍ بِنَفْسِهِ مَصْنُوعٌ؛ وَ كُلُّ قَائِمٍ فِي سِوَاهُ مَعْلُولٌ؛ فَاعِلٌ لَابِاضْطِرَابِ آلَةٍ، مُقَدِّرٌ لَا بِجَوْلِ فِكْرَةٍ؛ غَنِيٌّ لَابِاسْتِفَادَةٍ. لَا تَصْحَبُهُ الْأَوْقَاتُ، وَلَا تَرْفِدُهُ الْأَدَوَاتُ، سَبَقَ الْأَوْقَاتَ كَوْنُهُ، وَالْعَدَمَ وُجُودُهُ، وَالِابْتِدَاءَ أَزَلُهُ.

بِتَشْعِيرِهِ الْمَشَاعِرَ عُرِفَ أَنْ لَامَشْعَرَ لَهُ وبِمُضَادَّتِهِ بَيْنَ الْأُمورِ عُرِفَ أَنْ لَا ضِدَّ لَهُ، وَ بِمُقَارَنَتِهِ بَيْنَ الْأَشْيَاءِ عُرِفَ أَنْ لَاقَرِينَ لَهُ، ضَادَّ النُّورَ بِالظُّلْمَةِ، وَالْوُضُوحَ بِالْبُهْمَةِ، وَالْجُمُودَ بِالْبَلَلِ، وَالْحَرُورَ بِالصَّرَدِ. مُؤَلِّفٌ بَيْنَ مُتَعَادِيَاتِهَا، مُقَارِنٌ بَيْنَ مُتَبَايِنَاتِهَا، مُقَرِّبٌ بَيْنَ مُتَبَاعِدَاتِهَا، مُفَرِّقٌ بَيْنَ مُتَدَانِيَاتِهَا. لَا يُشْمَلُ بِحَدٍّ وَلَا يُحْسَبُ بِعَدٍّ؛ وَإِنَّمَا تَحُدُّ الْأَدَوَاتُ أَنْفُسَهَا، وَتُشِيرُ الْآلَاتُ إِلَى نَظَائِرِهَا.

مَنَعَتْهَا مُنْذُ الْقِدْمِيَّةَ؛ وَ حَمَتْهَا قَدِ الْأَزَلِيَّةَ؛ وَ جَنَّبَتْهَا لَوْلَا التَّكْمِلَةَ، بِهَا تَجَلَّى صَانِعُهَا لِلْعُقُولِ، وَ بِهَا امْتَنَعَ عَنْ نَظَرِ الْعُيُونِ، لَا يَجْرِي عَلَيْهِ السُّكُونُ وَالْحَرَكَةُ وَ كَيْفَ يَجْرِي عَلَيْهِ مَا هُوَ أَجْرَاهُ، وَيَعُودُ فِيهِ مَا هُوَ أَبْدَاهُ، وَ يُحْدِثُ فِيهِ مَا هُوَ أَحْدَثَهُ؟! إذاً لَتَفَاوَتَتْ ذَاتُهُ، وَ لَتَجَزَّأَ كُنْهُهُ، وَلَامْتَنَعَ مِنَ الْأَزَلِ مَعْنَاهُ وَ لَكَانَ لَهُ وَرَاءٌ إِذْ وُجِدَ لَهُ أَمَامٌ! وَ لَالْتَمَسَ التَّمَامَ إِذْ لَزِمَهُ النُّقْصَانُ! وَ إِذًا لَقَامَتْ آيَةُ الْمَصْنُوعِ فِيهِ، وَ لَتَحَوَّلَ دَلِيلاً بَعْدَ أَنْ كَانَ مَدْلُولاً عَلَيْهِ، وَ خَرَجَ بِسُلْطَانِ الِامْتِنَاعِ مِنْ أَنْ يُؤَثِّرَ فِيهِ مَا يُؤَثِّرُ فِي غَيْرِهِ.

الَّذِي لَا يَحُولُ، وَلَا يَزُولُ، وَلَا يَجُوزُ عَلَيْهِ الْأُفُولُ؛ وَلَمْ يَلِدْ فَيَكُونَ مَوْلُودًا، وَلَمْ يُولَدْ فَيَصِيرَ مَحْدُودًا. جَلَّ عَنِ اتِّخَاذِ الْأَبْنَاءِ، وَ طَهُرَ عَنْ مُلَامَسَةِ النِّسَاءِ؛ لَا تَنَالُهُ الْأَوْهَامُ فَتُقَدِّرَهُ؛ وَلَا تَتَوَهَّمُهُ الفِطَنُ فَتُصَوِّرَهُ؛ وَلَا تُدْرِكُهُ الْحَوَاسُّ فَتُحِسَّهُ، وَلَا تَلْمِسُهُ الْأَيْدِي فَتَمَسَّهُ.

---

١ - سورة فصلت /١١.

لَا يَتَغَيَّرُ بِحَالٍ، وَلَا يَتَبَدَّلُ بِالْأَحْوَالِ، وَلَا تُبْلِيهِ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامُ، وَلَا يُغَيِّرُهُ الضِّيَاءُ وَالظَّلَامُ، وَلَا يُوصَفُ بِشَيْءٍ مِنَ الْأَجْزَاءِ، وَلَا بِالْجَوَارِحِ وَالْأَعْضَاءِ، وَلَا بِعَرَضٍ مِنَ الْأَعْرَاضِ، وَلا بِالْغَيْرِيَّةِ وَالْأَبْعَاضِ، وَلَا يُقَالُ لَهُ حَدٌّ وَلَا نِهَايَةٌ، وَلَا انْقِطَاعٌ وَلَا غَايَةٌ. وَلَا أَنَّ الْأَشْيَاءَ تَحْوِيهِ، فَتُقِلَّهُ أَوْ تُهْوِيَهُ، أَوْ أَنَّ شَيْئاً يَحْمِلُهُ فَيُمِيلَهُ أَوْ يَعْدِلَهُ. لَيْسَ فِي الْأَشْيَاءِ بِوَالِجٍ، وَلَا عَنْهَا بِخَارِجٍ. يُخْبِرُ لَا بِلِسَانٍ وَلَهَوَاتٍ، وَيَسْمَعُ لَا بِخُرُوقٍ وَأَدَوَاتٍ. يَقُولُ وَلَا يَلْفِظُ، وَيَحْفَظُ وَلَا يَتَحَفَّظُ، وَيُرِيدُ وَلَا يُضْمِرُ، يُحِبُّ وَيَرْضَى مِنْ غَيْرِ رِقَّةٍ، وَيُبْغِضُ وَيَغْضَبُ مِنْ غَيْرِ مَشَقَّةٍ. يَقُولُ لِمَنْ أَرَادَ كَوْنَهُ «كُنْ» فَيَكُونُ! لَا بِصَوْتٍ يَقْرَعُ، وَلَا بِنِدَاءٍ يُسْمَعُ، وَإِنَّمَا كَلَامُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ فِعْلٌ مِنْهُ أَنْشَأَهُ، وَمِثْلُهُ لَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلِ ذٰلِكَ كَائِناً، وَلَوْ كَانَ قَدِيماً لَكَانَ إِلٰهاً ثَانِياً.

لَا يُقَالُ كَانَ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ فَتَجْرِيَ عَلَيْهِ الصِّفَاتُ الْمُحْدَثَاتُ وَلَا يَكُونُ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ فَصْلٌ، وَلَا لَهُ عَلَيْهَا فَضْلٌ، فَيَسْتَوِيَ الصَّانِعُ وَالْمَصْنُوعُ، وَيَتَكَافَأَ الْمُبْتَدَعُ وَالْبَدِيعُ. خَلَقَ الْخَلَائِقَ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ خَلَا مِنْ غَيْرِهِ، وَلَمْ يَسْتَعِنْ عَلَى خَلْقِهَا بِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ، وَأَنْشَأَ الْأَرْضَ فَأَمْسَكَهَا مِنْ غَيْرِ اشْتِغَالٍ، وَأَرْسَاهَا عَلَى غَيْرِ قَرَارٍ، وَأَقَامَهَا بِغَيْرِ قَوَائِمَ، وَرَفَعَهَا بِغَيْرِ دَعَائِمَ، وَحَصَّنَهَا مِنَ الْأَوَدِ وَالْاِعْوِجَاجِ، وَمَنَعَهَا مِنَ التَّهَافُتِ وَالْاِنْفِرَاجِ، أَرْسَى أَوْتَادَهَا، وَضَرَبَ أَسْدَادَهَا، وَاسْتَفَاضَ عُيُونَهَا، وَخَدَّ أَوْدِيَتَهَا، فَلَمْ يَهِنْ مَا بَنَاهُ، وَلَا ضَعُفَ مَا قَوَّاهُ.

هُوَ الظَّاهِرُ عَلَيْهَا بِسُلْطَانِهِ وَعَظَمَتِهِ، وَهُوَ الْبَاطِنُ لَهَا بِعِلْمِهِ وَمَعْرِفَتِهِ، وَالْعَالِي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مِنْهَا بِجَلَالِهِ وَعِزَّتِهِ، لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ مِنْهَا طَلَبَهُ، وَلَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ فَيَغْلِبَهُ، وَلَا يَفُوتُهُ السَّرِيعُ مِنْهَا فَيَسْبِقَهُ، وَلَا يَحْتَاجُ إِلَى ذِي مَالٍ فَيَرْزُقَهُ. خَضَعَتِ الْأَشْيَاءُ لَهُ، وَذَلَّتْ مُسْتَكِينَةً لِعَظَمَتِهِ، لَا تَسْتَطِيعُ الْهَرَبَ مِنْ سُلْطَانِهِ إِلَى غَيْرِهِ فَتَمْتَنِعَ مِنْ نَفْعِهِ وَضَرِّهِ، وَلَا كُفْوَ لَهُ فَيُكَافِئَهُ، وَلَا نَظِيرَ لَهُ فَيُسَاوِيَهُ هُوَ الْمُفْنِي لَهَا بَعْدَ وُجُودِهَا، حَتَّى يَصِيرَ مَوْجُودُهَا كَمَفْقُودِهَا.

وَلَيْسَ فَنَاءُ الدُّنْيَا بَعْدَ ابْتِدَاعِهَا، بِأَعْجَبَ مِنْ إِنْشَائِهَا وَاخْتِرَاعِهَا! وَكَيْفَ وَلَوِ اجْتَمَعَ جَمِيعُ حَيَوَانِهَا مِنْ طَيْرِهَا وَبَهَائِمِهَا، وَمَا كَانَ مِنْ مُرَاحِهَا وَسَائِمِهَا، وَأَصْنَافِ أَسْنَاخِهَا وَأَجْنَاسِهَا، وَمُتَبَلِّدَةِ أُمَمِهَا وَأَكْيَاسِهَا، عَلَى إِحْدَاثِ بَعُوضَةٍ مَا قَدَرَتْ عَلَى إِحْدَاثِهَا، وَلَا عَرَفَتْ كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى إِيجَادِهَا، وَلَتَحَيَّرَتْ عُقُولُهَا فِي عِلْمِ ذٰلِكَ وَتَاهَتْ،

وَ عَجَزَتْ قُوَاهَا وَ تَنَاهَتْ، وَ رَجَعَتْ خَاسِئَةً حَسِيرَةً عَارِفَةً بِأَنَّهَا مَقْهُورَةٌ، مُقِرَّةً بِالْعَجْزِ عَنْ إِنْشَائِهَا، مُذْعِنَةً بِالضَّعْفِ عَنْ إِفْنَائِهَا.

وَ إِنَّ اللهَ ـ سُبْحَانَهُ ـ يَعُودُ بَعْدَ فَنَاءِ الدُّنْيَا وَحْدَهُ لاَ شَيْءَ مَعَهُ: كَمَا كَانَ قَبْلَ ابْتِدَائِهَا، كَذٰلِكَ يَكُونُ بَعْدَ فَنَائِهَا، بِلاَوَقْتٍ وَ لاَمَكَانٍ، وَلاَ حِينٍ وَ لاَ زَمَانٍ، عُدِمَتْ عِنْدَ ذٰلِكَ الآجَالُ وَالْأَوْقَاتُ، وَ زَالَتِ السُّنُونَ والسَّاعَاتُ، فَلاَشَيْءَ إِلاَّ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ الَّذِي إِلَيْهِ مَصِيرُ جَمِيعِ الْأُمُورِ. بِلاَ قُدْرَةٍ مِنْهَا كَانَ ابْتِداءُ خَلْقِهَا، وَ بِغَيْرِ امْتِنَاعٍ مِنْهَا كَانَ فَنَاؤُهَا، وَ لَوْ قَدَرَتْ عَلَى الإِمْتِنَاعِ دَامَ بَقَاؤُهَا. لَمْ يَتَكَاءَدْهُ صُنْعُ شَيْءٍ مِنْهَا إِذْ صَنَعَهُ، وَ لَمْ يَؤُدْهُ مِنْهَا خَلْقُ مَا خَلَقَهُ وَ بَرَأَهُ، وَ لَمْ يُكَوِّنْهَا لِتَشْدِيدِ سُلْطَانٍ، وَلاَ لِخَوْفٍ مِنْ زَوَالٍ وَ نُقْصَانٍ، وَ لاَ لِلإِسْتِعَانَةِ بِهَا عَلَى نِدٍّ مُكَاثِرٍ، وَلاَ لِلإِحْتِرَازِ بِهَا مِنْ ضِدٍّ مُثَاوِرٍ، وَلاَ لِلإِزْدِيَادِ بِهَا فِي مُلْكِهِ، وَلاَ لِمُكَاثَرَةِ شَرِيكٍ فِي شِرْكِهِ؛ وَلاَ لِوَحْشَةٍ كَانَتْ مِنْهُ فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَأْنِسَ إِلَيْهَا. ثُمَّ هُوَ يُفْنِيهَا بَعْدَ تَكْوِينِهَا، لاَ لِسَأَمٍ دَخَلَ عَلَيْهِ فِي تَصْرِيفِهَا وَ تَدْبِيرِهَا، وَ لاَ لِرَاحَةٍ وَاصِلَةٍ إِلَيْهِ، وَلاَ لِثِقَلِ شَيْءٍ مِنْهَا عَلَيْهِ. لَمْ يُمِلَّهُ طُولُ بَقَائِهَا فَيَدْعُوَهُ إِلَى سُرْعَةِ إِفْنَائِهَا؛ لٰكِنَّهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ دَبَّرَهَا بِلُطْفِهِ، وَ أَمْسَكَهَا بِأَمْرِهِ، وَ أَتْقَنَهَا بِقُدْرَتِهِ، ثُمَّ يُعِيدُهَا بَعْدَ الْفَنَاءِ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ مِنْهُ إِلَيْهَا، وَلاَ اسْتِعَانَةٍ بِشَيْءٍ مِنْهَا عَلَيْهَا، وَلاَ لِانْصِرَافٍ مِنْ حَالِ وَحْشَةٍ إِلَى حَالِ اسْتِئْنَاسٍ، وَلاَ مِنْ حَالِ جَهْلٍ وَ عَمًى إِلَى عِلْمٍ وَالْتِمَاسٍ، وَلاَ مِنْ فَقْرٍ وَ حَاجَةٍ إِلَى غِنًى وَ كَثْرَةٍ، وَ لاَ مِنْ ذُلٍّ وَضَعَةٍ إِلَى عِزٍّ وَ قُدْرَةٍ.

اقول الكيفية في اللغة: الصفة، والحال التي عليها الشئ، و في الاصطلاح العلميّ: هيئة قارة في المحل لايوجب اعتبار وجودها فيه نسبة الى امر خارج عنه. ولاقسمة في ذاته و لانسبة واقعة في اجزائه، و برهان منافاة الكيفية للتوحيد ما مر في الخطبة الأولى في قوله: (فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه و من قرنه فقد ثنّاه) و ظاهر انّ من ثنّاه لم يوحّده. قوله: و لاحقيقته اصاب من مثّله، اى: اثبت مثلا و برهانه انّ المثل للشئ هوالمشارك له امّا في ذاته او في بعض اجزائها، او في صفة خارجة عنها، و هوتعالى لا شريك له في ذاته و الّا لاحتاج الى مميّز من خارج لا يكون مقتضى ذاته، والّا لكان مشتركا غير مميز له بل مقتضى علة اخرى فيكون واجب الوجود محتاجا فيما يميزّه عن غيره الى غيره، هذا

خلف ولا شريك له في بعض الاجزاء والّا لكان مركّبًا فكان ممكنا هذا خلف، ولا في صفة خارجة عن ذاته اذا ثبت انّه لا صفة له وراء ذاته. و كذلك قوله: ولا ايّاه عنى من شبهه. و صمده‌اى قصده و قد سبق في الخطبة الاولى: امتناع الاشارة العقلية و الوهمية اليه، فمن اشار اليه، فقد اشار الى غيره فلم يتحقق قصده ايّاه و مدار هذه الاشارات على انّه تعالى غير معلوم الذات بالكنه. وقوله: كل معروف بنفسه مصنوع: شروع في البرهان على ذلك، و هو صغرى ضمير تقدير كبراه و كلّ ما هو مصنوع فهو ليس باله العالم ينتج كلّ معروف بنفسه فهو ليس بالّه العالم، و ينعكس بعكس النقيض الى كل ما هو الّه العالم فهو غير معروف بنفسه فتجعله كبرى، و يضم اليه صغرى صادقة هي قولنا انّه تعالى إلّه العالم فينتج انّه تعالى غير معروف بنفسه. و امّا بيان صغرى الضمير فهو انّ الحقيقة انّما نعلمها بأجزائها، و كلّ ذي جزء فهو مركّب فله مركب فهو مصنوع. و قوله: و كل قائم في سواه معلول: تنزيه له عن حاجته الى المحل، و هو صغرى ضمير كالّذى قبله، و ان شئت فهذه الجملة في قوّة شرطيّة متّصلة هي صغرى ضمير ايضا تقديرها لو كان قائمًا في سواء لكان معلولا، و يستثنى نقيض لازمها لينتج انّه ليس بقائم في سواه، و بيان الملازمة: انّ القائم بغيره محتاج الى الغير فكان معلولا له و لما يقيمه فيه كما علم في مظانّه، و كونه مقدّرا كونه معطيًا لكلّ مستحق مقدار ما يستحقه و يقبله من كمال الوجود، ولواحقه من أجَل و رزق و نحوهما. و غناه تعالى عدم حاجته الى غيره و لا باستفادة تنزيه له عن غنى غيره و لا تصحبه الاوقات اى: ليس هو بذى وقت يقارنه و يحلّ فيه، و ترفده: تعينه. و لما كان كل مسبوق بالعدم ممكنًا كان ما ليس بممكن غير مسبوق بالعدم، فكان تعالى سابق الوجود على كلّ عدم لغيره والابتداء ازله اى: سبقت ازليته ابتداء العالم. و قوله: بتشعيره الى قوله له: لانّ المشاعر ان كانت له من غيره كان محتاجا الى غيره هذا خلف، و ان كانت من ذاته، فان كانت من كمال الّهيّته كان موجدًا لها من حيث هو فاقد كمالا، فكان ناقصًا بذاته هذا خلف، وان لم يكن كذلك كان اثباتها له نقصًا لانّ الزيادة على الكمال نقصان. و كذلك قوله: بمضادته الى قوله: له: اذ لو كان له ضد لكان خالقا لضده و لنفسه وهو محال، و كذلك تنزيهه عن مقارنة الغير، بمقارنته بين الأشياء، و كذا مضادّته بين الاشياء خلقة لها على طبائعها المتضادّة، والوضح

والوضوح: البياض: والبهمة: السواد. والحرور: الحرارة. والصرد: البرد. و تفريقه بين متدانياتها، بالفناء كما جمع بين متعادياتها بالتركيب والمزج. ولا يشمله حد اى: لايحيط به نهاية، ولا يدخل فى حساب المعدودات و قد سبق بيانه. والادوات: الآلات كالحواس و نحوها. و قوله: منعتها، الى قوله: التكملة: يعود الضمير الى الآلات، و محلّ منذ، و قد: و لولا: الرفع بالفاعليّة، و المراد انّ اطلاق لفظ منذ على الآلات كما يقال هذه الآلة وجدت منذ كذا، يمنع كونها قديمة اذ كان وضعها لابتداء الزمان، و لذلك قد يفيد تقريب الماضى من الحال، كقولك: قدوجدت هذه الآلة وقت كذا. ولا شئ من الازليّ بقريب من الحال، و كذلك اطلاق لفظ لولا عندالنظر الى الآلات المستحسنة، كما يقال: ما احسن هذا لولا كذا، فيدلّ بها على امتناع كماله لوجود نقصان فيه: و انّما اشار الى نقصانها و حدوثها ليعلم انّها فى أبعد بعيد على تقديره و تحديده.

و قوله: بها، الى قوله: العقول، اى: بوجودها المحكم المتقن على انّ لها صانعًا حكيما. و قوله: بها الى قوله: العيون اى: بإيجادها، و خلقها بحيث تدرك بحسّ البصر، علم انّه تعالى ليس مثلها، وهو كقوله: بتشعيره الى قوله: لا مشعر له. و قيل: اراد انّ وجودها لما كان سببًا لكمال عقولنا، و كمال عقولنا سبباً لعلمنا بأنّه لايرى بحسّ البصر كانت هى اسبابا فى العلم بانّه لايرى. و قوله. اذن لتفاوتت ذاته، الى قوله: فى غيره: بيان لعدم جريان الحركة و السكون عليه من سبعة اوجه فى قياسات استثنائية اتّحد مقدّم المتّصلات فيها، و تعدّدت تواليها، و تقديره فى الاوّل لوجرت الحركة والسكون عليه لتفاوتت ذاته، و معنى التفاوت: التغيّر والنقصان بتعاقب الحركة والسكون عليه، والملازمة هنا ظاهرة وفى الثانى انّ كل متحرّك جسم و كل جسم فله جزء. وفى الثالث انّ كلّ متحرك جسم و كلّ جسم فليس له من ذاته استحقاق الوجود فضلا عن استحقاق الازليّة التى معناها عدم اوّليّة الوجود، فلوكان تعالى متحركا او ساكنا، لم يكن لمعناه و حقيقته ازليّة بل ان كانت له فمن غيره. و فى الرابع انّه لوكان متحرّكا لكان له أمام يتحرك اليه وكل ماله أمام فله وراء. وفى الخامس، انّه لوكان متحركا لالتمس التمام بحركته اذ الحركة لابد ان تكون نحو غاية مطلوبة للمتحرّك هى كمال له فيكون ناقصا بذاته. وفى السادس انّه لو كان كذلك لكان جسماً وفيه آثار الصنع و آياته. وفى السابع انّه لوكان

يتحوّل دليلا لكون جسمه مصنوعا يستدلّ به على صنعه و بطلان اللوازم في هذه الأقيسة السبعة ظاهر، فالملزوم و هوكون ممّا يجرى عليه الحركة والسكون باطل. وقوله: و خرج بسلطان الامتناع، الى قوله: غيره: عطف على قوله امتنع و قيل: على قوله تجلّى اى: بها تجلى للعقول و خرج بسلطان امتناع كونه مثلألها، اى: بكونه واجب الوجود، عن ان يكون ممكنا فيقبل اثر غيره، ولا يحول، اى: لايتغير من حال الى حال. والافول: الغيبة بعد الظهور، ولوجاز عليه، لما كان محجوبا لابراهيم عليه السلام حيث قال: (لَا أُحِبُّ الآفِلِينَ)[1] وقوله: فيكون محدودا، اى: بالحلّ الخارج عنه، وكونه تعالى لايوصف بعرض اذلا صفة له تزيد على ذاته و قد مرّ بيانه. ولآن محل الاعراض الجواهر و هو تعالى ليس بجوهر، فلا يوصف بالأعراض. و قوله: فيقله، و يميله منصوبان باضماران،و عليه نسخة الرضي عليه الرحمة بخطه.

وروى مرفوعين على العطف واخباره تعالى يعودالى خلقه الكلام في لسان النبي صلى الله عليه و آله على وفق ما تصوّره من المعنى كما سنفسرّه عليه السلام به،و سماعه يعود الى علمه بالمسموعات، و حفظه يعود الى علمه بما في الفعل من الحكمة، والمصلحة، و هو المعروف بالداعيّ. و محبته ارادة هي مبدأ فعل ما و يقرب منه الرضا و هو منه تعالى علمه بطاعة العَبْدَلةُ، و بغضه: يعود الى كراهته و هي علمه بعدم استحقاق العبد الثواب. و الغضب: يعود الى علمه بعصيانه، و هو منزّه عن المتعارف من ثوران النفس عن تصوّر المؤذّى المستلزم للمشقّة: و قوله: لا بصوت يقرع اى: ليس بذى حاسّة سمع يقرعها الصوت و كذلك لاصوت له يسمع، و من تفسيره عليه السلام لكلام الله استدلّت المعتزلة على كونه محدثا و مثله، اى: صوره في ذهن النبيّ، و لسانه عليه السلام. و قيل: مثله لجبريل عليه السلام في اللوح المحفوظ. و وجه الملازمة[2] لقوله: و لوكان قديما لكان الّهاً ثانيًا: انّه لو كان قديمًا لكان واجب الوجود بذاته لأنه لو كان ممكنًا، لكان صفة له تعالى قائمة بذاته لامتناع قيام صفة الشئ بغيره فهي ان كانت معتبرة في كمال آلهيته، كان ناقصا بذاته هذا خلف، و ان لم يكن كانت زائدة على كماله اللائق به والزيادة سفلى

---

١ ـ سورة الانعام / ٧٦.

٢ ـ في نسخة ش: في قوله.

الكمال نقصان،فثبت انّه لو كان كلامه قديما لكان واجب الوجود لذاته فكان آلها ثانيا و قد ثبت انّه واحد، و خلا؛سبق.

و ارساها: اثبتها، والأود: الاعوجاج. والتهافت: السقوط. والاسداد: جمع سد وهو كل ما حجز بين الشيئين. والكفو: المثل. و قوله: و ليس فناءالدنيا،الى قوله: و اختراعها: تنبيه على فساد قول من زعم انّ العالم لا يفنى. و مفهومه انّ الانشاء اعجب و اصعب، وجه التنبيه قوله: و كيف ولو اجتمع الى قوله افناءها، و كيف يكون الافناء اعجب من الانشاء والحال ما ذكرنا. و مراحها: ما يراح من مرابطها. و سائمها: ما ارسل منها للرعى. واسناخها: اصولها.

فانْ قلت: كيف تقرّالعقول بالضعف عن افناء البعوضة من امكان ذلك و سهولته؟ قلت: انّ العبد اذا نظر الى نفسه بالنسبة الى قدرة الصانع جلّت عظمته و جد نفسه عاجزة عن كلّ شئ، الّا بأذنٍ منه و معونةٍ، وانّه ليس له الّا الاعداد لحدوث ما ينسب اليه من الآثار فأما نفس وجود الأثر فمن واجب الكل، و ايضا فانّه تعالى كما خلق للعبد قدرة على النفع و الضرّ، كذلك خلق للبعوضة قدرة على الامتناع و الهرب من ضوره بالطيران بل على ان تؤذيه فلا يتمكن من دفعها عن نفسه فكيف يستسهل العاقل افناؤها من غير معونة من صانعها. و خاسئة ذليلة. و تكادّ: الأمرشق عليه. و آداه: أثقله. والمثاور: المواثب. و باقى الاعتبارات له تعالى ظاهرة، وقد مرّفى اثناء الكلام بيانها، و ماينبّه عليها، و بالله التوفيق.

۲۲۸ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

يختص بذكر الملاحم

أَلَا بِأَبِي وَ أُمِّي هُمْ مِنْ عِدَّةٍ، أَسْمَاؤُهُمْ فِي السَّمَاءِ مَعْرُوفَةٌ، وَفِي الْأَرْضِ مَجْهُولَةٌ، أَلَا فَتَوَقَّعُوا مَا يَكُونُ مِنْ إِدْبَارِ أُمُورِكُمْ، وَانْقِطَاعِ وُصَلِكُمْ، وَاسْتِعْمَالِ صِغَارِكُمْ.

ذَاكَ حَيْثُ تَكُونُ ضَرْبَةُ السَّيْفِ عَلَى الْمُؤْمِنِ أَهْوَنَ مِنَ الدِّرْهَمِ مِنْ حِلِّهِ، ذَاكَ حَيْثُ يَكُونُ الْمُعْطَى أَعْظَمَ أَجْرًا مِنَ الْمُعْطِي، ذَاكَ حَيْثُ تَسْكَرُونَ مِنْ غَيْرِ شَرَابٍ بَلْ مِنَ النِّعْمَةِ وَالنَّعِيمِ، وَ تَحْلِفُونَ مِنْ غَيْرِ اضْطِرَارٍ، وَتَكْذِبُونَ مِنْ غَيْرِ إِحْرَاجٍ، وَذٰلِكَ إِذَا عَضَّكُمُ الْبَلَاءُ

كَمَا يَعَضُّ الْقَتَبُ غَارِبَ الْبَعِيرِ، مَا أَطْوَلَ هٰذَا الْعَنَاءَ، وَأَبْعَدَ هٰذَا الرَّجَاءَ.

أَيُّهَا النَّاسُ، أَلْقُوا هٰذِهِ الْأَزِمَّةَ الَّتِي تَحْمِلُ ظُهُورُهَا الْأَثْقَالَ مِنْ أَيْدِيكُمْ، وَلَا تَصَدَّعُوا عَلَى سُلْطَانِكُمْ فَتَذُمُّوا غِبَّ فِعَالِكُمْ، وَلَا تَقْتَحِمُوا مَا اسْتَقْبَلْتُمْ مِنْ فَوْرِ نَارِ الْفِتْنَةِ، وَأَمِيطُوا عَنْ سَنَنِهَا، وَخَلُّوا قَصْدَ السَّبِيلِ لَهَا، فَقَدْ ـ لَعَمْرِي ـ يَهْلِكُ فِي لَهَبِهَا الْمُؤْمِنُ، وَيَسْلَمُ فِيهَا غَيْرُ الْمُسْلِمِ.

إِنَّمَا مَثَلِي بَيْنَكُمْ مَثَلُ السِّرَاجِ فِي الظُّلْمَةِ لِيَسْتَضِيءَ بِهِ مَنْ وَلَجَهَا؛ فَاسْمَعُوا أَيُّهَا النَّاسُ وَعُوا، وَأَحْضِرُوا آذَانَ قُلُوبِكُمْ تَفْهَمُوا.

أقول: هم مبتدأ، خبره مقدّم، وهو: اشارة الى بعض اولياءالله فيما يستقبل من زمانه عليه السلام، و معرفة اسمائهم في السماء كناية عن علوّ درجاتهم عندالله، و في الملأ الأعلى وجهلهم في الارض: كناية عن خمول ذكرهم بين أهلها كما هوشأن اكثر الاولياء. و قوله: الا فتوقّعوا: انذار بما يكون بعده من الفتن بدولة بني اميّة و غيرها المستلزمة لادبار امورهم الصالحة و انقطاع وصلهم، و هي الانتظامات الحاصلة بسبب اتّفاق كلمتهم في وجوده عليه السلام، و استعمال اراذلهم في تدبير امورهم. و قوله: ذاك الى قوله: البعير: اشارة الى اربع علامات لوقوع ما انذربه:

احداها: تعذّرالدرهم الحلال على المؤمن و قلّته الى الغاية المذكورة.

الثانية ان يكون المُعطى اعظم اجرًا من المُعطِي، إمّا لانّ اكثر اموال المعطين حينئذ مشوبة بالحرام، او تقصد فيها الرياء فيقلّ اجره و يكون المُعطى فقيرًا ذا عيال، فإذا أخذ لسّد خلته كان اعظم اجرًا ممن يعطيه.

الثالثة استعار وصف السكر: لغفلته في نعمة الدنيا عمّا ينبغي، و يلزم ذلك اليمين الباطلة من غير ضرورة بل غفلة عن عظمة الله، و الكذب من غير إحراج، اي:من غير ضررورة تضيق الاعذار بل تصير ملكة و خلقا.

الرابعة عضّ بلاء الفتن لهم. و قوله: ما اطول، الى قوله: الرجاء: كلام منقطع عمّا قبله فكأنّه قال ذاك ،اذا عضّكم البلاء حتى تقولوا ما اطول التعب الّذى نحن فيه، و ما ابعد الرجاء للخلاص منه، هوبقيام المنتظر من الائمة عليهم السلام. و يحتمل ان يكون

متّصلا و يكون كلامًا لـه مستأنفا في معنى التوبيخ على الحرص في الدنيا اى: ما اطول هذا العناء اللاحق لكم في طلبها،و ما أبعد هذا الرجاء الذى ترجونه منها! و يحتمل ان يريد بالعناء الطويل: عناءه في جذبهم الي الله،و بالرجاء: رجاءه لصلاحهم. و استعار لفظ الأزمة: للاراء الفاسدة المتبّعة و للأهواء القائدة الى المآثم. و لفظ الظهور: لأنفسهم. و لفظ الأثقال: للمآثم المثقلة للنفوس العاقلة عن النهوض الي حضائر القُدس. والتصدّع التفرّق. و غبّ كلّ شئ عاقبته، و اقتحامهم: لما يستقبل من نار الفتنة بتصدّعهم عنه اذ افتراق الآراء سبب لظهور العدوّ عليهم، و قيام الفتنة به والاماطة والميط: التنحي و تلك الاماطة بالعدول عن الآراء الفاسدة والتفرّق عنها.

و قوله: لعمرى، الى قوله: المسلم: من كراماته عليه السلام، فانّ الدائرة في فتنة بني اميّة عليهم اللعنة كانت على من لزم دينه و اشتغل بعبادة ربّه و خاصة من اهل البيت و ذريّة الرسول صلّى الله عليه و آله، و كانت الغلبة للمنافقين و من تقرّب الي قلوبهم بالكذب على الله و على رسوله. و ولجها: دخلها، و بالله التوفيق.

٢٢٩ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

أُوصِيكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - بِتَقْوَى ٱللهِ، وَكَثْرَةِ حَمْدِهِ عَلَى آلَائِهِ إِلَيْكُمْ، وَنَعْمَائِهِ عَلَيْكُمْ، وَبَلَائِهِ لَدَيْكُمْ. فَكَمْ خَصَّكُمْ بِنِعْمَةٍ، وَتَدَارَكَكُمْ بِرَحْمَةٍ! أَعْوَرْتُمْ لَهُ فَسَتَرَكُمْ، وَتَعَرَّضْتُمْ لِأَخْذِهِ فَأَمْهَلَكُمْ، وَأُوصِيكُمْ بِذِكْرِ الْمَوْتِ وَإِقْلَالِ الْغَفْلَةِ عَنْهُ، وَكَيْفَ غَفْلَتُكُمْ عَمَّا لَيْسَ يُغْفِلُكُمْ، وَطَمَعُكُمْ فِيمَنْ لَيْسَ يُمْهِلُكُمْ؟ فَكَفَى وَاعِظًا بِمَوْتَى عَايَنْتُمُوهُم، حُمِلُوا إِلَى قُبُورِهِمْ غَيْرَ رَاكِبِينَ، وَأُنْزِلُوا فِيهَا غَيْرَ نَازِلِينَ! فَكَأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا لِلدُّنْيَا عُمَّارًا، وَكَأَنَّ الآخِرَةَ لَمْ تَزَلْ لَهُمْ دَارًا، أَوْحَشُوا مَا كَانُوا يُوطِنُونَ، وَأَوْطَنُوا مَا كَانُوا يُوحِشُونَ، وَاشْتَغَلُوا بِمَا فَارَقُوا وَأَضَاعُوا مَا إِلَيْهِ ٱنْتَقَلُوا، لَا عَنْ قَبِيحٍ يَسْتَطِيعُونَ ٱنْتِقَالًا، وَلَا فِي حَسَنَةٍ يَسْتَطِيعُونَ ٱزْدِيَادًا! أَنِسُوا بِالدُّنْيَا فَغَرَّتْهُمْ وَ وَثِقُوا بِهَا فَصَرَعَتْهُمْ. فَسَابِقُوا - رَحِمَكُمُ ٱللهُ - إِلَى مَنَازِلِكُمُ الَّتِي أُمِرْتُمْ أَنْ تَعْمُرُوهَا، وَالَّتِي رُغِّبْتُمْ فِيهَا، وَدُعِيتُمْ إِلَيْهَا؛ وَٱسْتَتِمُّوا نِعَمَ ٱللهِ عَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ عَلَى طَاعَتِهِ، وَالْمُجَانَبَةِ لِمَعْصِيَتِهِ؛ فَإِنَّ غَدًا مِنَ الْيَوْمِ قَرِيبٌ، مَا أَسْرَعَ السَّاعَاتِ فِي الْيَوْمِ، وَأَسْرَعَ

الْأَيَّامَ فِي الشُّهُورِ، وَأَسْرَعَ الشُّهُوْرَ فِي السَّنَةِ، وَأَسْرَعَ السِّنِينَ فِي الْعُمُرِ!

أقول: استعار وصف الاعوار وهو: ابداء العورة لاظهارهم معاصى الله، و مكارهه التى ينبغى الاستحياء منها. و ما فارقوا من احوال الدنيا و ما اليه انتقلوا من الآخرة، والمنازل التى امروا بعمارتها: منازل الأبرار التى عمارتها بطاعة الله والفصل واضح و بالله التوفيق.

٢٣٠ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

فَمِنَ الْإِيمَانِ مَا يَكُونُ ثَابِتًا مُسْتَقِرًّا فِي الْقُلُوبِ، وَمِنْهُ مَا يَكُونُ عَوَارِيَ بَيْنَ الْقُلُوبِ وَالصُّدُورِ إِلَى أَجَلٍ مَعْلُومٍ، فَإِذَا كَانَتْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ مِنْ أَحَدٍ فَقِفُوهُ حَتَّى يَحْضُرَهُ الْمَوْتُ، فَعِنْدَ ذٰلِكَ يَقَعُ حَدُّ الْبَرَاءَةِ. وَالْهِجْرَةُ قَائِمَةٌ عَلَى حَدِّهَا الْأَوَّلِ. مَا كَانَ لِلّٰهِ فِي أَهْلِ الْأَرْضِ حَاجَةٌ مِنْ مُسْتَسِرِّ الْأُمَّةِ وَمُعْلِنِهَا، لَا يَقَعُ اسْمُ الْهِجْرَةِ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا بِمَعْرِفَةِ الْحُجَّةِ فِي الْأَرْضِ؛ فَمَنْ عَرَفَهَا وَأَقَرَّ بِهَا فَهُوَ مُهَاجِرٌ، وَلَا يَقَعُ اسْمُ الْإِسْتِضْعَافِ عَلَى مَنْ بَلَغَتْهُ الْحُجَّةُ فَسَمِعَتْهَا أُذُنُهُ وَوَعَاهَا قَلْبُهُ.

إِنَّ أَمْرَنَا صَعْبٌ مُسْتَصْعَبٌ، لَا يَحْمِلُهُ إِلَّا عَبْدٌ مُؤْمِنٌ امْتَحَنَ اللّٰهُ قَلْبَهُ لِلْإِيمَانِ، وَلَا يَعِي حَدِيثَنَا إِلَّا صُدُورٌ أَمِينَةٌ، وَأَحْلَامٌ رَزِينَةٌ.

أَيُّهَا النَّاسُ، سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي! فَلَأَنَا بِطُرُقِ السَّمَاءِ أَعْلَمُ مِنِّي بِطُرُقِ الْأَرْضِ، قَبْلَ أَنْ تَشْغَرَ بِرِجْلِهَا فِتْنَةٌ تَطَأُ فِي خِطَامِهَا، وَتَذْهَبُ بِأَحْلَامِ قَوْمِهَا.

اقول: قسم عليه السلام الإيمان الى قسمين، و وجه الحصر فيهما انّ الايمان لما كان عبارة عن التصديق بوجود الصانع و صفاته، و صدق رسوله فيما جاء به، فتلك الاعتقادات ان بلغت حدّ الملكات فى النفوس فهى الايمان الثابت المستقر فى القلب، و ان لم تبلغ ذلك بل كانت حالات فى معرض التغيّر والانتقال فهى العوارىّ. واستعار لفظها باعتبار كونها فى معرض الزوال كالعارية التى هى فى معرض الاسترجاع، و كونها بين القلوب والصدور: كناية عن عدم استقرارها فى جواهر النفوس. و قيل: اراد بالمستقر:

الايمان باخلاصٍ و تغيّره ما كان على وجه النّفاق، اذ كان ذلك لعرض ثم يزول فاذا كانت لكم الى قوله براءة معناه: اذا اردتم التبرّى من احد من اهل الكتاب فقفوه الى حال الموت ولا تبادروا الى البراءة منه، فانّ اعظم الكبائر الكفر و جائز من الكافر ان يسلم، فاذا بلغ منتهى الحياة ولم يقلع جاز حينئذ البراءة منه. و قيل: و هذه البراءة هي المطلقة اذيجوز لنا ان نبرء من الفاسق في حياته براءةً مشروطةً بالإصرار عليها.

و قوله: والهجرة قائمة على حدّها الاوّل، اى: لما كانت حقيقة الهجرة لغة ترك منزل الى آخر لم يكن تخصيصها بهجرة الرسول صلى الله عليه و آله من مكة الى المدينة،و من تبعه مخرجًا لها عن اخذها اللغوى، و اذا كان كذلك كان مراده من بقائها على حدّها الاوّل، صدقها على من هاجراليه والى الائمة من اهل بيته في طلب دين الله لصدقها على من هاجر الى الرسول عليه السلام.و في معناها ترك الباطل الى الحق كقوله تعالى: (ومن يهاجر في سبيل الله) الآية[1]. و قوله صلى الله عليه وآله: المهاجر من هاجر ما حرّم الله عليه. ولانّ المقصود من الهجرة ليس الّا اقتباس الدين، و تعرّف كيفية سبيل الله وهذا المقصود حاصل من يقوم مقام الرسول صلّى الله عليه وآله، بحيث لافرق بين النبوّة والامامة، ولامدخل لاحد هذين الوصفين في تخصيص مسمّى الهجرة بمن قصد الرسول، دون من قصد الائمة عليهم السلام، فان قلت: فقد قال صلى الله عليه وآله: لاهجرة بعدالفتح[2] حتى شفع عمه العباس في نعيم بن مسعود الأشجعي أنْ يَسْتَثْنِيهِ فاستثناه.

قلت: يحمل ذلك على انّه لاهجرة من مكة بعد فتحها الى المدينة توفيقا بين الدليلين، و سلب الخاص لايستلزم سلب العام. و مقصوده عليه السلام من هذه الكلمة، الدعوة الى الدين و اقتباسه منه، و من اهل بيته عليهم السلام.

و قوله: ما كان لله، الى قوله: و معانيها، فما: بمعنى المدّة اى: والهجرة قائمة على حدّها الاوّل مهما كان لله في اهل الأرض ممن أسرّدينه او أظهرهُ حاجةٌ. واستعار لفظ الحاجة: لطلبه تعالى العبادة بالأوامر والنّواهي. ويحتمل ان يكون ما: نافية والكلمة وما قبلها و ما بعدها، و هوقوله: ولايقع اسم الهجرة، الى قوله: قبله كلمات ملتقطة متقطّعة. والحجة في الارض: هوامام الوقت، ومقتضى الكلام انّ اطلاق اسم الهجرة على طالب الدين مشروطة

---

1 سورة النساء / ١٠٠.

٢ - صحيح مسلم ١٤٨٧/٣. الجامع الصغير ٧٥٢/٢.

بمعرفة عين الامام وقصده. ويحتمل. ان يكون الشرط معرفته بالاخبار دون المشاهدة، ويكون اطلاق اسم الهجرة على طالب الدين كأطلاقه على من ترك الحرام في قوله عليه السلام: (المهاجر من هاجر ما حرّم الله عليه). وقوله: ولا يصدق الى قوله: قلبه بالحجّة: قول الامام وله مفهومان.

احدهما انّ من بلغته الأحكام من الامام فوعاها، و فهمها، وامكنه العمل بها لم يصدق عليه اسم المستضعف كما صدق على من ذكرالله تعالى بقوله: (الّا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان) الآية[1]. حتى يكون معذورا في ترك التفهّم الاخبار والعمل بها، بل يؤاخذ على ترك العمل و يعاقب و ان لم يكلف النهوض والمهاجرة اليه في طلب الدين كما قال تعالى: (انّ الّذين توفّيهمُ الملائكةُ ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مُسْتَضْعَفِينَ في الأرض قالوا ألم تَكُنْ أرضُ الله واسعةً) الآية[2]. وقوله: انّ امرنا صعب مستصعب: فأمرهم شأنهم و مالهم من الكمال الخارج عن كمال غيرهم كالقدرة على ما يخرج عن وسع غيرهم، والحديث من الأمور الغيبية كالوقائع المستقبلة لزمانه التي وقعت وفق اخباره فأن هذا الشأن صعب في نفسه لايقدر عليه الّا الانبياء، و اوصياء الانبياء، ومستصعب الفهم على الخلق معجوز عن حمل ما يلقى منه من الاشارات، ولايحتمله الّا نفس عبد امتحن الله قلبه للايمان فعرف كمالهم، وكيفية صدور هذه الغرائب عنهم ولم يستنكر ذلك ويتعجّب منه و يتلقاه بالتكذيب، كما فعل ذلك جماعة من جهّال اصحابه بل يتلقّى ما يصدر عنهم بالإيمان به، و اولئك هم اصحاب الصدور الأمينة، والاحلام الرّزينة. واجمع الناس على انّه لم يقل احد من الصحابة: سلوني غير علي عليه السلام[3]. واراد بطرق السماء: وجوه الهداية الى معرفة منازل سكّان السموات من الملأ الأعلى، ومراتبهم من حضرة الربوبية و علمه بما هناك اتمّ من علمه بطرق الأرض بمقدار اتصاله بالملأ الأعلى، وانقطاعه عن الدنيا، و هذا اعمّ من قول من قال اراد انّه اعلم بالدين و قوانينه منه بالدنيا وأحوالها. والفتنة: فتنة بني اميّة. و كنى بشغر رجلها: عن خلو تلك الفتنة من مدبّر يديرها، ويحفظ نظام الدين يومئذ. و استعار وصف الناقة المرسل خطامها فهي: تخبط فيه، و كنى به عن وقوع تلك الفتنة على غير نظام بل يقتل

---

١ ـ سورة النساء / ٩٨.　　٢ ـ سورة النساء / ٩٧.

٣ ـ الغدير ٢/ ٤٤ وج ٦/ ١٤٨، ١٩٣، ١٩٤ وج ٧/ ١٠٧ وج ١٠/ ٣٥١.

فيها المؤمن البريء ،ويتمتع فيها المنافق الشقيّ. و يذهب بأحلام قومها اى: يستخف ذوى العقول فيخوضون فيها، و يسرعون اليها لغفلتهم فيها عن وجه الحق. و بالله التوفيق.

۲۳۱ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

أَحْمَدُهُ شُكْراً لإِنْعَامِهِ، وَأَسْتَعِينُهُ عَلَى وَظَائِفِ حُقُوقِهِ. عَزِيزُ الْجُنْدِ، عَظِيمُ الْمَجْدِ. وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ دَعَا إِلَى طَاعَتِهِ، وَقَاهَرَ أَعْدَاءَهُ جِهَادًا عَلَى دِينِهِ. لاَيَثْنِيهِ عَنْ ذٰلِكَ اجْتِمَاعٌ عَلَى تَكْذِيبِهِ، وَالْتِمَاسٌ لإِطْفَاءِ نُورِهِ. فَاعْتَصِمُوا بِتَقْوَى اللهِ فَإِنَّ لَهَا حَبْلاً وَثِيقًا عُرْوَتُهُ، وَمَعْقِلاً مَنِيعًا ذِرْوَتُهُ، وَبَادِرُوا الْمَوْتَ وَغَمَرَاتِهِ. وَامْهَدُوا لَهُ قَبْلَ حُلُولِهِ، وَأَعِدُّوا لَهُ قَبْلَ نُزُولِهِ: فَإِنَّ الْغَايَةَ الْقِيَامَةُ وَ كَفَى بِذٰلِكَ وَاعِظًا لِمَنْ عَقَلَ، وَمُعْتَبَرًا لِمَنْ جَهِلَ. وَقَبْلَ بُلُوغِ الْغَايَةِ مَاتَعْلَمُونَ مِنْ ضِيقِ الأَرْمَاسِ، وَشِدَّةِ الإِبْلاَسِ، وَهَوْلِ الْمُطَّلَعِ، وَرَوْعَاتِ الْفَزَعِ، وَاخْتِلاَفِ الأَضْلاَعِ، وَاسْتِكَاكِ الأَسْمَاعِ، وَظُلْمَةِ اللَّحْدِ، وَخِيفَةِ الْوَعْدِ، وَغَمِّ الضَّرِيحِ، وَرَدْمِ الصَّفِيحِ.

فَاللهَ اللهَ عِبَادَ اللهِ! فَإِنَّ الدُّنْيَا مَاضِيَةٌ بِكُمْ عَلَى سَنَنٍ، وَأَنْتُمْ وَالسَّاعَةُ فِي قَرَنٍ، وَ كَأَنَّهَا قَدْ جَاءَتْ بِأَشْرَاطِهَا، وَأَزِفَتْ بِأَفْرَاطِهَا، وَوَقَفَتْ بِكُمْ عَلَى صِرَاطِهَا. وَ كَأَنَّهَا قَدْ أَشْرَفَتْ بِزَلاَزِلِهَا، وَأَنَاخَتْ بِكَلاَ كِلِهَا، وَانْصَرَمَتِ الدُّنْيَا بِأَهْلِهَا، وَأَخْرَجَتْهُمْ مِنْ حِضْنِهَا، فَكَانَتْ كَيَوْمٍ مَضَى، أَوْشَهْرٍ انْقَضَى، وَصَارَ جَدِيدُهَا رَثًّا، وَسَمِينُهَا غَثًّا، فِي مَوْقِفٍ ضَنْكِ الْمَقَامِ، وَأُمُورٍ مُشْتَبِهَةٍ عِظَامٍ، وَنَارٍ شَدِيدٍ كَلَبُهَا، عَالٍ لَجَبُهَا، سَاطِعٍ لَهَبُهَا، مُتَغَيِّظٍ زَفِيرُهَا، مُتَأَجِّجٍ سَعِيرُهَا؛ بَعِيدٍ خُمُودُهَا، ذَاكٍ وَقُودُهَا، مُخِيفٍ وَعِيدُهَا، عَمٍ قَرَارُهَا، مُظْلِمَةٍ أَقْطَارُهَا، حَامِيَةٍ قُدُورُهَا، فَظِيعَةٍ أُمُورُهَا (وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا)[1] قَدْ أُمِنَ الْعَذَابُ، وَانْقَطَعَ الْعِتَابُ، وَزُحْزِحُوا عَنِ النَّارِ، وَاطْمَأَنَّتْ بِهِمُ الدَّارُ، وَرَضُوا الْمَثْوَى وَالْقَرَارَ. الَّذِينَ كَانَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا زَاكِيَةً، وَأَعْيُنُهُمْ بَاكِيَةً، وَكَانَ لَيْلُهُمْ فِي دُنْيَاهُمْ نَهَارًا تَخَشُّعًا وَاسْتِغْفَارًا، وَ كَانَ نَهَارُهُمْ لَيْلاً تَوَحُّشًا وَانْقِطَاعًا، فَجَعَلَ اللهُ لَهُمُ الْجَنَّةَ مَآبًا، وَالْجَزَاءَ ثَوَابًا، وَ كَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا، فِي مُلْكٍ دَائِمٍ، وَنَعِيمٍ قَائِمٍ.

فَارْعَوْا - عِبَادَ اللهِ - مَا بِرِعَايَتِهِ يَفُوزُ فَائِزُكُمْ، وَبِإِضَاعَتِهِ يَخْسَرُ مُبْطِلُكُمْ وَبَادِرُوا آجَالَكُمْ

---

١ - سورة الزمر/ ٧١.

بِأَعْمَالِكُمْ فَإِنَّكُمْ مُرْتَهَنُونَ بِمَا أَسْلَفْتُمْ، وَمَدِينُونَ بِمَا قَدَّمْتُمْ، وَكَأَنْ قَدْ نَزَلَ بِكُمُ الْمَخُوفُ فَلاَ رَجْعَةً تَنَالُونَ، وَلاَ عَثْرَةً تُقَالُونَ. اسْتَعْمَلَنَا اللهُ وَإِيَّاكُمْ بِطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ، وَعَفَا عَنَّا وَعَنْكُمْ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ، الْزَمُوا الأَرْضَ، وَاصْبِرُوا عَلَى الْبَلاَءِ، وَلاَ تُحَرِّكُوا بِأَيْدِيكُمْ وَسُيُوفِكُمْ فِي هَوَى أَلْسِنَتِكُمْ، وَلاَ تَسْتَعْجِلُوا بِمَا لَمْ يُعَجِّلْهُ اللهُ لَكُمْ، فَإِنَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْكُمْ عَلَى فِرَاشِهِ وَهُوَ عَلَى مَعْرِفَةِ حَقِّ رَبِّهِ وَحَقِّ رَسُولِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ مَاتَ شَهِيداً وَوَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ، وَاسْتَوْجَبَ ثَوَابَ مَا نَوَى مِنْ صَالِحِ عَمَلِهِ، وَقَامَتِ النِّيَّةُ مَقَامَ إِصْلاَتِهِ لِسَيْفِهِ، وَإِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ مُدَّةً وَأَجَلاً.

اقول: استعار لفظ الحبل والعروة: لما يتمسك به من التقوى، و يعتصم به من النار. والمعقل: الملجأ كالجبل. وامهدوا له: اجعلوا له مهادًا من التقوى. والارماس: القبور. والإبلاس: الانكسار والحزن. والمطلع: موضع الاطّلاع و هو منازل الآخرة. و محفل القيامة واختلاف الاضلاع: كناية عن ضغطة القبر المستلزمة لذلك. والصفيح: حجارة يردم بها القبر و يسدّه. والسنن: القصد، واراد على سنن واحد و هو طريق الآخرة. و فی قرن ای: مقترنين. والقرن: الحبل يقرن به البعيران. واشراط الساعة: علاماتها. وازفت: دنت. افراطها: مقدّماتها. واستعار لفظ الكلاكل و هی: الصدور لا ثقالها، و لفظ الحضن: لحصونهم فيها، واشتمالها على منافعهم فهی: كالامّ الحاضنة لهم. والرثّ: الخلق. والغث: الهزيل. والضنك: الضيق. والكلب: الشرّ. واللجب: الصوت. والساطع: المرتفع. و ذاك: مشتعل، والزمرة: الجماعة. ومبادرة الآجال بالأعمال: مسابقتها بها، استعدادا لتسهيل الموت. و مدينون: مجزوّن.

و قوله: الزموا الأرض الى آخره قيل: هو خطاب خاصّ لمن يكون بعده من اصحابه، و لزوم الارض: كناية عن الصبر على المكاره، والثبات فی زمن الفتنة، و عدم النهوض والجهاد ما لم يقم لهم قائم بحق. والباء فی بأيديكم: على المكاره. و هوى السنتكم: اراد بهم السّب والشتم. ولا تحركوا ايديكم و سيوفكم والسنتكم بهواها ولا تعجلوا بما لم يعجّله الله لكم من الجهاد قبل ظهور امام عادل. و قوله: فانّه من مات الى قوله بسيفه: بيانا لحكمهم فی زمن عدم قيام الامام العادل بعده لطلب الأمر. وتنبيه على ثمرة الصبر. وهو:

انّ من مات منهم على فراشه مع معرفته بحق الله، و حق رسوله، واهل بيته، والاعتراف بكونهم ائمة الحق، والاقتداء بهم، لحق بدرجة الشهداء، و وقع اجره على الله بذلك، و قام صبره على المكاره و نيته انّه من انصار الحق واهله مقام جهاده بسيفه في استحقاق الأجر. و قوله: فانّ لكل شئ مدّة وأجلاً: تنبيه على انّ لجهادهم وقتا يجب فيه، ولعدّوهم مدّة ودولة لايجوزلهم القيام فيهامع غيرامام حق. هذا هوالمتبادر الى الفهم من الكلام والله اعلم.

٢٣٢ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

الْحَمْدُ لِلّهِ الْفَاشِي حَمْدُهُ، وَالْغَالِبِ جُنْدُهُ، وَالْمُتَعَالِي جَدُّهُ، أَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ التُّؤَامِ، وَآلاَئِهِ الْعِظَامِ، الَّذِي عَظُمَ حِلْمُهُ فَعَفَا، وَعَدَلَ فِي كُلِّ مَاقَضَى، وَعَلِمَ مَا يَمْضِي وَمَا مَضَى، مُبْتَدِعِ الْخَلاَئِقِ بِعِلْمِهِ، وَمُنْشِئِهِمْ بِحُكْمِهِ بِلاَ اقْتِدَاءٍ وَلاَ تَعْلِيمٍ، وَلاَاحْتِذَاءٍ لِمِثَالِ صَانِعٍ حَكِيمٍ، وَلاَ إِصَابَةِ خَطَإٍ، وَلاَ حَضْرَةِ مَلاٍَ. وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ابْتَعَثَهُ وَالنَّاسُ يَضْرِبُونَ فِي غَمْرَةٍ، وَيَمُوجُونَ فِي حَيْرَةٍ. قَدْ قَادَتْهُمْ أَزِمَّةُ الْحَيْنِ، وَاسْتَغْلَقَتْ عَلَى أَفْئِدَتِهِمْ أَقْفَالُ الرَّيْنِ.

أُوصِيكُمْ -عِبَادَ اللهِ- بِتَقْوَى اللهِ فَإِنَّهَا حَقُّ اللهِ عَلَيْكُمْ، وَالْمُوجِبَةُ عَلَى اللهِ حَقَّكُمْ، وَأَنْ تَسْتَعِينُوا عَلَيْهَا بِاللهِ وَتَسْتَعِينُوا بِهَا عَلَى اللهِ؛ فَإِنَّ التَّقْوَى فِي الْيَوْمِ الْحِرْزُ وَالْجُنَّةُ، وَفِي غَدٍ الطَّرِيقُ إِلَى الْجَنَّةِ: مَسْلَكُهَا وَاضِحٌ، وَسَالِكُهَا رَابِحٌ، وَمُسْتَوْدَعُهَا حَافِظٌ، لَمْ تَبْرَحْ عَارِضَةً نَفْسَهَا عَلَى الأُمَمِ الْمَاضِينَ وَالْغَابِرِينَ لِحَاجَتِهِمْ إِلَيْهَا غَدًا إِذَا أَعَادَ اللهُ مَا أَبْدَى. وَأَخَذَ مَا أَعْطَى. وَسَأَلَ عَمَّا أَسْدَى. فَمَا أَقَلَّ مَنْ قَبِلَهَا وَحَمَلَهَا حَقَّ حَمْلِهَا: أُولَئِكَ الأَقَلُّونَ عَدَدًا. وَهُمْ أَهْلُ صِفَةِ اللهِ -سُبْحَانَهُ- إِذْ يَقُولُ: (وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ)[1]. فَأَهْطِعُوا بِأَسْمَاعِكُمْ إِلَيْهَا، واكِظُّوا بِجِدِّكُمْ عَلَيْهَا، وَاعْتَاضُوهَا مِنْ كُلِّ سَلَفٍ خَلَفًا، وَمِنْ كُلِّ مُخَالِفٍ مُوَافِقًا، أَيْقِظُوا بِهَا نَوْمَكُمْ، وَاقْطَعُوا بِهَا يَوْمَكُمْ، وَأَشْعِرُوهَا قُلُوبَكُمْ، وَارْحَضُوا بِهَا ذُنُوبَكُمْ. وَدَاوُوا بِهَا الأَسْقَامَ، وَبَادِرُوا بِهَا الْحِمَامَ، وَاعْتَبِرُوا بِمَنْ أَضَاعَهَا، وَلاَيَعْتَبِرَنَّ بِكُمْ مَنْ أَطَاعَهَا. أَلاَ وَصُونُوهَا وَتَصَوَّنُوا بِهَا. وَ كُونُوا عَنِ الدُّنْيَا نُزَّاهًا، وَإِلَى الآخِرَةِ وُلاَّهًا،

---

١ - سورة سبأ / ١٣

وَلَا تَضَعُوا مَنْ رَفَعَتْهُ التَّقْوَى، وَلَا تَرْفَعُوا مَنْ رَفَعَتْهُ الدُّنْيَا، وَلَا تَشِيمُوا بَارِقَهَا، وَلَا تَسْتَمِعُوا نَاطِقَهَا، وَلَا تُجِيبُوا نَاعِقَهَا، وَلَا تَسْتَضِيئُوا بِإِشْرَاقِهَا، وَلَا تُفْتَنُوا بِأَعْلَاقِهَا؛ فَإِنَّ بَرْقَهَا خَالِبٌ، وَنُطْقَهَا كَاذِبٌ، وَأَمْوَالَهَا مَحْرُوبَةٌ، وَأَعْلَاقَهَا مَسْلُوبَةٌ، أَلَا وَهِيَ الْمُتَصَدِّيَةُ الْعَنُونُ، وَالْجَامِحَةُ الْحَرُونُ، وَالْمَائِنَةُ الْخَؤُونُ وَالْجَحُودُ الْكَنُودُ، وَالْعَنُودُ الصَّدُودُ، وَالْحَيُودُ الْمَيُودُ: حَالُهَا انْتِقَالٌ، وَوَطْأَتُهَا زِلْزَالٌ، وَعِزُّهَا ذُلٌّ، وَجِدُّهَا هَزْلٌ، وَعُلْوُهَا سُفْلٌ، دَارُ حَرَبٍ وَسَلَبٍ، وَنَهْبٍ وَعَطَبٍ، أَهْلُهَا عَلَى سَاقٍ وَسِيَاقٍ، وَلَحَاقٍ وَفِرَاقٍ. قَدْ تَحَيَّرَتْ مَذَاهِبُهَا، وَأَعْجَزَتْ مَهَارِبُهَا. وَخَابَتْ مَطَالِبُهَا، فَأَسْلَمَتْهُمُ الْمَعَاقِلُ، وَلَفَظَتْهُمُ الْمَنَازِلُ، وَأَعْيَتْهُمُ الْمَحَاوِلُ، فَمِنْ نَاجٍ مَعْقُورٍ، وَلَحْمٍ مَجْزُورٍ، وَشِلْوٍ مَذْبُوحٍ وَدَمٍ مَسْفُوحٍ، وَعَاضٍّ عَلَى يَدَيْهِ، وَصَافِقٍ بِكَفَّيْهِ، وَمُرْتَفِقٍ بِخَدَّيْهِ، وَزَارٍ عَلَى رَأْيِهِ، وَرَاجِعٍ عَنْ عَزْمِهِ، وَقَدْ أَدْبَرَتِ الْحِيلَةُ، وَأَقْبَلَتِ الْغِيلَةُ، وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ، وَهَيْهَاتَ، ثُمَّ هَيْهَاتَ!! قَدْ فَاتَ مَا فَاتَ، وَذَهَبَ مَا ذَهَبَ، وَمَضَتِ الدُّنْيَا لِحَالِ بَالِهَا (فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ)[1].

أقول: الفاشي: المنتشر. والجدّ: العظمة. والغمرة: غلبة الجهل. والحين بالفتح: الهلاك. والرين: غطاء الجهل، وغلبة الذنوب المغطية لأعين البصائر. واستعار لفظ الاقفال: للجهل والذنوب. وتستعينوا بها على الله اى: على نيل ثوابه، و دفع عقابه، و كونها في اليوم حرزا و جنة اى: في الحياة الدنيا لقوله تعالى: (ومن يتق الله يجعل له مخرجا) الآية[2] وغداى: يوم القيامة. و مستودعها: بالفتح من أودعها، و قبلها، و حافظ اى: لها و لنفسه من التورط في الآثام و عذاب الله وعرضها لنفسها: كونها للأخذ والاقتناء. واسدى: ارسل معروفه. واهطعوا بأسماعكم: اسرعوا بها. واكظوا اى: داوموا و واظبوا عليها، و روى باللام اى: الزموا. واشعروها قلوبكم اى: اجعلوها شعارا لازما لها. وارحضوا اى: اغسلوا. والوله: التحيّر من شدّة الوجد. وشيم البرق: انتظار ان يمطر سحابه والطمع في ذلك. واستعار لفظ البارق: لما يلوح من اطماعها، و كنى بناطقها: عن مادحها. و ما كشف ريبتها من قول او فعل اوزينة اومتاع. و بسماعه: عن الاصغاء اليه والميل نحوه. وناعقها: الداعي اليها. واستعار لفظ الاشراق: للآراء الهادية الى وجوه

١ ـ سورة الدخان / ٢٩.

٢ ـ سورة الطلاق / ٢.

تحصيلها، و وصف الاستضاءة لاتّباع تلك الآراء. ويحتمل ان يريد بإشراقها: زينتها التى تبهج بها، والاستضاءة بذلك: ابتهاج به. واعلاقها: ما يعدّ فيها نفيسا. والخلب: الّذى لامطر معه.

و قوله: فانّ برقها، الى قوله: مسلوبة: فى قوّة صغرى ضمير، يقربه عنها تعليلا لتلك المناهي، و تقدير كبراه: وكلما كان كذلك فلا ينبغى ان يلتفت اليه. والمحروب: المأخوذ بأجمعه. والمتصدّية: المتعرّضة. والعنون: الدّابة المتقدمة فى السير. والعنون: كثيرة العنن و هوالاعتراض. قال بعض الشارحين: استعار لها وصف المرأة الفاجرة التى من شأنها التعرّض للرجال لتخدعهم عن انفسهم. و يحتمل ان يكون استعار: لوصف الدّابة يمشى عرض الطريق، والدنيا باعتبار كثرة تعثّراتها و تقلّباتها، و جريها على غير قانون يحفظ فيه. و استعار لفظ الجموح والحزون: لها، باعتبار عدم انقيادها و عدم القدرة على تصريفها عندالحاجة اليها. والمائنة: الخائنة الكاذبة. والكنود: الكفور للنعمة. والعنود: المائلة عن القصد، و كذلك الحيود: كثيرة الحيد وهوالميل. والميود: المتمايلة. والحرب بفتح الحاء: سَلب المال. والسلب: ما يسلب الانسان من ثوب وغيره. و على ساق: كناية عن عدم استقرارهم فيها. و قيل: الساق: الشدّة. والسياق: نزع الروح، والسياق: مصدر ساقه سياقا، و هو ايضا: كناية عن الأمر الشديد. واللحاق اى: بالماضين. و فراق اى: لها. و تحيّر مذاهبها: عدم الاهتداء الى طرق خيرها، و دفع شرّها. واسد الحيرة الى المذاهب مجازًا اى: تحيّر أهلها فى مذاهبها. و كذلك اعجزت مهاربها اى: اعجزت من طلبها فى مهاربها. والمحاول: جمع محالة و هى الحيلة. وقوله فمن ناج الى قوله عن عزمه: تقسيم لاهلها باعتبار ما يرميهم به من مصائبها. والشلو: العضو من اللحم بعد الذبح، واشلاء الانسان: اعضاؤه المتفرّقة فى البلى. والغيلة: للاخذ على غرّة. والعضّ على اليدين: كناية عن الندم فى الآخرة. والمرتفق بخديه: جاعل مرفقيه تحت خدّيه ندماً. وزاد على رأيه اى: فى تفريطه، وراجع عن عزمه فى ذلك، والمناص: مصدر قولك ناص نوصا اى: فرّو زاغ. ولات: حرف سلب، شبه ليس، واضمر فيها اسم الفاعل ولايستعمل الّا مع حين و قد تحذف حين. والبال: القلب. والضمير فى مضت: للدنيا. وبالله التوفيق.

٢٣٣ ـ وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام
تسمى القاصعة

وهي تَتَضَمَّنُ ذمَّ ابليس علىٰ استكباره وتركِهِ السجودَ لآدم ـ عليه السلام ـ وأنّه اوّل من أظهر العصبيّه وتبعَ الحميّه وتحذيرالناس من سلوك طريقته ومن الناس من يُسَمّي هذه الخطبه «القاصعة»

الْحَمْدُ للهِ الَّذِي لَبِسَ الْعِزَّ وَالْكِبْرِيَاءَ، وَاخْتَارَهُمَا لِنَفْسِهِ دُونَ خَلْقِهِ؛ وَجَعَلَهُمَا حِمًى وَحَرَماً عَلَى غَيْرِهِ، وَاصْطَفَاهُمَا لِجَلالِهِ، وَجَعَلَ اللَّعْنَةَ عَلَى مَنْ نَازَعَهُ فِيهِمَا مِنْ عِبَادِهِ. ثُمَّ اخْتَبَرَ بِذَلِكَ مَلائِكَتَهُ الْمُقَرَّبِينَ؛ لِيَمِيزَ الْمُتَوَاضِعِينَ مِنْهُمْ مِنَ الْمُسْتَكْبِرِينَ فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَهُوَ الْعَالِمُ بِمُضْمَرَاتِ الْقُلُوبِ وَمَحْجُوبَاتِ الْغُيُوبِ. ﴿إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ، فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ، فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا إِبْلِيسَ﴾[١] اعْتَرَضَتْهُ الْحَمِيَّةُ فَافْتَخَرَ عَلَى آدَمَ بِخَلْقِهِ، وَتَعَصَّبَ عَلَيْهِ لِأَصْلِهِ، فَعَدُوُّ اللهِ إِمَامُ الْمُتَعَصِّبِينَ، وَسَلَفُ الْمُسْتَكْبِرِينَ، الَّذِي وَضَعَ أَسَاسَ الْعَصَبِيَّةِ، وَنَازَعَ اللهَ رِدَاءَ الْجَبْرِيَّةِ؛ وَادَّرَعَ لِبَاسَ التَّعَزُّزِ، وَخَلَعَ قِنَاعَ التَّذَلُّلِ.

أَلا تَرَوْنَ كَيْفَ صَغَّرَهُ اللهُ بِتَكَبُّرِهِ؟ وَوَضَعَهُ اللهُ بِتَرَفُّعِهِ؟ فَجَعَلَهُ فِي الدُّنْيَا مَدْحُورًا، وَأَعَدَّ لَهُ فِي الآخِرَةِ سَعِيرًا.

وَلَوْ أَرَادَ اللهُ أَنْ يَخْلُقَ آدَمَ مِنْ نُورٍ يَخْطَفُ الْأَبْصَارَ ضِيَاؤُهُ، وَيَبْهَرُ الْعُقُولَ رُوَاؤُهُ، وَطِيبٍ يَأْخُذُ الْأَنْفَاسَ عَرْفُهُ لَفَعَلَ، وَلَوْ فَعَلَ لَظَلَّتْ لَهُ الْأَعْنَاقُ خَاضِعَةً، وَلَخَفَّتِ الْبَلْوَى فِيهِ عَلَى الْمَلائِكَةِ، وَلَكِنَّ اللهَ ـ سُبْحَانَهُ ـ ابْتَلَى خَلْقَهُ بِبَعْضِ مَا يَجْهَلُونَ أَصْلَهُ تَمْيِيزًا بِالاخْتِبَارِ لَهُمْ، وَنَفْيًا لِلاسْتِكْبَارِ عَنْهُمْ، وَإِبْعَادًا لِلْخُيَلاءِ مِنْهُمْ.

فَاعْتَبِرُوا بِمَا كَانَ مِنْ فِعْلِ اللهِ بِإِبْلِيسَ؛ إِذْ أَحْبَطَ عَمَلَهُ الطَّوِيلَ، وَجَهْدَهُ الْجَهِيدَ، وَكَانَ قَدْ عَبَدَ اللهَ سِتَّةَ آلافِ سَنَةٍ لا يُدْرَى أَمِنْ سِنِي الدُّنْيَا أَمْ سِنِي الآخِرَةِ ـ عَنْ كِبْرِ سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ، فَمَنْ بَعْدَ إِبْلِيسَ يَسْلَمُ عَلَى اللهِ بِمِثْلِ مَعْصِيَتِهِ؟ كَلاَّ! مَا كَانَ اللهُ سُبْحَانَهُ لِيُدْخِلَ

١ ـ سورة ص / ٧١ ـ ٧٢ ـ ٧٣.

الْجَنَّةَ بَشَرًا بِأَمْرٍ أَخْرَجَ بِهِ مِنْهَا مَلَكًا، إِنَّ حُكْمَهُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ وَأَهْلِ الأَرْضِ لَوَاحِدٌ، وَمَا بَيْنَ اللهِ وَبَيْنَ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ هَوَادَةٌ فِي إِبَاحَةِ حِمًى حَرَّمَهُ عَلَى الْعَالَمِينَ.

فَاحْذَرُوا عَدُوَّ اللهِ، أَنْ يُعْدِيَكُمْ بِدَائِهِ، وَأَنْ يَسْتَفِزَّكُمْ بِنِدَائِهِ، وَأَنْ يُجْلِبَ عَلَيْكُمْ بِخَيْلِهِ وَرَجْلِهِ، فَلَعَمْرِي لَقَدْ فَوَّقَ لَكُمْ سَهْمَ الْوَعِيدِ، وَأَغْرَقَ لَكُمْ بِالنَّزْعِ الشَّدِيدِ، وَرَمَاكُمْ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ، وقال: (رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ)[1]، قَذْفًا بِغَيْبٍ بَعِيدٍ، وَرَجْمًا بِظَنٍّ مُصِيبٍ، صَدَّقَهُ بِهِ أَبْنَاءُ الْحَمِيَّةِ، وَإِخْوَانُ الْعَصَبِيَّةِ، وَفُرْسَانُ الْكِبْرِ وَالْجَاهِلِيَّةِ، حَتَّى إِذَا انْقَادَتْ لَهُ الْجَامِحَةُ مِنْكُمْ، وَاسْتَحْكَمَتِ الطَّمَاعِيَةُ مِنْهُ فِيكُمْ، فَنَجَمَتِ الْحَالُ مِنَ السِّرِّ الْخَفِيِّ إِلَى الأَمْرِ الْجَلِيِّ؛ اسْتَفْحَلَ سُلْطَانُهُ عَلَيْكُمْ، وَدَلَفَ بِجُنُودِهِ نَحْوَكُمْ، فَأَقْحَمُوكُمْ وَلَجَاتِ الذُّلِّ، وَأَحَلُّوكُمْ وَرَطَاتِ الْقَتْلِ، وَأَوْطَأُوكُمْ إِثْخَانَ الْجِرَاحَةِ: طَعْنًا فِي عُيُونِكُمْ وَحَزًّا فِي حُلُوقِكُمْ، وَدَقًّا لِمَنَاخِرِكُمْ، وَقَصْدًا لِمَقَاتِلِكُمْ، وَسَوْقًا بِخَزَائِمِ الْقَهْرِ إِلَى النَّارِ الْمُعَدَّةِ لَكُمْ، فَأَصْبَحَ أَعْظَمَ فِي دِينِكُمْ جَرْحًا، وَأَوْرَى فِي دُنْيَاكُمْ قَدْحًا، مِنَ الَّذِينَ أَصْبَحْتُمْ لَهُمْ مُنَاصِبِينَ، وَعَلَيْهِمْ مُتَأَلِّبِينَ؛ فَاجْعَلُوا عَلَيْهِ حَدَّكُمْ وَلَهُ جِدَّكُمْ! فَلَعَمْرُ اللهِ لَقَدْ فَخَرَ عَلَى أَصْلِكُمْ، وَوَقَعَ فِي حَسَبِكُمْ، وَدَفَعَ فِي نَسَبِكُمْ؛ وَأَجْلَبَ بِخَيْلِهِ عَلَيْكُمْ، وَقَصَدَ بِرَجْلِهِ سَبِيلَكُمْ: يَقْتَنِصُونَكُمْ بِكُلِّ مَكَانٍ، وَيَضْرِبُونَ مِنْكُمْ كُلَّ بَنَانٍ، لَا تَمْتَنِعُونَ بِحِيلَةٍ، وَلَا تَدْفَعُونَ بِعَزِيمَةٍ فِي حَوْمَةِ ذُلٍّ؛ وَحَلْقَةِ ضِيقٍ، وَعَرْصَةِ مَوْتٍ، وَجَوْلَةِ بَلَاءٍ. فَأَطْفِئُوا مَا كَمَنَ فِي قُلُوبِكُمْ مِنْ نِيرَانِ الْعَصَبِيَّةِ، وَأَحْقَادِ الْجَاهِلِيَّةِ؛ فَإِنَّمَا تِلْكَ الْحَمِيَّةُ تَكُونُ فِي الْمُسْلِمِ مِنْ خَطَرَاتِ الشَّيْطَانِ وَنَخَوَاتِهِ، وَنَزَغَاتِهِ وَنَفَثَاتِهِ، وَاعْتَمِدُوا وَضْعَ التَّذَلُّلِ عَلَى رُءُوسِكُمْ، وَإِلْقَاءَ التَّعَزُّزِ تَحْتَ أَقْدَامِكُمْ، وَخَلْعَ التَّكَبُّرِ مِنْ أَعْنَاقِكُمْ، وَاتَّخِذُوا التَّوَاضُعَ مَسْلَحَةً، بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّكُمْ: إِبْلِيسَ وَجُنُودِهِ فَإِنَّ لَهُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ جُنُودًا وَأَعْوَانًا، وَرَجْلًا وَفُرْسَانًا. وَلَا تَكُونُوا كَالْمُتَكَبِّرِ عَلَى ابْنِ أُمِّهِ مِنْ غَيْرِ مَا فَضْلٍ جَعَلَهُ اللهُ فِيهِ سِوَى مَا أَلْحَقَتِ الْعَظَمَةُ بِنَفْسِهِ مِنْ عَدَاوَةِ الْحَسَدِ، وَقَدَحَتِ الْحَمِيَّةُ فِي قَلْبِهِ مِنْ نَارِ الْغَضَبِ، وَنَفَخَ الشَّيْطَانُ فِي أَنْفِهِ مِنْ رِيحِ الْكِبْرِ الَّذِي أَعْقَبَهُ اللهُ بِهِ النَّدَامَةَ، وَأَلْزَمَهُ آثَامَ الْقَاتِلِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

أَلَا وَقَدْ أَمْعَنْتُمْ فِي الْبَغْيِ، وَأَفْسَدْتُمْ فِي الأَرْضِ، مُصَارَحَةً لِلَّهِ بِالْمُنَاصَبَةِ، وَمُبَارَزَةً لِلْمُؤْمِنِينَ بِالْمُحَارَبَةِ! فَاللهَ اللهَ فِي كِبْرِ الْحَمِيَّةِ، وَفَخْرِ الْجَاهِلِيَّةِ؛ فَإِنَّهُ مَلَاقِحُ الشَّنَآنِ، وَمَنَافِخُ

---

١ ـ سورة الحجر/ ٣٩.

الشَّيْطانِ، الَّتِى خَدَعَ بِهَا الأُمَمَ الْمَاضِيَةَ، وَالْقُرُونَ الْخَالِيَةَ، حَتَّى أَعْنَقُوا فِى حَنَادِسِ جَهَالَتِهِ! وَمَهَاوِى ضَلالَتِهِ، ذُلُلاً عَلَى سِيَاقِهِ سُلُسًا فِى قِيَادِهِ، أَمْرًا تَشَابَهَتِ الْقُلُوبُ فِيهِ، وَتَتَابَعَتِ الْقُرُونُ عَلَيْهِ، وَكِبْرًا تَضَايَقَتِ الصُّدُورُ بِهِ أَلاَ فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ مِنْ طَاعَةِ سَادَاتِكُمْ وَكُبَرَائِكُمُ الَّذِينَ تَكَبَّرُوا عَنْ حَسَبِهِمْ، وَتَرَفَّعُوا فَوْقَ نَسَبِهِمْ، وَأَلْقَوُا الْهَجِينَةَ عَلَى رَبِّهِمْ، وَجَاحَدُوا اللهَ عَلَى مَاصَنَعَ بِهِمْ، مُكَابَرَةً لِقَضَائِهِ، وَمُغَالَبَةً لِآلائِهِ!! فَإِنَّهُمْ قَوَاعِدُ أَسَاسِ الْعَصَبِيَّةِ، وَدَعَائِمُ أَرْكَانِ الْفِتْنَةِ، وَسُيُوفُ اعْتِزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَاتَّقُوا اللهَ وَلاَ تَكُونُوا لِنِعَمِهِ عَلَيْكُمْ أَضْدَادًا، وَلاَ لِفَضْلِهِ عِنْدَكُمْ حُسَّادًا! وَلاَ تُطِيعُوا الأَدْعِيَاءَ الَّذِينَ شَرِبْتُمْ بِصَفْوِكُمْ كَدَرَهُمْ، وَخَلَطْتُمْ بِصِحَّتِكُمْ مَرَضَهُمْ، وَأَدْخَلْتُمْ فِى حَقِّكُمْ بَاطِلَهُمْ؛ وَهُمْ أَسَاسُ الْفُسُوقِ، وَأَحْلاَسُ الْعُقُوقِ؛ اتَّخَذَهُمْ إِبْلِيسُ مَطَايَا ضَلاَلٍ، وَجُنْدًا بِهِمْ يَصُولُ عَلَى النَّاسِ، وَتَرَاجِمَةً يَنْطِقُ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ اسْتِرَاقًا لِعُقُولِكُمْ، وَدُخُولاً فِى عُيُونِكُمْ، وَنَفْثًا فِى أَسْمَاعِكُمْ؛ فَجَعَلَكُمْ مَرْمَى نَبْلِهِ، وَمَوْطِىءَ قَدَمِهِ، وَمَأْخَذَ يَدِهِ.

اقول: القصع: ابتلاع الماء والجرّة. وقصعه قصعًا: صغرّه و حقرّه. و قيل: فى معنى تسميتها بذلك: انّه عليه السلام خطب بها اهل الكوفة على ناقة و هى تقصع بجرّتها فسمّيت خطبة القاصعة. و قيل: بل لانّ فيها قصع ابليس و تحقيره.

و اعلم انّ مدار هذه الخطبة على النّهى عن الكبر، والفخر، و مايلزمه من التفرقة والفتنة و وصف الابليس: مستعار لوصفه تعالى بالعزّوالكبرياءُ ،واختياره تعالى لهما يعود الى استحقاقه لهما بالذات اذ الممكن لايليق به التعزّر والتكبّر من حيث هو ممكن محتاج، و خلقه من نور خلقه شفافا او خلقه مجرّداً عن علائق المواد، اى: لو اراد خلقه كذلك لكان مقدورًا له: فلم يخلقه من طين ظلمانى كثيف. والخيلاء: الكبر، وقد اشرنا في الخطبة الاولى الى قصة آدم وهي واضحة هنا. والاحباط: الابطال. وجهده: اجتهاده. وقد صرّح عليه السلام : انّ ابليس كان من الملائكة،وقد اشرنا فى الخطبة الاولى الى وجه الجمع بين ذلك و بين قوله تعالى : (الاّ ابليس كان من الجنّ) [1] والهوادة : الصلح . و قوله فمن ذاالّذى يسلم على الله اى : يرجع اليه سالما . و محل ان يعيدكم: نصب على البدل من عدوّ الله. و خيله ورجله: كناية عن اعوانه الضّالين

١ ـ سورة الكهف / ٥٠.

المضلّين. و استعار لفظ السهم: لما توعدّهم به من التزّين والوسوسة، و مكانه القريب: ما اشاراليه الخبر النبويّ: (انّ الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى الدم)[1]. و قوله صلى الله عليه وآله: (لولا انّ الشياطين يحومون على قلوب بنى آدم لنظروا الى ملكوت السماوات) والغيب: ما غاب عنه فلم يعلمه فقذف بحكم بعيد عن علمه، و هو: الاغواء والاعراف فى النزع استيفاء مدّ السهم، فان قلت: فلم قال،غير مصيب مع انّ ابليس صدق ظنه فى اغواء الناس كما قال تعالى: (ولقد صَدّقَ الى قوله المؤمنين)[2]؟ اجيب من وجهين: احدهما انّه ظن ان اغوائهم يكون منه و كان منهم اختيارا لانّهم احبّوا العمى على الهدى، فغووا عن الطريق وكان ظنّه فى نسبة ذلك اليه غير مصيب، وانّما صدّقوه فى وقوع الغواية منهم وفق ظنه.

الثانى: انّ حكمه بانّه يغوى الخلق اجمعين حكم فاسد عن ظن غير مصيب. وامّا استثناؤه للمخلصين: فكان تصديقا لقوله تعالى (انّ عبادى ليس لك عليهم سلطان[3]) لاعن ظن منه لذلك، والحميّة المذمومة والعصبية فى الباطل. و استعار لفظ الجامحة: للنفوس التى تقوى على ابليس ثم تلين له. و قوله فنجمت الى قوله الحال، اى: فظهرت الحال التى كان يرومها منكم و يظنها فيكم و هى الغواية من القوّة الى الفعل. والطماعية: الطمع. و ولف: مشى ودنا. واقحموكم: ادخلوكم. والولجات: جمع ولجة بالفتح، موضع كالكهف و نحوه تستتر به المارّة من المطر و غيره. والورطة: الارض المطمئنة لاطريق فيها. وانتصب طعنًا و مابعده على المصادر عن افعالها المقدّرة. والخزائم: جمع خزامة بالكسر و هى حلقة من شعر يكون فى انف البعير يشدبها الزمام. والمناصبة: المعاداة. والتألّب: الاجتماع. و حذهم بأسهم وسطوتهم. والرفع فى النسب: كناية عن الوقوع فيه. وحومة الشئ: معظمه و ما استدار منه على كثرة. والمسلحة: قوم ذوسلاح يحفظون الثغر. واراد بالمتكبر على ابن امّه، قابيل حين قتل اخاه هابيل عن حسد و كبر.

قيل: و انّما قال ابن امّه دون ابيه لانّ الوالد الحق هوالام، وامّا الأب فلم يصدر منه غيرالنطفة التى ليست بولدبل جزءا ماديا له. و قوله: والذّمة آثام القاتلين اشارة الى قوله تعالى: (من اجل ذلك كتبنا على بنى اسرائيل[4]) الى قوله تعالى (جميعًا) اى: يكونوا

---

١ ـ الجامع الصغير ٣١١/١. صحيح مسلم ١٧١٢/٤.
٢ ـ سورة سبأ/ ٢٠.
٣ ـ سورة الحجر/ ٤٢. سورة الاسراء/ ٦٥.
٤ ـ سورة المائدة/ ٣٢.

اثمه وعقابه في الشدّة كأثم قاتل الناس جميعا وعقابه. و قول الرسول عليه السلام: (من سنّ سنّة سيّئة فعليه وزرها و وزر من يعمل بها الى يوم القيامة)[1] و قابيل اوّل من سنّ القتل، فلا جرم لزمه آثام القاتلين الى يوم القيامة. والشنآن العداوة. والمصارحة: المكاشفة. والملاقح: جمع ملقح بفتح الميم و هو الفحل. والشنآن: البغضاء. واعنق البعير في السير مدّ عنقه و خطوه. والحنادس: جمع حندس بالكسر و هو الليل شديد الظلمة. والهجينة: الفعل القبيح. والاعتزاء: الانتساب الى أب او قبيلة كقولهم بآل فلان. و استعار لفظ الاضداد لمن يكفر نعمة الله باعتبار بعدها عنه و مفارقته ايّاها بذلك. و لفظ الحساد اذ كافر النعمة كأنّه يطردها عنه بكفرانه لها حاسد. و يحتمل ان يكون نهيًا عن حسد الغير. و قوله و شربتم بصفوكم كدرهم اى: فرّجتم اكدار فتنتهم و رذائلهم بما صفى من دينكم، و خلص فشربتموه و وصف الشرب مستعار. و كذلك قوله: و خلطتم بصحتكم مرضهم اى: بخالص ايمانكم و دينكم نفاقهم و رذائلهم. والحلس: كساء رقيق تحت بردعته[2] و استعار لفظه لهم باعتبار ملازمتهم للعقوق كملازمة الحلس لظهر البعير و نصب استراقا على المفعول له او على المصدر. واراد ينطق على السنتهم: بما يخدعكم به من جهة عقولكم، بالوهميات الكاذبة التى تشبه البديهيات. والعاديات: التى يخدع بها العقل و من جهة ابصاركم كالوسوسة بالمبصرات وتزيّنها و من جهة اسماعكم كتزيّن الجواذب السمعيّة الى الدنيا.

الثانى، فى الأمر بالاعتبار بحال الماضين: و ما اصاب الامم المتكبّرين،و بحال الانبياء و فضلهم فى التواضع و حال اختبار الله المتواضعين من خلقه نصبها بيتا لعبادته و ذلك قوله:

فَاعْتَبِرُوا بِمَا أَصَابَ الْأُمَمَ الْمُسْتَكْبِرِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنْ بَأْسِ اللهِ وَ صَوْلَاتِهِ، وَوَقَائِعِهِ وَمَثُلَاتِهِ، وَاتَّعِظُوا بِمَثَاوِى خُدُودِهِمْ، وَ مَصَارِعِ جُنُوبِهِمْ.

وَاسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنْ لَوَاقِحِ الْكِبْرِ، كَمَا تَسْتَعِيذُونَهُ مِنْ طَوَارِقِ الدَّهْرِ؛ فَلَوْ رَخَّصَ اللهُ فِي الْكِبْرِ لِأَحَدٍ مِنْ عِبَادِهِ لَرَخَّصَ فِيهِ لِخَاصَّةِ أَنْبِيَائِهِ وَ مَلَائِكَتِهِ، وَ لٰكِنَّ اللهَ كَرَّهَ إِلَيْهِمُ التَّكَابُرَ، وَ رَضِىَ لَهُمُ التَّوَاضُعَ، فَأَلْصَقُوا بِالْأَرْضِ خُدُودَهُمْ وَ عَفَّرُوا فِى التُّرَابِ وُجُوهَهُمْ،

1 ـ صحيح مسلم ٧٠٥/٢ وج ٢٠٥٩/٤.   ٢ ـ في نسخة ش: تحت القتب.

وَخَفَضُوا أَجْنِحَتَهُمْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَكَانُوا أَقْوَامًا مُسْتَضْعَفِينَ، وَقَدِ اخْتَبَرَهُمُ اللهُ بِالْمَخْمَصَةِ، وَابْتَلاَهُمْ بِالْمَجْهَدَةِ، وَامْتَحَنَهُمْ بِالْمَخَاوِفِ، وَمَحَّصَهُمْ بِالْمَكَارِهِ، فَلاَ تَعْتَبِرُوا الرِّضَا وَالسُّخْطَ بِالْمَالِ وَالْوَلَدِ جَهْلاً بِمَوَاقِعِ الْفِتْنَةِ، وَالاخْتِبَارِ فِي مَوَاضِعِ الْغِنَى وَالإقْتِدَارِ، وَقَدْ قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى (أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ،[1] بَلْ لاَيَشْعُرُونَ) فَإِنَّ اللهَ ـ سُبْحَانَهُ ـ يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ الْمُسْتَكْبِرِينَ فِي أَنْفُسِهِمْ، بِأَوْلِيَائِهِ الْمُسْتَضْعَفِينَ فِي أَعْيُنِهِمْ.

وَلَقَدْ دَخَلَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ وَمَعَهُ أَخُوهُ هَارُونُ، عَلَيْهِمَا السَّلاَمُ عَلَى فِرْعَوْنَ وَعَلَيْهِمَا مَدَارِعُ الصُّوفِ وَبِأَيْدِيهِمَا الْعِصِيُّ فَشَرَطَا لَهُ إِنْ أَسْلَمَ بَقَاءَ مُلْكِهِ وَدَوَامَ عِزِّهِ فَقَالَ: «أَلا تَعْجَبُونَ مِنْ هٰذَيْنِ يَشْرُطَانِ لِي دَوَامَ الْعِزِّ وَبَقَاءَ الْمُلْكِ وَهُمَا بِمَا تَرَوْنَ مِنْ حَالِ الْفَقْرِ وَالذُّلِّ، فَهَلاَّ أُلْقِيَ عَلَيْهِما أَساوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ؟!» إِعْظَامًا لِلذَّهَبِ وَجَمْعِهِ، وَاحْتِقَارًا لِلصُّوفِ وَلُبْسِهِ. وَلَوْ أَرَادَ اللهُ سُبْحَانَهُ لِأَنْبِيَائِهِ حَيْثُ بَعَثَهُمْ أَنْ يَفْتَحَ لَهُمْ كُنُوزَ الذِّهْبَانِ، وَمَعَادِنَ الْعِقْيَانِ، وَمَغَارِسَ الْجِنَانِ، وَأَنْ يَحْشُرَ مَعَهُمْ طَيْرَ السَّمَاءِ وَوُحُوشَ الْأَرْضِ لَفَعَلَ؛ وَلَوْ فَعَلَ لَسَقَطَ الْبَلاَءُ، وَبَطَلَ الْجَزَاءُ، وَاضْمَحَلَّتِ الْأَنْبَاءُ، وَلَمَا وَجَبَ لِلْقَابِلِينَ أُجُورُ الْمُبْتَلَيْنَ، وَلاَ اسْتَحَقَّ الْمُؤْمِنُونَ ثَوَابَ الْمُحْسِنِينَ، وَلاَ لَزِمَتِ الْأَسْمَاءُ مَعَانِيَهَا، وَلٰكِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ رُسُلَهُ أُولِي قُوَّةٍ فِي عَزَائِمِهِمْ وَضَعَفَةٍ فِيمَا تَرَى الْأَعْيُنُ مِنْ حَالاَتِهِمْ، مَعَ قَنَاعَةٍ تَمْلأُ الْقُلُوبَ وَالْعُيُونَ غِنًى، وَخَصَاصَةٍ تَمْلأُ الْأَبْصَارَ وَالْأَسْمَاعَ أَذًى.

وَلَوْ كَانَتِ الْأَنْبِيَاءُ أَهْلَ قُوَّةٍ لاَ تُرَامُ، وَعِزَّةٍ لاَ تُضَامُ، وَمُلْكٍ تَمْتَدُّ نَحْوَهُ أَعْنَاقُ الرِّجَالِ، وَتُشَدُّ إِلَيْهِ عُقَدُ الرِّحَالِ؛ لَكَانَ ذٰلِكَ أَهْوَنَ عَلَى الْخَلْقِ فِي الإعْتِبَارِ، وَأَبْعَدَ لَهُمْ فِي الإسْتِكْبَارِ، وَلَآمَنُوا عَنْ رَهْبَةٍ قَاهِرَةٍ لَهُمْ، أَوْ رَغْبَةٍ مَائِلَةٍ بِهِمْ، فَكَانَتِ النِّيَّاتُ مُشْتَرَكَةً، وَالْحَسَنَاتُ مُقْتَسَمَةً، وَلٰكِنَّ اللهَ ـ سُبْحَانَهُ ـ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ الإتِّبَاعُ لِرُسُلِهِ، وَالتَّصْدِيقُ بِكُتُبِهِ، وَالْخُشُوعُ لِوَجْهِهِ، وَالإسْتِكَانَةُ لِأَمْرِهِ، وَالإسْتِسْلاَمُ لِطَاعَتِهِ؛ أُمُورًا لَهُ خَاصَّةً لاَ يَشُوبُهَا مِنْ غَيْرِهَا شَائِبَةٌ وَكُلَّمَا كَانَتِ الْبَلْوَى وَالإخْتِبَارُ أَعْظَمَ، كَانَتِ الْمَثُوبَةُ وَالْجَزَاءُ أَجْزَلَ.

أَلاَ تَرَوْنَ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ اخْتَبَرَ الْأَوَّلِينَ مِنْ لَدُنْ آدَمَ، صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ، إِلَى الْآخِرِينَ مِنْ هٰذَا الْعَالَمِ بِأَحْجَارٍ لاَ تَضُرُّ وَلاَ تَنْفَعُ، وَلاَ تَسْمَعُ وَلاَ تُبْصِرُ فَجَعَلَهَا بَيْتَهُ الْحَرَامَ الَّذِي جَعَلَهُ

---

١ ـ سورة المؤمنون / ٥٥.

لِلنَّاسِ قِيَامًا ثُمَّ وَضَعَهُ بِأَوْعَرِ بِقَاعِ الْأَرْضِ حَجَرًا، وَ أَقَلِّ نَتَائِقِ الْأَرْضِ مَدَرًا. وَ أَضْيَقِ بُطُونِ الْأَوْدِيَةِ قُطْرًا: بَيْنَ جِبَالٍ خَشِنَةٍ، وَ رِمَالٍ دَمِثَةٍ، وَ عُيُونٍ وَشِلَةٍ، وَ قُرًى مُنْقَطِعَةٍ، لَا يَزْكُو بِهَا خُفٌّ، وَلَا حَافِرٌ وَلَا ظِلْفٌ، ثُمَّ أَمَرَ آدَمَ وَ وَلَدَهُ، أَنْ يَثْنُوا أَعْطَافَهُمْ نَحْوَهُ، فَصَارَ مَثَابَةً لِمُنْتَجَعِ أَسْفَارِهِمْ، وَ غَايَةً لِمُلْقَى رِحَالِهِمْ. تَهْوِي إِلَيْهِ ثِمَارُ الْأَفْئِدَةِ مِنْ مَفَاوِزِ قِفَارٍ سَحِيقَةٍ، وَمَهَاوِي فِجَاجٍ عَمِيقَةٍ، وَ جَزَائِرِ بِحَارٍ مُنْقَطِعَةٍ، حَتَّى يَهُزُّوا مَنَاكِبَهُمْ ذُلُلاً يُهَلِّلُونَ لِلّهِ حَوْلَهُ، وَيَرْمُلُونَ عَلَى أَقْدَامِهِمْ شُعْثًا غُبْرًا لَهُ، قَدْ نَبَذُوا السَّرَابِيلَ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ، وَشَوَّهُوا بِإِعْفَاءِ الشُّعُورِ مَحَاسِنَ خَلْقِهِم، ابْتِلاءً عَظِيمًا، وَ امْتِحَانًا شَدِيدًا، وَ اخْتِبَارًا مُبِينًا، وَ تَمْحِيصًا بَلِيغًا، جَعَلَهُ اللّٰهُ سَبَبًا لِرَحْمَتِهِ، وَ وُصْلَةً إِلَى جَنَّتِهِ. وَ لَوْ أَرَادَ ـ سُبْحَانَهُ ـ أَنْ يَضَعَ بَيْتَهُ الْحَرَامَ، وَ مَشَاعِرَهُ الْعِظَامَ، بَيْنَ جَنَّاتٍ وَ أَنْهَارٍ، وَسَهْلٍ وَقَرَارٍ، جَمِّ الْأَشْجَارِ، دَانِيَ الثِّمَارِ، مُلْتَفَّ الْبُنَى، مُتَّصِلَ الْقُرَى، بَيْنَ بُرَّةٍ سَمْرَاءَ، وَ رَوْضَةٍ خَضْرَاءَ، وَ أَرْيَافٍ مُحْدِقَةٍ، وَ عِرَاصٍ مُغْدِقَةٍ، وَرِيَاضٍ نَاضِرَةٍ، وَ طُرُقٍ عَامِرَةٍ؛ لَكَانَ قَدْ صَغُرَ قَدْرُ الْجَزَاءِ عَلَى حَسَبِ ضَعْفِ الْبَلاءِ، وَ لَوْ كَانَ الْإِسَاسُ الْمَحْمُولُ عَلَيْهَا، وَالْأَحْجَارُ الْمَرْفُوعُ بِهَا بَيْنَ زُمُرُّدَةٍ خَضْرَاءَ، وَيَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ، وَ نُورٍ وَ ضِيَاءٍ؛ لَخَفَّفَ ذٰلِكَ مُسَارَعَةَ الشَّكِّ فِي الصُّدُورِ، وَ لَوَضَعَ مُجَاهَدَةَ إِبْلِيسَ عَنِ الْقُلُوبِ، وَلَنَفَى مُعْتَلَجَ الرَّيْبِ مِنَ النَّاسِ وَلٰكِنَّ اللّٰهَ يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ بِأَنْوَاعِ الشَّدَائِدِ وَ يَتَعَبَّدُهُمْ بِأَنْوَاعِ الْمَجَاهِدِ، وَيَبْتَلِيهِمْ بِضُرُوبِ الْمَكَارِهِ، إِخْرَاجًا لِلتَّكَبُّرِ مِنْ قُلُوبِهِمْ، وَ إِسْكَانًا لِلتَّذَلُّلِ فِي نُفُوسِهِمْ، وَ لِيَجْعَلَ ذٰلِكَ أَبْوَابًا فُتُحًا إِلَى فَضْلِهِ، وَ أَسْبَابًا ذُلُلاً لِعَفْوِهِ.

فَاللّٰهَ اللّٰهَ فِي عَاجِلِ الْبَغْيِ، وَآجِلِ وَخَامَةِ الظُّلْمِ، وَ سُوءِ عَاقِبَةِ الْكِبْرِ؛ فَإِنَّهَا مَصْيَدَةُ إِبْلِيسَ الْعُظْمَى، وَ مَكِيدَتُهُ الْكُبْرَى، الَّتِي تُسَاوِرُ قُلُوبَ الرِّجَالِ مُسَاوَرَةَ السُّمُومِ الْقَاتِلَةِ، فَمَا تُكْدِي أَبَدًا، وَلَا تُشْوِي أَحَدًا: لَا عَالِمًا لِعِلْمِهِ، وَلَا مُقِلاًّ فِي طِمْرِهِ، وَ عَنْ ذٰلِكَ مَا حَرَسَ اللّٰهُ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِالصَّلَوَاتِ وَالزَّكَوَاتِ، وَ مُجَاهَدَةِ الصِّيَامِ فِي الْأَيَّامِ الْمَفْرُوضَاتِ، تَسْكِينًا لِأَطْرَافِهِمْ، وَ تَخْشِيعًا لِأَبْصَارِهِمْ، وَ تَذْلِيلاً لِنُفُوسِهِمْ، وَ تَخْفِيضًا لِقُلُوبِهِمْ، وَ إِذْهَابًا لِلْخُيَلاءِ عَنْهُمْ؛ لِمَا فِي ذٰلِكَ مِنْ تَعْفِيرِ عِتَاقِ الْوُجُوهِ بِالتُّرَابِ تَوَاضُعًا، وَالْتِصَاقِ كَرَائِمِ الْجَوَارِحِ بِالْأَرْضِ تَصَاغُرًا، وَ لُحُوقِ الْبُطُونِ مِنَ الصِّيَامِ تَذَلُّلاً، مَعَ مَا فِي الزَّكَاةِ مِنْ صَرْفِ ثَمَرَاتِ الْأَرْضِ، وَغَيْرِ ذٰلِكَ إِلَى أَهْلِ الْمَسْكَنَةِ وَالْفَقْرِ. انْظُرُوا إِلَى مَا فِي هٰذِهِ الْأَفْعَالِ مِنْ قَمْعِ نَوَاجِمِ الْفَخْرِ وَ قَدْعِ طَوَالِعِ الْكِبْرِ.

وَ لَقَدْ نَظَرْتُ فَمَا وَجَدْتُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ يَتَعَصَّبُ لِشَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ إِلَّا عَنْ عِلَّةٍ تَحْتَمِلُ تَمْوِيهَ الْجُهَلَاءِ، أَوْ حُجَّةٍ تَلِيطُ بِعُقُولِ السُّفَهَاءِ، غَيْرَكُمْ؛ فَإِنَّكُمْ تَتَعَصَّبُونَ لِأَمْرٍ لَا يُعْرَفُ لَهُ سَبَبٌ وَلَا عِلَّةٌ: أَمَّا إِبْلِيسُ فَتَعَصَّبَ عَلَى آدَمَ لِأَصْلِهِ، وَ طَعَنَ عَلَيْهِ فِي خِلْقَتِهِ. فَقَالَ: (أَنَا نَارِيٌّ وَ أَنْتَ طِينِيٌّ) وَ أَمَّا الْأَغْنِيَاءُ مِنْ مُتْرَفَةِ الْأُمَمِ، فَتَعَصَّبُوا لِآثَارِ مَوَاقِعِ النِّعَمِ؛ فَقَالُوا: (نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَ أَوْلَادًا، وَ مَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ).

فَإِنْ كَانَ لَابُدَّ مِنَ الْعَصَبِيَّةِ فَلْيَكُنْ تَعَصُّبُكُمْ لِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَ مَحَامِدِ الْأَفْعَالِ، وَ مَحَاسِنِ الْأُمُورِ الَّتِي تَفَاضَلَتْ فِيهَا الْمُجَدَاءُ وَالنُّجَدَاءُ مِنْ بُيُوتَاتِ الْعَرَبِ وَ يَعَاسِيبِ الْقَبَائِلِ، بِالْأَخْلَاقِ الرَّغِيبَةِ، وَالْأَحْلَامِ الْعَظِيمَةِ، وَالْأَخْطَارِ الْجَلِيلَةِ، وَالْآثَارِ الْمَحْمُودَةِ. فَتَعَصَّبُوا لِخِلَالِ الْحَمْدِ: مِنَ الْحِفْظِ لِلْجِوَارِ، وَالْوَفَاءِ بِالذِّمَامِ، وَالطَّاعَةِ لِلْبِرِّ، وَالْمَعْصِيَةِ لِلْكِبْرِ، وَ الْأَخْذِ بِالْفَضْلِ، وَالْكَفِّ عَنِ الْبَغْيِ، وَالْإِعْظَامِ لِلْقَتْلِ، وَالْإِنْصَافِ لِلْخَلْقِ، وَالْكَظْمِ لِلْغَيْظِ، وَ اجْتِنَابِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ.

وَ احْذَرُوا مَا نَزَلَ بِالْأُمَمِ قَبْلَكُمْ مِنَ الْمَثُلَاتِ، بِسُوءِ الْأَفْعَالِ، وَ ذَمِيمِ الْأَعْمَالِ، فَتَذَكَّرُوا فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ أَحْوَالَهُمْ، وَ احْذَرُوا أَنْ تَكُونُوا أَمْثَالَهُمْ فَإِذَا تَفَكَّرْتُمْ فِي تَفَاوُتِ حَالَيْهِمْ، فَالْزَمُوا كُلَّ أَمْرٍ لَزِمَتِ الْعِزَّةُ بِهِ شَأْنَهُمْ، وَ زَاحَتِ الْأَعْدَاءُ لَهُ عَنْهُمْ، وَ مُدَّتِ الْعَافِيَةُ فِيهِ بِهِمْ، وَانْقَادَتِ النِّعْمَةُ لَهُ مَعَهُمْ، وَ وَصَلَتِ الْكَرَامَةُ عَلَيْهِ حَبْلَهُمْ مِنَ الِاجْتِنَابِ لِلْفُرْقَةِ، وَاللُّزُومِ لِلْأُلْفَةِ وَالتَّحَاضِّ عَلَيْهَا، وَالتَّوَاصِي بِهَا، وَ اجْتَنِبُوا كُلَّ أَمْرٍ كَسَرَ فِقْرَتَهُمْ وَ أَوْهَنَ مُنَّتَهُمْ: مِنْ تَضَاغُنِ الْقُلُوبِ، وَ تَشَاحُنِ الصُّدُورِ، وَتَدَابُرِ النُّفُوسِ، وَ تَخَاذُلِ الْأَيْدِي، وَتَدَبَّرُوا أَحْوَالَ الْمَاضِينَ الْمُؤْمِنِينَ قَبْلَكُمْ: كَيْفَ كَانُوا فِي حَالِ التَّمْحِيصِ وَالْبَلَاءِ؟ أَلَمْ يَكُونُوا أَثْقَلَ الْخَلَائِقِ أَعْبَاءً، وَ أَجْهَدَ الْعِبَادِ بَلَاءً، وَأَضْيَقَ أَهْلِ الدُّنْيَا حَالًا؟ اتَّخَذَتْهُمُ الْفَرَاعِنَةُ عَبِيدًا، فَسَامُوهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ، وَ جَرَّعُوهُمُ الْمُرَارَ، فَلَمْ تَبْرَحِ الْحَالُ بِهِمْ فِي ذُلِّ الْهَلَكَةِ، وَ قَهْرِ الْغَلَبَةِ: لَا يَجِدُونَ حِيلَةً فِي امْتِنَاعٍ، وَلَا سَبِيلًا إِلَى دِفَاعٍ، حَتَّى إِذَا رَأَى اللهُ جِدَّ الصَّبْرِ مِنْهُمْ عَلَى الْأَذَى فِي مَحَبَّتِهِ، وَالِاحْتِمَالَ لِلْمَكْرُوهِ مِنْ خَوْفِهِ؛ جَعَلَ لَهُمْ مِنْ مَضَايِقِ الْبَلَاءِ فَرَجًا: فَأَبْدَلَهُمُ الْعِزَّ مَكَانَ الذُّلِّ، وَالْأَمْنَ مَكَانَ الْخَوْفِ، فَصَارُوا مُلُوكًا حُكَّامًا، وَ أَئِمَّةً أَعْلَامًا، وَ بَلَغَتِ الْكَرَامَةُ مِنَ اللهِ لَهُمْ مَا لَمْ تَبْلُغِ الْآمَالُ إِلَيْهِ بِهِمْ.

فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانُوا حَيْثُ كَانَتِ الْأَمْلَاءُ مُجْتَمِعَةً، وَالْأَهْوَاءُ مُتَّفِقَةً، وَالْقُلُوبُ

مُعْتَدِلَةٌ، وَالأَيْدِى مُتَرَادِفَةٌ، وَالسُّيُوفُ مُتَنَاصِرَةٌ، وَالْبَصَائِرُ نَافِذَةٌ وَالْعَزَائِمُ وَاحِدَةٌ؟! أَلَمْ يَكُونُوا أَرْبَابًا فِى أَقْطَارِ الأَرَضِينَ، وَمُلُوكًا عَلَى رِقَابِ الْعَالَمِينَ؟؟ فَانْظُرُوا إِلَى مَا صَارُوا إِلَيْهِ فِى آخِرِ أُمُورِهِمْ، حِينَ وَقَعَتِ الْفُرْقَةُ، وَتَشَتَّتَتِ الأُلْفَةُ، وَاخْتَلَفَتِ الْكَلِمَةُ وَالأَفْئِدَةُ، وَتَشَعَّبُوا مُخْتَلِفِينَ، وَتَفَرَّقُوا مُتَحَارِبِينَ، قَدْ خَلَعَ اللهُ عَنْهُمْ لِبَاسَ كَرَامَتِهِ، وَسَلَبَهُمْ غَضَارَةَ نِعْمَتِهِ، وَبَقِىَ قَصَصُ أَخْبَارِهِمْ فِيكُمْ عِبْرَةً لِلْمُعْتَبِرِينَ مِنْكُمْ.

وَاعْتَبِرُوا بِحَالِ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ وَبَنِى إِسْحَاقَ وَبَنِى إِسْرَائِيلَ -عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ- فَمَا أَشَدَّ اعْتِدَالَ الأَحْوَالِ، وَأَقْرَبَ اشْتِبَاهَ الأَمْثَالِ!!!

تَأَمَّلُوا أَمْرَهُمْ فِى حَالِ تَشَتُّتِهِمْ وَتَفَرُّقِهِمْ، لَيَالِىَ كَانَتِ الأَكَاسِرَةُ وَالْقَيَاصِرَةُ أَرْبَابًا لَهُمْ يَحْتَازُونَهُمْ عَنْ رِيفِ الآفَاقِ، وَبَحْرِ الْعِرَاقِ، وَخُضْرَةِ الدُّنْيَا، إِلَى مَنَابِتِ الشِّيحِ، وَمَهَافِى الرِّيحِ، وَنَكَدِ الْمَعَاشِ، فَتَرَكُوهُمْ عَالَةً مَسَاكِينَ إِخْوَانَ دَبَرٍ وَوَبَرٍ، أَذَلَّ الأُمَمِ دَارًا، وَأَجْدَبَهُمْ قَرَارًا، لاَ يَأْوُونَ إِلَى جَنَاحِ دَعْوَةٍ يَعْتَصِمُونَ بِهَا، وَلاَ إِلَى ظِلِّ أُلْفَةٍ يَعْتَمِدُونَ عَلَى عِزِّهَا، فَالأَحْوَالُ مُضْطَرِبَةٌ، وَالأَيْدِى مُخْتَلِفَةٌ، وَالْكَثْرَةُ مُتَفَرِّقَةٌ، فِى بَلاَءِ أَزْلٍ، وَأَطْبَاقِ جَهْلٍ مِنْ بَنَاتٍ مَوْءُودَةٍ، وَأَصْنَامٍ مَعْبُودَةٍ، وَأَرْحَامٍ مَقْطُوعَةٍ، وَغَارَاتٍ مَشْنُونَةٍ.

فَانْظُرُوا إِلَى مَوَاقِعِ نِعَمِ اللهِ عَلَيْهِمْ، حِينَ بَعَثَ إِلَيْهِمْ رَسُولاً، فَعَقَدَ بِمِلَّتِهِمْ طَاعَتَهُمْ، وَجَمَعَ عَلَى دَعْوَتِهِ أُلْفَتَهُمْ، كَيْفَ نَشَرَتِ النِّعْمَةُ عَلَيْهِمْ جَنَاحَ كَرَامَتِهَا، وَأَسَالَتْ لَهُمْ جَدَاوِلَ نَعِيمِهَا، وَالْتَفَّتِ الْمِلَّةُ بِهِمْ فِى عَوَائِدِ بَرَكَتِهَا، فَأَصْبَحُوا فِى نِعْمَتِهَا غَرِقِينَ، وَفِى خُضْرَةِ عَيْشِهَا فَكِهِينَ؟! قَدْ تَرَبَّعَتِ الأُمُورُ بِهِمْ فِى ظِلِّ سُلْطَانٍ قَاهِرٍ، وَآوَتْهُمُ الْحَالُ إِلَى كَنَفِ عِزٍّ غَالِبٍ، وَتَعَطَّفَتِ الأُمُورُ عَلَيْهِمْ فِى ذُرَى مُلْكٍ ثَابِتٍ، فَهُمْ حُكَّامٌ عَلَى الْعَالَمِينَ، وَمُلُوكٌ فِى أَطْرَافِ الأَرَضِينَ: يَمْلِكُونَ الأُمُورَ عَلَى مَنْ كَانَ يَمْلِكُهَا عَلَيْهِمْ، وَيُمْضُونَ الأَحْكَامَ فِيمَنْ كَانَ يُمْضِيهَا فِيهِمْ، لاَ تُغْمَزُ لَهُمْ قَنَاةٌ، وَلاَ تُقْرَعُ لَهُمْ صَفَاةٌ!!

أَلاَ وَإِنَّكُمْ قَدْ نَفَضْتُمْ أَيْدِيَكُمْ مِنْ حَبْلِ الطَّاعَةِ؛ وَثَلَمْتُمْ حِصْنَ اللهِ الْمَضْرُوبَ عَلَيْكُمْ بِأَحْكَامِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَإِنَّ اللهَ -سُبْحَانَهُ- قَدِ امْتَنَّ عَلَى جَمَاعَةِ هَذِهِ الأُمَّةِ فِيمَا عَقَدَ بَيْنَهُمْ مِنْ حَبْلِ هَذِهِ الأُلْفَةِ: الَّتِى يَنْتَقِلُونَ فِى ظِلِّهَا، وَيَأْوُونَ إِلَى كَنَفِهَا -بِنِعْمَةٍ لاَ يَعْرِفُ أَحَدٌ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ لَهَا قِيمَةً: لأَنَّهَا أَرْجَحُ مِنْ كُلِّ ثَمَنٍ، وَأَجَلُّ مِنْ كُلِّ خَطَرٍ.

وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ صِرْتُمْ بَعْدَ الْهِجْرَةِ أَعْرَابًا، وَبَعْدَ الْمُوَالاَةِ أَحْزَابًا، مَا تَتَعَلَّقُونَ

مِنَ الْإِسْلَامِ إِلَّا بِاسْمِهِ، وَلَا تَعْرِفُونَ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَّا رَسْمَهُ!!

تَقُولُونَ «النَّارَ وَلَا الْعَارَ» كَأَنَّكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تُكْفِئُوا الْإِسْلَامَ عَلَى وَجْهِهِ انْتِهَاكاً لِحَرِيمِهِ، وَنَقْضاً لِمِيثَاقِهِ، الَّذِي وَضَعَهُ اللَّهُ لَكُمْ حَرَماً فِي أَرْضِهِ، وَأَمْناً بَيْنَ خَلْقِهِ، وَإِنَّكُمْ إِنْ لَجَأْتُمْ إِلَى غَيْرِهِ حَارَبَكُمْ أَهْلُ الْكُفْرِ، ثُمَّ لَا جَبْرَائِيلُ وَلَا مِيكَائِيلُ وَلَا مُهَاجِرُونَ وَلَا أَنْصَارٌ يَنْصُرُونَكُمْ، إِلَّا الْمُقَارَعَةَ بِالسَّيْفِ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَكُمْ.

وَإِنَّ عِنْدَكُمُ الْأَمْثَالَ مِنْ بَأْسِ اللَّهِ وَقَوَارِعِهِ، وَأَيَّامِهِ وَوَقَائِعِهِ، فَلَا تَسْتَبْطِئُوا وَعِيدَهُ جَهْلاً بِأَخْذِهِ، وَتَهَاوُناً بِبَطْشِهِ، وَيَأْساً مِنْ بَأْسِهِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ -سُبْحَانَهُ- لَمْ يَلْعَنِ الْقَرْنَ الْمَاضِيَ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ إِلَّا لِتَرْكِهِمُ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ، فَلَعَنَ اللَّهُ السُّفَهَاءَ لِرُكُوبِ الْمَعَاصِي، وَالْحُكَمَاءَ لِتَرْكِ التَّنَاهِي، أَلَا وَقَدْ قَطَعْتُمْ قَيْدَ الْإِسْلَامِ، وَعَطَّلْتُمْ حُدُودَهُ، وَأَمَتُّمْ أَحْكَامَهُ.

اقول: المثلات: العقوبات. والمثوى: المقام. ولواقح الكبرياء ما يلحقه من الشبهات والتخيّلات الفاسدة. والمخمصة: المجاعة. والمجهدة: المشقة. والتمحيص: الاختبار. والاقتار: الفقر. والاساورة: جمع اسوار وهو السوار. والعقيان خالص الذهب. والانباء: اخبار السماء. والبلاء الّذى كان يسقط بلاء المتكبّرين بالمستضعفين من اولياء الله اذلامستضعف اذن،وكذلك يسقط بلاء الانبياء بالفقر والصبر على اذى المتكبّرين. و كذلك جزاء العبادات والطاعات بسقوط البلاء بها،اولانّها اذن يكون عن رهبة فيسقط جزاؤها الاخرويّ، و بحسب ذلك كان ينقطع خبر السماء من الوحي لانّ الدنيا والآخرة ضرّتان. والأنبياء عليهم السلام وان كانوا افضل الخلق الّا انّهم محتاجون الى الرياضة بالزهد والاعراض عن الدنيا فى نزول الوحى عليهم، كما هوالمشهور من حالهم عليهم السلام. والمنقول عن نبينا صلى الله عليه وآله من فطام نفسه عن الدنيا و طيّباتها مشهور متواتر. و كذلك لايكون لقائلى كلام الانبياء اجرالمبتلين بهم فى حال ما هم بـزىّ الفقر والمسكنة. و كان لايستحق المؤمنون ثواب المحسنين الى انفسهم بمجاهدة الشيطان عنها، لانّ ايمانهم يومئذ يكون عن رغبة اورهبة. اوثواب المحسنين الى الأنبياء بالايواء والنصر لهم حين البعثة. ولا لزمت الاسماء معانيها اى

لايكون حقائق فيها مثلا من كان يسمى مؤمنا لايكون هذا اللفظ حقيقة فيه اذهو حقيقة في الايمان الخالص القلبي، و هو غير موجود الّا باللسان عن رهبة او رغبة. و كذلك من سميّ مسلمًا او زاهدا اونبيا لارتفاع كل ذلك. والخصاصة: الجوع. و قوله لكان ذلك اهون على الخلق في الاعتبار اى: انّ الانبياء اذا كانوا بزيّ الملوك كان اعتبار الناس بحالهم و رجوعهم اليه اسهل، و كانوا ابعد من الاستكبار عليهم ممّا اذا كانوا بزيّ الفقر. والنيّات مشتركة اى: خالصة لله بل لرهبة او رغبة، ولاكانت حسناتهم في انفسهم و في الانبياء خالصة بل منقسمة بحسب النيّات المختلفة. والوعر: الصعب. والنتائق: جمع نتيقة و هي البقاع المرتفعة، واراد مكة. و كنّي بتتبعها عن شهرتها و علوّها بالنسبة الى ما استسفل عنها من البلاد. و قياما اى: مقيما لأحوال الناس في الآخرة.او بحال اهل مكة باجتماع الناس اليه، والقطر: الجانب. والدمثة: اللينة. والوشلة: قليلة الماء. و ثنى الاعطاف: كناية عن التوجّه والرجوع الى البيت. والمثابة المرجع. والمنتجع اسم المفعول من الانتجاع و هو طلب الماء والكلاء. و تهوى اليه ثمار الافئدة اى: تسقط ثمار كل شيء كما قال: يجبى اليه ثمرات كل شيء،و اضافها الى الافئدة باعتبار انّها مجلوبة اليها. والمفاوز: الفلوات. والسحيقة: البعيدة. والفجاج: الطرق الواسعة. و وصف تلك الطرق بالعمق باعتبار بعدها عن سائر البلاد العالية منحدرة. و هزمناكبهم: حركاتهم في السعي والطواف ونحوهما. والاهلال رفع الصوت بالتلبية. والرمل: الهرولة. والشعث: تفرّق الحال. والسرابيل: القمصان. والمشاعر: مواضع المناسك. والارياف: جمع ريف بالكسر، و هي الارض ذات الزرع والخصب. والمحدقة: المحيطة. والمغدقة: كثيرة الماء والخصب. ومصارعة الشك في الصدور: هوالتشكّك في انّ التكليف بقصد هذه الأحجار حق او باطل. والمعتلج: اسم الفاعل او المفعول على الروايتين من الاعتلاج،و هو مغالبة الشكّ لليقين، والاعتلاج: المصارعة والغلبة. وفتحا: مفتوحة موسّعة،وذللا: سهلة. ووخامة الظلم: سؤعاقبته. والمساورة: المواثبة. والضمير في قوله فانّها: يعود الى الجملة من البغي والظلم والكبر. و قيل: الى الكبر فقط. وانّما انّثه باعتبار جعله ايّاه مصيدة. و مساورة السموم القاتلة اى: للطبيعة الحيوانية. واكدى الحافر: اذا عجز ولم يؤثر في الارض. و اكدت المطالب اعجزت. واشوت الضربة يشوى: اخطأت المقتل.

فمنافاتها للتكبّر ظاهرة. و امّا الزكاة فلأنها شكرالنعمة المالية و شكر النعم ينافى التكبّر عن طاعته. وامّا الصيام فلما فيه مصابرة الجوع والعطش فى الايام الصائفة طاعة لله.و تذلّلا له و ذلك ينافى التكبّرعن طاعته ايضا. و عتائق الوجوه: جمع عتيقة و هى كرائمها و احسانها. وتواجم الفخر بما ظهر منه. والتمويه: التليين. ويليط: يلتصق. والمجداء: جمع ماجد. والنجداء: اهل النجدة والشجاعة. ويعاسيب القبائل: رؤسائها وامراؤها. و قوله بالاخلاق: متعلّق بتفاضلت. والرغبة الشئ: يرغب فيه. و قوله فتذكّروا فى الخير والشّر احوالهم، فحال الخير حين كانوا فى طاعة انبيائهم والالفة الجامعة بينهم. و حال الشرّما انقلبوا اليه عن تلك الحال حتى خالفوا صالح الأعمال و حالفوا ذميم الأفعال. و قوله: من الاجتناب الى قوله والتوصّى بها: تفصيل و تفسير للامر الّذى لزمت العزّة به حالهم اى: عزّت حالهم به وزا حت عنهم اعداؤهم له، ومدّت العافية بهم. والباء فى بهم: للظرفيّة[1]. والتحاض: التحاث. والفقرة الواحدة من خرزات الظهر. والتشاحن: التعادى. والتدابر: التقاطع. والّذين اتّخذتهم الفراعنة عبيدا كيوسف عليه السلام، و كموسى، و هارون، و من آمن معهما من بنى اسرائيل فى مبدأ امرهم، و ابدالهم العزّ بمكان الذّل هو ما امتن الله تعالى عليهم به فى قوله (واذ نجيّنا كم من آل فرعون) الآية[2]. (واذ فرقنابكم البحر) الآية[3]. وامّا كونهم ملوكا و حكّاما و ائمة و اعلاما: فانّ موسى و هارون عليهما السلام بعد هلاك فرعون، و رثا، واستقرّ لهما الملك والدين. وكطالوت، و داود، بعد مجاهدتهما بجالوت كما قال تعالى: (وقتل داود جالوت و آتيٰه الله الملك والحكمة[4]) الآية.

و كذلك لم يزل الملك والنبوّة في سليمان عليه السلام، و ولده الى الأعرج منهم فانّه لم يكن نبيا و قتله ابنه،و كان بخت نصر كاتبه فغضب لذلك و اغتر الإبن حتي قتله و ملك بعده. و نفوذ البصائر: خرقها حجب الشبهات عن الحق واصله اليه و غضارة النعمة:

---

١ ـ في نسخة ش بزيادة: اوللاستصحاب.

٢ ـ سورة البقرة / ٤٩.

٣ ـ سورة البقرة / ٥٠.

٤ ـ سورة البقرة / ٢٥١.

والطمر: الثوب الخلق. وقوله: لاعالما الى قوله طمرة اى: انّ رذيلة الكبر يؤثر في نفس العالم مع علمه والفقير مع فقره، وان كانت حالتهما ينافي ذلك. امّا العالم فنعلمه بأنّه رذيلة ينبغي ان يتجنب،و امّا الفقير فظاهر.

و قوله: وغير ذلك الى قوله تذليلا: تنبيه على الأمور التى حرس الله بها الصالحين من عباده عن هذه الرذيلة و هى الصلوات، والزكوات، ومجاهدة الصيام المفروض. امّا الصلاة طيبها. و ولد اسماعيل: هم العرب من آل قحطان و آل معد، ومن بنى اسحاق اولاد روم بن عيص بن اسحاق. و بنو اسرائيل اولاد يعقوب بن اسحاق. و استيلاء الاكاسرة والقياصرة على العرب قبل ظهور محمد صلى الله عليه و آله ظاهر. وامّا حال بنى اسحاق و اسرائيل فنحو ما جرى لاولاد روم بن عيص من اختلاف النسطورية، واليعقوبية والملكاتية، حتى كان ذلك سببًا لضعفهم و استيلاء القياصرة عليهم في الروم و على بنى اسرائيل فى الشام، وازعاج بخت نصر، لهم عن بيت المقدس في المرّة الثانية كما اشار اليه تعالى بقوله: (فاذا جاء وعد الآخرة لِيَسُوُٓا وجوههم) الآية[1]. و قد كان عزاهم حين افسدوا المرّة الاولى ،كما حكى عنهم تعالى بقوله: (لَتُفسِدُنَّ في الارض مرّتين)[2] فلما تابوا ردّه عنهم ثم احدثوا الثانية، فبعث الله اليهم ارميا فقام فيهم بوحى الله، فضربوه و قيّدوه و سجنوه فغضب الله لذلك و سلط عليهم بخت نصر ثانيا، فقتل منهم و صلب و احرق و سباذراريهم و نسائهم،والّذين فرّوا منهم ارتحلوا الى حدود المدينة، كيهود خيبر و بنى قريظة والنضير وبنى قينقاع. و قوله: فما اشدّ اعتدال الأحوال اى: تساوى احوالكم بأحوالهم فى لزوم الخير لهم بالالفة والاجتماع. و لزوم الشر بتفرّق الكلمة. و مها فى الريح مواضعها اى: حركتها اى هي البرارى والقفار. والنكد. شدّة العيش و قلته. و العالة: جمع عائل و هوالفقير والعيلة: الفقر. و استعار لفظ الجناح للدعوة الحاملة لهم. والازل: الشدّة. والمؤودة: البنت،و قد كانت العرب تقتل البنات حين يولدن لهم و اليه الاشارة بقوله تعالى: (و اذا المؤودة سُئِلَتْ بايّ ذنب قتلت)[3]. و شن الغارة فرقها. والرسول المبعوث اليهم محمد صلى الله عليه و آله. و قوله:والتفت الى قوله:بركتها اى و اشتملت عليهم فى بركتها.

---

١ ـ سورة الاسراء / ٧. ٢ ـ سورة الاسراء / ٤. ٣ ـ سورة التكوير / ٩.

والفكاهة: طيب النفس و السرور. و ترفعت: تمكّنت. والسلطان القاهر: سلطان الاسلام. و كنى بعدم غمز قناتهم عن قوّتهم، و عدم انقهارهم للغير، و كذلك بعدم قرع صفاتهم و نقض الأيدى من حبل الطاعة: كناية عن تركها. و حصن الله: الاسلام. ووبّخهم بصيرورتهم اعرابًا بعد الهجرة لنقصان الاعرابى عن رتبة الصحابة فضلا عن المهاجرين. والاحزاب الفرق تنقسم لمحاربة الانبياء و اوصيائهم. و لما انقسم هؤلاء الى مارقين، و ناكثين، و قاسطين، و حاربوه كانوا اخوانا. و قولهم: النار و لا العار: كلمة تقرّلها اهل الكبر والانفة من احتمال الاذى والضيم لأنفسهم،او لقولهم فى الاستنهاض للفتنة. والنار والعار: منصوبان بفعلين مضمرين. وكفأتُ الأناء كببته لوجهه. و قوله فانّكم الى قوله:بينكم تحذير من الاعتماد على عزّالاسلام من حمية او شجاعة او كثرة قبيلة مع الخروج عن سلطان الدّين، و التغرّربه لاستلزام ذلك خذلان الملائكة لهم، والخروج عن الهجرة والنصرة. و نصب جبرئيل و ميكائيل، على انّهما اسمان ملاحظا فيهما التنكير،والاستثناء منقطع. والأمثال التى عندهم: هو ما ضربه الله لهم من الأمثال بالقرون الماضية عند خروجهم عن طاعة انبيائهم، والتفرّق فى دينهم و بالله التوفيق.

الثالث فى اقتصاصه عليه السلام بحاله فى تكليفه، و شرح حاله مع رسول الله صلى الله عليه وآله من اوّل عمره والتّنبيه على موضعه منه، و ذلك قوله:

أَلاَ وَ قَدْ أَمَرَنِيَ ٱللهُ بِقِتَالِ أَهْلِ الْبَغْيِ وَالنَّكْثِ، والْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ: فَأَمَّا النَّاكِثُونَ فَقَدْ قَاتَلْتُ، وَ أَمَّا الْقَاسِطُونَ فَقَدْ جَاهَدْتُ، وَ أَمَّا الْمَارِقَةُ فَقَدْ دَوَّخْتُ، وَ أَمَّا شَيْطَانُ الرَّدْهَةِ فَقَدْ كُفِيتُهُ بِصَعْقَةٍ سُمِعَتْ لَهَا وَجْبَةُ قَلْبِهِ وَ رَجَّةُ صَدْرِهِ، وَ بَقِيَتْ بَقِيَّةٌ مِنْ أَهْلِ الْبَغْيِ وَ لَئِنْ أَذِنَ ٱللهُ فِي الْكَرَّةِ عَلَيْهِمْ لأُدِيلَنَّ مِنْهُمْ، إلاَّ مَا يَتَشَذَّرُ فِي أَطْرَافِ الْبِلاَدِ تَشَذُّرًا.

أَنَا وَضَعْتُ فِي الصِّغَرِ بِكَلاَ كِلِ الْعَرَبِ، وَكَسَرْتُ نَوَاجِمَ قُرُونِ، رَبِيعَةَ وَمُضَرَ، وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ ٱللهِ ـ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ـ بِالْقَرَابَةِ الْقَرِيبَةِ وَالْمَنْزِلَةِ الْخَصِيصَةِ، وَضَعَنِي فِي حِجْرِهِ وَأَنَا وَلِيدٌ يَضُمُّنِي إِلَى صَدْرِهِ، وَيَكْنُفُنِي فِي فِرَاشِهِ، وَيُمِسُّنِي جَسَدَهُ، وَيُشِمُّنِي عَرْفَهُ، وَكَانَ يَمْضَغُ الشَّيْءَ ثُمَّ يُلْقِمُنِيهِ، وَمَا وَجَدَ لِي كَذْبَةً فِي قَوْلٍ، وَلاَخَطْلَةً فِي فِعْلٍ، وَلَقَدْ قَرَنَ ٱللهُ بِهِ، صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ، مِنْ لَدُنْ أَنْ كَانَ فَطِيمًا

أعْظَمَ مَلَكٍ مِنْ مَلاَئِكَتِهِ؛ يَسْلُكُ بِهِ طَرِيقَ الْمَكَارِمِ، وَمَحَاسِنِ أَخْلاَقِ الْعَالَمِ، لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ، وَلَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ اتِّبَاعَ الْفَصِيلِ أَثَرَ أُمِّهِ، يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلاَقِهِ عَلَمًا، وَيَأْمُرُنِي بِالاقْتِدَاءِ بِهِ، وَلَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِي كُلِّ سَنَةٍ بِحِرَاءَ، فَأَرَاهُ وَلاَيَرَاهُ غَيْرِي، وَلَمْ يُجْمَعْ بَيْتٌ وَاحِدٌ يَوْمَئِذٍ فِي الْإِسْلاَمِ غَيْرَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَخَدِيجَةَ، وَأَنَا ثَالِثُهُمَا، أَرَى نُورَ الْوَحْيِ وَالرِّسَالَةِ، وَأَشُمُّ رِيحَ النُّبُوَّةِ.

وَلَقَدْ سَمِعْتُ رَنَّةَ الشَّيْطَانِ حِينَ نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَيْهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَاهٰذِهِ الرَّنَّةُ؟ فَقَالَ: «هٰذَا الشَّيْطَانُ أَيِسَ مِنْ عِبَادَتِهِ، إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ، وَتَرَى مَا أَرَى، إِلاَّ أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيٍّ، وَلٰكِنَّكَ وَزِيرٌ، وَإِنَّكَ لَعَلَى خَيْرٍ». وَلَقَدْ كُنْتُ مَعَهُ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، لَمَّا أَتَاهُ الْمَلأُ مِنْ قُرَيْشٍ، فَقَالُوا لَهُ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّكَ قَدِ ادَّعَيْتَ عَظِيمًا لَمْ يَدَّعِهِ آبَاؤُكَ وَلاَ أَحَدٌ مِنْ بَيْتِكَ، وَنَحْنُ نَسْأَلُكَ أَمْرًا إِنْ أَجَبْتَنَا إِلَيْهِ، وَأَرَيْتَنَاهُ عَلِمْنَا أَنَّكَ نَبِيٌّ وَرَسُولٌ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ عَلِمْنَا أَنَّكَ سَاحِرٌ كَذَّابٌ. فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: وَمَا تَسْأَلُونَ؟ قَالُوا: تَدْعُو لَنَا هٰذِهِ الشَّجَرَةَ حَتَّى تَنْقَلِعَ بِعُرُوقِهَا وَتَقِفَ بَيْنَ يَدَيْكَ. فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فَإِنْ فَعَلَ اللهُ لَكُمْ ذٰلِكَ أَتُؤْمِنُونَ وَتَشْهَدُونَ بِالْحَقِّ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: فَإِنِّي سَأُرِيكُمْ مَا تَطْلُبُونَ، وَإِنِّي لأَعْلَمُ أَنَّكُمْ لاَ تَفِيئُونَ إِلَى خَيْرٍ، وَإِنَّ فِيكُمْ مَنْ يُطْرَحُ فِي الْقَلِيبِ، وَمَنْ يُحَزِّبُ الْأَحْزَابَ، ثُمَّ قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: يَا أَيَّتُهَا الشَّجَرَةُ إِنْ كُنْتِ تُؤْمِنِينَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَتَعْلَمِينَ أَنِّي رَسُولُ اللهِ فَانْقَلِعِي بِعُرُوقِكِ حَتَّى تَقِفِي بَيْنَ يَدَيَّ بِإِذْنِ اللهِ. وَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لاَنْقَلَعَتْ بِعُرُوقِهَا وَجَاءَتْ وَلَهَا دَوِيٌّ شَدِيدٌ، وَقَصْفٌ كَقَصْفِ أَجْنِحَةِ الطَّيْرِ، حَتَّى وَقَفَتْ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، مُرَفْرِفَةً، وَأَلْقَتْ بِغُصْنِهَا الْأَعْلَى عَلَى رَسُولِ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَبِبَعْضِ أَغْصَانِهَا عَلَى مَنْكِبِي وَكُنْتُ عَنْ يَمِينِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا نَظَرَ الْقَوْمُ إِلَى ذٰلِكَ قَالُوا عُلُوًّا وَاسْتِكْبَارًا: فَمُرْهَا فَلْيَأْتِكَ نِصْفُهَا وَيَبْقَى نِصْفُهَا، فَأَمَرَهَا بِذٰلِكَ فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ نِصْفُهَا كَأَعْجَبِ إِقْبَالٍ وَأَشَدِّهِ دَوِيًّا، فَكَادَتْ تَلْتَفُّ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا كُفْرًا وَعُتُوًّا: فَمُرْ هٰذَا النِّصْفَ فَلْيَرْجِعْ إِلَى نِصْفِهِ كَمَا كَانَ، فَأَمَرَهُ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَرَجَعَ فَقُلْتُ أَنَا: لاَإِلٰهَ إِلاَّ اللهُ، فَإِنِّي أَوَّلُ مُؤْمِنٍ بِكَ يَا رَسُولَ اللهِ، وَأَوَّلُ مَنْ أَقَرَّ بِأَنَّ الشَّجَرَةَ فَعَلَتْ مَا فَعَلَتْ بِأَمْرِ اللهِ تَصْدِيقًا بِنُبُوَّتِكَ وَإِجْلاَلاً لِكَلِمَتِكَ، فَقَالَ الْقَوْمُ

كُلُّهُمْ: بَلْ سَاحِرٌ كَذَّابٌ! عَجِيبُ السِّحْرِ خَفِيفٌ فِيهِ، وَهَلْ يُصَدِّقُكَ فِي أَمْرِكَ إِلَّا مِثْلُ هٰذَا؟! (يَعْنُونَنِي) وَإِنِّي لَمِنْ قَوْمٍ لَا تَأْخُذُهُمْ فِي ٱللهِ لَوْمَةُ لَائِمٍ: سِيمَاهُمْ سِيمَا الصِّدِّيقِينَ، وَكَلَامُهُمْ كَلَامُ الْأَبْرَارِ، عُمَّارُ اللَّيْلِ وَمَنَارُ النَّهَارِ، مُتَمَسِّكُونَ بِحَبْلِ الْقُرْآنِ، يُحْيُونَ سُنَنَ ٱللهِ وَسُنَنَ رَسُولِهِ، لَايَسْتَكْبِرُونَ وَلَايَعْلُونَ وَلَايَغُلُّونَ، وَلَايُفْسِدُونَ: قُلُوبُهُمْ فِي الْجِنَانِ، وَأَجْسَادُهُمْ فِي الْعَمَلِ.

اقول: اهل البغى: أهل الشام. و أهل النكث: أصحاب الجمل، و اهل الفساد. والمارقة: الخوارج و تسمية الاوّلين بغاة لقوله تعالى: (فان بغت إحديٰهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغى)[1] وَسُمِّيَ الناكثون بذلك: لنكثهم بيعته. وامّا المارقون: فلقوله صلى الله عليه و آله: لذى الثدية من الخوارج، يخرج من ضيضى هذا، اى: من اصله قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرّمية. و امّا امرالله تعالى اياه بقتال هذه الفرق، فلما ثبت عن الرسول صلى الله عليه و آله انّه قال: انّك ستقاتل بعدى الناكثين والقاسطين والمارقين، وهو اخبار فى معنى الامر، و امر الرسول صلى الله عليه وآله من امر ربّه و يحتمل ان يكون ذلك الامر فى قوله تعالى: (فقاتلوا التى تبغى) و قوله: (انّما جزاء الذين يحاربون الله و رسوله و يسعون فى الارض فسادا)[2] الآية. و دوّخت: قهرت و اذللت. الردهة: النقرة تكون في الجبل يجتمع فيه الماء. و امّا شيطان الردهة فقيل: اراد به ذاالثدية، و كونه شيطانا باعتبار اغوائه لأصحابه. واضافته الى الردهة لانّه وجد قتيلا فى نقرة فيها ماء، بعد قتل الخوارج، و امّا الصعقة، فقيل: انّ ذا الثدية اصابه من خوفه عليه السلام غَشيٌ، و قيل: يحتمل ان يريد الشيطان المعهود، و هو و ان كان لايرى بحسّ البصر الّا انّ الانبياء والأولياء عليهم السلام قديشاهدون الامور المجرّدة والمعانى المعقولة كالملائكة والجن، والشيطان، فى صورة محسوسة باستعانة من القوّة المتخيّلة والوهمية كما قرّر فى مظانه. فيحتمل ان يقال: انّه عليه السلام رأى الشيطان بصورة محسوسة، و لما كان فى مقام العصمة و ملكة النصر على الشيطان، و قهره وابعاده سمع من جلباب العزّة صيحة العذاب ارسلت على الشيطان، فسمع لها وجيب قلبه و رجّة صدره، كما سمع رنّته

---

[1] ـ سورة الحجرات / ٩.   [2] ـ سورة المائدة / ٣٣.

فيما يحكيه في آخرالكلام.

و قيل: اراد به شيطانا من شياطين الجنّ الّذين قاتلهم في البئر. و اراد بالردهة: البئر المعهودة والبقية من اهل البغي، كمعاوية، و من بقي من اصحابه بعد وقائع صفين. و قوله: لأديلَنَّ منهم اي: لأغلبنّهم. والادالة: الغلبة. وهذا الحكم منه عليه السلام ثقة بقوله: (ولينصرنّ الله من ينصره) و اذن الله اشارة: الى توفيقه لأسباب العود اليهم. والتشذّر: التفرّق. و استعار لفظ الكلاكل وهي: الصدور لاكابرالعرب: و رؤساء القبائل الذين قتلهم في صدرالاسلام. و وضعت بهم اي: اوقعت بهم القتل والاذلال. و قيل: الباء زائدة. و لفظ القرون لأكابر ربيعة و مضر، ونواجمها: من ظهر منهم واشتهر. و قوله: و قد علمتم الى آخره: ذكر لفضيلته و قربه من رسول الله صلّى الله عليه و آله لغاية طاعته. و كنفه يكنفه اي: ضمّه واحاطه. و الخطلة: السيئة من قول و فعل و أشار بأعظم ملك الى جبرئيل عليه السلام. و حرّاء بالكسر و المدّ جبل بمكة يذكّر و يؤنث. و استعار لفظ النور: لما يشاهده بعين بصيرته، من اسرار الوحي والرسالة و علوم التنزيل و دقائق التأويل. واشرافها على نفسه القدسيّة. و لفظ الريح لما ادركه من ذلك. و امّا سماعه لرنّة الشيطان فهو انّ نفسه القدسيّة اخذت معنى الشيطان مقرونا بمعنى اليأس من اتباع الناس لأمره والحزن على ذلك. و كسته المتخيّلة صورة حزين صارخ و حطته الى لوح الخيال، فصار مسموع الرنّة كما رآه النبي عليه السلام. والقصف: صوت جناح الطائر. و في قوله: و لقد كنت معه الى قوله يعنونني: نقل لاربع معجزات للنبي صلى الله عليه و آله، و هو اخباره: انّ السائلين لايفيئون الى خير اي: لا يرجعون. وانّ منهم من يطرح في القليب، و هو قليب بدر، فمنهم عتبة،و شيبة، ابنا ربيعة، و اميّة بن عبد شمس، و ابوجهل،والوليد بن المغيرة، طرحوا فيه بعد انقضاء الحرب. و من يحزب الاحزاب كأبي سفيان، و عمروبن عبد ودّ، و صفوان بن امية،و عكرمة بن ابي جهل.

الثانية اجابة الشجرة لدعائه و هو مشهور في كتب المحدّثين، و نقله المتكلمون في معجزاته صلى الله عليه و آله.

الثالثة اجابة نصفها لدعائه مع بقاء نصفها.

الرابعة عود ذلك النصف الى موضعه و سرّه، ما علمت انّ نفوس الانبياء

عليهم السلام لها التصرّف في هيولى عالم الكون والفساد، بفعل ما يخرج عن وسيع مثلهم. وخطابه للنبات خطاب من يعقل: مجاز باعتبار اجابته لدعوته، كالعاقل وهذا الخطاب على رأى الاشعريّ جائز ان يكون حقيقة اذ لا يجعلون البيّنة شرطاً في الحياة ومايتعلق بها من السمع والفهم. و امّا على رأى المعتزلة فقيل: الخطاب لله فكأنه قال: (اللهم ان كنت صادقا في رسالتك فاجعل ما سألت من هذه الشجرة مصدّقا الى) و عدم لومة اللائم في الله: كناية عن لزوم طاعته، و الصدّيقون هم ملازموا الصدق في الأقوال والأفعال طاعة لله. وسيماهم: علامتهم.و كلام الأبرار الامر بالمعروف و النهى عن المنكر. والذكر الدائم لمعبودهم،و عمارتهم الليل قيامهم فيه بالعبادة، و كونهم منارا بالنهار اى: اعلاما باعتبار هدايتهم للخلق الى طريق الحق. والغلول: الخيانة. و قلوبهم في الجنان اى: يشاهدون بأسرارهم و نفوسهم القدسيّة ما اعدّ فيها من الخيرات الباقية وان كانت ابدانهم في الدنيا مشغولة بعبادة ربّهم والعمل له و بالله التوفيق.

٢٣٤ ـ وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

في شأن الحكمين، وذم أهل الشام

جُفَاةٌ طَغَامٌ، عَبِيدٌ أَقْزَامٌ، جُمِّعُوا مِنْ كُلِّ أَوْبٍ، وَتُلُقِّطُوا مِنْ كُلِّ شَوْبٍ، مِمَّنْ يَنْبَغِي أَنْ يُفَقَّهَ وَيُؤَدَّبَ، وَيُعَلَّمَ وَيُدَرَّبَ، وَيُوَلَّى عَلَيْهِ، وَيُؤْخَذَ عَلَى يَدَيْهِ، لَيْسُوا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَلَا مِنَ الَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ.

الَا وَإِنَّ الْقَوْمَ اخْتَارُوا لِأَنْفُسِهِمْ أَقْرَبَ الْقَوْمِ مِمَّا يُحِبُّونَ، وَإِنَّكُمُ اخْتَرْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ أَقْرَبَ الْقَوْمِ مِمَّا تَكْرَهُونَ، وَإِنَّمَا عَهْدُكُمْ بِعَبْدِ اللهِ بْنِ قَيْسٍ بِالْأَمْسِ يَقُولُ «إِنَّهَا فِتْنَةٌ فَقَطِّعُوا أَوْتَارَكُمْ، وَشِيمُوا سُيُوفَكُمْ» فَإِنْ كَانَ صَادِقًا، فَقَدْ أَخْطَأَ بِمَسِيرِهِ غَيْرَ مُسْتَكْرَهٍ، وَإِنْ كَانَ كَاذِبًا فَقَدْ لَزِمَتْهُ التُّهَمَةُ، فَادْفَعُوا فِي صَدْرِ عَمْرِوبْنِ الْعَاصِ بِعَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ، وَخُذُوا مَهَلَ الْأَيَّامِ، وَحُوطُوا قَوَاصِيَ الْإِسْلَامِ.

أَلَا تَرَوْنَ إِلَى بِلَادِكُمْ تُغْزَى، وَإِلَى صَفَاتِكُمْ تُرْمَى.

أقول: الجفاة: غلاظ الطباع.والطغام: اوغاد الناس و أراذلهم. والاقزام: جمع قزم بفتح الزاء وهوالرّذال الدّنى من الناس. والاوب: الناحية. والشوب: الخلط. و يدرّب: يعوّد بالعادات الجميلة: و يولّى عليه و يؤخذ على يديه: كنايتان عن سفهه و وجوب الحجر عليه. و اراد بالدار: مدينة الرسول صلى الله عليه و آله. و تبوّؤها: نزولها اى: ليسوا من الانصار الذين اسلموا بالمدينة قبل الهجرة و ابتنوا بها المساجد. و فى بعض النسخ والايمان، ووصفه بكونه متبوّاً مستعارا تشبيها له بالمنزل، باعتبار انّهم ثبتوا عليه و سكنت قلوبهم اليه. و اراد بالقوم: اهل الشام، والّذى اختاره لانفسهم هو عمرو بن العاص فانّهم اختاروه للحكومة و ما يحبّونه هوالنصرة على اهل العراق، والّذى اختاره اهل العراق هو ابو موسى الاشعرى، وكان اقرب القوم بما يكرهون من صرف الأمر عنهم لانحرافه عنه عليه السلام. و قوله: انّها فتنة فالضمير لحرب على عليه السلام لاهل الشام، و اصحاب الجمل. و شيموا سيوفكم اى اغمدوها. و مهل الايام: فسحتها لما ينبغى أن يعمل فيها. وحياطة قواصى الاسلام حفظ اطراف بلاده كاطراف الحجاز والعراق والجزيرة، و رمى صفاتهم كناية عن طمع العدوّ فيهم وايقاع الغارة ببلادهم. و بالله التوفيق.

٢٣٥ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

يذكر فيها آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم

هُمْ عَيْشُ الْعِلْمِ، وَمَوْتُ الْجَهْلِ، يُخْبِرُكُمْ حِلْمُهُمْ عَنْ عِلْمِهِمْ، وَصَمْتُهُمْ عَنْ حِكَمِ مَنْطِقِهِمْ: لَايُخَالِفُونَ الْحَقَّ، وَلَايَخْتَلِفُونَ فِيهِ، هُمْ دَعَائِمُ الْإِسْلَامِ، وَوَلَائِجُ الاِعْتِصَامِ، بِهِمْ عَادَالْحَقُّ فِى نِصَابِهِ، وَانْزَاحَ الْبَاطِلُ عَنْ مَقَامِهِ، وَانْقَطَعَ لِسَانُهُ عَنْ مَنْبِتِهِ، عَقَلُوا الدِّينَ عَقْلَ وِعَايَةٍ وَرِعَايَةٍ، لَاعَقْلَ سَمَاعٍ وَ رِوَايَةٍ، فَإِنَّ رُوَاةَ الْعِلْمِ كَثِيرٌ، وَرُعَاتَهُ قَلِيلٌ.

اقول: عيش العلم: حياته، و يجوز فيهم بلفظ العيش باعتبار انّهم سببه، و كذلك لفظ موت الجهل و اخبار حلمهم عن علمهم: دلالته عليه دلالة الالتزام، لانّ حلمهم فى مواضعه فهو يستلزم العلم بمواضعه، و كذلك دلالة صمتهم عن حكمتهم لانّ السكون فى

موضعه حكمة، و علم بما ينبغى من الصمت والقول. و عدم اختلافهم فى الحق: كناية عن كمال علمهم به، وا ستعار لفظ الدعائم، و لفظ الولائج: جمع وليجة وهى الموضع يعتصم بدخوله، باعتبارأنّ قيام الاسلام بهم و انّ الخلق يعتصمون بالدخول فى طاعتهم و هدايتهم الى الله. والنصاب: الاصل. و بالله التوفيق.

٢٣٦ ـ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

قاله لعبدالله بن عباس ـ رحمهما الله ـ وقد جاءه برسالة من عند عثمان وهو محصور يسأله فيها الخروج الى ماله بينبع ليَقُلَّ هتفُ الناس بإسمه للخلافه بعد أن كان سأله مثل ذلك من قبل، فقال ـ عليه السلام ـ:

يَاآبْنَ عَبَّاسٍ، مَايُرِيدُ عُثْمَانُ إلَّا أَنْ يَجْعَلَنِي جَمَلاً نَاضِحًا بِالْغَرْبِ أُقْبِلْ وَادْبِرْ: بَعَثَ إلَيَّ أَنْ أَخْرُجَ، ثُمَّ بَعَثَ إلَيَّ أَنْ أَقْدُمَ، ثُمَّ هُوَالآنَ يَبْعَثُ إلَيَّ أَنْ أَخْرُجَ، وَٱللهِ لَقَدْ دَفَعْتُ عَنْهُ حَتَّى خَشِيتُ أَنْ أَكُونَ آثِمًا.

اقول ينبع[1]: قرية صغيرة من اعمال المدينة. والناضح: الجمل يستبقى عليه. والغرب: الدلو العظيمة. و استعار لفظ الناضح له، و وجه الاستعارة قوله: اقبل و ادبر. و كان بعث اليه اِنِ اَخرُجْ الى القوم و كلّمهم حتى أخرُجَ اليهم من مظالمهم.

٢٣٧ ـ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

يحث أصحابه على الجهاد

وَٱللهُ مُسْتَأْدِيكُمْ شُكْرَهُ، وَمُوَرِّثُكُمْ أَمْرَهُ، وَمُمْهِلُكُمْ فِي مِضْمَارٍ مَحْدُودٍ، لِتَتَنَازَعُوا سَبَقَهُ. فَشُدُّوا عُقَدَ الْمَآزِرِ، وَأَطْوُوا فُضُولَ الْخَوَاصِرِ، لَا تَجْتَمِعُ عَزِيمَةٌ وَوَلِيمَةٌ، مَا أَنْقَضَ النَّوْمَ لِعَزَائِمِ الْيَوْمِ، وَأَمْحَى الظُّلَمَ لِتَذَاكِيرِ الْهِمَمِ!!

١ ـ معجم البلدان ٥/ ٤٤٩.

اقول: استيداء: شكره طلب ادائه على نعمه، وأمره سلطانه في الارض الـذى كان فيـمن سلف من اهل طاعتـه. و المضمار: الموضع والزمان يضمر فيه الخيل للسباق، و استعار لفظه لمدّة الحياة الدنيا باعتبار استعدادهم فيها بتقوى الله لغاية السبق اليه، و غاية ذلك الامهال ان يتنازعوا سبقه والسبق والسبقة: ما تسبق اليه من خطر. والضمير فى سبقة، للمضمار اذغايته ذلك، و سبقه هوالجنة و اراد بالتنازع: ما يعرض للسالكين من حرص كل امرئ منهم على ان يكون هوالأكمل فى طاعة الله الفائز بقصب السبق اليه، و شدّ عقد المآزر: كناية عن التشمير والجدّ فى الطاعة، و طيّهم لفضول الخواصر: كناية عن تقليل المآكل والمشارب. والاقتصار على الاقتصاد فى متاع الدنيا. و قوله: لا تجتمع عزيمة و وليمة ما انقضّ النوم لعزائم اليوم مَثَلٌ، و اصله، انّ الانسان يعزم فى النهار على المسير بالليل لتقريب المنزل، فاذا جاء الليل نام الى الصباح فينتقضّ بذلك عزمه، فضربه مثلا لمن يعزم على تحصيل معالى الامور ثم يلزم الأناة فى ذلك،و اراد انّ حبكم للدعة والراحة من مشقة الجهاد: ينتقض بما تعزمون على تحصيله من السعادة فى الدنيا والآخرة. و كذلك قوله: و امحى الظلم لتذاكير الهمم و اصله انّ الرجل تبعثه همّته فى مطالبه على المسير بالليل، فاذا جن الظلام ادركه الكسل و غلبه حبّ النوم على ذكر مطالبه و صرفه عنها، فضرب مثلا لمن يدعوه الداعى الى امر و يهتمّ به، ثم يعرض له ادنى صارف فيصرفه عنه و هو كالّذى قبله. و بالله التوفيق.

٢٣٨ ـ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

اقتص فيه ذكر ما كان منه بعد هجرة النبى صلى الله عليه وآله، ثم لحاقه به:
فَجَعَلْتُ أَتْبَعُ مَأْخَذَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَأَطَأُ ذِكْرَهُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى الْعَرَجِ (فى كلام طويل)

قال الشريف: قوله عليه السلام «فأطأ ذكره» من الكلام الذى رمى به إلى غايتى الإيجاز والفصاحة، أراد إنى كنت أعطى خبره، صلى الله عليه وآله و سلم من بدء خروجى إلى أن انتهيت إلى الموضع، فكنى عن ذلك بهذه الكناية العجيبة.

اقول : الفصل من كلام يحكى فيه حاله فى خروجه من مكة الى المدينة، بعد هجرة النبى صلى الله عليه و آله[1] اليها. و كان قد تخلف عنه بمكة لقضاء دينه، و ما امره به ثم لحق به فجاء المدينة راجلا (قد تورّمت قدماه)[2] و قد نزل على ابى ايّوب الانصارى بالمدينة و مأخذه الجهة التى سلكها. والعرج: موضع، و استعار وصف الوطى: لوقوع قدم ذهنه على ذكره، والعلم بخبره صلى الله عليه و آله من الناس فى تلك الطريق. و قيل: اراد بذكره ما ذكره و وصفه من الطريق و حالها. و بالله التوفيق[3].



١ ـ نسخة ش: عليه السلام.

٢ ـ هذه الجملة غير موجودة في ش.

٣ ـ في نسخة ش بزيادة: والعصمة.

باب المختار من كتب مولانا أمير المؤمنين عليه السلام[1]

إلى أعدائه وأمراء بلاده

ويدخل في ذلك ما اختير من عهوده الى عماله و وصاياه لاهله و اصحابه

١ ـ مِنْ كِتابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

لأهل الكوفة، عند مسيره من المدينة إلى البصرة.

مِنْ عَبْدِ ٱللهِ عَلَى أميرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ جَبْهَةِ الْأَنْصارِ وَسَنَامِ الْعَرَبِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أُخْبِرُكُمْ عَنْ أَمْرِ عُثْمَانَ حَتَّى يَكُونَ سَمْعُهُ كَعِيَانِهِ؛ إِنَّ النَّاسَ طَعَنُوا عَلَيْهِ فَكُنْتُ رَجُلاً مِنَ الْمُهَاجِرِينَ أُكْثِرُ ٱسْتِعْتَابَهُ، (وَ أُقِلُّ عِتَابَهُ) وَكَانَ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ أَهْوَنُ سَيْرِهِمَا فِيهِ الْوَجِيفُ، وَأَرْفَقُ حِدَائِهِمَا الْعَنِيفُ، وكَانَ مِنْ عَائِشَةَ فِيهِ فَلْتَةُ غَضَبٍ، فَأُتِيحَ لَهُ قَوْمٌ فَقَتَلُوهُ، وَبَايَعَنِي النَّاسُ غَيْرَ مُسْتَكْرَهِينَ وَلَا مُجْبَرِينَ، بَلْ طَائِعِينَ مُخَيَّرِينَ.

وَٱعْلَمُوا أَنَّ دَارَ الْهِجْرَةِ قَدْ قَلَعَتْ بِأَهْلِهَا وَقَلَعُوا بِهَا، وَجَاشَتْ جَيْشَ الْمِرْجَلِ، وَقَامَتِ الْفِتْنَةُ عَلَى الْقُطْبِ؛ فَأَسْرِعُوا إِلَى أَمِيرِكُمْ، وَبَادِرُوا جِهَادَ عَدُوِّكُمْ، إِنْ شَاءَ ٱللهُ.

اقول: الوجيف: ضرب من السير فيه سرعة. والعنف: ضدالرفق. و حال الرجلين في التحريض على قتل عثمان مشهور في السّير. و امّا الفلتة من قول عايشة، فروى انّها كانت تقول: اقتلوا نعثلا قتل الله نعثلا[2]. و امّا الغضب الذى: وقع بسببه الفلتة من قولها فالسبب الظاهر هومانقمه المسلمون عليه.

---

١ ـ في ش بزيادة: ورسائله.

٢ ـ النهاية ٧٩/٥. قاموس المحيط ٥٩/٤. الغدير ٨٤/٩.

وروى، انّه صعد المنبر يوماً و غصّ المسجد بأهله،فمدّت يدها من وراء الستر وفيها نعلا رسول الله صلى الله عليه و آله و قميصه، و قالت: هذان نعلا رسول الله(ص) بعد لم تبل، و قد بدّلت دينه و غيّرت سنته، و اغلظت له في القول، و اغلظ لها، و كان ذلك من اقوى الا سباب للاغراء به. والفلتة: البغتة من غير ترو. واتيح: قدّر. و دارالهجرة: المدينة. و قلع المنزل باهله اذا نبابهم فلم يصلح لاستيطانهم. والمرجل: القدر. وجيشانها: غليانها. واراد اعلام الكوفة بنهوض اهل المدينة لقتال أصحاب الجمل لينهضوا معهم.

٢ ـ وَمِنْ كِتابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

إليهم، بعد فتح البصرة

وَجَزَاكُمُ اللهُ مِنْ أَهْلِ مِصْرٍ عَنْ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ، أَحْسَنَ مَايَجْزِي الْعَامِلِينَ بِطَاعَتِهِ، وَالشَّاكِرِينَ لِنِعْمَتِهِ؛ فَقَدْ سَمِعْتُمْ وَأَطَعْتُمْ، وَدُعِيتُمْ فَأَجَبْتُمْ.

اقول الكتاب الى اهل الكوفة، والفصل واضح.

٣ ـ وَمِنْ كِتابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

كتبه لشريح بن الحارث قاضيه

روى أن شريح بن الحارث قاضي أمير المؤمنين عليه السلام اشترى على عهده دارا بثمانين دينارا فبلغه ذلك، فاستدعاه و قال له: بلغني انك ابتعت داراً بثمانين دينارا وكتبت كتابا و أشهدت [فيه] شهودا، فقال شريح: قد كان ذلك يا أميرالمؤمنين؛ قال: فنظر إليه نظر مغضب ثم قال له:

يَا شُرَيْحُ، أَمَا سَيَأْتِيكَ مَنْ لاَيَنْظُرُ فِي كِتَابِكَ، وَلاَ يَسْأَلُكَ عَنْ بَيِّنَتِكَ، حَتَّى يُخْرِجَكَ مِنْهَا شَاخِصًا، وَيُسَلِّمَكَ إِلَى قَبْرِكَ خَالِصًا، فَانْظُرْ يَا شُرَيْحُ لاَ تَكُونُ ابْتَعْتَ هٰذِهِ الدَّارَ مِنْ غَيْرِ مَالِكَ، أَوْ نَقَدْتَ الثَّمَنَ مِنْ غَيْرِ حَلاَلِكَ! فَإِذاً أَنْتَ قَدْ خَسِرْتَ دَارَ الدُّنْيَا وَدَارَ الآخِرَةِ!

أَمَا إِنَّكَ لَوْ كُنْتَ أَتَيْتَنِي عِنْدَ شِرَائِكَ مَا اشْتَرَيْتَ لَكَتَبْتُ لَكَ كِتَاباً عَلَى هٰذِهِ النُّسْخَةِ، فَلَمْ تَرْغَبْ فِي شِرَاءِ هٰذِهِ الدَّارِ بِدِرْهَمٍ فَمَا فَوْقُ؛ وَالنُّسْخَةُ هٰذِهِ.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

هٰذَا مَا اشْتَرَى عَبْدٌ ذَلِيلٌ، مِنْ عَبْدٍ قَدْ أُزْعِجَ لِلرَّحِيلِ، اشْتَرَى مِنْهُ دَارًا مِنْ دَارِ الْغُرُورِ مِنْ جَانِبِ الْفَانِينَ، وَخِطَّةِ الْهَالِكِينَ، وَتَجْمَعُ هٰذِهِ الدَّارَ حُدُودٌ أَرْبَعَةٌ: الْحَدُّ الْأَوَّلُ: يَنْتَهِي إِلَى دَوَاعِي الآفَاتِ، وَالْحَدُّ الثَّانِي يَنْتَهِي إِلَى دَوَاعِي الْمُصِيبَاتِ، وَالْحَدُّ الثَّالِثُ يَنْتَهِي إِلَى الْهَوَى الْمُرْدِي، وَالْحَدُّ الرَّابِعُ يَنْتَهِي إِلَى الشَّيْطَانِ الْمُغْوِي، وَفِيهِ يُشْرَعُ بَابُ هٰذِهِ الدَّارِ!

اشْتَرَى هٰذَا الْمُغْتَرُّ بِالْأَمَلِ، مِنْ هٰذَا الْمُزْعَجِ بِالْأَجَلِ، هٰذِهِ الدَّارَ بِالْخُرُوجِ مِنْ عِزِّ الْقَنَاعَةِ، وَالدُّخُولِ فِي ذُلِّ الطَّلَبِ وَالضَّرَاعَةِ، فَمَا أَدْرَكَ هٰذَا الْمُشْتَرِيَ فِيمَا اشْتَرَى مِنْهُ مِنْ دَرَكٍ فَعَلَى مُبَلْبِلِ أَجْسَامِ الْمُلُوكِ، وَسَالِبِ نُفُوسِ الْجَبَابِرَةِ، وَمُزِيلِ مُلْكِ الْفَرَاعِنَةِ، مِثْلِ كِسْرَى وَقَيْصَرَ، وَتُبَّعٍ وَحِمْيَرَ، وَمَنْ جَمَعَ الْمَالَ عَلَى الْمَالِ فَأَكْثَرَ، وَمَنْ بَنَى وَشَيَّدَ، وَزَخْرَفَ وَنَجَّدَ، وَادَّخَرَ وَاعْتَقَدَ، وَنَظَرَ بِزَعْمِهِ لِلْوَلَدِ، إِشْخَاصُهُمْ جَمِيعًا إِلَى مَوْقِفِ الْعَرْضِ وَالْحِسَابِ، وَمَوْضِعِ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، إِذَا وَقَعَ الْأَمْرُ بِفَصْلِ الْقَضَاءِ (وَخَسِرَ هُنَا لِكَ الْمُبْطِلُونَ)[1] شَهِدَ عَلَى ذٰلِكَ الْعَقْلُ إِذَا خَرَجَ مِنْ أَسْرِ الْهَوَى، وَسَلِمَ مِنْ عَلَائِقِ الدُّنْيَا.

أقول: الشاخص: الداخل و اراد بمن يأتيه ملك الموت. و حاصل الكتاب التنفير عن الدنيا. و الركون الى فضولها، و فيه نكت:

احداها، وصف المشتري بالعبوديّة والذلّة كسرًا لما يعرض في نفسه، من العجب والفخر بشراء هذه الدار، و صفة البايع بالميّت، تنزيلا لما بالقوة مكان ما بالفعل مجازا للتحذير.

الثانية، انّ قوله من جانب الفانين الى قوله: الهالكين، ابتداء في التعيين بالأعم و انتهاء بالأخص، كما جرت العادة به في كتب البيع. و الخطّة بالكسر: البقعة يختطها

---

١ ـ سورة غافر/٧٨.

الرجل ليبتني بها.

الثالثة، جعل الحدّ الاول دواعي الآفات، و اشار به الى ما يلزم الدار لزوما اولا من كمالاتها الضرورية كالمرأة، و الخادم والدّابة و ما يلزم ذلك و يلحقهم من الأولاد و الاتباع والقينات وهي: دواعي الآفات لانّ كُلّاً منها فى معرض الآفات.

الرابعة، جعل الحدّ الثانى دواعي المصيبات،و اشاربها الى الامور المذكورة باعتبارٍ آخر اذ كانت من حيث يلحقها الآفات تدعوا صاحبها الى المصيبات بها.

الخامسة، جعل الحدّ الثالث ما ينتهي اليه من الهوى المردى. اذ كان اقتناء الدار و كمالاتها فى الدنيا و خوف فواتها والمصيبة بما فيها مرّة بعد اخرى يوجب محبّة النفس لها، و الألفة التامة بها، و ذلك هوالهوى المردى في قرار النار المهلك فيها.

السادسة، جعل الحد الرابع ما ينتهي الى الشيطان المغوى لانّه الحدّ الأبعد الذى ينتهى اليه الهوى المردى، و كونه مغويًا يعود الى جذبه للنفس عن سبيل الله الواضح. و كونه مشرع باب هذه الدار باعتبار كونه مبدأ باغوائه للدخول فى الدواعي الباعثة على شرائها، واقتناء ما يلزمها فالشيطان كالحدّ و ما صدر عنه وانفتح بسببه من الدخول في امر الدار و شرائها.

السابعة، جعل الثمن هوالخروج عن عزّ القناعة والدخول فى ذلّ الطلب. والضراعة. اما خروجه بها عن القناعة فلأنها كانت فضلة في حقه عن الحاجة الى الخلق. و لما كانت القناعة مستلزمة لأقليّة الحاجة الى الخلق المستلزمة لعزّ القناعة وغناها عنهم، كان الخروج عن ذلك خروجًا الى ذلّ الطلب الى الناس والضراعة.

الثامنة، علق الدرك والتبعة اللازمة في هذا المبيع بملك الموت قطعًا لأمل الدرك، و التبعة، و تذكيرًا بالموت لغاية الأمل له. و كنى عنه بمبلبل اجسام الملوك، الى قوله للولد: تنبيهًا على انّ المشترى اولى بذلك. والبلبلة: الاضطراب والاختلاط و افساد الشيء.و كسرى: لقب ملوك الفرس كاسم الجنس، و كذلك قيصر: لملوك الروم، و تبع: لملوك اليمن و حمير: ابو قبيلة في اليمن و هو حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. والتنجيد: تزيين الارض بالبسط و نحوها. و نظر للولد: فكر فى عاقبته فجمع له.

التاسعة،جعل الشاهد بجميع ما عدّده هوالعقل المجرّد من مشاركة الهوى و النفس

الامارة، و هوكلام في غاية الشرف والفصاحة.

٤ ـ وَمِنْ كِتابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام
إلى بعض أمراء جيشه

فَإِنْ عَادُوا إِلَى ظِلِّ الطَّاعَةِ فَذَلِكَ الَّذِى نُحِبُّ، وَإِنْ تَوَافَتِ الْأُمُورُ بِالْقَوْمِ إِلَى الشِّقَاقِ وَالْعِصْيَانِ، فَانْهَدْ بِمَنْ أَطَاعَكَ إِلَى مَنْ عَصَاكَ ، وَاسْتَغْنِ بِمَنِ انْقَادَ مَعَكَ عَمَّنْ تَقَاعَسَ عَنْكَ ؛ فَإِنَّ الْمُتَكَارِهَ مَغِيبُهُ خَيْرٌ مِنْ مَشْهَدِهِ، وَقُعُودُهُ أَغْنَى مِنْ نُهُوضِهِ.

اقول: الفصل من كتاب له الى عثمان بن حنيف، عامله على البصرة حين قدم طلحة والزبير اليها و نكث معهما جماعة من اهلها، و خرجوا عن الطاعة، و استعار لفظ الظلّ، لما يستلزمه الطاعة من الراحة عن متاعب الحرب. و توافت بهم الامور اى: توافقت أسباب العصيان و الشقاق، حتى تمّت علّتاهما و وَجَبا عنهما. و انهد اى: انهض. و تقاعس: تأخر و قعد. والمتكاره للشئ: هوالّذى يتعاطى كراهيته، و مغيبه خير من محضره لانّه ربما ثبّط الناس عن الحرب و اقتدوا به في عدم المنفعة.

٥ ـ وَمِنْ كِتابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام
إلى الأشعث بن قيس، وهو عامله علىٰ آذربيجان

وَإِنَّ عَمَلَكَ لَيْسَ لَكَ بِطُعْمَةٍ، وَلٰكِنَّهُ فِي عُنُقِكَ أَمَانَةٌ، وَأَنْتَ مُسْتَرْعًى لِمَنْ فَوْقَكَ . لَيْسَ لَكَ أَنْ تَفْتَاتَ فِي رَعِيَّةٍ، وَلَا تُخَاطِرَ إِلَّا بِوَثِيقَةٍ، وَفِي يَدَيْكَ مَالٌ مِنْ مَالِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وَ أَنْتَ مِنْ خُزَّانِهِ حَتَّى تُسَلِّمَهُ إِلَيَّ، وَلَعَلِّيَ أَنْ لَا أَكُونَ شَرَّ وُلَاتِكَ لَكَ وَالسَّلَامُ.

اقول: ليس لك ان تفتات فى رعية، اى: تستبدّ بحكم فيهم و تسبق اليه دون اذن ممن استرعاك . والمخاطرة: الاقدام على الامور العظام، والاشراف فيها على الهلاك .

والوثيقة: ما يوثق به في الدّين. و اتى بلفظ الترجّي اطماعا له بعدم الايقاع به، والمواخذة له كي لايفرّ الى العدوّ لانّه كان خائفا منه.

و روى انّه استقدمه الى الكوفة فلما قدم فتّش ثقله، فوجد فيه مائة الف درهم فأخذها فاستشفع بالحسن والحسين عليهما السلام، و بعبدالله بن جعفر، فاطلق له منها ثلا ثين الفا، فقال: لا يكفيني، فقال: لست بزائدك درهما واحدًا و ما اظنها تحلّ لك فقال الأشعث: خذ من خدعك ما اعطاك .

٦ - وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

إلى معاوية

إنَّهُ بَايَعَنِي الْقَوْمُ الَّذِينَ بَايَعُوا أَبَابَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ، عَلَى مَا بَايَعُوهُمْ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَكُنْ لِلشَّاهِدِ أَنْ يَخْتَارَ، وَلَا لِلْغَائِبِ أَنْ يَرُدَّ، وَإِنَّمَا الشُّورَى لِلْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ. فَإِنِ اجْتَمَعُوا عَلَى رَجُلٍ وَسَمَّوْهُ إِمَامًا كَانَ ذٰلِكَ للهِ رِضًا؛ فَإِنْ خَرَجَ عَنْ أَمْرِهِمْ خَارِجٌ بِطَعْنٍ أَوْ بِدْعَةٍ رَدُّوهُ إِلَى مَا خَرَجَ مِنْهُ؛ فَإِنْ أَبَى قَاتَلُوهُ عَلَى اتِّبَاعِهِ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ، وَوَلَّاهُ اللهُ مَاتَوَلَّى.

وَلَعَمْرِي - يَامُعَاوِيَةُ - لَئِنْ نَظَرْتَ بِعَقْلِكَ دُونَ هَوَاكَ لَتَجِدَنِّي أَبْرَأَ النَّاسِ مِنْ دَمِ عُثْمَانَ، وَلَتَعْلَمَنَّ أَنِّي كُنْتُ فِي عُزْلَةٍ عَنْهُ، إِلَّا أَنْ تَتَجَنَّى، فَتَجَنَّ مَا بَدَالَكَ ؛ وَالسَّلَامُ.

اقول: انّما احتجّ عليه السلام على القوم بالاجماع لاعتقادهم انّه لم يكن منصوصا عليه، فلوا احتجّ بالنص لم يقبل منه و لم يسلم له. و التجنّي دعوى الجناية ممن لم يفعلها، و بالله التوفيق.

٧ - وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

إليه أيضا

أَمَّا بَعْدُ؛ فَقَدْ أَتَتْنِي مِنْكَ مَوْعِظَةٌ مُوَصَّلَةٌ، وَرِسَالَةٌ مُحَبَّرَةٌ، نَمَّقْتَهَا بِضَلَالِكَ ، وَأَمْضَيْتَهَا

بِسُوءِ رَأْيِكَ ! وَكِتَابُ ٱمْرِىءٍ لَيْسَ لَهُ بَصَرٌ يَهْدِيهِ، وَلَاقَائِدٌ يُرْشِدُهُ؛ قَدْ دَعَاهُ الْهَوَى فَأَجَابَهُ، وَقَادَهُ الضَّلَالُ فَاتَّبَعَهُ، فَهَجَرَ لَاغِطًا، وَضَلَّ خَابِطًا وَمِنْ هٰذَا الْكِتَابِ: لِأَنَّهَا بَيْعَةٌ وَاحِدَةٌ لَايُثَنَّى فِيهَا النَّظَرُ، وَلَا يُسْتَأْنَفُ فِيهَا الْخِيَارُ؛ الْخَارِجُ مِنْهَا طَاعِنٌ، وَالْمُرَوِّى فِيهَا مُدَاهِنٌ.

اقول: موصلة: ملتقطة من كلام الناس ملفقة لا تتناسب وصولها. و محبّرة: مزيّنة. والتنميق: التزيّين بالكتابة. والبصر هنا البصيرة، ويحتمل ان يريد الحسّ باعتبار عدم اهتدائه من جهته. والقائد: الهادى فى سبيل. و هجر: هذى و افحش فى منطقه. واللغط: الأصوات المختلطة، والخبط: الحركة على غير نظام.

اقول: هذا جواب لفصل ذكره معاوية فى كتابه و صورته : و لعمرى ما حجّتك على اهل الشام كحجّتك على اهل البصرة، و لا حجّتك عليّ كحجتك على طلحة والزبير، لأنهما بايعاك و لم ابايعك،و اوّل الجواب. و امّا ما ميزّت به بين اهل الشام و اهل البصرة و بينك و بين طلحة والزبير، فلعمرى ما الأمر فى ذلك الّا واحدا لانّها بيعة واحدة الى آخره.

و فى نسخة لانّها بيعة عامة... و قوله: الخارج منها، الى آخره، قسمة لمن لم يدخل فى بيعته الى قسمين: لانّه امّا خارج عنها، و هوالطاعن فى صحّتها، و يجب مجاهدته لمخالفة سبيل المؤمنين، وامّا مُنزوٍ فى ذلك و متوقّف، و جكمه انّه يداهن و هو نوع من النفاق، وبالله التوفيق.

٨ ـ وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

إلى جرير بن عبدالله البجلى، لما أرسله إلى معاوية

أَمَّا بَعْدُ، فَإِذَا أَتَاكَ كِتَابِي فَاحْمِلْ مُعَاوِيَةَ عَلَى الْفَصْلِ، وَخُذْهُ بِالْأَمْرِ الْجَزْمِ؛ ثُمَّ خَيِّرْهُ بَيْنَ حَرْبٍ مُجْلِيَةٍ، أَوْ سِلْمٍ مُخْزِيَةٍ؛ فَإِنِ اخْتَارَ الْحَرْبَ فَانْبِذْ إِلَيْهِ، وَإِنِ اخْتَارَ السِّلْمَ فَخُذْ بَيْعَتَهُ، وَالسَّلَامُ.

اقول: الفصل فصل الحال معه في الحرب و غيرها، لانّ معاوية كان يتلوّن أيام المهلة ليستعدّ له فلا يجيبه بجواب فاصل. و مجلبة: تجلّي عن الوطن. و سلم مخزية: فيها ذلّ ـ و روى مجزية ـ بالجيم ـ اى: كافية. و النبذ: الالقاء وهو كناية عن القاء الوعيد بالحرب او عن إيقاعها.

٩ ـ وَمِنْ كِتابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام
إلى معاوية

فَأَرَادَ قَوْمُنَا قَتْلَ نَبِيِّنَا، وَاجْتِيَاحَ أَصْلِنَا، وَهَمُّوا بِنَا الْهُمُومَ، وَفَعَلُوا بِنَا الْأَفَاعِيلَ، وَمَنَعُونَا الْعَذْبَ، وَأَحْلَسُونَا الْخَوْفَ، وَاضْطَرُّونَا إِلَى جَبَلٍ وَعْرٍ، وَأَوْقَدُوا لَنَا نَارَ الْحَرْبِ، فَعَزَمَ اللهُ لَنَا عَلَى الذَّبِّ عَنْ حَوْزَتِهِ، وَالرَّمْيِ مِنْ وَرَاءِ حُرْمَتِهِ: مُؤْمِنُنَا يَبْغِي بِذٰلِكَ الْأَجْرَ، وَ كَافِرُنَا يُحَامِي عَنِ الْأَصْلِ، وَمَنْ أَسْلَمَ مِنْ قُرَيْشٍ خِلْوٌ مِمَّا نَحْنُ فِيهِ بِحِلْفٍ يَمْنَعُهُ، أَوْ عَشِيرَةٍ تَقُومُ دُونَهُ، فَهُوَ مِنَ الْقَتْلِ بِمَكَانِ أَمْنٍ.

وَ كَانَ رَسُولُ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ، وَأَحْجَمَ النَّاسُ قَدَّمَ أَهْلَ بَيْتِهِ فَوَقَى بِهِمْ أَصْحَابَهُ حَرَّ الْأَسِنَّةِ وَالسُّيُوفِ، فَقُتِلَ عُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ يَوْمَ بَدْرٍ، وَقُتِلَ حَمْزَةُ يَوْمَ أُحُدٍ، وَقُتِلَ جَعْفَرٌ يَوْمَ مُؤْتَةَ، وَأَرَادَ مَنْ لَوْ شِئْتُ ذَكَرْتُ اسْمَهُ مِثْلَ الَّذِي أَرَادُوا مِنَ الشَّهَادَةِ، وَلٰكِنْ آجَالُهُمْ عُجِّلَتْ، وَمَنِيَّتُهُ أُجِّلَتْ، فَيَا عَجَباً لِلدَّهْرِ إِذْ صِرْتُ يُقْرَنُ بِي مَنْ لَمْ يَسْعَ بِقَدَمِي، وَلَمْ تَكُنْ لَهُ كَسَابِقَتِي، الَّتِي لَا يُدْلِي أَحَدٌ بِمِثْلِهَا إِلَّا أَنْ يَدَّعِيَ مُدَّعٍ مَا لَا أَعْرِفُهُ، وَلَا أَظُنُّ اللهَ يَعْرِفُهُ، وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ.

وَأَمَّا مَا سَأَلْتَ مِنْ دَفْعِ قَتَلَةِ عُثْمَانَ إِلَيْكَ فَإِنِّي نَظَرْتُ فِي هٰذَا الْأَمْرِ فَلَمْ أَرَهُ يَسَعُنِي دَفْعُهُمْ إِلَيْكَ وَلَا إِلَى غَيْرِكَ، وَلَعَمْرِي لَئِنْ لَمْ تَنْزِعْ عَنْ غَيِّكَ وَشِقَاقِكَ، لَتَعْرِفَنَّهُمْ عَنْ قَلِيلٍ يَطْلُبُونَكَ، لَا يُكَلِّفُونَكَ طَلَبَهُمْ فِي بَرٍّ وَلَا بَحْرٍ، وَلَا جَبَلٍ وَلَا سَهْلٍ، إِلَّا أَنَّهُ طَلَبٌ يَسُوءُكَ وِجْدَانُهُ، وَزَوْرٌ لَا يَسُرُّكَ لُقْيَانُهُ، وَالسَّلَامُ لِأَهْلِهِ.

اقول: حاصل الفصل ذكر فضيلته عليه السلام و بلائه فى الاسلام، ليتبيّن قياس غيره اليه، و لذلك بنى عليه التعجب من مساواته بغيره.

و همّوا بنا الهموم ، ارادوا بنا: الارادات. وأرادَ بالأفاعيل: الشرور. والعذب: طيب العيش، وقيل: الماء فانّ قريشا منعتهم الطعام و الشراب. والحلس: كساء رقيق يجعل تحت قتب البعير، فاستعار وصف الاحلاس لاخافتهم. والجبل الوعر: من شعاب مكة، و قد كانت قريش حين فشا الاسلام فى القبائل اجتمعت و تعاهدت على ان لاينا كحوا بني هاشم و بنى عبدالمطلب، و لا يبايعوهم فانحاز هؤلاء الى ابى طالب فدخلوا معه شعبه، وخرج من بنى هاشم ابو لهب و ظاهرالمشركين، و قطعوا عنهم الميرة، و حصروهم فى ذلك الشعب فى اوّل سنة سبع من النبوّة و بقوا كذلك ثلاث سنين لا يخرجون الّا في الموسم، و عزم الله ارادته الحازمة لهم و اختيارهُ ان يذبّ عن حوزة دينه و حرمته و حرمة دينه، و كافرهم يومئذ كحمزة والعباس و ابى طالب على قول، فانّهم كانوا يمنعون عن رسول الله صلى الله عليه و آله حميّة لأصلهم و بيتهم و من كان يومئذ قد اسلم من قريش عدا بنى هاشم، و عبدالمطلب كانوا خالين من الخوف و الجهاد، فمنهم من كان له عهد به و حلف مع المشركين يمنعه، ومنهم من كان له عشيرة يحفظه، و عبيدة بن الحرث بن عبدالمطلب. و بدر: اسم بئر. و احد: اسم جبل. و مؤته بالضّم: اسم ارض بأدنى البلقاء دون دمشق.

و من لو شئت ذكره، يعنى نفسه. و واقعة بدر، واحد، و مؤته، و غيرها من وقائع الرسول صلى الله عليه و آله مع المشركين مشهورة فى التواريخ،و قد نبهنا على خلاصتها فى الاصل[1].

و من لم يَشَعَ بقدمه: كناية عمن لم يماثله فى الجهاد، والسعى فى اقامة الدين. والإدلاء بالشئ: التقرّب به. و قوله: ولا اظنّ الله يعرفه، كناية عمّا لا اصل له فانّ ما لاوجود له لا يعلمه الله موجودا. و امّا عدم تسليم قتلة عثمان الى معاوية فلوجوه منها:

انّه لم يكن وليّ دمه. ومنها انّه لم يعيّن قَتَلَتَهُ و يدّعى عليهم و يحاكمهم الى الامام الحق. و منها انّه لما سئل عليه السلام تسليمهم، قال: وهو على المنبر ليقم قَتَلَةُ عثمان

---

١ ـ الشرح الكبير ٤/ ٣٦٧.

فقام اكثر من عشرة الاف من المهاجرين، و الانصار و غيرهم، و معلوم انّ مثل هذا الجمع العظيم لا يتمكّن عليه السلام، من اخذهم و تسليمهم الى غيره ولو امكن ذلك مع انّ فيهم من شهد النبى صلى الله عليه و آله له بالجنة كعمّار،فربّما اقتضى الاجتهاد ان لا يقتل هذا الجمع العظيم من قواعد الدين برجل واحد احدث احداثا نقموها عليه و قتلوه لأجلها. والزور الزائرون، و افرد ضميره، نظراً الى افراد اللفظ، و قيل: هو مصدر. و بالله التوفيق.

١٠ - وَمِنْ كِتابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

إلى معاوية

وَ كَيْفَ أَنْتَ صَانِعٌ إذَا تَكَشَّفَتْ عَنْكَ جَلاَبِيبُ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ دُنْيَا قَدْ تَبَهَّجَتْ بِزِينَتِهَا، وَخَدَعَتْ بِلَذَّتِهَا؛ دَعَتْكَ فَأَجَبْتَهَا، وَقَادَتْكَ فَاتَّبَعْتَهَا، وَأَمَرَتْكَ فَأَطَعْتَهَا. وَإنَّهُ يُوشِكُ أَنْ يَقِفَكَ وَاقِفٌ عَلَى ما لَا يُنْجِيكَ مِنْهُ مِجَنٌّ، فَاقْعَسْ عَنْ هٰذَا الْأَمْرِ، وَخُذْ أُهْبَةَ الْحِسَابِ، وَشَمِّرْ لِمَا قَدْ نَزَلَ بِكَ، وَلَا تُمَكِّنِ الْغُوَاةَ مِنْ سَمْعِكَ؛ وَإلَّا تَفْعَلْ أُعْلِمْكَ مَا أَغْفَلْتَ مِنْ نَفْسِكَ، فَإنَّكَ مُتْرَفٌ قَدْ أَخَذَ الشَّيْطَانُ مِنْكَ مَأْخَذَهُ، وَبَلَغَ فِيكَ أَمَلَهُ، وَجَرَى مِنْكَ مَجْرَى الرُّوحِ وَالدَّمِ. وَمَتَى كُنْتُمْ يَا مُعَاوِيَةُ سَاسَةَ الرَّعِيَّةِ، وَوُلَاةَ أَمْرِ الْأُمَّةِ، بِغَيْرِ قَدَمٍ سَابِقٍ، وَلَا شَرَفٍ بَاسِقٍ؛ وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ لُزُومِ سَوَابِقِ الشَّقَاءِ! وَأُحَذِّرُكَ أَنْ تَكُونَ مُتَمَادِيًا فِي غِرَّةِ الْأُمْنِيَّةِ، مُخْتَلِفَ الْعَلَانِيَةِ وَالسَّرِيرَةِ.

وَقَدْ دَعَوْتَ إلَى الْحَرْبِ فَدَعِ النَّاسَ جَانِبًا وَاخْرُجْ إلَيَّ، وَأَعْفِ الْفَرِيقَيْنِ مِنَ الْقِتَالِ لِيُعْلَمَ أَيُّنَا الْمَرِينُ عَلَى قَلْبِهِ، وَالْمُغَطَّى عَلَى بَصَرِهِ، فَأَنَا أَبُو حَسَنٍ قَاتِلُ جَدِّكَ، وَخَالِكَ وَأَخِيكَ شَدْخًا يَوْمَ بَدْرٍ، وَذٰلِكَ السَّيْفُ مَعِي، وَبِذٰلِكَ الْقَلْبِ أَلْقَى عَدُوِّي! مَا اسْتَبْدَلْتُ دِينًا، وَلَا اسْتَحْدَثْتُ نَبِيًّا؛ وَ إنِّي لَعَلَى الْمِنْهَاجِ الَّذِي تَرَكْتُمُوهُ طَائِعِينَ، وَدَخَلْتُمْ فِيهِ مُكْرَهِينَ.

وَزَعَمْتَ أَنَّكَ جِئْتَ ثَائِراً بِعُثْمَانَ، وَلَقَدْ عَلِمْتَ حَيْثُ وَقَعَ دَمُ عُثْمَانَ فَاطْلُبْهُ مِنْ هُنَاكَ إنْ كُنْتَ طَالِبًا، فَكَأَنِّي قَدْ رَأَيْتُكَ تَضِجُّ مِنَ الْحَرْبِ إذَا عَضَّتْكَ ضَجِيجَ الْجِمَالِ بِالْأَثْقَالِ، وَكَأَنِّي بِجَمَاعَتِكَ تَدْعُونِي - جَزَعًا مِنَ الضَّرْبِ الْمُتَتَابِعِ، وَالْقَضَاءِ الْوَاقِعِ، وَمَصَارِعَ بَعْدَ مَصَارِعَ - إلَى كِتَابِ اللهِ وَهِيَ كَافِرَةٌ جَاحِدَةٌ، أَوْ مُبَايِعَةٌ حَائِدَةٌ.

اقول: استعار لفظ الجلابيب، لأغطية الهيئات البدنيّة من محبّة الدنيا و باطلها. والجلباب: الملحفة. و تبهّجت: تحسنت. و يوشك اى: يقرب. و ما لا ينجو منه: الموت و ما بعده من أهوال الآخرة التى هو غافل عنها في الدنيا. والواقف له امّا الله تعالى او يعنى نفسه على سبيل التهديد له بالقتل. واقعس اى: تاخّر. و الا هبة: الاستعداد. و ما نزل به امّا الحرب او الموت و ما بعده: اقامه للمتوقّع مقام الواقع النازل. والمترف: من اطغته النعمة. و الباسق: العالى. و سوابق الشقاء: ما سبق منه فى القضاء الالهى، واللوح المحفوظ فى حق كل شقّى و لزم وجوده. و الأمنية: ما تتمنّاه نفسه و ترجوه من الخلافة، و اختلاف علانيته و سريرته: كناية عن نفاقه. و الرين: التغطية. والمرين على قلبه: من غطّت عليه الذنوب والهيّئات الدنيويّة. وجدّه المقتول: هو جدّه لأمه عتبة بن ابى ربيعة ابوهند. و خالة الوليد بن عتبة، واخوه حنظلة بن ابى سفيان، و قتلهم عليه السلام يوم بدر جميعًا. و الثائر: الطالب بالدم. والكافرة الجاحدة من اصحاب معاوية: اشارة الى المنافقين منهم.

والمبايعة الحائدة الّذين بايعوه وعدلوا عنه. وحاد عن الأمر: عدل عنه، واطلاعه عليه السلام على مصارعهم و دعائهم الى كتاب الله قبل وقوع ذلك من آياته، وكرامته.

١١ - وَمِنْ وَصِيَّةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

وصى بها جيشا بعثه إلى العدو

فَإِذَا نَزَلْتُمْ بِعَدُوٍّ أَوْ نَزَلَ بِكُمْ فَلْيَكُنْ مُعَسْكَرُكُمْ فِي قُبُلِ الْأَشْرَافِ، أَوْسِفَاحِ الْجِبَالِ، أَوْ أَثْنَاءِ الْأَنْهَارِ؛ كَيْمَا يَكُونَ لَكُمْ رِدْءًا وَدُونَكُمْ مَرَدًّا، وَلْتَكُنْ مُقَاتَلَتُكُمْ مِنْ وَجْهٍ وَاحِدٍ أَوِ اثْنَيْنِ، وَاجْعَلُوا لَكُمْ رُقَبَاءَ فِي صَيَاصِي الْجِبَالِ، وَمَنَاكِبِ الْهِضَابِ؛ لِئَلاَّ يَأْتِيَكُمُ الْعَدُوُّ مِنْ مَكَانِ مَخَافَةٍ أَوْ أَمْنٍ، وَاعْلَمُوا أَنَّ مُقَدِّمَةَ الْقَوْمِ عُيُونُهُمْ، وَعُيُونَ الْمُقَدِّمَةِ طَلاَئِعُهُمْ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّفَرُّقَ فَإِذَا نَزَلْتُمْ فَانْزِلُوا جَمِيعًا، وَإِذَا ارْتَحَلْتُمْ فَارْتَحِلُوا جَمِيعًا، وَإِذَا غَشِيَكُمُ اللَّيْلُ فَاجْعَلُوا الرِّمَاحَ كِفَّةً، وَلاَ تَذُوقُوا النَّوْمَ إِلاَّ غِرَارًا أَوْ مَضْمَضَةً.

أقول: المعسكر بالفتح: موضع العسكر. والاشراف: جمع شرف بالفتح، وهو المكان العالى. و قبلها بضم القاف قدّامها. و سفح الجبل أسفله حيث يسيل الماء. واثناء الانهار: منعطفها. والردء: العون فى المقاتلة و فائدة القتال من وجه او اثنين انّ القتال من جهات متفرقة يوجب الضعف والتفرق. والرقيب: الحافظ. و صياصى الجبال: اطرافها العالية. والهضاب: الجبال المنبسطة على الأرض. و قوله: و اعلموا، الى قوله: طلائعهم: ارشاد الى وجوب التأهب عند رؤية المقدّمة او الطليعة وان قلّ عددهم. وكفة بالكسر اى: مستديرة. والغرار: النوم القليل، واستعار له لفظ المضمضه، و بالله التوفيق.

١٢ ـ وَمِنْ وَصِيّةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

لِمَعْقِل بن قيسٍ الرياحيّ[١] حين أَنْفَذه إلى الشام في ثلاثةِ آلاف مُقَدِّمَةً له

اتَّقِ اللهَ الَّذِي لَابُدَّلَكَ مِنْ لِقَائِهِ، وَلاَ مُنْتَهَى لَكَ دُونَهُ، وَلاَ تُقَاتِلَنَّ إلَّا مَنْ قَاتَلَكَ، وَسِرِ الْبَرْدَيْنِ، وَغَوِّرْ بِالنَّاسِ، وَرَفِّهْ فِي السَّيْرِ، وَلاَ تَسِرْ أَوَّلَ اللَّيْلِ، فَإِنَّ اللهَ جَعَلَهُ سَكَناً، وَقَدَّرَهُ مُقَامًا لَاظَعْنًا، فَأَرِحْ فِيهِ بَدَنَكَ، وَرَوِّحْ ظَهْرَكَ، فَإِذَا وَقَفْتَ حِينَ يَنْبَطِحُ السَّحَرُ، أَوْحِينَ يَنْفَجِرُ الْفَجْرُ، فَسِرْ عَلَى بَرَكَةِ اللهِ، فَإِذَا لَقِيتَ الْعَدُوَّ فَقِفْ مِنْ أَصْحَابِكَ وَسَطًا، وَلاَ تَدْنُ مِنَ الْقَوْمِ دُنُوَّ مَنْ يُرِيدُ أَنْ يُنْشِبَ الْحَرْبَ، وَلاَ تَبَاعَدْ مِنْهُمْ تَبَاعُدَ مَنْ يَهَابُ الْبَأْسَ، حَتَّى يَأْتِيَكَ أَمْرِي، وَلَايَحْمِلَنَّكُمْ شَنَآنُهُمْ عَلَى قِتَالِهِمْ قَبْلَ دُعَائِهِمْ وَالْإِعْذَارِ إِلَيْهِمْ.

أقول: البردين: الغداة والعشي. والتغوير: القيلولة. و قوله: فاذا وقفت: اشارة الى ماجرت العادة به من وقوف صاحب الجيش وقت السحر لاستعداد اصحابه للسير. و ينبطح: ينبسط و يتّسع. و فائدة وقوفه في الوسط استواءه الى الطرفين فى وصول اوامره اليهما. والشنئان: البغض والعداوة.

---

١ ـ التميمى من رجال الكوفة وابطالها وله رياسة وقدم وكان من شيعة على عليه السلام. اعيان الشيعة ٤٨/٨٦ تنقيح المقال ٣/٢٢٩. جمهرة انساب العرب/١٩٩ و ٢٢٨. الغدير ٨/١٢١ و ج ٩/٤٧ و ٣٦٨. وقعة صفين/ ١٣٢ و ٣٨١.

١٣ ـ وَمِنْ كِتابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

إلى أميرين من أمراء جيشه

وَقَدْ أَمَّرْتُ عَلَيْكُمَا وَعَلَى مَنْ فِى حَيِّزِكُمَا مَالِكَ بْنَ الْحَارِثِ الأَشْتَرِ، فَاسْمَعَا لَهُ وَأَطِيعَا، وَاجْعَلاَهُ دِرْعًا وَمِجَنًّا؛ فَإِنَّهُ مِمَّنْ لاَيُخَافُ وَهْنُهُ، وَلاَسَقْطَتُهُ، وَلاَبُطْؤُهُ عَمَّا الإِسْرَاعُ إِلَيْهِ أَحْزَمُ، وَلاَإِسْرَاعُهُ إِلَى مَا الْبُطْءُ عَنْهُ أَمْثَلُ.

أقول: الأميران هما: زياد بن النضر[1] و شريح بن هانى[2] واستعار له لفظ الدرع والمجن باعتبار قوّته و ضعته لقومه فى الحرب. والوهن: الضعف. والسقطة: الزلّة فى الرأى و نحوه. امثل: أشبه وَأوْلى.

١٤ ـ وَمِنْ وَصِيَّةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

لعسكره قبل لقاء العدو بصفين

لاَ تُقَاتِلُوهُم حَتَّى يَبْدَءُوكُمْ؛ فَإِنَّكُمْ ـبِحَمْدِ اللهِـ عَلَى حُجَّةٍ، وَتَرْكُكُمْ إِيَّاهُمْ حَتَّى يَبْدَءُوكُمْ حُجَّةٌ أُخْرَى لَكُمْ عَلَيْهِمْ، فَإِذَا كَانَتِ الْهَزِيمَةُ بِإِذْنِ اللهِ فَلاَ تَقْتُلُوا مُدْبِرًا، وَلاَ تُصِيبُوا مُعْوِرًا، وَلاَ تُجْهِزُوا عَلَى جَرِيحٍ، وَلاَ تَهِيجُوا النِّسَاءَ بِأَذًى، وَإِنْ شَتَمْنَ أَعْرَاضَكُمْ، وَسَبَبْنَ أُمَرَاءَكُمْ؛ فَإِنَّهُنَّ ضَعِيفَاتُ الْقُوَى وَالأَنْفُسِ وَالْعُقُولِ، إِنْ كُنَّا لَنُؤْمَرُ بِالْكَفِّ عَنْهُنَّ وَإِنَّهُنَّ لَمُشْرِكَاتٌ، وَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيَتَنَاوَلُ الْمَرْأَةَ فِى الْجَاهِلِيَّةِ بِالْفِهْرِ أَوِ الْهِرَاوَةِ، فَيُعَيَّرُ بِهَا وَعَقِبُهُ مِنْ بَعْدِهِ.

---

١ ـ ابوالاوبر زياد بن النضر الحارثي ... و يقال ان كنيته: ابوعائشة.

الاصابة ١/ ٥٨١ ترجمة ٢٩٩٢.

٢ ـ ابوالمقدام شريح بن هانئ بن يزيد بن نهيك الحارثي المقتول سنة ٧٨.

من اصحاب علي عليه السلام و امرائه في وقعة الجمل. الاصابة ٢/١٦٦ ترجمة ٣٩٧٢.

اقول: المدبر: المولى هاربًا. والمعور: الذى امكن من نفسه. و اعور الفارس: ظهر فيه موضع خلل للضرب فيه. و اجهز علي الجريح قتله. و قد فرّق عليه السلام، بين هؤلاء البغاة، و بين الكفّار بما ذكر من الامور الأربعة و ان اوجب قتالهم و قتلهم. و هجت الشئ و اهجته: اثرته. والفهر: حجر مستطيل املس يسحق به الطيب و نحوه. والهراوة: كالدبوس من الخشب. و العقب: الولد من الذكر والأنثى.

١٥ - و كان يقول عليه السلام
إذا لقى العدو محاربا:

اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَفْضَتِ الْقُلُوبُ، وَمُدَّتِ الْأَعْنَاقُ، وَشَخَصَتِ الْأَبْصَارُ وَنُقِلَتِ الْأَقْدَامُ، وَأُنْضِيَتِ الْأَبْدَانُ.

اللَّهُمَّ قَدْ صَرَّحَ مَكْتُومُ الشَّنَآنِ، وَجَاشَتْ مَرَاجِلُ الْأَضْغَانِ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَشْكُو إِلَيْكَ غَيْبَةَ نَبِيِّنَا، وَكَثْرَةَ عَدُوِّنَا، وَتَشَتُّتَ أَهْوَائِنَا (رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ)[١].

اقول: افضت: وصلت اليك خارجة عن كل شئ. و انضيت: اهزلت فى طاعتك والسفر الى جهاد عدوّك . والنضو الجمل، انهكه السير واضعفه. وصرح: ظهر. الشَّنَآن: العداوة. و استعار لفظ المراجل: للصدور، والقلوب التى هى مظنة الاضغان والاحقاد باعتبار ثورانها.

١٦ - و كان عليه السلام يقول
لأصحابه عندالحرب

لَا تَشْتَدَّنَّ عَلَيْكُمْ فَرَّةٌ بَعْدَهَا كَرَّةٌ، وَلَا جَوْلَةٌ بَعْدَهَا حَمْلَةٌ، وَأَعْطُوا السُّيُوفَ حُقُوقَهَا، وَوَطِّنُوا لِلْجُنُوبِ مَصَارِعَهَا، وَاذْمُرُوا أَنْفُسَكُمْ عَلَى الطَّعْنِ الدَّعْسِيِّ، وَالضَّرْبِ الطِّلَحْفِيِّ،

١ - سورة الاعراف / ٨٩.

وَأَمِيتُوا الْأَصْوَاتَ فَإِنَّهُ أَطْرَدُ لِلْفَشَلِ، فَوَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، مَا أَسْلَمُوا، وَلَكِنِ اسْتَسْلَمُوا، وَأَسَرُّوا الْكُفْرَ، فَلَمَّا وَجَدُوا أَعْوَاناً عَلَيْهِ أَظْهَرُوهُ!!

اقول: الفصل من كلام له عليه السلام بصفين. و قوله: لا تشتدنّ، الى قوله حملة، اى: اذا اتّفق لكم ان فررتم مرة ثم عقبتموها بكرّة فلا تشتدنّ عليكم الفرّة فتستحيوا منها، فان الكرّة كالماحية لها، و فيه تنبيه على الامر بالكرّة بعد الفرة. و كذلك قوله: و لا جولة: وهي الدورة بعدها حملة. و اذمروا اى: حثوا. والدّعسيّ: ذوالاثر والنكاية في العلم. والدّعس: الاثر. والطِّلَّحفيّ بكسر الطاء و فتح اللام الشّديد. والنسمة: الانسان.

١٧ - وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

إلى معاوية، جوابا عن كتاب منه إليه[١]

فَأَمَّا طَلَبُكَ إِلَيَّ الشَّامَ، فَإِنِّي لَمْ أَكُنْ لِأُعْطِيَكَ الْيَوْمَ مَا مَنَعْتُكَ أَمْسِ، وَأَمَّا قَوْلُكَ «إِنَّ الْحَرْبَ قَد أَكَلَتِ الْعَرَبَ إِلَّا حُشَاشَاتِ أَنْفُسٍ بَقِيَتْ» أَلَا وَمَنْ أَكَلَهُ الْحَقُّ فَإِلَى الْجَنَّةِ، وَمَنْ أَكَلَهُ الْبَاطِلُ فَإِلَى النَّارِ. وَأَمَّا اسْتِوَاؤُنَا فِي الْحَرْبِ وَالرِّجَالِ فَلَسْتَ بِأَمْضَى عَلَى الشَّكِّ مِنِّي على الْيَقِينِ، وَلَيْسَ أَهْلُ الشَّامِ بِأَحْرَصَ عَلَى الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ عَلَى الآخِرَةِ. وَأَمَّا قَوْلُكَ «إِنَّا بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ» فَكَذَلِكَ نَحْنُ، وَلَكِنْ لَيْسَ أُمَيَّةُ كَهَاشِمٍ، وَلَا حَرْبٌ كَعَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَلَا أَبُوسُفْيَانَ كَأَبِي طَالِبٍ، وَلَا الْمُهَاجِرُ كَالطَّلِيقِ، وَلَا الصَّرِيحُ كَاللَّصِيقِ، وَلَا الْمُحِقُّ كَالْمُبْطِلِ، وَلَا الْمُؤْمِنُ كَالْمُدْغِلِ، وَلَبِئْسَ الْخَلَفُ خَلَفاً يَتْبَعُ سَلَفاً هَوَى فِي نَارِ جَهَنَّمَ.

وَفِي أَيْدِينَا بَعْدُ فَضْلُ النُّبُوَّةِ الَّتِي أَذْلَلْنَا بِهَا الْعَزِيزَ، وَنَعَشْنَا بِهَا الذَّلِيلَ. وَلَمَّا أَدْخَلَ اللهُ الْعَرَبَ فِي دِينِهِ أَفْوَاجاً، وَأَسْلَمَتْ لَهُ هَذِهِ الْأُمَّةُ طَوْعاً وَكَرْهاً كُنْتُمْ مِمَّنْ دَخَلَ فِي الدِّينِ إِمَّا رَغْبَةً وَإِمَّا رَهْبَةً عَلَى حِينَ فَازَ أَهْلُ السَّبْقِ بِسَبْقِهِمْ، وَذَهَبَ الْمُهَاجِرُونَ الْأَوَّلُونَ بِفَضْلِهِمْ فَلَا تَجْعَلَنَّ لِلشَّيْطَانِ فِيكَ نَصِيباً، وَلَا عَلَى نَفْسِكَ سَبِيلاً.

---

١ - جمهرة رسائل العرب ٤١٦/١.

اقول: قد كان معاوية سأل منه عليه السلام أن يعطيه الشام على ان لايكون له فى عنقه بيعة ولا طاعة. والحشاشة: بقية الروح. و قوله: فلست بأمضى، الى قوله: اليقين: يريد ان حركة معاوية فى هذا الأمر على شك منه فى استحقاقة و طلبه،و هو من ذلك على يقين والشاكّ فى امر ليس بأمضى فى طلبه من المتقيّن له. و باقى الفصل افتخار عليه و فيه انماء الى انّه من الطلقاء و قد مرّ بيانه. والصريح: خالص النسب. واللصيق: الدعيّ. والادغال: الفساد و رذالة الاخلاق. و نعشه: رفعه. والفوج: الجماعة الكثيرة، و بالله التوفيق.

١٨ - وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

إلى عبدالله بن عباس، و هو عامله على البصرة

اعْلَمْ أَنَّ الْبَصْرَةَ مَهْبِطُ إِبْلِيسَ وَمَغْرِسُ الْفِتَنِ فَحَادِثْ أَهْلَهَا بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ، وَاحْلُلْ عُقْدَةَ الْخَوْفِ عَنْ قُلُوبِهِمْ.

وَقَدْ بَلَغَنِي تَنَمُّرُكَ لِبَنِي تَمِيمٍ، وَغِلْظَتُكَ عَلَيْهِمْ؛ وَإِنَّ بَنِي تَمِيمٍ لَمْ يَغِبْ لَهُمْ نَجْمٌ إِلَّا طَلَعَ لَهُمْ آخَرُ، وَإِنَّهُمْ لَمْ يُسْبَقُوا بِوَغْمٍ فِي جَاهِلِيَّةٍ وَلَا إِسْلَامٍ، وَإِنَّ لَهُمْ بِنَا رَحِمًا مَاسَّةً، وَقَرَابَةً خَاصةً، نَحْنُ مَأْجُورُونَ عَلَى صِلَتِهَا، وَمَأْزُورُونَ عَلَى قَطِيعَتِهَا، فَارْبَعْ أَبَا الْعَبَّاسِ، رَحِمَكَ اَللهُ- فِيمَا جَرَى عَلَى لِسَانِكَ وَيَدِكَ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ؛ فَإِنَّا شَرِيكَانِ فِي ذٰلِكَ، وَكُنْ عِنْدَ صَالِحِ ظَنِّي بِكَ؛ وَلَا يَفِيلَنَّ رَأْيِي فِيكَ؛ وَالسَّلَامُ.

اقول: الفصل من كلام طويل... و كونها مهبط ابليس و مغرس الفتن، باعتبار انّها منشأ الفتن والآراء المختلفة والأهواء المتبعة التى منشأها ابليس، و انّما كان السبب الغالب فى ذلك كونها طرفا بعيدًا عن مقرّالخلفاء و ولاة الامر،فليس لما يقع فى نفوس من يطمع بالفساد فيها، و اثارة الفتنة بها من الوسوسة بذلك كاسر قريب، فتسرع فيها الفتن و تكثر. و كان ابن عباس قد اضرّ ببنى تميم حين وُلّيَ امر البصرة، من قبله عليه السلام لما عرفهم به من العداوة يوم الجمل لانّهم كانوا من شيعة طلحة والزبير، فحمل عليهم

فأقصاهم و تنكّر لهم حتى كان يسميهم شيعة الجمل، و انصار عسكر، و هو اسم الجمل، و حزب الشيطان، فاشتدّ ذلك على نفرمن شيعة عليّ عليه السّلام، من بنى تميم، منهم حارثة بن قدامة[1] فكتب بذلك الى على عليه السلام شاكيًا من ابن عباس فكتب عليه السلام الكتاب المذكور.

والتنمرّ: تنكّر الاخلاق، و استعار لفظ النجم، لمن يظهر من اشرافهم. والوغم: الحقد. و ماسة قريبة قبل ذلك، لاتّصال اسلافهم فى الياس بن مضر لانّ هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن لوىّ بن غالب بن فهر بن مالك بن النضربن كنانة بن خزيمة ابن مدركة بن الياس بن مضر. و تميم بن مراد بن طانجة بن الياس بن مضر. و اصل مأزورون موزورون فقلب للتجانس. و اربع اى: ارفق و تأنّ. و فيالة الرأى: ضعفه. و بالله التوفيق.

١٩ ـ وَمِنْ كِتابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام
إلى بعض عماله

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ دَهَاقِينَ أَهْلِ بَلَدِكَ شَكَوْا مِنْكَ غِلْظَةً وَقَسْوَةً، وَاحْتِقَارًا وَجَفْوَةً، وَنَظَرْتُ فَلَمْ أَرَهُمْ أَهْلاً لِأَنْ يُدْنَوْا لِشِرْكِهِمْ، وَلَا أَنْ يُقْصَوْا وَيُجْفَوْا لِعَهْدِهِمْ، فَالْبَسْ لَهُمْ جِلْبَاباً مِنَ اللِّينِ تَشُوبُهُ بِطَرَفٍ مِنَ الشِّدَّةِ، وَدَاوِلْ لَهُمْ بَيْنَ الْقَسْوَةِ وَالرَّأْفَةِ، وَامْزُجْ لَهُمْ بَيْنَ التَّقْرِيبِ وَالْإِدْنَاءِ، وَالْإِبْعَادِ وَالْإِقْصَاءِ؛ إِنْ شَاءَ اللهُ.

---

١ ـ حارثة بن قدامه السعدي التميمي ... احد خواص علي عليه السلام و صاحب السرايا والالوية والميل يوم صفين. تنقيح المقال ٢٤٩/١.

و ذهب اكثر المورخين ان اسمه جارية بن قدامة بن مالك بن زهير بن حصن بن رزاح بن سعد بن بحير بن ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم التميمى السعدي ... و من المؤسف ان على ممر الزمن ابدل ـ جارية ـ الى ـ حارثة واظنه تصحيفاً، وله صحبة و رواية عن الرسول الاقدس (ص) و هوالذي حرق عبدالله بن الحضرمي في دار سنبيل بالبصرة لان معاوية بعث الـى الحضرمي ليأخذ له البصرة فوجه علـي (ع) اعين بن ضُبيعة فقُتِلَ فوجّه جارية بن قدامة فحاصر ابن الحضرمي ثم حرق عليه. الاصابة ٢١٨/١ ترجمه ١٠٥. الاستيعاب ٢٤٥/١ ـ هامش الاصابة ـ رجال الطوسى / ٣٧.

أقول: الدهقان فارسيّ معرّب. والقسوة: الشدّة. والجفاء: ضدّ البر. واستعار لفظ الجلباب و هوالملحفة لما اشتمل عليه و يتلبّس به من اللين والرأفة. والادالة: الادارة. و داول بين القسوة والرافة اى: استعمل كُلّاًمنهما مّرةً. والمنقول أنّ هؤلاء كانوا مجوساً.

٢٠ ـ وَمِنْ كِتابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

إلى زيادبن أبيه، وهو خليفة عامله عبدالله بن عباس على البصرة، وعبدالله خليفة أميرالمؤمنين على البصرة والأهواز و فارس وكرمان.

وَإنّي أقْسِمُ بِاللهِ قَسَمًا صَادِقًا لَئِنْ بَلَغَنى أَنَّكَ خُنْتَ مِنْ فَيْءِ الْمُسْلِمِينَ شَيْئًا صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا لَأَشُدَّنَّ عَلَيْكَ شَدَّةً تَدَعُكَ قَلِيلَ الْوَفْرِ، ثَقِيلَ الظَّهْرِ، ضَئِيلَ الْأَمْرِ؛ وَالسَّلَامُ.

اقول: زياد هذا هو: ابن سمية ام ابى بكرة، وهو دعيّ ابى سفيان واوّل من دعاه بابن أبيه[1] عايشة حين سُئِلَتْ لِمَنْ يُدْعى. والشدّة: الحملة. و الوفر: المال. والضئيل: الحقير. و ثقل الظهر: بالآثام او بالعائلة. و تدعك اى: تتركك. والمنصوبات الثلاث أحوال و لا يلزم ان يكون تلك الأحوال من شدّته عليه السلام، لان الحال لايلزم ان يكون من فعل الفاعل.

٢١ ـ وَمِنْ كِتابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

إليه أيضاً

فَدَعِ الْإسْرَافَ مُقْتَصِدًا، وَاذْكُرْ فِي الْيَوْمِ غَدًا، وَأَمْسِكْ مِنَ الْمَالِ بِقَدْرِ ضَرُورَتِكَ، وَقَدِّمِ الْفَضْلَ لِيَوْمِ حَاجَتِكَ.

أَتَرْجُو أَنْ يُعْطِيَكَ اللهُ أَجْرَ الْمُتَوَاضِعِينَ وَأَنْتَ عِنْدَهُ مِنَ الْمُتَكَبِّرِينَ؟ وَتَطْمَعُ ـ وَأَنْتَ مُتَمَرِّغٌ فِي النَّعِيمِ تَمْنَعُهُ الضَّعِيفَ وَالْأَرْمَلَةَ ـ أَنْ يُوجِبَ لَكَ ثَوَابَ الْمُتَصَدِّقِينَ؟ وَإِنَّمَا الْمَرْءُ مَجْزِيٌّ بِمَا أَسْلَفَ، وَقَادِمٌ عَلَى مَا قَدَّمَ؛ وَالسَّلَامُ.

---

١ ـ الغدير ١٠/٢١٦-٢٢٧.

أقول: التمرّغ: التقلّب. والفصل ظاهر.

٢٢ ـ وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

إلى عبدالله بن العباس رحمه الله

وكان عبدالله يقول: ما انتفعت بكلام بعد كلام رسول الله، صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كانتفاعي بهذا الكلام.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الْمَرْءَ قَدْ يَسُرُّهُ دَرْكُ مَالَمْ يَكُنْ لِيَفُوتَهُ؛ وَيَسُوءُهُ فَوْتُ مَالَمْ يَكُنْ لِيُدْرِكَهُ؛ فَلْيَكُنْ سُرُورُكَ بِمَا نِلْتَ مِنْ آخِرَتِكَ، وَلْيَكُنْ أَسَفُكَ عَلَى مَافَاتَكَ مِنْهَا؛ وَمَا نِلْتَ مِنْ دُنْيَاكَ فَلاَ تُكْثِرْ بِهِ فَرَحًا، وَمَا فَاتَكَ مِنْهَا فَلاَ تَأْسَ عَلَيْهِ جَزَعًا؛ وَلْيَكُنْ هَمُّكَ فِيمَا بَعْدَ الْمَوْتِ.

اقول: حاصل الفصل بيان ما ينبغي ان يفرح المرء به من الكمالات الاخرويّة، ويحزن لفوته منها، و ما لا ينبغي له منها في متاع الدنيا و كمالاتها. و قوله: فان المرء، الى قوله: ليدركه، كالمقدّمة لذلك اشار فيها الى ان في طبيعة الانسان ان يسرّ بما يدركه من المطالب، و ينسي بما يفوته منها فكأنه قال: و اذا كان في طبيعة المرء ذلك فليكن سرورك بما تنال من الآخرة، واسفك على ما يفوتك منها دون الدنيا. وفي قوله: ما لم يكن ليفوته، و ما لم يكن ليدركه: تنبيه على انّ ما يفوت و يدرك واجب في القضاء الآلهي فوته و دركه: و فائدة ذلك ان لايشتدّ الفرح بما ينال من متاع الدنيا، ولا يشتدّ الأسف على ما يفوت منها لانّ الفرح بما لابُدَّ من حصوله، والأَسَفُ على ما لابُدّ من فواته جهل و سَفَهٌ في العقول، و ما نال من آخرته في الدنيا هو الكمالات النفسانيّة الباقية. والفصل من لطائف الكتاب.

٢٣ ـ وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

قاله قبل موته على سبيل الوصية، لما ضربه ابن ملجم لعنه الله

وَصِيَّتِي لَكُمْ أَنْ لاَ تُشْرِكُوا بِاللهِ شَيْئاً؛ وَمُحَمَّدٌ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَلاَ تُضَيِّعُوا

سُنَّتَهُ: أَقِيمُوا هٰذَيْنِ الْعَمُودَيْنِ، وَخَلاكُمْ ذَمٌّ.

أَنَا بِالْأَمْسِ صَاحِبُكُمْ، وَالْيَوْمَ عِبْرَةٌ لَكُمْ؛ وَغَداً مُفَارِقُكُمْ! إِنْ أَبْقَ فَأَنَا وَلِيُّ دَمِي، وَإِنْ أَفْنَ فَالْفَنَاءُ مِيعَادِي؛ وَإِنْ أَعْفُ فَالْعَفْوُ لِي قُرْبَةٌ، وَهُوَ لَكُمْ حَسَنَةٌ؛ فَاعْفُوا (أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ)[1]؟

وَاللهِ مَا فَجَأَنِي مِنَ الْمَوْتِ وَارِدٌ كَرِهْتُهُ؛ وَلَا طَالِعٌ أَنْكَرْتُهُ؛ وَمَا كُنْتُ إِلَّا كَقَارِبٍ وَرَدَ، وَطَالِبٍ وَجَدَ (وَمَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ)[2].

قال السيد ـ رضي الله عنه ـ: وقد مضى بعض هذا الكلام فيما تقدّم من الخطب إلّا أنّ فيه هاهنا زيادةً أوجبت تكريره.

اقول: استعار لفظ العمودين: لتوحيد الله، و اتباع سنّة رسوله، لقيام الدين بهما. وقوله: وخلاكم ذمّ من ممادح العرب. و نبّه بقوله: انا، الى قوله: مفارقكم على وجوب العبرة بحاله. و قوله: و ان اعف على تقدير البقاء، فكأنه قال: فانا وليّ دمي وان اقتص فذاك حقّي، و ان اعف فالعفولي قربة. و لما كان عليه السلام سيّدَ الأولياء الذين هم أشدّ حبًّا لله و أشوقُ الى لقائه، لم يكن واردُ الموت مكروهاً له و لا منكراً عندَه بل محبوباً و مألوفا. فجأه الأمر: أتاه بغتة، و شبّه نفسَهُ في شدّة طلبه للقاء الله يومئذ بالقارب و هو طالب الماء اذا اورده بطالب الواجد لمطلوبه.

٢٤ ـ وَمِنْ وَصِيَّةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

بما يُعْمَلُ في أمواله، كتبها بعدَ منصَرفِهِ من صفّين

هٰذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُاللهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أَمِيرُالْمُؤْمِنِينَ فِي مَالِهِ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ، لِيُولِجَهُ الْجَنَّةَ، وَيُعْطِيَهُ بِهِ الأَمَنَةَ.

منها:

وَإِنَّهُ يَقُومُ بِذٰلِكَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ: يَأْكُلُ مِنْهُ بِالْمَعْرُوفِ، وَيُنْفِقُ فِي الْمَعْرُوفِ؛ فَإِنْ

---

١ ـ سورة النور/٢٢.
٢ ـ سورة آل عمران / ١٩٨.

حَدَثَ بِحَسَنٍ حَدَثٌ، وَحُسَيْنٌ حَيٌّ قَامَ بِالْأَمْرِ بَعْدَهُ، وَأَصْدَرَهُ مَصْدَرَهُ.

وَإِنَّ لِبَنِي فَاطِمَةَ مِنْ صَدَقَةِ عَلِيٍّ مِثْلَ الَّذِي لِبَنِي عَلِيٍّ؛ وَإِنِّي إِنَّمَا جَعَلْتُ الْقِيَامَ بِذٰلِكَ إِلَى ابْنَيْ فَاطِمَةَ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ، وَقُرْبَةً إِلَى رَسُولِ اللهِ، وَتَكْرِيماً لِحُرْمَتِهِ، وَتَشْرِيفاً لِوُصْلَتِهِ.

وَيَشْتَرِطُ عَلَى الَّذِي يَجْعَلُهُ إِلَيْهِ أَنْ يَتْرُكَ الْمَالَ عَلَى أُصُولِهِ، وَيُنْفِقَ مِنْ ثَمَرِهِ حَيْثُ أُمِرَ بِهِ وَهُدِيَ لَهُ، وَأَنْ لَا يَبِيعَ مِنْ أَوْلَادِ نَخِيلِ هٰذِهِ الْقُرَى وَدِيَّةً، حَتَّى تُشْكِلَ أَرْضُهَا غِرَاسًا.

وَمَنْ كَانَ مِنْ إِمَائِي اللَّاتِي أَطُوفُ عَلَيْهِنَّ لَهَا وَلَدٌ أَوْ هِيَ حَامِلٌ فَتُمْسَكُ عَلَى وَلَدِهَا وَهِيَ مِنْ حَظِّهِ؛ فَإِنْ مَاتَ وَلَدُهَا وَهِيَ حَيَّةٌ فَهِيَ عَتِيقَةٌ: قَدْ أَفْرَجَ عَنْهَا الرِّقُّ، وَحَرَّرَهَا الْعِتْقُ.

قال السيد ـ رحمه الله ـ: قوله عليه السلام في هذه الوصيه «أن لا يبيع من نخيلها وديه»: الوديه: الفسيله، وجمعها ودي، وقوله عليه السلام «حتى تشكل أرضها غراساً» هو من أفصح الكلام، والمراد به أنّ الارض يكثر فيها غراس النخل حتى يراها الناظر على غير تلك الصفه التي عرفها بها فيشكل عليه أمرها ويحسبها غيرها.

اقول: يولجه: يدخله. والأمنة: الأمن. والضمير في قوله، مصدره للأمر اى: اخرج الحق مخرجه واطلعه مطلعه. و قيل: للحسن، اى: اصدرالحسين الحق مصدرالحسن، و كما فعل بالمعروف. والضمير في يشترط لعلّي، و يحتمل ان يكون للحسين: و فائدة النهى عن بيع الفسيل قبل اشكال الارض غراسًا: انّه محتاج اليه، وانّ النخلة قبل ان تعلو لم يستحكم جذعها فيضرّ بها قلعُ فسيلها. و الطواف هنا: كناية عن النكاح، و كُنَّ يومئذ ستّ عشرةَ امةً. و قوله: فتمسك الى آخره اى: انّ ثمنها محسوب من نصيب ولدها، و تمسك عليه و قضاءه عليه السلام بذلك، وصية يعتق من مات ولدها من آمائه بعد موته بناء على مذهبه فى بقاء امّ الولد على الرقّ بعد موت سيّدها المستولد، و يصحّ بيعها و هو مذهب الامامية، و قول قديم للشافعي، و في الجديد انّها تنعتق بموت سيّدها المستولد، و لايجوز بيعها و عليه اتفاق فقهاء الجمهور.

٢٥ - وَمِنْ وَصِيَّةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

كان يكتبها لمن يستعمله على الصدقات، وإنما ذكرنا هنا جملا منها لِيُعْلَمَ بها أَنَّهُ كان يقيم عمادَ الحقِّ، ويَشْرَعَ أمثلةَ العدل: في صغيرِ الأمورِ وكبيرِها، ودقيقِها وجليلِها.

اِنْطَلِقْ عَلَى تَقْوَى اللهِ وَحْدَهُ لَاشَرِيكَ لَهُ، وَلَا تُرَوِّعَنَّ مُسْلِمًا، وَلَا تَجْتَازَنَّ عَلَيْهِ كَارِهًا؛ وَلَا تَأْخُذَنَّ مِنْهُ أَكْثَرَ مِنْ حَقِّ اللهِ فِي مَالِهِ؛ فَإِذَا قَدِمْتَ عَلَى الْحَيِّ فَانْزِلْ بِمَائِهِمْ، مِنْ غَيْرِ أَنْ تُخَالِطَ أَبْيَاتَهُمْ، ثُمَّ امْضِ إِلَيْهِمْ بِالسَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ حَتَّى تَقُومَ بَيْنَهُمْ فَتُسَلِّمَ عَلَيْهِمْ؛ وَلَا تُخْدِجْ بِالتَّحِيَّةِ لَهُمْ، ثُمَّ تَقُولَ: عِبَادَاللهِ، أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ وَلِيُّ اللهِ وَخَلِيفَتُهُ لِآخُذَ مِنْكُمْ حَقَّ اللهِ فِي أَمْوَالِكُمْ؛ فَهَلْ للهِ فِي أَمْوَالِكُمْ مِنْ حَقٍّ فَتُؤَدُّوهُ إِلَى وَلِيِّهِ؟ فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: لَا! فَلَا تُرَاجِعْهُ وَ إِنْ أَنْعَمَ لَكَ مُنْعِمٌ، فَانْطَلِقْ مَعَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُخِيفَهُ وَتُوعِدَهُ، أَوْ تَعْسِفَهُ، أَوْ تُرْهِقَهُ! فَخُذْ مَا أَعْطَاكَ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ؛ فَإِنْ كَانَ لَهُ مَاشِيَةٌ أَوْإِبِلٌ فَلَا تَدْخُلْهَا إِلَّا بِإِذْنِهِ؛ فَإِنَّ أَكْثَرَهَالَهُ؛ فَإِذَا أَتَيْتَها فَلَا تَدْخُلْ عَلَيْهَا دُخُولَ مُتَسَلِّطٍ عَلَيْهِ وَلَاعَنِيفٍ بِهِ، وَلَا تُنَفِّرَنَّ بَهِيمَةً وَلَا تُفْزِعَنَّهَا، وَلَا تَسُوءَنَّ صَاحِبَهَا فِيهَا وَاصْدَعِ الْمَالَ صَدْعَيْنِ ثُمَّ خَيِّرْهُ: فَإِذَا اخْتَارَ فَلَا تَعَرَّضَنَّ لِمَا اخْتَارَهُ، ثُمَّ اصْدَعِ الْبَاقِي صَدْعَيْنِ، ثُمَّ خَيِّرْهُ: فَإِذَا اخْتَارَ فَلَا تَعَرَّضَنَّ لِمَا اخْتَارَهُ، فَلَا تَزَالُ كَذٰلِكَ حَتَّى يَبْقَى مَافِيهِ وَفَاءٌ لِحَقِّ اللهِ فِي مَالِهِ، فَاقْبِضْ حَقَّ اللهِ مِنْهُ، فَإِنِ اسْتَقَالَكَ فَأَقِلْهُ، ثُمَّ اخْلِطْهُمَا، ثُمَّ اصْنَعْ مِثْلَ الَّذِي صَنَعْتَ أَوَّلاً حَتَّى تَأْخُذَ حَقَّ اللهِ فِي مَالِهِ. وَلَا تَأْخُذَنَّ عَوْدًا، وَلَاهَرِمَةً، وَلَامَكْسُورَةً، وَلَامَهْلُوسَةً، وَلَاذَاتَ عَوَارٍ، وَلَا تَأْمَنَنَّ عَلَيْهَا إِلَّا مَنْ تَثِقُ بِدِينِهِ رَافِقًا بِمَالِ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى يُوَصِّلَهُ إِلَى وَلِيِّهِمْ فَيَقْسِمَهُ بَيْنَهُمْ، وَلَا تُوَكِّلْ بِهَا إِلَّا نَاصِحًا شَفِيقًا وَأَمِينًا حَفِيظًا، غَيْرَ مُعَنِّفٍ وَلَا مُجْحِفٍ وَلَامُلْغِبٍ وَلَامُتْعِبٍ، ثُمَّ احْدُرْ إِلَيْنَا مَا اجْتَمَعَ عِنْدَكَ ، نُصَيِّرْهُ حَيْثُ أَمَرَ اللهُ؛ فَإِذَا أَخَذَهَا أَمِينُكَ فَأَوْعِزْ إِلَيْهِ أَنْ لَايَحُولَ بَيْنَ نَاقَةٍ وَبَيْنَ فَصِيلِهَا، وَلَا يَمْصُرَ لَبَنَهَا فَيَضُرَّ ذٰلِكَ بِوَلَدِهَا وَلَايَجْهَدَنَّهَا رُكُوبًا، وَلْيَعْدِلْ بَيْنَ صَوَاحِبَاتِهَا فِي ذٰلِكَ وَبَيْنَهَا، وَلْيُرَفِّهْ عَلَى اللَّاغِبِ، وَلْيَسْتَأْنِ بِالنَّقِبِ وَالظَّالِعِ، وَلْيُورِدْهَا مَا تَمُرُّ بِهِ مِنَ الْغُدُرِ، وَلَايَعْدِلْ بِهَا عَنْ نَبْتِ الْأَرْضِ إِلَى جَوَادِّ الطُّرُقِ، وَلْيُرَوِّحْهَا فِي السَّاعَاتِ، وَلْيُمْهِلْهَا عِنْدَ النِّطَافِ وَالْأَعْشَابِ، حَتَّى تَأْتِينَا، بِإِذْنِ اللهِ، بُدَّنًا مُنْقِيَاتٍ، غَيْرَ مُتْعَبَاتٍ وَلَا مَجْهُودَاتٍ، لِنَقْسِمَهَا عَلَى كِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ؛ فَإِنَّ ذٰلِكَ

أَعْظَمُ لِأَجْرِكَ، وَأَقْرَبُ لِرُشْدِكَ، إِنْ شَاءَ ٱللهُ.

اقول: الروع: الفزع. و لا يختارون عليه اى: لا تطلب خيار ماله. و لا تخدج التحيّة اى: لا تنقضها. و انعم قال نعم. والعسف: الأخذ بشدّة. والإرهاق تكليف العسر. و اصدع المال اقسمه. والعود: المسنّ من الإبل أسن من البازل. و كذلك الهرمة: عالية السنّ. والمكسورة: التى انكسرت احدى قوائمها. والمهلوسة: المسلولة والهلاس: السل. والعوار بالفتح ـ: العيب. و قد يضم. والمجحف: الذى يعنف بالمال في سوقه فيذهب بلحمه. والملغب: المتعب. و اوعزاليه بكذا امره به. والمصر[1]: حلب كل ما فى الضرع من اللبن. والنقب: البعير ترقّ اخفافه. والغدر: جمع غدير: الماء. والساعات: جمع ساعة مصدر قولك: ساعت الناقة اذا هملت تسوع سوعاً و ساعة اى: بوجدها الراحة في سوءمها بالصبر و التأني عليها في المرعى. والنطاف: المياه القليلة. والبدن: السمان. و المنقيات: التى صارت من سمنها ذات نَقيٍّ: و هو مُخّ العظام و شحم العين. و مقاصد الوصيّة ظاهرة، وبالله التوفيق.

٢٦ ـ وَمِنْ عَهْدٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

إلى بعض عمّاله، وقد بعثه على الصّدقة

آمُرُهُ بِتَقْوَى ٱللهِ فِي سَرَائِرِ أَمْرِهِ وَخَفِيَّاتِ عَمَلِهِ، حَيْثُ لَاشَاهِدَ غَيْرُهُ، وَلَاوَكِيلَ دُونَهُ.

وَ آمُرُهُ أَنْ لَايَعْمَلَ بِشَيْءٍ مِنْ طَاعَةِ ٱللهِ فِيمَا ظَهَرَ فَيُخَالِفَ إِلَى غَيْرِهِ فِيمَا أَسَرَّ، وَمَنْ لَمْ يَخْتَلِفْ سِرُّهُ وَعَلَانِيَتُهُ وَفِعْلُهُ وَمَقَالَتُهُ؛ فَقَدْ أَدَّى الْأَمَانَةَ، وَأَخْلَصَ الْعِبَادَةَ. وَآمُرُهُ أَنْ لَايَجْبَهَهُمْ، وَلَايَعْضَهَهُمْ، وَلَايَرْغَبَ عَنْهُمْ تَفَضُّلاً بِالْاِمَارَةِ عَلَيْهِمْ؛ فَإِنَّهُمُ الْإِخْوَانُ فِي الدِّينِ، وَالْأَعْوَانُ عَلَى ٱسْتِخْرَاجِ الْحُقُوقِ.

وَإِنَّ لَكَ فِي هٰذِهِ الصَّدَقَةِ نَصِيبًا مَفْرُوضًا، وَحَقًّا مَعْلُومًا، وَشُرَكَاءَ أَهْلَ مَسْكَنَةٍ،

---

١ ـ في هامش ش هكذا: مصرت الشاة اذا حلبت جميع ما كان فى ضرعها.

وَضُعَفَاءَ ذَوِي فَاقَةٍ؛ وَإِنَّا مُوَفُّوكَ حَقَّكَ فَوَفِّهِمْ حُقُوقَهُمْ! وَإِلاَّ تَفْعَلْ فَإِنَّكَ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ خُصُومًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ وَبُؤْسًا لِمَنْ خَصْمُهُ عِنْدَاللهِ الْفُقَرَاءُ، وَالْمَسَاكِينُ، وَالسَّائِلُونَ، وَالْمَدْفُوعُونَ، وَالْغَارِمُ، وَابْنُ السَّبِيلِ!! وَمَنِ اسْتَهَانَ بِالْأَمَانَةِ، وَرَتَعَ فِي الْخِيَانَةِ، وَلَمْ يُنَزِّهْ نَفْسَهُ وَدِينَهُ عَنْهَا؛ فَقَدْ أَحَلَّ بِنَفْسِهِ فِي الدُّنْيَا الذُّلَّ وَالْخِزْيَ، وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَذَلُّ وَأَخْزَى؛ وَإِنَّ أَعْظَمَ الْخِيَانَةِ خِيَانَةُ الْأُمَّةِ، وَأَفْظَعَ الْغِشِّ غِشُّ الْأَئِمَّةِ؛ وَالسَّلاَمُ.

اقول: الضمير فى قوله: آمره، يعود الى المعهود اليه. و قوله: و آمره، الى قوله: فيما اسرّ اى: لا يخالف بين ظاهر عمله فى طاعة الله و بين باطنه. و عَضَهَهُ عضهاً: رماه بالبهتان والكذب. ولا يرغب عنهم اى: لاينقبض عنهم و يترفّع عليهم. و قوله: فانهم، الى قوله: الحقوق صغرى ضمير نبّه فيها على وجوب الانتهاء عن المنهيّات المذكورة، و تقدير كبراه، و كل من كان كذلك فلايجوز ان يفعل به ذلك. و شركاؤه: المستحقون للصدقة. والبؤس: الشدّة. والفقير: من له بُلْغَةٌ من العيش لا تكفيه. والمسكين: هوالذى لاشئ له. و المدفوعون: قيل: هم السائلون لدفعهم عندالسؤال، و قيل: هم العاملون عليها باعتبار انّهم يُدفعون الى الجباية او يدفعهم المسؤل،هل عليه زكاة ام لا عن نفسه؟ والغارم: من لزمه الدَّين فى غير معصية. و ابن السبيل هو المنقطع به فى السفر يُعْطَىٰ من الصدقة و ان كان غنيًا فى بلده. و افظع الغشّ: اشدّه. و بالله التوفيق.

٢٧ - وَمِنْ عَهْدٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

إلى محمد بن أبى بكر، رضى الله عنه حين قلّده مصر

فَاخْفِضْ لَهُمْ جَنَاحَكَ، وَأَلِنْ لَهُمْ جَانِبَكَ، وَابْسُطْ لَهُمْ وَجْهَكَ، وَآسِ بَيْنَهُمْ فِي اللَّحْظَةِ وَالنَّظْرَةِ، حَتَّى لاَيَطْمَعَ الْعُظَمَاءُ فِي حَيْفِكَ لَهُمْ، وَلاَيَيْأَسَ الضُّعَفَاءُ مِنْ عَدْلِكَ عَلَيْهِمْ؛ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى يُسَائِلُكُمْ مَعْشَرَ عِبَادِهِ عَنِ الصَّغِيرَةِ مِنْ أَعْمَالِكُمْ وَالْكَبِيرَةِ، وَالظَّاهِرَةِ وَالْمَسْتُورَةِ: فَإِنْ يُعَذِّبْ فَأَنْتُمْ أَظْلَمُ؛ وَإِنْ يَعْفُ فَهُوَ أَكْرَمُ.

وَاعْلَمُوا، عِبَادَاللهِ، أَنَّ الْمُتَّقِينَ ذَهَبُوا بِعَاجِلِ الدُّنْيَا وَآجِلِ الْآخِرَةِ، فَشَارَكُوا أَهْلَ الدُّنْيَا

فِي دُنْيَاهُمْ، وَلَمْ يُشَارِكْهُمْ أَهْلُ الدُّنْيَا فِي آخِرَتِهِمْ: سَكَنُوا الدُّنْيَا بِأَفْضَلِ مَا سُكِنَتْ، وَأَكَلُوهَا بِأَفْضَلِ مَا أُكِلَتْ، فَحَظُوا مِنَ الدُّنْيَا بِمَا حَظِيَ بِهِ الْمُتْرَفُونَ، وَأَخَذُوا مِنْهَا مَا أَخَذَهُ الْجَبَابِرَةُ الْمُتَكَبِّرُونَ؛ ثُمَّ انْقَلَبُوا عَنْهَا بِالزَّادِالْمُبَلِّغِ، وَالْمَتْجَرِ الرَّابِحِ: أَصَابُوا لَذَّةَ زُهْدِالدُّنْيَا فِي دُنْيَاهُمْ، وَتَيَقَّنُوا أَنَّهُمْ جِيرَانُ اللهِ غَدًا فِي آخِرَتِهِمْ، لاَ تُرَدُّ لَهُمْ دَعْوَةٌ، وَلاَيَنْقُصُ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنْ لَذَّةٍ، فَاحْذَرُوا عِبَادَاللهِ الْمَوْتَ وَقُرْبَهُ، وَأَعِدُّوا لَهُ عِدَّتَهُ؛ فَإِنَّهُ يَأْتِي بِأَمْرٍ عَظِيمٍ، وَخَطْبٍ جَلِيلٍ: بِخَيْرٍ لاَيَكُونُ مَعَهُ شَرٌّ أَبَدًا، أَوْشَرٍّ لاَيَكُونُ مَعَهُ خَيْرٌ أَبَدًا! فَمَنْ أَقْرَبُ إِلَى الْجَنَّةِ مِنْ عَامِلِهَا، وَمَنْ أَقْرَبُ إِلَى النَّارِ مِنْ عَامِلِهَا؟ وَأَنْتُمْ طُرَدَاءُ الْمَوْتِ: إِنْ أَقَمْتُمْ لَهُ أَخَذَكُمْ، وَإِنْ فَرَرْتُمْ مِنْهُ أَدْرَكَكُمْ، وَهُوَ أَلْزَمُ لَكُمْ مِنْ ظِلِّكُمْ! الْمَوْتُ مَعْقُودٌ بِنَوَاصِيكُمْ، وَالدُّنْيَا تُطْوَى مِنْ خَلْفِكُمْ، فَاحْذَرُوا نَارًا قَعْرُهَا بَعِيدٌ، وَحَرُّهَا شَدِيدٌ، وَعَذَابُهَا جَدِيدٌ: دَارٌ لَيْسَ فِيهَا رَحْمَةٌ، وَلاَ تُسْمَعُ فِيهَا دَعْوَةٌ، وَلاَ تُفَرَّجُ فِيهَا كُرْبَةٌ، وَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ يَشْتَدَّ خَوْفُكُمْ مِنَ اللهِ، وَأَنْ يَحْسُنَ ظَنُّكُمْ بِهِ؛ فَاجْمَعُوا بَيْنَهُمَا، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِنَّمَا يَكُونُ حُسْنُ ظَنِّهِ بِرَبِّهِ عَلَى قَدْرِ خَوْفِهِ مِنْ رَبِّهِ، وَإِنَّ أَحْسَنَ النَّاسِ ظَنًّا بِاللهِ أَشَدُّهُمْ خَوْفًا لِلَّهِ

وَاعْلَمْ، يَامُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، أَنِّي قَدْ وَلَّيْتُكَ أَعْظَمَ أَجْنَادِي فِي نَفْسِي: أَهْلَ مِصْرَ، فَأَنْتَ مَحْقُوقٌ أَنْ تُخَالِفَ عَلَى نَفْسِكَ، وَأَنْ تُنَافِحَ عَنْ دِينِكَ، وَلَوْلَمْ يَكُنْ لَكَ إِلاَّ سَاعَةٌ مِنَ الدَّهْرِ، وَلاَ تُسْخِطِ اللهَ بِرِضَا أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ؛ فَإِنَّ فِي اللهِ خَلَفًا مِنْ غَيْرِهِ، وَلَيْسَ مِنَ اللهِ خَلَفٌ فِي غَيْرِهِ.

صَلِّ الصَّلاَةَ لِوَقْتِهَا الْمُوَقَّتِ لَهَا، وَلاَ تُعَجِّلْ وَقْتَهَا لِفَرَاغٍ، وَلاَ تُؤَخِّرْهَا عَنْ وَقْتِهَا لاِشْتِغَالٍ، وَاعْلَمْ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ عَمَلِكَ تَبَعٌ لِصَلاَتِكَ.

اقول: خفض الجناح: كناية عن التواضع، و بسط الوجه: كناية عن البشاشة والطلاقة، و الضمير في عليهم للضعفاء و قيل: للعظماء. و قوله: ذهبوا، الى قوله: الآخرة اى: حصلوا على ذلك. و قوله: بأفضل ما سكنت و بافضل ما اكلت: اى: استعملوها على الوجه الذى ينبغى لهم، والذى امروا باستعمالها عليه و ذلك هو أفضل الوجوه. والزاد المبلغ: وهوالتقوى و استعار لها لفظ المتجر. و عامل الجنة: العامل لها. و استعار وصف الطىّ لتقضى احوال الدنيا و ايامها التى يقطعها الانسان و عذابها جديد كقوله تعالى:

(كُلَّما نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْناهُمْ جُلُوداً غَيْرَها) [1] و روى و عذابها جديد، هو كقوله تعالى: (وَ لَهُمْ مَقامِعُ مِنْ حَدِيدٍ) [2] و نحوه. و قوله بينهما اى: بين شدّة الخوف و حسن الظن به.

و اعلم انّه عليه السلام لم يجعل احدهما علّة للآخر بل اشار الى ملازمتهما لانهما معلولا عِلّةٍ واحدة، وهي معرفة الله تعالى، و قبولهما للشدّة و الضعف بحسب قبولهما في نفس العبد الّا انّ كلاً منهما يستند الى اعتبار من المعرفة خاص يكون مبدأ قريبًا له، اما في حُسنِ الظنّ والرجاء، فان يلحظ العبد من ربّه صفات رحمته و جوده، و رأفته و وعده، و اما في الخوف فان يلحظ منه اوصاف عظمته و بأسه وسطوته، و صولته و وعيده، و بحسب اشتدادِ تصوّر تلك الاعتبارات يكون اشتداد الخوف و لوازمه من انقباض الجوارح عن المعاصي، و نحول الابدان و غير ذلك. و تخالف على نفسك اى: الامّارة بالسوء في هواها: والمنافحة: المضاربة والمخاصمة. والخلف: العوض، وانّما كان كل عمل له تبعًا لصلاته لأنها عمود الدين، قال رسول الله صلى الله عليه و آله «اوّل ما يحاسب به العبد الصلاة فمن تمّت صلاته سهل عليه غيرها من العبادات، و من نقصت صلاته فانّه يحاسب عليها و على غيرها [1].»

وَمِنْ هٰذا العَهْدِ ايضاً

فَإِنَّهُ لاَسَواءٌ: إِمَامُ الْهُدَى، وَإِمَامُ الرَّدَى؛ وَوَلِيُّ النَّبِيِّ، وَعَدُوُّ النَّبِيِّ. وَلَقَدْ قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «إِنِّي لاَأَخَافُ عَلَى أُمَّتِي مُؤْمِناً وَلاَمُشْرِكاً: أَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَمْنَعُهُ اللهُ بِإِيمَانِهِ، وَأَمَّا الْمُشْرِكُ فَيَقْمَعُهُ اللهُ بِشِرْكِهِ، وَلكِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ كُلَّ مُنَافِقِ الْجَنَانِ عَالِمِ اللِّسَانِ: يَقُولُ مَا تَعْرِفُونَ، وَيَفْعَلُ مَا تُنْكِرُونَ» [2].

اقول: اشار بامام الهدى، و وليّ النبيّ الى نفسه، و بامام الردى و عدوّ النبيّ، الى معاوية تنفيرًا عنه. و يقمعه: يقهره و يذلّله. وعلْمُ اللسانِ قولُ الحقّ الّذي يعرفونهُ.

---

١ - سورة النساء / ٥٦.　　٢ - سورة الحج / ٢١.

١ - الجامع الصغير ٤٣٦/١.　　٢ - سفينة البحار ٦٠٦/٢ بالفاظ مختلفة. صحيح مسلم ٧٨/١.

٢٨ - وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

إلى معاوية جوابا، وهو من محاسن الكتب

أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ أَتَانِي كِتَابُكَ تَذْكُرُ فِيهِ اصْطِفَاءَ اللهِ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِدِينِهِ؛ وَتَأْيِيدَهُ إِيَّاهُ بِمَنْ أَيَّدَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَلَقَدْ خَبَأَ لَنَا الدَّهْرُ مِنْكَ عَجَبًا إِذْ طَفِقْتَ تُخْبِرُنَا بِبَلَاءِ اللهِ تَعَالَى عِنْدَنَا، وَنِعْمَتِهِ عَلَيْنَا فِي نَبِيِّنَا، فَكُنْتَ فِي ذٰلِكَ كَنَاقِلِ التَّمْرِ إِلَى هَجَرٍ، أَوْدَاعِي مُسَدِّدِهِ إِلَى النِّضَالِ، وَزَعَمْتَ أَنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ فِي الْاسْلَامِ فُلَانٌ وَفُلَانٌ! فَذَكَرْتَ أَمْرًا إِنْ تَمَّ اعْتَزَلَكَ كُلُّهُ، وَإِنْ نَقَصَ لَمْ يَلْحَقْكَ ثَلْمُهُ، وَمَا أَنْتَ وَالْفَاضِلَ وَالْمَفْضُولَ، وَالسَّائِسَ وَالْمَسُوسَ، وَمَا لِلطُّلَقَاءِ وَأَبْنَاءِ الطُّلَقَاءِ، وَالتَّمْيِيزَ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ، وَتَرْتِيبَ دَرَجَاتِهِمْ، وَتَعْرِيفَ طَبَقَاتِهِمْ؟ هَيْهَاتَ! لَقَدْ حَنَّ قِدْحٌ لَيْسَ مِنْهَا، وَطَفِقَ يَحْكُمُ فِيهَا مَنْ عَلَيْهِ الْحُكْمُ لَهَا، أَلَا تَرْبَعُ، أَيُّهَا الْانْسَانُ؟ عَلَى ظَلْعِكَ، وَتَعْرِفُ قُصُورَ ذَرْعِكَ، وَتَتَأَخَّرُ حَيْثُ أَخَّرَكَ الْقَدَرُ! فَمَا عَلَيْكَ غَلَبَةُ الْمَغْلُوبِ وَلَاظَفَرُ الظَّافِرِ! وَإِنَّكَ لَذَهَّابٌ فِي التِّيهِ، رَوَّاغٌ عَنِ الْقَصْدِ، أَلَا تَرَى -غَيْرَ مُخْبِرٍ لَكَ، وَلٰكِنْ بِنِعْمَةِ اللهِ أُحَدِّثُ- أَنَّ قَوْمًا اسْتُشْهِدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، وَلِكُلٍّ فَضْلٌ! حَتَّى إِذَا اسْتُشْهِدَ شَهِيدُنَا قِيلَ «سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ» وَخَصَّهُ رَسُولُ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، بِسَبْعِينَ تَكْبِيرَةً عِنْدَ صَلَاتِهِ عَلَيْهِ؟ أَوَلَا تَرَى أَنَّ قَوْمًا قُطِعَتْ أَيْدِيهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلِكُلٍّ فَضْلٌ! حَتَّى إِذَا فُعِلَ بِوَاحِدِنَا مَا فُعِلَ بِوَاحِدِهِمْ قِيلَ: «الطَّيَّارُ فِي الْجَنَّةِ، وَذُوالْجَنَاحَيْنِ» وَلَوْلَا مَانَهَى اللهُ مِنْ تَزْكِيَةِ الْمَرْءِ نَفْسَهُ لَذَكَرَ ذَاكِرٌ فَضَائِلَ جَمَّةً، تَعْرِفُهَا قُلُوبُ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا تَمُجُّهَا آذَانُ السَّامِعِينَ. فَدَعْ عَنْكَ مَنْ مَالَتْ بِهِ الرَّمِيَّةُ، فَإِنَّا صَنَائِعُ رَبِّنَا، وَالنَّاسُ بَعْدُ صَنَائِعُ لَنَا، لَمْ يَمْنَعْنَا قَدِيمُ عِزِّنَا، وَلَاعَادِيُّ طَوْلِنَا عَلَى قَوْمِكَ أَنْ خَلَطْنَاكُمْ بِأَنْفُسِنَا فَنَكَحْنَا وَأَنْكَحْنَا فِعْلَ الْأَكْفَاءِ، وَلَسْتُمْ هُنَاكَ! وَأَنَّى يَكُونُ ذٰلِكَ كَذٰلِكَ، وَمِنَّا النَّبِيُّ وَمِنْكُمُ الْمُكَذِّبُ؟ وَمِنَّا أَسَدُ اللهِ، وَمِنْكُمْ أَسَدُ الْأَحْلَافِ، وَمِنَّا سَيِّدَاشَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمِنْكُمْ صِبْيَةُ النَّارِ، وَمِنَّا خَيْرُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ، وَمِنْكُمْ حَمَّالَةُ الْحَطَبِ؟ فِي كَثِيرٍ مِمَّا لَنَا وَعَلَيْكُمْ فَإِسْلَامُنَا قَدْ سُمِعَ، وَجَاهِلِيَّتُنَا لَا تُدْفَعُ، وَكِتَابُ اللهِ يَجْمَعُ لَنَا مَاشَذَّ عَنَّا وَهُوَقَوْلُهُ: (وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللهِ)[1]

---

١ - سورة الاحزاب / ٦.

وَقَوْلُهُ تعالى: (إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا، وَاللهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ)[1] فَنَحْنُ مَرَّةً أَوْلَى بِالْقَرَابَةِ، وَتَارَةً أَوْلَى بِالطَّاعَةِ. وَلَمَّا احْتَجَّ الْمُهَاجِرُونَ عَلَى الْأَنْصَارِ يَوْمَ السَّقِيفَةِ بِرَسُولِ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَلَجُوا عَلَيْهِمْ، فَإِنْ يَكُنِ الْفَلَجُ بِهِ فَالْحَقُّ لَنَا دُونَكُمْ، وَإِنْ يَكُنْ بِغَيْرِهِ فَالْأَنْصَارُ عَلَى دَعْوَاهُمْ!

وَزَعَمْتَ أَنِّي لِكُلِّ الْخُلَفَاءِ حَسَدْتُ، وَعَلَى كُلِّهِمْ بَغَيْتُ! فَإِنْ يَكُنْ ذٰلِكَ كَذٰلِكَ فَلَيْسَ الْجِنَايَةُ عَلَيْكَ فَيَكُونَ الْعُذْرُ إِلَيْكَ.

* وَتِلْكَ شَكَاةٌ ظَاهِرٌ عَنْكَ عَارُهَا *

وَقُلْتَ: «إِنِّي كُنْتُ أُقَادُ كَمَا يُقَادُ الْجَمَلُ الْمَخْشُوشُ حَتَّى أُبَايِعَ، وَلَعَمْرُ اللهِ لَقَدْ أَرَدْتَ أَنْ تَذُمَّ فَمَدَحْتَ، وَأَنْ تَفْضَحَ فَافْتَضَحْتَ! وَمَا عَلَى الْمُسْلِمِ مِنْ غَضَاضَةٍ فِي أَنْ يَكُونَ مَظْلُومًا، مَا لَمْ يَكُنْ شَاكًّا فِي دِينِهِ، وَلَا مُرْتَابًا بِيَقِينِهِ، وَهٰذِهِ حُجَّتِي إِلَى غَيْرِكَ قَصْدُهَا، وَلٰكِنِّي أَطْلَقْتُ لَكَ مِنْهَا بِقَدْرِ مَا سَنَحَ مِنْ ذِكْرِهَا.

ثُمَّ ذَكَرْتَ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِي وَأَمْرِ عُثْمَانَ، فَلَكَ أَنْ تُجَابَ عَنْ هٰذِهِ لِرَحِمِكَ مِنْهُ، فَأَيُّنَا كَانَ أَعْدَى لَهُ، وَأَهْدَى إِلَى مَقَاتِلِهِ، أَمَنْ بَذَلَ لَهُ نُصْرَتَهُ فَاسْتَقْعَدَهُ وَاسْتَكَفَّهُ؟ أَمَّنِ اسْتَنْصَرَهُ فَتَرَاخَى عَنْهُ، وَبَثَّ الْمَنُونَ إِلَيْهِ، حَتَّى أَتَى قَدَرُهُ عَلَيْهِ؟! كَلَّا وَاللهِ: (قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ، وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلاً)[2].

وَمَا كُنْتُ لِأَعْتَذِرَ مِنْ أَنِّي كُنْتُ أَنْقِمُ عَلَيْهِ أَحْدَاثاً، فَإِنْ كَانَ الذَّنْبُ إِلَيْهِ إِرْشَادِي وَهِدَايَتِي لَهُ، فَرُبَّ مَلُومٍ لَا ذَنْبَ لَهُ.

* وَقَدْ يَسْتَفِيدُ الظِّنَّةَ الْمُتَنَصِّحُ * (إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ)[3].

وَذَكَرْتَ أَنَّهُ لَيْسَ لِي وَلِأَصْحَابِي [عِنْدَكَ] إِلَّا السَّيْفُ! فَلَقَدْ أَضْحَكْتَ بَعْدَ اسْتِعْبَارٍ! مَتَى أَلْفَيْتَ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَنِ الْأَعْدَاءِ نَاكِلِينَ، وَبِالسَّيْفِ مُخَوَّفِينَ * لَبِّثْ قَلِيلاً يَلْحَقِ

---

١ ـ سورة آل عمران /٦٨.

٢ ـ سورة الاحزاب /١٨.

٣ ـ سورة هود/٨٨.

الْهَيْجَا حَمَلْ» فَسَيَطْلُبُكَ مَنْ تَطْلُبُ، وَيَقْرُبُ مِنْكَ مَا تَسْتَبْعِدُ، وَأَنَا مُرْقِلٌ نَحْوَكَ فِي جَحْفَلٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ، شَدِيدٍ زِحَامُهُمْ، سَاطِعٍ قَتَامُهُمْ، مُتَسَرْبِلِينَ سَرَابِيلَ الْمَوْتِ، أَحَبُّ اللِّقَاءِ إِلَيْهِمْ لِقَاءُ رَبِّهِمْ، قَدْ صَحِبَتْهُمْ ذُرِّيَّةٌ بَدْرِيَّةٌ، وَسُيُوفٌ هَاشِمِيَّةٌ، قَدْ عَرَفْتَ مَوَاقِعَ نِصَالِهَا فِي أَخِيكَ وَخَالِكَ وَجَدِّكَ وَأَهْلِكَ (وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ)[٣].

اقول: طفق: مثل أخذ و جعل. و قوله: كناقل التمر الى هجر، و داعي مسدده الى النضال، مثلان يضربان لمن يحمل الشي الى معدنه، لينتفع به فيه، و هو اولى ان يؤخذ عنه. و اراد ان الاخبار ببلاءالله عندنا و نعمته علينا ينبغي ان يؤخذ عنّا و لايليق ان تخبرنا انت به. و هجر[١]: مدينة بالبحرين. والنضال: المراماة و اصله ان يدعو الانسان استاده في الرّمي، و مسدّده فيه الى المراماة، و هو اولى بأن يدعوه الى ذلك.

و قد كان معاوية في كتابه ذكر درجات الصحابة، في فضلهم حسب ترتيبهم في الخلافة فاقتضى ذلك تفضيلهم عليه فأجابه بقوله: و ذكرت الى آخره. والّثلم: الكسر و النقصان. واما كونه طليقا و ابن طليق: فالمنقول انّ رسول الله صلى الله عليه و آله حين فتح مكة قال: يا معشرقريش ماترون انّي فاعل بكم؟ قالوا: خيراً، اخ كريم، و ابن اخ كريم، قال: اذهبوا فأنتم الطّلقاء، و كان فيهم معاوية، و ابوسفيان.[٢] و قوله: حَنَّ قدحٌ ليس منها: فاصله ان احد قداح الميسر اذا كان ليس من جوهر باقي القداح، ثم اجاله المفيض خرج له صوت يخالف اصواتها، فيعرف به انّه ليس من جملتها، فضُربَ مثلاً لمن يمدح و يفتخر بقوم و ينسب فيهم مع انه ليس منهم، و ليس من متقدّميهم في الفضل. و قوله: فطفق، الى قوله: لها: مثل آخر يضرب لمن يحكم في قوم من اراذلهم و ليس للحكم بأهل. و الا تربع اى: تقف و تترفّق بنفسك. والظلع: العرج. والذرع: بسط اليد، و استعار لفظ الظلع لقصوره عن رتبة السابقين كالظالع. و قصور ذرعه: كناية عن عجزه عن تناول تلك المرتبة. و التيه: الضّلال. و شهيدهم عمّه حمزة بن عبدالمطلب رضي الله عنه، و خصّه بسبعين تكبيرة في اربع عشر صلاة. والّذى قطعت يداه منهم اخوهُ

---

٣ ـ سورة هود/ ٨٣.

١ ـ معجم البلدان ٣٩٣/٥.

٢ ـ فتوح البلدان/٥٥. النهاية في الحديث ١٣٦/٣.

جعفر بن ابی طالب علیه السلام، و سمّاه رسول الله صلی الله علیه و آله، ذا الجناحین، بذلك الاعتبار و الطیّار فی الجنة. والذاکر یعنی نفسه. و لا تمجها ای: لا یلقیها.

و قوله: من مالت به الرميّة: کالمثل یضرب لمن تمیل به عن الحقّ اغراضه الباطلة. والرميّة: الصيد يرمى و اصل المثل انّ الرجل يقصد قصدًا فيعرض له الصيد فيتبعه فيميل به عن قصده الأصلی. والصنيعة: الحسنة. و قوله: والناس بعد صنائع لنا: اذ کان کل فعل و شرف للعرب فهم مبدؤه. و قوله: و انّی یکون ذلك کذلك، ای: و کیف یکونون اکفا لنا. والمکذب: ابوجهل. و اسدالله: حمزة بن عبدالطلب. و أسد الأحلاف: هو اسد ابن عبدالعزّی. والأحلاف: هم عبد مناف و زهرة و اسد، و تیم، والحرث بن فهر، و سمّوا الاحلاف، لتحالفهم علی محاربة بنی قصی فی امرٍ ازاده بهم. وصبیة النار قیل: هم صبیة عقبة بن ابی معیط حیث قال له رسول الله صلی الله علیه و آله: لك و لهم النار. وخیر نساء العالمین فاطمة علیها السلام. و حمالة الحطب: امّ جمیل بنت حرب عمة معاویة، کانت تحمل حزم الشوك فتنثرها فی طریق النبیّ صلی الله علیه و آله و قوله: و جاهلیّتکم لا تدفع شرفنا و فضلنا فیها. و قوله: یجمع لنا ما شذّعنا ای: من هذا الامر، وهو احتجاج بالکتاب العزیز علی اولیته من غیره، بأمر الخلافة و وجه الاحتجاج بالآیة الاولی، انه من اخصّ اولی الأرحام برسول الله[1] و کل من کان کذلك فهو أولی به، و بالقیام مقامه.

والثّانیة انّه کان اقرب الخلق الی اتباع الرسول علیه السلام، وأول من آمن به وصدّقه: و افضل من أخذ عنه الحکمة و کلّ من کان کذلك فهو أولی بمقامه و منصبه. والفلج: الفوز و الظفر. و حجّة قریش علی الانصار قوله صلی الله علیه و آله: الأئمة من قریش. و الفلج به ای: بالرسول علیه السلام، و تقدیر الحجة انّ غلبة قریش للانصار ان کان بالرسول علیه السلام و قربهم منه، فنحن اولی بذلك لکوننا أقرب منه الیه، و ان کان بغیر ذلك فدعوی الانصار فی الإمامة قائم اذلم یکن فی الخبر ما یدلّ علی بطلانها. و قوله: وتلك شکاة ظاهر عنك عارها: مثل یضرب لمن ینکر امرًا لا یلزمه انکاره، والبیت لابی ذؤیب[2] و اوله: وعیّرها الواشون انّي أحبّها.

---

۱ - الغدیر ۳/ ۲۲۰ امیرالمؤمنین علیه السلام اول من آمن و صلی.

۲ - ابو ذؤیب الهذلي ... شاعر مخضرم خرج مع عبدالله بن ابی سرح لفتح افریقیا علی عهد عثمان بن عفان و ←

و ظاهر: زائل. و المخشوش: الذى جعل في أنفه خشاش و هي خشبة تدخل في أنف البعير ليقاد بها. والغضاضة: الذلّة و المنقصة. و كون ما ذكره معاوية من ذلك فضيحة له باعتبار انّه لم يفرّق بين ما يمدح به ويذمّ: ولأنه على تقدير ان يكون بيعته للأئمة قبله كرها، و هو افضل الناس أو من فضلائهم لاينعقد الاجماع بدونه فتكون خلافتهم مدخولة فيكون ذلك طعناً فيهم، و في ولاية من قبلهم و هو فضيحة. وقوله: الى غيرك قصدها اي: الى الذين ظلموا. و سنح: عرض وخطر. واعدى عليه اشد عدوانا. و مقاتله وجوه قتله و معائبه التى قتل بها.

و قد كان عليه السلام عرض نصرته له عليه، فقال: لا اريد نصرتك و لكن اقعد عني لتهمته ايّاه بالمشاركة في أمره ، و قد كان قد استصرخ بمعاوية فما زال يعده و يتأخّر عنه الى ان قتل. وقوله: فربّ ملوم لاذنب له مثل، لاكثم بن صيفي[1] يضرب لمن ظهر للناس منه امرًا نكَرُوهُ عليه، و هم لايعرفون حجّته و عذره فيه. و كذلك قوله: و قد يستفيد الظنّة المُتَنَصِّحُ: يضرب مثلا لمن يُبالغُ في النَّصيحةِ حتى يُتّهم أنّه غاش فضربه لِنَفْسِهِ في نَصيحَتِهِ لعثمان وصدرالبيت:

و كم سُقْتُ في آثارِكم مِنْ نصيحةٍ ....

والظنّة: التهمة. و قوله: اضحكتَ بَعدَ استعبار: كناية عن أبلغ العجب اذ كان الضحك بعدالبكاء انّما يكون من عجبٍ بالغٍ. و ألفيت: وجدت. والنكول: التأخّر جبنًا. وقوله: فلبّثْ قليلاً يَلْحَقِ الهيجا حمل :مثل يضرب للوعيد بالحرب قاله حمل بن بدر[2] في بعض وقائعه. والأرقال: ضرب من السير السريع. والجحفل: الجيش العظيم. والساطع: المرتفع. والقتام: الغبار. واستعارَ لفظ السرابيل، وهي: القمصان إما للدروع او لِعِدّةِ الحرب الجارية مجرى الأكفان. و قد سبق ذكر اخيه و خاله وجدّه، و بالله التوفيق.

توفى في مصر.

١ ـ اكثم بن صيفي بن رباح بن الحارث بن مخاشن بن معاوية بن شريف بن جروة بن اسيد بن عمرو بن تميم التميمي... الحكيم المشهور عاش ثلاثمائة و ثلاثين سنة. و عاش ابوه صيفي مائتين و سبعين سنة. الاصابة ١١٠/١ ترجمة ٤٨٥. مجمع الامثال ٢٩٩/١.

٢ ـ المعارف/ ٨٣، ٦٠٧ ط ٢.

٢٩ ـ وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

إلى أهل البصرة

وَقَدْ كَانَ مِنَ انْتِشَارِ حَبْلِكُمْ وَشِقَاقِكُمْ مَا لَمْ تَغْبُوا عَنْهُ، فَعَفَوْتُ عَنْ مُجْرِمِكُمْ، وَرَفَعْتُ السَّيْفَ عَنْ مُدْبِرِكُمْ، وَقَبِلْتُ مِنْ مُقْبِلِكُمْ، فَإِنْ خَطَتْ بِكُمُ الْأُمُورُ الْمُرْدِيَةُ، وَسَفَهُ الْآرَاءِ الْجَائِرَةِ إِلَى مُنَابَذَتِي وَخِلَافِي، فَهَا أَنَاذَا قَدْ قَرَّبْتُ جِيَادِي، وَرَحَلْتُ رِكَابِي، وَلَئِنْ أَلْجَأْتُمُونِي إِلَى الْمَسِيرِ إِلَيْكُمْ لَأُوقِعَنَّ بِكُمْ وَقْعَةً لَايَكُونُ يَوْمُ الْجَمَلِ إِلَيْهَا إِلَّا كَلَعْقَةِ لَاعِقٍ، مَعَ أَنِّي عَارِفٌ لِذِي الطَّاعَةِ مِنْكُمْ فَضْلَهُ، وَلِذِي النَّصِيحَةِ حَقَّهُ، غَيْرُ مُتَجَاوِزٍ مُتَّهَمًا إِلَى بَرِيءٍ، وَلَا نَاكِثًا إِلَى وَفِيٍّ.

اقول: كنّى بانتشار حبلهم عن تفرّقهم عنه، و نكثهم لبيعته. و تغبوا عنه: لم يفطنوا له، يقال: غبيت عن الشئ و غبيته اذا جهلته و لم يفطن له. والمردية: المهلكة. والمنابذة: المخالفة. و كنّى بتقريب جياده و رحيل ركابه عن استعداده للكرّة عليهم. و شبّه وقعةَ الجمل بالنسبة الى الوقعة الّتى توعّدهم بها باللّعقة فى الحقارة.و بالله التوفيق.

٣٠ ـ وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

إلى معاوية

فَاتَّقِ اللهَ فِيمَا لَدَيْكَ، وَانْظُرْ فِي حَقِّهِ عَلَيْكَ، وَارْجِعْ إِلَى مَعْرِفَةِ مَا لَا تُعْذَرُ بِجَهَالَتِهِ، فَإِنَّ لِلطَّاعَةِ أَعْلَامًا وَاضِحَةً، وَسُبُلاً نَيِّرَةً، وَمَحَجَّةً نَهْجَةً، وَغَايَةً مُطَّلَبَةً، يَرِدُهَا الْأَكْيَاسُ، وَيُخَالِفُهَا الْأَنْكَاسُ، مَنْ نَكَبَ عَنْهَا جَارَ عَنِ الْحَقِّ وَخَبَطَ فِي التِّيهِ، وَغَيَّرَ اللهُ نِعْمَتَهُ، وَأَحَلَّ بِهِ نِقْمَتَهُ، فَنَفْسَكَ نَفْسَكَ، فَقَدْ بَيَّنَ اللهُ لَكَ سَبِيلَكَ، وَحَيْثُ تَنَاهَتْ بِكَ أُمُورُكَ فَقَدْ أَجْرَيْتَ إِلَى غَايَةِ خُسْرٍ، وَمَحَلَّةِ كُفْرٍ، وَإِنَّ نَفْسَكَ قَدْ أَوْلَجَتْكَ شَرًّا، وَأَقْحَمَتْكَ غَيًّا، وَأَوْرَدَتْكَ الْمَهَالِكَ، وَأَوْعَرَتْ عَلَيْكَ الْمَسَالِكَ.

اقول: ما الديه هو: أموال المسلمين و بلادهم، و ما لا تعذر بجهالته هو: وجوب طاعة الله، و طاعة رسوله، و طاعة ائمة الحق من بعده. والمحجّة: الطريق الواضح. و مطلبة بتشديد الطاء و فتح اللام: مطلوبة جدًا. و اعلام: طاعة الله والكتاب والسنة و ائمة الحق، وهي: السبل النيّرة والطريق المضيئة، و غايتها المطلوبة الحصول على السعادة الباقية الأخروية. والاكياس: العقلاء. والانكاس جمع نِكسٍ بكسر النون و هو: الدّني من الرجال. و نكب: عدل. والتيه: الضلال. وسبيله: سبيل الطاعة المأمور بسلوكها. و قوله: و حيث، الى قوله: و محلة كفر في حيث معنى الشرط و جوابه، فقدوا المراد: ايّ موضع و مقام، وصلت تلك امورك و اعمالك اليه فقد وصلت فيه الى غايةِ خُسرٍ، و مَحَلَّةِ كُفرٍ ايّ غاية مستلزمة للخسر في الآخرة، يقال: اجرى الى غاية كذا اذا قصدها و سعى اليها. و أولجته نفسه شرًا، اي: أدخلته نفسه الامّارة بالسوء في شرّ الدنيا والآخرة، و هو مخالفة طاعة الله و رسوله و امام الحق. و روى أَوْلَجَتْكَ و اقحمتك: ادخلتك. والغيّ: الجهل. و اراد بالمهالك: الشبهات المردية. و اوعرت: صعبت و مبدأ جميع ذلك هوالنفس الامّارة بالسوء، و بالله التوفيق.

٣١ ـ وَمِنْ وَصِيَّةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

للحسن بن علي عليهما السلام، كتبها إليه بحاضرين[١] منصرفاً من صفين

مِنَ الْوَالِدِ الْفَانِ، الْمُقِرِّ لِلزَّمَانِ، الْمُدْبِرِ الْعُمُرِ، الْمُسْتَسْلِمِ لِلدَّهرِ، الذَّامِّ لِلدُّنْيَا، السَّاكِنِ مَسَاكِنَ الْمَوْتَى، وَالظَّاعِنِ عَنْهَا غَدًا، إِلَى الْمَوْلُودِ الْمُؤَمِّلِ مَا لَا يُدْرَكُ، السَّالِكِ سَبِيلَ مَنْ قَد هَلَكَ، غَرَضِ الْأَسْقَامِ، وَرَهِينَةِ الْأَيَّامِ، وَرَمِيَّةِ الْمَصَائِبِ، وَعَبْدِ الدُّنْيَا، وَ تَاجِرِ الْغُرُورِ، وَغَرِيمِ الْمَنَايَا، وَأَسِيرِ الْمَوْتِ، وَحَلِيفِ الْهُمُومِ، وَقَرِينِ الْأَحْزَانِ، وَنُصْبِ الْآفَاتِ، وَصَرِيعِ الشَّهَوَاتِ، وَخَلِيفَةِ الْأَمْوَاتِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ فِيمَا تَبَيَّنْتُ مِنْ إِدْبَارِ الدُّنْيَا عَنِّي، وَجُمُوحِ الدَّهْرِ عَلَيَّ، وَ إِقْبَالِ الآخِرَةِ إِلَيَّ، مَا يَزَعُنِي عَنْ ذِكْرِ مَنْ سِوَايَ، وَالإهتِمَامِ بِمَا وَرَائِي غَيْرَ أَنِّي حَيْثُ تَفَرَّدَ بِي ـ دُونَ

١ ـ اسم بلدة في نواحي صفين. معجم البلدان ٢٠٦/٢.

هُمُومِ النَّاسِ - هَمُّ نَفْسِي، فَصَدَفَنِي رَأْيِي، وَصَرَفَنِي عَنْ هَوَائِي، وَصَرَّحَ لِي مَحْضُ أَمْرِي، فَأَفْضَى بِي إِلَى جِدٍّ لَا يَكُونُ فِيهِ لَعِبٌ، وَصِدْقٍ لَا يَشُوبُهُ كَذِبٌ، وَوَجَدْتُكَ بَعْضِي، بَلْ وَجَدْتُكَ كُلِّي، حَتَّى كَأَنَّ شَيْئاً لَوْ أَصَابَكَ أَصَابَنِي، وَكَأَنَّ الْمَوْتَ لَوْ أَتَاكَ أَتَانِي فَعَنَانِي مِنْ أَمْرِكَ مَا يَعْنِينِي مِنْ أَمْرِ نَفْسِي، فَكَتَبْتُ إِلَيْكَ كِتَابِي هذا مُسْتَظْهِراً بِهِ إِنْ أَنَا بَقِيتُ لَكَ أَوْ فَنِيتُ.

فَإِنِّي أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللهِ أَيْ بُنَيَّ وَلُزُومِ أَمْرِهِ، وَعِمَارَةِ قَلْبِكَ بِذِكْرِهِ، وَالاِعْتِصَامِ بِحَبْلِهِ، وَأَيُّ سَبَبٍ أَوْثَقُ مِنْ سَبَبٍ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللهِ إِنْ أَنْتَ أَخَذْتَ بِهِ؟؟

أَحْيِ قَلْبَكَ بِالْمَوْعِظَةِ، وَأَمِتْهُ بِالزَّهَادَةِ، وَقَوِّهِ بِالْيَقِينِ، وَنَوِّرْهُ بِالْحِكْمَةِ، وَذَلِّلْهُ بِذِكْرِ الْمَوْتِ، وَقَرِّرْهُ بِالْفَنَاءِ، وَبَصِّرْهُ فَجَائِعَ الدُّنْيَا، وَحَذِّرْهُ صَوْلَةَ الدَّهْرِ، وَفُحْشَ تَقَلُّبِ اللَّيَالِي وَالأَيَّامِ، وَاعْرِضْ عَلَيْهِ أَخْبَارَ الْمَاضِينَ، وَذَكِّرْهُ بِمَا أَصَابَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ مِنَ الأَوَّلِينَ، وَسِرْ فِي دِيَارِهِمْ وَآثَارِهِمْ، فَانْظُرْ فِيمَا فَعَلُوا، وَعَمَّا انْتَقَلُوا، وَأَيْنَ حَلُّوا وَنَزَلُوا، فَإِنَّكَ تَجِدُهُمْ قَدِ انْتَقَلُوا عَنِ الأَحِبَّةِ وَحَلُّوا دِيَارَ الْغُرْبَةِ، وَكَأَنَّكَ عَنْ قَلِيلٍ قَدْ صِرْتَ كَأَحَدِهِمْ، فَأَصْلِحْ مَثْوَاكَ، وَلَا تَبِعْ آخِرَتَكَ بِدُنْيَاكَ، وَدَعِ الْقَوْلَ فِيمَا لَا تَعْرِفُ، وَالْخِطَابَ فِيمَا لَمْ تُكَلَّفْ، وَأَمْسِكْ عَنْ طَرِيقٍ إِذَا خِفْتَ ضَلَالَتَهُ؛ فَإِنَّ الْكَفَّ عِنْدَ حَيْرَةِ الضَّلَالِ خَيْرٌ مِنْ رُكُوبِ الأَهْوَالِ، وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ تَكُنْ مِنْ أَهْلِهِ، وَأَنْكِرِ الْمُنْكَرَ بِيَدِكَ وَلِسَانِكَ، وَبَايِنْ مَنْ فَعَلَهُ بِجُهْدِكَ، وَجَاهِدْ فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ، وَلَا تَأْخُذْكَ فِي اللهِ لَوْمَةُ لَائِمٍ، وَخُضِ الْغَمَرَاتِ لِلْحَقِّ حَيْثُ كَانَ، وَتَفَقَّهْ فِي الدِّينِ، وَعَوِّدْ نَفْسَكَ التَّصَبُّرَ عَلَى الْمَكْرُوهِ، وَنِعْمَ الْخُلُقُ التَّصَبُّرُ، وَأَلْجِئْ نَفْسَكَ فِي الأُمُورِ كُلِّهَا إِلَى إِلٰهِكَ فَإِنَّكَ تُلْجِئُهَا إِلَى كَهْفٍ حَرِيزٍ، وَمَانِعٍ عَزِيزٍ، وَأَخْلِصْ فِي الْمَسْأَلَةِ لِرَبِّكَ فَإِنَّ بِيَدِهِ الْعَطَاءَ وَالْحِرْمَانَ، وَأَكْثِرِ الاِسْتِخَارَةَ وَتَفَهَّمْ وَصِيَّتِي، وَلَا تَذْهَبَنَّ عَنْهَا صَفْحاً، فَإِنَّ خَيْرَ الْقَوْلِ مَا نَفَعَ، وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا خَيْرَ فِي عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَلَا يُنْتَفَعُ بِعِلْمٍ لَا يَحِقُّ تَعَلُّمُهُ.

أَيْ بُنَيَّ؛ إِنِّي لَمَّا رَأَيْتُنِي قَدْ بَلَغْتُ سِنّاً، وَرَأَيْتُنِي أَزْدَادُ وَهْناً؛ بَادَرْتُ بِوَصِيَّتِي إِلَيْكَ، وَأَوْرَدْتُ خِصَالاً مِنْهَا قَبْلَ أَنْ يَعْجَلَ بِي أَجَلِي دُونَ أَنْ أُفْضِيَ إِلَيْكَ بِمَا فِي نَفْسِي، وَأَنْ أُنْقَصَ فِي رَأْيِي كَمَا نُقِصْتُ فِي جِسْمِي، أَوْ يَسْبِقَنِي إِلَيْكَ بَعْضُ غَلَبَاتِ الْهَوَى، أَوْ فِتَنِ الدُّنْيَا، فَتَكُونَ كَالصَّعْبِ النَّفُورِ، وَإِنَّمَا قَلْبُ الْحَدَثِ كَالأَرْضِ الْخَالِيَةِ: مَا أُلْقِيَ فِيهَا مِنْ شَيْءٍ قَبِلَتْهُ، فَبَادَرْتُكَ بِالأَدَبِ قَبْلَ أَنْ يَقْسُوَ قَلْبُكَ وَيَشْتَغِلَ لُبُّكَ؛ لِتَسْتَقْبِلَ بِجِدِّ رَأْيِكَ

مِنَ الْأَمْرِ مَا قَدْ كَفَاكَ أَهْلُ التَّجَارِبِ بُغْيَتَهُ وَ تَجْرِبَتَهُ، فَتَكُونَ قَدْ كُفِيتَ مَؤُونَةَ الطَّلَبِ، وَ عُوفِيتَ مِنْ عِلَاجِ التَّجْرِبَةِ، فَأَتَاكَ مِنْ ذَلِكَ مَا قَدْ كُنَّا نَأْتِيهِ، وَاسْتَبَانَ لَكَ مَا رُبَّمَا أَظْلَمَ عَلَيْنَا مِنْهُ.

أَيْ بُنَيَّ؛ إِنِّي ـ وَإِنْ لَمْ أَكُنْ عُمِّرْتُ عُمُرَ مَنْ كَانَ قَبْلِي ـ فَقَدْ نَظَرْتُ فِي أَعْمَالِهِمْ، وَفَكَّرْتُ فِي أَخْبَارِهِمْ، وَسِرْتُ فِي آثَارِهِمْ، حَتَّى عُدْتُ كَأَحَدِهِمْ، بَلْ كَأَنِّي بِمَا انْتَهَى إِلَيَّ مِنْ أُمُورِهِمْ قَدْ عُمِّرْتُ مَعَ أَوَّلِهِمْ إِلَى آخِرِهِمْ، فَعَرَفْتُ صَفْوَ ذَلِكَ مِنْ كَدَرِهِ، وَنَفْعَهُ مِنْ ضَرَرِهِ، فَاسْتَخْلَصْتُ لَكَ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ نَخِيلَهُ وَ تَوَخَّيْتُ لَكَ جَمِيلَهُ، وَ صَرَفْتُ عَنْكَ مَجْهُولَهُ، وَ رَأَيْتُ ـ حَيْثُ عَنَانِي مِنْ أَمْرِكَ مَا يَعْنِي الْوَالِدَ الشَّفِيقَ، وَ أَجْمَعْتُ عَلَيْهِ مِنْ أَدَبِكَ ـ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ وَ أَنْتَ مُقْبِلُ الْعُمُرِ، وَ مُقْتَبَلُ الدَّهْرِ ذُو نِيَّةٍ سَلِيمَةٍ وَ نَفْسٍ صَافِيَةٍ، وَ أَنْ أَبْتَدِئَكَ بِتَعْلِيمِ كِتَابِ اللهِ وَتَأْوِيلِهِ، وَشَرَائِعِ الْإِسْلَامِ وَأَحْكَامِهِ، وَحَلَالِهِ وَحَرَامِهِ، لَا أُجَاوِزُ ذَلِكَ بِكَ إِلَى غَيْرِهِ، ثُمَّ أَشْفَقْتُ أَنْ يَلْتَبِسَ عَلَيْكَ مَا اخْتَلَفَ النَّاسُ فِيهِ مِنْ أَهْوَائِهِمْ وَ آرَائِهِمْ مِثْلَ الَّذِي الْتَبَسَ عَلَيْهِمْ، فَكَانَ إِحْكَامُ ذَلِكَ عَلَى مَا كَرِهْتُ مِنْ تَنْبِيهِكَ لَهُ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ إِسْلَامِكَ إِلَى أَمْرٍ لَا آمَنُ عَلَيْكَ فِيهِ الْهَلَكَةَ، وَ رَجَوْتُ أَنْ يُوَفِّقَكَ اللهُ لِرُشْدِكَ، وَ أَنْ يَهْدِيَكَ لِقَصْدِكَ، فَعَهِدْتُ إِلَيْكَ وَصِيَّتِي هَذِهِ.

وَ اعْلَمْ، يَا بُنَيَّ، أَنَّ أَحَبَّ مَا أَنْتَ آخِذٌ بِهِ إِلَيَّ مِنْ وَصِيَّتِي، تَقْوَى اللهِ وَالْاِقْتِصَارُ عَلَى مَا فَرَضَهُ اللهُ عَلَيْكَ، وَالْأَخْذُ بِمَا مَضَى عَلَيْهِ الْأَوَّلُونَ مِنْ آبَائِكَ وَالصَّالِحُونَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ؛ فَإِنَّهُمْ لَمْ يَدَعُوا أَنْ نَظَرُوا لِأَنْفُسِهِمْ كَمَا أَنْتَ نَاظِرٌ، وَ فَكَّرُوا كَمَا أَنْتَ مُفَكِّرٌ، ثُمَّ رَدَّهُمْ آخِرُ ذَلِكَ إِلَى الْأَخْذِ بِمَا عَرَفُوا وَالْإِمْسَاكِ عَمَّا لَمْ يُكَلَّفُوا، فَإِنْ أَبَتْ نَفْسُكَ أَنْ تَقْبَلَ ذَلِكَ دُونَ أَنْ تَعْلَمَ كَمَا عَلِمُوا فَلْيَكُنْ طَلَبُكَ ذَلِكَ بِتَفَهُّمٍ وَتَعَلُّمٍ، لَا بِتَوَرُّطِ الشُّبُهَاتِ، وَ عُلَوِّ الْخُصُومَاتِ وَ ابْدَأْ ـ قَبْلَ نَظَرِكَ فِي ذَلِكَ ـ بِالْاِسْتِعَانَةِ بِإِلَهِكَ، وَالرَّغْبَةِ إِلَيْهِ فِي تَوْفِيقِكَ، وَ تَرْكِ كُلِّ شَائِبَةٍ أَوْلَجَتْكَ فِي شُبْهَةٍ؛ أَوْ أَسْلَمَتْكَ إِلَى ضَلَالَةٍ؛ فَإِذَا أَيْقَنْتَ أَنْ قَدْ صَفَا قَلْبُكَ فَخَشَعَ، وَتَمَّ رَأْيُكَ فَاجْتَمَعَ، وَ كَانَ هَمُّكَ فِي ذَلِكَ هَمّاً وَاحِداً؛ فَانْظُرْ فِيمَا فَسَّرْتُ لَكَ؛ وَ إِنْ أَنْتَ لَمْ يَجْتَمِعْ لَكَ مَا تُحِبُّ مِنْ نَفْسِكَ وَفَرَاغِ نَظَرِكَ وَفِكْرِكَ، فَاعْلَمْ أَنَّكَ إِنَّمَا تَخْبِطُ الْعَشْوَاءَ، وَ تَتَوَرَّطُ الظَّلْمَاءَ، وَ لَيْسَ طَالِبُ الدِّينِ مَنْ خَبَطَ أَوْ خَلَطَ! وَالْإِمْسَاكُ عَنْ ذَلِكَ أَمْثَلُ.

فَتَفَهَّمْ، يَا بُنَيَّ، وَصِيَّتِي؛ وَاعْلَمْ أَنَّ مَالِكَ الْمَوْتِ هُوَ مَالِكُ الْحَيَاةِ، وَأَنَّ الْخَالِقَ هُوَ الْمُمِيتُ، وَأَنَّ الْمُفْنِيَ هُوَ الْمُعِيدُ، وَأَنَّ الْمُبْتَلِيَ هُوَ الْمُعَافِي، وَأَنَّ الدُّنْيَا لَمْ تَكُنْ لِتَسْتَقِرَّ إِلَّا عَلَى مَا جَعَلَهَا اللهُ عَلَيْهِ مِنَ النَّعْمَاءِ، وَالابْتِلَاءِ وَالْجَزَاءِ فِي الْمَعَادِ، أَوْ مَا شَاءَ مِمَّا لَا نَعْلَمُ. فَإِنْ أَشْكَلَ عَلَيْكَ شَيْءٌ مِنْ ذٰلِكَ فَاحْمِلْهُ عَلَى جَهَالَتِكَ بِهِ، فَإِنَّكَ أَوَّلُ مَا خُلِقْتَ خُلِقْتَ جَاهِلاً ثُمَّ عُلِّمْتَ، وَمَا أَكْثَرَ مَا تَجْهَلُ مِنَ الْأَمْرِ، وَيَتَحَيَّرُ فِيهِ رَأْيُكَ، وَيَضِلُّ فِيهِ بَصَرُكَ، ثُمَّ تُبْصِرُهُ بَعْدَ ذٰلِكَ، فَاعْتَصِمْ بِالَّذِي خَلَقَكَ وَرَزَقَكَ وَسَوَّاكَ، وَلْيَكُنْ لَهُ تَعَبُّدُكَ، وَإِلَيْهِ رَغْبَتُكَ، وَمِنْهُ شَفَقَتُكَ.

وَاعْلَمْ، يَا بُنَيَّ، أَنَّ أَحَدًا لَمْ يُنْبِئْ عَنِ اللهِ كَمَا أَنْبَأَ عَنْهُ الرَّسُولُ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَارْضَ بِهِ رَائِدًا، وَإِلَى النَّجَاةِ قَائِدًا، فَإِنِّي لَمْ آلُكَ نَصِيحَةً، وَإِنَّكَ لَنْ تَبْلُغَ فِي النَّظَرِ لِنَفْسِكَ -وَإِنِ اجْتَهَدْتَ- مَبْلَغَ نَظَرِي لَكَ.

وَاعْلَمْ، يَا بُنَيَّ، أَنَّهُ لَوْ كَانَ لِرَبِّكَ شَرِيكٌ لَأَتَتْكَ رُسُلُهُ، وَلَرَأَيْتَ آثَارَ مُلْكِهِ وَسُلْطَانِهِ، وَلَعَرَفْتَ أَفْعَالَهُ وَصِفَاتِهِ، وَلٰكِنَّهُ إِلٰهٌ وَاحِدٌ! كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ، لَا يُضَادُّهُ فِي مُلْكِهِ أَحَدٌ، وَلَا يَزُولُ أَبَدًا، وَلَمْ يَزَلْ، أَوَّلٌ قَبْلَ الْأَشْيَاءِ بِلَا أَوَّلِيَّةٍ، وَآخِرٌ بَعْدَ الْأَشْيَاءِ بِلَا نِهَايَةٍ. عَظُمَ عَنْ أَنْ تَثْبُتَ رُبُوبِيَّتُهُ بِإِحَاطَةِ قَلْبٍ أَوْ بَصَرٍ، فَإِذَا عَرَفْتَ ذٰلِكَ فَافْعَلْ كَمَا يَنْبَغِي لِمِثْلِكَ أَنْ يَفْعَلَهُ فِي صِغَرِ خَطَرِهِ، وَقِلَّةِ مَقْدِرَتِهِ، وَكَثْرَةِ عَجْزِهِ، وَعَظِيمِ حَاجَتِهِ إِلَى رَبِّهِ، فِي طَلَبِ طَاعَتِهِ، وَالرَّهْبَةِ مِنْ عُقُوبَتِهِ، وَالشَّفَقَةِ مِنْ سُخْطِهِ؛ فَإِنَّهُ لَمْ يَأْمُرْكَ إِلَّا بِحَسَنٍ، وَلَمْ يَنْهَكَ إِلَّا عَنْ قَبِيحٍ.

أقول: أطلق لفظ الفاني عليه مجازًا اطلاقا لاسم الغاية على ذي الغاية، و استعار له لفظ الرهينة باعتبار أن الانسان مربوط الوجود بالأيام كالرهن لما عليه. والرمية: الغرض والهدف. و لفظ التاجر: باعتبار بذله لنفسه في تحصيل الدنيا و اضافه الى الغرور: اضافة المسبّب الى السبب، اذ الغفلة هي مبدأ ذلك. و لفظ الغريم: باعتبار طلب الموت له كالمتقاضي. والنصب: المنصوب. و استعار لفظ الجموح للدهر: باعتبار اختلاف تصرفاته، و عدم جريانه على قانون يحفظ كالجموح من الخيل. و يزعني: يمنعني. و محض أمره: خالصه، اي: انكشف له انّه راحل الى الآخرة، و انه لابدّ من لزوم الأمر الذي ينبغي له. و وجدتك بعضي، اي: بمنزلة بعضي كقوله:

و انّمـا أولادُنـا بـيـنَـنـا أكـبادُنـا تـمشى على الأرض [1]

و كلّي اي: قائما مقـام كلّي. و عبارة عني كان هوخليفته، والقائم مقامه في علمه وفضائله، و اكّد قـربه مـنه، و تـنزيلـه منـزلة نفسه بذكـرالغـايتين. و كذلـك استـعار لفظ الحبـل: لمـا يتـمسّك به مـن دين الله الـموصـل اليه، و قلبـه الذى يـحييه نفسـه العـاقلة. و احياؤها بالعلـم والحكمة، والذى يـميته هي نفسه الامارة بـالسوء. واماتتها: كسرهـا عن ميولها المخالـفة لآراء العقل بـترك الدنيا والاعراض عنها، و تطويعها بـذلك. و يحتمل أن يريد به النـفس العاقلة ايضا، و اماتـتها: قطعها عـن متابعة هواها و تقـويته باليقين اي: من ضعف الجهـل، للـنهوض الى افق عليّيّن، و تقريره بالفـناء: حمله على الاقـرار به و ذلك بأدامة ذكـره و كثـرة اخطاره بالـبال. و اراد بـالإمساك عن طريق يـخاف ضلالَتُهُ الـتوقّف عندالشبهات. والغـمرات: الشدائد. والاستخارة: الطـلب الى الله ان يخيّر له فيما يأتي. و يذره صفحا اى: معرضـا. والعلم الذى لايحق تعلمه اي: لا ينبغي، كالعلوم التى لا تُجْدِي نفـعـا في الآخـرة كـالسحر و الـتكهّن و نـحـوهمـا. والـوهن: الضعـف مـن الكـبـر و كان عليه السلام جـاوزالستيّن، و خصالا: مـفعولا بـه. و بادرتـها: سابقتها و سارعتها. و أفضى: أوصل. و ضعف الرأى فـي الكبر لضعـف القوى النفسـانية، والارواح الحاملة لها وعجزها عن التصرّف فـي طـلب الآراء الصالحـة، و سبق غلبات الـهوى، لانّ الصبيّ اذا لم يـؤخذ بالآداب في حداثته و لم تُـرْضَ قواه بمطاوعة عقلـه كان بصدد أن تميل به القوى الحيوانيّة الـى مشتهياته، و تـنجذب في قياد هـواه و تصرفـه عن الوجهة الـحقيقية فـيكـون حينئذ كالصعب النفور من البهائم في عسر تصريفه على حسب المنفعة.

و قوله: و أتاك من ذلـك، اى: من العلم الـتجربيّ ما كنا نأتيه و نطلبه. وعدت اى: صرت. و نخـيلة: خلاصـته و مخـتاره. و اجمعـت: صممـت عزمي. و قولـه: ثم اشفـقت، عطف عـلى رأيت اي: كنت رأيـتُ أَنْ أَقتصرّبك على ذلك، و لا اتـجاوزه بك الى غيره من العلوم العقـليّة، ثم خفت ان يـلتبس عليك ما اختلف الناس فيـه، من اهوائهم و آرائهم مثل مـا التبس عليـهم فكان أحكـام ذلك اى مااخـتلف الناس فـيه، من المسـائل العقـلية ألآلهية التي تكثرالتباس الحق فيها بالباطل، و تكتنفهـا الشّبهات المغلطة التى هى منشأ

---

[1] ـ التمثيل والمحاضرة/ ٤٦٠.

فساد العقائد، والهلاك بها في الآخرة، واحكام ذلك ببيان وجه البرهان فيه. و اولجتك ادخلتك و اراد خَبْط العشواء فحذف المضاف. و نبّهه بقوله: و اعلم، الى قوله: المعاد، على جملة من صفات الله تعالى و افعاله التي يتوهم تضادّها، و التناهي استنادها الى مبدأٍ واحد، امّاالصفات فأشار الى انّها ليست بمتضادّة، و إنّ مبدءَها واحدٌ، و قد اشرنا في الخطب السابقة الى كيفية وصفه تعالى بالاعتبارات المتعدّدة.

و اما الأفعال فهو انّه تعالى، لما خلق الدنيا لم يكن خلقها و استقرار وجودها الّا علىٰ ما خَلَقَها عليه مِن سائرِ ما يُعَدّ نعمةً، وابتلاءً، ثم لزوم الجزاء في المعاد لنفوس المبتلين، والمُنْعَمِ عليهم بحسب طاعتهم و معصيتهم في النعماء، والابتلاء و كذلك خلقه لها علىٰ ماشاء مما لا يعلم وجه الحكمةِ فيه الّا هو، اذ ثبت في اصول الحكمة انّ المقصود من العناية الألٰهية بالذات انّما هوالخير. و اماالشرور الواقعة في الوجود فبالعرض من حيث انّه لا يمكن نزع الخير وتجريده عما يُعَدُّ شرًّا، مَثَلاً كون النار ناراً منتفعاً بها انما يكون بكونها محرقة، و هو باعتبار احراق بيت الناسك مثلا شرّ، و كون الماء منتفعاً به انّما هو من حيث هو سيّال من شأنه ان يغرق و هو باعتبار اغراقه شرّ، ولما كان الخير اغلب في الوجود و كانت الشرور اموراًلازمةً لم يجز ترك الخير الكثير لأجلها، لان تركه لوجود شرّ قليل ينافي الحكمة و ذلك معنى قوله: والدنيا لم تكن تستقر الّا علىٰ ما جَعَلَها الله عليه مما عدّده، اى لم يكن يمكن خلقها الّا على ما فيها من خير مقصود بالذات،و شرّ لازم له. و لزوم الجزاء على السّببية، و عقاب النفوس في المعاد عليها من الشرور اللازمة لما حصلت عليه من الهيئات البدنية، والملكات الرديّة في الدنيا، و شفقتك: خوفك. و استعار وصف[1] الرائد للنبيّ صلى الله عليه و آله،ملاحَظَةً: لِشَبَهِهِ في استعلام إخبارِ السماء بالرائد في استعلامهِ بِالكلاء والماء، و لم آلك نصيحة اي: لم أُقصِّرْ في نصيحتك، و نصيحةً تمييز.

و قوله: و اعلم يا بني، الى قوله: عن قبيح: اشارة الى الحجّة على وحدانيّة الصانع تعالى، و على جملة من صفاته اما الحجّة على وحدانيّته فهي مقدم الشرطيّة فيه. قوله: لو كان لربّك شريك، و تاليها قوله: لأتتك رسله الى قوله: و صفاته، و ينتج باستثناء

---

١ - في ش: لفظ الرائد.

نقائض اقسام التالى نقيض المقدّم، بيان الملازمة انّه لو كان له شريك لكان شريكه الصالح لشركته إلهًا، مستجمعًا لجميع شرائط الأُلهيّة والّا لم يَصْلُح لها، لكن من لوازم الأُلهية امور:

احدها، الحكمة في وجوب بعثة الرسل الى الخلق لما علمت من وجوب البعثة.

الثانية، أن تكون آثارُ مُلْكِهِ و سلطانِهِ و صفاتُ أفعالِهِ ظاهرةٌ مشاهدَةٌ.

الثالثة، أنّ تُعْرَفَ أفعالُهُ و صفاتُ ذاتِهِ لكن هذه اللوازمُ باطلةٌ.

امّا الاوّل، فلأنه لم يأتنا رسول ذو معجزة[1] يدلنا على الثانى و يخبرنا عنه. و أماالثانى ، والثالث، فلأَنّ آثارَالملك ، والسلطان، و مجرّد الأفعال انّما يدلّ على فاعل حكيم قادر، اما على تعدّد الفاعلين فلا، و كذلك صفات الأُلهية المكتسَبة لنا من الأفعال، كالعلم والقدرة والارادة و غيرها، إنّما تَدُلُّ على صانع موصوف بها، فأمّا التعدّد فلا،فاذن القول بانّ له شريكاً قولٌ باطلٌ. و أما الصفات فظاهرة، و اشار بقوله عظم: الى قوله: او بصر: الى نزاهة صفات الربوبيّة عن احاطة العقول و الابصار بها. والشفَقة: الخوف، وباقي الفصل واضح.و بالله التوفيق.

يَا بُنَيَّ؛ إِنِّي قَدْ أَنْبَأْتُكَ عَنِ الدُّنْيَا وَ حَالِهَا، وَ زَوَالِهَا وَ انْتِقَالِهَا، وَ أَنْبَأْتُكَ عَنِ الْآخِرَةِ وَ مَا أُعِدَّ لِأَهْلِهَا فِيهَا، وَ ضَرَبْتُ لَكَ فِيهِمَا الْأَمْثَالَ لِتَعْتَبِرَ بِهَا، وَ تَحْذُوَ عَلَيْهَا! إِنَّمَا مَثَلُ مَنْ خَبَرَ الدُّنْيَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ سَفْرٍ نَبَا بِهِمْ مَنْزِلٌ جَدِيبٌ فَأَمُّوا مَنْزِلًا خَصِيبًا، وَ جَنَابًا مَرِيعًا، فَاحْتَمَلُوا وَعْثَاءَ الطَّرِيقِ، وَ فِرَاقَ الصَّدِيقِ، وَ خُشُونَةَ السَّفَرِ، وَ جُشُوبَةَ الْمَطْعَمِ، لِيَأْتُوا سَعَةَ دَارِهِمْ وَ مَنْزِلَ قَرَارِهِمْ، فَلَيْسَ يَجِدُونَ لِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ أَلَماً، وَلَا يَرَوْنَ نَفَقَةً مَغْرَمًا، وَلَا شَيْءَ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِمَّا قَرَّبَهُمْ مِنْ مَنْزِلِهِمْ، وَ أَدْنَاهُمْ مِنْ مَحَلَّهِمْ. وَ مَثَلُ مَنِ اغْتَرَّ بِهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ كَانُوا بِمَنْزِلٍ خَصِيبٍ فَنَبَا بِهِمْ إِلَى مَنْزِلٍ جَدِيبٍ؛ فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهَ إِلَيْهِمْ وَلَا أَفْظَعَ عِنْدَهُمْ مِنْ مُفَارَقَةِ مَا كَانُوا فِيهِ إِلَى مَا يَهْجُمُونَ عَلَيْهِ وَ يَصِيرُونَ إِلَيْهِ!

يَا بُنَيَّ، اجْعَلْ نَفْسَكَ مِيزَانًا فِيمَا بَيْنَكَ وَ بَيْنَ غَيْرِكَ ، فَأَحْبِبْ لِغَيْرِكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ، وَ اكْرَهْ لَهُ مَا تَكْرَهُ لَهَا، وَلَا تَظْلِمْ كَمَا لَا تُحِبُّ أَنْ تُظْلَمَ، وَ أَحْسِنْ كَمَا تُحِبُّ أَنْ

[1] ـ نسخة ش: رسول معجزة.

يُحْسَنَ إِلَيْكَ، وَٱسْتَقْبِحْ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَسْتَقْبِحُ مِنْ غَيْرِكَ، وَٱرْضَ مِنَ النَّاسِ بِمَا تَرْضَاهُ لَهُمْ مِنْ نَفْسِكَ، وَلَا تَقُلْ مَالَا تَعْلَمُ، وَإِنْ قَلَّ مَا تَعْلَمُ وَلَا تَقُلْ مَالَا تُحِبُّ أَنْ يُقَالَ لَكَ.

وَٱعْلَمْ أَنَّ الْإِعْجَابَ ضِدُّ الصَّوَابِ، وَآفَةُ الْأَلْبَابِ؛ فَاسْعَ فِي كَدْحِكَ، وَلَا تَكُنْ خَازِنًا لِغَيْرِكَ، وَإِذَا أَنْتَ هُدِيتَ لِقَصْدِكَ فَكُنْ أَخْشَعَ مَا تَكُونُ لِرَبِّكَ.

وَٱعْلَمْ أَنَّ أَمَامَكَ طَرِيقًا ذَامَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ، وَمَشَقَّةٍ شَدِيدَةٍ. وَأَنَّهُ لَاغِنَى لَكَ فِيهِ عَنْ حُسْنِ الِارْتِيَادِ، وَقَدْرِ بَلَاغِكَ مِنَ الزَّادِ مَعَ خِفَّةِ الظَّهْرِ فَلَا تَحْمِلَنَّ عَلَى ظَهْرِكَ فَوْقَ طَاقَتِكَ فَيَكُونَ ثِقْلُ ذٰلِكَ وَبَالًا عَلَيْكَ. وَإِذَا وَجَدْتَ مِنْ أَهْلِ الْفَاقَةِ مَنْ يَحْمِلُ لَكَ زَادَكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَيُوَافِيكَ بِهِ غَدًا حَيْثُ تَحْتَاجُ إِلَيْهِ فَاغْتَنِمْهُ وَحَمِّلْهُ إِيَّاهُ، وَأَكْثِرْ مِنْ تَزْوِيدِهِ وَأَنْتَ قَادِرٌ عَلَيْهِ، فَلَعَلَّكَ تَطْلُبُهُ فَلَا تَجِدُهُ، وَٱغْتَنِمْ مَنِ ٱسْتَقْرَضَكَ فِي حَالِ غِنَاكَ لِيَجْعَلَ قَضَاءَهُ لَكَ فِي يَوْمِ عُسْرَتِكَ.

وَٱعْلَمْ أَنَّ أَمَامَكَ عَقَبَةً كَئُودًا، الْمُخِفُّ فِيهَا أَحْسَنُ حَالًا مِنَ الْمُثْقِلِ وَالْبَطِيءُ عَلَيْهَا أَقْبَحُ حَالًا مِنَ الْمُسْرِعِ، وَأَنَّ مَهْبَطَكَ بِهَا لَا مَحَالَةَ عَلَى جَنَّةٍ أَوْعَلَى نَارٍ، فَارْتَدْ لِنَفْسِكَ قَبْلَ نُزُولِكَ، وَوَطِّىءِ الْمَنْزِلَ قَبْلَ حُلُولِكَ، فَلَيْسَ بَعْدَ الْمَوْتِ مُسْتَعْتَبٌ، وَلَا إِلَى الدُّنْيَا مُنْصَرَفٌ.

وَٱعْلَمْ أَنَّ الَّذِي بِيَدِهِ خَزَائِنُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ أَذِنَ لَكَ فِي الدُّعَاءِ، وَتَكَفَّلَ لَكَ بِالْإِجَابَةِ، وَأَمَرَكَ أَنْ تَسْأَلَهُ لِيُعْطِيَكَ، وَتَسْتَرْحِمَهُ لِيَرْحَمَكَ، وَلَمْ يَجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ مَنْ يَحْجُبُهُ عنكَ، وَلَمْ يُلْجِئْكَ إِلَى مَنْ يَشْفَعُ لَكَ إِلَيْهِ. وَلَمْ يَمْنَعْكَ إِنْ أَسَأْتَ مِنَ التَّوْبَةِ، وَلَمْ يُعَيِّرْكَ بِالْإِنَابَةِ، وَلَمْ يُعَاجِلْكَ بِالنِّقْمَةِ، وَلَمْ يَفْضَحْكَ حَيْثُ الْفَضِيحَةُ بِكَ أَوْلَى، وَلَمْ يُشَدِّدْ عَلَيْكَ فِي قَبُولِ الْإِنَابَةِ، وَلَمْ يُنَاقِشْكَ بِالْجَرِيمَةِ، وَلَمْ يُؤْيِسْكَ مِنَ الرَّحْمَةِ، بَلْ جَعَلَ نُزُوعَكَ عَنِ الذَّنْبِ حَسَنَةً، وَحَسَبَ سَيِّئَتَكَ وَاحِدَةً وَحَسَبَ حَسَنَتَكَ عَشْرًا، وَفَتَحَ لَكَ بَابَ الْمَتَابِ، وَبَابَ الِاسْتِعْتَابِ، فَإِذَا نَادَيْتَهُ سَمِعَ نِدَاءَكَ، وَإِذَا نَاجَيْتَهُ عَلِمَ نَجْوَاكَ، فَأَفْضَيْتَ إِلَيْهِ بِحَاجَتِكَ، وَأَبْثَثْتَهُ ذَاتَ نَفْسِكَ، وَشَكَوْتَ إِلَيْهِ هُمُومَكَ، وَٱسْتَكْشَفْتَهُ كُرُوبَكَ، وَٱسْتَعَنْتَهُ عَلَى أُمُورِكَ، وَسَأَلْتَهُ مِنْ خَزَائِنِ رَحْمَتِهِ مَالَا يَقْدِرُ عَلَى إِعْطَائِهِ غَيْرُهُ: مِنْ زِيَادَةِ الْأَعْمَارِ، وَصِحَّةِ الْأَبْدَانِ، وَسَعَةِ الْأَرْزَاقِ. ثُمَّ جَعَلَ فِي يَدَيْكَ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِهِ بِمَا أَذِنَ لَكَ فِيهِ مِنْ مَسْأَلَتِهِ، فَمَتَىٰ شِئْتَ ٱسْتَفْتَحْتَ بِالدُّعَاءِ أَبْوَابَ نِعْمَتِهِ، وَٱسْتَمْطَرْتَ شَآبِيبَ

رَحْمَتِهِ، فَلاَ يُقْنِطَنَّكَ إبْطاءُ إجَابَتِهِ، فَإِنَّ الْعَطِيَّةَ عَلَى قَدْرِ النِّيَّةِ، وَ رُبَّمَا أُخِّرَتْ عَنْكَ الإِجَابَةُ لِيَكُونَ ذٰلِكَ أَعْظَمَ لِأَجْرِالسَّائِلِ، وَ أَجْزَلَ لِعَطَاءِ الآمِلِ، وَ رُبَّمَا سَأَلْتَ الشَّيْءَ فَلاَ تُؤْتَاهُ، وَأُوتِيتَ خَيْرًا مِنْهُ عَاجِلاً أَوْ آجِلاً، أَوْ صُرِفَ عَنْكَ لِمَا هُوَخَيْرٌ لَكَ، فَلَرُبَّ أَمْرٍ قَدْ طَلَبْتَهُ فِيهِ هَلاَكُ دِينِكَ لَوْ أُوتِيتَهُ. فَلْتَكُنْ مَسْأَلَتُكَ فِيمَا يَبْقَى لَكَ جَمالُهُ، وَيُنْفَى عَنْكَ وَبَالُهُ، وَالْمَالُ لاَ يَبْقَى لَكَ، وَلاَ تَبْقَى لَهُ.

اقول: تحذو : تقتدى، و جذبه عن الدنيا الى الآخرة بتمثيلين: فالأول ذكر حال من خبّر الدنيا و زوالها، و خبّر الآخرة و بقاؤها، ومثلهم بحال قوم سفر اى: مسافرين، فارقوا منزلا جديبًا الى منزل خصيب، و وجه التمثيل ان النفوس البشريّة لما كانت الحكمة فى هبوطها الى هذا العالم، و مقارنتها لهذه الهياكل المظلمة فى دار الغربة و محل الوحشة من عالمها، هو ان تحصل بواسطتها الكمالات العقليّة ثم ترجع بعد الكمال طاهرة عن علايقها و هيئاتها الرذيلة كانت كلّ نفس لزمت الصراط المستقيم، و حفظت العهد المأخوذ عليها فى المدة المضروبة لها، ناظرة بعين الاعتبار انّ الدنيا كالمنزل المجدب لخلّوه عن المطاعم الحقيقية، فهو لذلك غير صالح للاستيطان، و انّ الآخرة كالمنزل المخصب: المربع للفناء ذى الكلاء والماء، من وصل اليه مستقيماً على طريق الحق فاز بالمقاصد السنيّة واللذات الباقيّة فكانت فى الدنيا فى طريق السفر، و قطع منازل سبيل الله والاستعداد للوصول الى بهجة حضرته الشريفة، محتملة و عثاء السفر اى: مشقّته. و جشوبة المطعم اى: غلظه قصدا الى سعة الدارلا تجد لذلك المًا، و لا احب اليها منه لكونه وسيلة الى مطلوبها الأعظم.

و أما التمثيل الثانى، فذكر حال اهل الدنيا الذين قادتهم نفوسهم الامّارة بالسوء اليها فغفلوا عما ورائها و نسوا عهد ربّهم، و مثلهم بحال قوم كانوا فى منزل خصيب فنبا بهم الى منزل جديب، والمنزل الخصيب هنا الدنيا لانها محلّ سعادة اهلها و لذّاتهم، والمنزل الجديب هو الآخرة اذ لم يكونوا قد استعدّ وا لدرك السعادة فيها، و وجه التمثيل هو فى ذلك من الشّرالعظيم، و الحكم اللازم له هوما ذكره من انّه ليس شئ اكره اليهم، الى قوله اليه: و مضادة الاعجاب للصواب مضادة الرذيلة للفضيلة. و كونه آفة الألباب

باعتبار انّه من الأمراض النفسانية المهلكة في الآخرة كما سبق بيانه. والكدح: الكسب، والسعي فيه اى: فيما ينبغي منه و هو كسب الفضائل. و خزنة لغيره: كناية عن رذيلة البخل: و استعار لفظ الطريق: لما يستقبله الانسان من احوال الدنيا و يعبر عنها الى الآخرة، و احوالها مسافر الى الله. و اشار بطولها و شدتها الى عسرالنجاة والسلامة من خطرها، اذ كان ذلك انّما يكون بلزوم القصد فيها والثبات على صراط الله المستقيم، فبالحرىّ ان يكون ذامسافة بعيدة و مشقّة شديدة، و انّه لاغناء فيه عن حسن الارتياد،اى طلب ما يقوم مقام الكلأ و الماء من الكمالات العقلية الموصلة الى الغاية الحقيقية. والزاد: هوالتقوى. و خفة الظهر اى: من الرذائل والآثام. والوبال: الهلاك. و اشار بتجميل الفقراء الزاد الى ما يحصل له من ثواب الصدقة عليهم، و المواساة لهم و كذلك ثواب القرض. و استعار لفظ العقبة الكؤود اى: شاقة المصعد للطريق الى الآخرة، باعتبار ما فيها من الصعود والارتقاء في درجات الكمال بالفضائل، عن مهابط الرذائل، و وصفها بالمشّقة باعتبار ما فيها من العسر و كثرة الموانع. والمخف اى: من ثقل الآثام. والمبطى اى: عن اقتناص الفضائل. و ارتده اى: الطلب. و اذنه تعالى فى الدعاء و تكفّله بالاجابة في قوله تعالى: (ادعونى استجب لكم)[1].

والانابة: الرجوع. و نزع عن الذنب: خرج منه. و افضت: وصلت. و البثّ: النشر والكشف. و ذات نفسك: حاجتك. و الشآبيب جمع شؤبوب و هى: الدفعة من المطر. و يقنطك: يؤيسك. والفصل من الطف التأديب والاستدراج الى طاعة الله و محبّته و هو واضح، و بالله التوفيق.

وَاعْلَمْ أَنَّكَ إِنَّمَا خُلِقْتَ لِلآخِرَةِ لَا لِلدُّنْيَا، وَلِلْفَنَاءِ لَا لِلْبَقَاءِ، وَلِلْمَوْتِ لَا لِلْحَيَاةِ وَأَنَّكَ فِي مَنْزِلِ قُلْعَةٍ، وَدَارِ بُلْغَةٍ، وَطَرِيقٍ إِلَى الآخِرَةِ، وَأَنَّكَ طَرِيدُ الْمَوْتِ الَّذِى لَا يَنْجُوا مِنْهُ هَارِبُهُ، وَلَا يَفُوتَهُ طَالِبُهُ، وَلَا بُدَّ أَنَّهُ مُدْرِكُهُ فَكُنْ مِنْهُ عَلَى حَذَرِ أَنْ يُدْرِكَكَ وَأَنْتَ عَلَى حَالٍ سَيِّئَةٍ قَدْ كُنْتَ تُحَدِّثُ نَفْسَكَ مِنْهَا بِالتَّوْبَةِ فَيَحُولَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ ذَلِكَ، فَإِذَا أَنْتَ قَدْ أَهْلَكْتَ نَفْسَكَ.

---

١ ـ سورة غافر / ٦٠.

يَا بُنَيَّ؛ أَكْثِرْ مِنْ ذِكْرِ الْمَوْتِ، وَذِكْرِ مَا تَهْجُمُ عَلَيْهِ، وَتُفْضِي بَعْدَ الْمَوْتِ إِلَيْهِ، حَتَّى يَأْتِيَكَ وَقَدْ أَخَذْتَ مِنْهُ حِذْرَكَ، وَشَدَدْتَ لَهُ أَزْرَكَ، وَلَا يَأْتِيَكَ بَغْتَةً فَيَبْهَرَكَ! وَإِيَّاكَ أَنْ تَغْتَرَّ بِمَا تَرَى مِنْ إِخْلَادِ أَهْلِ الدُّنْيَا إِلَيْهَا، وَتَكَالُبِهِمْ عَلَيْهَا؛ فَقَدْ نَبَّأَكَ اللهُ عَنْهَا، وَنَعَتْ لَكَ نَفْسَهَا؛ وَتَكَشَّفَتْ لَكَ عَنْ مَسَاوِيهَا؛ فَإِنَّمَا أَهْلُهَا كِلَابٌ عَاوِيَةٌ، وَسِبَاعٌ ضَارِيَةٌ، يَهِرُّ بَعْضُهَا بَعْضاً، وَيَأْكُلُ عَزِيزُهَا ذَلِيلَهَا، وَيَقْهَرُ كَبِيرُهَا صَغِيرَهَا، نَعَمٌ مُعَقَّلَةٌ، وَأُخْرَى مُهْمَلَةٌ قَدْ أَضَلَّتْ عُقُولَهَا، وَرَكِبَتْ مَجْهُولَهَا، سُرُوحُ عَاهَةٍ، بِوَادٍ وَعْثٍ! لَيْسَ لَهَا رَاعٍ يُقِيمُهَا، وَلَا مُسِيمٌ يُسِيمُهَا! سَلَكَتْ بِهِمُ الدُّنْيَا طَرِيقَ الْعَمَى، وَأَخَذَتْ بِأَبْصَارِهِمْ عَنْ مَنَارِ الْهُدَى، فَتَاهُوا فِي حَيْرَتِهَا، وَغَرِقُوا فِي نِعْمَتِهَا، وَاتَّخَذُوهَا رَبّاً فَلَعِبَتْ بِهِمْ وَلَعِبُوا بِهَا وَنَسُوا مَا وَرَاءَهَا!!

رُوَيْداً يُسْفِرُ الظَّلَامُ كَأَنْ قَدْ وَرَدَتِ الْأَظْعَانُ! يُوشِكُ مَنْ أَسْرَعَ أَنْ يَلْحَقَ.

وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّ مَنْ كَانَتْ مَطِيَّتُهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ فَإِنَّهُ يُسَارُ بِهِ وَإِنْ كَانَ وَاقِفاً، وَيَقْطَعُ الْمَسَافَةَ وَإِنْ كَانَ مُقِيماً وَادِعاً.

وَاعْلَمْ يَقِيناً أَنَّكَ لَنْ تَبْلُغَ أَمَلَكَ، وَلَنْ تَعْدُوَ أَجَلَكَ، وَأَنَّكَ فِي سَبِيلِ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ، فَخَفِّضْ فِي الطَّلَبِ، وَأَجْمِلْ فِي الْمُكْتَسَبِ؛ فَإِنَّهُ رُبَّ طَلَبٍ قَدْ جَرَّ إِلَى حَرَبٍ، فَلَيْسَ كُلُّ طَالِبٍ بِمَرْزُوقٍ، وَلَا كُلُّ مُجْمِلٍ بِمَحْرُومٍ، وَأَكْرِمْ نَفْسَكَ عَنْ كُلِّ دَنِيَّةٍ وَإِنْ سَاقَتْكَ إِلَى الرَّغَائِبِ؛ فَإِنَّكَ لَنْ تَعْتَاضَ بِمَا تَبْذُلُ مِنْ نَفْسِكَ عِوَضاً، وَلَا تَكُنْ عَبْدَ غَيْرِكَ وَقَدْ جَعَلَكَ اللهُ حُرّاً، وَمَا خَيْرُ خَيْرٍ لَا يُنَالُ إِلَّا بِشَرٍّ، وَيُسْرٍ لَا يُنَالُ إِلَّا بِعُسْرٍ؟!

وَإِيَّاكَ أَنْ تُوجِفَ بِكَ مَطَايَا الطَّمَعِ، فَتُورِدَكَ مَنَاهِلَ الْهَلَكَةِ، وَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ لَا يَكُونَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللهِ ذُو نِعْمَةٍ فَافْعَلْ، فَإِنَّكَ مُدْرِكٌ قِسْمَكَ، وَآخِذٌ سَهْمَكَ! وَإِنَّ الْيَسِيرَ مِنَ اللهِ -سُبْحَانَهُ- أَعْظَمُ وَأَكْرَمُ مِنَ الْكَثِيرِ مِنْ خَلْقِهِ وَإِنْ كَانَ كُلٌّ مِنْهُ.

وَتَلَافِيكَ مَا فَرَطَ مِنْ صَمْتِكَ أَيْسَرُ مِنْ إِدْرَاكِكَ مَا فَاتَ مِنْ مَنْطِقِكَ، وَحِفْظُ مَا فِي الْوِعَاءِ بِشَدِّ الْوِكَاءِ، وَحِفْظُ مَا فِي يَدَيْكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ طَلَبِ مَا فِي يَدِ غَيْرِكَ. وَمَرَارَةُ الْيَأْسِ خَيْرٌ مِنَ الطَّلَبِ إِلَى النَّاسِ، وَالْحِرْفَةُ مَعَ الْعِفَّةِ خَيْرٌ مِنَ الْغِنَى مَعَ الْفُجُورِ، وَالْمَرْءُ أَحْفَظُ لِسِرِّهِ. وَرُبَّ سَاعٍ فِيمَا يَضُرُّهُ! مَنْ أَكْثَرَ أَهْجَرَ، وَمَنْ تَفَكَّرَ أَبْصَرَ! قَارِنْ أَهْلَ الْخَيْرِ تَكُنْ مِنْهُمْ، وَبَايِنْ أَهْلَ الشَّرِّ تَبِنْ عَنْهُمْ! بِئْسَ الطَّعَامُ الْحَرَامُ، وَظُلْمُ الضَّعِيفِ أَفْحَشُ الظُّلْمِ. إِذَا كَانَ الرِّفْقُ خُرْقاً كَانَ الْخُرْقُ رِفْقاً. رُبَّمَا كَانَ الدَّوَاءُ دَاءً وَالدَّاءُ دَوَاءً، وَرُبَّمَا نَصَحَ غَيْرُ

النَّاصِحِ وَغِشَّ الْمُسْتَنْصِحُ. وَإِيَّاكَ وَاتِّكَالَكَ عَلَى الْمُنَى فَإِنَّهَا بَضَائِعُ النَّوْكَى، وَالْعَقْلُ حِفْظُ التَّجَارِبِ. وَخَيْرُ مَا جَرَّبْتَ مَاوَعَظَكَ! بَادِرِ الْفُرْصَةَ قَبْلَ أَنْ تَكُونَ غُصَّةً. لَيْسَ كُلُّ طَالِبٍ يُصِيبُ، وَلاَ كُلُّ غَائِبٍ يَؤُوبُ، وَمِنَ الْفَسَادِ إِضَاعَةُ الزَّادِ، وَمَفْسَدَةُ الْمَعَادِ، وَلِكُلِّ أَمْرٍ عَاقِبَةٌ، سَوْفَ يَأْتِيكَ مَاقُدِّرَلَكَ، التَّاجِرُ مُخَاطِرٌ! وَرُبَّ يَسِيرٍ أَنْمَى مِنْ كَثِيرٍ، وَلاَ خَيْرَ فِي مُعِينٍ مَهِينٍ، وَلاَ فِي صَدِيقٍ ظَنِينٍ، سَاهِلِ الدَّهْرَ مَاذَلَّ لَكَ قَعُودُهُ، وَلاَ تُخَاطِرْ بِشَيْءٍ رَجَاءَ أَكْثَرَ مِنْهُ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَجْمَحَ بِكَ مَطِيَّةُ اللَّجَاجِ! احْمِلْ نَفْسَكَ مِنْ أَخِيكَ ـ عِنْدَ صَرْمِهِ ـ عَلَى الصِّلَةِ، وَعِنْدَ صُدُودِهِ عَلَى اللُّطْفِ وَالْمُقَارَبَةِ، وَعِنْدَ جُمُودِهِ عَلَى الْبَذْلِ، وَعِنْدَ تَبَاعُدِهِ عَلَى الدُّنُوِّ، وَعِنْدَ شِدَّتِهِ عَلَى اللِّينِ وَعِنْدَ جُرْمِهِ عَلَى الْعُذْرِ؛ حَتَّى كَأَنَّكَ لَهُ عَبْدٌ، وَكَأَنَّهُ ذُو نِعْمَةٍ عَلَيْكَ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَضَعَ ذٰلِكَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ، أَوْ أَنْ تَفْعَلَهُ بِغَيْرِ أَهْلِهِ؛ لاَ تَتَّخِذَنَّ عَدُوَّ صَدِيقِكَ صَدِيقاً فَتُعَادِيَ صَدِيقَكَ، وَامْحَضْ أَخَاكَ النَّصِيحَةَ حَسَنَةً كَانَتْ أَوْ قَبِيحَةً، وَتَجَرَّعِ الْغَيْظَ فَانِّي لَمْ أَرَ جُرْعَةً أَحْلَى مِنْهَا عَاقِبَةً وَلاَ أَلَذَّ مَغَبَّةً، وَلِنْ لِمَنْ غَالَظَكَ، فَإِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ يَلِينَ لَكَ، وَخُذْ عَلَى عَدُوِّكَ بِالْفَضْلِ فَإِنَّهُ أَحْلَى الظَّفَرَيْنِ وَإِنْ أَرَدْتَ قَطِيعَةَ أَخِيكَ فَاسْتَبْقِ لَهُ مِنْ نَفْسِكَ بَقِيَّةً يَرْجِعُ إِلَيْهَا إِنْ بَدَالَهُ ذٰلِكَ يَوْمًا مَا، وَمَنْ ظَنَّ بِكَ خَيْرًا فَصَدِّقْ ظَنَّهُ، وَلاَ تُضِيعَنَّ حَقَّ أَخِيكَ اتِّكَالاً عَلَى مَابَيْنَكَ وَبَيْنَهُ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ لَكَ بِأَخٍ مَنْ أَضَعْتَ حَقَّهُ، وَلاَ يَكُنْ أَهْلُكَ أَشْقَى الْخَلْقِ بِكَ، وَلاَ تَرْغَبَنَّ فِيمَنْ زَهِدَ عَنْكَ، وَلاَ يَكُونَنَّ أَخُوكَ عَلَى مُقَاطَعَتِكَ أَقْوَى مِنْكَ عَلَى صِلَتِهِ، وَلاَيَكُونَنَّ عَلَى الإِسَاءَةِ أَقْوَى مِنْكَ عَلَى الإِحْسَانِ، وَلاَيَكْبُرَنَّ عَلَيْكَ ظُلْمُ مَنْ ظَلَمَكَ؛ فَإِنَّهُ يَسْعَى فِي مَضَرَّتِهِ وَنَفْعِكَ، وَلَيْسَ جَزَاءُ مَنْ سَرَّكَ أَنْ تَسُوءَهُ.

وَاعْلَمْ، يَابُنَيَّ، أَنَّ الرِّزْقَ رِزْقَانِ: رِزْقٌ تَطْلُبُهُ، وَرِزْقٌ يَطْلُبُكَ، فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَأْتِهِ أَتَاكَ. مَا أَقْبَحَ الْخُضُوعَ عِنْدَ الْحَاجَةِ وَالْجَفَاءَ عِنْدَ الْغِنَى. إِنَّ لَكَ مِنْ دُنْيَاكَ مَا أَصْلَحْتَ بِهِ مَثْوَاكَ؛ وَإِنْ جَزِعْتَ عَلَى مَا تَفَلَّتَ مِنْ يَدَيْكَ، فَاجْزَعْ عَلَى كُلِّ مَالَمْ يَصِلْ إِلَيْكَ. اسْتَدِلَّ عَلَى مَالَمْ يَكُنْ بِمَا قَدْ كَانَ فَإِنَّ الأُمُورَ أَشْبَاهٌ، وَلاَ تَكُونَنَّ مِمَّنْ لاَ تَنْفَعُهُ الْعِظَةُ إِلاَّ إِذَا بَالَغْتَ فِي إِيلاَمِهِ؛ فَإِنَّ الْعَاقِلَ يَتَّعِظُ بِالآدَابِ، وَالْبَهَائِمَ لاَ تَتَّعِظُ إِلاَّ بِالضَّرْبِ. اِطْرَحْ عَنْكَ وَارِدَاتِ الْهُمُومِ بِعَزَائِمِ الصَّبْرِ وَحُسْنِ الْيَقِينِ؛ مَنْ تَرَكَ الْقَصْدَ جَارَ؛ وَالصَّاحِبُ مُنَاسِبٌ،

وَالصَّدِيقُ مَنْ صَدَقَ غَيْبُهُ، وَالْهَوَى شَرِيكُ الْعَنَاءِ، رُبَّ قَرِيبٍ أَبْعَدُ مِنْ بَعِيدٍ، وَرُبَّ بَعِيدٍ أَقْرَبُ مِنْ قَرِيبٍ؛ وَالْغَرِيبُ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَبِيبٌ. مَنْ تَعَدَّى الْحَقَّ ضَاقَ مَذْهَبُهُ، وَمَنِ اقْتَصَرَ عَلَى قَدْرِهِ كَانَ أَبْقَى لَهُ. وَأَوْثَقُ سَبَبٍ أَخَذْتَ بِهِ سَبَبٌ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللهِ، وَمَنْ لَمْ يُبَالِكَ فَهُوَ عَدُوُّكَ، قَدْ يَكُونُ الْيَأْسُ إِدْرَاكاً إِذَا كَانَ الطَّمَعُ هَلاَكاً. لَيْسَ كُلُّ عَوْرَةٍ تَظْهَرُ، وَلاَ كُلُّ فُرْصَةٍ تُصَابُ، وَرُبَّمَا أَخْطَأَ الْبَصِيرُ قَصْدَهُ، وَأَصَابَ الْأَعْمَى رُشْدَهُ. أَخِّرِ الشَّرَّ فَإِنَّكَ إِذَا شِئْتَ تَعَجَّلْتَهُ، وَقَطِيعَةُ الْجَاهِلِ تَعْدِلُ صِلَةَ الْعَاقِلِ. مَنْ أَمِنَ الزَّمَانَ خَانَهُ، وَمَنْ أَعْظَمَهُ أَهَانَهُ! لَيْسَ كُلُّ مَنْ رَمَى أَصَابَ، إِذَا تَغَيَّرَ السُّلْطَانُ تَغَيَّرَ الزَّمَانُ، سَلْ عَنِ الرَّفِيقِ قَبْلَ الطَّرِيقِ، وَعَنِ الْجَارِ قَبْلَ الدَّارِ. إِيَّاكَ أَنْ تَذْكُرَ مِنَ الْكَلاَمِ مَا كَانَ مُضْحِكاً، وَإِنْ حَكَيْتَ ذٰلِكَ عَنْ غَيْرِكَ، وَإِيَّاكَ وَمُشَاوَرَةَ النِّسَاءِ؛ فَإِنَّ رَأْيَهُنَّ إِلَى أَفْنٍ وَعَزْمَهُنَّ إِلَى وَهْنٍ، وَاكْفُفْ عَلَيْهِنَّ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ بِحِجَابِكَ إِيَّاهُنَّ؛ فَإِنَّ شِدَّةَ الْحِجَابِ أَبْقَى عَلَيْهِنَّ، وَلَيْسَ خُرُوجُهُنَّ بِأَشَدَّ مِنْ إِدْخَالِكَ مَنْ لاَ يُوثَقُ بِهِ عَلَيْهِنَّ، وَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ لاَ يَعْرِفْنَ غَيْرَكَ فَافْعَلْ، وَلاَ تُمَلِّكِ الْمَرْأَةَ مِنْ أَمْرِهَا مَا جَاوَزَ نَفْسَهَا، فَإِنَّ الْمَرْأَةَ رَيْحَانَةٌ وَلَيْسَتْ بِقَهْرَمَانَةٍ، وَلاَ تَعْدُ بِكَرَامَتِهَا نَفْسَهَا، وَلاَ تُطْمِعْهَا فِي أَنْ تَشْفَعَ لِغَيْرِهَا، وَإِيَّاكَ وَالتَّغَايُرَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِ غَيْرَةٍ؛ فَإِنَّ ذٰلِكَ يَدْعُو الصَّحِيحَةَ إِلَى السَّقَمِ، وَالْبَرِيئَةَ إِلَى الرِّيَبِ، وَاجْعَلْ لِكُلِّ إِنْسَانٍ مِنْ خَدَمِكَ عَمَلاً تَأْخُذُهُ بِهِ، فَإِنَّهُ أَحْرَى أَنْ لاَ يَتَوَاكَلُوا فِي خِدْمَتِكَ، وَأَكْرِمْ عَشِيرَتَكَ فَإِنَّهُمْ جَنَاحُكَ الَّذِي بِهِ تَطِيرُ، وَأَصْلُكَ الَّذِي إِلَيْهِ تَصِيرُ، وَيَدُكَ الَّتِي بِهَا تَصُولُ.

أَسْتَوْدِعُ اللهَ دِينَكَ وَدُنْيَاكَ، وَأَسْأَلُهُ خَيْرَ الْقَضَاءِ لَكَ فِي الْعَاجِلَةِ وَالآجِلَةِ، وَالدُّنْيَا وَالآخِرَةِ؛ إِنْ شَاءَ اللهُ.

اقول: اشار بالأمور التى خلق لها الى غاياته. و منزل قلعة: لايصلح للاستيطان، والدنيا دار بلغة: باعتبار انّ الواجب فى استعمالها قدرالضرورة التى يتبلّغ بها الى الآخرة، دون الاستكثار منها اذ كانت طريقا اليها. و استعار لفظ الطريد: باعتبار طلب الموت له كالطريدة من الصيد. والازر: القوة. و بهره: غلبه و أتعبه. والاخلاد الى الشئ: السكون اليه. والتكالب: التواثب. والمساوئ: العيوب. والضراوة: تعوّد الصيد والجرأة عليه. و اشار بقوله: فإنما اهلها الى قوله: صغيرها الى اهل الدنيا: باعتبار قواهم الغضبيّة و

اتباعها. و بقوله: نعم معقلة، الى قوله: ورآها الى اهلها: باعتبار اتباعهم لقواهم الشهوية، ثم قسم هؤلاء قسمين فاستعار لفظ المعقلة: للذين تمسّكوا منهم بظواهر الشريعة و تقيّدوا بها عن الاسترسال الظاهر فى الشهوات المحرمة فى الدين، وان لم يعقلوا اسرار الشريعة فهم: كالنعم التى عقلها راعيها، واشعار لفظ المُهْمَلَة: للّذين استرسلوا فى اتبّاع شهواتهم مطلقاً و خرجوا عن طاعة امامهم. و قوله: عقولها قيل: اراد عقلها فاشبع الضمّة فقلبها واواً للمناسبة بين القرينتين. والمجهول والمجهل: المفازة التى لا اعلام بها. و واد وعث: لايثبت به خُفّ و لا حافِرٌ لكثرة سهولته. والمسيم: الراعى. و اراد بالعمى: الجهل. ورويدًا اى: أمهل. و استعار لفظ الظلام: لحجب الابدان و ظلمات هيأتها الحاجبة لأبصار البصائر عن ادراك امور الآخرة، و هو وعيد بالموت و ما بعده. و كنّى بالاظعان عن المسافرين الى الله، و كأن المخفّفة من الثّقيلة و تفيد تقريب المستقبل من الامور يوشك من اسرع ان يلحق: ترغيب فى اسراع السير فى مراتب القربة الى الله تعالى، بذكر الغاية و هى اللحوق بمراتب السابقين ويحتمل ان يكون من تمام الوعيد بالموت و قربه، اذ الناس فى حدالاسراع اليه على مطيّتى الليل، و النهار، و من كان كذلك قربت لحوقه بمن سبقه. والوادع، ذوالدّعة ولا يبلغ أمله لانّ الآمال لا تزال تتجدّد. و لا تعد اى: لا تتجاوز. و خفّض: سهل على نفسك. والاجمال فى الاكتساب: ان يكون على وجه جميل، و هوالوجه الذي ينبغى. والحرب: سلب المال. و نهيه عن التعبّد للغير: يستلزم النهى عن سببه و هو الطّمع.

و قوله: فانك، الى قوله عرضا: صغرى ضمير، بيّن فيه علّة الامر باكرام نفسه و تقدير كبراه، و كلّ من كان كذلك فواجب عليه ان لا يبذل نفسه فى الدّنايا و يكرمها عنها. والوجيف: ضرب من السير فيه سرعة. و استعار لفظ المطايا للاطماع و وصف الوجيف لها: باعتبار هجومها بالانسان على الهلاك الاخروى. و استعار لها لفظ المناهل وهى: الشرائع و مواردالشرب. و قسمة المدرك له هو: ما قسمه الله له من رزق و غيره، فى كتابه المبين، و لوحه المحفوظ. و قوله: و تلافيك اى: تداركك الى قوله الوكاء: ارشاد الى حفظ اللسان و ضبطه عمّا لا ينبغى من القول. وقوله: و حفظ ما فى يدك الى قوله: غيرك : ارشاد الى الاقتصاد فى المال، و ترك الاسراف، لما يستلزمه من الحاجة

الی الغیر. والحرفة: ضیق الرزق. و اهجر قال الهجر، وهو: الفحش فی المنطق. و قوله: المرء احفظ لسرّه: اخبار فی معنی الأمر. و فی قوله احفظ: تنبیه علی الفرق بین حفظ الانسان لسر نفسه و بین ایداعه الغیر، و کذلک من تفکّر ابصر. و قوله: اذ کان الرفق الی قوله: رفقًا، ای: اذا کان استعمال الرفق و هو اللین فی بعض المواضع، کالخرق و هوالعنف فی کونه مفسداً او مفوتاً للغرض کون استعمال الخرق فی ذلک الموضع کاستعمال الرفق فی استلزامه المصلحة غالبا، فکان اولی من الرفق فی ذلک الموضع و نحوه قول ابی الطیب[1]:

و وضع الندی فی موضع السیف بالعلی مضرّ کوضع السیف فی موضع الندی

و هو: اخبار فی معنی النهی عن وضع کلّ منهما فی موضع الآخر، و ربّما یفهم منه معنی آخر، و هو: انّه اذ استعمل الرفق فی موضع الخرق لزم ذلک ان یستعمل الخرق فی غیر موضعه و هو موضع الرفق، و ذلک مما لاینبغی. و قوله: ربّما کان الی قوله دواء: تنبیه علی ان فعل بعض الامور قد یُعتقدُ مصلحةً وهو مفسدة، و فعلُ بعضٍ بالعکس، و نحوه قول المتنبیّ:

و ربّما صحّت الأجساد بالعلل

والنوکی: الحمقی و قوله: والعقل حفظ التجارب: رسم للعقل العملیّ، ببعض کمالاته و صفاته. وانّما خصّ العلوم التجربیة: لانها أصل عظیم فیما ینبغی ان یفعل، والعقل قد یراد به قوّة النفس، و قد یراد به المصدر، و هو فعل تلک القوة و هو محتمل الارادة هاهنا. والفرصة: وقت امکان العمل للآخرة. والغصة: هو ما یلحق من ألم الندم بعد فوت الفرصة. والمهین: الضعیف. والظنین: المتّهم. و قوله: ساهل الدهر، الی قوله: قعوده: کمساهلته الجریان معه بقدر مقتضاه من دون تشدّد و تسخط علیه، و لفظ القعود: مستعار للوقت الذی تتیسر فیه الأمور، و کذلک وصف الذلّة باعتبار سهولة المطالب فیه، و خصّ العقود: باعتبار انّه فی مظنّة النفار براکبه، والزمان فی مظنّة التغیر.

و قوله: احمل، الی قوله غیر أهله: امره ان یلزم نفسه و یحملها فی حقّ صدیقه الاهل للصنیعة، علی ان یقابل رذائله المعدودة بما یضادها من الفضائل. والصرم: القطیعة.

[1] ـ ابوالطیب احمد بن الحسین بن الحسن بن عبدالصمد المتنبی الجعدی الکندی ۳۰۳ ـ ۳۵۴.

والجمود: ضدّ البذل. و امحض اى: اخلص. وحسنة او قبيحة اى: فى نظر المنصوح. والمغبة: العاقبة. والمغالظة: المخاشنة. و ما بينك و بينه، اى: من المودة. و قوله: فانه ليس لك الى قوله: حقه، صغرى ضمير نفرّ به عن اضاعة حق الأخ، اي: انّك اذا اضعت حقّه لابدّ ان يفارقك، ونفعه على تقدير كونه مطلوبا حصوله على ثواب الصّابرين في الآخرة.

والرزق المطلوب: ما كان مبدؤه الحرص في الدنيا، والرزق الطالب للانسان هوالمقدّر له، و فيه تنبيه على الاجمال في طلب الرزق. والجفاوة: قسوة القلب. و مثواه: موضع اقامته من الآخرة. و عزائم الصبر: ما جزمت منه. و حسن اليقين اى: بالله تعالى، و هو ان يعلم يقينًا انّ كل صادر في الوجود فعلى وفق الحكمة الالهية، و لازم لها. وجار: دخل في رذيلةِ الجور و هو الانحراف عن فضيلة العدل، و روى بالحاء. و لفظ المناسب: مستعار للصاحب باعتبار منفعته و قربه كالنسيب والصديق اى: الخالص في صداقته. و شريك العمى اى: في كونهما لا يهتدى معهما الى ما ينبغي من المصلحة. وضيق المذهب: المتعدّى باعتبار انّ الغالب على الخلق اتباع اكثرالحق، والمتعدّى عنه: مأخوذ بالأقوال الذامة والافعال الرادعة مضيق عليه بها مذهبه، وحيث سلك من الباطل. و من لا يبالك اي: لايهتمّ بأمرك عند حاجتك اليه، و استعار له لفظ العدوّ: باعتبار عدم المبالاة كالعدوّ. و قوله: وقد يكون، الى قوله: هلاكا أي: اذا كان الطمع في امر يؤدّي الى الهلاك كان اليأس منه ادراكا للنجاة. وقوله: ليس كل عورة، الى قوله: رشده: تنبيه على انّ من الامور الممكنة، والغرض ما يفعل الطالب البصير بالامور عن وجه طلبه، فلا يصيبه ويهتدى له الأعمى الجاهل بما ينبغي. والعورة: كالفرصة واعور: الفارس اذا بدامنه موضع للضرب. و قوله: و من اعظمه اهانة: فاعظامه من حيث انّه مشتمل على خيرات الدنيا و لذاتها بالصحّة والشباب والأمن و نحو ذلك، و بذلك الاعتبار يكرم ويستعظم، و امّا لزوم اهانة من يستعظمه، فلاستلزام اعظامِهِ الركون اليه، و الاشتغال بما فيه من اللّذات. ثم انّ الزمان بعد ذلك يكر (يدور) عليه بمقتضى طباعه فيزيل ما كان فيه من لذّة و خير، و يبدّله بالعزة هوانا و باللّذة الما. و قوله: اذا تغيّر السلطان اى: في نيّته وفعله تغيرالزمان، و ذلك ان الزمان انما يحمد او يذمّ بحسب ما يقع فيه من خير وشرّ.

وظاهر ان تغيّر السلطان من احدهما الى الآخر يستلزم وقوع ما تغير اليه في وقت وقوعه، وبحسب ذلك يكون تغيّر الزمان و نسبته الى الخير او الشرالواقع بعد ان لم يكن، و السابق الى الفهم من التغير هوالتغير من الخير الى الشرّ.

والافن بالسكون: النقص والضّعف، و ما جاوز نفسها: هو ما عدا ما يحلّ لها تملكه في عرف الشريعة، و استعار لها لفظ الريحانة: باعتبار انّ الغرض بهااللذّة والاستمتاع، و كرامة نفسها بما يجب من كسوة و نحوها. و الصحيحة: البريئة من الفساد. وغيرة الرجل على البريئة و اشعارها بتهمتها بالفساد ربّما يؤدى الى فسادها، لأنها ربما تستقبح ذلك في اول الأمر و يعظم عليها ذكره فاذا تكررت المواجهة به هان عليها، و صار فى قوة اغرائها به. والريب: الشك. واحرى: اولى و يتواكلوا اى: تكل كل منهم الأمر الى صاحبه. و اليه تصير اى: ترجع. و اكثر المقاصد فى هذه الوصية واضحة غنيّة عن الشرح والاستقصاء فيها مذكور في الاصل، و بالله التوفيق.

٣٢ - وَمِنْ كِتابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

إلى معاوية

وَأَرْدَيْتَ جِيلاً مِنَ النَّاسِ كَثِيرًا: خَدَعْتَهُمْ بِغَيِّكَ، وَأَلْقَيْتَهُمْ فِي مَوْجِ بَحْرِكَ، تَغْشَاهُمُ الظُّلُمَاتُ، وَتَتَلَاطَمُ بِهِمُ الشُّبُهَاتِ، فَجَازُوا عَنْ وِجْهَتِهِمْ، وَنَكَصُوا عَلَى أَعْقَابِهِمْ، وَتَوَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ، وَعَوَّلُوا عَلَى أَحْسَابِهِمْ، إِلَّا مَنْ فَاءَ مِنْ أَهْلِ الْبَصَائِرِ؛ فَإِنَّهُمْ فَارَقُوكَ بَعْدَ مَعْرِفَتِكَ، وَهَرَبُوا إِلَى اللهِ مِنْ مُوَازَرَتِكَ؛ إِذْ حَمَلْتَهُمْ عَلَى الصَّعْبِ، وَعَدَلْتَ بِهِمْ عَنِ الْقَصْدِ، فَاتَّقِ اللهَ يَا مُعَاوِيَةُ فِي نَفْسِكَ، وَجَاذِبِ الشَّيْطَانَ قِيَادَكَ؛ فَإِنَّ الدُّنْيَا مُنْقَطِعَةٌ عَنْكَ، وَالآخِرَةَ قَرِيبَةٌ مِنْكَ، وَالسَّلَامُ.

اقول: أرديت: أهلكت. والجيل: الصنف. والغيّ: الضلال. و استعار لفظ الموج: للشبهات التى ألقاها معاوية الى الناس كشبهة قتل عثمان و شبهة التحكيم. و لفظ الظلمات لتلك الشبهة: باعتبار عدم اهتداء الخلق فيها الى تخليص الحق. و حاروا:

عدلوا. و نكصوا: رجعوا. و عوّلوا: اعتمدوا أحسابهم ما يفخرون به من مال و اصل. وفاء: رجع، و معرفتك اى معرفتهم: بك. والموازرة: المعاونة. و استعار لفظ الصعب من الإبل ونحوه: لما حملهم عليه من مخالفة الحق، والبغى على الامام العادل.

٣٣ـ وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

إلى قثم بن العباس[1]، وهو عامله على مكة

أمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ عَيْنِي بِالْمَغْرِبِ، كَتَبَ إِلَيَّ يُعْلِمُنِي أَنَّهُ وُجِّهَ إِلَى الْمَوْسِمِ أُنَاسٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، الْعُمْيِ الْقُلُوبِ، الصُّمِّ الْأَسْمَاعِ، الْكُمْهِ الْأَبْصَارِ، الَّذِينَ يَلْتَمِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ، وَيُطِيعُونَ الْمَخْلُوقَ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ، وَيَحْتَلِبُونَ الدُّنْيَا دَرَّهَا بِالدِّينِ، وَيَشْتَرُونَ عَاجِلَهَا بِآجِلِ الْأَبْرَارِ الْمُتَّقِينَ، وَلَنْ يَفُوزَ بِالْخَيْرِ إِلاَّ عَامِلُهُ، وَلَا يُجْزَى جَزَاءَ الشَّرِّ إِلاَّ فَاعِلُهُ، فَأَقِمْ عَلَى مَا فِي يَدَيْكَ قِيَامَ الْحَازِمِ الصَّلِيبِ، وَالنَّاصِحِ اللَّبِيبِ، التَّابِعِ لِسُلْطَانِهِ الْمُطِيعِ لِإِمَامِهِ، وَإِيَّاكَ وَمَا يُعْتَذَرُ مِنْهُ، وَلَا تَكُنْ عِنْدَ النَّعْمَاءِ بَطِرًا، وَلَا عِنْدَ الْبَأْسَاءِ فَشِلاً

اقول: العين: الجاسوس. و اراد بالمغرب: الشام، لأنها من الحدود المغربيّة. والموجّه للقوم: هو معاوية. والموسم: موسم الحج. و قوله العمى، الى قوله: الأبصار، اشارة: الى شدّة غفلتهم عن الله تعالى، و عن امور الآخرة. والحق: هوما يطلبونه من دم عثمان، والباطل: وجه طلبهم له. و شبهتهم فيه. و درّها: بدل من الدنيا. و الفشل: الضعف والجبن. و مقاصد الكتاب و استعاراته ظاهرة.

---

١ ـ قثم بن العباس بن عبدالمطلب بن هاشم اخو عبدالله بن العباس... أمه ام الفضل. و كان يُشْبِهُ رسول الله(ص). الاصابة ٢٢٦/٣. الاستيعاب ٢٧٥/٣ ـ هامش الاصابة ـ وفيه مات بسمرقند.

٣٤ ـ وَمِنْ كِتابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

إلى محمد بن أبي بكر، لما بلغه توجده من عزله بالأشتر عن مصر ثم توفى الأشتر في توجهه إلى مصر قبل وصوله إليها

أَمَّا بَعْدُ؛ فَقَدْ بَلَغَنِي مَوْجِدَتُكَ مِنْ تَسْرِيحِ الْأَشْتَرِ إِلَى عَمَلِكَ، وَإِنِّي لَمْ أَفْعَلْ ذٰلِكَ اسْتِبْطَاءً لَكَ فِي الْجُهْدِ، وَلَا ازْدِيَادًا لَكَ فِي الْجِدِّ، وَلَوْنَزَعْتُ مَا تَحْتَ يَدِكَ مِنْ سُلْطَانِكَ لَوَلَّيْتُكَ مَا هُوَ أَيْسَرُ عَلَيْكَ مَؤُونَةً، وَأَعْجَبُ إِلَيْكَ وِلَايَةً.إِنَّ الرَّجُلَ الَّذِي كُنْتُ وَلَّيْتُهُ أَمْرَ مِصْرَ كَانَ رَجُلاً لَنَا نَاصِحًا وَ عَلَى عَدُوِّنَا شَدِيدًا نَاقِمًا فَرَحِمَهُ اللهُ فَلَقَدِ اسْتَكْمَلَ أَيَّامَهُ، وَلَاقَى حِمَامَهُ، وَنَحْنُ عَنْهُ رَاضُونَ، أَوْلَاهُ اللهُ رِضْوَانَهُ، وَضَاعَفَ الثَّوَابَ لَهُ، فَأَصْحِرْ لِعَدُوِّكَ، وَامْضِ عَلَى بَصِيرَتِكَ، وَشَمِّرْ لِحَرْبِ مَنْ حَارَبَكَ، ﴿وَادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ وَأَكْثِرِ الْاِسْتِعَانَةَ بِاللهِ يَكْفِكَ مَا أَهَمَّكَ، وَيُعِنْكَ عَلَى مَا نَزَلَ بِكَ، وَالسَّلَامُ.

اقول: الموجدة: ما يجده الانسان. والجهد: الاجتهاد. و أعجب: أحب. و اصحر اى: اظهروا برز. و بصيرته: علمه و تيقنه انه على الحق و انّ خصمه على الباطل. والتشمير كناية عن الاستعداد.

٣٥ ـ وَمِنْ كِتابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

إلى عبدالله بن العباس، بعد مقتل محمد بن أبي بكر

أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ مِصْرَ قَدِ افْتُتِحَتْ وَمُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ رَحِمَهُ اللهُ قَدِ اسْتُشْهِدَ، فَعِنْدَ اللهِ نَحْتَسِبُهُ وَلَدًا نَاصِحًا، وَعَامِلاً كَادِحًا، وَسَيْفًا قَاطِعًا، وَرُكْنًا دَافِعًا؛ وَقَدْ كُنْتُ حَثَثْتُ النَّاسَ عَلَى لِحَاقِهِ، وَأَمَرْتُهُمْ بِغِيَاثِهِ قَبْلَ الْوَقْعَةِ؛ وَدَعَوْتُهُمْ سِرًّا وَجَهْرًا، وَعَوْدًا وَبَدْءًا: فَمِنْهُمُ الْآتِي كَارِهاً، وَمِنْهُمُ الْمُعْتَلُّ كَاذِبًا، وَمِنْهُمُ الْقَاعِدُ خَاذِلاً. أَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَ لِي مِنْهُمْ فَرَجاً عَاجِلاً، فَوَاللهِ لَوْلَا طَمَعِي عِنْدَ لِقَائِي عَدُوِّي فِي الشَّهَادَةِ، وَتَوْطِينِي نَفْسِي عَلَى الْمَنِيَّةِ؛ لَأَحْبَبْتُ أَنْ لَا أَبْقَى مَعَ هٰؤُلَاءِ يَوْمًا وَاحِدًا، وَلَا أَلْتَقِيَ بِهِمْ أَبَدًا.

اقول: احتسب بكذا عندالله: اطلب به. الحسبة بالكسر وهى: الأجر فى الرزيّة به. واستشهد: كانه استحضر الى الله بالقتل. وكونه ولدًا: باعتبارانه كان ربيبًا له عليه السلام. وامّه اسماء بنت عميس الخثعمية، كانت تحت جعفر بن ابى طالب رضع فولدت له محمدًا و عونا، و عبدالله، بالحبشة حين هاجرت معه اليها. و تزوّجها بعد قتله ابوبكر فولدت له محمدًا هذا. ثم تزوّجها بعد وفاته على عليه السلام، فولدت له يحيى. والكدح: السعي. و استعار لمحمد لفظ السيف والركن باعتبار فائدته كفائدتهما. و باقى الفصل واضح، وبالله التوفيق.

٣٦ ـ وَمِنْ كِتابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

إلى عقيل بن أبي طالب، في ذكر جيش انفذه إلى بعض الأعداء

و هو جواب كتاب كتبه إليه أخوه عقيل بن ابي طالب ـ رحمه الله ـ

فَسَرَّحْتُ إِلَيْهِ جَيْشًا كَثِيفًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ. فَلَمَّا بَلَغَهُ ذٰلِكَ شَمَّرَ هَارِباً، وَنَكَصَ نَادِمًا، فَلَحِقُوهُ بِبَعْضِ الطَّرِيقِ، وَقَدْ طَفَّلَتِ الشَّمْسُ لِلْإِيَابِ؛ فَاقْتَتَلُوا شَيْئًا كَلاَ وَلاَ؛ فَمَا كَانَ إِلَّا كَمَوْقِفِ سَاعَةٍ حَتَّى نَجَا جَرِيضاً بَعْدَ مَا أُخِذَ مِنْهُ بِالْمُخَنَّقِ، وَلَمْ يَبْقَ مَعَهُ غَيْرُ الرَّمَقِ، فَلأْيًا بِلأْيٍ مَا نَجَا. فَدَعْ عَنْكَ قُرَيْشًا وَتَرْكَاضَهُمْ فِي الضَّلاَلِ وَتَجْوَالَهُمْ فِي الشِّقَاقِ، وَجِمَاحَهُمْ فِي التِّيهِ؛ فَإِنَّهُمْ قَدْ أَجْمَعُوا عَلَى حَرْبِي كَإِجْمَاعِهِمْ عَلَى حَرْبِ رَسُولِ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَبْلِي؛ فَجَزَتْ قُرَيْشًا عَنِّي الْجَوَازِي؛ فَقَدْ قَطَعُوا رَحِمِي، وَسَلَبُونِي سُلْطَانَ ابْنِ أُمِّي.

وَأَمَّا مَا سَأَلْتَ عَنْهُ مِنْ رَأْيِي فِي الْقِتَالِ، فَإِنَّ رَأْيِي قِتَالُ الْمُحِلِّينَ حَتَّى أَلْقَى اللهَ، لَا يَزِيدُنِي كَثْرَةُ النَّاسِ حَوْلِي عِزَّةً، وَلَا تَفَرُّقُهُمْ عَنِّي وَحْشَةً، وَلَا تَحْسَبَنَّ ابْنَ أَبِيكَ ـ وَلَوْ أَسْلَمَهُ النَّاسُ ـ مُتَضَرِّعاً مُتَخَشِّعاً، وَلَا مُقِرًّا لِلضَّيْمِ وَاهِنًا، وَلَا سَلِسَ الزِّمَامِ لِلْقَائِدِ، وَلَا وَطِيءَ الظَّهْرِ لِلرَّاكِبِ الْمُتَقَعِّدِ، وَلٰكِنَّهُ كَمَا قَالَ أَخُو بَنِي سُلَيْمٍ:

فَإِنْ تَسْأَلِينِي: كَيْفَ أَنْتَ؟ فَإِنَّنِي صَبُورٌ عَلَى رَيْبِ الزَّمَانِ صَلِيبُ
يَعِزُّ عَلَيَّ أَنْ تُرَى بِي كَآبَةٌ فَيَشْمَتَ عَادٍ أَوْ يُسَاءَ حَبِيبُ

اقول: طفلّت الشمس بالتشديد: مالت للمغيب. وآبت: لغة في غابت. و كلا و لا:

لفظان قصيران عندالسمع سريعا الانقطاع، كنى بهما عما كان سريعا من الفعل لمشابهته في قصرالزمان لهما، و نحوه قول ابن هاني المغربي[1].

و اسرع في العين من لحظة　　　و اقصر في السمع من لا و لا

والموقف: هنا مصدر. و الجريض: المغموم الذى يبتلع ريقه على غصة من الحزن. والمخنّق بالتشديد: هو من العنق موضع الخنق بالكسر. والرمق: بقيّة النفس. واللأي: الشدّة وهو مصدر حذف عامله، و ما: مصدرية في موضع الرفع فاعلا لفعل المصدر اى: فلأى لأيا نجاؤه اى: اشتد و عسر. وقوله بلأى تأكيدًا اى: لأيا متصلا بلأى. والتركاض مبالغة في الركض، و استعاره: لجرى اذهانهم في الضلال عن سبيل الله. و كذلك لفظ التجوال والجماح. وابن امه يعني رسول الله صلى الله عليه و آله، لأنهما ابنا فاطمة بنت عمربن عمران بن عائذ بن مخزوم[2]،ام عبدالله، و ابى طالب. والمحلّين: الذين احلّوا ذمة الله و نقضوا عهده. و الوهن: الضعف.

٣٧ ـ وَمِنْ كِتابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

إلى معاوية

فَسُبْحَانَ ٱللهِ!! مَا أَشَدَّ لُزُومَكَ لِلأَهْوَاءِ الْمُبْتَدَعَةِ، وَالْحَيْرَةِ الْمُتَّبَعَةِ، مَعَ تَضْيِيعِ الْحَقَائِقِ، وَاطِّرَاحِ الْوَثائِقِ، الَّتِي هِيَ للهِ طِلْبَةٌ، وَعَلَى عِبَادِهِ حُجَّةٌ فَأَمَّا إِكْثَارُكَ الْحِجَاجَ فِي عُثْمَانَ وَقَتَلَتِهِ فَإِنَّكَ إِنَّمَا نَصَرْتَ عُثْمَانَ حَيْثُ كَانَ النَّصْرُ لَكَ، وَخَذَلْتَهُ حَيْثُ كَانَ النَّصْرُ لَهُ.

اقول: اراد بالحقائق: ما هو حق في نفس الأمر ينبغي اتّباعه من العقائد، كاعتقاد إمامته الحقّة واتبّاعه. و قوله: حيث كان النصر لك، اى: الآن وانت منصور تنتصر له.

---

١ ـ ابوالقاسم / ابوالحسن محمد بن هانئ الازدي الاندلسي المتوفى ٣٦٢. و جاء انه قتل على التشيع وولائه الخالص. وفيات الاعيان ٤/٤٢١. معجم الادباء ١٩/٩٢.

٢ ـ جمهرة انساب العرب/١٥و١٤١، الفصول الفخرية/٨٣. وقد جاء الكتاب بصورة مفصلة في الغارات ٢/٤٣١.

٣٨ ـ وَمِنْ كِتابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام
إلى أهل مصر، لما ولّى عليهم الأشتر رحمه الله

مِنْ عَبْدِ اللهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ غَضِبُوا لِلهِ حِينَ عُصِيَ فِي أَرْضِهِ، وَذُهِبَ بِحَقِّهِ، فَضَرَبَ الْجَوْرُ سُرَادِقَهُ عَلَى الْبَرِّ وَالْفَاجِرِ، وَالْمُقِيمِ وَالظَّاعِنِ، فَلاَ مَعْرُوفٌ يُسْتَرَاحُ إِلَيْهِ، وَلاَ مُنْكَرٌ يُتَنَاهَى عَنْهُ.

أَمَّا بَعْدُ؛ فَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكُمْ عَبْداً مِنْ عِبَادِ اللهِ لاَيَنَامُ أَيَّامَ الْخَوْفِ، وَلاَ يَنْكُلُ عَنِ الْأَعْدَاءِ سَاعَاتِ الرَّوْعِ، أَشَدَّ عَلَى الْفُجَّارِ مِنْ حَرِيقِ النَّارِ، وَهُوَ مَالِكُ بْنُ الْحَارِثِ أَخُو مَذْحِجٍ، فَاسْمَعُوا لَهُ، وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ فِيمَا طَابَقَ الْحَقَّ؛ فَإِنَّهُ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللهِ لاَ كَلِيلُ الظُّبَةِ، وَلاَ نَابِي الضَّرِيبَةِ، فَإِنْ أَمَرَكُمْ أَنْ تَنْفِرُوا فَانْفِرُوا، وَإِنْ أَمَرَكُمْ أَنْ تُقِيمُوا فَأَقِيمُوا، فَإِنَّهُ لاَ يُقْدِمُ وَلاَ يُحْجِمُ، وَلاَ يُؤَخِّرُ وَلاَ يُقَدِّمُ، إِلاَّ عَنْ أَمْرِي. وَقَدْ آثَرْتُكُمْ بِهِ عَلَى نَفْسِي لِنَصِيحَتِهِ لَكُمْ وَشِدَّةِ شَكِيمَتِهِ عَلَى عَدُوِّكُمْ.

اقول: السرادق: البيت من القطن وهو مستعار لما امتدّ من جور الظالمين و عمّ. والروع: الفزع. و ينكل بالضم: يرجع. و مذحج كمسجد: ابو قبيلة من اليمن، و هو: مذحج بن جابر بن مالك بن ثقلان بن سبأ. و الظبة بالتخفيف: حدّ السيف. و نبا السيف عن الضربة اذا لم يقطعها، و هو: كناية عن صرامته و قوة بأسه. والاحجام: التأخر. والشكيمة الحديدة المعترضة في فم الفرس، و كنى بشدّتها: عن شدّة و طأته على العدوّ.

٣٩ ـ وَمِنْ كِتابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام
إلى عمرو بن العاص

فَإِنَّكَ قَدْ جَعَلْتَ دِينَكَ تَبَعاً لِدُنْيَا امْرِىءٍ ظَاهِرٍ غَيُّهُ، مَهْتُوكٍ سِتْرُهُ. يَشِينُ الْكَرِيمَ بِمَجْلِسِهِ، وَيُسَفِّهُ الْحَلِيمَ بِخُلْطَتِهِ، فَاتَّبَعْتَ أَثَرَهُ وَطَلَبْتَ فَضْلَهُ اتِّبَاعَ الْكَلْبِ لِلضِّرْغَامِ: يَلُوذُ إِلَى مَخَالِبِهِ، وَيَنْتَظِرُ مَا يُلْقِي إِلَيْهِ مِنْ فَضْلِ فَرِيسَتِهِ، فَأَذْهَبْتَ دُنْيَاكَ وَآخِرَتَكَ! وَلَوْ بِالْحَقِّ

أَخَذْتَ أَدْرَكْتَ مَا طَلَبْتَ، فَإِنْ يُمَكِّنِّي ٱللهُ مِنْكَ وَمِنَ ابْنِ أَبِي سُفْيَانَ أَجْزِكُمَا بِمَا قَدَّمْتُمَا، وَإِنْ تُعْجِزَا نِي وَتَبْقَيَا فَمَا أَمَامَكُمَا شَرٌّ لَكُمَا؛ وَالسَّلَامُ.

اقول: كون دينه تبعًا لدنيا معاوية لتبعه إيّاه بطُعمةِ مصر، وما اعطاه من مال. و كون مجلسه يسفه الحليم: لان دأبه، وبني اميّه، شتم بني هاشم، والتعرّض بذكر اكابر الصحابة و ذلك مما يسفه[1] الحليم عن الثبات على سماعه. والضرغام: الاسد، و وجه التشبيه ظاهر. والذى امامها: ما يلقيانه من عذاب الآخرة، و هو شرّ لقوله تعالى: (ولعذاب الآخرة اشد و ابقى)[2].

(ومن كتابٍ له ـ عليه السلام ـ الىٰ بعض عُمّاله)

أمّا بعد فَقَدْ بَلَغَني عَنْكَ أَمْرٌ إنْ كُنتَ فَعَلْتَهُ فقد أسخطتَ رَبَّكَ وعصيتَ إمامَكَ وأخزيتَ أمانَتَكَ.

بلغني أنَّكَ جرّدْتَ الأرض فأخذتَ ما تحتَ قَدَمَيْكَ وأكَلْتَ ما تحت يَدَيْكَ، فارفعْ إليَّ حسابَكَ، واعْلَمْ أنَّ حِسابَ الله أعْظَمُ مِنْ حساب الناس.

اقول: أخزيتَ أمانتكَ: أهَنْتَها. وجرّدْتَ الارض: قَشَرْتَها وهو كناية عن أخذِهِ جمع المال.

٤٠ ـ وَمِنْ كِتابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام
إلى بعض عماله

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي كُنْتُ أَشْرَكْتُكَ فِي أَمَانَتِي، وَجَعَلْتُكَ شِعَارِي وَبِطَانَتِي؛ وَلَمْ يَكُنْ فِي أَهْلِي رَجُلٌ أَوْثَقَ مِنْكَ فِي نَفْسِي لِمُوَاسَاتِي وَمُوَازَرَتِي، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ إِلَيَّ؛ فَلَمَّا رَأَيْتَ الزَّمَانَ عَلَى ٱبْنِ عَمِّكَ قَدْ كَلِبَ؛ وَالْعَدُوَّ قَدْ حَرِبَ؛ وَأَمَانَةَ النَّاسِ قَدْ خَزِيَتْ، وَهٰذِهِ الْأُمَّةَ قَدْ فَنَكَتْ وَشَغَرَتْ؛ قَلَبْتَ لِابْنِ عَمِّكَ ظَهْرَ الْمِجَنِّ، فَفَارَقْتَهُ مَعَ الْمُفَارِقِينَ، وَخَذَلْتَهُ مَعَ الْخَاذِلِينَ،

---

١ ـ في ش: يستفز.　　٢ ـ سورة طه / ١٢٧.

وَخُنْتَهُ مَعَ الْخَائِنِينَ فَلاَ ابْنَ عَمِّكَ آسَيْتَ، وَلاَ الْأَمَانَةَ أَدَّيْتَ، وَكَأَنَّكَ لَمْ تَكُنِ اللّٰهَ تُرِيدُ بِجِهَادِكَ وَكَأَنَّكَ لَمْ تَكُنْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكَ؛ وَكَأَنَّكَ إِنَّمَا كُنْتَ تَكِيدُ هٰذِهِ الْأُمَّةَ عَنْ دُنْيَاهُمْ، وتنوِي غِرَّتَهُمْ عَنْ فَيْئِهِمْ، فَلَمَّا أَمْكَنَتْكَ الشِّدَّةُ فِي خِيَانَةِ الْأُمَّةِ أَسْرَعْتَ الْكَرَّةَ، وَعَاجَلْتَ الْوَثْبَةَ، وَاخْتَطَفْتَ مَا قَدَرْتَ عَلَيْهِ مِنْ أَمْوَالِهِمُ الْمَصُونَةِ لِأَرَامِلِهِمْ وَأَيْتَامِهِمُ اخْتِطَافَ الذِّئْبِ الْأَزَلِّ دَامِيَةَ الْمِعْزَى الْكَسِيرَةَ؛ فَحَمَلْتَهُ إِلَى الْحِجَازِ رَحِيبَ الصَّدْرِ بِحَمْلِهِ غَيْرَ مُتَأَثِّمٍ مِنْ أَخْذِهِ كَأَنَّكَ - لاَأَبَا لِغَيْرِكَ - حَدَرْتَ إِلَى أَهْلِكَ تُرَاثَكَ مِنْ أَبِيكَ وَأُمِّكَ فَسُبْحَانَ اللّٰهِ! أَمَا تُؤْمِنُ بِالْمَعَادِ؟ أَوَ مَا تَخَافُ مِنْ نِقَاشِ الْحِسَابِ؟ أَيُّهَا الْمَعْدُودُ - كَانَ - عِنْدَنَا مِنْ ذَوِي الْأَلْبَابِ كَيْفَ تُسِيغُ شَرَابًا وَطَعَامًا وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّكَ تَأْكُلُ حَرَاماً وَتَشْرَبُ حَرَامًا؟ وَتَبْتَاعُ الْإِمَاءَ وَتَنْكِحُ النِّسَاءَ مِنْ مَالِ الْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُجَاهِدِينَ الَّذِينَ أَفَاءَ اللّٰهُ عَلَيْهِمْ هٰذِهِ الْأَمْوَالَ وَأَحْرَزَ بِهِمْ هٰذِهِ الْبِلاَدَ!! فَاتَّقِ اللّٰهَ وَارْدُدْ إِلَى هٰؤُلاَءِ الْقَوْمِ أَمْوَالَهُمْ؛ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ ثُمَّ أَمْكَنَنِي اللّٰهُ مِنْكَ لَأُعْذِرَنَّ إِلَى اللّٰهِ فِيكَ، وَلَأَضْرِبَنَّكَ بِسَيْفِي الَّذِي مَا ضَرَبْتُ بِهِ أَحَدًا إِلَّا دَخَلَ النَّارَ! وَاللّٰهِ لَوْأَنَّ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ فَعَلاَ مِثْلَ الَّذِي فَعَلْتَ مَا كَانَتْ لَهُمَا عِنْدِي هَوَادَةٌ، وَلاَ ظَفِرَا مِنِّي بِإِرَادَةٍ، حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ مِنْهُمَا، وَأُزِيحَ الْبَاطِلَ عَنْ مَظْلَمَتِهِمَا؛ وَأُقْسِمُ بِاللّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ: مَا يَسُرُّنِي أَنَّ مَا أَخَذْتَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ حَلاَلٌ لِي أَتْرُكُهُ مِيرَاثًا لِمَنْ بَعْدِي، فَضَحِّ رُوَيْدًا فَكَأَنَّكَ قَدْ بَلَغْتَ الْمَدَى، وَدُفِنْتَ تَحْتَ الثَّرَى، وَعُرِضَتْ عَلَيْكَ أَعْمَالُكَ بِالْمَحَلِّ الَّذِي يُنَادِي الظَّالِمُ فِيهِ بِالْحَسْرَةِ، وَيَتَمَنَّى الْمُضَيِّعُ الرَّجْعَةَ، وَلاَتَ حِينَ مَنَاصٍ.

أقول: المرويّ انّ الكتاب الى عبدالله بن العباس كما هو في بعض النسخ، حين كان واليًا له على البصرة. و امانته: هي ولاية أمور المسلمين. والشعار: ما يلي الجسد من الثياب، واستعار له لفظه باعتبار قربه منه. و بطانته خاصّته. وا لموازرة: المعاونة. وكلب الزمان: شدّته. وحرب العدوّ: اشتد غضبه. وخزيت الامانة: هانت و ذلّت. والفتك: القتل على غرة. و شغرت: تفرقت. وقوله: قلبت، الى قوله: ظهرالمِجَن: مثل يضرب لمن يكون مع اخيه فيتغيّر عنه ويقاتله. واصله ان الترس انما يقاتل به الرجل ويعطي ظهره في الحرب، فكنّي به عن: تغيّره عليه و خروجه عن امر، و لم يكن على بيّنة

من ربّه اى: على ثقة من وعده و وعيده و يقين من ذلك. و غرّتهم غفلتم. والشدة: الحملة. والازل خفيف الوركين، و وجه التشبيه سرعة الاخذ، و رحب الصدر كناية عن الفرح والسرور به، ونقاش الحساب استقصاؤه و ادخل حسابه له في الفضلاء في خبر كان: تنبيهًا على انّه لم يبق عنده كذلك. و آفاه: جعله فيا، و الفئ: الغنيمة. والهوادة: المصالحة والمصانعة. وقوله فضح رويدا: كلمة يؤمر بها للتؤدة، واصلها الرجل يطعم ابله ضحى و يثيرها مسرعا للسير، فلا يشبعها فيقال: ضح رويدا اى: مهلا. والمدى: الغاية و هي الموت و ما بعده. المناص: المهرب والمخلص، و النوص: التخلص. و شبّهوا لات بليس، و اضمروا فيها اسم الفاعل، و قد جاءت مرفوعة على أنها اسمها، و لا يستعمل لات إلّامع حين، و قيل: التاء زائدة كهي في ثمت، و ربت. و معاني الكتاب ظاهرة، و بالله التوفيق.

٤١ - وَمِنْ كِتابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

إلى عمر بن أبي سلمة المخزومي، و كان عامله على البحرين فعزله، و استعمل نعمان بن عجلان الزُرقّي مكانه

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي قَدْ وَلَّيْتُ نُعْمَانَ بْنَ عَجْلَانَ الزُّرَقِيَّ عَلَى الْبَحْرَيْنِ، وَ نَزَعْتُ يَدَكَ بِلاَ ذَمٍّ [لَكَ] وَلَا تَثْرِيبٍ عَلَيْكَ؛ فَلَقَدْ أَحْسَنْتَ الْوِلَايَةَ، وَ أَدَّيْتَ الْأَمَانَةَ فَأَقْبِلْ غَيْرَ ظَنِينٍ، وَلَا مَلُومٍ، وَلَا مُتَّهَمٍ، وَلَا مَأْثُومٍ. فَلَقَدْ أَرَدْتُ الْمَسِيرَ إِلَى ظَلَمَةِ أَهْلِ الشَّامِ، وَ أَحْبَبْتُ أَنْ تَشْهَدَ مَعِي؛ فَإِنَّكَ مِمَّنْ أَسْتَظْهِرُ بِهِ عَلَى جِهَادِ الْعَدُوِّ، وَ إِقَامَةِ عَمُودِ الدِّينِ، إِنْ شَاءَ اللهُ.

اقول: هذا كان ربيبًا لرسول الله صلى الله عليه و آله، و امه ام سلمة، و ابوه ابوسلمة ابن عبدالاسد من بني مخزوم. والنعمان بن عجلان، من سادات الانصار من بني زريق. والتثريب: التعنيف. والظنين: المتّهم.

٤٢ - وَمِنْ كِتابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

إلى مصقلة بن هبيرة الشيباني، وهو عامله على أردشير خُرّة

بَلَغَنِي عَنْكَ أَمْرٌ إِنْ كُنْتَ فَعَلْتَهُ فَقَدْ أَسْخَطْتَ إِلٰهَكَ، وَ أَغْضَبْتَ إِمَامَكَ: أَنَّكَ تَقْسِمُ فَيْءَ اَلْمُسْلِمِينَ الَّذِي حَازَتْهُ رِمَاحُهُمْ وَ خُيُولُهُمْ، وَ أُرِيقَتْ عَلَيْهِ دِمَاؤُهُمْ، فِيمَنِ اعْتَامَكَ مِنْ أَعْرَابِ قَوْمِكَ. فَوَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَ بَرَأَ النَّسَمَةَ، لَئِنْ كَانَ ذٰلِكَ حَقًّا لَتَجِدَنَّ بِكَ عَلَيَّ هَوَانًا، وَ لَتَخِفَّنَّ عِنْدِي مِيزَانًا، فَلاَ تَسْتَهِنْ بِحَقِّ رَبِّكَ، وَلاَ تُصْلِحْ دُنْيَاكَ بِمَحْقِ دِينِكَ؛ فَتَكُونَ مِنَ الْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً.

أَلاَ وَ إِنَّ حَقَّ مَنْ قِبَلَكَ وَ قِبَلَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي قِسْمَةِ هٰذَا الْفَيْءِ سَوَاءٌ: يَرِدُونَ عِنْدِي عَلَيْهِ، وَ يَصْدُرُونَ عَنْهُ. وَالسَّلاَمُ.

اقول: أعتامك: اختارك للطلب. وخفة ميزانه: صغر منزلته عنده. و ميزانا: تمييز.

٤٣ - وَمِنْ كِتابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

إلى زياد بن ابيه، وقد بلغه أن معاوية كتب إليه يريد خديعته بٱسْتِلحاقِهِ

وَ قَدْ عَرَفْتُ مُعَاوِيَةَ كَتَبَ إِلَيْكَ يَسْتَزِلُّ لُبَّكَ، وَيَسْتَفِلُّ غَرْبَكَ؛ فَاحْذَرْهُ؛ فَإِنَّمَا هُوَالشَّيْطَانُ: يَأْتِي الْمُؤْمِنَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ، وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ؛ لِيَقْتَحِمَ غَفْلَتَهُ، وَيَسْتَلِبَ غِرَّتَهُ.

وَ قَدْ كَانَ مِنْ أَبِي سُفْيَانَ فِي زَمَنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَلْتَةٌ مِنْ حَدِيثِ النَّفْسِ، وَنَزْغَةٌ مِنْ نَزَغَاتِ الشَّيْطَانِ: لاَ يَثْبُتُ بِهَا نَسَبٌ، وَلاَ يُسْتَحَقُّ بِهَا إِرْثٌ، وَالْمُتَعَلِّقُ بِهَا كَالْوَاغِلِ الْمُدَفَّعِ، وَالنَّوْطِ الْمُذَبْذَبِ.

فلمّا قرأ زيادٌ الكتاب قال: شَهِدَ بها ورب الكعبه، ولم تزل في نفسه حتى ادّعاه

معاويه. قال السيد ـ رحمه الله ـ: قوله ـ عليه السلام ـ «الواغل»: هوالذى يهجم على الشَّرب يشرب معهم، وليس منهم، فلا يزالُ مُدَفَّعاً محاجَزاً. و «النوط المذبذب»: هومايناط برحل الراكب من قعب أوقدح أوما أشبه ذلك، فهو أبداً يتقلقل اذا حثَّ ظهره واستعجل سيره.

اقول: زياد هذا هو دعيّ ابى سفيان، و ولّاه على عليه السلام فارس، فضبطها وحماها فكتب اليه معاوية يخدعه باستلحاقه اخًا له فعلم عليه السلام بذلك فكتب اليه الكتاب.

و غرب السيف: حدّه. والاستفلال: طلب الفل، و هوالثلم و هو كناية عن كسر قوته في نصح على عليه السلام، و اتيانه من الجهات الأربع: كناية عن تمام حيلته في الخدعة. قال سفيان الثورى رحمه الله: ما من صباحٍ إلا و يقعد الشيطان على اربعة مراصد، من بين يدى، فيقول: لا تخف (فانّ الله غفورٌ رحيمٌ) فاقرأ و انّى لغفار لمن تاب وآمن و عمل صالحا ثم اهتدى[1]. و من خلفى فيخوفنى الضيعة على مُخَلَّفي فأقرء: و ما من دابة في الارض الّا على الله رزقها[2]. و من قبل يمينى فيأتيني من جِهةِ الثناء فاقرأ: والعاقبة للمتقين[3]. و من قبل شمالى فياتينى من قبل الشهوات فاقرأ: و حيل بينهم و بين ما يشتهون[4].

و اما الفلتة من ابى سفيان في ادعائه اياه فهو: ما روى انّه تكلم يومًا بحضرة عمر فأعجب الحاضرين كلامه، فقال عمرو بن العاص: لله ابوه لو كان قرشيًا لساق العرب بعصاه، فقال ابوسفيان: والله انّه لقرشيّ ولو عرفته لعرفت انّه من خير اهلك، فقال: و من ابوه؟ فقال: انا والله وضعته في رحم امه، فقال: هلا تستلحقه؟ قال: اخاف هذا العَيْرَ الجالس ان يخرق عليّ اهابى يعنى عمر. و حديث النفس الوسوسة و كونها نزعة من نزعات الشيطان: باعتبار انّها على غير وجه شرعيّ و فيها اقرار بالزنا. و شبه المتوغّل فى

---

١ ـ سورة طه / ٨٢.

٢ ـ سورة هود / ٦.

٣ ـ سورة القصص / ٨٣.

٤ ـ سورة سبأ / ٥٤.

هذا النسب اى: الداخل فيه بامعان بالواغل، و وجه الشبه كونه لايزال مدفعا عنه، كما يدفع الواغل عن الشراب و كذلك تشبيهه بالنوط المذبذب، باعتبار انّه لايستقرّ بنسبه. والتذبذب التحرّك والتردد.

٤٤ ـ وَمِنْ كِتابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

إلى عثمان بن حنيف الأنصارى، و هو عامله على البصرة و قد بلغه أنه دُعِيَ إلى وليمةِ قومٍ من أهلها فمضى إليها

أَمَّا بَعْدُ يَا ٱبْنَ حُنَيْفٍ: فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ رَجُلاً مِنْ فِتْيَةِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ دَعَاكَ إِلَى مَأْدُبَةٍ فَأَسْرَعْتَ إِلَيْهَا[1] تُسْتَطَابُ لَكَ الْأَلْوَانُ، وَتُنْقَلُ إِلَيْكَ الْجِفَانُ! وَ مَا ظَنَنْتُ أَنَّكَ تُجِيبُ إِلَى طَعَامِ قَوْمٍ عَائِلُهُمْ مَجْفُوٌّ، وَ غَنِيُّهُمْ مَدْعُوٌّ؛ فَانْظُرْ إِلَى مَا تَقْضَمُهُ مِنْ هٰذَا الْمَقْضَمِ، فَمَا اشْتَبَهَ عَلَيْكَ عِلْمُهُ فَالْفِظْهُ؛ وَ مَا أَيْقَنْتَ بِطِيبِ وُجُوهِهِ فَنَلْ مِنْهُ.

أَلا وَ إِنَّ لِكُلِّ مَأْمُومٍ إِمَامًا يَقْتَدِي بِهِ وَيَسْتَضِيءُ بِنُورِ عِلْمِهِ، أَلا وَ إِنَّ إِمَامَكُمْ قَدِ اكْتَفَى مِنْ دُنْيَاهُ بِطِمْرَيْهِ، وَ مِنْ طُعْمِهِ بِقُرْصَيْهِ، أَلا وَ إِنَّكُمْ لَا تَقْدِرُونَ عَلَى ذٰلِكَ، وَ لٰكِنْ أَعِينُونِي بِوَرَعٍ وَ اجْتِهَادٍ، وَ عِفَّةٍ وَ سَدَادٍ. فَوَاللهِ مَا كَنَزْتُ مِنْ دُنْيَاكُمْ تِبْرًا وَلَا ادَّخَرْتُ مِنْ غَنَائِمِهَا وَفْرًا، وَلَا أَعْدَدْتُ لِبَالِي ثَوْبِي طِمْرًا. بَلَى؟ كَانَتْ فِي أَيْدِينَا فَدَكٌ مِنْ كُلِّ مَا أَظَلَّتْهُ السَّمَاءُ، فَشَحَّتْ عَلَيْهَا نُفُوسُ قَوْمٍ، وَ سَخَتْ عَنْهَا نُفُوسُ قَوْمٍ آخَرِينَ. وَ نِعْمَ الْحَكَمُ اللهُ! وَ مَا أَصْنَعُ بِفَدَكٍ وَ غَيْرِ فَدَكٍ وَ النَّفْسُ مَظَانُّهَا فِي غَدٍ جَدَثٌ؟ تَنْقَطِعُ فِي ظُلْمَتِهِ آثَارُهَا وَ تَغِيبُ أَخْبَارُهَا، وَ حُفْرَةٌ لَوْ زِيدَ فِي فُسْحَتِهَا، وَ أَوْسَعَتْ يَدَا حَافِرِهَا لَأَضْغَطَهَا الْحَجَرُ وَالْمَدَرُ، وَ سَدَّ فُرَجَهَا التُّرَابُ الْمُتَرَاكِمُ، وَ إِنَّمَا هِيَ نَفْسِي أَرُوضُهَا بِالتَّقْوَى لِتَأْتِيَ آمِنَةً يَوْمَ الْخَوْفِ الْأَكْبَرِ، وَ تَثْبُتَ عَلَى جَوَانِبِ الْمَزْلَقِ، وَلَوْ شِئْتُ لَاهْتَدَيْتُ الطَّرِيقَ إِلَى مُصَفَّى هٰذَا الْعَسَلِ وَلُبَابِ هٰذَا الْقَمْحِ، وَ نَسَائِجِ هٰذَا الْقَزِّ، وَ لٰكِنْ هَيْهَاتَ أَنْ يَغْلِبَنِي هَوَايَ، وَ يَقُودَنِي جَشَعِي إِلَى تَخَيُّرِ الْأَطْعِمَةِ، وَ لَعَلَّ بِالْحِجَازِ أَوْ الْيَمَامَةِ مَنْ لَا طَمَعَ لَهُ فِي الْقُرْصِ، وَلَا عَهْدَ لَهُ بِالشِّبَعِ!! أَوْ أَبِيتَ مِبْطَانًا وَحَوْلِي بُطُونٌ غَرْثَى، وَ أَكْبَادٌ حَرَّى!! أَوْ أَكُونَ كَمَا قَالَ الْقَائِلُ:

وَحَسْبُكَ دَاءً أَنْ تَبِيتَ بِبِطْنَةٍ وَحَوْلَكَ أَكْبَادٌ تَحِنُّ إِلَى الْقِدِّ!

أَأَقْنَعُ مِنْ نَفْسِي بِأَنْ يُقَالَ أَمِيرُالْمُؤْمِنِينَ وَلَا أُشَارِكُهُمْ فِي مَكَارِهِ الدَّهْرِ؟ أَوْ أَكُونَ أُسْوَةً لَهُمْ فِي جُشُوبَةِ الْعَيْشِ، فَمَا خُلِقْتُ لِيَشْغَلَنِي أَكْلُ الطَّيِّبَاتِ كَالْبَهِيمَةِ الْمَرْبُوطَةِ هَمُّهَا عَلَفُهَا، أَوِ الْمُرْسَلَةِ شُغُلُهَا تَقَمُّمُهَا، تَكْتَرِشُ مِنْ أَعْلَافِهَا، وَتَلْهُو عَمَّا يُرَادُ بِهَا، أَوْ أُتْرَكَ سُدًى وَأُهْمَلَ عَابِثًا، أَوْ أَجُرَّ حَبْلَ الضَّلَالَةِ، أَوْ أَعْتَسِفَ طَرِيقَ الْمَتَاهَةِ. وَ كَأَنِّي بِقَائِلِكُمْ يَقُولُ: «إِذَا كَانَ هَذَا قُوتَ ٱبْنِ أَبِي طَالِبٍ فَقَدْ قَعَدَ بِهِ الضَّعْفُ عَنْ قِتَالِ الْأَقْرَانِ وَ مُنَازَلَةِ الشُّجْعَانِ»؟! أَلَا وَ إِنَّ الشَّجَرَةَ الْبَرِّيَّةَ أَصْلَبُ عُودًا، وَالرَّوَائِعُ الْخَضِرَةُ أَرَقُّ جُلُودًا، وَالنَّبَاتَاتُ الْبَدَوِيَّةُ أَقْوَى وُقُودًا وَ أَبْطَأُ خُمُودًا! وَ أَنَا مِنْ رَسُولِ ٱللهِ كَالصِّنْوِ مِنَ الصِّنْوِ، وَالذِّرَاعِ مِنَ الْعَضُدِ. وَاللهِ لَوْ تَظَاهَرَتِ الْعَرَبُ عَلَى قِتَالِي لَمَا وَلَّيْتُ عَنْهَا، وَلَوْ أَمْكَنَتِ الْفُرَصُ مِن رِقَابِهَا لَسَارَعْتُ إِلَيْهَا. وَسَأَجْهَدُ فِي أَنْ أُطَهِّرَ الْأَرْضَ مِنْ هٰذَا الشَّخْصِ الْمَعْكُوسِ، وَالْجِسْمِ الْمَرْكُوسِ حَتَّى تَخْرُجَ الْمَدَرَةُ مِنْ بَيْنِ حَبِّ الْحَصِيدِ.

إِلَيْكِ عَنِّي يَادُنْيَا فَحَبْلُكِ عَلَى غَارِبِكِ، قَدِ انْسَلَلْتُ مِنْ مَخَالِبِكِ، وَ أَفْلَتُّ مِنْ حَبَائِلِكِ، وَٱجْتَنَبْتُ الذَّهَابَ فِي مَدَاحِضِكِ. أَيْنَ الْقَوْمُ الَّذِينَ غَرَرْتِهِمْ بِمَدَاعِبِكِ؟ أَيْنَ الْأُمَمُ الَّذِينَ فَتَنْتِيهِمْ بِزَخَارِفِكِ؟ هَاهُمْ رَهَائِنُ الْقُبُورِ، وَمَضَامِينُ اللُّحُودِ! وَاللهِ لَوْ كُنْتِ شَخْصًا مَرْئِيًّا، وَ قَالِبًا حِسِّيًّا؛ لَأَقَمْتُ عَلَيْكِ حُدُودَاللهِ فِي عِبَادٍ غَرَرْتِهِمْ بِالْأَمَانِي، وَ أُمَمٍ أَلْقَيْتِهِمْ فِي الْمَهَاوِي، وَ مُلُوكٍ أَسْلَمْتِهِمْ إِلَى التَّلَفِ وَ أَوْرَدْتِهِمْ مَوَارِدَ الْبَلَاءِ؛ إِذْ لَاوِرْدَ وَلَا صَدَرَ. هَيْهَاتَ مَنْ وَطِئَ دَحْضَكِ زَلِقَ، وَ مَنْ رَكِبَ لُجَجَكِ غَرِقَ، وَ مَنِ ٱزْوَرَّ عَنْ حِبَالِكِ وُفِّقَ، وَالسَّالِمُ مِنْكِ لَايُبَالِي إِنْ ضَاقَ بِهِ مُنَاخُهُ، وَالدُّنْيَا عِنْدَهُ كَيَوْمٍ حَانَ ٱنْسِلَاخُهُ.

أُعْزُبِي عَنِّي؛ فَوَٱللهِ لا أَذِلُّ لَكِ فَتَسْتَذِلِّينِي، وَلَا أَسْلَسُ لَكِ فَتَقُودِينِي؛ وَٱيْمُ ٱللهِ -يَمِينًا بَرَّةً أَسْتَثْنِي فِيهَا بِمَشِيئَةِ ٱللهِ- لَأَرُوضَنَّ نَفْسِي رِيَاضَةً تَهَشُّ مَعَهَا إِلَى الْقُرْصِ إِذَا قَدَرَتْ عَلَيْهِ مَطْعُومًا، وَ تَقْنَعُ بِالْمِلْحِ مَأْدُومًا؛ وَلَأَدَعَنَّ مُقْلَتِي كَعَيْنِ مَاءٍ نَضَبَ مَعِينُهَا مُسْتَفْرِغَةً دُمُوعَهَا. أَتَمْتَلِئُ السَّائِمَةُ مِنْ رَعْيِهَا فَتَبْرُكَ؟ وَ تَشْبَعُ الرَّبِيضَةُ مِنْ عُشْبِهَا فَتَرْبِضَ؟ وَيَأْكُلُ عَلِيٌّ مِنْ زَادِهِ فَيَهْجَعَ؟ قَرَّتْ اذًا عَيْنُهُ إِذَا اقْتَدَى بَعْدَ السِّنِينَ الْمُتَطَاوِلَةِ بِالْبَهِيمَةِ الْهَامِلَةِ، وَالسَّائِمَةِ الْمَرْعِيَّةِ!

طُوبَى لِنَفْسٍ أَدَّتْ إِلَى رَبِّهَا فَرْضَهَا؛ وَعَرَكَتْ بِجَنْبِهَا بُؤْسَهَا؛ وَ هَجَرَتْ فِي اللَّيْلِ

غُمْضَهَا، حَتَّى إذا غَلَبَ الْكَرَى عَلَيْها اَفْتَرَشَتْ أرْضَهَا، وَتَوَسَّدَتْ كَفَّهَا؛ في مَعْشَرٍ أسْهَرَ عُيُونَهُمْ خَوْفُ مَعَادِهِمْ، وَ تَجَافَتْ عَنْ مَضَاجِعِهِمْ جُنُوبُهُمْ وَ هَمْهَمَتْ بِذِكْرِ رَبِّهِمْ شِفَاهُهُمْ، وَ تَقَشَّعَتْ بِطُولِ اَسْتِغْفَارِهِمْ ذُنُوبُهُمْ (أُولٰئِكَ حِزْبُ اَللهِ، ألا إنَّ حِزْبَ اَللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)[١].

فَاتَّقِ اَللهَ يَا اَبْنَ حُنَيْفٍ، وَلْتَكْفِكَ أَقْرَاصُكَ؛ لِيَكُونَ مِنَ النَّارِ خَلاَصُكَ.

اقول: المأدبة بالضم: الطعام يدعى اليه. و العائل: الفقير. والقضم: الأكل. و علمه اى: علم حله و حرامه. والطمر: الثوب الخلق و طمراه: كانا عمامة و مدرعة قد استحيا من راقعها. و قرصاه: كانا من شعير غير منخول. و اراد بالورع هنا: الكف عن المحارم. والوفر: المال الكثير. و فدك: قرية كانت لرسول الله عليه و آله خاصة صالح اهلها على النصف بعد فتح خيبر، و اجماع الشيعة على انه اعطاها فاطمة عليها السلام فى حياته[٢] فلما ولى ابوبكر الخلافة، عزم على اخذها منها فارسلت اليه تطلب ميراثها من رسول صلى الله عليه وآله، و يقول: انّه اعطانى فدكا فى حياته، واستشهدت على ذلك عليًا وامّ ايمن، فشهدا لها بها، فأجابها عن الميراث بخبر رواه و هو (نحن معاشر الانبياء لانورث ما تركناه فهو صدقة) و عن دعوى فدك انها لم تكن للنبى صلى الله عليه و آله، و انما كانت مالا للمسلمين فى يده يحمل به الرجال و ينفقه فى سبيل الله وانا اليه، كما كان يليه فلما بلغها ذلك لاثت و اقبلت فى لمّة من حفدتها، و نساء قومها تطأ فى ذيولها حتى دخلت عليه و معه، جلّ المهاجرين والانصار، فضربت بينها و بينهم قطيفة، ثم انّت انّة اجهش لها القوم بالبكاء، ثم امهلت طويلا حتى سكتوا من فورتهم ثم خطبت خطبة طويلة[٣] ذكرنا مختصرا منها فى الأصل، تشتمل على توبيخ الجماعة و تقصيرهم فى حقها، ثم رجعت الى بيتها، و اقسمت ان لا تكلم ابابكر، و لتدعونّ الله عليه[٤]، و لم تزل كذلك حتى حضرتها الوفاة، فاوصت ان لايصلى عليها، فصلّى ء ايها العباس و دفنت ليلا[٥] و اشار

---

١ ـ سورة المجادلة / ٢٢.

٢ ـ الغدير ٧/ ١٩٤.

٣ ـ السقيفة و فدك / ٩٨. شرح ابن ابى الحديد ١٦/ ٢١١. كشف الغمة ١/ ٤٨١.

٤ ـ الامامة والسياسة ١/ ١٤. اعلام النساء ٣/ ١٢١٥.

٥ ـ الغدير ٧/ ١٩١.

بالنفوس التي سخت عنها الى بني هاشم. و قوله: و انّما هي، اي: و انما همتي و حاجتي نفسي، ورياضتها و رياضة النفس مأخوذة من رياضة البهيمة،و هي منعها عن الاقدام على حركات غير صالحة لصاحبها.

فالقوة الحيوانية التي هي مبدأ الادراكات والافعال، اذا لم تكن مطيعة للقوّة العاقلة كانت بمنزلة بهيمة لم ترض فهي تتّبع الشهوة تارة، والغضب اخرى. و تستخدم القوّة العاقلة في تحصيل مراداتها فتكون هي امّارة،والعاقلة مؤتمرة. اما اذا راضتها القوة العاقلة حتى صارت مؤتمرة لها متمرّنة على ما يقتضيه العقل العمليّ،تأتمر بأمره و تنتهي بنهيه كانت العاقلة مطمئنّة لا تفعل افعالا مختلفة المبادى، و كانت باقي القوى مسالمة لها، اذا عرفت ذلك فنقول: لما كان الغرض الاقصى من رياضة الانسان نفسه انما هو نيل الكمال الحقيقي، و لابدّله من استعداد، و كان ذلك الاستعداد موقوفا على زوال الموانع الخارجيّة والدّاخلية،كانت للرياضة اغراض ثلاثة:

احدها، حذف كل محبوب و مرغوب عدا الحق سبحانه عن القصد، وهو حذف الموانع الخارجية.

والثاني، تطويع النفس الامّارة للنفس المطمئنّة فينجذب التخيّل، والتّوهم عن الجانب السفلي الى العلويّ و يتبعهما سائر القوى فتزول الدواعي الحيوانيّة،و هو حذف الموانع الداخلية.

والثالث، توجيه السّر الى الجنّة العالية لتلقي السوانح الالهية واقتناصها. و يعين على الاوّل الزهدالحقيقي، وهوالاعراض عن متاع الدنيا، و طيّباتها بالقلب. و على الثاني العبادة المشفوعة بالفكر في ملكوت السماوات والارض، و عظمةالله سبحانه والأعمال الصالحة المنويّة لوجهه خالصًا، وعبّر عن هذه الأمور المعيّنة بالتقوى التي يروّض نفسه بها. و نبّه على بعض لوازم الغاية، بقوله: لتأتي، الى قوله المزلق: و هوالصراط المستقيم. والقمح: الحنطة والجشع: اشدّ الحرص على الطعام. والمبطان عظيم البطن من كثرة الأكل. و غرثي: جائعة، وكبد حرّى: عطشى. و جشوبة العيش: غلظه. التقمّم: تتبع القمامة و هي الكناسة. والاكراش: ملأالكرش. و سدى اي: مهملا. والمتاهة: موضع التيه والحيرة. والروائع: الاشجار التي تروع بنضارتها. والغدية التي لا يسقيها الّا المطر.

و شبّه نفسه من رسول الله صلى الله عليه وآله بالصنو من الصنو، و هما: النخلتان يجمعهما اصل واحد، و هو وجه الشبه. و كذلك تشبيهه منه بالذراع من العضد و وجه الشبه كونه ذرعا[1] عن رسول الله صلى الله عليه و آله في المعاونة والمعاضدة كالذراع. وتظاهرت: تعاونت. و قوله: لسارعت اليها اى: حين القتال لكفرهم و عداوتهم للحق، وقبح العفو عنهم حينئذ. و اشار بالشخص المعكوس والجسم المنكوس: الى معاوية، وجعله مجرّد جسم كأنه خال عن النفس الانسانية،لا تباعه الكمالات الجسمانية دون العقليّة. و كونه منكوسا و معكوسا: باعتبار التفاته عن الامور العالية و انتكاسه عن تلقى الكمالات الروحانية،وانعكاس وجه عقله عن القبلة الحقيقية الى تحصيل الدنيا والعناية بها. و استعار لفظ المدرّة: له و حبّ الحصيد للمؤمنين، و وجه المشابهة: أنه يخلص المؤمنين من وجوده بينهم، لئلا يفسد عقائدهم و يستغويهم كما يفعله اهل البيادر من تصفية غلاّتهم من المدر و غيره. و استعار لفظ المداحض و هى المزالق لطرق تحصيلها التى هى مظنّة الزلق، والوقوع فى الرذائل المهلكة. و لفظ المضامين للموتى: ملاحظة لشبههم فى اللحود بالأجنة فى بطون امّهاتهم. و ازورّ أخذ جانبا. و اعزبى: ابعدى. و هش الى كذا: انطلق وجهه بشراً به. والهشاشة: طلاقة الوجه. و سَلِسَ بالفتح: يَسْلِسُ بالكسر، سهل قياده. والمعين: الماء الجارى. والربيضة: الجماعة الرابضة من الغنم. و قوله: وَعَرَكَتْ بجنبها بؤسها: كناية عن الصبر على الشدائد، يقال: عرك فلان بجنبه الاذى: اذا اغضى عمن يؤذيه وصبر عليه. و استعار وصف التقشّع: لزوال الذنوب عن لوح النفس ملاحظة لشبهه بالسحاب المنجاب عن وجه السماء. و بالله التوفيق.

٤٥ ـ وَمِنْ كِتابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام
إلى بعض عماله

أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّكَ مِمَّنْ أَسْتَظْهِرُ بِهِ عَلَى إِقَامَةِ الدِّينِ، وَ أَقْمَعُ بِهِ نَخْوَةَ الأَثِيمِ وَ أَسُدُّ بِهِ لَهَاةَ الثَّغْرِ الْمَخُوفِ. فَاسْتَعِنْ بِاللهِ عَلَى مَا أَهَمَّكَ ، وَ اَخْلِطِ الشِّدَّةَ بِضِغْثٍ مِنَ اللِّينِ، وَ اَرْفُقْ

[1] ـ في ش: فرعاً.

مَا كَانَ الرِّفْقُ أَرْفَقَ، وَاعْتَزِمْ بِالشِّدَّةِ حِينَ لَا يُغْنِي عَنْكَ إِلَّا الشِّدَّةُ، وَاخْفِضْ لِلرَّعِيَّةِ جَنَاحَكَ، وَابْسُطْ لَهُمْ وَجْهَكَ، وَأَلِنْ لَهُمْ جَانِبَكَ، وَآسِ بَيْنَهُمْ فِي اللَّحْظَةِ وَالنَّظْرَةِ، وَالْإِشَارَةِ وَالتَّحِيَّةِ، حَتَّى لَا يَطْمَعَ الْعُظَمَاءُ فِي حَيْفِكَ، وَلَا يَيْأَسَ الضُّعَفَاءُ مِنْ عَدْلِكَ.

اقول: النخوة: الكبر. والأثيم: الآثم. ولفظ اللهاة: مستعار للثغر لحاجته الى من يسدّه ويمنعه كالحيوان المفترس وهوتجريدٌللاستعارة. والضغث: النصيب من الشئ. واعتزم الرجل الطريق مضى فيه لا ينثني، واراد ان كلّ امر لا يغنيك فيه الاالشدّة فامض فيه بالشدة. وآس: اى سوّ.

٤٦ - وَمِنْ وَصِيَّةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامِ

للحسن والحسين عليهما السلام لما ضربه ابن ملجم لعنه الله

أُوصِيكُمَا بِتَقْوَى اللهِ، وَأَنْ لَا تَبْغِيَا الدُّنْيَا وَإِنْ بَغَتْكُمَا، وَلَا تَأْسَفَا عَلَى شَيْءٍ مِنْهَا زُوِيَ عَنْكُمَا، وَقُولَا بِالْحَقِّ، وَاعْمَلَا لِلْأَجْرِ، وَكُونَا لِلظَّالِمِ خَصْمًا وَلِلْمَظْلُومِ عَوْنًا.

أُوصِيكُمَا، وَجَمِيعَ وَلَدِي وَأَهْلِي وَمَنْ بَلَغَهُ كِتَابِي، بِتَقْوَى اللهِ، وَنَظْمِ أَمْرِكُمْ، وَصَلَاحِ ذَاتِ بَيْنِكُمْ؛ فَإِنِّي سَمِعْتُ جَدَّكُمَا، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «صَلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ أَفْضَلُ مِنْ عَامَّةِ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ» اللهَ اللهَ فِي الْأَيْتَامِ؛ فَلَا تُغِبُّوا أَفْوَاهَهُمْ، وَلَا يَضِيعُوا بِحَضْرَتِكُمْ، وَاللهَ اللهَ فِي جِيرَانِكُمْ؛ فَإِنَّهُمْ وَصِيَّةُ نَبِيِّكُمْ، مَا زَالَ يُوصِي بِهِمْ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُمْ، وَاللهَ اللهَ فِي الْقُرْآنِ: لَا يَسْبِقُكُمْ بِالْعَمَلِ بِهِ غَيْرُكُمْ، وَاللهَ اللهَ فِي الصَّلَاةِ؛ فَإِنَّهَا عَمُودُ دِينِكُمْ، وَاللهَ اللهَ فِي بَيْتِ رَبِّكُمْ؛ لَا تُخَلُّوهُ مَا بَقِيتُمْ؛ فَإِنَّهُ إِنْ تُرِكَ لَمْ تُنَاظَرُوا، وَاللهَ اللهَ فِي الْجِهَادِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ؛ وَعَلَيْكُمْ بِالتَّوَاصُلِ وَالتَّبَاذُلِ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّدَابُرَ وَالتَّقَاطُعَ، لَا تَتْرُكُوا الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ فَيُوَلَّى عَلَيْكُمْ شِرَارُكُمْ ثُمَّ تَدْعُونَ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ ثم قال:

يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أُلْفِيَنَّكُمْ تَخُوضُونَ دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ خَوْضًا تَقُولُونَ: قُتِلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، أَلَا! لَا تَقْتُلُنَّ بِي إِلَّا قَاتِلِي.

أُنْظُرُوا إِذَا أَنَا مِتُّ مِنْ ضَرْبَتِهِ هٰذِهِ فَاضْرِبُوهُ ضَرْبَةً بِضَرْبَةٍ، وَلَا يُمَثَّلُ بِالرَّجُلِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «إِيَّاكُمْ وَالْمُثْلَةَ، وَلَوْ بِالْكَلْبِ الْعَقُورِ»[1].

اقول: بغيت كذا: اردته. و زوى: غيّب. و ذات البين: كناية عن الحالة الموجبة للافتراق. واغباب افواههم: ان يطعموهم يوما و يتركوهم يوما. والمناظرة: المراقبة اى: لم تُراقَبوا من الله و من الخلق لإهما لكم أمر دينكم، و بيت ربكم: اذ فى المحافظة عليه عزّ بالله، و اعتصام به، يوجب مراعاة الخلق. و التدابر: التقاطع و التعادى. والفيته: وجدته. و خوض الدماء: كناية عن كثرة القتل.

٤٧ ـ وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

إلى معاوية

وَإِنَّ الْبَغْيَ وَالزُّورَ يُوتِغَانِ الْمَرْءَ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ، وَيُبْدِيَانِ خَلَلَهُ عِنْدَ مَنْ يَعِيبُهُ، وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّكَ غَيْرُ مُدْرِكٍ مَا قُضِيَ فَوَاتُهُ، وَقَدْ رَامَ أَقْوَامٌ أَمْرًا بِغَيْرِ الْحَقِّ فَتَأَوَّلُوا عَلَى اللهِ فَأَكْذَبَهُمْ؛ فَاحْذَرْ يَوْمًا يَغْتَبِطُ فِيهِ مَنْ أَحْمَدَ عَاقِبَةَ عَمَلِهِ، وَيَنْدَمُ مَنْ أَمْكَنَ الشَّيْطَانَ مِنْ قِيَادِهِ فَلَمْ يُجَاذِبْهُ.

وَقَدْ دَعَوْتَنَا إِلَى حُكْمِ الْقُرْآنِ وَلَسْتَ مِنْ أَهْلِهِ وَلَسْنَا إِيَّاكَ أَجَبْنَا، وَلٰكِنَّا أَجَبْنَا الْقُرْآنَ فِي حُكْمِهِ، وَالسَّلَامُ.

اقول: الوتغ: بالتحريك الهلاك . و يوتغانه: يهلكانه. و ما قضى فواته: هو نصرة عثمان التى كانت تنبغى فى حياته ولا يمكن دركها بعد فواتها المقضى. و يحتمل ان يريد الآمال الدنيوية التى لا تدرك . والّذين راموا غير الحق: اصحاب الجمل. و تأوّلهم على الله: اظهارهم للتمسّك فى حربهم بما دلّ عليه القرآن الكريم، من الامر بالمعروف

[1] ـ النهاية ٤/٢٩٤.

والنهى عن المنكر فى الطلب بدم عثمان. و اكذاب الله لهم: بذمّ الذين ينقضون عهدالله من بعد ميثاقه، و وعيدهم اذ نقضوا بيعته عليه السلام. و قيل: بنصره عليهم. و قيل: تأوّلهم على الله تمسكهم بقوله: (اطيعواالله و اطيعواالرسول و اولى الأمر منكم)[1] و تسميتهم لمن نصبوه من قبلهم اميرًا اولى الأمر فاكذبهم الله بكونهم ظالمين بغاة. و يغتبط: يسّر. و روى تغبط اى: يتمنّى الناس مثل حاله. و قد مضى ذكرالتحكيم.

٤٨ ـ وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام
إلى غيره

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الدُّنْيَا مَشْغَلَةٌ عَنْ غَيْرِهَا؛ وَ لَمْ يُصِبْ صَاحِبُهَا مِنْهَا شَيْئاً إِلَّا فَتَحَتْ لَهُ حِرْصًا عَلَيْهَا، وَ لَهَجًا بِهَا، وَ لَنْ يَسْتَغْنِيَ صَاحِبُهَا بِمَا نَالَ فِيهَا عَمَّا لَمْ يَبْلُغْهُ مِنْهَا، وَ مِنْ وَرَاءِ ذٰلِكَ فِرَاقُ مَا جَمَعَ، وَ نَقْضُ مَا أَبْرَمَ! وَ لَوِ اعْتَبَرْتَ بِمَا مَضَى حَفِظْتَ مَا بَقِيَ؛ وَالسَّلَامُ.

اقول: اللهج بالفتح: الحرص الشديد. و حاصل الكتاب: التنفير عن الدنيا بذكر معايبها. و ما أبرم اى: احكم من امورها. و حفظت ما بقى اى: من العمر، كى لايضيع فى الباطل.

٤٩ ـ وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام
إلى أمرائه على الجيوش

مِنْ عَبْدِ اللهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى أَصْحَابِ الْمَسَالِحِ:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ حَقّاً عَلَى الْوَالِي أَنْ لَا يُغَيِّرَهُ عَلَى رَعِيَّتِهِ فَضْلٌ نَالَهُ، وَلَا طَوْلٌ خُصَّ بِهِ، وَأَنْ يَزِيدَهُ مَا قَسَمَ اللهُ لَهُ مِنْ نِعَمِهِ دُنُوًّا مِنْ عِبَادِهِ، وَ عَطْفًا عَلَى إِخْوَانِهِ.

أَلَا وَ إِنَّ لَكُمْ عِنْدِي أَنْ لَا أَحْتَجِزَ دُونَكُمْ سِرّاً إِلَّا فِي حَرْبٍ، وَلَا أَطْوِيَ دُونَكُمْ أَمْرًا

---

١ ـ سورة النساء / ٥٩.

إلَّا فِي حُكْمٍ، وَلَا أُؤَخِّرَ لَكُمْ حَقّاً عَنْ مَحَلِّهِ، وَلَا أَقِفَ بِهِ دُونَ مَقْطَعِهِ. وَأَنْ تَكُونُوا عِنْدِي فِي الْحَقِّ سَوَاءً؛ فَإِذَا فَعَلْتُ ذٰلِكَ وَجَبَتْ لله عَلَيْكُمُ النِّعْمَةُ وَلِي عَلَيْكُمُ الطَّاعَةُ؛ وَأَنْ لَا تَنْكُصُوا عَنْ دَعْوَةٍ، وَلَا تُفَرِّطُوا فِي صَلَاحٍ، وَأَنْ تَخُوضُوا الْغَمَرَاتِ إِلَى الْحَقِّ، فَإِنْ أَنْتُمْ لَمْ تَسْتَقِيمُوا [لِي] عَلَى ذٰلِكَ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَهْوَنَ عَلَيَّ مِمَّنِ اعْوَجَّ مِنْكُمْ، ثُمَّ أُعْظِمُ لَهُ الْعُقُوبَةَ وَلَا يَجِدُ عِنْدِي فِيهَا رُخْصَةً، فَخُذُوا هٰذَا مِنْ أُمَرَائِكُمْ، وَأَعْطُوهُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ مَا يُصْلِحُ الله بِهِ أَمْرَكُمْ[1].

اقول: احتجز: امنع و احفظ. و استثنى الحرب، لأن الاعلام بها مظنّة المفسدة من بعضهم، اما لكراهتهم لها اولخوف انتشار الحال الى العدوّ، فتكون سبب حذره و تأهّبه، و لذلك كان رسول الله صلى الله عليه وآله اذا اراد حرب قوم ورّى بالسفر الى جهة اخرى. و كذلك استثنى الحكم لأنّ احكامَ الله لا مشوَرَةَ في إمضائها و تركها، والذى لا يقف به دون مقطعه كالاحكام المتعلّقة بالمتخاصمين، فانه لم يكن يقف فيها دون فصلها مراقبة لأحد منهما. و الغمرات: الشدائد.

٥٠ ـ وَمِنْ كِتابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام
إلى عماله على الخراج

مِنْ عَبْدِ اللهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى أَصْحَابِ الْخَرَاجِ:

أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ مَنْ لَمْ يَحْذَرْ مَا هُوَ صَائِرٌ إِلَيْهِ لَمْ يُقَدِّمْ لِنَفْسِهِ مَا يُحْرِزُهَا. وَاعْلَمُوا أَنَّ مَا كُلِّفْتُمْ يَسِيرٌ، وَأَنَّ ثَوَابَهُ كَثِيرٌ. وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِيمَا نَهَى اللهُ عَنْهُ مِنَ الْبَغْيِ وَالْعُدْوَانِ عِقَابٌ يُخَافُ لَكَانَ فِي ثَوَابِ اجْتِنَابِهِ مَا لَا عُذْرَ فِي تَرْكِ طَلَبِهِ. فَأَنْصِفُوا النَّاسَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ، وَاصْبِرُوا لِحَوَائِجِهِمْ فَإِنَّكُمْ خُزَّانُ الرَّعِيَّةِ، وَوُكَلَاءُ الْأُمَّةِ، وَسُفَرَاءُ الْأَئِمَّةِ. وَلَا تَحْسِمُوا أَحَداً عَنْ حَاجَتِهِ، وَلَا تَحْبِسُوهُ عَنْ طَلِبَتِهِ، وَلَا تَبِيعُنَّ لِلنَّاسِ فِي الْخَرَاجِ كِسْوَةَ شِتَاءٍ وَلَا صَيْفٍ وَلَا دَابَّةً يَعْتَمِلُونَ عَلَيْهَا، وَلَا عَبْداً، وَلَا تَضْرِبُنَّ أَحَداً سَوْطاً لِمَكَانِ دِرْهَمٍ، وَ

---

١ ـ المعيار والموازنة / ١٠٣.

لَا تَمَسُّنَّ مَالَ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ مُصَلٍّ وَلَا مُعَاهَدٍ إِلَّا أَنْ تَجِدُوا فَرَسًا أَوْ سِلَاحًا يُعْدَى بِهِ عَلَى أَهْلِ الْإِسْلَامِ، فَإِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَدَعَ ذَٰلِكَ فِي أَيْدِي أَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ فَيَكُونَ شَوْكَةً عَلَيْهِ، وَلَا تَدَّخِرُوا أَنْفُسَكُمْ نَصِيحَةً،وَلَا الْجُنْدَ حُسْنَ سِيرَةٍ وَلَا الرَّعِيَّةَ مَعُونَةً، وَلَا دِينَ اللهِ قُوَّةً، وَ أَبْلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ مَا اسْتَوْجَبَ عَلَيْكُمْ؛ فَإِنَّ اللهَ، سُبْحَانَهُ، قَدِ اصْطَنَعَ عِنْدَنَا وَ عِنْدَكُمْ أَنْ نَشْكُرَهُ بِجُهْدِنَا، وَ أَنْ نَنْصُرَهُ بِمَا بَلَغَتْ قُوَّتُنَا، وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ.

اقول: السفراء: الرسل. و تحشّموا اى: تغضبوا و تخجلوا. والمصلّى: المسلم. والمعاهد: الذمّى. والشوكة: القوّة. والضمير فى عليهم: لأهل الاسلام. و أبلوا أىّ: اعطوا، يقال: ابليته معروفا اى: اعطيته. و قوله: اصطنع، الى قوله: ان نشكره اى: جعل شكرنا له صنيعة عندنا، و وفقنا لذلك. و قيل: اراد لأن نشكره.

٥١ ـ وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

إلى أمراء البلاد فى معنى الصلاة

أَمَّا بَعْدُ، فَصَلُّوا بِالنَّاسِ الظُّهْرَ حِينَ تَفِيءُ الشَّمْسُ مِثْلَ مَرْبَضِ الْعَنْزِ، وَصَلُّوا بِهِمُ الْعَصْرَ وَالشَّمْسُ بَيْضَاءُ حَيَّةٌ فِي عُضْوٍ مِنَ النَّهَارِ حِينَ يُسَارُ فِيهَا فَرْسَخَانِ، وَ صَلُّوا بِهِمُ الْمَغْرِبَ حِينَ يُفْطِرُ الصَّائِمُ وَ يَدْفَعُ الْحَاجُّ، وَ صَلُّوا بِهِمُ الْعِشَاءَ حِينَ يَتَوَارَى الشَّفَقُ إِلَى ثُلُثِ اللَّيْلِ، وَ صَلُّوا بِهِمُ الْغَدَاةَ وَالرَّجُلُ يَعْرِفُ وَجْهَ صَاحِبِهِ، وَ صَلُّوا بِهِمْ صَلَاةَ أَضْعَفِهِمْ وَلَا تَكُونُوا فَتَّانِينَ.

أقول: فئ الشمس: رجوعها عن القيام و زوالها. و بيضاء: لم تصفر للمغيب. والعضو هاهنا: القطعة. والضمير فى قوله فيها: اما للشمس او للعضو باعتبار كونه قطعة. و يدفع الحاج اى: يفيض من عرفات، و لشهرة هاتين العلامتين عرف الوقت بهما. و يتوارى الشفق اى: من المغرب. و صلاة اضعفهم: كناية عن الصلاة الخفيفة التى يقدر على القيام بها الشيخ الهم والضعيف. و فتانين أى: باطالة الصلاة والقرآءة فانها تشبه الابتلاء بالأمر الشّاق المعجز للضعفاء عن صلاة الجماعة و لزومها.

٥٢ - وَمِنْ عهدٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

كتبه للأشتر النخعي رحمه الله، لما ولاه على مصر واعمالها حين اضطرب أمر محمد بن أبي بكر، وهو أطول عهد كتبه وأجمعه للمحاسن [1]

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيم

هٰذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُ اللهِ عَلِيٌّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَالِكَ بْنَ الْحَارِثِ الْأَشْتَرَ فِي عَهْدِهِ إِلَيْهِ، حِينَ وَلَّاهُ مِصْرَ: جِبَايَةَ خَرَاجِهَا، وَجِهَادَ عَدُوِّهَا، وَاسْتِصْلَاحَ أَهْلِهَا، وَعِمَارَةَ بِلَادِهَا.

أَمَرَهُ بِتَقْوَى اللهِ، وَإِيثَارِ طَاعَتِهِ، وَاتِّبَاعِ مَا أَمَرَ بِهِ فِي كِتَابِهِ: مِنْ فَرَائِضِهِ، وَسُنَنِهِ، الَّتِي لَا يَسْعَدُ أَحَدٌ إِلَّا بِاتِّبَاعِهَا، وَلَا يَشْقَى إِلَّا مَعَ جُحُودِهَا وَإِضَاعَتِهَا، وَأَنْ يَنْصُرَ اللهَ سُبْحَانَهُ بِقَلْبِهِ وَيَدِهِ وَلِسَانِهِ؛ فَإِنَّهُ، جَلَّ اسْمُهُ، قَدْ تَكَفَّلَ بِنَصْرِ مَنْ نَصَرَهُ، وَإِعْزَازِ مَنْ أَعَزَّهُ.

وَأَمَرَهُ أَنْ يَكْسِرَ نَفْسَهُ مِنَ الشَّهَوَاتِ وَيَزَعَهَا عِنْدَ الْجَمَحَاتِ؛ فَإِنَّ النَّفْسَ أَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ، إِلَّا مَا رَحِمَ اللهُ.

ثُمَّ اعْلَمْ، يَا مَالِكُ أَنِّي قَدْ وَجَّهْتُكَ إِلَى بِلَادٍ قَدْ جَرَتْ عَلَيْهَا دُوَلٌ قَبْلَكَ مِنْ عَدْلٍ وَجَوْرٍ، وَأَنَّ النَّاسَ يَنْظُرُونَ مِنْ أُمُورِكَ فِي مِثْلِ مَا كُنْتَ تَنْظُرُ فِيهِ مِنْ أُمُورِ الْوُلَاةِ قَبْلَكَ، وَيَقُولُونَ فِيكَ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِيهِمْ، وَإِنَّمَا يُسْتَدَلُّ عَلَى الصَّالِحِينَ بِمَا يُجْرِي اللهُ لَهُمْ عَلَى أَلْسُنِ عِبَادِهِ، فَلْيَكُنْ أَحَبُّ الذَّخَائِرِ إِلَيْكَ ذَخِيرَةَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ، فَامْلِكْ هَوَاكَ وَشُحَّ بِنَفْسِكَ عَمَّا لَا يَحِلُّ لَكَ فَإِنَّ الشُّحَّ بِالنَّفْسِ الْإِنْصَافُ مِنْهَا فِيمَا أَحَبَّتْ أَوْ كَرِهَتْ. وَأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ، وَالْمَحَبَّةَ لَهُمْ، وَاللُّطْفَ بِهِمْ، وَلَا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبُعاً ضَارِياً تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ: إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ، أَوْ نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ، يَفْرُطُ مِنْهُمُ الزَّلَلُ، وَتَعْرِضُ لَهُمُ الْعِلَلُ، وَيُؤْتَى عَلَى أَيْدِيهِمْ فِي الْعَمْدِ وَالْخَطَإِ. فَأَعْطِهِمْ مِنْ عَفْوِكَ وَصَفْحِكَ مِثْلَ الَّذِي تُحِبُّ أَنْ يُعْطِيَكَ اللهُ مِنْ عَفْوِهِ وَصَفْحِهِ، فَإِنَّكَ فَوْقَهُمْ وَوَالِي الْأَمْرِ عَلَيْكَ فَوْقَكَ،

---

١ - تصدى الى شرحه و نقله الى سائر اللغات نفر من اعلام العلم والادب. الذريعة ٤/١١٨ و ج ١٣/٣٧٣.

وَ ٱللهُ فَوْقَ مَنْ وَلَّاكَ ! وَ قَدِاسْتَكْفَاكَ أَمْرَهُمْ وَٱبْتَلاَكَ بِهِمْ، وَلاَ تَنْصِبَنَّ نَفْسَكَ لِحَرْبِ الله. فَإِنَّهُ لاَيَدَى لَكَ بِنِقْمَتِهِ، وَلاَ غِنَى بِكَ عَنْ عَفْوِهِ وَ رَحْمَتِهِ، وَلاَ تَنْدَمَنَّ عَلَى عَفْوٍ، وَلاَ تَبْجَحَنَّ بِعُقُوبَةٍ، وَ لاَ تُسْرِعَنَّ إِلَى بَادِرَةٍ وَجَدْتَ مِنْهَا مَنْدُوحَةً، وَلاَ تَقُولَنَّ إِنِّي مُؤَمَّرٌ آمُرُ فَأُطَاعُ فَإِنَّ ذٰلِكَ إِدْغَالٌ فِي الْقَلْبِ، وَ مَنْهَكَةٌ لِلدِّينِ، وَ تَقَرُّبٌ مِنَ الْغِيَرِ. وَ إِذَا أَحْدَثَ لَكَ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ سُلْطَانِكَ أُبَّهَةً أَوْمَخِيلَةً فَانْظُرْ إِلَى عِظَمِ مُلْكِ ٱللهِ فَوْقَكَ وَ قُدْرَتِهِ مِنْكَ عَلَى مَالاَ تَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ نَفْسِكَ ؛ فَإِنَّ ذٰلِكَ يُطَا مِنُ إِلَيْكَ مِنْ طِمَاحِكَ ، وَيَكُفُّ عَنْكَ مِنْ غَرْبِكَ ، وَيَفِئُ إِلَيْكَ بِمَا عَزَبَ عَنْكَ مِنْ عَقْلِكَ .

إِيَّاكَ وَ مُسَامَاةَ ٱللهِ فِي عَظَمَتِهِ وَالتَّشَبُّهَ بِهِ فِي جَبَرُوتِهِ؛ فَإِنَّ ٱللهَ يُذِلُّ كُلَّ جَبَّارٍ، وَيُهِينُ كُلَّ مُخْتَالٍ.

أَنْصِفِ ٱللهَ وَ أَنْصِفِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ وَمِنْ خَاصَّةِ أَهْلِكَ وَ مَنْ لَكَ فِيهِ هَوًى مِنْ رَعِيَّتِكَ ؛ فَإِنَّكَ إِلَّا تَفْعَلْ تَظْلِمْ! وَ مَنْ ظَلَمَ عِبَادَالله كَانَ ٱللهُ خَصْمَهُ دُونَ عِبَادِهِ، وَ مَنْ خَاصَمَهُ ٱللهُ أَدْحَضَ حُجَّتَهُ وَ كَانَ للهِ حَرْبًا حَتَّى يَنْزِعَ وَ يَتُوبَ وَلَيْسَ شَيْءٌ أَدْعَى إِلَى تَغْيِيرِ نِعْمَةِ ٱللهِ وَ تَعْجِيلِ نِقْمَتِهِ مِنْ إِقَامَةٍ عَلَى ظُلْمٍ، فَإِنَّ ٱللهَ سَمِيعٌ دَعْوَةَ الْمُضْطَهَدِينَ وَ هُوَ لِلظَّالِمِينَ بِالْمِرْصَادِ.

وَ لْيَكُنْ أَحَبُّ الْأُمُورِ إِلَيْكَ أَوْسَطَهَا فِي الْحَقِّ، وَ أَعَمَّهَا فِي الْعَدْلِ وَ أَجْمَعَهَا لِرِضَا الرَّعِيَّةِ؛ فَإِنَّ سُخْطَ الْعَامَّةِ يُجْحِفُ بِرِضَا الْخَاصَّةِ وَ إِنَّ سُخْطَ الْخَاصَّةِ يُغْتَفَرُ مَعَ رِضَا الْعَامَّةِ. وَ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الرَّعِيَّةِ أَثْقَلَ عَلَى الْوَالِي مَؤُونَةً فِي الرَّخَاءِ وَ أَقَلَّ مَعُونَةً لَهُ فِي الْبَلاَءِ، وَ أَكْرَهَ لِلْإِنْصَافِ، وَ أَسْأَلَ بِالْإِلْحَافِ، وَ أَقَلَّ شُكْرًا عِنْدَالْإِعْطَاءِ، وَ أَبْطَأَ عُذْرًا عِنْدَ الْمَنْعِ، وَأَضْعَفَ صَبْرًا عِنْدَ مُلِمَّاتِ الدَّهْرِ مِنْ أَهْلِ الْخَاصَّةِ وَ إِنَّمَا عِمَادُ الدِّينِ وَ جِمَاعُ الْمُسْلِمِينَ. وَالْعُدَّةُ لِلْأَعْدَاءِ الْعَامَّةُ مِنَ الْأُمَّةِ، فَلْيَكُنْ صِغْوُكَ لَهُمْ، وَ مَيْلُكَ مَعَهُمْ.

وَلْيَكُنْ أَبْعَدُ رَعِيَّتِكَ مِنْكَ وَ أَشْنَأُهُمْ عِنْدَكَ أَطْلَبَهُم لِمَعَايِبِ النَّاسِ؛فَإِنَّ فِي النَّاسِ عُيُوبًا الْوَالِي أَحَقُّ مَنْ سَتَرَهَا، فَلاَ تَكْشِفَنَّ عَمَّا غَابَ عَنْكَ مِنْهَا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ تَطْهِيرُ مَا ظَهَرَ لَكَ ، وَٱللهُ يَحْكُمُ عَلَى مَا غَابَ عَنْكَ ، فَاسْتُرِ الْعَوْرَةَ مَا ٱسْتَطَعْتَ يَسْتُرِ ٱللهُ مِنْكَ مَا تُحِبُّ سَتْرَهُ مِنْ رَعِيَّتِكَ . أَطْلِقْ عَنِ النَّاسِ عُقْدَةَ كُلِّ حِقْدٍ، وَٱقْطَعْ عَنْكَ سَبَبَ كُلِّ وِتْرٍ، وَ تَغَابَ عَنْ كُلِّ مَالاَ يَصِحُّ لَكَ ، وَلاَ تَعْجَلَنَّ إِلَى تَصْدِيقِ سَاعٍ؛ فَإِنَّ السَّاعِيَ غَاشٌّ وَ إِنْ تَشَبَّهَ بِالنَّاصِحِينَ.

وَلَا تُدْخِلَنَّ فِي مَشُورَتِكَ بَخِيلاً يَعْدِلُ بِكَ عَنِ الْفَضْلِ وَيَعِدُكَ الْفَقْرَ، وَلَا جَبَانًا يُضْعِفُكَ عَنِ الْأُمُورِ، وَلَا حَرِيصًا يُزَيِّنَ لَكَ الشَّرَهَ بِالْجَوْرِ، فَإِنَّ الْبُخْلَ وَالْجُبْنَ وَالْحِرْصَ غَرَائِزُ شَتَّى يَجْمَعُهَا سُوءُ الظَّنِّ بِاللهِ!

إِنَّ شَرَّ وُزَرَائِكَ مَنْ كَانَ لِلْأَشْرَارِ قَبْلَكَ وَزِيرًا، وَمَنْ شَرِكَهُمْ فِي الْآثَامِ فَلَا يَكُونَنَّ لَكَ بِطَانَةً؛ فَإِنَّهُمْ أَعْوَانُ الْأَثَمَةِ، وَإِخْوَانُ الظَّلَمَةِ، وَأَنْتَ وَاجِدٌ مِنْهُمْ خَيْرَ الْخَلَفِ مِمَّنْ لَهُ مِثْلُ آرَائِهِمْ وَنَفَاذِهِمْ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ مِثْلُ آصَارِهِمْ وَأَوْزَارِهِمْ مِمَّنْ لَمْ يُعَاوِنْ ظَالِمًا عَلَى ظُلْمِهِ وَلَا آثِمًا عَلَى إِثْمِهِ: أُولَئِكَ أَخَفُّ عَلَيْكَ مَؤُونَةً، وَأَحْسَنُ لَكَ مَعُونَةً، وَأَحْنَى عَلَيْكَ عَطْفًا، وَأَقَلُّ لِغَيْرِكَ إِلْفًا، فَاتَّخِذْ أُولَئِكَ خَاصَّةً لِخَلَوَاتِكَ وَحَفَلَاتِكَ، ثُمَّ لْيَكُنْ آثَرُهُمْ عِنْدَكَ أَقْوَلَهُمْ بِمُرِّ الْحَقِّ لَكَ وَأَقَلَّهُمْ مُسَاعَدَةً فِيمَا يَكُونُ مِنْكَ مِمَّا كَرِهَ اللهُ لِأَوْلِيَائِهِ وَاقِعًا ذَلِكَ مِنْ هَوَاكَ حَيْثُ وَقَعَ. وَالْصَقْ بِأَهْلِ الْوَرَعِ وَالصِّدْقِ، ثُمَّ رُضْهُمْ عَلَى أَنْ لَا يُطْرُوكَ وَلَا يَبْجَحُوكَ بِبَاطِلٍ لَمْ تَفْعَلْهُ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الْإِطْرَاءِ تُحْدِثُ الزَّهْوَ وَتُدْنِي مِنَ الْعِزَّةِ.

وَلَا يَكُونَنَّ الْمُحْسِنُ وَالْمُسِيءُ عِنْدَكَ بِمَنْزِلَةٍ سَوَاءٍ؛ فَإِنَّ فِي ذَلِكَ تَزْهِيداً لِأَهْلِ الْإِحْسَانِ فِي الْإِحْسَانِ، وَتَدْرِيبًا لِأَهْلِ الْإِسَاءَةِ عَلَى الْإِسَاءَةِ! وَأَلْزِمْ كُلاًّ مِنْهُمْ مَا أَلْزَمَ نَفْسَهُ. وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ بِأَدْعَى إِلَى حُسْنِ ظَنِّ رَاعٍ بِرَعِيَّتِهِ مِنْ إِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ وَتَخْفِيفِهِ الْمَؤُونَاتِ عَلَيْهِمْ، وَتَرْكِ اسْتِكْرَاهِهِ إِيَّاهُمْ عَلَى مَا لَيْسَ لَهُ قِبَلَهُمْ؛ فَلْيَكُنْ مِنْكَ فِي ذَلِكَ أَمْرٌ يَجْتَمِعُ لَكَ بِهِ حُسْنُ الظَّنِّ بِرَعِيَّتِكَ، فَإِنَّ حُسْنَ الظَّنِّ يَقْطَعُ عَنْكَ نَصَبًا طَوِيلاً وَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ حَسُنَ ظَنُّكَ بِهِ لَمَنْ حَسُنَ بَلَاؤُكَ عِنْدَهُ، وَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ سَاءَ ظَنُّكَ بِهِ لَمَنْ سَاءَ بَلَاؤُكَ عِنْدَهُ.

وَلَا تَنْقُضْ سُنَّةً صَالِحَةً عَمِلَ بِهَا صُدُورُ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَاجْتَمَعَتْ بِهَا الْأُلْفَةُ، وَصَلَحَتْ عَلَيْهَا الرَّعِيَّةُ؛ وَلَا تُحْدِثَنَّ سُنَّةً تَضُرُّ بِشَيْءٍ مِنْ مَاضِي تِلْكَ السُّنَنِ فَيَكُونَ الْأَجْرُ لِمَنْ سَنَّهَا، وَالْوِزْرُ عَلَيْكَ بِمَا نَقَضْتَ مِنْهَا.

وَأَكْثِرْ مُدَارَسَةَ الْعُلَمَاءِ، وَمُنَاقَشَةَ الْحُكَمَاءِ فِي تَثْبِيتِ مَا صَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ بِلَادِكَ، وَإِقَامَةِ مَا اسْتَقَامَ بِهِ النَّاسُ قَبْلَكَ.

أقول: النخع: قبيلة من مذحج. وجبوة: بدل من مصر. ويزعها: يكفها اى؛ يروض نفسه الامارة بتطويعها للعقل. واستعار لها وصف الجماح: باعتبار خروجها عن طاعة

العقل، فلا يملكها كالفرس الجموح. و رسم الشح بالنفس: بانّه الانصاف منها، و هو تعريف له ببعض لوازمه اذ كان الانصاف منها ملازما للضنّة بها عن عذاب الله. و يفرط: يسبق. و اراد بالعلل التى تعرض لهم الامور المشغلة الصارفة لهم عمّا ينبغي من اجراء اوامر الوالي على وجوهها. و قوله: و يؤتى على أيديهم: كناية عن كونهم غير معصومين بل هم ممّن يخطئ، و تؤتى الناس أو انفسهم على أيديهم فى خطائهم و عمدهم، فيدخل عليهم الزلّات. و استكفاك امرهم: طلب منك كفاية امورهم و القيام بها. و ابتلاك: اختبرك بهم. و استعار لفظ الحرب لمقابلة الله بالمعصية. ولا يدىْ لك أي: لاقوّة لك. والتبجح: اظهار السرور والبجح بسكون الجيم، السرور والفرح. والبادرة: حدة الغضب. و المندوحة: السّعة. والادغال: الافساد، و كني به عن رذيلة الكبر والعجب و نحوهما. و النهك: و هو الضعف. والغير جمع غيرة و هى: الاسم من التغيّر والاشارة الى قوله: تعالى: (انّ الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم[1]) والأُبّهة: العظم. والخُيَلاء: الكبر. والطماح: العلو، واصله ارتفاع البصر. وغربه: حِدّته. وَعَزبَ غاب. والمساماة: مفاعلة من السّمو. والجبروت: اشدالكبر. والمختال: ذوالخيلاء. و حجّة داحضة: باطلة. و يجحف برضا العامة اى: يذهب بأصله. والالحاف: شدة الميل والسؤال. و ابطأعذرا اى: اعذارا ومسامحة. و جماع المسلمين: جماعتهم. والصغو: الميل. و اشنأهم: ابغضهم. والعورة: القبيحة تبدو من الرجل. والوتر: الحقد. والتغابيّ: التّجاهل. و يزيّن لك الشرهَ بالجور اذ الحريص فى تحصيل المال و جمعه انّما يشير بما يلائم خلقه فيخرج بالمشار عليه الى رذيلة الشره والجور، والباء: للاستصحاب. والغريزة الخلق والطبيعة، و بيان كون الثلاثة عن مبدأ هو: سوءالظن بالله، انّ سوءالظن ينشأ عن عدم معرفته تعالى بما هو اهله. فالجاهل به لايعرفه من جهة ما هو جواد فيّاض بالخيرات لمن استعدّ لذلك، فيسوء ظنه به ولا يثق به، بأنه مخلوق عليه عوض ما يبذله فيمنعه ذلك مع ملاحظة الفقر عن البذل و يقوى نفسه الامّارة في الحرص.

و اما الجبان: فيجهله من جهة لطفه بعباده و عنايته بهم، و لا يعلم سرّ القدر في الآجال فيسوء ظنه بانه لا يحفظ من التلف، و يتصوّر الهلاك فيمنعه ذلك عن الاقدام

---

١ ـ سورة الرعد/ آية ١١.

فی الحرب و یلزمه رذیلة الجبن. والبطانة: خاصّة الرجل. و الآصار: اثقال الآثام جمع اصر و هو الثقل. و عطفا مصدر أحنی، ای: معنی قوله: و احنی عطفا ای: و احنی حنوًا فجعل عطفًا: بدل حنوا مصدر من غیر اللفظ. و حفلا تك جمع حفلة بالکسر و هی: الجماعة اوهي جفلة وهی: الخلوة، و الظهور فی الجماعات. و قوله: واقعًا الی قوله: حیث وقع ای: واقعا ذلك القول منه، و النصیحة وقلّة المساعدة حیث وقع من هواك سواء کان موافقًا له او مخالفا. والاطراء: المدح الکثیر. والزهو: الکبر. والتدریب: التعوید. و قوله: و الزم کلاما: الزم نفسه ای: من مقابلة الاحسان او الاسائة بمثلها. والنصب: التعب. والمناقشة: المحادثة، و بالله التوفیق.

الفصل الثانی: فی التنبیه علی طبقات الناس و وضع کلّ فی موضعه اللائق به فی الحکمة المدنیّة، و الاشارة الی کل طبقة بالاخری و الی من یستصلح من کلّ صنف، و یکون أهلاً لتلك المرتبة و ذلك قوله:

وَ اعْلَمْ أَنَّ الرَّعِيَّةَ طَبَقَاتٌ لَا يَصْلُحُ بَعْضُهَا إِلَّا بِبَعْضٍ، وَلَا غِنَى بِبَعْضِهَا عَنْ بَعْضٍ: فَمِنْهَا جُنُودُ اللهِ، وَ مِنْهَا كُتَّابُ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ، وَ مِنْهَا قُضَاةُ الْعَدْلِ وَ مِنْهَا عُمَّالُ الْإِنْصَافِ وَالرِّفْقِ، وَ مِنْهَا أَهْلُ الْجِزْيَةِ وَالْخَرَاجِ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ وَ مُسْلِمَةِ النَّاسِ، وَ مِنْهَا التُّجَّارُ وَ أَهْلُ الصِّنَاعَاتِ، وَ مِنْهَا الطَّبَقَةُ السُّفْلَى مِنْ ذَوِي الْحَاجَةِ وَالْمَسْكَنَةِ، وَ كُلٌّ قَدْ سَمَّى لَهُ اللهُ سَهْمَهُ. وَ وَضَعَ عَلَى حَدِّهِ فَرِيضَتَهُ فِي كِتَابِهِ أَوْ سُنَّةِ نَبِيِّهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ ـ عَهْدًا مِنْهُ عِنْدَنَا مَحْفُوظًا.

فَالْجُنُودُ، بِإِذْنِ اللهِ، حُصُونُ الرَّعِيَّةِ، وَ زَيْنُ الْوُلَاةِ، وَ عِزُّ الدِّينِ، وَ سُبُلُ الْأَمْنِ، وَ لَيْسَ تَقُومُ الرَّعِيَّةُ إِلَّا بِهِمْ، ثُمَّ لَاقِوَامَ لِلْجُنُودِ إِلَّا بِمَا يُخْرِجُ اللهُ لَهُمْ مِنَ الْخَرَاجِ الَّذِي يَقْوَوْنَ بِهِ فِي جِهَادِ عَدُوِّهِمْ، وَ يَعْتَمِدُونَ عَلَيْهِ فِيمَا يُصْلِحُهُمْ، وَ يَكُونُ مِنْ وَرَاءِ حَاجَتِهِمْ، ثُمَّ لَاقِوَامَ لِهَذَيْنِ الصِّنْفَيْنِ إِلَّا بِالصِّنْفِ الثَّالِثِ مِنَ الْقُضَاةِ وَالْعُمَّالِ وَالْكُتَّابِ، لِمَا يُحْكِمُونَ مِنَ الْمَعَاقِدِ وَيَجْمَعُونَ مِنَ الْمَنَافِعِ، وَ يُؤْتَمَنُونَ عَلَيْهِ مِنْ خَوَاصِّ الْأُمُورِ وَ عَوَامِّهَا وَلَا قِوَامَ لَهُمْ جَمِيعًا إِلَّا بِالتُّجَّارِ وَ ذَوِي الصِّنَاعَاتِ فِيمَا يَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ مِنْ مَرَافِقِهِمْ وَيُقِيمُونَهُ مِنْ أَسْوَاقِهِمْ، وَيَكْفُونَهُمْ مِنَ التَّرَفُّقِ بِأَيْدِيهِمْ مَا لَا يَبْلُغُهُ رِفْقُ غَيْرِهِمْ، ثُمَّ الطَّبَقَةُ السُّفْلَى مِنْ أَهْلِ الْحَاجَةِ

وَالْمَسْكَنَةِ الَّذِينَ يَحِقُّ رِفْدُهُمْ وَ مَعُونَتُهُمْ وَ فِي اَللهِ لِكُلٍّ سَعَةٌ، وَلِكُلٍّ عَلَى الْوَالِي حَقٌّ بِقَدْرِ مَا يُصْلِحُهُ. فَوَلِّ مِنْ جُنُودِكَ أَنْصَحَهُمْ فِي نَفْسِكَ للهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِإِمَامِكَ، وَ أَنْقَاهُمْ جَيْبًا، وَأَفْضَلَهُمْ حِلْمًا: مِمَّنْ يُبْطِئُ عَنِ الْغَضَبِ، وَيَسْتَرِيحُ إِلَى الْعُذْرِ، وَيَرْأَفُ بِالضُّعَفَاءِ، وَيَنْبُوعَلَى الْأَقْوِيَاءِ وَ مِمَّنْ لَا يُثِيرُهُ الْعُنْفُ، وَلَا يَقْعُدُ بِهِ الضَّعْفُ.

ثُمَّ الْصَقْ بِذَوِي الْأَحْسَابِ وَ أَهْلِ الْبُيُوتَاتِ الصَّالِحَةِ وَالسَّوَابِقِ الْحَسَنَةِ ثُمَّ أَهْلِ النَّجْدَةِ وَالشَّجَاعَةِ وَالسَّخَاءِ وَالسَّمَاحَةِ؛ فَإِنَّهُمْ جِمَاعٌ مِنَ الْكَرَمِ، وَ شُعَبٌ مِنَ الْعُرْفِ، ثُمَّ تَفَقَّدْ مِنْ أُمُورِهِمْ مَايَتَفَقَّدُهُ الْوَالِدَانِ مِنْ وَلَدِهِمَا، وَلَا يَتَفَاقَمَنَّ فِي نَفْسِكَ شَيْءٌ قَوَّيْتَهُمْ بِهِ وَلَا تَحْقِرَنَّ لُطْفًا تَعَاهَدْتَهُمْ بِهِ وَ إِنْ قَلَّ، فَإِنَّهُ دَاعِيَةٌ لَهُمْ إِلَى بَذْلِ النَّصِيحَةِ لَكَ، وَ حُسْنِ الظَّنِّ بِكَ. وَلَا تَدَعْ تَفَقُّدَ لَطِيفِ أُمُورِهِمْ اتِّكَالًا عَلَى جَسِيمِهَا؛ فَإِنَّ لِلْيَسِيرِ مِنْ لُطْفِكَ مَوْضِعًا يَنْتَفِعُونَ بِهِ، وَ لِلْجَسِيمِ مَوْقِعًا لَايَسْتَغْنُونَ عَنْهُ.

وَلْيَكُنْ آثَرُ رُؤُوسِ جُنْدِكَ عِنْدَكَ مَنْ وَاسَاهُمْ فِي مَعُونَتِهِ؛ وَ أَفْضَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ جِدَتِهِ، بِمَا يَسَعُهُمْ وَيَسَعُ مَنْ وَرَاءَهُمْ مِنْ خُلُوفِ أَهْلِيهِمْ، حَتَّى يَكُونَ هَمُّهُمْ هَمًّاوَاحِدًافِي جِهَادِ الْعَدُوِّ؛ فَإِنَّ عَطْفَكَ عَلَيْهِمْ يَعْطِفُ قُلُوبَهُمْ عَلَيْكَ؛ وَ إِنَّ أَفْضَلَ قُرَّةِ عَيْنِ الْوُلَاةِ اسْتِقَامَةُ الْعَدْلِ فِي الْبِلَادِ، وَ ظُهُورُ مَوَدَّةِ الرَّعِيَّةِ، وَ إِنَّهُ لَا تَظْهَرُ مَوَدَّتُهُمْ إِلَّا بِسَلَامَةِ صُدُورِهِمْ، وَلَا تَصِحُّ نَصِيحَتُهُمْ إِلَّا بِحِيطَتِهِمْ عَلَى وُلَاةِ أُمورِهِم وَ قِلَّةِ اسْتِثْقَالِ دُوَلِهِمْ، وَتَرْكِ اسْتِبْطَاءِ انْقِطَاعِ مُدَّتِهِمْ؛ فَافْسَحْ فِي آمَالِهِمْ وَ وَاصِلْ فِي حُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ وَ تَعْدِيدِ مَا أَبْلَى ذَوُوالْبَلَاءِ مِنْهُمْ؛ فَإِنَّ كَثْرَةَ الذِّكْرِ لِحُسْنِ أَفْعَالِهِمْ تَهُزُّ الشُّجَاعَ، وَتُحَرِّضُ النَّاكِلَ، إِنْ شَاءَ اَللهُ.

ثُمَّ اعْرِفْ لِكُلِّ امْرِىءٍ مِنْهُمْ مَا أَبْلَى ،وَلَا تُضِيفَنَّ بَلَاءَ امْرِىءٍ إِلَى غَيْرِهِ، وَلَا تُقَصِّرَنَّ بِهِ دُونَ غَايَةِ بَلَائِهِ،وَلَايَدْعُوَنَّكَ شَرَفُ امْرِىءٍ إِلَى أَنْ تُعْظِمَ مِنْ بَلَائِهِ مَا كَانَ صَغِيرًا، وَلَاضَعَةُ امْرِىءٍ إِلَى أَنْ تَسْتَصْغِرَ مِنْ بَلَائِهِ مَا كَانَ عَظِيماً.

وَارْدُدْ إِلَى اَللهِ وَرَسُولِهِ مَا يُضْلِعُكَ مِنَ الْخُطُوبِ وَيَشْتَبِهُ عَلَيْكَ مِنَ الْأُمُورِ؛ فَقَدْ قَالَ اَللهُ تَعَالَى لِقَوْمٍ أَحَبَّ إِرْشَادَهُمْ: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اَللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ، فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اَللهِ وَالرَّسُولِ)[1] فَالرَّدُّ إِلَى اَللهِ: الْأَخْذُ بِمُحْكَمِ كِتَابِهِ، وَالرَّدُّ إِلَى الرَّسُولِ: الْأَخْذُ بِسُنَّتِهِ الْجَامِعَةِ غَيْرِ الْمُفَرِّقَةِ.

١ ـ سورة النساء / ٥٩.

ثُمَّ اخْتَرْ لِلْحُكْمِ بَيْنَ النَّاسِ أَفْضَلَ رَعِيَّتِكَ فِي نَفْسِكَ مِمَّنْ لاَ تَضِيقُ بِهِ الأُمُورُ، وَلاَ تُمَحِّكُهُ الْخُصُومُ، وَلاَ يَتَمَادَى فِي الزَّلَّةِ، وَلاَ يَحْصَرُ مِنَ الْفَيْءِ إِلَى الْحَقِّ إِذَا عَرَفَهُ، وَلاَ تُشْرِفُ نَفْسُهُ عَلَى طَمَعٍ، وَلاَ يَكْتَفِي بِأَدْنَى فَهْمٍ دُونَ أَقْصَاهُ؛ وَأَوْقَفَهُمْ فِي الشُّبُهَاتِ، وَآخَذَهُمْ بِالْحُجَجِ، وَأَقَلَّهُمْ تَبَرُّمًا بِمُرَاجَعَةِ الْخَصْمِ، وَأَصْبَرَهُمْ عَلَى تَكَشُّفِ الأُمُورِ، وَأَصْرَمَهُمْ عِنْدَ اتِّضَاحِ الْحُكْمِ؛ مِمَّنْ لاَ يَزْدَهِيهِ إِطْرَاءٌ، وَلاَ يَسْتَمِيلُهُ إِغْرَاءٌ، وَأُولَئِكَ قَلِيلٌ، ثُمَّ أَكْثِرْ تَعَاهُدَ قَضَائِهِ، وَافْسَحْ لَهُ فِي الْبَذْلِ مَا يُزِيلُ عِلَّتَهُ، وَتَقِلُّ مَعَهُ حَاجَتُهُ إِلَى النَّاسِ، وَأَعْطِهِ مِنَ الْمَنْزِلَةِ لَدَيْكَ مَالاَ يَطْمَعُ فِيهِ غَيْرُهُ مِنْ خَاصَّتِكَ لِيَأْمَنَ بِذَلِكَ اغْتِيَالَ الرِّجَالِ لَهُ عِنْدَكَ ، فَانْظُرْ فِي ذَلِكَ نَظَرًا بَلِيغًا؛ فَإِنَّ هَذَا الدِّينَ قَدْ كَانَ أَسِيرًا فِي أَيْدِي الأَشْرَارِ: يُعْمَلُ فِيهِ بِالْهَوَى، وَتُطْلَبُ بِهِ الدُّنْيَا.

ثُمَّ انْظُرْ فِي أُمُورِ عُمَّالِكَ فَاسْتَعْمِلْهُمُ اخْتِبَارًا، وَلاَ تُوَلِّهِمْ مُحَابَاةً وَأَثَرَةً؛ فَإِنَّهُمْ جِمَاعٌ مِنْ شُعَبِ الْجَوْرِ وَالْخِيَانَةِ؛ وَتَوَخَّ مِنْهُمْ أَهْلَ التَّجْرِبَةِ وَالْحَيَاءِ مِنْ أَهْلِ الْبُيُوتَاتِ الصَّالِحَةِ وَالْقَدَمِ فِي الإِسْلاَمِ الْمُتَقَدِّمَةِ، فَإِنَّهُمْ أَكْرَمُ أَخْلاَقًا، وَأَصَحُّ أَعْرَاضًا؛ وَأَقَلُّ فِي الْمَطَامِعِ إِشْرَافًا، وَأَبْلَغُ فِي عَوَاقِبِ الأُمُورِ نَظَرًا. ثُمَّ أَسْبِغْ عَلَيْهِمُ الأَرْزَاقَ فَإِنَّ ذَلِكَ قُوَّةٌ لَهُمْ عَلَى اسْتِصْلاَحِ أَنْفُسِهِمْ، وَغِنًى لَهُمْ عَنْ تَنَاوُلِ مَا تَحْتَ أَيْدِيهِمْ، وَحُجَّةٌ عَلَيْهِمْ إِنْ خَالَفُوا أَمْرَكَ أَوْ ثَلَمُوا أَمَانَتَكَ . ثُمَّ تَفَقَّدْ أَعْمَالَهُمْ وَابْعَثِ الْعُيُونَ مِنْ أَهْلِ الصِّدْقِ وَالْوَفَاءِ عَلَيْهِمْ؛ فَإِنَّ تَعَاهُدَكَ فِي السِّرِّ لِأُمُورِهِمْ عُدْوَةٌ لَهُمْ عَلَى اسْتِعْمَالِ الأَمَانَةِ وَالرِّفْقِ بِالرَّعِيَّةِ وَتَحَفَّظْ مِنَ الأَعْوَانِ فَإِنْ أَحَدٌ مِنْهُمْ بَسَطَ يَدَهُ إِلَى خِيَانَةٍ اجْتَمَعَتْ بِهَا عَلَيْهِ، عِنْدَكَ أَخْبَارُ عُيُونِكَ اكْتَفَيْتَ بِذَلِكَ شَاهِدًا فَبَسَطْتَ عَلَيْهِ الْعُقُوبَةَ فِي بَدَنِهِ، وَأَخَذْتَهُ بِمَا أَصَابَ مِنْ عَمَلِهِ، ثُمَّ نَصَبْتَهُ بِمَقَامِ الْمَذَلَّةِ، وَوَسَمْتَهُ بِالْخِيَانَةِ، وَقَلَّدْتَهُ عَارَ التُّهَمَةِ.

وَتَفَقَّدْ أَمْرَ الْخَرَاجِ بِمَا يُصْلِحُ أَهْلَهُ؛ فَإِنَّ فِي صَلاَحِهِ وَصَلاَحِهِمْ صَلاَحًا لِمَنْ سِوَاهُمْ؛ وَلاَ صَلاَحَ لِمَنْ سِوَاهُمْ إِلاَّ بِهِمْ؛ لِأَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ عِيَالٌ عَلَى الْخَرَاجِ وَأَهْلِهِ. وَلْيَكُنْ نَظَرُكَ فِي عِمَارَةِ الأَرْضِ أَبْلَغَ مِنْ نَظَرِكَ فِي اسْتِجْلاَبِ الْخَرَاجِ لِأَنَّ ذَلِكَ لاَ يُدْرَكُ إِلاَّ بِالْعِمَارَةِ، وَمَنْ طَلَبَ الْخَرَاجَ بِغَيْرِ عِمَارَةٍ أَخْرَبَ الْبِلاَدَ وَأَهْلَكَ الْعِبَادَ، وَلَمْ يَسْتَقِمْ أَمْرُهُ إِلاَّ قَلِيلاً؛ فَإِنْ شَكَوْا ثِقَلاً أَوْ عِلَّةً أَوِ انْقِطَاعَ شِرْبٍ أَوْ بَالَّةٍ أَوْ إِحَالَةَ أَرْضٍ اغْتَمَرَهَا غَرَقٌ أَوْ أَجْحَفَ بِهَا عَطَشٌ خَفَّفْتَ عَنْهُمْ بِمَا تَرْجُو أَنْ يَصْلُحَ بِهِ أَمْرُهُمْ. وَلاَ يَثْقُلَنَّ عَلَيْكَ شَيْءٌ خَفَّفْتَ بِهِ

الْمَؤُونَةَ عَنْهُمْ فَإِنَّهُ ذُخْرٌ يَعُودُونَ بِهِ عَلَيْكَ فِي عِمَارَةِ بِلَادِكَ ، وَتَزْيِينِ وَلَايَتِكَ ، مَعَ اسْتِجْلَابِكَ حُسْنَ ثَنَائِهِمْ، وَ تَبَجُّحِكَ بِاسْتِفَاضَةِ الْعَدْلِ فِيهِمْ مُعْتَمِدًا فَضْلَ قُوَّتِهِمْ بِمَا ذَخَرْتَ عِنْدَهُمْ مِنْ إِجْمَامِكَ لَهُمْ وَالثِّقَةَ مِنْهُمْ بِمَا عَوَّدْتَهُمْ مِنْ عَدْلِكَ عَلَيْهِمْ فِي رِفْقِكَ بِهِمْ، فَرُبَّمَا حَدَثَ مِنَ الأُمُورِ مَا إِذَا عَوَّلْتَ فِيهِ عَلَيْهِمْ مِنْ بَعْدُ احْتَمَلُوهُ طَيِّبَةً أَنْفُسُهُمْ بِهِ؛ فَإِنَّ الْعُمْرَانَ مُحْتَمِلٌ مَا حَمَّلْتَهُ، وَ إِنَّمَا يُؤْتَى خَرَابُ الْأَرْضِ مِنْ إِعْوَازِ أَهْلِهَا، وَ إِنَّمَا يُعْوِزُ أَهْلُهَا لِإِشْرَافِ أَنْفُسِ الْوُلَاةِ عَلَى الْجَمْعِ، وَ سُوءِ ظَنِّهِمْ بِالْبَقَاءِ، وَ قِلَّةِ انْتِفَاعِهِمْ بِالْعِبَرِ.

ثُمَّ انْظُرْ فِي حَالِ كُتَّابِكَ ؛ فَوَلِّ عَلَى أُمُورِكَ خَيْرَهُمْ؛ وَ اخْصُصْ رَسَائِلَكَ الَّتِي تُدْخِلُ فِيهَا مَكَائِدَكَ وَ أَسْرَارَكَ بِأَجْمَعِهِمْ لِوُجُوهِ صَالِحِ الْأَخْلَاقِ مِمَّنْ لَا تُبْطِرُهُ الْكَرَامَةُ فَيَجْتَرِئَ بِهَا عَلَيْكَ فِي خِلَافٍ لَكَ بِحَضْرَةِ مَلَأٍ، وَ لَا تَقْصُرُ بِهِ الْغَفْلَةُ عَنْ إِيرَادِ مُكَاتَبَاتِ عُمَّالِكَ عَلَيْكَ وَإِصْدَارِ جَوَابَاتِهَا عَلَى الصَّوَابِ عَنْكَ فِيمَا يَأْخُذُ لَكَ وَ يُعْطِي مِنْكَ، وَ لَا يُضْعِفُ عَقْدًا اعْتَقَدَهُ لَكَ ، وَلَا يَعْجِزُ عَنْ إِطْلَاقِ مَا عُقِدَ عَلَيْكَ ، وَلَا يَجْهَلُ مَبْلَغَ قَدْرِ نَفْسِهِ فِي الأُمُورِ؛ فَإِنَّ الْجَاهِلَ بِقَدْرِ نَفْسِهِ يَكُونُ بِقَدْرِ غَيْرِهِ أَجْهَلَ، ثُمَّ لَا يَكُنِ اخْتِيَارُكَ إِيَّاهُمْ عَلَى فِرَاسَتِكَ وَاسْتِنَامَتِكَ وَحُسْنِ الظَّنِّ مِنْكَ ؛ فَإِنَّ الرِّجَالَ يَتَعَرَّفُونَ لِفِرَاسَاتِ الْوُلَاةِ بِتَصَنُّعِهِمْ وَ حُسْنِ خِدْمَتِهِمْ، وَ لَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ النَّصِيحَةِ وَالْأَمَانَةِ شَيْءٌ، وَ لَكِنِ اخْتَبِرْهُمْ بِمَا وُلُّوا لِلصَّالِحِينَ قَبْلَكَ : فَاعْمِدْ لِأَحْسَنِهِمْ كَانَ فِي الْعَامَّةِ أَثَرًا، وَ أَعْرَفِهِمْ بِالْأَمَانَةِ وَجْهًا، فَإِنَّ ذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى نَصِيحَتِكَ لِلَّهِ وَلِمَنْ وُلِّيتَ أَمْرَهُ، وَاجْعَلْ لِرَأْسِ كُلِّ أَمْرٍ مِنْ أُمُورِكَ رَأْسًا مِنْهُمْ لَا يَقْهَرُهُ كَبِيرُهَا، وَلَا يَتَشَتَّتُ عَلَيْهِ كَثِيرُهَا، وَ مَهْمَا كَانَ فِي كُتَّابِكَ مِنْ عَيْبٍ فَتَغَابَيْتَ عَنْهُ أُلْزِمْتَهُ. ثُمَّ اسْتَوْصِ بِالتُّجَّارِ وَذَوِي الصِّنَاعَاتِ وَ أَوْصِ بِهِمْ خَيْرًا: الْمُقِيمِ مِنْهُمْ وَالْمُضْطَرِبِ بِمَالِهِ، وَالْمُتَرَفِّقِ بِبَدَنِهِ؛ فَإِنَّهُمْ مَوَادُّ الْمَنَافِعِ، وَ أَسْبَابُ الْمَرَافِقِ وَجُلَّابُهَا مِنَ الْمَبَاعِدِ وَالْمَطَارِحِ فِي بَرِّكَ وَ بَحْرِكَ وَسَهْلِكَ وَ جَبَلِكَ ، وَحَيْثُ لَا يَلْتَئِمُ النَّاسُ لِمَوَاضِعِهَا وَلَا يَجْتَرِئُونَ عَلَيْهَا ؛ فَإِنَّهُمْ سِلْمٌ لَا تُخَافُ بَائِقَتُهُ وَ صُلْحٌ لَا تُخْشَى غَائِلَتُهُ، وَ تَفَقَّدْ أُمُورَهُمْ بِحَضْرَتِكَ وَ فِي حَوَاشِي بِلَادِكَ . وَاعْلَمْ ـ مَعَ ذَلِكَ ـ أَنَّ فِي كَثِيرٍ مِنْهُمْ ضِيقًا فَاحِشًا، وَ شُحًّا قَبِيحًا وَ احْتِكَارًا لِلْمَنَافِعِ، وَ تَحَكُّمًا فِي الْبِيَاعَاتِ، وَ ذَلِكَ بَابُ مَضَرَّةٍ لِلْعَامَّةِ وَ عَيْبٌ عَلَى الْوُلَاةِ؛ فَامْنَعْ مِنَ الِاحْتِكَارِ فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ، مَنَعَ مِنْهُ، وَلْيَكُنِ الْبَيْعُ بَيْعًا سَمْحًا: بِمَوَازِينِ عَدْلٍ، وَ أَسْعَارٍ لَا تُجْحِفُ بِالْفَرِيقَيْنِ مِنَ الْبَائِعِ وَالْمُبْتَاعِ؛

فَمَنْ قَارَفَ حُكْرَةً بَعْدَ نَهْيِكَ إِيَّاهُ فَنَكِّلْ بِهِ؛ وَعَاقِبْهُ فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ.

ثُمَّ اللهَ اللهَ فِي الطَّبَقَةِ السُّفْلَى مِنَ الَّذِينَ لَا حِيلَةَ لَهُمْ مِنَ الْمَسَاكِينِ وَالْمُحْتَاجِينَ وَأَهْلِ الْبُؤْسَى وَالزَّمْنَى فَإِنَّ فِي هَذِهِ الطَّبَقَةِ قَانِعًا وَمُعْتَرًّا؛ وَاحْفَظْ لِلَّهِ مَا اسْتَحْفَظَكَ مِنْ حَقِّهِ فِيهِمْ، وَاجْعَلْ لَهُمْ قِسْمًا مِنْ بَيْتِ مَالِكَ، وَقِسْمًا مِنْ غَلَّاتِ صَوَافِي الْإِسْلَامِ فِي كُلِّ بَلَدٍ فَإِنَّ لِلْأَقْصَى؛ مِنْهُمْ مِثْلَ الَّذِي لِلْأَدْنَى، وَكُلٌّ قَدِ اسْتُرْعِيتَ حَقَّهُ؛ فَلَا يَشْغَلَنَّكَ عَنْهُمْ بَطَرٌ فَإِنَّكَ لَا تُعْذَرُ بِتَضْيِيعِكَ التَّافِهَ لِإِحْكَامِكَ الْكَثِيرَ الْمُهِمَّ، فَلَا تُشْخِصْ هَمَّكَ عَنْهُمْ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لَهُمْ، وَتَفَقَّدْ أُمُورَ مَنْ لَا يَصِلُ إِلَيْكَ مِنْهُمْ مِمَّنْ تَقْتَحِمُهُ الْعُيُونُ وَتَحْقِرُهُ الرِّجَالُ، فَفَرِّغْ لِأُولَئِكَ ثِقَتَكَ مِنْ أَهْلِ الْخَشْيَةِ وَالتَّوَاضُعِ؛ فَلْيَرْفَعْ إِلَيْكَ أُمُورَهُمْ، ثُمَّ اعْمَلْ فِيهِمْ بِالْإِعْذَارِ إِلَى اللهِ يَوْمَ تَلْقَاهُ؛ فَإِنَّ هَؤُلَاءِ مِنْ بَيْنِ الرَّعِيَّةِ أَحْوَجُ إِلَى الْإِنْصَافِ مِنْ غَيْرِهِمْ، وَكُلٌّ فَأَعْذِرْ إِلَى اللهِ فِي تَأْدِيَةِ حَقِّهِ إِلَيْهِ، وتَعَهَّدْ أَهْلَ الْيُتْمِ وَذَوِي الرِّقَّةِ فِي السِّنِّ مِمَّنْ لَا حِيلَةَ لَهُ، وَلَا يَنْصِبُ لِلْمَسْأَلَةِ نَفْسَهُ، وَذَلِكَ عَلَى الْوُلَاةِ ثَقِيلٌ وَالْحَقُّ كُلُّهُ ثَقِيلٌ، وَقَدْ يُخَفِّفُهُ اللهُ عَلَى أَقْوَامٍ طَلَبُوا الْعَاقِبَةَ فَصَبَّرُوا أَنْفُسَهُمْ، وَوَثِقُوا بِصِدْقِ مَوْعُودِ اللهِ لَهُمْ.

اقول: قسّم الناس الى طبقات سبع ،لا يَصْلُحُ بعضُها الاّ بالبعض كما بيّنه. واهل الذمة: تفسير لاهل الجزية والخراج معاً،لانّ للامام أن يقبل ارض الخراج من سائر المسلمين و أهل الذمة. و أراد بالسهم الذي سمّاه الله لكل منهم: استحقاقه في كتابه إجمالاً من الصدقات: كالفقراء والمساكين وعمّال الخراج. والصدقة وحدّه: الذي وضع الله عليه عهدًا منه هو مرتبته و منزلته من الناس، مثل الجنديّ له مرتبة و مقام من العمل محدود، أُخِذَ عليه عهدٌ من الله في النصيحة والقيام بطاعة الله فيه و فريضة لزومه للعمل بذلك، و كذلك سائرالطبقات. والمعاقد جمع معقد: مصدر كعقود البياعات والانكحة و نحوها، و أُحكامُها تعودُ الى القُضاة. و جمع المنافع تعود الى العمّال. والضمير في يؤتمنون: يعود الى الصنفين. والمرافق: المنافع، والرفق: المنفعة. والرفد: المعونة ويحقّ يجب. و نقاء الجيب: كناية عن الامانة. و يستريح الى العذر اي: بقبوله. وينبو على الأقوياء اي: يعلو عليهم، و لا يميل ميلهم على من دونهم. لا يثيره العنف اي: لا يكون له عنف فيثيرُهُ، و قيل: لا يثيرُهُ عُنفُ الغير. و لا ينزعج منه و لا يقعد به الضعف

اي: لا يكون ضعيفاً يُقعد ضعفه عمّا ينبغي. والحسب: ما يعدّ من المآثر و المكارم.

والحسب الكفاية. و النجدة: فضيلة تحت الشجاعة. و العرف: المعروف. و تفاقم الأمر: اشتدّ و صعب. و لطيف امورهم: صغيرها. و جسيمها: عظيمها اى: لا تدع تفقد حاجاتهم الجزئية اعتماداً على قضائك لحاجتهم الكليّة فى العطاء العام و نحوه، و معونته: رزقه. و جِدته: غناه. والخلوف: المتخلّفون عنهم. و حيطتهم: شفقتهم. والناكل الراجع: الفار. و يُضْلِعكَ: يُثْقِلُك. و ضاق الامر: اذا لم يقدر عليه. و تمحكه الخصوم: تغلبه على الحق بالمحك، وهو: اللجاج واللداد. والحصر الوقوف من العمى. و التبرّم التضجر. و يكشف الأمور: ايضاحها. و يزدهيه الاطراء فيه: كثرة المدح. الزهو: الكبر. يزيخ حيلته: يزيل عذره و ما يكون علّته في عجزه عن القيام بالقضاء. والاغتيال: الأخذ على غرّة، و يدخل فيه الغيبة و نحوه. والاشرار: الولاة قبله، و قيل: محمد بن ابى بكر.

ولا تولهم محاباة أي: معاطاة. و اثرة اى: استبدادًا كمن تأخذ من شخص شيئاً و توليه امراً، و يستبدّ بذلك دون مشاورة فيه. و جماع من شعب الجور، والخيانة اى: جماعة منها، اما انهما من شعب الجور: فللخروج بهما عن فضيلة العدل المأمور به شرعا وهوالتحرّى فى طلب الوالى الأصلح للعباد والبلاد والأقوم بطاعة الله فيهما. و اما انهما من شعب الخيانة: فلأن من الدين التحرّي في طلب الوالى الأصلح، و هوامانة فعدم التحرّى في ذلك خروج عنها الى رذيلة الخيانة. والتوخّي: طلب القصد. والثلم: الكسر و كَنّى به عن الخيانة. و حدوه لهم أي: حثّه. والضمير فى قوله صلاحهم: يعود الى اهل الخراج. والشرب: النصيب من الماء. والبالّة اليسير من الماء تُبَلُّ به الأرض. و احالة الارض: تغيّرها عمّا كانت عليه من الاستواء فلم ينجب زرعها و لم يثمر نخلُها. و احجف بها: ذهب. تبجحك اى: اظهار سرورِكِ و فخرك. و معتمدًا اى: قاصدا. والاجمام: الراحة. والرفق: ضدّ العنف.والاعواز: الفقر. و سوءظنهم بالبقاء اى: بقاء العمل فى أيديهم. وقوله: و لا يضعف الى قوله الامور اى: يكون ممن اذ اعقد لك عقدة امر أحكمها، و اذا عقد عليك غيرك امراً قام بحلّه. و لا يدخل في امر الأبعد معرفته به. و استنام الى الامر: سكن اليه، واعتمد عليه. و قوله: ليس وراء ذلك اى: تصنعهم لفراسة الولاة. واعمد اى: اقصد. و تغابيت: تغافلت. والزمته اى: عندالله و في الآخرة. و لما أوصى

بالتجار و ذوى الصناعات،نبّه على ذلك بضميرين صغرى الاول قوله: فإنهم موادالمنافع الى قوله: يجترئون عليها، و ذلك: اشارة الى وجود المنفعة منهم. و صغرى الثانى قوله: فانهم سِلْمٌ الى غائلته. و اشار بذلك: الى عدم المضرّة منهم. و المترفّق ببدنه: طلب المنفعة بصنيعته، و المطارح جمع مطرح وهى: الارض البعيدة. ولا يلتئم الناس لمواضعها و ذلك: كالجبال والبحار. والضمير فى مواضعها: للمرافق. والبائقة: الداهية. والغائلة: الشّر. والضيق: البخل. والاحتكار: حبس المنافع عن الناس عندالحاجة اليها، و ورد النهي الشرعي عن ذلك فى الاجناس التى يعمّ نفعها و يكثر الحاجة اليها، و هى الحنطة و الشعير والتمر والزبيب والسمن والملح، والتحكّم فى البياعات: ان يبيع على حُكمه بمجّردِ الهوى من غير رجوع الى شريعة أو عرف. و قارف كذا أى: اكتسبه.و فعله. والحُكْرَه بالضّم: الاسم. البؤس: الشدة. والقانع: السائل يقنع بما يعطى. والمعترّ: الذى يتعرّض للعطاء من غير سؤال. والصوافي: جمع صافية و هى أرض الغنيمة. والأقصى والادنى اى: الأبعد عنک والأدنى منك. والبطر: تجاوز الحدّ فى الفرح والنشاط. و اراد لا يكن لك بَطَرٌبما انتَ فيه من الأمْرَة فيشتغل عنهم. والتافه: الشئ القليل. و يشخص همّك ترفعه. و تصعير الخد: أمالته[1]. و تقتحمه العيون: تزدريه. و اعذرالرجل: اذا عذر. و ذوى الرِّقّةِ فى السّن: العاجزون الذين رَقّتْ حالهُمْ عن تحصيل المعاش. و لا ينصب للمسألة نفسه اىّ: حياءً و تَعَفُّفًا.

الفصل الثالث

فى اوامر و نواهى مصلحية و آداب خلقية و سياسيّة، بعضها خاصة بنفسه و احوال عباده و بخاصته و عماله الى غير ذلك،و هو قوله:

وَاجْعَلْ لِذَوِى الْحَاجَاتِ مِنْكَ قِسْمًا تُفَرِّغُ لَهُمْ فِيهِ شَخْصَكَ، وَ تَجْلِسُ لَهُمْ مَجْلِسًا عَامًّا فَتَتَوَاضَعُ فِيهِ لله الَّذِى خَلَقَكَ، وَ تُقْعِدَ عَنْهُمْ جُنْدَكَ وَ أَعْوَانَكَ مِنْ أَحْرَاسِكَ وَ شُرَطِكَ حَتَّى يُكَلِّمَكَ مُتَكَلِّمُهُمْ غَيْرَ مُتَتَعْتِعٍ، فَإِنِّى سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ، يَقُولُ فِى غَيْرِ مَوْطِنٍ: (لَنْ تُقَدَّسَ امَّةٌ لَا يُؤْخَذُ لِلضَّعِيفِ فِيها حَقُّهُ مِنَ الْقَوِىِّ غَيْرَ مُتَتَعْتِعٍ)[2] ثُمّ

١ ـ فى نسخة ش: امالته كبراً.

٢ ـ النهاية فى الحديث ١/ ١٩٠.

احْتَمِلِ الْخُرْقَ مِنْهُمْ وَالْعِيَّ، وَنَحِّ عَنْكَ الضِّيقَ وَالْأَنَفَ يَبْسُطِ اللهُ عَلَيْكَ بِذٰلِكَ أَكْنَافَ رَحْمَتِهِ، وَيُوجِبْ لَكَ ثَوَابَ طَاعَتِهِ، وَأَعْطِ مَا أَعْطَيْتَ هَنِيئاً، وَامْنَعْ فِي إِجْمَالٍ وَإِعْذَارٍ.

ثُمَّ أُمُورٌ مِنْ أُمُورِكَ لَابُدَّ لَكَ مِنْ مُبَاشَرَتِهَا: مِنْهَا إِجَابَةُ عُمَّالِكَ بِمَا يَعْيَا عَنْهُ كُتَّابُكَ، وَمِنْهَا إِصْدَارُ حَاجَاتِ النَّاسِ يَوْمَ وُرُودِهَا عَلَيْكَ بِمَا تَحْرَجُ بِهِ صُدُورُ أَعْوَانِكَ، وَأَمْضِ لِكُلِّ يَوْمٍ عَمَلَهُ؛ فَإِنَّ لِكُلِّ يَوْمٍ مَا فِيهِ، وَاجْعَلْ لِنَفْسِكَ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللهِ أَفْضَلَ تِلْكَ الْمَوَاقِيتِ، وَأَجْزَلَ تِلْكَ الْأَقْسَامِ وَإِنْ كَانَتْ كُلُّهَا لِلّٰهِ إِذَا صَلُحَتْ فِيهَا النِّيَّةُ، وَسَلِمَتْ مِنْهَا الرَّعِيَّةُ.

وَلْيَكُنْ فِي خَاصَّةِ مَا تُخْلِصُ بِهِ للهِ دِينَكَ: إِقَامَةُ فَرَائِضِهِ الَّتِي هِيَ لَهُ خَاصَّةً فَأَعْطِ اللهَ مِنْ بَدَنِكَ فِي لَيْلِكَ وَنَهَارِكَ، وَوَفِّ مَا تَقَرَّبْتَ بِهِ إِلَى اللهِ مِنْ ذٰلِكَ كَامِلاً غَيْرَ مَثْلُومٍ وَلَامَنْقُوصٍ بَالِغًا مِنْ بَدَنِكَ مَا بَلَغَ، وَإِذَا قُمْتَ فِي صَلَاتِكَ لِلنَّاسِ فَلَا تَكُونَنَّ مُنَفِّرًا وَلَامُضَيِّعًا؛ فَإِنَّ فِي النَّاسِ مَنْ بِهِ الْعِلَّةُ وَلَهُ الْحَاجَةُ. وَقَدْ سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حِينَ وَجَّهَنِي إِلَى الْيَمَنِ كَيْفَ أُصَلِّي بِهِمْ؟ فَقَالَ «صَلِّ بِهِمْ كَصَلَاةِ أَضْعَفِهِمْ، وَكُنْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا»[1].

وَأَمَّا بَعْدُ، فَلا تُطَوِّلَنَّ احْتِجَابَكَ عَنْ رَعِيَّتِكَ؛ فَإِنَّ احْتِجَابَ الْوُلَاةِ عَنِ الرَّعِيَّةِ شُعْبَةٌ مِنَ الضِّيقِ، وَقِلَّةُ عِلْمٍ بِالْأُمُورِ، وَالِاحْتِجَابُ مِنْهُمْ يَقْطَعُ عَنْهُمْ عِلْمَ مَا احْتَجَبُوا دُونَهُ فَيَصْغُرُ عِنْدَهُمُ الْكَبِيرُ، وَيَعْظُمُ الصَّغِيرُ، وَيَقْبُحُ الْحَسَنُ وَيَحْسُنُ الْقَبِيحُ، وَيُشَابُ الْحَقُّ بِالْبَاطِلِ؛ وَإِنَّمَا الْوَالِي بَشَرٌ لَا يَعْرِفُ مَا تَوَارَى عَنْهُ النَّاسُ بِهِ مِنَ الْأُمُورِ، وَلَيْسَتْ عَلَى الْحَقِّ سِمَاتٌ تُعْرَفُ بِهَا ضُرُوبُ الصِّدْقِ مِنَ الْكَذِبِ، وَإِنَّمَا أَنْتَ أَحَدُ رَجُلَيْنِ: إِمَّا امْرُؤٌ سَخَتْ نَفْسُكَ بِالْبَذْلِ فِي الْحَقِّ فَفِيمَ احْتِجَابُكَ مِنْ وَاجِبِ حَقٍّ تُعْطِيهِ؟ أَوْ فِعْلٍ كَرِيمٍ تُسْدِيهِ، أَوْ مُبْتَلًى بِالْمَنْعِ فَمَا أَسْرَعَ كَفَّ النَّاسِ عَنْ مَسْأَلَتِكَ إِذَا أَيِسُوا مِنْ بَذْلِكَ مَعَ أَنَّ أَكْثَرَ حَاجَاتِ النَّاسِ إِلَيْكَ مِمَّا لَامَؤُونَةَ فِيهِ عَلَيْكَ مِنْ شَكَاةِ مَظْلَمَةٍ أَوْ طَلَبِ إِنْصَافٍ فِي مُعَامَلَةٍ.

ثُمَّ إِنَّ لِلْوَالِي خَاصَّةً وَبِطَانَةً فِيهِمُ اسْتِئْثَارٌ، وَتَطَاوُلٌ، وَقِلَّةُ إِنْصَافٍ فِي مُعَامَلَةٍ فَاحْسِمْ مَادَّةَ أُولٰئِكَ بِقَطْعِ أَسْبَابِ تِلْكَ الْأَحْوَالِ وَلَا تُقْطِعَنَّ لِأَحَدٍ مِنْ حَاشِيَتِكَ وَحَامَّتِكَ قَطِيعَةً وَلَايَطْمَعَنَّ مِنْكَ فِي اعْتِقَادِ عُقْدَةٍ تَضُرُّ بِمَنْ يَلِيهَا مِنَ النَّاسِ فِي شِرْبٍ أَوْ عَمَلٍ مُشْتَرَكٍ يَحْمِلُونَ مَؤُونَتَهُ عَلَى غَيْرِهِمْ فَيَكُونَ مَهْنَأُ ذٰلِكَ لَهُمْ دُونَكَ وَعَيْبُهُ عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

---

١ ـ الجامع الصغير ٩٦/٢.

وَأَلْزِمِ الْحَقَّ مَنْ لَزِمَهُ مِنَ الْقَرِيبِ والبَعِيدِ، وَكُنْ فِي ذٰلِكَ صَابِرًا مُحْتَسِبًا، وَاقِعًا ذٰلِكَ مِنْ قَرَابَتِكَ وَخَاصَّتِكَ حَيْثُ وَقَعَ؛ وَ ٱبْتَغِ عَاقِبَتَهُ بِمَا يَثْقُلُ عَلَيْكَ مِنْهُ؛ فَإِنَّ مَغَبَّةَ ذٰلِكَ مَحْمُودَةٌ.

وَ إِنْ ظَنَّتِ الرَّعِيَّةُ بِكَ حَيْفًا فَأَصْحِرْ لَهُمْ بِعُذْرِكَ، وَ ٱعْدِلْ عَنْكَ ظُنُونَهُمْ بِإِصْحَارِكَ؛ فَإِنَّ فِي ذٰلِكَ رِيَاضَةً مِنْكَ لِنَفْسِكَ، وَرِفْقاً بِرَعِيَّتِكَ، وَ إِعْذَارًا تَبْلُغُ بِهِ حَاجَتَكَ مِنْ تَقْوِيمِهِمْ عَلَى الْحَقِّ.

وَلَا تَدْفَعَنَّ صُلْحًا دَعَاكَ إِلَيْهِ عَدُوُّكَ وَلِلّٰهِ فِيهِ رِضًى؛ فَإِنَّ فِي الصُّلْحِ دَعَةً لِجُنُودِكَ وَرَاحَةً مِنْ هُمُومِكَ، وَ أَمْنًا لِبِلَادِكَ، وَلٰكِنِ الْحَذَرَ كُلَّ الْحَذَرِ مِنْ عَدُوِّكَ بَعْدَ صُلْحِهِ؛ فَإِنَّ الْعَدُوَّ رُبَّمَا قَارَبَ لِيَتَغَفَّلَ؛ فَخُذْ بِالْحَزْمِ، وَ ٱتَّهِمْ فِي ذٰلِكَ حُسْنَ الظَّنِّ. وَ إِنْ عَقَدْتَ بَيْنَكَ وَ بَيْنَ عَدُوِّكَ عُقْدَةً أَوْ أَلْبَسْتَهُ مِنْكَ ذِمَّةً؛ فَحُطْ عَهْدَكَ بِالْوَفَاءِ، وَ ٱرْعَ ذِمَّتَكَ بِالْأَمَانَةِ، وَ ٱجْعَلْ نَفْسَكَ جُنَّةً دُونَ مَا أَعْطَيْتَ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ فَرَائِضِ ٱللهِ شَيْءٌ النَّاسُ أَشَدُّ عَلَيْهِ ٱجْتِمَاعًا مَعَ تَفَرُّقِ أَهْوَائِهِمْ وَ تَشَتُّتِ آرَائِهِمْ مِنْ تَعْظِيمِ الْوَفَاءِ بِالْعُهُودِ وَقَدْ لَزِمَ ذٰلِكَ الْمُشْرِكُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ دُونَ الْمُسْلِمِينَ لِمَا ٱسْتَوْبَلُوا مِنْ عَوَاقِبِ الْغَدْرِ؛ فَلَا تَغْدِرَنَّ بِذِمَّتِكَ وَلَا تَخِيسَنَّ بِعَهْدِكَ وَلَا تَخْتِلَنَّ عَدُوَّكَ؛ فَإِنَّهُ لَا يَجْتَرِئُ عَلَى ٱللهِ إِلَّا جَاهِلٌ شَقِيٌّ. وَقَدْ جَعَلَ ٱللهُ عَهْدَهُ وَ ذِمَّتَهُ أَمْنًا أَفْضَاهُ بَيْنَ الْعِبَادِ بِرَحْمَتِهِ، وَحَرِيمًا يَسْكُنُونَ إِلَى مَنَعَتِهِ، وَيَسْتَفِيضُونَ إِلَى جِوَارِهِ؛ فَلَا إِدْغَالَ وَلَا مُدَالَسَةَ وَلَا خِدَاعَ فِيهِ، وَلَا تَعْقِدْ عَقْدًا تُجَوِّزُ فِيهِ الْعِلَلَ، وَلَا تُعَوِّلَنَّ عَلَى لَحْنِ قَوْلٍ بَعْدَ التَّأْكِيدِ وَالتَّوْثِقَةِ، وَلَا يَدْعُوَنَّكَ ضِيقُ أَمْرٍ لَزِمَكَ فِيهِ عَهْدُ ٱللهِ إِلَى طَلَبِ انْفِسَاخِهِ بِغَيْرِ الْحَقِّ؛ فَإِنَّ صَبْرَكَ عَلَى ضِيقِ أَمْرٍ تَرْجُو انْفِرَاجَهُ وَ فَضْلَ عَاقِبَتِهِ خَيْرٌ مِنْ غَدْرٍ تَخَافُ تَبِعَتَهُ، وَ أَنْ تُحِيطَ بِكَ مِنَ ٱللهِ فِيهِ طِلْبَةٌ، فَلَا تَسْتَقِيلُ فِيهَا دُنْيَاكَ وَلَا آخِرَتَكَ.

إِيَّاكَ وَالدِّمَاءَ وَسَفْكَهَا بِغَيْرِ حِلِّهَا؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ أَدْنَى لِنِقْمَةٍ، وَلَا أَعْظَمَ لِتَبِعَةٍ، وَلَا أَحْرَى بِزَوَالِ نِعْمَةٍ وَانْقِطَاعِ مُدَّةٍ؛ مِنْ سَفْكِ الدِّمَاءِ بِغَيْرِ حَقِّهَا، وَٱللهُ سُبْحَانَهُ مُبْتَدِئٌ بِالْحُكْمِ بَيْنَ الْعِبَادِ فِيمَا تَسَافَكُوا مِنَ الدِّمَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَلَا تُقَوِّيَنَّ سُلْطَانَكَ بِسَفْكِ دَمٍ حَرَامٍ؛ فَإِنَّ ذٰلِكَ مِمَّا يُضْعِفُهُ وَيُوهِنُهُ بَلْ يُزِيلُهُ وَيَنْقُلُهُ، وَلَا عُذْرَ لَكَ عِنْدَ ٱللهِ وَلَا عِنْدِي فِي قَتْلِ الْعَمْدِ؛ لِأَنَّ فِيهِ قَوَدَ الْبَدَنِ، وَ إِنِ ٱبْتُلِيتَ بِخَطَاءٍ وَ أَفْرَطَ عَلَيْكَ سَوْطُكَ أَوْ سَيْفُكَ أَوْ يَدُكَ بِعُقُوبَةٍ؛ فَإِنَّ فِي الْوَكْزَةِ فَمَا فَوْقَهَا مَقْتَلَةً، فَلَا تَطْمَحَنَّ بِكَ نَخْوَةُ سُلْطَانِكَ عَنْ أَنْ تُؤَدِّيَ إِلَى أَوْلِيَاءِ الْمَقْتُولِ حَقَّهُمْ.

وَ إِيَّاكَ وَالْإِعْجَابَ بِنَفْسِكَ، وَالثِّقَةَ بِمَا يُعْجِبُكَ مِنْهَا، وَ حُبَّ الْأَطْرَاءِ، فَإِنَّ ذٰلِكَ مِنْ أَوْثَقِ فُرَصِ الشَّيْطَانِ فِي نَفْسِهِ لِيَمْحَقَ مَا يَكُونُ مِنْ إِحْسَانِ الْمُحْسِنِينَ.

وَ إِيَّاكَ وَالْمَنَّ عَلَى رَعِيَّتِكَ بِإِحْسَانِكَ، أَوِ التَّزَيُّدَ فِيمَا كَانَ مِنْ فِعْلِكَ أَوْ أَنْ تَعِدَهُمْ فَتُتْبِعَ مَوْعُودَكَ بِخُلْفِكَ، فَإِنَّ الْمَنَّ يُبْطِلُ الاحْسَانَ، وَالتَّزَيُّدَ يَذْهَبُ بِنُورِ الْحَقِّ، وَالْخُلْفَ يُوجِبُ الْمَقْتَ عِنْدَاللهِ وَالنَّاسِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: (كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَاللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَاتَفْعَلُونَ)[1].

وَ إِيَّاكَ وَالْعَجَلَةَ بِالْأُمُورِ قَبْلَ أَوَانِهَا، أَوِالتَّسَقُّطَ فِيهَا عِنْدَ إِمْكَانِهَا، أَوِ اللَّجَاجَةَ فِيهَا إِذَا تَنَكَّرَتْ، أَوِ الْوَهْنَ عَنْهَا إِذَا اسْتَوْضَحَتْ. فَضَعْ كُلَّ أَمْرٍ مَوْضِعَهُ، وَ أَوْقِعْ كُلَّ عَمَلٍ مَوْقِعَهُ.

وَ إِيَّاكَ وَالِاسْتِئْثَارَ بِمَا النَّاسُ فِيهِ أُسْوَةٌ، وَالتَّغَابِيَ عَمَّا تُعْنَى بِهِ مِمَّا قَدْ وَضَحَ لِلْعُيُونِ؛ فَإِنَّهُ مَأْخُوذٌ مِنْكَ لِغَيْرِكَ؛ وَ عَمَّا قَلِيلٍ تَنْكَشِفُ عَنْكَ أَغْطِيَةُ الْأُمُورِ، وَ يُنْتَصَفُ مِنْكَ لِلْمَظْلُومِ؛ إِمْلِكْ حَمِيَّةَ أَنْفِكَ، وَ سَوْرَةَ حَدِّكَ، وَ سَطْوَةَ يَدِكَ، وَ غَرْبَ لِسَانِكَ؛ وَ احْتَرِسْ مِنْ كُلِّ ذٰلِكَ بِكَفِّ الْبَادِرَةِ، وَ تَأْخِيرِ السَّطْوَةِ، حَتَّى يَسْكُنَ غَضَبُكَ فَتَمْلِكَ الِاخْتِيَارَ، وَ لَنْ تُحْكِمَ ذٰلِكَ مِنْ نَفْسِكَ حَتَّى تُكْثِرَ هُمُومَكَ بِذِكْرِ الْمَعَادِ إِلَى رَبِّكَ.

وَالْوَاجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَتَذَكَّرَ مَا مَضَى لِمَنْ تَقَدَّمَكَ مِنْ حُكُومَةٍ عَادِلَةٍ، أَوْ سُنَّةٍ فَاضِلَةٍ، أَوْ أَثَرٍ عَنْ نَبِيِّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَسَلَّمَ، أَوْ فَرِيضَةٍ فِي كِتَابِ اللهِ، فَتَقْتَدِيَ بِمَا شَاهَدْتَ مِمَّا عَمِلْنَا بِهِ فِيهَا، وَ تَجْتَهِدَ لِنَفْسِكَ فِي اتِّبَاعِ مَا عَهِدْتُ إِلَيْكَ فِي عَهْدِي هٰذَا، وَ اسْتَوْثَقْتُ بِهِ مِنَ الْحُجَّةِ لِنَفْسِي عَلَيْكَ؛ لِكَيْلَا تَكُونَ لَكَ عِلَّةٌ عِنْدَ تَسَرُّعِ نَفْسِكَ إِلَى هَوَاهَا.

وَ أَنَا أَسْأَلُ اللهَ بِسَعَةِ رَحْمَتِهِ، وَ عَظِيمِ قُدْرَتِهِ عَلَى إِعْطَاءِ كُلِّ رَغْبَةٍ، أَنْ يُوَفِّقَنِي وَإِيَّاكَ لِمَا فِيهِ رِضَاهُ مِنَ الْإِقَامَةِ عَلَى الْعُذْرِ الْوَاضِحِ إِلَيْهِ وَ إِلَى خَلْقِهِ، مَعَ حُسْنِ الثَّنَاءِ فِي الْعِبَادِ، وَجَمِيلِ الْأَثَرِ فِي الْبِلَادِ، وَ تَمَامِ النِّعْمَةِ، وَ تَضْعِيفِ الْكَرَامَةِ، وَ أَنْ يَخْتِمَ لِي وَ لَكَ بِالسَّعَادَةِ وَالشَّهَادَةِ، إِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ. وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ، وَ سَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

الشَّرَط: العلامة، و سُمّي الشرطة بذلك، لأعلامهم أنفسَهُم بعلامة يعرفون بها. والتقديس: التطهير. والخُرق العنف في القول و هو: ضدّ الرفق. والضيق: سوء الخلق. و أكناف رحمته: جوانبها و امور مبتدأ قدّم خبره أي ثمّ هناك امور. و كنّى بحرجٍ صدورَ

١ ـ سورة الصف، ٣/.

اعوانه: عن عجزهم عن اصدار ما يرد عليهم. وأُجزلْ: أَعظمْ. والجزل: العظيم. و قوله وان كانت كلّهالله،الى قوله والرّعية: اشارة الى حسن التدبير فى الولاية عن الامام الحق بعباده. و منفّرًا أى: يطوّل الصلاة. والضمير فى منهم: للولاة. و قوله فيصغر، الى قوله: القبيح: اشارة الى المفاسد اللازمة من الأحتجاب. والضمير فى عندهم: للرعيّة. و صَغُرَالامرُ الكبيرُ: كانَ يظلمُ القوىَ فيُصَغِّرالناس حرمتَهُ، و كبر الضعيف كان يقع من بعض الضعفاء صغيرة فيعظمها الناس، و كذلك قبح الحسن، و حسن القبيح. والسمات: العلامات. و تلك الأحوال، اشارة الى الاستيثار والتطوّل و قلة الانصاف[1]. والحسم: القطع و اسباب تلك الاحوال هو: كما اشار اليه ونهاه عنه من اقطاع القطائع لحاشيته و خاصّتهِ و هى قرابته. و اعتقاد: العقد، و كنى بها عمّا يُقْتَنى من الضياع. والعقدة: الضيعة، والمكان كثير الشجر والنخل. و اعتقد الضيعة: اقتناها. و من لزمه أى: الحق. و محتسبًا اى: متقرّبا به الى الله تعالى. و قوله: واقعا ذلك ، اى: الزام الحق، و حيث وقع اى: من سُخطٍ او رضىً منهم، و عاقبته: هو ثواب الآخرة والذكر الجميل[2].

و مغبّة ذلك: عاقبته المذكورة.وأصحر:اظهر.والدّعة: الراحة.ولّما استوبلوا، اى:لما وجدوه من الوبال فى عاقبة الغدر، و هو وَخَمها وسوءَها. و خاس بالعهد: نَقَضَهُ. والختل: الخداع، و نبّه على انّ الخداع بالمعاهدة والعذر بها جُرأةٌ على الله يستلزم الشقاوة، بقوله: فانّه الى قوله: شقى، و فيه: تنبيه على ضمير تقدير صغراه فانّك بذلك مُجترٍعلى الله و تقدير كبراه، و كلّ مجتر على الله تلزمهُ الشقاوةُ الأخروية. و افضا: وسَعَهُ وَبَسطهُ. و يستفيضون: يندفعون الى جواره و لزومه. والادغال: الافساد. والمدالسة: مفاعلة من التدليس. والعلل:الاحداث المفسدة للعهود و نحوها. و لحن القول: كالتورية، و التعرض فيه. كما ادّعاه طلحة فى بيعته لعليّ عليه السلام. و لا يستقبل و يتلقى الّا الخير، و رُوىَ يستقيل بالياء اى: لا يكون لك من تلك البيعة اقالة في الدنيا والآخرة.وأحرى: أولى. والقود: قتل القاتل بالمقتول. و أُفرطَ: سبق. والوكزة: مثل الضربة بجمع اليد على الذقن. و لا يطمحن اى: لا ترتفع. والفرصة: امكان الشئ من نفسه. والتزيد: اِظهارُ

١ ـ في ش: الانتصاف.

٢ ـ من كلمة قوله، الى آخرالسطر غير موجود في نسخة ش.

الزيادة مع عدمها في معرض الافتخار، ونفرعن المنّ، و التزيد، والخلف: بضمائر ثلاثة و تقدير كبرياتها، و كلّ ما كان كذلك فلايجوز فعله، و نبّه على صغرى الثالث، وهي قوله: الخلف، الى قوله: الناس، ضمير صغراه قوله: فان الله سبحانه. الى قوله تفعلون. و قولهم مالا يفعلون هوالخلف، و تقدير كبراه و كلّ ما وعدالله المقت على فعله، اوجب فعله المقت عنده و عندالناس. والعجلة في الامور قبل أوانها. واللجاجة في طلبها اذا تنكّرت اى: لم يُعرف وجه تحصيلها. و تعسّرت: هو طرف الافراط في طلبها، والتساقط فيها والقعود عنها عند امكانها، والوهن عنها عند وضوحها. وضع كل أمر موضعه. و اسوة اى: سوآء.التغابى: التغافل. و يعنى به اى: ما ينبغى العناية به من ردالمظالم الواقعة منك او بسببك. و اشار باغطية الامور: الى غطاء البدن، و هيئته الحاجبة لحقائق الأمور: ان يدركها بعين بصيرته. وحميّة الانف: الغضب والأنفَه. و سورة حدته: غضبه و بأسه. و غرب اللسان: حدّته. والبادرة: سرعة السطوة والعقوبة. والعلّة: التعلّل بما يشبه الغدر.

و اعلم انّ مقاصد هذا العهد واضحة بيّنة و لا مزيد علىٰ ما اودعه عليه السلام من الحكمة الخلقية والمدنية والسياسية، و كمالات القوّة العملية التي ورثها الأنبياء والمرسلون أوصياءهم، والحكماء السابقون من بعدهم، وكفى بذلك شرفا وفضلا.و بالله التوفيق.

٥٣ ـ وَمِنْ كِتابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

إلى طلحة والزبير، مع عمران بن الحصين الخزاعى ذكره أبوجعفر الاسكافى في كتاب المقامات في مناقب أميرالمؤمنين عليه السلام

أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ عَلِمْتُمَا وَإِنْ كَتَمْتُمَا أَنّى لَمْ أُرِدِالنَّاسَ حَتَّى أَرَادُونِى، وَلَمْ أُبَايِعْهُمْ حَتَّى بَايَعُونِى، وَإِنَّكُمَا مِمَّنْ أَرَادَنِى وَبَايَعَنى، وَإِنَّ الْعَامَّةَ لَمْ تُبَايِعْنِى لِسُلْطَانٍ غَالِبٍ، وَلَا لِعَرَضٍ حَاضِرٍ، فَإِنْ كُنْتُمَا بَايَعْتُمَانِى طَائِعَيْنِ فَارْجِعَا وَتُوبَا إِلَى اللهِ مِنْ قَرِيبٍ، وَإِنْ كُنْتُمَا بَايَعْتُمَانِى كَارِهَيْنِ فَقَدْ جَعَلْتُمَا لِى عَلَيْكُمَا السَّبِيلَ بِإِظْهَارِكُمَا الطَّاعَةَ، وَإِسْرَارِكُمَا الْمَعْصِيَةَ. وَلَعَمْرِى مَاكُنْتُمَا بِأَحَقِّ الْمُهَاجِرِينَ بِالتَّقِيَّةِ وَالْكِتْمَانِ، وَإِنَّ دَفْعَكُمَا هَذَا الْأَمْرَ [مِنْ] قَبْلِ أَنْ تَدْخُلا فِيهِ كَانَ أَوْسَعَ عَلَيْكُمَا مِنْ خُرُوجِكُمَا مِنْهُ بَعْدَ إِقْرَارِكُمَا بِهِ.

وَقَدْ زَعَمْتُمَا أَنِّي قَتَلْتُ عُثْمَانَ، فَبَيْنِي وَبَيْنَكُمَا مَنْ تَخَلَّفَ عَنِّي وَعَنْكُمَا مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ؛ ثُمَّ يُلْزَمُ كُلُّ آمْرِىءٍ بِقَدْرِ مَا آحْتَمَلَ. فَارْجِعَا أَيُّهَا الشَّيْخَانِ عَنْ رَأْيِكُمَا، فَإِنَّ الآنَ أَعْظَمُ أَمْرِكُمَا الْعَارُ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يَجْتَمِعَ الْعَارُ وَالنَّارُ.

اقول: خزاعة: قبيلة من الازد. والاسكافي: منسوب الى اسكاف[1] رستاق كبير كان بين النهروان والبصرة. و كتاب المقامات: الذى صَنَّفَهُ الشيخ المذكور فى مناقب اميرالمؤمنين عليه السلام[2]. و قوله: ثم يُلْزَمُ كُلُّ امرئٍ أى: من اللّائمة والعار بقدر ما احتمل من الا ثم والغدر. والعربُ تُعيّر بالغدرِ و نقضِ العهدِ كثيراً. والمعنى ظاهر، و بالله التوفيق.

٥٤ ـ وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

إلى معاوية

أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ آللهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ الدُّنْيَا لِمَا بَعْدَهَا، وَابْتَلَى فِيهَا أَهْلَهَا؛ لِيَعْلَمَ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً، وَلَسْنَا لِلدُّنْيَا خُلِقْنَا، وَلَا بِالسَّعْيِ فِيهَا أُمِرْنَا، وَإِنَّمَا وُضِعْنَا فِيهَا لِنُبْتَلَى بِهَا، وَقَدِ ابْتَلَانِي آللهُ بِكَ وَابْتَلَاكَ بِي: فَجَعَلَ أَحَدَنَا حُجَّةً عَلَى الآخَرِ، فَعَدَوْتَ عَلَى طَلَبِ الدُّنْيَا بِتَأْوِيلِ الْقُرْآنِ، فَطَلَبْتَنِي بِمَا لَمْ تَجْنِ يَدِي وَلَا لِسَانِي، وَعَصَبْتَهُ أَنْتَ وَأَهْلُ الشَّامِ بِي، وَأَلَّبَ عَالِمُكُمْ جَاهِلَكُمْ وَقَائِمُكُمْ قَاعِدَكُمْ، فَاتَّقِ آللهَ فِي نَفْسِكَ، وَنَازِعِ الشَّيْطَانَ قِيَادَكَ، وَآصْرِفْ إِلَى الآخِرَةِ وَجْهَكَ فَهِيَ طَرِيقُنَا وَطَرِيقُكَ، وَآحْذَرْ أَنْ يُصِيبَكَ آللهُ مِنْهُ بِعَاجِلِ قَارِعَةٍ تَمَسُّ الْأَصْلَ، وَتَقْطَعُ الدَّابِرَ؛ فَإِنِّي أُولِي لَكَ بِاللهِ أَلِيَّةً غَيْرَ فَاجِرَةٍ: لَئِنْ جَمَعَتْنِي وَإِيَّاكَ جَوَامِعُ الْأَقْدَارِ لَا أَزَالُ بِبَاحَتِكَ (حَتَّى يَحْكُمَ آللهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ)[3].

اقول: اراد بالسعي فيها: السّعي المذموم فى طلبها لنفسها، و قد سَبَقَ مَعْنَى ابتلاء

---

١ ـ معجم البلدان ١/ ١٨١.

٢ ـ فهرست ابن النديم / ٢١٣.

٣ ـ سورة الاعراف / ٨٧.

لعباده. و وجه كونه عليه السلام، حجّةً على معاوية: دعائه اياه الى طاعة الله، و ذلك حجّة الله عليه ان يقول يوم القيامة انى كنت من الغافلين. و وجه كون معاوية حجّةً عليه: عصيانه لله و محاربته ايّاه، حتى لو قصّر فى مقاومته كان ملوماً، فكان معاوية حجّة الله على تقصيره فى طاعته: و عدوت: يحتمل ان يكون من العدو فهو الجرى، او من العدوان، و تأويل القرآن كقوله تعالى: (يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى)[1] و تأويله لذلك: بإدخال نفسه فيه و طلب القصاص لعثمان، وانما دخل بالتأويل: لان الخطاب خاص ممن قتل، وقتل منه، و معاوية بمعزلٍ عن ذلك، اذا لم يكن ولىّ دمه فتأول الآية بالعموم: ليدخل فيها. و ما لم تجن يدى، اى: من القتل والمشاركة فيه. وعصبته: علقته. والتأليب: التحريض. والقارعة: الداهية. والدابر المتأخّر: من النسل. والاليّة: اليمين. و باحة الدار: ساحتها. و فى وعيده بعدم انفكاكه عنه الى الغاية المذكورة بلاغ فى التخويف والانذار.

٥٥ - وَمِنْ وَصِيَّةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

وَصّىٰ بها شُرَيحَ بن هانى[2]، لما جَعَلَهُ علىٰ مُقَدِّمَتِهِ إلى الشام

اتَّقِ اللهَ فِي كُلِّ صَبَاحٍ وَمَسَاءٍ، وَخَفْ عَلَى نَفْسِكَ الدُّنْيَا الْغَرُورَ، وَلَا تَأْمَنْهَا عَلَى حَالٍ، وَاعْلَمْ أَنَّكَ إِنْ لَمْ تَرْدَعْ نَفْسَكَ عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا تُحِبُّ مَخَافَةَ مكروهِهِ سَمَتْ بِكَ الْأَهْوَاءُ إِلَى كَثِيرٍ مِنَ الضَّرَرِ. فَكُنْ لِنَفْسِكَ مَانِعًا رَادِعًا، وَلِنَزْوَتِكَ عِنْدَ الْحَفِيظَةِ وَاقِمًا قَامِعًا.

اقول: لا تأمنها على حال اى: تركن اليها البتّة، لانّها غرور و نفسه التى أمر بكفّها: الامارة بالسوء. والنزوة: الوثبة. والحفيظة: الغضب. والرادع: الذى يردّ الشئ أقبح الرد. والوقم: القهر والاذلال. و كذلك القمع.

---

١ - سورة البقرة / ١٧٨.

٢ - شريح بن هاني بن يزيد الحارثي الهمداني قتل في سجستان سنة ٧٨هـ.

٥٦ - وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

إلى أهل الكوفة، عند مسيره من المدينة إلى البصرة

أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنِّي خَرَجْتُ مِنْ حَيِّ هٰذَا، إِمَّا ظَالِمًا، وَإِمَّا مَظْلُومًا، وَإِمَّا بَاغِيًا وَإِمَّا مَبْغِيًّا عَلَيْهِ، وَإِنِّي أُذَكِّرُ ٱللهَ مَنْ بَلَغَهُ كِتَابِي هٰذا، لَمَّا نَفَرَ إِلَيَّ؛ فَإِنْ كُنْتُ مُحْسِنًا أَعَانَنِي، وَإِنْ كُنْتُ مُسِيئاً اسْتَعْتَبَنِي.

اقول: الحيّ: القبيلة، و قوله: إمّا ظالماً، الى قوله عليه: من باب تجاهل العارف، او لأن اهل الكوفة لـم يكـن بعد ظهرت لهم القضّية ليعرفوا الظالم من المظلوم و من بلغه: مفعول اول لا ذكر اخّر لطوله. و لمّا مشددة: بمعنى الاّ،ومخفّفه هي«ما» زائدة دخل عليها لام التاكيد، اى: لينفرنّ الي. و بالله التوفيق.

٥٧ - وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

كتبه إلى أهل الأمصار، يقتصّ فيه ماجرى بينه وبين أهل صفين

وَكَانَ بَدْءُ أَمْرِنَا أَنَّا الْتَقَيْنَا وَالْقَوْمُ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ؛ وَالظَّاهِرُ أَنَّ رَبَّنَا وَاحِدٌ، وَنَبِيَّنَا وَاحِدٌ، وَدَعْوَتَنَا فِي الْإِسْلَامِ وَاحِدَةٌ، وَلَانَسْتَزِيدُهُمْ فِي الْإِيمَانِ بِاللهِ وَالتَّصْدِيقِ بِرَسُولِهِ وَلَايَسْتَزِيدُونَنَا: الْأَمْرُ وَاحِدٌ إِلَّا مَا ٱخْتَلَفْنَا فِيهِ مِنْ دَمِ عُثْمَانَ، وَنَحْنُ مِنْهُ بَرَاءٌ! فَقُلْنَا: تَعَالَوْا نُدَاوِ مَالَا يُدْرَكُ الْيَوْمَ بِإِطْفَاءِ النَّائِرَةِ، وَتَسْكِينِ الْعَامَّةِ، حَتَّى يَشْتَدَّ الْأَمْرُ وَيَسْتَجْمِعَ فَنَقْوَى عَلَى وَضْعِ الْحَقِّ مَوَاضِعَهُ، فَقَالُوا: بَلْ نُدَاوِيهِ بِالْمُكَابَرَةِ! فَأَبَوْا حَتَّى جَنَحَتِ الْحَرْبُ وَرَكَدَتْ، وَوَقَدَتْ نِيرَانُهَا وَحَمِسَتْ. فَلَمَّا ضَرَّسَتْنَا وَإِيَّاهُمْ، وَوَضَعَتْ مَخَالِبَهَا فِينَا وَفِيهِمْ، أَجَابُوا عِنْدَ ذٰلِكَ إِلَى الَّذِي دَعَوْنَاهُمْ إِلَيْهِ، فَأَجَبْنَاهُمْ إِلَى مَا دَعَوْا، وَسَارَعْنَاهُمْ إِلَى مَاطَلَبُوا، حَتَّى ٱسْتَبَانَتْ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةُ، وَٱنْقَطَعَتْ مِنْهُمُ الْمَعْذِرَةُ. فَمَنْ تَمَّ عَلَى ذٰلِكَ مِنْهُمْ فَهُوَ الَّذِي أَنْقَذَهُ ٱللهُ مِنَ الْهَلَكَةِ، وَمَنْ لَجَّ وَتَمَادَى فَهُوَ الرَّاكِسُ الَّذِي رَانَ ٱللهُ عَلَى قَلْبِهِ، وَصَارَتْ دَائِرَةُ السَّوْءِ عَلَى رَأْسِهِ.

اقول: يروى بدء امرنا اى: مبتدأه. والثائرة: العداوة. و قوله: فقلنا، الى قوله مواضعه: كناية عن دعائه لهم الى حقن الدماء بترك الحرب. و قوله: فقالوا الى قوله المكابرة: كناية عن إبائهم و مخالفتهم له. وجنحت: مالت. وركدت: ثبتت. و حمست: اشتدّت. و روى بالشين المعجمة اى: التهبت غضباً. و اجابتهم الى ما دعاهم اليه طلبهم للصلح، و حقن الدماء: صبيحة ليلة الهرير كما سبق، و اجابته لهم فى رضاه: بالتحكيم و ظهور الحجّة عليهم، برجوعهم الى عين ما كان يدعوهم اليه من حقن الدماء، و فى ذلك انقطاع عذرهم: فى المطالبة بدم عثمان، اذ كان سكوتهم عن دم صحابىّ لا حق لهم فيه، اسهل من سفك دماء سبعين الفاً من المهاجرين والانصار والتابعين باحسان. و من تمّ على ذلك اى: على الصلح والرضا به، فهو الذى انقذه الله اى: اخلصه من الهلكة. و من لجّ اى: فى انكار الصلح، و تحكيم كتاب الله و تمادى فى ذلك اى: اقام عليه، و هم الخوارج، و استعار لهم لفظ الراكس، و هو: المردود مقلوباً باعتبار انتكاس عقولهم، فى ظلمة الجهل، والشبه الباطلة، بعد استنارتها و ظهورها بنورالايمان او انتكاسهم فى العقوبة، والقتل فى الدنيا، والعذاب فى الآخرة كقوله تعالى: (والله أركسهم بما كسبوا)[1] اى ردّهم الى عقوبة كفرهم.

٥٨ - وَمِنْ كِتابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

إلى الأسود بن قطيبة صاحب جند حلوان

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الْوَالِيَ إِذَا اخْتَلَفَ هَوَاهُ مَنَعَهُ ذٰلِكَ كَثِيراً مِنَ الْعَدْلِ، فَلْيَكُنْ أَمْرُ النَّاسِ عِنْدَكَ فِي الْحَقِّ سَوَاءً؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ فِي الْجَوْرِ عِوَضٌ مِنَ الْعَدْلِ، فَاجْتَنِبْ مَا تُنْكِرُ أَمْثَالَهُ، وَابْتَذِلْ نَفْسَكَ فِيمَا افْتَرَضَ اللهُ عَلَيْكَ رَاجِيًا ثَوَابَهُ، وَمُتَخَوِّفًا عِقَابَهُ.

وَاعْلَمْ أَنَّ الدُّنْيَا دَارُ بَلِيَّةٍ لَمْ يَفْرُغْ صَاحِبُهَا فِيهَا قَطُّ سَاعَةً إِلَّا كَانَتْ فَرْغَتُهُ عَلَيْهِ حَسْرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَنَّهُ لَنْ يُغْنِيَكَ عَنِ الْحَقِّ شَيْءٌ أَبَدًا، وَمِنَ الْحَقِّ عَلَيْكَ حِفْظُ نَفْسِكَ؛ وَالاحْتِسَابُ عَلَى الرَّعِيَّةِ بِجُهْدِكَ، فَإِنَّ الَّذِي يَصِلُ إِلَيْكَ مِنْ ذٰلِكَ أَفْضَلُ مِنَ الَّذِي يَصِلُ بِكَ، وَالسَّلَامُ.

---

[1] ـ سورة النساء / ٨٨.

اقول: ما تنكر امثاله: من غيرك، و لم يفرغ اى: من العمل فى طاعة الله و حفظ نفسك اى: فى الآخرة. و الإحتساب على الرعية اى: بالأخذ على أيديهم فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر. وقوله: فان الّذى الى آخره: صغرى ضمير نبّه به على وجوب الاحتساب، والمعنى، الذى يصل اليك من ثواب العمل بذلك: افضل ممّا يصل الى الرعيّة من عدلك، و احسانك اليهم.

٥٩ - وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام
إلى العمال الذين يَطَأُ الجيشُ عَمَلَهُمْ

مِنْ عَبْدِ ٱللهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مَنْ مَرَّ بِهِ الْجَيْشُ مِنْ جُبَاةِ الْخَرَاجِ وَعُمَّالِ الْبِلَادِ.

أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنِّي قَدْ سَيَّرْتُ جُنُودًا هِيَ مَارَّةٌ بِكُمْ إِنْ شَاءَ ٱللهُ، وَقَدْ أَوْصَيْتُهُمْ بِمَا يَجِبُ للهِ عَلَيْهِمْ مِنْ كَفِّ الْأَذَى وَصَرْفِ الشَّذَى، وَأَنَا أَبْرَأُ إِلَيْكُمْ وَ إِلَى ذِمَّتِكُمْ مِنْ مَعَرَّةِ الْجَيْشِ إِلَّا مِنْ جَوْعَةِ الْمُضْطَرِّ لَايَجِدُ عَنْهَا مَذْهَبًا إِلَى شِبَعِهِ فَنَكِّلُوا مَنْ تَنَاوَلَ مِنْهُمْ شَيْئًا ظُلْمًا عَنْ ظُلْمِهِمْ، وَكُفُّوا أَيْدِيَ سُفَهَائِكُمْ عَنْ مُضَادَّتِهِمْ وَالتَّعَرُّضِ لَهُمْ فِيمَا ٱسْتَثْنَيْنَاهُ مِنْهُمْ، وَأَنَا بَيْنَ أَظْهُرِ الْجَيْشِ؛ فَارْفَعُوا إِلَيَّ مَظَالِمَكُمْ وَمَا عَرَاكُمْ مِمَّا يَغْلِبُكُمْ مِنْ أَمْرِهِمْ، وَلَا تُطِيقُونَ دَفْعَهُ إِلَّا بِاللهِ وَبِي، فَأَنَا أُغَيِّرُهُ بِمَعُونَةِ ٱللهِ تَعَالَى؛ إِنْ شَاءَ ٱللهُ.

أقول: الشذى: الشر[1] و معرّة الجيش: مضرّته. و نكّلوا: جبّنوا و خوّفوا، و ما استثناه منهم هو جَوْعَةُ المضطرّ. و كونه بين اظهر الجيش: كناية عن كونه مرجعًا لهم. و عراكم: غشيكم.

---

١ - في ش: الشرة.

٦٠ ـ وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

إلى كميل بن زياد النخعي، وهو عامِلُهُ على هيت، يُنْكِرُ عليهِ تَرْكَهُ دَفْعَ مَنْ يَجْتازُ بِهِ مِنْ جَيْشِ العَدُوِّ طالِباً الغارَةَ

أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ تَضْيِيعَ الْمَرْءِ مَا وُلِّيَ، وَتَكَلُّفَهُ مَا كُفِيَ، لَعَجْزٌ حَاضِرٌ، وَرَأْيٌ مُتَبَّرٌ. وَإِنَّ تَعَاطِيَكَ الْغَارَةَ عَلَى أَهْلِ قِرْقِيسِيَا، وَتَعْطِيلَكَ مَسَالِحَكَ الَّتِي وَلَّيْنَاكَ، لَيْسَ بِهَا مَنْ يَمْنَعُهَا وَلَا يَرُدُّ الْجَيْشَ عَنْهَا، لَرَأْيٌ شَعَاعٌ؛ فَقَدْ صِرْتَ جِسْرًا لِمَنْ أَرَادَ الْغَارَةَ مِنْ أَعْدَائِكَ عَلَى أَوْلِيَائِكَ غَيْرَ شَدِيدِ الْمَنْكِبِ وَلَا مَهِيبِ الْجَانِبِ، وَلَا سَادٍّ ثُغْرَةً، وَلَا كَاسِرٍ شَوْكَةً، وَلَا مُغْنٍ عَنْ أَهْلِ مِصْرِهِ، وَلَا مُجْزٍ عَنْ أَمِيرِهِ وَالسَّلَامُ.

اقول: المتبّر: الهالك الفاسد. والشعاع: المتفرّق و استعار له لفظ الجسر باعتبار عبور العدوّ اليه الى عمله. و شدّة المنكب: كناية عن القوّة على الدفع. و الثّغرة و الثُّغَر: الفُرَجُ من البلدان تحتاج الى السدّ بالرجال. والشوكة: القوة.

٦١ ـ وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

إلى أهلِ مِصرَ، مَعَ مالكٍ الأشْتَرِ لَمّا وَلّاهُ إمارَتَها

أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّدًا، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، نَذِيرًا لِلْعَالَمِينَ، وَمُهَيْمِنًا عَلَى الْمُرْسَلِينَ؛ فَلَمَّا مَضَى عَلَيْهِ السَّلَامُ تَنَازَعَ الْمُسْلِمُونَ الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ، فَوَاللهِ مَا كَانَ يُلْقَى فِي رُوعِي وَلَا يَخْطُرُ بِبَالِي، أَنَّ الْعَرَبَ تُزْعِجُ هٰذَا الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآله وَسَلَّمَ عَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَلَا أَنَّهُمْ مُنَحُّوهُ عَنِّي مِنْ بَعْدِهِ! فَمَا رَاعَنِي إِلَّا انْثِيَالُ النَّاسِ عَلَى فُلَانٍ يُبَايِعُونَهُ، فَأَمْسَكْتُ يَدِي حَتَّى رَأَيْتُ رَاجِعَةَ النَّاسِ قَدْ رَجَعَتْ عَنِ الْإِسْلَامِ يَدْعُونَ إِلَى مَحْقِ دِينِ مُحَمَّدٍ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَخَشِيتُ إِنْ لَمْ أَنْصُرِ الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ أَنْ أَرَى فِيهِ ثَلْمًا أَوْ هَدْمًا تَكُونُ الْمُصِيبَةُ بِهِ عَلَيَّ أَعْظَمَ مِنْ فَوْتِ وِلَايَتِكُمُ الَّتِي إِنَّمَا هِيَ مَتَاعُ أَيَّامٍ قَلَائِلَ يَزُولُ مِنْهَا مَا كَانَ كَمَا يَزُولُ السَّرَابُ أَوْ كَمَا يَتَقَشَّعُ السَّحَابُ، فَنَهَضْتُ فِي تِلْكَ

الْأَحْدَاثِ حَتَّى زَاحَ الْبَاطِلُ وَزَهَقَ، وَاطْمَأَنَّ الدِّينُ وَتَنَهْنَهَ.

ومنه: إِنِّى وَاللهِ لَوْلَقِيتُهُمْ وَاحِدًا وَهُمْ طِلَاعُ الْأَرْضِ كُلِّهَا مَا بَالَيْتُ وَلَا اسْتَوْحَشْتُ، وَإِنِّى مِنْ ضَلَالِهِمُ الَّذِى هُمْ فِيهِ وَالْهُدَى الَّذِى أَنَا عَلَيْهِ لَعَلَى بَصِيرَةٍ مَنْ نَفْسِى وَيَقِينٍ مِنْ رَبِّى، وَإِنِّى إِلَى لِقَاءِ اللهِ لَمُشْتَاقٌ، وَلِحُسْنِ ثَوَابِهِ لَمُنْتَظِرٌ رَاجٍ، وَلٰكِنَّنِى آسَى أَنْ يَلِىَ أَمْرَ هٰذه الْأُمَّةِ سُفَهَاؤُهَا وَفُجَّارُهَا؛ فَيَتَّخِذُوا مَالَ اللهِ دُوَلاً، وَعِبَادَهُ خَوَلاً، وَالصَّالِحِينَ حَرْباً، وَالْفَاسِقِينَ حِزْباً فَإِنَّ مِنْهُمُ الَّذِى [قَدْ] شَرِبَ فِيكُمُ الْحَرَامَ، وَجُلِدَ حَدًّا فِى الْإِسْلَامِ، وَإِنَّ مِنْهُمْ مَنْ لَمْ يُسْلِمْ حَتَّى رُضِخَتْ لَهُ عَلَى الْإِسْلَامِ الرَّضَائِخُ، فَلَوْلَا ذٰلِكَ مَا أَكْثَرْتُ تَأْلِيبَكُمْ وَتَأْنِيبَكُمْ، وَجَمْعَكُمْ وَتَحْرِيضَكُمْ، وَلَتَرَكْتُكُمْ إِذْ أَبَيْتُمْ وَوَنَيْتُمْ.

أَلَا تَرَوْنَ إِلَى أَطْرَافِكُمْ قَدِ انْتَقَصَتْ، وَإِلَى أَمْصَارِكُمْ قَدِ افْتُتِحَتْ، وَإِلَى مَمَالِكِكُمْ تُزْوَى، وَإِلَى بِلَادِكُمْ تُغْزَى، انْفِرُوا ـ رَحِمَكُمُ اللهُ ـ إِلَى قِتَالِ عَدُوِّكُمْ وَلَا تَثَّاقَلُوا إِلَى الْأَرْضِ فَتُقَرُّوا بِالْخَسْفِ، وَتَبُوءُوا بِالذُّلِّ، وَيَكُونَ نَصِيبُكُمُ الْأَخَسَّ، وَإِنَّ أَخَا الْحَرْبِ الْأَرِقُ، وَمَنْ نَامَ لَمْ يُنَمْ عَنْهُ، وَالسَّلَامُ.

اقول: المهيمن: الشاهد. والروع بالضم: القلب و كذلك البال. والانثيال: الانصباب. و فلان هو: ابوبكر. و راجعة الناس الذين رجعوا عن الدّين و ارتدّوا فى خلافته. والمحق: الهلاك . والثلم: الكسر. و تلك الأحداث و قائعُ العرب الذّين ارتدّوا وراح: ذهب. و زهق: اضمحل. وتنهنه: اتّسع. و طلاع الارض: ملاؤها. و آسى : أحزن. و اراد بالسفهاء والفجّار: بنو امية. و الدُّول بالضم: جمع دولة بالضم والفتح. وانّما خُصِّصَ الضمُّ بالمال، والفتح بالحرب، هو: ان يصير المال او الغلبة مرّةً لهذا، و مرّةً لذلك . والخول: العبيد. والذى شرب فيكم الحرام من بنى امية، هو: المغيرة بن شعبة فى عهد عمر حين كان والياً من قِبَلِهِ على الكوفة فانه شَرِبَ الخمر، و صلّى بالناس سكران و زاد فى الركعات، وقَاءَ الخمرَ فى المحراب فَشَهِدوا عليهِ و جُلِدَ الحد[1]. و كذلك عتبة بن ابى سفيان جَلَدَه فى الخمر خالدبن عبدالله بالطائف. و الرضايخ، جمعُ رضيخةٍ والرضخ و الرضيخة: العطية. والذى رُضِخ له قيل: هو ابوسفيان، و ابنه معاوية، حين كانا من المؤلّفة

---

١ ـ افحام الاعداء ١/ ١٢. الغدير ٦/ ١٣٨

قلوبهم يستمالون الى نصرة الدين بالعطاء، و قيل: هو عمرو بن العاص حين اطعم مصرَ على حرب عليّ عليه السلام. والتأليب: الجمع والتحريض. والتأنيب: التعنيف واللوم. ونيتم: فترتم، والونى: الفتور والضعف والتباطي عن الامر. و تزوى: تقبض و تجمع. و تقرّوا بالخسف: ترضوا بالدنية والنقصان. تبوؤا: ترجعوا، و باء بكذا: رجع به. والارق: كثير السهر، وهو كناية عن المتيقظ فى الامور المهتمّ بها.

٦٢ - وَمِنْ كِتابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

إلى أبي موسى الأشعريّ، وهو عاملهُ علىَ الكوفة، وقد بَلَغَهُ عَنهُ تَثبيطُهُ الناسَ عَنِ الخُروجِ إليه لَمّا نَدَبَهُم لِحَرْبِ أصحابِ الجَمَل

مِنْ عَبْدِ ٱللهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى عَبْدِ ٱللهِ بْنِ قَيْسٍ

أَمَّا بَعْدُ؛ فَقَدْ بَلَغَنِي عَنْكَ قَوْلٌ هُوَ لَكَ وَعَلَيْكَ، فَإِذَا قَدِمَ رَسُولِي عَلَيْكَ فَارْفَعْ ذَيْلَكَ، وَٱشْدُدْ مِئْزَرَكَ، وَٱخْرُجْ مِنْ جُحْرِكَ، وَٱنْدُبْ مَنْ مَعَكَ. فَإِنْ حَقَّقْتَ فَانْفُذْ، وَإِنْ تَفَشَّلْتَ فَابْعُدْ! وَٱيْمُ ٱللهِ لَتُؤْتَيَنَّ مِنْ حَيْثُ أَنْتَ، وَلَا تُتْرَكُ حَتَّى يُخْلَطَ زُبْدُكَ بِخَاثِرِكَ، وَذَائِبُكَ بِجَامِدِكَ، وَحَتَّى تُعْجَلَ عَنْ قِعْدَتِكَ، وَتَحْذَرَ مِنْ أَمَامِكَ كَحَذَرِكَ مِنْ خَلْفِكَ، وَمَا هِيَ بِالْهُوَيْنَا الَّتِي تَرْجُو، وَلٰكِنَّهَا الدَّاهِيَةُ الْكُبْرَى يُرْكَبُ جَمَلُهَا، وَيُذَلُّ صَعْبُهَا، وَيُسَهَّلُ جَبَلُهَا. فَاعْقِلْ عَقْلَكَ، وَٱمْلِكْ أَمْرَكَ، وَخُذْ نَصِيبَكَ وَحَظَّكَ فَإِنْ كَرِهْتَ، فَتَنَحَّ إِلَى غَيْرِ رَحْبٍ وَلَا فِي نَجَاةٍ، فَبِالْحَرِيِّ لَتُكْفَيَنَّ وَأَنْتَ نَائِمٌ حَتَّى لَا يُقَالَ: أَيْنَ فُلَانٌ؟ وَٱللهِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مَعَ مُحِقٍّ، وَمَا يُبَالِي مَا صَنَعَ الْمُلْحِدُونَ.

اقول: ثبّطهُ عن الامر: أشغله عنه و أقعده. والقول الذى هو له و عليه و هو: تثبيطه الناس عن النهوض الى حرب البصرة بقوله: انّ ذلك فتنة، و ما كان يرويه عن الرسول صلى الله عليه و آله من القعود عن الفتنة و هوله: باعتبار ظاهر الدين و عليه: باعتبار انّه تنفيرٌ عن طاعة الإمام الحق واجب الطاعة. و خروج عنها بالجهل، و ذلك عائد على فاعله بالمضرّة الاخروية والدنيويّة. و رفع ذيله و شدّ مئزره: كناية عن تشميره فى المُسارَعَةِ الى امره. و استعار لفظ الجحر لبيته: ملاحظة لشبهه بالثعلب و نحوه. وآندُب أيّ: أبعث. و

قوله: و ان حققت اى: ما نحن فيه من هذا الأمر و صحّة وجوب المتابعة فيه فانفذ في ذلك و امض فيه. و ان تفشّلت اى: جبنت و ضعفت عن معرفة ذلك فابعد عنا و عنه. و قوله: حتى يخلط، الى قوله: بحامدك ، كالمثلين كنّى: بهما عن خلط احواله الصّافية بالتكدير كعزّته بذلّته، و سروره بغمّه، و سهولة امره بصعوبته.

والقعدة: هيئة القعود، وانما جعل الحذر من خلف اصلا في التّشبيه: لانه المعتاد في الحذر، وهو كناية عن غاية الخوف.

و قيل: أراد حتى تخاف من الدنيا كخوفك من الآخرة. و قوله: و ما هى بالهوينا، اى: و ما القصّةُ المعهودةُ بالهيّنه السهلة. و قوله: يركب جملها، الى قوله جبلها اى: يركب الجمل فيها و يُذَلّ الصعب الداخل فيها. و استعار لفظ الجبل: للثابت من الرجال، الرابط: الجأش. و يسهل اى: يلين فيها و يذلّ، كلّ ذلك، كناية عن شدّتها. و عقلك مصدر يقال: فلان عقل عقله اذا رجع نفسه كأنه شعر بشعوره بالشئ، فنصبه اى: اعقل عقلك بهذه الحال العظيمة. و قيل: هو مفعول به. و اعقله مأخوذ من العقال اى: اضبط عقلك و احبسه على معرفة الحق لا تفرّقه فيما لا ينبغى. و نصيبه من حظه اى: من طاعة الله. و قوله: بالحرى لتكفين، اى: فبالأجدر والاولى ان تكفى مؤنة هذا الامر، وانت نائم عن طاعة الله حتى لا يسأل عنك ولا تلتفت اليك. والضمير في انّه: للامر المدعو اليه. وألحد فى الدّين: مال عن الاستقامة فيه. و بالله التوفيق.

٦٣ - وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

إلى معاوية، جواباً[1]

أَمّا بَعْدُ، فَإِنّا كُنّا نَحْنُ وَأَنْتُمْ عَلَى مَا ذَكَرْتَ مِنَ الْأُلْفَةِ وَالْجَمَاعَةِ فَفَرّقَ بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمْ أَمْسِ أَنّا آمَنّا وَكَفَرْتُمْ، وَالْيَوْمَ أَنّا اسْتَقَمْنَا وَفُتِنْتُمْ، وَمَا أَسْلَمَ مُسْلِمُكُمْ إِلّا كُرْهاً، وَبَعْدَ أَنْ كَانَ أَنْفُ الْإِسْلاَمِ كُلُّهُ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حِزْباً.

وَذَكَرْتَ أَنّي قَتَلْتُ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ، وَشَرّدْتُ بِعَائِشَةَ وَنَزَلْتُ، الْمِصْرَيْنِ! وَذٰلِكَ أَمْرٌ غِبْتَ عَنْهُ فَلاَ عَلَيْكَ، وَلاَ الْعُذْرُ فِيهِ إِلَيْكَ.

---

١ - راجع رسالة معاوية ... جمهرة رسائل العرب ٣٦٦/١.

وَذَكَرْتَ أَنَّكَ زَائِرِي فِي الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَقَدِ انْقَطَعَتِ الْهِجْرَةُ يَوْمَ أُسِرَ أَخُوكَ، فَإِنْ كَانَ فِيكَ عَجَلٌ فَاسْتَرْفِهْ؛ فَإِنِّي إِنْ أَزُرْكَ فَذٰلِكَ جَدِيرٌ أَنْ يَكُونَ اللهُ إِنَّمَا بَعَثَنِي لِلنِّقْمَةِ مِنْكَ! وَإِنْ تَزُرْنِي فَكَمَا قَالَ أَخُو بَنِي أَسَدٍ:

مُسْتَقْبِلِينَ رِيَاحَ الصَّيْفِ تَضْرِبُهُمْ ... بِحَاصِبٍ بَيْنَ أَغْوَارٍ وَجُلْمُودِ

وَعِنْدِي السَّيْفُ الَّذِي أَعْضَضْتُهُ بِجَدِّكَ وَخَالِكَ وَأَخِيكَ فِي مَقَامٍ وَاحِدٍ وَإِنَّكَ -وَاللهِ- مَا عَلِمْتُ الْأَغْلَفُ الْقَلْبِ، الْمُقَارِبُ الْعَقْلِ؛ وَالْأَوْلَى أَنْ يُقَالَ لَكَ: إِنَّكَ رَقِيتَ سُلَّمًا أَطْلَعَكَ مَطْلَعَ سُوءٍ عَلَيْكَ لَا لَكَ، لِأَنَّكَ نَشَدْتَ غَيْرَ ضَالَّتِكَ، وَرَعَيْتَ غَيْرَ سَائِمَتِكَ، وَطَلَبْتَ أَمْرًا لَسْتَ مِنْ أَهْلِهِ وَلَا فِي مَعْدِنِهِ، فَمَا أَبْعَدَ قَوْلَكَ مِنْ فِعْلِكَ!! وَقَرِيبٌ مَا أَشْبَهْتَ مِنْ أَعْمَامٍ وَأَخْوَالٍ حَمَلَتْهُمُ الشَّقَاوَةُ وَتَمَنِّي الْبَاطِلِ عَلَى الْجُحُودِ بِمُحَمَّدٍ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَصُرِعُوا مَصَارِعَهُمْ حَيْثُ عَلِمْتَ لَمْ يَدْفَعُوا عَظِيمًا، وَلَمْ يَمْنَعُوا حَرِيمًا بِوَقْعِ سُيُوفٍ مَا خَلَا مِنْهَا الْوَغَى، وَلَمْ تُمَاشِهَا الْهُوَيْنَا.

وَقَدْ أَكْثَرْتَ فِي قَتَلَةِ عُثْمَانَ فَادْخُلْ فِيمَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ، ثُمَّ حَاكِمِ الْقَوْمَ إِلَيَّ أَحْمِلْكَ وَإِيَّاهُمْ عَلَى كِتَابِ اللهِ تَعَالَى، وَأَمَّا تِلْكَ الَّتِي تُرِيدُ؛ فَإِنَّهَا خُدْعَةُ الصَّبِيِّ عَنِ اللَّبَنِ فِي أَوَّلِ الْفِصَالِ؛ وَالسَّلَامُ لِأَهْلِهِ.

اقول: امس: كناية عن بدأالاسلام. و فتنتم، اى: ابتليتم بالبغي. و ممّن اسلم كُرهاً: ابوسفيان كما نبّهنا عليه في الاصل[1]. و استعار لفظ الانف: لأشراف المسلمين، باعتبار شرفهم و تقدّمهم كالانف. والتشريد: الإبعاد. وَالْمِصْرَيْن: البصرة و الكوفة، و قوله و لقد انْقَطَعَت الهجرة يوم أُسِراخوك اشارة: الى انهم لم يكونوا من المهاجرين، اذ كان هو وابوه و جماعتهم ممن أُخِذَ يوم الفتح، و مَنَّ عليهم رسول الله صلّى الله عليه و آله، فأطلقهم و سمّاهم بالطلقاء، بعد ان اسلموا يومئذٍ كما سبق بيانه.

و قال صلى الله عليه و آله يومئذ: لاهجرةَ بعدالفتح. و روى اسراخوك و اخوه المأسور هو: عمروبن ابى سفيان يوم بدر. و وجه التمثيل بالبيت انّه لا حظ مشابهة استقبال معاوية له باستقبالهم رياح الصيف في شدّة حرّها، و حملها للحصاة في وجوه مستقبلها، و مشابهة نفسه و جمعه برياح الصيف الموصوفة باعتبار شِدّةِ بأسهم و سطوتهم. و استعار بحسب

---

١ ـ الشرح الكبير ٥/ ٢٠٩.

تلك المشابهة لفظ الرياح المذكورة و أوصافها لهم. والحاصب: الريح الشديدة ترمى بالحصباء. والاغوار: المنخفضة من الارض جمع غورٍ والجُلمود: الحجارة. و اغصصت السيف بفلان اى: جعلته يغصّ به و هو من المغلوب لان المضروب هو الذى يغُصُّ بالسّيف. و قد ذكرنا انه عليه السلام قتل جدّه لامه، و خاله، واخاه حنظلة يوم بدر. و روى اعضضته بالضاد المعجمة: استعارة. وما: بمعنى الذى. و لفظ الأغلف: مستعار لقلبه باعتبار كونه مُغَشّىً بالشبهات والهيئات البدنيّة الحاجبة له عن ادراك الحقّ. و فلان مقارب العقل، اى: قليله و ناقصه. و قوله: نشدت الى قوله: سائمتك مثلان: كنّى بهما عن طلبه لما ليس لهُ بحق. و قوله: هو طلبه: لما ليس له نحلة عثمان، و فعله و حركاته فى طلب الملك، و ما: مصدريّة محلها الرفع بالإبتداء، وقريب خبره مقدما.قيل: فمن اهل الشقاوة، من جهة عُمومتِهِ حمّالة الحطب. ومن جهة خؤولته الوليد بن عتبة. و يدخل فى ذلك: عمومة ابويه كشيبة عَمّ هندٍ. والباطل: الذي كانوا يتمنّونه كالنصرة على محمّد عليه السلام، و اقامة امرالشرك. وحيث علمت كبدر و حنين، و غيرها من المواطن. والوغى: الحرب. و قوله: و لم تماشها الهوينا، اى: لم يلحق ضربها هون و لا سهولة. و ما دخل فيه الناس: هو بيعته عليه السلام و طاعته. واما تلك التى تريدها: فهى خدِعته بتغليبه، و بغيه لِغايةِ أن يرضى باقراره على الشام. وبالله التوفيق.

٦٤ ـ وَمِنْ كِتابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام
إليه أيضاً

أمّا بَعْدُ، فَقَدْ آنَ لَكَ أنْ تَنْتَفِعَ بِاللَّمْحِ الْباصِرِ مِنْ عِيانِ الأُمُورِ، فَقَدْ سَلَكْتَ مَدارِجَ أسْلافِكَ بِادِّعائِكَ الْأَباطِيلَ، وَإقْحامِكَ غُرُورَ الْمَيْنِ وَالْأَكاذِيبِ، وَبِانْتِحالِكَ ما قَدْ عَلا عَنْكَ، وَابْتِزازِكَ لِمَا اخْتُزِنَ دُونَكَ، فِرارًا مِنَ الْحَقِّ، وَجُحُوداً لِما هُوَ أَلْزَمُ لَكَ مِنْ لَحْمِكَ وَدَمِكَ: مِمّا قَدْ وَعاهُ سَمْعُكَ، وَمُلِئَ بِهِ صَدْرُكَ، فَماذا بَعْدَ الْحَقِّ إلاَّ الضَّلالُ الْمُبِينُ، وَبَعْدَ الْبَيانِ إلاَّ اللَّبْسُ؟ فَاحْذَرِ الشُّبْهَةَ وَاشْتِمالَها عَلى لُبْسَتِها؛ فَإنَّ الْفِتْنَةَ طالَما أَغْدَفَتْ جَلابِيبَها، وَأَغْشَتِ الْأَبْصارَ ظُلْمَتُها.

وَقَدْ أَتَانِي كِتَابٌ مِنْكَ ذُو أَفَانِينَ مِنَ الْقَوْلِ ضَعُفَتْ قُوَاهَا عَنِ السِّلْمِ؛ وَأَسَاطِيرَ لَمْ يَحُكْهَا مِنْكَ عِلْمٌ وَلَا حِلْمٌ، أَصْبَحْتَ مِنْهَا كَالْخَائِضِ فِي الدَّهَاسِ، وَالْخَابِطِ فِي الدِّيمَاسِ، وَتَرَقَّيْتَ إِلَى مَرْقَبَةٍ بَعِيدَةِ الْمَرَامِ نَازِحَةِ الْأَعْلَامِ، تَقْصُرُ دُونَهَا الْأَنُوقُ وَيُحَاذَى بِهَا الْعَيُّوقُ.

وَ حَاشَ لِلّٰهِ أَنْ تَلِيَ لِلْمُسْلِمِينَ بَعْدِي صَدَرًا أَوْ وِرْدًا أَوْ أُجْرِيَ لَكَ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ عَقْدًا أَوْ عَهْدًا!! فَمِنَ الْآنَ فَتَدَارَكْ نَفْسَكَ وَانْظُرْ لَهَا، فَإِنَّكَ إِنْ فَرَّطْتَ حَتَّى يَنْهَدَ إِلَيْكَ عِبَادُ اللّٰهِ أُرْتِجَتْ عَلَيْكَ الْأُمُورُ، وَمُنِعْتَ أَمْرًا هُوَ مِنْكَ الْيَوْمَ مَقْبُولٌ؛ وَالسَّلَامُ.

أقول: استعار لفظ اللمح: الباصر، لادراك عقله بسرعة، من عيان الأمور: متعلّق بتنتفع. والمدارج: المسالك والمذاهب. و الإقتحام: الدخول في الشيء بشدّة. و انتحل الشيء: ادّعاه لنفسه. وليس له وما علا عنه: هو ما يطلبه من الملك والإمرة. و الابتزاز لما اختُزِنَ دونه، هو: اَستِلابُهُ به و غصبه لمال المسلمين الّذي من شأنه ان يخزن دونه، و ما هو الزم له هو طاعته عليه السلام. و ما وعاه سمعه: من دليل ذلك، و ملىء به صدره: من العلم بوجوبه. واللّبسَة: اللابسون بها، و لفظه مستعار لهم: باعتبار دخولهم فيها. و اغدقت: أرسلت. و الأفانين: الاجناس المختلفة. و ذمّ الكتاب من جهة اللفظ بانّه: اقوال مختلفة ملفقّة لايتناسب. و ليس لها قوّة توجب صلحًا او عاطفة. و من جهة المعنى بانّه: اباطيل غير محكمة النسج لامن جهة العلم و لا من جهة الحلم، لانّ الكتاب، يشتمل على خشونة و غلظة مع انّه في معرض طلب الصلح. والأساطيرِ جمع اسطوره: و هي الاباطيل الكذب. والدهاس: المكان السهل اللّين كالرمل. والديماس: المكان شديد الظلمة، و شبهه بالخائض و الخابط فيهما، باعتبار. انّه لايهتدى لوجه الحق في مسلكه و حركاته. والمرقبة: موضع عال مشرف يرتفع عليه الراصد. و الانوق: الرخم[1]. والعيوق: نجم معروف. و استعار لفظ المرقبة: لولاية المسلمين و خصّ الرخمة: لانها يقصد الأماكن العاليّة الصعبة من رؤس الجبال فتوكر هناك. و تنهد: تنهض. و ارتجت: اغلقت. و ماهو مقبول منه اليوم: التوبة والرجوع الى الطاعة. و بالله التوفيق.

---

١ ـ الرخم: طائر من فصيلة النسريّات و رتبة الجوارح و يتغذى باللحوم. حياة الحيوان ١/ ٣٦٨.

٦٥ ـ وَمِنْ كِتابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

إلى عبدالله بن العباس، وقد تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ بِخِلافِ هٰذِهِ الرواية

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الْمَرْءَ لَيَفْرَحُ بِالشَّيْءِ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لِيَفُوتَهُ، وَيَحْزَنُ عَلَى الشَّيْءِ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ، فَلاَ يَكُنْ أَفْضَلُ مَا نِلْتَ فِي نَفْسِكَ مِنْ دُنْيَاكَ بُلُوغَ لَذَّةٍ أَوْ شِفَاءَ غَيْظٍ، وَلَكِنْ إِطْفَاءَ بَاطِلٍ أَوْ إِحْيَاءَ حَقٍّ! وَلْيَكُنْ سُرُورُكَ بِمَا قَدَّمْتَ، وَأَسَفُكَ عَلَى مَا خَلَّفْتَ، وَهَمُّكَ فِيمَا بَعْدَ الْمَوْتِ.

اقول: بما قدّمت اى: لنفسك من الأعمال الصالحة النافعة فى الآخرة. و ما خلّفت اى: من الدنيا. و اسفُهُ عليه ان يكون أَنْفَقَهُ فى غير سبيل الله.

٦٦ ـ وَمِنْ كِتابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

إلى قُثَم بن العبّاس ـ رَحِمَهُ الله ـ و هو عامِلُهُ على مكة

أَمَّا بَعْدُ، فَأَقِمْ لِلنَّاسِ الْحَجَّ، وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللهِ، وَاجْلِسْ لَهُمُ الْعَصْرَيْنِ فَأَفْتِ الْمُسْتَفْتِيَ، وَعَلِّمِ الْجَاهِلَ، وَذَاكِرِ الْعَالِمَ؛ وَلاَيَكُنْ لَكَ إِلَى النَّاسِ سَفِيرٌ إِلاَّ لِسَانُكَ، وَلاَ حَاجِبٌ إِلاَّ وَجْهُكَ، وَلاَ تَحْجُبَنَّ ذَا حَاجَةٍ عَنْ لِقَائِكَ بِهَا فَإِنَّهَا إِنْ ذِيدَتْ عَنْ أَبْوَابِكَ فِي أَوَّلِ وِرْدِهَا لَمْ تُحْمَدْ فِيمَا بَعْدُ عَلَى قَضَائِهَا وَانْظُرْ إِلَى مَا اجْتَمَعَ عِنْدَكَ مِنْ مَالِ اللهِ فَاصْرِفْهُ إِلَى مَنْ قِبَلَكَ مِنْ ذَوِي الْعِيَالِ وَالْمَجَاعَةِ مُصِيباً بِهِ مَوَاضِعَ الْفَاقَةِ وَالْخَلاَّتِ، وَمَا فَضَلَ عَنْ ذٰلِكَ فَاحْمِلْهُ إِلَيْنَا لِنَقْسِمَهُ فِيمَنْ قِبَلَنَا.

وَ مُرْ أَهْلَ مَكَّةَ أَنْ لاَيَأْخُذُوا مِنْ سَاكِنٍ أَجْراً، فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ يَقُولُ: (سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ)[1] فَالْعَاكِفُ: الْمُقِيمُ بِهِ، وَالْبَادِي: الَّذِي يَحُجُّ إِلَيْهِ مِنْ غَيْرِ أَهْلِهِ، وَفَّقَنَا اللهُ وَإِيَّاكُمْ لِمَحَابِّهِ وَالسَّلاَمُ.

اقول: أيّامُ الله: كناية عن عقوباته اِلتى نَزَلَتْ بمن مضى فى الأيّام الخالية.

١ـ سورة الحج / ٢٥.

والعصرين: الغداةُ والعَشِيّ. والسفير: الرسول. وذيدت: دفعت وردّت. والمفاقر: مواضع الفقر و وجوهه. و اضاف مواضع اليه، لِتَغايُرِ اللّفظين.

٦٧ ـ وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

إلى سلمان الفارسي رحمه الله قبل أيام خلافته

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّمَا مَثَلُ الدُّنْيَا مَثَلُ الْحَيَّةِ لَيِّنٌ مَسُّهَا قَاتِلٌ سَمُّهَا، فَأَعْرِضْ عَمَّا يُعْجِبُكَ فِيهَا لِقِلَّةِ مَا يَصْحَبُكَ مِنْهَا، وَضَعْ عَنْكَ هُمُومَهَا لِمَا أَيْقَنْتَ بِهِ مِنْ فِرَاقِهَا، وَكُنْ آنَسَ مَا تَكُونُ بِهَا أَحْذَرَ مَا تَكُونُ مِنْهَا؛ فَإِنَّ صَاحِبَهَا كُلَّمَا اطْمَأَنَّ فِيهَا إِلَى سُرُورٍ أَشْخَصَتْهُ عَنْهُ إِلَى مَحْذُورٍ!

أقول: آنس حال، و ما، مصدريّة و خبر كان أَحذَرَ، اى: كن حالَ أُنْسِكَ بها احذر كونك منها. و قوله: فانَّ صاحبَها الى آخره اى: إنّ سكونَ صاحبها الى اللّذة يستلزم العذابَ المحذورَ في الآخرة، و قد نبّهنا عليه مرّاتٍ.

٦٨ ـ وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

إلى الحارث الهمداني

وَتَمَسَّكْ بِحَبْلِ الْقُرْآنِ وَانْتَصِحْهُ، وَأَحِلَّ حَلاَلَهُ، وَحَرِّمْ حَرَامَهُ، وَصَدِّقْ بِمَا سَلَفَ مِنَ الْحَقِّ؛ وَاعْتَبِرْ بِمَا مَضَى مِنَ الدُّنْيَا مَا بَقِيَ مِنْهَا؛ فَإِنَّ بَعْضَهَا يُشْبِهُ بَعْضاً، وَآخِرُهَا لاَحِقٌ بِأَوَّلِهَا! وَكُلُّهَا حَائِلٌ مُفَارِقٌ وَعَظِّمِ اسْمَ اللهِ أَنْ تَذْكُرَهُ إِلاَّ عَلَى حَقٍّ، وَأَكْثِرْ ذِكْرَ الْمَوْتِ وَمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَلاَ تَتَمَنَّ الْمَوْتَ إِلاَّ بِشَرْطٍ وَثِيقٍ وَاحْذَرْ كُلَّ عَمَلٍ يَرْضَاهُ صَاحِبُهُ لِنَفْسِهِ وَيُكْرَهُ لِعَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَاحْذَرْ كُلَّ عَمَلٍ يُعْمَلُ بِهِ فِي السِّرِّ وَيُسْتَحَى مِنْهُ فِي الْعَلاَنِيَةِ وَاحْذَرْ كُلَّ عَمَلٍ إِذَا سُئِلَ عَنْهُ صَاحِبُهُ أَنْكَرَهُ أَوِ اعْتَذَرَ مِنْهُ. وَلاَ تَجْعَلْ عِرْضَكَ غَرَضاً لِنِبَالِ الْقَوْلِ، وَلاَ تُحَدِّثِ النَّاسَ بِكُلِّ مَا سَمِعْتَ بِهِ، فَكَفَى بِذٰلِكَ كَذِباً وَلاَ تَرُدَّ عَلَى النَّاسِ كُلَّ مَا حَدَّثُوكَ بِهِ فَكَفَى بِذٰلِكَ جَهْلاً، وَاكْظِمِ الْغَيْظَ وَاحْلُمْ عِنْدَ الْغَضَبِ، وَتَجَاوَزْ عِنْدَ الْمَقْدُرَةِ، وَاصْفَحْ مَعَ الدَّوْلَةِ تَكُنْ لَكَ الْعَاقِبَةُ، وَاسْتَصْلِحْ كُلَّ نِعْمَةٍ أَنْعَمَهَا اللهُ عَلَيْكَ، وَلاَ تُضَيِّعَنَّ

نِعْمَةً مِنْ نِعَمِ ٱللهِ عِنْدَكَ ، وَلْيُرَ عَلَيْكَ أَثَرُ مَا أَنْعَمَ ٱللهُ بِهِ عَلَيْكَ.

وَٱعْلَمْ أَنَّ أَفْضَلَ الْمُؤْمِنِينَ أَفْضَلُهُمْ تَقْدِمَةً مِنْ نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَمَالِهِ، فَإِنَّكَ مَا تُقَدِّمْ مِنْ خَيْرٍ يَبْقَ لَكَ ذُخْرُهُ، وَمَا تُؤَخِّرْهُ يَكُنْ لِغَيْرِكَ خَيْرُهُ، وَاحْذَرْ صَحَابَةَ مَنْ يَفِيلُ رَأْيُهُ وَيُنْكَرُ عَمَلُهُ، فَإِنَّ الصَّاحِبَ مُعْتَبَرٌ بِصَاحِبِهِ. وَاسْكُنِ الْأَمْصَارَ الْعِظَامَ فَإِنَّهَا جِمَاعُ الْمُسْلِمِينَ، وَاحْذَرْ مَنَازِلَ الْغَفْلَةِ وَالْجَفَاءِ وَقِلَّةَ الْأَعْوَانِ عَلَى طَاعَةِ ٱللهِ، وَاقْصُرْ رَأْيَكَ عَلَى مَا يَعْنِيكَ، وَإِيَّاكَ وَمَقَاعِدَ الْأَسْوَاقِ فَإِنَّهَا مَحَاضِرُ الشَّيْطَانِ وَمَعَارِيضُ الْفِتَنِ، وَأَكْثِرْ أَنْ تَنْظُرَ إِلَى مَنْ فُضِّلْتَ عَلَيْهِ، فَإِنَّ ذٰلِكَ مِنْ أَبْوَابِ الشُّكْرِ، وَلَا تُسَافِرْ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ حَتَّى تَشْهَدَ الصَّلَاةَ إِلَّا فَاصِلاً فِي سَبِيلِ ٱللهِ أَوْ فِي أَمْرٍ تُعْذَرُ بِهِ، وَأَطِعِ ٱللهَ فِي جَمِيعِ أُمُورِكَ فَإِنَّ طَاعَةَ ٱللهِ فَاضِلَةٌ عَلَى مَا سِوَاهَا، وَخَادِعْ نَفْسَكَ فِي الْعِبَادَةِ، وَارْفُقْ بِهَا وَلَا تَقْهَرْهَا، وَخُذْ عَفْوَهَا وَنَشَاطَهَا إِلَّا مَا كَانَ مَكْتُوبًا عَلَيْكَ مِنَ الْفَرِيضَةِ، فَإِنَّهُ لَابُدَّ مِنْ قَضَائِهَا وَتَعَاهُدِهَا عِنْدَ مَحَلِّهَا، وَإِيَّاكَ أَنْ يَنْزِلَ بِكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ آبِقٌ مِنْ رَبِّكَ فِي طَلَبِ الدُّنْيَا، وَإِيَّاكَ وَمُصَاحَبَةَ الْفُسَّاقِ فَإِنَّ الشَّرَّ بِالشَّرِّ مُلْحَقٌ، وَوَقِّرِ ٱللهَ وَأَحْبِبْ أَحِبَّاءَهُ، وَاحْذَرِ الْغَضَبَ فَإِنَّهُ جُنْدٌ عَظِيمٌ مِنْ جُنُودِ إِبْلِيسَ.

اقول: همدان بسكون الدال: قبيلة. و حبل القرآن: مستعار له يتمسّك به منه ليتوصّل به الى الله. و انتصحه اى: اتخذه ناصحًا. و حائل: اى: زائل مفارق. والشرط الوثيق: طاعة الله و مايرضاه صاحبه لنفسه، و يكرهه لعامة الناس كالاستيثارات بالخيرات وهو كقوله: ارد للناس ما تريد لنفسك و اكره لهم ما تكره لها. واستصلاح نعمة الله و اظهار اثرها بدوام شكرها والاحسان منها الى الغير، و اضاعتها بقلّة ذلك والغفلة عنه. والتقدمة من النفس والاهل: استعمالهم في طاعة الله و عبادته. و صحابة: مصدر كالصحبة. و يفيل رأيه: يَضْعُف. و جماع المسلمين: جامعتهم. و كون الاسواق محاضر الشيطان: باعتبار كونها مظانّ ثَوَرانِ الشهوة ورُؤيةِ موادّها. و فاصلا في سبيل الله: ذاهبًا فيه. و خادع نفسك اى: اجذ بها الى العبادة بالخديعة دون المقاهرة. و عفوها: ما سهل عليها و نحوه قول النبى صلى الله عليه وآله: (انّ هذاالدِّينِ متين فأوْغلْ فيه برفق، و لا تُبغِّضْ فيه الى نفسك عبادة الله، فان المُنْبَتَّ، لا أرضاً قطع و لا ظهراً ابقى)[1]. و استعار الآبق: للخارج

---

١ ـ الجامع الصغير ١/ ٣٨٤. النهاية في غريب الحديث ٢٠٩/٥.

عن الطاعة فى طلب الدنيا باعتبار خروجه عنها. والتوقير: الإجلال و التعظيم.

٦٩ - وَمِنْ كِتابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

إلى سَهل بن حُنيفٍ الأنصاريّ، وهو عامِلُهُ على المدينةِ في مَعْنىً قوم منْ أهلِها لَحِقُوا بمُعاوية

أَمَّا بَعْدُ؛ فَقَدْ بَلَغَنِى أَنَّ رِجالاً مِمَّنْ قِبَلَكَ يَتَسَلَّلُونَ إِلَى مُعَاوِيَةَ، فَلاَ تَأْسَفْ عَلَى مَايَفُوتُكَ مِنْ عَدَدِهِمْ، وَيَذْهَبُ عَنْكَ مِنْ مَدَدِهِمْ، فَكَفَى لَهُمْ غَيًّا وَلَكَ مِنْهُمْ شَافِيًا فِرَارُهُمْ مِنَ الْهُدَى وَالْحَقِّ، وَإِيضَاعُهُمْ إِلَى الْعَمَى وَالْجَهْلِ، وَإِنَّمَاهُمْ أَهْلُ دُنْيَا مُقْبِلُونَ عَلَيْهَا، وَمُهْطِعُونَ إِلَيْهَا، وَقَدْ عَرَفُوا الْعَدْلَ وَرَأَوْهُ وَسَمِعُوهُ وَ وَعَوْهُ، وَعَلِمُوا أَنَّ النَّاسَ عِنْدَنَا فِي الْحَقِّ أُسْوَةٌ، فَهَرَبُوا إِلَى الأَثَرَةِ، فَبُعْدًا لَهُمْ وَسُحْقًا!!

إِنَّهُمْ -وَاللّهِ- لَمْ يَنْفِرُوا مِنْ جَوْرٍ، وَلَمْ يَلْحَقُوا بِعَدْلٍ، وَإِنَّا لَنَطْمَعُ فِي هَذاالأَمْرِ أَنْ يُذَلِّلَ اللّهُ لَنَا صَعْبَهُ، وَيُسَهِّلَ لَنَا حَزْنَهُ إِنْ شَاءَاللّهُ، وَالسَّلاَمُ.

اقول: التسلّل: الذهاب واحدًا واحداً. والايضاع: الاسراع. و كذلك الاهطاع. والإثرة: الاستبداد بالمال و نحوه والسُحق: البُعدُ، و أُحزنه: اشدّه.

٧٠ - وَمِنْ كِتابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

إلى المنذربن الجارودِ العبديّ، وقد خانَ في بعضِ ماوَلاّهُ مِنْ أعمالِهِ

أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ صَلاَحَ أَبِيكَ غَرَّنِي مِنْكَ، وَظَنَنْتُ أَنَّكَ تَتَّبِعُ هَدْيَهُ، وَتَسْلُكُ سَبِيلَهُ، فَإِذَا أَنْتَ فِيمَا رُقِّيَ إِلَيَّ عَنْكَ لاَ تَدَعُ لِهَوَاكَ انْقِيَادًا، وَلاَ تُبْقِي لِآخِرَتِكَ عَتَادًا، تَعْمُرُ دُنْيَاكَ بِخَرَابِ آخِرَتِكَ، وَتَصِلُ عَشِيرَتَكَ بِقَطِيعَةِ دِينِكَ، وَلَئِنْ كَانَ مَا بَلَغَنِي عَنْكَ حَقًّا لَجَمَلُ أَهْلِكَ وَ شِسْعُ نَعْلِكَ خَيْرٌ مِنْكَ، وَمَنْ كَانَ بِصِفَتِكَ فَلَيْسَ بِأَهْلٍ أَنْ يُسَدَّ بِهِ ثَغْرٌ، أَوْ يُنْفَذَ بِهِ أَمْرٌ، أَوْ يُعْلَى لَهُ قَدْرٌ، أَوْيُشْرَكَ فِي أَمَانَةٍ، أَوْيُؤْمَنَ عَلَى خِيَانَةٍ؛ فَأَقْبِلْ إِلَيَّ حِينَ يَصِلُ إِلَيْكَ كِتَابِي هٰذَا إِنْ شَاءَاللّهُ.

كِتَابِي هٰذَا إنْ شَاءَ آللّٰه. (قال السيد الرضي: والمنذر هذا هوالذي قال فيه اميرالمؤمنين ـعليه السلامـ إنّه لنظار في عطفيه، مختالٌ في برديه، تفال في شراكيه).

اقول: رُقِّيَ اليّ: رُفِعَ. والعتاد: العدّة و عمارة الدنيا بخراب الآخرة: استعمالها على الوجه الذي لا ينبغي ممّا يَستلزمُ الغَفلَةَ عن الآخرة. و ترك العمل لها. والشِسْع: سير بين الأصبُعين في النّعل العربي. وقوله: أو يُؤمَنُ على خيانةٍ: أيّ حال خيانه لأنَّ كلمةَ على يُفيد الحال.

٧١ ـ وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام
إلى عبدالله بن العباس

أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّكَ لَسْتَ بِسَابِقٍ أَجَلَكَ، وَلَامَرْزُوقٍ مَالَيْسَ لَكَ، وَاعْلَمْ بِأَنَّ الدَّهْرَ يَوْمَانِ: يَوْمٌ لَكَ، وَيَوْمٌ عَلَيْكَ. وَأَنَّ الدُّنْيَا دَارُ دُوَلٍ، فَمَا كَانَ مِنْهَا لَكَ أَتَاكَ عَلَى ضَعْفِكَ، وَمَا كَانَ مِنْهَا عَلَيْكَ لَمْ تَدْفَعْهُ بِقُوَّتِكَ.

أقول: انّما ذكرالضعف والقوة: لِيُعلمَ استنادُ الأعمار والأرزاق و غيرها الى مُدبّرٍ حكيم، هو مبدأ أسبابِها.

٧٢ ـ وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام
إلى معاوية

أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنّى عَلَى التَّرَدُّدِ فِي جَوَابِكَ، وَالإِسْتِمَاعِ إِلَى كِتَابِكَ لَمُوَهِّنٌ رَأْيِي، وَمُخَطِّىءٌ فِرَاسَتِي، وَإِنَّكَ إِذْ تُحَاوِلُنِي الْأُمُورَ، وَتُرَاجِعُنِي السُّطُورَ كَالْمُسْتَثْقِلِ النَّائِمِ تَكْذِبُهُ أَحْلَامُهُ، وَالْمُتَحَيِّرِ الْقَائِمِ يَبْهَظُهُ مَقَامُهُ؛ لَايَدْرِى أَلَهُ مَا يَأْتِي أَمْ عَلَيْهِ، وَلَسْتَ بِهِ غَيْرَ أَنَّهُ بِكَ شَبِيهٌ، وَأُقْسِمُ بِاللهِ إِنَّهُ لَوْلَا بَعْضُ الإِسْتِبْقَاءِ لَوَصَلَتْ إِلَيْكَ مِنّي قَوَارِعُ: تَقْرَعُ الْعَظْمَ، وَتَهْلِسُ

اللَّحْمَ! وَاعْلَمْ أَنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ ثَبَّطَكَ عَنْ أَنْ تُرَاجِعَ أَحْسَنَ أُمُورِكَ ، وَتَأْذَنَ لِمَقَالِ نَصِيحَتِكَ .

اقول: موهن: مُضعَّف. والسطور: الكتب، و شَبَّهَهُ في طَمعِهِ منه بما يحاوله من الشام، بالمستثقل في نومه. و وجه الشبه قوله: تكذبه احلامُه. و اراد أنّ تخيُّلا تِهِ وأمانيهِ لوصول الأمر اليه تخيّلاتٌ كاذبةٌ. والسطور: نصب بحذف الجار. و كذلك شبّهه بالمتحيّر: القائم، و وجه الشبه قوله: يبهظُهُ مقامُهُ، اي: يُتْعِبُهُ و يُثْقِلُه، الى قوله: عليه. و أراد: انّه متحيّر في طلب هذا الأمر مُجِدٌّ فيه، و قد اتعبه ذلك مع انّه لا يعلم عاقبته بخير هي ام شرّ. و قوله: و لستَ بهذا المشبَّه شبيهاً، ولكنّه بك شبيه، و جعله هو اصلا في التّشبيه مبالغة. والقوارع: شدائدالحرب و أهواله. و تهلس اللّحم: تذهب بأصله. و كذلك تنهس. و ثبّطه: شَغَلَهُ. و تأذن اي: تصغي باذنك .

٧٣ ـ وَمِنْ حِلْفٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

كَتَبَهُ بين رَبيعةَ واليَمن، و نُقِلَ من خَطِّ هِشام بن الكَلبيّ

هَذَا مَا اجْتَمَعَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْيَمَنِ حَاضِرُهَا وَبَادِيهَا، وَرَبِيعَةُ حَاضِرُهَا وَبَادِيهَا أَنَّهُمْ عَلَى كِتَابِ اللهِ: يَدْعُونَ إِلَيْهِ وَيَأْمُرُونَ بِهِ، وَيُجِيبُونَ مَنْ دَعَا إِلَيْهِ وَأَمَرَ بِهِ لَايَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا وَلَا يَرْضَوْنَ بِهِ بَدَلاً، وَأَنَّهُمْ يَدٌ وَاحِدَةٌ عَلَى مَنْ خَالَفَ ذَلِكَ وَتَرَكَهُ، أَنْصَارٌ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: دَعْوَتُهُمْ وَاحِدَةٌ، لَايَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ لِمَعْتَبَةِ عَاتِبٍ، وَلَا لِغَضَبِ غَاضِبٍ، وَلَا لِاسْتِذْلَالِ قَوْمٍ قَوْمًا وَلَا لِمَسَبَّةِ قَوْمٍ قَوْمًا! عَلَى ذَلِكَ شَاهِدُهُمْ وَغَائِبُهُمْ، وَحَلِيمُهُم وَسَفِيهُهُمْ، وَعَالِمُهُمْ، وَجَاهِلُهُمْ. ثُمَّ إِنَّ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ عَهْدَ اللهِ وَمِيثَاقَهُ إِنَّ عَهْدَ اللهِ كَانَ مَسْئُولاً، وَكَتَبَ: عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ.

اقول: حاضرها: بدل من أهلٍ. و قوله: و لا لاستذلال، الى قوله: قوما،اى: لا ينقضون العهد لمعونة قوم استذلّهم قوم، أو أرادهم قومًا. و روى لمسبة: من غير مضاف بالباء، و هو ظاهر.

٧٤ ـ وَمِنْ كِتابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام
إلى معاوية في اوّل ما بُويعَ لهُ
ذَكَرَهُ الواقديّ في كتاب الجمل

مِنْ عَبْدِاللهِ عَلِيٍ أَمِيرِالْمُؤْمِنينَ إِلَى مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ: ـ
أَمَّا بَعْدُ؛ فَقَدْ عَلِمْتَ إِعْذَارِي فِيكُمْ وَ إِعْرَاضِي عَنْكُمْ، حَتَّى كَانَ مَالاَ بُدَّ مِنْهُ وَلاَ دَفْعَ لَهُ، وَالْحَدِيثُ طَوِيلٌ. وَالْكَلاَمُ كَثِيرٌ، وَ قَدْ أَدْبَرَ مَا أَدْبَرَ، وَ أَقْبَلَ مَا أَقْبَلَ، فَبَايِعْ مَنْ قِبَلَكَ وَ أَقْبِلْ إِلَيَّ فِي وَفْدٍ مِنْ أَصْحَابِكَ.

اقول: اعذاره: اظهار عذره الى الله في نصيحة عثمان، و اعراضه عنهم، بعداليأس من قبول نصيحته، و عجزه عن نصرته. و ما لابدّ منه هوقتله الذى وجب فى علم الله وقوعه. و طول الحديث فى أمره. و من أدبر: اشارة الى اهل الجمل، و يحتمل ان يريدالانشاء اى: دَخَلَ في الإدبار من أدبرَ عنّي. و في الإقبال من اقبل عليّ. والوفد: الواردون[1]. و يحتمل ان يكون قوله فيكم، و عنكم: لمعاوية و غيره من المسلمين، واعذاره اليهم بالنصيحة و اداءالامانة، وإعراضُهُ عنهم بتَرْكِ مُعاجلة المُسئ بالعقوبة. و ما لابدّ منه، حربُ النّاكثين من أصحاب الجمل. والحديث:شرحُ قِصّتِهم و شُبْهَتِهم طويل. و قد أدبر منهم من أدبر، و أُقبلَ اليه من أقبل.

٧٥ ـ وَمِنْ كِتابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام
لِعبدِاللهِ بن العبّاس، عند اَستِخْلافِهِ إيّاهُ على البَصرة

سَعِ النَّاسَ بِوَجْهِكَ وَ مَجْلِسِكَ وَ حُكْمِكَ، وَ إِيَّاكَ وَالْغَضَبَ فَإِنَّهُ طِيرَةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَ اعْلَمْ أَنَّ مَا قَرَّبَكَ مِنَ اللهِ يُبَاعِدُكَ مِنَ النَّارِ، وَ مَا بَاعَدَكَ مِنَ اللهِ يُقَرِّبُكَ مِنَ النَّارِ.

---

١ ـ في نسخة ش: الوارد.

اقول: سعة الناس بوجهه: كناية عن بِشرهِ و طلاقته لهم. و بمجلسه: كناية عن تواضُعه و رأفته بهم. والطيرة الاسم من التطير و هو: التشأم. و اضافَهُ الى الشّيطان، لِأنّهُ مبدأُ الغَضب.

٧٦ ـ وَمِنْ وَصِيَّةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام
لعبدِالله بن العباس، لمّا بَعَثَهُ لِلأحتجاج علىٰ الخوارج

لَا تُخَاصِمْهُمْ بِالْقُرْآنِ فَإنَّ الْقُرْآنَ حَمَّالٌ ذُو وُجُوهٍ تَقُولُ وَيَقُولُونَ، وَ لكِنْ حَاجِجْهُمْ بِالسُّنَّةِ فَإنَّهُمْ لَنْ يَجِدُوا عَنْهَا مَحِيصاً.

أقول: إنّما كان القرآن حمّالاً للوجوه، لانّ اكثرَالآياتِ غيرُ ناصّةٍ على المطلوب، بل محتملة تمكنّهم المجادلة[1]. والمحيص: المعدل.

٧٧ ـ وَمِنْ كِتابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام
إلي أبي موسى الأشعَريّ جواباً في أمر الحكمين
ذَكَرَهُ سعيدُ بنُ يحييٰ الأُمويّ في كتاب المغازي[2]

فَإنَّ النَّاسَ قَدْ تَغَيَّرَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ عَنْ كَثِيرٍ مِنْ حَظِّهِمْ، فَمَالُوا مَعَ الدُّنْيَا وَ نَطَقُوا بِالْهَوَى، وَإنِّي نَزَلْتُ مِنْ هٰذَا الْأَمْرِ مَنْزِلًا مُعْجِبًا اجْتَمَعَ بِهِ أَقْوَامٌ أَعْجَبَتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ، فَإنِّي أُدَاوِي مِنْهُمْ قَرْحاًأخَافُ أَنْ يَكُونَ عَلَقًا ،وَلَيْسَ رَجُلٌ ـ فَاعْلَمْ ـ أَحْرَصَ عَلَى جَمَاعَةِأُمَّةِمُحَمَّدٍ،صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

١ ـ في ش بزيادة: باحتمالها.

٢ ـ الصحيح: يحيى بن سعيد بن أبان الاموي الكوفي المُتوفىٰ ١٩٤. وكان حافظا ثبتا نبيلا وهو من التابعين وله كتاب (المغازي) والغريب أن التصحيف هذا حدث في جميع طبعات كتاب (نهج البلاغة) و شروحه ولم يتحقق في حاله أحد. تجد ترجمته في:

تاريخ بغداد ١٣٢/١٤. تذكرة الحفاظ ٣٢٥/١. تهذيب التهذيب ٢١٣/١١. خلاصة تذهيب الكمال/ ٣٦٣. شذرات الذهب ٣٤١/١. طبقات الحفاظ/ ١٣٦. كشف الظنون ١٧٤٧/١. ميزان الاعتدال ٣٨٠/٤.

وَآلِهِ وَ سَلَّمَ، وَ أَلْفَيْتَهَا مِنِّي أَبْتَغِي بِذٰلِكَ حُسْنَ الثَّوَابِ وَ كَرَمَ الْمَآبِ. وَ سَأَفِي بِالَّذِي وَ أَيْتُ عَلَى نَفْسِي، وَ إِنْ تَغَيَّرْتَ عَنْ صَالِحِ مَا فَارَقْتَنِي عَلَيْهِ، فَإِنَّ الشَّقِيَّ مَنْ حُرِمَ نَفْعَ مَا أُوتِيَ مِنَ الْعَقْلِ، وَالتَّجْرِبَةِ وَ إِنِّي لَأَعْبَدُ أَنْ يَقُولَ قَائِلٌ بِبَاطِلٍ. وَ أَنْ أُفْسِدَ أَمْرًا قَدْ أَصْلَحَهُ اللّٰهُ: فَدَعْ مَا لَا تَعْرِفُ. فَإِنَّ شِرَارَ النَّاسِ طَائِرُونَ إِلَيْكَ بِأَقَاوِيلِ السُّوءِ.

اقول: عن كثير من حظّهم، اى: الحظّ الذى ينبغى لهم من الدّين والهدى. والحظّ: النصيب. والأمر: أمرُ الخلافة. والمنزل المُعجِب: الذى نزله منه حاله التى حصل فيها مع اصحابه و صارت محلّ التعجّب. و كيف صار محكوماً لهم فى قبول الحكومة، والرّضى بالتحكيم. و قوله: اجتمع به صفة منزل. و استعار لفظ القرح: لما فسد من حاله معهم. ولفظ العلق: و هوالدّمُ الغليظ لما يُخافُ من تفاقُمِ أمرهم عن تلك الحال .و وأيت: وعدت. وأعبَدُ: أستنكفُ و آنف.

۷۸ ـ وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام
لَمَّا اُسْتُخْلِفَ، إلى أُمَرَاءِ الأَجْنَاد

أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ مَنَعُوا النَّاسَ الْحَقَّ فَاشْتَرَوْهُ، وَ أَخَذُوهُمْ بِالْبَاطِلِ فَاقْتَدَوْهُ.

اقول: اشتروه بمعنى باعوه أي: فباعه الناس و تعوّضوا عنه بالباطل. فاقتدوه اى: جعلوه قُدوةً و متبوعاً[1]. و بالله التوفيق.

۱ـ نسخة ش: لهم.

باب المختار من حِكَمِ أميرالمؤمنين عليه السلام
ويدخلُ في ذلك المختارُ من أجوبةِ مسائِلِه
والكلامُ القصيرُ الخارجُ في سائرِ أغرَاضِهِ[1]

١ - قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: كُنْ فِي الْفِتْنَةِ كَابْنِ اللَّبُونِ. لَا ظَهْرٌ فَيُرْكَبَ، وَلَا ضَرْعٌ فَيُحْلَبَ.

اقول: إبن اللبون: و لدالناقة اذا استكمل سنتين، و دخل في الثالثة. و أراد التشبّه في الفتنة بابن اللّبون، في عدم انتفاع الظالمين بك بوجه، كما لا نفع فيه بظهر و لا ضرع.

٢ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إحدى و عشرين كلمة من الأدب والحث على مكارم الأخلاق و هي قوله:

أَزْرَى بِنَفْسِهِ مَنِ اسْتَشْعَرَ الطَّمَعَ، وَ رَضِيَ بِالذُّلِّ مَنْ كَشَفَ عَنْ ضُرِّهِ، وَ هَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ مَنْ أَمَّرَ عَلَيْهَا لِسَانَهُ، وَالْبُخْلُ عَارٌ، وَالْجُبْنُ مَنْقَصَةٌ، وَالْفَقْرُ يُخْرِسُ الْفَطِنَ عَنْ حُجَّتِهِ، وَالْمُقِلُّ غَرِيبٌ فِي بَلْدَتِهِ، وَالْعَجْزُ آفَةٌ، وَالصَّبْرُ شَجَاعَةٌ، وَالزُّهْدُ ثَرْوَةٌ، وَالْوَرَعُ جُنَّةٌ، وَنِعْمَ الْقَرِينُ الرِّضَا، وَالْعِلْمُ وِرَاثَةٌ كَرِيمَةٌ، وَالآدَابُ حُلَلٌ مُجَدَّدَةٌ، وَالْفِكْرُ مِرْآةٌ صَافِيَةٌ، وَ صَدْرُ الْعَاقِلِ صُنْدُوقُ سِرِّهِ، وَالْبَشَاشَةُ حِبَالَةُ الْمَوَدَّةِ، وَالاِحْتِمَالُ قَبْرُ الْعُيُوبِ (الْمُسَالَمَةُ خِبَاءُ الْعُيُوبِ)، وَ مَنْ رَضِيَ عَنْ نَفْسِهِ كَثُرَ السَّاخِطُ عَلَيْهِ، وَالصَّدَقَةُ دَوَاءٌ مُنْجِحٌ، وَ أَعْمَالُ الْعِبَادِ فِي عاجلهم نُصْبُ أَعْيُنِهِمْ فِي آجِلِهِمْ.

---

[1] - شرح المؤلف ابن ميثم البحراني... مائة كلمة من مجموع كلمات الامام اميرالمؤمنين عليه السلام، شرحا مبسطا و طبع في كتاب خاص في طهران عام ١٣٩٤ الهجرى و يقع في ٢٧٢ ص كما سبق الحديث عنه في المقدمة.

أقول: استشعر الطمع اى: اتخذه شعارًا لقلبه والشعار، ما يلي الجسد من الثياب، فاستعار هاهنا لمكان المشابهة، و هي مستلزم لهون النفس والازراء بها عندالناس بحسب الحاجة اليهم و الذلّة لهم، و تأميراللسان: تحكيمه في القول من غير مراجعة النفس، و نفرّ عن ذلك بذكر ما يلزمه من سهولة نفسه عليه، لانّه ربّما كان سبب هلاكها في الدارين كقول الرسول صلىّ الله عليه و آله: (و هل يكبّ الناس على مناخرهم في النار الاّ حصايد ألسنتهم). و عارالبخل، و نقصان الجبن: باعتباركونهما رذيلتين. و استعار وصف الخرس عن الفقر: لكونه مذلّة يفعل في النفس قبضاً و فتورا، و عجزًا عن المقاومة بالحجّة كالخرس. و غربة المقلّ: باعتبار قلّة الالتفات اليه. والآفة: النقصان. والصبر شجاعة: باعتبار انّه مقاومة النفس الامّارة لئلاّ تنقاد الى قبائح اللّذات و ذلك مستلزم لأتم الشجاعة. والزهد: مستلزم لغنى النفس لانّه إعراضٌ عن متاع الدنيا والحاجة اليها، والورع: لزوم الأعمال الجميلة و هو جُنّة ساترة من عذاب الله.

و استعار لفظ المجدّدة للآداب: باعتبار دوام زينة المتلبس بها. و لفظ المرآة: لقوّة الفكر: باعتبار انتقاشها بصورالاشياء كالمرآة. و لفظ الصندوق: باعتبار حفظه للسّر. و رغّب بذكر العقل في حفظ السّر، و لفظ الحبالة للبشاشة في وجوه الناس: باعتبار استلزامها للمودّة كالحبالة للصيد. و لفظ القبر للأحتمال: باعتبار ستره للعيوب من صاحبه. و كذلك لفظ الخباء، في الرواية الثانية. و كثرة الساخط على من رضى عن نفسه: لانّه يرفعها فوق قدرها لاعتقاده كمالها. والناس يرونه بدون ذلك فيكثر الإنكار عليه، و سخط فعله واستعار لفظ الدواء للصدقة: باعتبار انّها حَسَنَةٌ يُذهب السيّئة التى هى الداء النفساني، و لانّها تستجلب الهمم، و الأدعية الصالحة لشفاءالامراض البدنيّة فُتشْفى، كما قال صلى الله عليه و آله: (داووا مرضاكم بالصدقة). و كون اعمال العباد نصب أعينهم في آجلهم: لما علمت انّ النفوس تنتعش بملكات الخير و الشّر لكنها في أغطية من الأبدان بحجبها عن ادراك الأموركماهي،فاذا زالت تلك الحجب بالموت ادركت ما فيها من خير و شرّ، و كانت نصب عينها مشاهدة لها، كما قال تعالى: (فَكَشَفْنا عَنْكَ غِطائَكَ)[1].

---

١ ـ سورة ق /٢٢.

٣ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: اَعْجَبُوا لِهٰذَا الْإِنْسَانِ يَنْظُرُ بِشَحْمٍ، وَيَتَكَلَّمُ بِلَحْمٍ، وَيَسْمَعُ بِعَظْمٍ، وَيَتَنَفَّسُ مِنْ خَرْمٍ!!

٤ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِذَا أَقْبَلَتِ الدُّنْيَا عَلَى أَحَدٍ أَعَارَتْهُ مَحَاسِنَ غَيْرِهِ وَ إِذَا أَدْبَرَتْ عَنْهُ سَلَبَتْهُ مَحَاسِنَ نَفْسِهِ.

يريد: انّ اقبال الدّنيا: بسبب توافق أسباب الخير فيها لقوم يعدهم للحصول على مثل كمالا تها التى حصلت لمن كان قبلهم ممّا يعد حسناً. و اذا أدبرت عنهم اعدّتهم لأضدادِ ذلك و سلبوا ما كان منه حاصلاً لهم. و استعار وصف العارية لتلك الكمالات: باعتبار عدم دوامها.

٥ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: خَالِطُوا النَّاسَ مُخَالَطَةً إِنْ مُتُّمْ مَعَهَا بَكَوْا عَلَيْكُمْ، وَإِنْ عِشْتُمْ حَنُّوا إِلَيْكُمْ.

ارادالمخالطة: بمكارم الاخلاق، فانّها يستلزم ماذكر.

٦ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِذَا قَدَرْتَ عَلَى عَدُوِّكَ فَاجْعَلِ الْعَفْوَ عَنْهُ شُكْرًا لِلْقُدْرَةِ عَلَيْهِ.

الشكر: هوالاعتراف بالنعمة: والعفو: مستلزم للاعتراف بنعمة القدرة على العدوّ، فامر بالعفو المستلزم للشكر. و اطلق لفظه على العفو مجازًا: اطلاقا لإسم اللازم على ملزومه.

٧ ـ وَقَال عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَعْجَزُ النَّاسِ مَنْ عَجَزَ عَنِ اكْتِسَابِ الْإِخْوَانِ وَأَعْجَزُ مِنْهُ مَنْ ضَيَّعَ مَنْ ظَفِرَ بِهِ مِنْهُمْ.

امّا الاوّل: فلانّ اكتساب الاخوان اما يفتقر الى كرم الاخلاق وحسن المعاشرة و هي امور طبيعيّة فى اكثر الناس سهلة عليهم. و اما المضيع لهم اعجز، فلأنه لا يفتقر في حفظهم الى كلفة التحصيل، فكان سبب حفظهم اسهل فكان مضيّعهم أعجز.

٨ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: فی الذين اعتزلوا القتال معه:
خَذَلُوا الْحَقَّ وَ لَمْ يَنْصُرُوا الْبَاطِلَ.
والمعنى واضح.

٩ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلامُ: إِذَا وَصَلَتْ إِلَيْكُمْ أَطْرَافُ النِّعَمِ فَلاَ تُنَفِّرُوا أَقْصَاهَا بِقِلَّةِ الشُّكْرِ.
و هو: تمثيل للنعم بالنعم. واطرافها: اوائلها. واقصاها، ما يأتى بعد ذلك. و استعار وصف التنفير لا نقطاعها بترك الشكر: لأنه سبب لمزيدها، فانقطاعها بانقطاعه، و فيه تنبيه على لزوم الشكر.

١٠ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: مَنْ ضَيَّعَهُ الْأَقْرَبُ أُتِيحَ لَهُ الْأَبْعَدُ.
اى من أهله و قومه اتيح له الأبعد، اى: قدّر لمنفعته و معونته لوجوب ذلك فى عناية الله تعالى.

١١ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: مَا كُلُّ مَفْتُونٍ يُعَاتَبُ.
اى: ليس كُلُّ مُبتَلى بمَعصيةٍ ينفعُ مَعَهُ العتاب.

١٢ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: تَذِلُّ الْأُمُورُ لِلْمَقَادِيرِ حَتَّى يَكُونَ الْحَتْفُ فِى التَّدْبِيرِ.
فذلّتها: مطاوعتها للقدر بحسب القضاء الألهى. و ربّما كان الهلاك المُفضى منها مقدّرًا فيما يعتقده الانسان تدبيراً صالحًا لجهله بسرّ القدر.

١٣ـ وَسُئِلَ عَلَيْهِ السَّلام: عن قول الرسول صلى الله عليه و آله و سلم «غَيِّرُوا الشَّيْبَ، وَ لاَ تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ»[١] فقال عليه السلام: إِنَّمَا قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ ذٰلِكَ وَالدِّينُ قُلٌّ، فَأَمَّا الآنَ وَ قَدِ اتَّسَعَ نِطَاقُهُ، وَ ضَرَبَ بِجِرَانِهِ فَامْرُؤٌ وَ مَا اخْتَارَ.

---

١ ـ فى رواية ان النبي (ص) قال: انّ اليهود والنصارى لايصبغون فخالفوهم. صحيح مسلم ٣/ ١٦٦٣ عن أبي هريرة.

قد كان الرسول صلى الله عليه و آله ندب الى الخضاب ليرى الكفار المسلمين بعين الشيبة والقوة حيث كانوا قليلين، و كان ينفرهم عن تركه بانّ ذلك يشبّه باليهود، و لذلك نبّه عليه السلام على المقصود في قوله: والدين قُلّ.و استعار لفظ النطاق، و هو: شقة طويلة تنجر على الارض اذا البست للاسلام باعتبار عمومه وانبساطه. ولفظ الجران: و هو صدرالبعير له،باعتبار تمكّنهو ثباته.و اشار بقوله:و أمرؤ و ما اختار: الى الإباحة بعدالندب.

١٤ ـ وَقالَ عَلَيْهِ السَّلام: مَنْ جَرَى فِي عِنَانِ أَمَلِهِ عَثَرَ بِأَجَلِهِ.

استعار وصف الجرى: للاندفاع فى الأمل. و وصف العثار للأجل: باعتبار المعقول من قطعه لذلك الاندفاع تنفيراً عن الغفلة والجرى فيه.

١٥ ـ وَقالَ عَلَيْهِ السَّلام: أَقِيلُوا ذَوِي الْمُرُوءَاتِ عَثَرَاتِهِمْ، فَمَا يَعْثُرُ مِنْهُمْ عَاثِرٌ إِلَّا وَيَدُاللهِ بِيَدِهِ يَرْفَعُهُ.

استعار لفظ العثرات: للزلّات الواقعة منهم. و لفظ اليد: لعناية الله تعالى و قدرته. و كنّى عن تداركه لحاله و تعلق العناية به، بكون يده بيده، ترفعه و ترفقه.

١٦ ـ وَقالَ عَلَيْهِ السَّلام: قُرِنَتِ الْهَيْبَةُ بِالْخَيْبَةِ، وَالْحَيَاءُ بِالْحِرْمَانِ، وَالْفُرْصَةُ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ فَانْتَهِزُوا فُرَصَ الْخَيْرِ.

فاقترانهما: عبارة عن ملازمتهما غالبًا، وهو تنفير عن الهيبة والحياء المذمومين. و انتهز الفرصة: بادر وقتها. والفرصة ما أمكن من نفسه.

١٧ـ وَقالَ عَلَيْهِ السَّلام: لَنَا حَقٌّ فَإِنْ أُعْطِينَاهُ وَ إِلَّا رَكِبْنَا أَعْجَازَ الإِبِلِ وَ إِنْ طَالَ السُّرَى.

قال الرضى: وهذا من لطيف الكلام وفصيحه، ومعناه إنا إن لم نُعط حقنا كُنا اذلاء، وذلك أن الرديف يركب عجز البعير كالعبد والأسير ومن يجرى مجراهما.

١٨ ـ وَقالَ عَلَيْهِ السَّلام: مَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ.

يريد ان من لم يكن له عمل حسن يرفعه، فَتَأَخَّرَ بسبب ذلك[1] عن معالى الرتب، لم يسرع به نسبه و شرف بيته اليها. و روى حسبه، والحسب، ما يُعدُّ من المآثر.

١٩ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: مِنْ كَفَّارَاتِ الذُّنُوبِ الْعِظَامِ إِغَاثَةُ الْمَلْهُوفِ وَالتَّنْفِيسُ عَنِ الْمَكْرُوبِ.

فالملهوف: المظلوم يستغيث. والتنفيس: التفريج.

٢٠ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: يَا ابْنَ آدَمَ، إِذَا رَأَيْتَ رَبَّكَ سُبْحَانَهُ يُتَابِعُ عَلَيْكَ نِعَمَهُ وَ أَنْتَ تَعْصِيهِ فَاحْذَرْهُ.

تتابع نعم الله على العبد مع معصيته له استدراج منه يوجب حذره.

٢١ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: مَا أَضْمَرَ أَحَدٌ شَيْئاً إِلَّا ظَهَرَ فِي فَلَتَاتِ لِسَانِهِ، وَصَفَحَاتِ وَجْهِهِ.

لانّ الوجود اللّسانىّ، مظهر للوجود الذّهني. والتصوّرات النفسانية مبادئ للامارة الظاهرة كصفرة الوَجَل، و حُمرة الخجل، فالمضمر لشئ، لايكاد يضبطه دائمًا لغفلة العقل، وقتًا مّا، او اشتغاله بمهمّ آخر عن العناية بحفظ ما اضمر فينفلت به اللسان و يظهر ما يدلّ عليه في الوجه، كما يتبيّن من العداوة والغضب.

٢٢ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: اِمْشِ بِدَائِكَ مَا مَشَى بِكَ.

اى: مادام المرض لا ينهضك فلا ينفعك عنه، لانّ في التجلّد معاونة للطبيعة على دفعه، و من الأمراض ما يتحلّل بالحركات البدنيّة.

٢٣ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: أَفْضَلُ الزُّهْدِ إِخْفَاءُ الزُّهْدِ.

اخفاؤه: للبعد[2] عن مخالطة الرياء المفسدة.

---

١ ـ في ش هكذا: فيأخر بذلك عن معالى الرتب.

٢ ـ في ش: لبعده.

٢٤ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: إذَا كُنتَ فِي إدْبَارٍ وَالْمَوْتُ فِي إقْبَالٍ فَمَا أَسْرَعَ الْمُلْتَقَى.

أراد ما يعقل من إدبار الانسان في قطع منازل العمر عن اوله، ومن وصول فنائه اليه بحسب توجّهه اليه.

٢٥ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: الْحَذَرَ الْحَذَرَ! فَوَاللهِ لَقَدْ سَتَرَ حَتَّى كَأَنَّهُ قَدْ غَفَرَ.

و هو ظاهر.

٢٦ ـ وَسُئِلَ عَلَيْهِ السَّلام: عَنِ الإيمَانِ، فَقَالَ: الإيمَانُ عَلَى أَرْبَعِ دَعَائِمَ: عَلَى الصَّبْرِ، وَالْيَقِينِ، وَالْعَدْلِ، وَالْجِهَادِ، وَالصَّبْرُ مِنْهَا عَلَى أَرْبَعِ شُعَبٍ: عَلَى الشَّوْقِ وَالشَّفَقِ، وَالزُّهْدِ، وَالتَّرَقُّبِ: فَمَنِ اشْتَاقَ إلَى الْجَنَّةِ سَلاَ عَنِ الشَّهَوَاتِ، وَمَنْ أَشْفَقَ مِنَ النَّارِ اجْتَنَبَ الْمُحَرَّمَاتِ، وَمَنْ زَهِدَ فِي الدُّنْيَا اسْتَهَانَ بِالْمُصِيبَاتِ وَمَنِ ارْتَقَبَ الْمَوْتَ سَارَعَ إلَى الْخَيْرَاتِ. وَالْيَقِينُ مِنْهَا عَلَى أَرْبَعِ شُعَبٍ: عَلَى تَبْصِرَةِ الْفِطْنَةِ، وَتَأَوُّلِ الْحِكْمَةِ، وَمَوْعِظَةِ الْعِبْرَةِ، وَسُنَّةِ الأَوَّلِينَ: فَمَنْ تَبَصَّرَ فِي الْفِطْنَةِ تَبَيَّنَتْ لَهُ الْحِكْمَةُ، وَمَنْ تَبَيَّنَتْ لَهُ الْحِكْمَةُ عَرَفَ الْعِبْرَةَ، وَمَنْ عَرَفَ الْعِبْرَةَ فَكَأَنَّمَا كَانَ فِي الأَوَّلِينَ. وَالْعَدْلُ مِنْهَا عَلَى أَرْبَعِ شُعَبٍ: عَلَى غَائِصِ الْفَهْمِ، وَغَوْرِ الْعِلْمِ، وَزُهْرَةِ الْحُكْمِ، وَرَسَاخَةِ الْحِلْمِ: فَمَنْ فَهِمَ عَلِمَ غَوْرَ الْعِلْمِ، وَمَنْ عَلِمَ غَوْرَ الْعِلْمِ صَدَرَ عَنْ شَرَائِعِ الْحُكْمِ، وَمَنْ حَلُمَ لَمْ يُفَرِّطْ فِي أَمْرِهِ وَعَاشَ فِي النَّاسِ حَمِيدًا. وَالْجِهَادُ مِنْهَا عَلَى أَرْبَعِ شُعَبٍ: عَلَى الأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَالصِّدْقِ فِي الْمَوَاطِنِ، وَشَنَآنِ الْفَاسِقِينَ فَمَنْ أَمَرَ بِالْمَعْرُوفِ شَدَّ ظُهُورَ الْمُؤْمِنِينَ، وَمَنْ نَهَى عَنِ الْمُنْكَرِ أَرْغَمَ أُنُوفَ الْمنَافِقِينَ، وَمَنْ صَدَقَ فِي الْمَوَاطِنِ قَضَى مَا عَلَيْهِ، وَمَنْ شَنِىءَ الْفَاسِقِينَ وَغَضِبَ للهِ غَضِبَ اللهُ لَهُ وَ أَرْضَاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وَقال عليه السلام: الْكُفْرُ عَلَى أَرْبَعِ دَعَائِمَ: عَلَى التَّعَمُّقِ، وَالتَّنَازُعِ، وَالزَّيْغِ، وَالشِّقَاقِ: فَمَنْ تَعَمَّقَ لَمْ يُنِبْ إلَى الْحَقِّ، وَمَنْ كَثُرَ نِزَاعُهُ بِالْجَهْلِ دَامَ عَمَاهُ عَنِ الْحَقِّ، وَمَنْ زَاغَ سَاءَتْ عِنْدَهُ الْحَسَنَةُ، وَحَسُنَتْ عِنْدَهُ السَّيِّئَةُ، وَسَكِرَ سُكْرَ الضَّلاَلَةِ؛ وَمَنْ شَاقَّ وَعُرَتْ عَلَيْهِ طُرُقُهُ، وَأَعْضَلَ عَلَيْهِ أَمْرُهُ، وَضَاقَ عَلَيْهِ مَخْرَجُهُ. والشَّكُّ عَلَى أَرْبَعِ شُعَبٍ: عَلَى التَّمَارِي وَالْهَوْلِ، وَالتَّرَدُّدِ، وَالاِسْتِسْلاَمِ: فَمَنْ جَعَلَ الْمِرَاءَ دَيْدَناً لَمْ يُصْبِحْ لَيْلُهُ، وَمَنْ هَالَهُ مَا بَيْنَ يَدَيْهِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ، وَمَنْ تَرَدَّدَ فِي الرَّيْبِ وَطِئَتْهُ سَنَابِكُ الشَّيَاطِينِ، وَمَنِ

ٱسْتَسْلَمَ لِهَلَكَةِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ هَلَكَ فِيهِمَا. (وبعد هذا كلام طويل تركنا ذكره خوف الأطاله والخروج عن الغرض المقصود فى هذا الباب).

أقول: اراد بالإيمان: الايمان الكامل، وله اصل و كمالات، اما الأصل فهو: استكمال القوّة النظريّة للنفس بتصورالامور، والتصديق بالحقائق النظريّة، والعمل بقدر الطاقة البشريّة، و يسمّى حكمة علمية. واما الكمالات فهي: التحلّي بالملكات الفاضلة و مكارم الاخلاق، فمنها: استكمال القوّة العمليّة للنفس بملكة العلم، بوجود الفضائل الخلقيّة، و كيفية اكتسابها و وجودالرذائل النفسانية و كيفية اجتنابها، و تسمّى حكمة عملية، و عبّر عن هذه الحكمة والتي قبلها باليقين: لانّها لا تسمّي حكمة، حتي تصير هذه الكمالات ملكة للنفس و يقيناً. و منها العفّة و عبّر عنها بالصبر: لانّه من لوازمها، و منها الشجاعة و هي: ملكة الإقدام الواجب على الأمور التى تنبغي دفعها و مقاومتها، و عبّر عنها بالجهاد: لملازمتهما. و منها العدل و هو: ملكة فاضلة ينشأ عن الفضائل الثلاثة المذكورة و يلزمها. واستعار لهذه الأربع لفظ الدعائم: باعتبار قيام الايمان الكامل بها.

ثُمَّ نبّه على ما يتشعب عن هذه الدعائم من الفضائل، و يكون كالنوع تحتها، فالشوق الى الجنّة و الاشفاق من النار و الزهد في الدنيا. و ترقّب الموت يلزمها العفّة والصبر عن المحارم، و تبصرة الفطنة واعمالها، و تأوّل الحكمة و هو تفسيرها، و استخراج الحقائق ببراهينها. والإتّعاظ عن العبر و ملاحظة سنن الأوّلين حتي يصير كأنّه منهم.

شعب اليقين و فروعه، و بعضها كالفرع لبعض، و الفهم الغائض و غورالعلم و اقصاه، وهوالعلم بالشئ بحقيقته، و نورالحكم اى: الاحكام الصادرة عنه نيّرة واضحة، و يحتمل ان يريد بالحكم الحكمة و نورها ان يكون ملكة واضحة. و رساخة الحلم و هو: ان يصير ملكة من شُعَبِ العدل و فروعه.

و اعلم، انّ فضيلتي جودة الفهم، و غور العلم، و ان كانتا داخلتين تحت الحكمة، و كذلك فضيلة الحلم، داخلة تحت ملكة الشجاعة، إلّا ان العدل لما كان فضيلة موجودة فى الاصول الثلاثة، كانت في الحقيقة هي وفروعها شعبًا للعدل.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصدق فى المواطن المكروهة. و شَنَآن الفاسقين أي: بغضهم المستلزم لعداوتهم و حربهم و جهادهم فى سبيل الله من

شُعَبِ الشجاعة المعبّر عنها بالجهاد، و لكلّ من هذه الفضائل ثمرة، و بعض ثمراتها ثمرات لبعض كما اشار اليه و هو ظاهر.

و أمّا الكفر، فله اصل، هو الجهل بالصانع. و جحده انكار بعض رسله و ما علم مجيئهم به، بالضرورة او الشكّ في شيء من ذلك، و متمّمات هي رذائل تفوته و تدعمه فمنها، التعمّق و هو الافراط في طلب الحق، و التعسّف فيه بالجهل و هو رذيلة الجون، و نفّر عنها بذكر ثمرتها، و هو عدم الانابة الى الحق.

ثم التنازع، و هو: رذيلة الافراط (من فضيلة العلم، و يسمّى جربزة)[1] و يعتمد الجهل المركّب، و يلزمه دوام العمى عن الحق.

ثم الزيغ و هو: رذيلة التفريط من فضيلة العلم، و يسمّى غباوة، وجهلا بسيطًا، و لذلك لزمه قبح الحسن، و حسن القبيح.

ثمّ الشقاق، و يشبه أن يكون رذيلة الإفراط من فضيلة الشجاعة، و يسمّى تهوّرًا و يلزمها عسر للسالك على صاحبها و ضيق مخرجه من الأمور، لأن مبدا سهولة المسالك و اتساع المداخل والمخارج في الامور هو الحلم عن الناس، و احتمال مكروههم. و أعضل اشتدّ.

و امّا الشكّ، فهو: تردّد الذهن في اعتقاد احد طرفي النقيض، و يتشعب عنه التماري لأنه مبدء له، ونفّر عمن اتخذّه مَلَكَةً بكونه لا يصبح ليله، و كنّى بذلك عن عدم وضوح الحق له من ظلمة ليل الشكّ والجهل.

ثمّ الهول، لأن الشكّ في الامور يستلزم الخوف من الاقدام عليها، و ثمرته الرجوع على الاعقاب.

ثم التردّد في الريب الى الانتقال من بعض جزئيات الشكّ الى بعض و ذلك دأب من تعوّد الشك، و صار له ملكة، و نفّر عن ذلك بما يلزم ممّا كنّى عنه بوطئ سنابك الشياطين، و هو ملك الوهم والخيال لأرض قلبه، حتى يكون سلطان العقول بمعزل عن الحزم بما من شأنه الجزم به[2]. و استعار لفظ السنابك جمع سنبكة وهي[3] الاستسلام

---

١ ـ الجملة بين القوسين ساقطة في نسخة ش.

٢ ـ في ش: أن يجزم به.

٣ ـ في ش بزيادة: و هي معرّب و معناه بالعجميّة سنب، و زيد الكاف والهاء فيه، والمراد به الحافر، اى

لهلكة الدنيا والآخرة، و يلزم عن الشك في امورها لأن الشاكّ فيها غير عامل لشئ منها، ولا مهتمّ باسبابها، و بحسب ذلك يكون استسلامه[1] لما يرد منها عليه، و لزوم هلاكه عن ذلك ظاهر. و بالله التوفيق.

٢٧ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: فَاعِلُ الْخَيْرِ خَيْرٌ مِنْهُ، وَفَاعِلُ الشَّرِّ شَرٌّ مِنْهُ.

لأن كلًّا منهما علّةٌ، و العلّة أفضل من معلولها، و اقوى فيما هي علّة فيه.

٢٨ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: كُنْ سَمْحًا وَلَا تَكُنْ مُبَذِّرًا، وَ كُنْ مُقَدِّرًا وَلَا تَكُنْ مُقَتِّرًا.

فالتبذير: طرف الافراط من فضيلة السّماحة. والتقتير: طرف التفريط منها والتقدير: هوالعدل والاستواء عليها.

٢٩ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: أَشْرَفُ الْغِنَى تَرْكُ الْمُنَى.

و ذلك لملازمته القناعة المستلزمة لغنى النفس، و هو اشرف انواع الغنى. والمنى جمع مُنْيَة: بمعنى التمنّي.

٣٠ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: مَنْ أَسْرَعَ إِلَى النَّاسِ بِمَا يَكْرَهُونَ قَالُوا فِيهِ بِمَا لَا يَعْلَمُونَ.

و ذلك لغلبة قواهم الغضبيّة على عقولهم بباعث تصوّر المكروه منه.

٣١ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: مَنْ أَطَالَ الْأَمَلَ أَسَاءَ الْعَمَلَ.

و ذلك لاستلزام طولة الغفلة عن الآخرة والاهتمام بها.

٣٢ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: وقد لقيه عند مسيره الى الشام دهاقين الأنبار، فترجّلوا له واشتدّوا بين يَدَيهِ، فقال: مَا هٰذَا الَّذى صَنَعْتُمُوهُ؟ فقالوا: خُلُقٌ منّا نُعظِّمُ به أُمراءنا، فقال:

---

١ ـ حافر الشياطين ثم الاستسلام...

وَٱللهِ مَا يَنْتَفِعُ بِهٰذَا أُمَرَاؤُكُمْ، وَإِنَّكُمْ لَتَشُقُّونَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ فِي دُنْيَاكُمْ، وَتَشْقَوْنَ بِهِ فِي آخِرَتِكُمْ، وَمَا أَخْسَرَ الْمَشَقَّةَ وَرَاءَهَا الْعِقَابُ، وَأَرْبَحَ الدَّعَةَ مَعَهَا الْأَمَانُ مِنَ النَّارِ.

اشتدّوا: عَدَوا بين يديه، و الشقاء فى الآخرة بذلك: لأنه تعظيم لغيرالله.

٣٣ ـ وقال عليه السلام لابنه الحسن:

يَا بُنَيَّ، احْفَظْ عَنِّي أَرْبَعًا، وَأَرْبَعًا، لَا يَضُرُّكَ مَا عَمِلْتَ مَعَهُنَّ: إِنَّ أَغْنَى الْغِنَى الْعَقْلُ، وَأَكْبَرَ الْفَقْرِ الْحُمْقُ، وَأَوْحَشَ الْوَحْشَةِ الْعُجْبُ، وَأَكْرَمَ الْحَسَبِ حُسْنُ الْخُلُقِ.

يَا بُنَيَّ، إِيَّاكَ وَمُصَادَقَةَ الْأَحْمَقِ فَإِنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَنْفَعَكَ فَيَضُرُّكَ، وَإِيَّاكَ وَمُصَادَقَةَ الْبَخِيلِ فَإِنَّهُ يَبْعُدُ عَنْكَ أَحْوَجَ مَا تَكُونُ إِلَيْهِ، وَإِيَّاكَ وَمُصَادَقَةَ الْفَاجِرِ فَإِنَّهُ يَبِيعُكَ بِالتَّافِهِ، وَإِيَّاكَ وَمُصَادَقَةَ الْكَذَّابِ فَإِنَّهُ كَالسَّرَابِ: يُقَرِّبُ عَلَيْكَ الْبَعِيدَ، وَيُبْعِدُ عَلَيْكَ الْقَرِيبَ.

لمّا كان العقل أشرف من المال، وأفضل، كان الغنى به أفضل انواع الغنى، وا لفقر منه بالحمق اكثر انواع الفقر. و امّا العجب بالنفس: فهو و ما يلزمه من رذيلة الكبر أقوى الأسباب الموجبة لاستيحاش المعجب من الخلق، لما يرى لنفسه من الفضيلة عليهم، و لا يرى لنفسه قريبًا و لا أهلاً للمصاحبة، و بحسب ذلك يكون نفرتهم منه، ولذلك كان التواضع مستلزمًا لانفسهم. و الحسب ما يعد من المآثر، واشرفها الكمالات النفسانيّة الباقية. و قد يخصّ حسن الخلق فى العرف بسعة الصدر و التواضع والبشاشة. والتافه: الشيء القليل. و باقى الفصل ظاهر.

و انّما قال: اربعًا و اربعًا لأن الأربع الاولى، من باب اكتساب الفضائل الخلقيّة، والثانيه من باب المعاملة مع الخلق. و قيل: الاولىٰ من باب الا ثبات، والثانية من باب النفى.

٣٤ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَا قُرْبَةَ بِالنَّوَافِلِ إِذَا أَضَرَّتْ بِالْفَرَائِضِ.

فالإضرار بالفرائض: تخفيفها، و تنقيص فضلها للتعب، والملال من النافلة، و أراد بنفى القربة: كمالها و فضيلتها.

٣٥ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: لِسَانُ الْعَاقِلِ وَرَاءَ قَلْبِهِ، وَقَلْبُ الْأَحْمَقِ وَرَاءَ لِسَانِهِ.

و اقول: انه استعار الوراء في الموضعين، لما يعقل من تأخّر لفظ العاقل عن رويّته، و تأخّر رويّة الاحمق، و فكره فيما يقول عن بوادر مقاله، من غير مراجعة لعقله، والمعنى ظاهر ممّا سبق.

قال السيد ـ رحمه الله ـ: «وهذا من المعاني العجيبة الشريفه. والمراد به أنّ العاقل لايطلق لسانه إلّا بعد مشاورة الرويّه ومؤامرة الفكرة، والأحمق تسبقُ حذفاتُ لسانه وفلتاتُ كلامه مراجعةَ فكره ومحافضةَ رأيه، فكأنّ لسانَ العاقل تابعٌ لقلبه، وكأنَّ قلبَ الأحمق تابعٌ للسانه» وقد رُوي عنه(ع) هذا المعنىٰ بلفظٍ آخر وهو قوله: «قلبُ الأحمق فى فيه»، ولسانُ العاقل فى قلبه، ومعنا هما واحد.

٣٦ ـ وقال لبعض أصحابه في علّةٍ اعتلّها: جَعَلَ اللهُ مَا كَانَ مِنْ شَكْوَاكَ حَطًّا لِسَيِّئَاتِكَ، فَإِنَّ الْمَرَضَ لاَأَجْرَ فِيهِ، وَلٰكِنَّهُ يَحُطُّ السَّيِّئَاتِ وَيَحُتُّهَا حَتَّ الْأَوْرَاقِ. وَإِنَّمَا الْأَجْرُ فِي الْقَوْلِ بِاللِّسَانِ، وَالْعَمَلِ بِالْأَيْدِي وَالْأَقْدَامِ، وَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ يُدْخِلُ بِصِدْقِ النِّيَّةِ وَالسَّرِيرَةِ الصَّالِحَةِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ الْجَنَّةَ.

و اقول: انّ الأجر والثواب انّما يستحقّان بالأفعال، والأحوال، لإعدادها النفس لذلك، كما اشار اليه بقوله، و انّما الأجر الى قوله: والاقدام. وكنّى بالاقدام: عن القيام بالعبادةوالسعي فيها. و كذلك ما يكون كالأفعال من عدمات الملكات كالصوم و نحوه. والمرض: ليس بفعلٍ للعبد و لا ماهو كالفعل. فامّا حطّة السيّئات: فباعتبار كسره لقوّتي الشهوة، والغضب الّلذين هما مبدءان للذنوب، ولانّ من شأنه أن يرجع الانسان فيه الى ربّه بالتّوبة والخضوع فما كان من السيئات حالات غير متمكّنة من جوهر النفس، فإنه يسرع زوالها منها. و ما صار ملكة فربّما يزول على طول المرض، و دوام الانابة معه الى الله تعالى. و وجه تشبيهه بحتّ الورق: سقوطه بالكلّية. و ما ذكره السيّد مقتضى مذهب المعتزلة.

قال السيد ـ رحمه الله ـ: صَدَقَ ـ عليه السلام ـ إنّ المرضَ لاأجرَ فيه، لأنّه من قبيل مايستحقُ عليه العوض، لانَّ العِوَض يُسْتَحقُّ علىٰ ماكان فى مقابلة فعل الله ـ تعالىٰ ـ بالعبد من الالآم والامراض ومايجري بجرىٰ ذلك، والأجر والثواب يُستحقّان على ما كان في

مقابلة فعل العبد، فبينهما فرقٌ قد بيّنه ـعليه السلام ـ كما يقتضيه عِلمُهُ الثاقب ورأيُه الصائب.

٣٧ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام في ذكر خباب بن الأرت رحمه الله : يَرْحَمُ اللهُ خَبَّابَ بْنَ الأَرَتِّ؛ فَلَقَدْ أَسْلَمَ رَاغِبًا، وَهَاجَرَ طَائِعًا، وَعَاشَ مُجَاهِدًا. طُوبَى لِمَنْ ذَكَرَ الْمَعَادَ، وَعَمِلَ لِلْحِسَابِ، وَقَنِعَ بِالْكَفَافِ، وَرَضِيَ عَنِ اللهِ.

خبّاب بخاء معجمة و باء مضعفة: كان من المهاجرين، مات بعد انصرافه من صفّين بالكوفة، و هو أوّلُ من قَبَرَهُ عليه السلام بها.

٣٨ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: لَوْ ضَرَبْتُ خَيْشُومَ الْمُؤْمِنِ بِسَيْفِي هٰذَا عَلَى أَنْ يُبْغِضَنِي مَا أَبْغَضَنِي، وَلَوْ صَبَبْتُ الدُّنْيَا بِجَمَّاتِهَا عَلَى الْمُنَافِقِ عَلَى أَنْ يُحِبَّنِي مَا أَحَبَّنِي، وَذٰلِكَ أَنَّهُ قُضِيَ فَانْقَضَى عَلَى لِسَانِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ قَالَ «يَا عَلِيُّ؛ لَا يُبْغِضُكَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يُحِبُّكَ مُنَافِقٌ».

الخيشوم: اصل الأنف. والجمات جمع جمّة، و هو: مجتمع الماء من الأرض. و استعار لمجتمع المال.

٣٩ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: سَيِّئَةٌ تَسُوءُكَ خَيْرٌ عِنْدَ اللهِ مِنْ حَسَنَةٍ تُعْجِبُكَ.

أي: تندم عليها و تحزن، وانّما كانت خيرًا. لأن الحزنَ على السّيئة ماحٍ لها. والعجبُ بالحسنةِ سيئةٌ باقيةٌ مع إحباطها الحَسَنة.

٤٠ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: قَدْرُ الرَّجُلِ عَلَى قَدْرِ هِمَّتِهِ. وَصِدْقُهُ عَلَى قَدْرِ مُرُوءَتِهِ، وَشَجَاعَتُهُ عَلَى قَدْرِ أَنَفَتِهِ، وَعِفَّتُهُ عَلَى قَدْرِ غَيْرَتِهِ.

قدره: منزلته في اعتبار الناس من تعظيم أو احتقارٍ، و هو من لوازم علوّ همّته، و هو ان لا يقتصر على بلوغ غاية من الامور التي يزداد بها شرفًا و فضيلة حتى يسمو الى ماوراءها فما هو أعظم، ويلزم ذلك نبله وتعظيمه. و صغرها ان يقتصر على محقّرات الأمور و

يقصر عن عليّاتها، و بحسب ذلك تكون قلّة قدره. و كذلك المروّة فضيلة تتعاطى الانسان الأفعال الجميلة،و اجتناب ما تعود عليه بالنقص و ان كان مباحًا فلذلك لزمه الصدق، و كانت قوّته و ضعفه بحسب قوّتها و ضعفها. والانفة: حميّة الأنف و ثوران الغضب لما يتخيّل من مكروه يعرض استنكاراً له و استنكافاً من وقوعه. و ظاهر كونه مبدأ للشجاعة والاقدام على الامور. و الغيرة نفرة طبيعيّة تكون عن تخيّل مشاركة الغير فى أمر محبوب له، او معتقد لوجوب حفظه، و بحسب قوّة تلك النفرة، و تخيّل مشاركة الغير فى أمرٍ يَخُصُّه محبوب له، يكون وقوعه عن اتباع شهوته فى الامور المختصة بالغير المحبوبة لهم، و هو معنى العفّة.

٤١ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: الظَّفَرُ بِالْحَزْمِ؛ وَالْحَزْمُ بِإِجَالَةِ الرَّأْى، وَالرَّأْىُ بِتَحْصِينِ الْأَسْرَارِ.

أشار إلى اسباب الظفر القريب، والمتوسّط، والبعيد. فالحزم: ان يقدّم العمل للحوادث الممكنة قبل وقوعها بما هو أبعد من الغرور، و اقرب الى السلامة، و هو السبب الأقرب للظفر بالمطالب. والتوسّط و هو: اجالة الرّأى و إعماله فى تحصيل الوجه الأحزم و هو: سبب أقرب للحزم. والأبعد و هو: اسرار ما يطلب و هو: سبب أقرب للرأى الصالح، اذ قل ما يتمّ رأى و يظفر بمطلوب مع ظهور ارادته، و وجه التشبيه ظاهر.

٤٢ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: احْذَرُوا صَوْلَةَ الْكَرِيمِ إذَا جَاعَ، وَاللَّئِيمِ إذَا شَبِعَ.

أرادبالكريم: شريف النفس عالي الهمّة. وكنّى بجوعه: عن شدّة حاجته واستلزام ذلك لثوران حميّته، والقاء نفسه فى غلبات الأمور كالولاية على الناس و طلب مجازاتهم، والانتقام منهم فيما اسلفوا معه من قلّة الإلتفات اليه، والعناية بحاله. و شبع اللّئيم: كناية عن غناه وهو مستلزم لاستمراره على مقتضى طباعه من اللّؤم و مُؤكّدٌ له فيه.

٤٣ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: قُلُوبُ الرِّجَالِ وَحْشِيَّةٌ، فَمَنْ تَأَلَّفَهَا أَقْبَلَتْ عَلَيْهِ.

الوحشة عدم الأنس و الألفة عمّا من شأنه أن يأنس به، و يألف، و جعلها أصلا و

الالفة فرعًا لحاجة الألفة الى اكتساب.

٤٤ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: عَيْبُكَ مَسْتُورٌ مَا أَسْعَدَكَ جَدُّكَ.
الجَد: حسن البخت و توافق أسباب المصالح، و منها: ستر العيوب.

٤٥ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: أَوْلَى النَّاسِ بِالْعَفْوِ أَقْدَرُهُمْ عَلَى الْعُقُوبَةِ.
انّما يصدق مع القدرة على العقوبة، فالأقدر عليها هو الأولى أن يسمّى عفوًا.

٤٦ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: السَّخَاءُ مَا كَانَ ابْتِدَاءً؛ فَأَمَّا مَا كَانَ عَنْ مَسْأَلَةٍ فَحَيَاءٌ وَتَذَمُّمٌ.
ألسخاء: مَلَكَةٌ بذلِ المال لمستحقّه بقدر ما ينبغي، ابتداءاً بباعث النفس، و حسن المواساة لذوى الحاجة فيه، و بهذا الرسم خرج ما كان عن مسألة و تذمّم. و التذمّم: الاستنكاف ممّا يقع من السائل كالجافِ و نحوه.

٤٧ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: لَاغِنَى كَالْعَقْلِ، وَلَا فَقْرَ كَالْجَهْلِ، وَلَا مِيرَاثَ كَالْأَدَبِ، وَلَا ظَهِيرَ كَالْمُشَاوَرَةِ.
لفضله على المال. و لا ظهير كالمشاورة: لانّها انفع من القوة، و كثرة العدد. والظهير المعين.

٤٨ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: الصَّبْرُ صَبْرَانِ: صَبْرٌ عَلَى مَا تَكْرَهُ، وَصَبْرٌ عَمَّا تُحِبُّ
فالصبر الاوّل: مقاومة النفس للمكاره الواردة عليها، و ثباتها عن الغضب و عن الانفعال عنها و قد يسمّى سعة الصدر. و احتمال المكروه، وهو داخل تحت الشجاعة. والصبر الثاني: مقاومة النفس لقوّتها الشهويّة و هو فضيلة تحت العفّة.

٤٩ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: الْغِنَى فِي الْغُرْبَةِ وَطَنٌ، وَالْفَقْرُ فِي الْوَطَنِ غُرْبَةٌ.
استعار له لفظ الوطن: باعتبار انّه مطيّة راحته و سكونه اليه، فلا يَرى للغربة معه كبير

أَثَرٍ. و لفظ الغربة للفقر في الوطن: باعتبار ضيق الخَلْقِ به و تعسّر الامور معه.

٥٠ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: الْقَنَاعَةُ مَالٌ لاَيَنْفَدُ.

(قال السيد الرضى: وقد روى بعضهم هذا الكلام عن النّبى صلى الله عليه وآله.)
واستعار لفظ المال الموصوف للقناعة باعتبار عدم الحاجة معها*.

٥١ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: الْمَالُ مَادَّةُ الشَّهَوَاتِ.

٥٢ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: مَنْ حَذَّرَكَ كَمَنْ بَشَّرَكَ.

اى: من الامر كمن بشّرك اى: بالنجاة منه، و وجه الشبه ظاهر.

٥٣ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: اللِّسَانُ سَبُعٌ إِنْ خُلِّيَ عَنْهُ عَقَرَ.

و لفظ السبع، و وصف العقر: مستعاران باعتبار انّ اهمال اللسان و عدم ضبطه عن القول بالتفكّر سبب للهلاك الاكثري، والاذى الغالب.

٥٤ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: الْمَرْأَةُ عَقْرَبٌ حُلْوَةُ اللِّبْسَةِ.

و استعار لها لفظ العقرب: لاشتراكهما في الاذى. و كنّى بحلاوة لبستها عمّا فيها من اللّسبة للعقرب، كاللّسعة للحيّة.

٥٥ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: الشَّفِيعُ جَنَاحُ الطَّالِبِ.

باعتبار توصّله به الى مراده.

٥٦ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: أَهْلُ الدُّنْيَا كَرَكْبٍ يُسَارُ بِهِمْ وَهُمْ نِيَامٌ.

---

* [ويوجد بعد هذا القول قولٌ مثبت فى نسخة الشيخ محمد عبده و غير مثبت فى نسخة المرحوم البحرانى وهو: اذا حُيِّيت بتحيةٍ فحىّ بأحسن منها، واذا أُسديت اليك يدٌ فكافئها بما يُربى عليها، والفضل مع ذلك للبادى.]

وجه الشبه قوله: يسار بهم: اذ الدنيا طريق لأهلها هم فيها سائرون الى الآخرة. وكنّى بنومهم: عن غفلتهم.

٥٧ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: فَقدُ الأَحِبَّةِ غُرْبَةٌ.

فاستعار لفظ الغربة لفقد الأحبّة: لما يلزمها من الوحشة[١].

٥٨ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: فَوْتُ الْحَاجَةِ أَهْوَنُ مِنْ طَلَبِهَا إِلَى غَيْرِ أَهْلِهَا.

يعني: اللئام لما في ذلك من فواتها غالبًا و زيادة ذلّ الطلب اليهم.

٥٩ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: لاَ تَسْتَحِ مِنْ إِعْطَاءِ الْقَلِيلِ؛ فَإِنَّ الْحِرْمَانَ أَقَلُّ مِنْهُ.

اي: أحقر في الإعتبار.

٦٠ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: الْعَفَافُ زِينَةُ الْفَقْرِ.

لأنه فضيلة تزيّن بها صاحبها.

٦١ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: إِذَا لَمْ يَكُنْ مَا تُرِيدُ فَلاَ تُبَلْ مَا كُنْتَ.

كيف كنت عليها فيه من عدمه او حصول بعضه لانّه غير مقدور لك، فمبالاتك و اهتمامك به مَضَرَّةٌ خالصة و سَفَهٌ.

٦٢ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: لاَ تَرَى الْجَاهِلَ إِلاَّ مُفْرِطًا أَوْ مُفَرِّطًا.

أي: مرتكبا لأحد طرفي الافراط و التفريط من العدل في الامور لجهله به.

٦٣ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: إِذَا تَمَّ الْعَقْلُ نَقَصَ الْكَلاَمُ.

و ذلك: لضبط العقل ايّاه و وزنه له. والموزون اقل من المكيال و الجزاف.

---

١ ـ هذا الشرح بكامله غير موجود في نسخة ش.

٦٤ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: الدَّهْرُ يُخْلِقُ الأَبدانَ، وَيُجَدِّدُ الآمَالَ، وَيُقَرِّبُ الْمَنِيَّةَ، وَيُبَاعِدُ الأُمْنِيَّةَ: مَنْ ظَفِرَ بِهِ نَصِبَ، وَمَنْ فَاتَهُ تَعِبَ.

اخلاقه للابدان: اعداده لضعفها و فنائها بتغيّراته. و تجديده الآمال بالغرور: بطول البقاء و الصحّة فيه. و تبعيده للأمنية بحسب تقريبه للمنيّة. و من ظفر به اى: بمواتاته وبمساعدته بمايراد فيه من متاع الدنيا نصب بها و شقي بحفظها. و من فاته ذلك منه تعب بعدم ما يحتاج اليه فيه.

٦٥ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: مَنْ نَصَبَ نَفْسَهُ لِلنَّاسِ إمَامًا فَلْيَبْدَأْ بِتَعْلِيمِ نَفْسِهِ قَبْلَ تَعْلِيمِ غَيْرِهِ، وَلْيَكُنْ تَأْدِيبُهُ بِسِيرَتِهِ قَبْلَ تَأْدِيبِهِ بِلِسَانِهِ، وَمُعَلِّمُ نَفْسِهِ وَمُؤَدِّبُهَا أَحَقُّ بِالإجْلالِ مِنْ مُعَلِّمِ النَّاسِ وَمُؤَدِّبِهِمْ.

لانّ الناس للافعال: اطوع واكثر انفعالا. و معلّم نفسه و مؤدّبها: احق بالاجلال من مؤدّب الناس و معلّمهم و هو ظاهر.

٦٦ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: نَفَسُ الْمَرْءِ خُطَاهُ إلَى أَجَلِهِ.

فاستعار للنفس لفظ الخطا: باعتبار تقريبه ينقصه من غايته و هوالأجل كالخطا المقرّبة الى غايتها.

٦٧ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: كُلُّ مَعْدُودٍ مُنْقَضٍ، وَكُلُّ مُتَوَقَّعٍ آتٍ.

و فيه التنفير عن الدنيا: بالتنبيه على ما يستعقبه من الموت.

٦٨ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: إنَّ الأُمُورَ إذَا اشْتَبَهَتْ اعْتُبِرَ آخِرُهَا بِأَوَّلِهَا.

اى: اذا التبست فى مبادئها بمعرفة وجه الدخول فيها و تعسّر، قيس على ذلك آخرها و استدلّ على انّه كذلك فى التعسّر فيجب التوقّف عنها و عدم التعسّف فيها.

٦٩ ـ و من خبر ضرار بن ضَمْرَةَ الضُّبابِي عند دخوله على معاوية و مسألته له

عن أميرالمؤمنين، و قال: فأشهد لقدرأيته في بعض مواقفه و قد أرخى الليل سدوله وهو قائمٌ في محرابه قابض على لحيته يتململ تململ السليم و يبكي بكاء الحزين، و يقول:

٦٩ ـ يَادُنْيَا يَادُنْيَا، إلَيْكَ عَنِّي؛ أَبِي تَعَرَّضْتِ؟ أَمْ إِلَيَّ تَشَوَّقْتِ؟ لاَحَانَ حِينُكِ هَيْهَاتَ! غُرِّي غَيْرِي، لاَحَاجَةَ لِي فِيكِ، قَدْ طَلَّقْتُكِ ثَلاَثًا لاَرَجْعَةَ فِيهَا! فَعَيْشُكِ قَصِيرٌ، وَخَطَرُكِ يَسِيرٌ، وَأَمَلُكِ حَقِيرٌ آهِ مِنْ قِلَّةِ الزَّادِ، وَطُولِ الطَّرِيقِ، وَبُعْدِ السَّفَرِ، وَعَظِيمِ الْمَوْرِدِ[1].

السدول جمع سدل و هو: ما أسبل على الهودج. والتململ: التقلقل من الألم. والسليم: الملسوع. و اليك من اسماء الأفعال اي: تنحّ. و لا حان حينك اي: لا قرب وقتك اي: وقت خديعتك و غرورك اليّ. و خاطبها خطاب الزوجة المكروهة منافراً لها وهو أغرب والذ. و يسير الخطر، قلّة القدر، والفصل ظاهر.

٧٠ ـ وَمِنْ كَلاَمٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ: للسائل الشامي لمّا سَأَلَهُ: أكان مسيرُنا إلى الشام بقضاءٍ مِنَ الله و قَدَرٍ؟ بعد كلامٍ طويلٍ هذا مختارُهُ[2]:

وَيْحَكَ! لَعَلَّكَ ظَنَنْتَ قَضَاءً لاَزِمًا، وَقَدَرًا حَاتِمًا، وَلَوْ كَانَ ذٰلِكَ كَذٰلِكَ لَبَطَلَ الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ، وَسَقَطَ الْوَعْدُ وَالْوَعِيدُ إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ أَمَرَ عِبَادَهُ تَخْيِيرًا، وَنَهَاهُمْ تَحْذِيرًا، وَكَلَّفَ يَسِيرًا، وَلَمْ يُكَلِّفْ عَسِيرًا، وَأَعْطَى عَلَى الْقَلِيلِ كَثِيرًا، وَلَمْ يُعْصَ مَغْلُوبًا، وَلَمْ يُطَعْ مُكْرَهًا، وَلَمْ يُرْسِلِ الْاَنْبِيَاءَ لَعِبًا، وَلَمْ يُنْزِلِ الْكِتَابَ لِلْعِبَادِ عَبَثًا، وَلاَ خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً ذٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا، فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ[2].

اقول: روى انّه عليه السلام قال في جواب السؤال المذكور: والّذى فلق الحبّة و برئ النسمة، ما وطئنا موطئا و لا هبطنا واديًا إلّا بقضاء و قدر. فقال السائل: عندالله احتسب، اى: ما ارى لى من الأجر شيئا. فقال مه ايهاالشيخ: لقد اعظم الله اجركم فى مسيركم و انتم سائرون و منصرفكم، و لم تكونوا فى شىء من حالا تكم مكرهين و اليها مضطرّين. فقال الشيخ: و كيف والقضاء والقدر ساقانا؟ فقال: و يحك الفصل. والويح: كلمة

---

١ ـ الاستيعاب ٤٦٣/٢. حلية الاولياء ٨٤/١. الرياض النضرة ٢١٢/٢.

٢ ـ سورة ص/٢٧.

ترحّم. والحاتم: الواجب. و قوله: و يحك الى قوله حاتما: بيان لمنشأ وهمه و هو، ما لعله يظنّه من تفسير القضاء والقدر، بمعنى العلم الملزم. والايجاد الواجب على وفقه، و استدلّ على بطلان ذلك التفسير بقوله: و لو كان، الى قوله الوعيد: وبيان الملازمة ظاهر على طريق المعتزلة و على غيرهم. فربما يحتاج الى ايضاح ليس هذا موضعه. و قوله: انّ الله سبحانه امر اشارة: الى تفسير القضاء بالامر والحكم كما قال تعالى: (و قضى ربّك[1]) الآية .و معلوم انّ امرالله و نهيه: لا ينافى اختيار العبد فى فعله و تركه، فلذلك ذكر من لوازم الاختيار و التكليف المقصود من الحكمة امورًا عشرة نسقها.

و قد تفسّر قوم، القضاء والقدر بمعنى آخر اشرنا اليه في الأصل[2] و على ذلك ايضا لاينافى الاختيار والتكليف كما بيّناه هناك . و قوله: و لم يعص مغلوبًا و لم يطع مكرهاً أي: بل فوّض فعل العبد اليه، و لو كان العبد مجبراً، كانت الطاعة كرها، و بعثة الرسل والكتب لعباً و عبثا والتالى بأقسامه باطل.

٧١ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: خُذِ الْحِكْمَةَ أَنَّى كَانَتْ فَإِنَّ الْحِكْمَةَ تَكُونُ فِي صَدْرِ الْمُنَافِقِ فَتَلَجْلَجُ فِي صَدْرِهِ، حَتَّى تَخْرُجَ فَتَسْكُنَ إِلَى صَوَاحِبِهَا فِي صَدْرِ الْمُؤْمِنِ.

كنّى بتلجلجها: عن عدم ثباتها في قلب المنافق لانّه ليس مظنّة لها، و سكونها الى صواحبها فى صدرالمؤمن عن ثباتها فى قلبه لانّه أهلها.

٧٢ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: الْحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ، فَخُذِ الْحِكْمَةَ وَلَوْ مِنْ أَهْلِ النِّفَاقِ.

فاستعار لفظ الضالّة باعتبار انّ من شأنه أن يطلبها و ينشدها كصاحب الضالّة.

٧٣ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: قِيمَةُ كُلِّ امْرِئٍ مَا يُحْسِنُهُ.

فقيمته: محلّه عندالناس، والكلمة ظاهرة. و غرضها الترغيب فى أعلى ما يكتسب من الكمالات.

---

١ ـ سورة الاسراء / ٢٣.

٢ ـ الشرح الكبير ٥/ ٢٧٨.

٧٤ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: اُوصِيكُمْ بِخَمْسٍ لَوْ ضَرَبْتُمْ إِلَيْهَا آبَاطَ الْإِبِلِ لَكَانَتْ لِذٰلِكَ أَهْلاً: لَا يَرْجُوَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَّا رَبَّهُ، وَلَا يَخَافَنَّ إِلَّا ذَنْبَهُ، وَلَا يَسْتَحِيَنَّ أَحَدٌ إِذَا سُئِلَ عَمَّا لَا يَعْلَمُ أَنْ يَقُولَ لَا أَعْلَمُ، وَلَا يَسْتَحِيَنَّ أَحَدٌ إِذَا لَمْ يَعْلَمِ الشَّيْءَ أَنْ يَتَعَلَّمَهُ، وَعَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ فَإِنَّ الصَّبْرَ مِنَ الْإِيمَانِ كَالرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ، وَلَا خَيْرَ فِي جَسَدٍ لَا رَأْسَ مَعَهُ، وَلَا فِي إِيمَانٍ لَا صَبْرَ مَعَهُ.

كنّى بضرب آباط الأبل: عن الرحلة فى طلبها، و ذلك انّ الراكب يضرب ابطى راحلته برجليه ليحثّها. والفصل ظاهر. و انّما شبه فضيلة الصبر من الإيمان بالرأس من الجسد، لشرفها و حاجة جميع الفضائل التى هى أجزء الايمان الكامل الى الصبر على اكتسابها، ثم على البقاء عليها عن الخروج عنها فاشبهت الرأس فى عدم قيام البدن بدونه.

٧٥ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: لِرَجُلٍ أَفْرَطَ فِي الثَّنَاءِ عَلَيْهِ، وَكَانَ لَهُ مُتَّهِمًا: أَنَا دُونَ مَا تَقُولُ وَفَوْقَ مَا فِي نَفْسِكَ.

٧٦ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: بَقِيَّةُ السَّيْفِ أَبْقَى عَدَدًا وَأَكْثَرُ وَلَدًا.

و لا أرى ذلك: الّا للعناية الالٰهية ببقاء النوع، و حفظه و اقامته بلاخلاف مَنْ قتل ممّن بقى.

٧٧ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: مَنْ تَرَكَ قَوْلَ «لَا أَدْرِي» اُصِيبَتْ مَقَاتِلُهُ.

الترك المذكور كناية: عن القول بغير علم. و اصابة المقاتل كناية: عن الهلاك الحاصل بسبب القول بالجهل فى الدنيا والآخرة.

٧٨ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: رَأْيُ الشَّيْخِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ جَلَدِ الْغُلَامِ.

ورُوِيَ «من مشهد الغلام»

و جلده: قوته. و انّما خصّ الرأى بالشيخ والجلد بالغلام: لانّ كلاً منهما مظنّة لما خصّه به. والرأى الصالح مُقدّمٌ على القوّة كما قال: الرأى قبل شجاعة الشجعان. و مشهد الغلام حضوره.

۷۹ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: عَجِبْتُ لِمَنْ يَقْنَطُ وَمَعَهُ الْإِسْتِغْفَارُ.

۸۰ ـ وَحَكَى عنهُ أبوجعفر
محمدُ بنُ عليّ الباقر عليهما السلام أنّه قال:

كَانَ فِي الْأَرْضِ أَمَانَانِ مِنْ عَذَابِ ٱللهِ وَقَدْ رُفِعَ أَحَدُهُمَا فَدُونَكُمُ الآخَرَ فَتَمَسَّكُوا بِهِ: أَمَّا الْأَمَانُ الَّذِي رُفِعَ فَهُوَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَأَمَّا الْأَمَانُ الْبَاقِي فَالإِسْتِغْفَارُ، قَالَ ٱللهُ تَعَالَى: (وَمَا كَانَ ٱللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ ٱللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ)[1].

القنوط: اليأس. والمعنى واضح.

قال السيد الرضي: وهذا من محاسن الاستخراج ولطائف الاستنباط.

۸۱ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: مَنْ أَصْلَحَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ ٱللهِ أَصْلَحَ ٱللهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ، وَمَنْ أَصْلَحَ أَمْرَ آخِرَتِهِ أَصْلَحَ ٱللهُ لَهُ أَمْرَ دُنْيَاهُ، وَمَنْ كَانَ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ وَاعِظٌ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ ٱللهِ حَافِظٌ.

أي: بتقواه. لانّ بالتقوى صلاح قوّتي الشهوة والغضب، اللّذين فسادهُما بهذا الفساد بين الناس. لانّ الدنيا المطلوبة لمن أصلح امر آخرته سهلة. و قد تكفّلت العناية الالٰهية باصلاحها، و لانّ مصلح آخرته معامل للخلق بمكارم الاخلاق، و ذلك مستلزم اصلاح دنياه مع أهلها. و من كان له في نفسه واعظ اى: زاجر عن المعاصي باعث على لزوم العدل في النفس الامّارة التي هي مبدأ الشرّ، في الدارين كان عليه من الله حافظ فيهما.

۸۲ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: الْفَقِيهُ كُلُّ الْفَقِيهِ مَنْ لَمْ يُقَنِّطِ النَّاسَ مِنْ رَحْمَةِ ٱللهِ، وَلَمْ يُؤْيِسْهُمْ مِنْ رَوْحِ ٱللهِ، وَلَمْ يُؤْمِنْهُمْ مِنْ مَكْرِ ٱللهِ.

أي: التّام في العمل و ذلك أن لكلّ من النفوس الجاهلة دواء من الموعظة مخصوص لا تُشفى بغيره. فلبعضها الوعد، و لبعضها الوعيد، و لبعضها البشارة، و لبعضها النذارة. والفقيه العالم بغرض الحِكمة الالٰهية من الكتاب العزيز يضع كُلاً موضعَهُ.

---

۱ ـ سورة الانفال / ۳۳.

۸۳ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: أَوْضَعُ الْعِلْمِ مَاوُقِفَ عَلَى اللِّسَانِ؛ وَأَرْفَعُهُ مَاظَهَرَ فِي الْجَوَارِحِ وَالْأَرْكَانِ.

يريد بالعلم الأول: العلم الذى لا عمل معه، و ظهوره فى الوصف اللّساني فقط. وبالثّاني: العلم المقرون بالعمل، و هوالعلم الراسخ الذى تظهر آثاره فى العبادات البدنيّة على جوارح العبد، ظهور العلّة فى معلولها، و هوالعلم المنتفع به فى الآخرة.

۸٤ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبَ تَمَلُّ كَمَا تَمَلُّ الْأَبْدَانُ؛ فَابْتَغُوا لَهَا طَرَائِفَ الْحِكَمِ.

و طرائفها: لطائفها و غرايبها المعجبة للنفس اللّذيذة لها، و ذلك ليكون ابدًا فى اكتساب الحكمة بنشاط.

۸۵ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: لَايَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفِتْنَةِ»، لِأَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ إِلَّا وَهُوَ مُشْتَمِلٌ عَلَى فِتْنَةٍ، وَلَكِنْ مَنِ اسْتَعَاذَ فَلْيَسْتَعِذْ مِنْ مُضِلَّاتِ الْفِتَنِ؛ فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ يَقُولُ: (وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ)[1] وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّهُ يَخْتَبِرُهُمْ بِالْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ لِيَتَبَيَّنَ السَّاخِطَ لِرِزْقِهِ، وَالرَّاضِيَ بِقِسْمِهِ، وَإِنْ كَانَ سُبْحَانَهُ أَعْلَمَ بِهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، وَلَكِنْ لِتَظْهَرَ الْأَفْعَالُ الَّتِي بِهَا يُسْتَحَقُّ الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ؛ لِأَنَّ بَعْضَهُمْ يُحِبُّ الذُّكُورَ وَيَكْرَهُ الْإِنَاثَ، وَبَعْضَهُمْ يُحِبُّ تَثْمِيرَ الْمَالِ، وَيَكْرَهُ انْثِلَامَ الْحَالِ. قال السيد الرضى: وهذا من غريب ما سُمع منه فى التفسير.

و أقول: مُضِلّات الفتن: ما يضلّ بها عن سبيل الله، و هى المستعار منها و هى أخصّ من مطلق الفتنة، كما اشار اليه عليه السلام.

۸٦ ـ وَسُئِلَ عن الخيرِ ماهو؟

فقال: لَيْسَ الْخَيْرُ أَنْ يَكْثُرَ مَالُكَ، وَوَلَدُكَ وَلَكِنَّ الْخَيْرَ أَنْ يَكْثُرَ عِلْمُكَ وَأَنْ يَعْظُمَ حِلْمُكَ، وَأَنْ تُبَاهِيَ النَّاسَ بِعِبَادَةِ رَبِّكَ؛ فَإِنْ أَحْسَنْتَ حَمِدْتَ اللهَ، وَإِنْ أَسَأْتَ اسْتَغْفَرْتَ

۱ ـ سورة الانفال / ۲۸.

ٱللّٰهَ؛ وَلَا خَيْرَ فِي الدُّنْيَا إِلاَّ لِرَجُلَيْنِ: رَجُلٌ أَذْنَبَ ذُنُوبًا فَهُوَ يَتَدَارَكُهَا بِالتَّوْبَةِ، وَرَجُلٌ يُسَارِعُ فِي الْخَيْرَاتِ وَلَا يَقِلُّ عَمَلٌ مَعَ التَّقْوَى؛ وَكَيْفَ يَقِلُّ مَا يُتَقَبَّلُ؟

قوله: و لا يقلّ عمل مع التقوى أي: و رجل يسارع في الخيرات، و ان أتى منها بالقليل اذا كان متقيًا، لانّ ذلك مع التقوى يقبله الله منه. و يحتمل ان يريد بذلك: انّ المذنب و ان كانت حسنته بالتوبة قليلة، بالنسبة الى حسنات من سارع في الخيرات وسيق اليها، لكنها ليست بقليلة عندالله اذ لا يقلّ ما يتقبله.

٨٧ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِالْأَنْبِيَاءِ أَعْلَمُهُمْ بِمَا جَاءُوا بِهِ، ثُمَّ تَلَا: (إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا)[1] ثُمَّ قَالَ: إِنَّ وَلِيَّ مُحَمَّدٍ مَنْ أَطَاعَ ٱللّٰهَ وَإِنْ بَعُدَتْ لُحْمَتُهُ: وَإِنَّ عَدُوَّ مُحَمَّدٍ مَنْ عَصَى ٱللّٰهَ وَإِنْ قَرُبَتْ قَرَابَتُهُ!

انّما جعل الآية دليلاً على انّ الأعلم بما جاءت به الأنبياء اولى بهم، لانّ الاتّباع مستلزم للعلم بما جاؤا به، والمراد بالوليّ الأولى: باتباعهم، والأخصّ بهم.

٨٨ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: وقد سمع رجلاً من الحَرُوريّة يتهجد و يقرأ فقال: نَوْمٌ عَلَى يَقِينٍ خَيْرٌ مِنْ صَلَاةٍ فِي شَكٍّ.

الحروريّة: فرقة من الخوارج نسبوا الى قرية بالنهروان تعرف بحرورا. و كان اوّل اجتماعهم بها. والتهجّد: السهر في العبادة. والشكّ الذي هم فيه، شكّهم في الامام وما يتفرّع على وجوب طاعته، والاقتداء به من سائرالاحكام.[2]

٨٩ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: اعْقِلُوا الْخَبَرَ إِذَا سَمِعْتُمُوهُ عَقْلَ رِعَايَةٍ لَا عَقْلَ رِوَايَةٍ؛ فَإِنَّ رُوَاةَ الْعِلْمِ كَثِيرٌ، وَرُعَاتَهُ قَلِيلٌ.

فعقل الرعاية: تدبّره و تفهّم معناه. و عقل الرواية نقل ألفاظه فقط.

---

١ ـ سورة ال عمران ٦٨.

٢ ـ معجم البلدان ٢/٢٤٥.

۹۰ ـ **وسمع رَجُلاً يقول:** (إنّا لله و إنّا إلَيْهِ رَاجِعُونَ) فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ: إنَّ قَوْلَنَا (إنّا للهِ) إقْرَارٌ عَلَى أنْفُسِنَا بِالْمِلْكِ؛ وَقَوْلَنَا (وَ إنّا إلَيْهِ رَاجِعُونَ) إقْرَارٌ عَلَى أنْفُسِنَا بِالْهُلْكِ.

والمعنى ظاهر.

۹۱ ـ **وَمَدَحَهُ قومٌ في وجهه، فقال:** اللّهُمَّ إنّكَ أعْلَمُ بِي مِنْ نَفْسِي، وَأنَا أعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْهُمْ؛ اللّهُمَّ اجْعَلْنَا خَيْرًا مِمّا يَظُنُّونَ، وَاغْفِرْ لَنَا مَا لاَيَعْلَمُونَ.

۹۲ ـ **وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام:** لاَيَسْتَقِيمُ قَضَاءُ الْحَوَائِجِ إلاّ بِثَلاَثٍ: بِاسْتِصْغَارِهَا لِتَعْظُمَ؛ وَبِاسْتِكْتَامِهَا لِتَظْهَرَ؛ وَبِتَعْجِيلِهَا لِتَهْنُؤَ.

اراد باستقامة قضائها كونه على قانون العدل، و استصغاره لما تقضيه منها يدلّ على علوّ الهمّة والسماحة، وهو مُستلزمٌ لعظمها و اشتهارها بين الناس، و استكشافها يدلّ على بعده عن الرياء، والسمعة، والاستصغار والاستكتام: يعود في الحقيقة الى ما يقضى به الحاجة. لكن تسمية المحتاج اليه بالحاجة مجاز من باب اطلاق اسم المتعلّق على التعلق، فلذلك عادت الضمائر الى لفظ الحوائج. وباقي الكلام ظاهر.

۹۳ ـ **وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام:** يَأتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لاَيُقَرَّبُ فِيهِ إلاّ الْمَاحِلُ؛ وَلاَ يُظَرَّفُ فِيهِ إلاّ الْفَاجِرُ؛ وَلاَيُضَعَّفُ فِيهِ إلاّ الْمُنْصِفُ: يَعُدُّونَ الصَّدَقَةَ فِيهِ غُرْمًا؛ وَصِلَةَ الرَّحِمِ مَنًّا؛ وَالْعِبَادَةَ اسْتِطَالَةً عَلَى النَّاسِ! فَعِنْدَ ذلِكَ يَكُونُ السُّلْطَانُ بِمَشْورَةِ النِّسَاءِ وَإمَارَةِ الصِّبْيَانِ وَتَدْبِيرِ الْخِصْيَانِ.

الماحل: الساعي، بالنميمة الى السلطان. والمَحْلُ الكيد، و رُوى الماجن وهو: المستهزئ اللّاعب عوض الفاجر. ويضعّف: يُعَدُّ ضعيفًا عاجزا. و قيل: يعدّ ضعيف العقل لترك الظلم كان له حقّا يهمله بالانصاف. و عدم التعدّى والاستطالة بالعبادة أن يرى صاحبها له على الناس حقّا فيرفع عليهم كالممتنّ بها.

۹٤ ـ **وَرُؤِيَ عليه إزارٌ خلق مرقوع فقيل له في ذلك، فقال:** يَخْشَعُ لَهُ الْقَلْبُ،

وَتَذِلُّ بِهِ النَّفْسُ، وَيَقْتَدِي بِهِ الْمُؤْمِنُونَ.

والمعنى ظاهر.

٩٥ ـ **وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام:** إِنَّ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ عَدُوَّانِ مُتَفَاوِتَانِ، وَسَبِيلاَنِ مُخْتَلِفَانِ: فَمَنْ أَحَبَّ الدُّنْيَا وَتَوَلاَّهَا أَبْغَضَ الآخِرَةَ وَعَادَاهَا وَهُمَا بِمَنْزِلَةِ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، وَمَاشٍ بَيْنَهُمَا: كُلَّمَا قَرُبَ مِنْ وَاحِدٍ بَعُدَ مِنَ الآخَرِ؛ وَهُمَا بَعْدُ ضَرَّتَانِ!

والمعنى ايضا ظاهر.

٩٦ ـ **وعن نوف البكالي، قال:** رأيت أميرالمؤمنين عليه السلام ذات ليلة وقد خَرَجَ من فراشه فنظر في النجوم فقال لي: يانوف، أراقدٌ أنتَ أم رامق؟ فقلت: بل رامق قال: يانوف.

طُوبَى لِلزَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيَا الرَّاغِبِينَ فِي الآخِرَةِ؛ أُولئِكَ قَوْمٌ اتَّخَذُوا الأَرْضَ بِسَاطًا، وَتُرَابَهَا فِرَاشًا؛ وَمَاءَهَا طِيباً، وَالْقُرْآنَ شِعَارًا، وَالدُّعَاءَ دِثَارًا، ثُمَّ قَرَضُوا الدُّنْيَا قَرْضًا عَلَى مِنْهَاجِ الْمَسِيحِ.

يَانَوْفُ، إِنَّ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ قَامَ فِي مِثْلِ هذِهِ السَّاعَةِ مِنَ اللَّيْلِ فَقَالَ: إِنَّهَا سَاعَةٌ لاَيَدْعُو فِيهَا عَبْدٌ إِلاَّ اسْتُجِيبَ لَهُ إِلاَّ أَنْ يَكُونَ عَشَّارًا أَوْعَرِيفًا أَوْ شُرْطِيًّا، أَوْ صَاحِبَ عَرْطَبَةٍ (وهي الطنبور) أَوْ صَاحِبَ كُوبَةٍ (وهي الطبل. وقد قيل أيضا: إن العرطبة الطبل والكوبة الطنبور.

والرامق: الناظر. و العريف: نقيب الشرطة. و عرّف الزاهد في الدنيا بستة اوصاف لغرض معرفتهم والاقتداء بهم. واستعار لفظ الشعار للقرآن: باعتبار ملازمتهم له كالشعار للجسد. و لفظ الدثار للدعاء: باعتبار احتراسهم به من عذاب الله، و قرضهم للدنيا: اكلهم منها أيسر ما يدفع ضرورتهم. وانّما استثنى المذكورين، لملازمتهم المعصية التي تحجب نفوسهم عن قبول رحمة الله.

٩٧ ـ **وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام:** إِنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْكُمُ الْفَرَائِضَ فَلاَ تُضَيِّعُوهَا وَحَدَّ لَكُمْ

حُدُودًا فَلاَ تَعْتَدُوهَا؛ وَنَهَاكُمْ عَنْ أَشْيَاءَ فَلاَ تَنْتَهِكُوهَا، وَسَكَتَ لَكُمْ عَنْ أَشْيَاءَ وَلَمْ يَدَعْهَا نِسْيَانًا فَلاَ تَتَكَلَّفُوهَا.

ما سكت عنه كالعلوم التى لم يرد فى الشرع التكليف بها، كالبحث عن القضاء والقدر و نحوه من المسائل.

۹۸ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: لاَيَتْرُكُ النَّاسُ شَيْئًا مِنْ أَمْرِدِينِهِمْ لاِسْتِصْلاَحِ دُنْيَاهُمْ إلاَّ فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِمْ مَاهُوَ أَضَرُّمِنْهُ.

ذلك [۱] كمن يخفف عبادته و يؤخّرها عن أوقاتها لاشتغاله بإصلاح صنعته أو تجارته. و لمّا كان الحرص فى كُلِّ امرِ دُنيوىّ مُعِدّاً لِطَلَبِ الزيادة فيه، والاستكثار منه، و بحسب ذلك يكون البعد عن الآخرة، كان ذلك باباً من أبواب طلبها واصلاحها أشدّ من تركها، و اوسع فكان أصعب و اضّر.

۹۹ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: رُبَّ عَالِمٍ قَدْ قَتَلَهُ جَهْلُهُ وَعِلْمُهُ مَعَهُ لاَيَنْفَعُهُ.

اراد علماء الرّواية دون الدراية. والعلماء بما لا ينفع فيه من العلوم فى الآخرة، كعلم السحر مثلا لمن جهل شرائع الاسلام، فتعدّى حدّا، اوجب هلاكه في الدنيا، و استلزم هلاكه في الآخرة مع وجود ذلك العلم معه.

۱۰۰ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: لَقَدْ عُلِّقَ بِنِيَاطِ هَذَا الإِنْسَانِ بَضْعَةٌ هِيَ أَعْجَبُ مَا فِيهِ وَهُوَ الْقَلْبُ؛ ولَهُ مَوَادُّ مِنَ الْحِكْمَةِ وَأَضْدَادٌ مِنْ خِلاَفِهَا: فَإِنْ سَنَحَ لَهُ الرَّجَاءُ أَذَلَّهُ الطَّمَعُ، وَإِنْ هَاجَ بِهِ الطَّمَعُ أَهْلَكَهُ الْحِرْصُ، وَإِنْ مَلَكَهُ الْيَأْسُ قَتَلَهُ الأَسَفُ، وَإِنْ عَرَضَ لَهُ الْغَضَبُ اشْتَدَّ بِهِ الْغَيْظُ، وَإِنْ أَسْعَدَهُ الرِّضَا نَسِيَ التَّحَفُّظَ، وَإِنْ نَالَهُ الْخَوْفُ شَغَلَهُ الْحَذَرُ، وَإِنِ اتَّسَعَ لَهُ الأَمْنُ اسْتَلَبَتْهُ الْغِرَّةُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ فَضَحَهُ الْجَزَعُ، وَإِنْ أَفَادَ مَالاً أَطْغَاهُ الْغِنَى؛ وَإِنْ عَضَّتْهُ الْفَاقَةُ شَغَلَهُ الْبَلاَءُ، وَإِنْ جَهَدَهُ الْجُوعُ قَعَدَ بِهِ الضَّعْفُ، وَإِنْ أَفْرَطَ بِهِ الشِّبَعُ كَظَّتْهُ الْبِطْنَةُ؛ فَكُلُّ تَقْصِيرٍ بِهِ مُضِرٌّ، وكُلُّ إِفْرَاطٍ لَهُ مُفْسِدٌ.

۱ ـ كلمة ذلك غير موجودة في ش.

اقول: النياط: عِرْقٌ عُلّق به القلب. والموادّ من الحكمة هى الفضائل الخلقيّة التى هى موادّ كمال النفس، واضدادها، والمخالفة لها هى: ما يضادّها من الرذائل، و هى اطراف الافراط والتفريط منها. فالطمع: رذيلة الافراط من فضيلة العدل فى الرجاء الّذي ينبغي. و نفّر عنه بما يلزمه من الذلّة و من الحرص المهلك فى الدارين. واليأس رذيلة التفريط منه و نفّر عنه بما يلزمه من شدّة الأسف القاتل. و اشتداد الغيظ: طرف الافراط من الغضب المعتدل الملازم للشجاعة، و يُسمّى طيشاً. و ترك التحفّظ رذيلة تلزم الافراط، في رضى الناس[1] بما يحصل عليه من دنياه والاشتغال بالحذر، رذيلة الافراط فيه فيشتغل به الانسان عمّا ينبغي من الاخذ بالحزم، والعمل للامر المخوف، واستلاب الغرّة والغفلة لعقل الأمن حتى لا يفكر فى مصلحته، و عاقبة أمنه رذيلة تلزم الافراط فى الأمن والجزع بما يلزمه من الفضيحة به رذيلة تلزم التفريط من فضيلة الصبر على المعصية، و احتمال المكاره والطغو بكثرة المال، رذيلة تلزم الافراط فى كثرته. والطغو: تجاوز الحدّ، والاشتغال بالمحنة والبلاء رذيلة التفريط: من فضيلة الصبر على الفقر و لوازمه، و قعود الضعف به لازم التفريط من العدل فى الأكل. وجهد البطنة: رذيلة تلزم من افراط الشبع من فضيلة القصد فيه.

۱۰۱ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: نحْنُ النُّمْرُقَةُ الْوُسْطَى، بِهَا يَلْحَقُ التَّالِي، وَإِلَيْهَا يَرْجِعُ الْغَالِي.

النمرقة: وسادة صغيرة، و استعار لفظها بصفة الوسطى له، و لأهل بيته عليهم السلام: باعتبار كونهم ائمّة العدل يَسْتَنِدُ الخَلْقُ اليهم، فى تدبير معاشهم و معادهم. و من حقّ الامام العادل ان يلحق به التّالى اى: المفرّط المقصّر فى الدين. و يرجع اليه الغالى، اى: المفرط المتجاوز فى طلبه حدّ العدل، كما يستند الى الوسادة المتوسّطة مَنْ على جانبها. و ربّما كان وصف الوسطى راجعًا الى المستعار له، فلا يدخل فى وجه الشبه الّا مجرّد كونها مستندًا إليها.

۱ ـ فى نسخة ش: الانسان.

١٠٢ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: لاَيُقِيمُ أَمْرَ اللّهِ سُبْحَانَهُ إلاَّ مَنْ لاَيُصَانِعُ وَلاَيُضَارِعُ، وَلاَيَتَّبِعُ الْمَطَامِعَ.

فالمصانعة: المصالحة بالرشوة و نحوها. والمضارعة، مفاعلة من الضَّرع، و هو: الذلّة كأنّ كلاًّ منهما يضرع للآخر. واستلزام الامور الثلاثة لِتَضييع أوامر الله. واللّينْ في اقامةِ امرِ دينه ظاهر.

١٠٣ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: «وقد تُوفيّ سهلُ بن حُنيف الأنصاريّ بالكوفة بعد مَرجِعِهِ معه من صِفِّين، وكان مِن أَحَبِّ النّاسِ إليهِ:

لَوْأَحَبَّنِي جَبَلٌ لَتَهَافَتَ.

قال الرضيّ« و معنى ذلك أن المحنة تَغْلُظُ عليه فتسْرعُ المصائب إليه ولايفعل ذلك إلا بالأتقياء الأبرار والمصطفين الأخيار؛ و هذا مثل قوله:

مَنْ أَحَبَّنَا أَهْلَ الْبَيْتِ فَلْيَسْتَعِدَّ لِلْفَقْرِ جِلْبَاباً.

و تهافت: سقط قطعة قطعة. وقديُؤوّلُ ذلك على معنىً آخر ليس هذا مَوضعَ ذكره.»

١٠٤ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام:

لاَمَالَ أَعْوَدُ مِنَ الْعَقْلِ، وَلاَوَحْدَةَ أَوْحَشُ مِنَ الْعُجْبِ، وَلاَعَقْلَ كَالتَّدْبِيرِ، وَلاَ كَرَمَ كَالتَّقْوَى، وَلاَقَرِينَ كَحُسْنِ الْخُلُقِ؛ وَلاَمِيرَاثَ كَالْأَدَبِ، وَلاَقَائِدَ كَالتَّوْفِيقِ، وَلاَ تِجَارَةَ كَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَلاَرِبْحَ كَالثَّوَابِ، وَلاَوَرَعَ كَالْوُقُوفِ عِنْدَالشُّبْهَةِ، وَلاَزُهْدَ كَالزُّهْدِ فِي الْحَرَامِ، وَلاَعِلْمَ كَالتَّفَكُّرِ، وَلاَعِبَادَةَ كَأَدَاءِ الْفَرَائِضِ، وَلاَإِيمَانَ كَالْحَيَاءِ وَالصَّبْرِ، وَلاَحَسَبَ كَالتَّوَاضُعِ، وَلاَشَرَفَ كَالْعِلْمِ، وَلاَمُظَاهَرَةَ أَوْثَقُ مِنَ الْمُشَاوَرَةِ.

فقوله: اعود أي: أنفع لصاحبه، و استعار لفظ المال للعقل: لانّ بهما الغنى. و لفظ الوحدة للعجب لما يلزمهما من الوحشة فانّ المعجب بنفسه يرى الناس دونه فيلزم ذلك عدم الأنس بهم، و عدم التواضع لهم المستلزم للوحشة كما سبق. و التدبير تصرّف العقل العملي في المصالح، كما ينبغي فقد يسمّى عقلا و ان كان ثمرة العقل. و لما كان التقوى مستلزماً للزهد في الدنيا، و بذل اشرف متاعها بسهولةٍ و طيبِ نفسٍ، فلا كرم مثله.

والتوفيق: عبارة عن توافق اسباب الشيء و شرائطه العايدة الى حصوله. و استعار لفظ التجارة: للعمل الصالح، و هو اشرف التجارات لاستلزامه اشرف الأرباح، وهو: الثواب الأُخرويّ. والورع في العرف: الوقوف عن المناهي، و لذلك كان الوقوف عمّا اشتبه من الامور في حلّه، و حرمته، أبلغ اقسام الورع. والزهد في الحرام: هوالزهد الواجب و كان أفضل افضليّة الواجب على الندب. والتفكر علم به تحصل العلوم المكتسبة، فكان أفضل افضلية الأصل على الفروع. و كل فضيلة من اجزاء الايمان الكامل ايمان. والحياء والصبر من اشرفها. و يحتمل ان يريد لاايمانَ: كأيمانٍ كَمُلَ بالحياءِ والصّبرِ، و الحسب: ما يُعَدُّ من المكارم.والتواضع، من اشرفها و أعظمها استلزاما للخيرات الكثيرة.

١٠٥ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: إذَا اَسْتَوْلَى الصَّلاَحُ عَلَى الزَّمَانِ وَأَهْلِهِ ثُمَّ أَسَاءَ رَجُلٌ الظَّنَّ بِرَجُلٍ لَمْ تَظْهَرْ مِنْهُ خَزْيَةٌ فَقَدْ ظَلَمَ! وَإذَا اسْتَوْلَى الْفَسَادُ عَلَى الزَّمَانِ وَأَهْلِهِ فَأَحْسَنَ رَجُلٌ الظَّنَّ بِرَجُلٍ فَقَدْ غَرَّرَ.

و روى عوض خزية حوبة اي: اثم،وغرّر: اوقع نفسه في الغرّة والغفلة.

١٠٦ - وَقِيلَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام:كيف نَجِدُكَ يا أميرالمؤمنين؟ فقال: كَيْفَ يَكُونُ حَالُ مَنْ يَفْنَى بِبَقَائِهِ، وَيَسْقَمُ بِصِحَّتِهِ، وَيُؤتَى مِنْ مَأمَنِهِ.

سببيّة البقاء للفناء. والصحّة للسقم تقريبهما اليهما، و كونهما غائبين. والمأمن: هوالدنيا. و انّما يؤتى المرء يدخل عليه ما يكره منها.

١٠٧ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: كَمْ مِنْ مُسْتَدْرَجٍ بِالْاِحْسَانِ إلَيْهِ، وَمَغْرُورٍ بِالسَّتْرِ عَلَيْهِ؛ وَمَفْتُونٍ بِحُسْنِ الْقَوْلِ فِيهِ! وَمَا ابْتَلَى اللهُ أَحَدًا بِمِثْلِ الْإمْلاءِ لَهُ.

المستدرج: المأخوذ على غرّة. والمفتون: المبتلى. والإملاء: الإمهال.

١٠٨ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: هَلَكَ فِيَّ رَجُلاَنِ؛ مُحِبٌّ غَالٍ، وَمُبْغِضٌ قَالٍ!

قال: الغُلوّ في محبّته: طرف افراط، و بغضه: طرف تفريط منها، و هما: رذيلتان

يستلزمان النفاق بل الكفر و الهلاك به في الآخرة. أما المحبُّ الغالي: فيجعله إلَهاً. و امّا المُبغِضُ القالي: فبتكفيره له كالخوارج.

۱۰۹ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: إضَاعَةُ الْفُرْصَةِ غُصَّةٌ.

فالفرصة: ما امكن من نفسه.

۱۱۰ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: مَثَلُ الدُّنْيَا كَمَثَلِ الْحَيَّةِ لَيِّنٌ مَسُّهَا وَالسُّمُّ النَّاقِعُ فِي جَوْفِهَا: يَهْوِي إلَيْهَا الْغِرُّ الْجَاهِلُ، وَيَحْذَرُهَا ذُواللُّبِّ الْعَاقِلُ!

وجه التمثيل: انّ لذّة الدنيا و طيبها، يشبه لين المسّ من الحيّة ،وما يحصل من لذّاتها من الهيئآت الرديّة المتمكنّة من جوهرالنفس التي يحصل بهاالتعذيب في الآخرة. يشبه سَمُّها و هوى الجاهل اليها: ميله الى ما في ظاهرها من اللين واللّذة: و حذّر العاقل منها، لمعرفته بها.

۱۱۱ ـ وَسُئِلَ عَلَيْهِ السَّلام: عن قريش فقال: أمَّابَنُومَخْزُومٍ فَرَيْحَانَةُ قُرَيْشٍ نُحِبُّ حَدِيثَ رِجَالِهِمْ، وَالنِّكَاحَ فِي نِسَائِهِمْ، وَأَمَّا بَنُوعَبْدِ شَمْسٍ؛ فَأَبْعَدُهَا رَأْيًا، وَأَمْنَعُهَا لِمَا وَرَاءَ ظُهُورِهَا، وَأَمَّا نَحْنُ فَأَبْذَلُ لِمَا فِي أَيْدِينَا، وَأَسْمَحُ عِنْدَ الْمَوْتِ بِنُفُوسِنَا، وَهُمْ أَكْثَرُ وَأَمْكَرُ وَأَنْكَرُ، وَنَحْنُ أَفْصَحُ وَأَنْصَحُ وَأَصْبَحُ.

بنومخزومٍ: بطنٌ من قُريشٍ. قيل: كان لمخزومٍ ريحٌ كالخزامى، و لون كلونه[1] وهما، غالبان في ولده، ولذلك سُمّيَ هذا البطن: بريحانةَ قُريش. و قيل: كان في رجالهم كيس و في نسائهم لطف وَتَصَنُّعٌ للرجال. و بَعد الرأي كناية: عن جودته و قوّته. يقال: فلان بعيد الرأي اذا كان يرى المصلحة على بعد. و كونهم امنعَ لِماوراء ظهورهم كناية: عن الحميّة. وانكر: اكثرُ نكراً. والنكر: المنكر. وأصْبَح أحسنُ وجوهاً أو اطلق وجوها، وأشدّ بشاشة.

---

۱ ـ تاج العروس ۸/ ۲۷٤ ط القاهرة.

١١٢ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: شَتَّانَ مَابَيْنَ عَمَلَيْنِ: عَمَلٍ تَذْهَبُ لَذَّتُهُ وَتَبْقَى تَبِعَتُهُ، وَ عَمَلٍ تَذْهَبُ مَؤُونَتُهُ وَيَبْقَى أَجْرُهُ.

فالعمل الأوّل: العمل للدنيا، والثاني، العمل للآخرة.

١١٣ ـ وتبع جنازةً فسمعَ رَجُلاً يَضْحَكُ، فقال عليه السلام: كَأَنَّ الْمَوْتَ فِيهَا عَلَى غَيْرِنَا كُتِبَ، وَكَأَنَّ الْحقَّ فِيهَا عَلَى غَيْرِنَا وَجَبَ، وَكَأَنَّ الَّذِي نَرَى مِنَ الْأَمْوَاتِ سَفْرٌ عَمَّا قَلِيلٍ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ! نُبَوِّئُهُمْ أَجْدَاثَهُمْ، وَنَأْكُلُ تُرَاثَهُمْ؛ كَأَنَّا مُخَلَّدُونَ بَعْدَهُمْ قَدْ نَسِينَا كُلَّ وَاعِظَةٍ، وَرُمِينَا بِكُلِّ جَائِحَةٍ!! طُوبَى لِمَنْ ذَلَّ فِي نَفْسِهِ، وَطَابَ كَسْبُهُ؛ وَصَلُحَتْ سَرِيرَتُهُ، وَحَسُنَتْ خَلِيقَتُهُ؛ وَأَنْفَقَ الْفَضْلَ مِنْ مَالِهِ، وَأَمْسَكَ الْفَضْلَ مِنْ لِسَانِهِ، وَوَسِعَتْهُ السُّنَّةُ وَلَمْ يُنْسَبْ إِلَى الْبِدْعَةِ.«قال الرضيّ: أقول: و من الناس من ينسب هذا الكلام إلى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم.»

وجه التشبيهات: قلّة اهتمام الناس بالموت لغفلتهم و عدم اعتبارهم بمن يموت. وتبوأ المكان: أخذ منه. والجائحة: الداهية. والكلام واضح.

١١٤ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: غَيْرَةُ الرَّجُلِ إِيمَانٌ، وَغَيْرَةُ الْمَرْأَةِ كُفْرٌ.

و ذلك انّ غَيرةَ الرجل: انكار لما أسخط الله. و غَيرة المرأة: انكار لما أحَبّهُ ورضيه.

١١٥ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: لَأَنْسُبَنَّ الْإِسْلاَمَ نِسْبَةً لَمْ يَنْسُبْهَا أَحَدٌ قَبْلِي: الْإِسْلاَمُ هُوَ التَّسْلِيمُ؛ وَالتَّسْلِيمُ هُوَ الْيَقِينُ؛ وَالْيَقِينُ هُوَ التَّصْدِيقُ؛ وَالتَّصْدِيقُ هُوَ الْإِقْرَارُ؛ وَالْإِقْرَارُ هُوَ الْأَدَاءُ، وَالْأَدَاءُ هُوَ الْعَمَلُ الصَّالِحُ.

هذه النسبة بالتعريف، أشبه منها بالقياس. فعرّف الاسلام: بانّه التسليم لله، والدخول في طاعته وهو تفسير لفظ بلفظ أعرف منه. والتّسليم بانّه اليقين، و تعريف بلازم مُساوٍ. إذ التّسليم الحقّ: انّما يكون عن تيقُّنٍ بيّنٍ سُلِمَ له، و استحقاقه التسليم، واليقين بانّه التصديق أي: التصديق الجازم المطابق البرهانيّ، فذكر جنسه و نبّه بذلك على حدّه او رسمه.

والتصديق بانّه: الاقرار بالله و رسله، و ما جآؤا به من البيّنات وهو: تعريف بلفظ اعرف. والاقرار: بانّه الأداء اى: اداء ما أقرّ بِهِ مِن واجب الطاعات و هو: تعريف بخاصّة له. و الاداء: بانّه العمل لله و هو: تعريف بلفظ اعرف، و آلت النسبة الى تعريف الاسلام بالعمل، وهو: تعريف له ببعض خواصّه.

١١٦ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: عَجِبْتُ لِلْبَخِيلِ يَسْتَعْجِلُ الْفَقْرَ الَّذِى مِنْهُ هَرَبَ، وَيَفُوتُهُ الْغِنَى الَّذِى إِيَّاهُ طَلَبَ، فَيَعِيشُ فِى الدُّنْيَا عَيْشَ الْفُقَرَاءِ، وَيُحَاسَبُ فِي الآخِرَةِ حِسَابَ الْأَغْنِيَاءِ، وَعَجِبْتُ لِلْمُتَكَبِّرِ الَّذِى كَانَ بِالْأَمْسِ نُطْفَةً وَيَكُونُ غَداً جِيفَةً، وَعَجِبْتُ لِمَنْ شَكَّ فِي اللهِ وَهُوَ يَرَى خَلْقَ اللهِ، وَعَجِبْتُ لِمَنْ نَسِيَ الْمَوْتَ وَهُوَ يَرَى الْمَوْتَى، وَعَجِبْتُ لِمَنْ أَنْكَرَ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى وَهُوَ يَرَى النَّشْأَةَ الْأُولَى، وَعَجِبْتُ لِعَامِرِ دَارِ الْفَنَاءِ وَتَارِكِ دَارِ الْبَقَاءِ!!!

استعجال البخيل الفقر: لعدم انتفاعه فى يده من مال حتى كأنّه فقير. و ذكر عليه السلام، محل العجب من هؤلاء الاربعة تنفيراً عنهم، وهو ظاهر.

١١٧ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: مَنْ قَصَّرَ فِي الْعَمَلِ ابْتُلِيَ بِالْهَمِّ، وَلَا حَاجَةَ لِلهِ فِيمَنْ لَيْسَ لِلهِ فِي مَالِهِ وَنَفْسِهِ نَصِيبٌ.

اراد العمل لله و ذلك: انّ المقصّر فيه يكون غالب أحواله فى طلب الدنيا التى لا تقف طلبها، والابتلاء بالهمّ من لوازم ذلك الطلب. و فى المشهور: خذ من الدنيا: ما شئت و من الهمّ ضعفه[1].

١١٨ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: تَوَقَّوُا الْبَرْدَ فِي أَوَّلِهِ، وَتَلَقَّوْهُ فِي آخِرِهِ فَإِنَّهُ يَفْعَلُ فِي الْأَبْدَانِ كَفِعْلِهِ فِي الْأَشْجَارِ: أَوَّلُهُ يُحْرِقُ وَآخِرُهُ يُورِقُ.

امّا توقّيه فى اوّله: فلانّ البرد الخريفىّ يَرِدُ على ابدان قد استعدّت لفعله بحرارة الصيف و يبسه، و ما يستلزمانه من التخلخل و كثرة التحلّل[2] فلذلك: يكون قهره للفاعل

١ ـ في ش: ضعفيه. ٢ ـ في ش هكذا: و ما يستلزمانه من التحلّل.

الطبيعيّ، و ضعف الحار الغريزيّ و حدوث ما يحدث عن اجتماع البرد و اليبس، اللّذين هما طبيعة الموت من ضمور الأبدان وضعفها و انحسار الاوراق. و امّا تلقيّه في آخره و هو، آخرالشتاء، و اول من الربيع: فلاشتراك الزمانين في الرطوبة التي هي مادّة الحياة، و انكسار سَوْرَةِ بردالشتاء، بحرارة الربيع و اعتداله فيقوى لذلك الحار الغريزيّ، و تنتعش الأبدان، و يكون بذلك، نموّها و قوّتها، و ظهور الاوراق والثمار.

١١٩ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: عِظَمُ الْخَالِقِ عِنْدَكَ يُصَغِّرُ الْمَخْلُوقَ فِي عَيْنِكَ.

هذا امر، وجده اولياء الله. و قيل لبعضهم: فلان زاهد، فقال: فيماذا؟ فقيل: في الدنيا، فقال: الدّنيا لا تزن عندالله، جناح بعوضة فكيف يعتبرالزهد فيها؟ والزهد انّما يكون في شيء، والدنيا عندى لا شيء، و ذلك لما وجد من عظمة الله تعالى.

١٢٠ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام:

وقد رجع من صفّين فأشرف على القبور بظاهر الكوفة:

يَاأَهْلَ الدِّيَارِ الْمُوحِشَةِ، وَالْمَحَالِّ الْمُقْفِرَةِ، وَالْقُبُورِ الْمُظْلِمَةِ؛ يَاأَهْلَ التُّرْبَةِ، يَا أَهْلَ الْغُرْبَةِ يَا أَهْلَ الْوَحْدَةِ، يَا أَهْلَ الْوَحْشَةِ؛ أَنْتُمْ لَنَا فَرَطٌ سَابِقٌ، وَنَحْنُ لَكُمْ تَبَعٌ لاَحِقٌ؛ أَمَّا الدُّورُ فَقَدْ سُكِنَتْ، وَأَمَّا الْأَزْوَاجُ فَقَدْ نُكِحَتْ؛ وَأَمَّا الْأَمْوَالُ فَقَدْ قُسِمَتْ. هٰذَا خَبَرُ مَا عِنْدَنَا فَمَا خَبَرُ مَا عِنْدَكُمْ؟

ثم التفت إلى أصحابه فقال: أَمَا لَوْ اُذِنَ لَهُمْ فِي الْكَلَامِ لَأَخْبَرُوكُمْ أَنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى.

أقول: الفرط: الّذي يتقدّم الواردة فيُهَيِّئُ الارشاء والدلاء. و خاطبهم عليه السلام خطاب من يسمع اقامة لحالهم المعهودة مقام اشخاصهم الموجودة. والفصل من أبلغ المواعظ والتذكير، بأمر الآخرة و هو واضح.

١٢١ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام:

وقد سمع رجلا يذم الدنيا:

أيُّهَا الذَّامُّ لِلدُّنْيَا الْمُغْتَرُّ بِغُرُورِهَا الْمَخْدُوعُ بِأَبَاطِيلِهَا! أَتَغْتَرُّ بِالدُّنْيَا ثُمَّ تَذُمُّهَا؛ أَنْتَ الْمُتَجَرِّمُ عَلَيْهَا أَمْ هِيَ الْمُتَجَرِّمَةُ عَلَيْكَ؟ مَتَى اسْتَهْوَتْكَ أَمْ مَتَى غَرَّتْكَ؟ أَبِمَصَارِعِ آبَائِكَ مِنَ الْبِلَى؟ أَمْ بِمَضَاجِعِ أُمَّهَاتِكَ تَحْتَ الثَّرَى؟! كَمْ عَلَّلْتَ بِكَفَّيْكَ؟ وَكَمْ مَرَّضْتَ بِيَدَيْكَ؟ تَبْغِي لَهُمُ الشِّفَاءَ، وَتَسْتَوْصِفُ لَهُمُ الْأَطِبَّاءَ، غَدَاةَ لَايُغْنِي عَنْهُمْ دَوَاؤُكَ، وَلَايُجْدِي عَلَيْهِمْ بُكَاؤُكَ، وَلَمْ يَنْفَعْ أَحَدَهُمْ إِشْفَاقُكَ وَلَمْ تُسْعَفْ بِطِلْبَتِكَ، وَلَمْ تَدْفَعْ عَنْهُ بِقُوَّتِكَ! وَقَدْ مَثَّلَتْ لَكَ بِهِ الدُّنْيَا نَفْسَكَ! وَبِمَصْرَعِهِ مَصْرَعَكَ. إِنَّ الدُّنْيَا دَارُ صِدْقٍ لِمَنْ صَدَقَهَا، وَدَارُ عَافِيَةٍ لِمَنْ فَهِمَ عَنْهَا، وَدَارُ غِنًى لِمَنْ تَزَوَّدَ مِنْهَا، وَدَارُ مَوْعِظَةٍ لِمَنِ اتَّعَظَ بِهَا، مَسْجِدُ أَحِبَّاءِ اللهِ، وَمُصَلَّى مَلَائِكَةِ اللهِ وَمَهْبِطُ وَحْيِ اللهِ، وَمَتْجَرُ أَوْلِيَاءِ اللهِ، اكْتَسَبُوا فِيهَا الرَّحْمَةَ، وَرَبِحُوا فِيهَا الْجَنَّةَ، فَمَنْ ذَا يَذُمُّهَا وَقَدْ آذَنَتْ بِبَيْنِهَا، وَنَادَتْ بِفِرَاقِهَا، وَنَعَتْ نَفْسَهَا وَأَهْلَهَا فَمَثَّلَتْ لَهُمْ بِبَلَائِهَا الْبَلَاءَ، وَشَوَّقَتْهُمْ بِسُرُورِهَا إِلَى السُّرُورِ؟؟! رَاحَتْ بِعَافِيَةٍ، وَابْتَكَرَتْ بِفَجِيعَةٍ؛ تَرْهِيبًا وَتَرْغِيبًا، وَتَخْوِيفًا وَتَحْذِيرًا، فَذَمَّهَا رِجَالٌ غَدَاةَ النَّدَامَةِ، وَحَمِدَهَا آخَرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ ذَكَّرَتْهُمُ الدُّنْيَا فَتَذَكَّرُوا؛ وَحَدَّثَتْهُمْ فَصَدَّقُوا، وَوَعَظَتْهُمْ فَاتَّعَظُوا.

قوله: بمصارع آبائك: استفهام استهزاء. و مثّلت: صوّرت. و تصديق من صدقها: اعترافه بتغيّرها و زوالها. و ما مثّلت به نفسه. و دار عافية لمن أي: عذاب الله لمن فهم عنها ما اخبرت به من عظاتها و عبرها. و آذنت: أعلمت. والبلاء والسرور: بلاء الآخرة وسرورها، اذ كان كلّ ما في هذا العالم فهو صور و مثال لما في عالم الغيب، و نسخة منه يعتبر به. و غداة الندامة حين الموت.

١٢٢ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: إِنَّ لِلهِ مَلَكًا يُنَادِي فِي كُلِّ يَوْمٍ: لِدُوا لِلْمَوْتِ، وَابْنُوا لِلْخَرَابِ، وَاجْمَعُوا لِلْفَنَاءِ.

أشار الى غايات الدنيا على وفق ما علم من القضاء الالٰهي.

١٢٣ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: الدُّنْيَا دَارُ مَمَرٍّ إِلَى دَارِ مَقَرٍّ، وَالنَّاسُ فِيهَا رَجُلَانِ: رَجُلٌ

بَاعَ فِيهَا نَفْسَهُ فَأَوْبَقَهَا، وَرَجُلٌ ابْتَاعَ نَفْسَهُ فَأَعْتَقَهَا.

أو بقها: اهلكها في الآخرة، بما باعها به من متاع الدنيا. و اعتقها: بما شراها به من ذلك بالزهد فيه، و انفاقه في سبيل الله.

•

۱۲٤ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: لَايَكُونُ الصَّدِيقُ صَدِيقًا حَتَّى يَحْفَظَ أَخَاهُ فِي ثَلَاثٍ: فِي نَكْبَتِهِ، وَغَيْبَتِهِ، وَوَفَاتِهِ.

اراد: الصديق الحق.

۱۲٥ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: مَنْ اُعْطِيَ أَرْبَعاً لَمْ يُحْرَمْ أَرْبَعاً: مَنْ اُعْطِيَ الدُّعَاءَ لَمْ يُحْرَمِ الْإِجَابَةَ، وَمَنْ اُعْطِيَ التَّوْبَةَ لَمْ يُحْرَمِ الْقَبُولَ، وَمَنْ اُعْطِيَ الْاِسْتِغْفَارَ لَمْ يُحْرَمِ الْمَغْفِرَةَ، وَمَنْ اُعْطِيَ الشُّكْرَ لَمْ يُحْرَمِ الزِّيَادَةَ.

وَتَصْدِيقُ ذٰلِكَ فِي كِتَابِ اللهِ، قَالَ اللهُ فِي الدُّعَاءِ: (ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ)[1] وقال في الاستغفار: (وَ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللهَ يَجِدِ اللهَ غَفُورًا رَحِيمًا)[2] وقال في الشكر: (لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ)[3] وقال في التوبة: (إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ، فَأُولٰئِكَ يَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا)[4].

تحتاج الامور الأربعة في استلزامها للامور الأربعة: الى الاستعداد التّام بالاخلاص فيها.

۱۲٦ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: الصَّلَاةُ قُرْبَانُ كُلِّ تَقِيٍّ، وَالْحَجُّ جِهَادُ كُلِّ ضَعِيفٍ، وَلِكُلِّ شَيْءٍ زَكَاةٌ وَزَكَاةُ الْبَدَنِ الصِّيَامُ، وَجِهَادُ الْمَرْأَةِ حُسْنُ التَّبَعُّلِ.

التبعل: معاشرة البَعل.

۱۲۷ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: اسْتَنْزِلُوا الرِّزْقَ بِالصَّدَقَةِ.

اى: استعدّوا لنزوله بالصدقة. من أيقن بالخلف جاد بالعطيّة.

---

۱ ـ سورة غافر/ ٦٠.
۲ ـ سورة النساء/ ۱۱۰.
۳ ـ سورة ابراهيم/ ۷.
٤ ـ سورة النساء/ ۱۷.

۱۲۸ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: تَنْزِلُ الْمَعُونَةُ عَلَى قَدْرِ الْمَؤُونَةِ.

و ذلك لتكفّل العناية الالهية بالأرزاق.

۱۲۹ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: مَا أَعَالَ مَنِ اقْتَصَدَ.

العيلة: الفقر، والاقتصاد: الإنفاق بقدرالحاجة.

۱۳۰ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: قِلَّةُ الْعِيَالِ أَحَدُ الْيَسَارَيْنِ، وَالتَّوَدُّدُ نِصْفُ الْعَقْلِ، وَالْهَمُّ نِصْفُ الْهَرَمِ.

أراد بالعقل: العقل العمليّ، و لفظهمجاز في تصرّفاته. و لما كان الانسان محتاجًا في اصلاح معاشه الى غيره، و كان عقله في معاملته للخلق امّا على وجه التودّد و ما يلزمه من جميل المعاشرة والمسامحة والترغيب، وامّا على ضدّ ذلك من القهر والغلبة كان التودد. و في معناه نصف تصرّف العقل في تدبير امر معاشه. و لمّا كان الهرم امّا طبيعيًا و امّا بسبب من خارج، و هو: الهمّ والحزن، والخوف المستلزم له، فهو اذن: قسيم للمسبب الطبيعيّ، و قسم من اسباب الهرم كالنصف له فاستعار له لفظ النصف، و اراد نصف سبب الهرم.

۱۳۱ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: يَنْزِلُ الصَّبْرُ عَلَى قَدْرِ الْمُصِيبَةِ، وَمَنْ ضَرَبَ يَدَهُ عَلَى فَخِذَيْهِ عِنْدَ مُصِيبَتِهِ حَبِطَ أَجْرُهُ.

نزول الصبر من سماء الجود الآلهي بسبب الإستعداد بالمصيبة و لواحقها له. و حبط أجره بطل على الصبر. و قيل: ثوابه السابق ايضاً، و هو بعيد.

۱۳۲ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: كَمْ مِنْ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا الْجُوعُ وَالظَّمَأُ، وَكَمْ مِنْ قَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ قِيَامِهِ إِلَّا السَّهَرُ وَالْعَنَاءُ، حَبَّذَا نَوْمُ الْأَكْيَاسِ وَ إِفْطَارُهُمْ.

أراد صوم الجاهلين بأسرار العبادة، و سهرهم فيها لأخلالهم غالبًا بشرائطها الحقّة و توجيهها الى من هي له. والكيّس هو: الذى يستعمل ذكره و فطنته في طريق الخير، و

يضع الاشياء مواضعها فيسهر، وينام في مواضع السهر والنوم و على وجهيهما.

١٣٣ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: سُوسُوا إِيمَانَكُمْ بِالصَّدَقَةِ، وَحَصِّنُوا أَمْوَالَكُمْ بِالزَّكَاةِ، وَادْفَعُوا أَمْوَاجَ الْبَلاءِ بِالدُّعَاءِ.

سوسوا، اي: املكوا و ذلك انّ الصدقة من كمال الايمان التـام، فحفظه لا يكون بدونها. و لفظ الأمواج مستعار للحوادث المتواترة.

١٣٤ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام:

لكميل بن زيادالنخعي رحمه الله قال كميل: أخذ بيدى أميرالمؤمنين عليه السلام فأخرجني إلى الجبان، فلما أصحر تنفس الصعداء، ثم قال:

يَا كُمَيْلُ إِنَّ هٰذِهِ الْقُلُوبَ أَوْعِيَةٌ، فَخَيْرُهَا أَوْعَاهَا، فَاحْفَظْ عَنِّي مَا أَقُولُ لَكَ: النَّاسُ ثَلاثَةٌ: فَعَالِمٌ رَبَّانِيٌّ، وَمُتَعَلِّمٌ عَلَى سَبِيلِ نَجَاةٍ، وَهَمَجٌ رَعَاعٌ أَتْبَاعُ كُلِّ نَاعِقٍ يَمِيلُونَ مَعَ كُلِّ رِيحٍ، لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِنُورِ الْعِلْمِ وَلَمْ يَلْجَأُوا إِلَى رُكْنٍ وَثِيقٍ.

يَا كُمَيْلُ؛ الْعِلْمُ خَيْرٌ مِنَ الْمَالِ، الْعِلْمُ يَحْرُسُكَ وَأَنْتَ تَحْرُسُ الْمَالَ، وَالْمَالُ تَنْقُصُهُ النَّفَقَةُ وَالْعِلْمُ يَزْكُوا عَلَى الإِنْفَاقِ، وَصَنِيعُ الْمَالِ يَزُولُ بِزَوَالِهِ.

يَا كُمَيْلُ؛ الْعِلْمُ دِينٌ يُدَانُ بِهِ، بِهِ يَكْسِبُ الإِنْسَانُ الطَّاعَةَ فِي حَيَاتِهِ وَجَمِيلَ الأُحْدُوثَةِ بَعْدَ وَفَاتِهِ، وَالْعِلْمُ حَاكِمٌ وَالْمَالُ مَحْكُومٌ عَلَيْهِ.

يَا كُمَيْلُ؛ هَلَكَ خُزَّانُ الأَمْوَالِ وَهُمْ أَحْيَاءٌ وَالْعُلَمَاءُ بَاقُونَ مَا بَقِيَ الدَّهْرُ: أَعْيَانُهُمْ مَفْقُودَةٌ، وَأَمْثَالُهُمْ فِي الْقُلُوبِ مَوْجُودَةٌ. هَا إِنَّ هٰهُنَا لَعِلْماً جَمًّا (وَأَشَارَ عَلَيْهِ السَّلامُ بِيَدِهِ إِلَى صَدْرِهِ) لَوْ أَصَبْتُ لَهُ حَمَلَةً! بَلَى أَصَبْتُ لَقِناً غَيْرَ مَأْمُونٍ عَلَيْهِ مُسْتَعْمِلاً آلَةَ الدِّينِ لِلدُّنْيَا مُسْتَظْهِرًا بِنِعَمِ اللهِ عَلَى عِبَادِهِ، وَبِحُجَجِهِ عَلَى أَوْلِيَائِهِ، أَوْ مُنْقَادًا لِحَمَلَةِ الْحَقِّ لاَ بَصِيرَةَ لَهُم فِي أَحْنَائِهِ، يَنْقَدِحُ الشَّكُّ فِي قَلْبِهِ لِأَوَّلِ عَارِضٍ مِنْ شُبْهَةٍ. أَلاَ لاَ ذَا وَلاَ ذَاكَ! أَوْ مَنْهُومًا بِاللَّذَّةِ سَلِسَ الْقِيَادِ لِلشَّهْوَةِ، أَوْ مُغْرَمًا بِالْجَمْعِ وَالادِّخَارِ، لَيْسَا مِنْ رُعَاةِ الدِّينِ فِي شَيْءٍ، أَقْرَبُ شَيْءٍ شَبَهًا بِهِمَا الأَنْعَامُ السَّائِمَةُ! كَذٰلِكَ يَمُوتُ الْعِلْمُ بِمَوْتِ حَامِلِيهِ.

اللّهُمَّ بَلَى! لَا تَخْلُو الأَرْضُ مِنْ قَائِمٍ لِلّهِ بِحُجَّةٍ: إِمَّا ظَاهِرًا مَشْهُورًا، أَوْ خَائِفًا مَغْمُورًا

لِئَلَّا تَبْطُلَ حُجَجُ اللهِ وَبَيِّنَاتُهُ. وَكَمْ ذَا وَ أَيْنَ أُولئِكَ أُولئِكَ ـ وَاللهِ ـ الْأَقَلُّونَ عَدَدًا، وَالْأَعْظَمُونَ قَدْرًا. بِهِمْ يَحْفَظُ اللهُ حُجَجَهُ وَ بَيِّنَاتِهِ حَتَّى يُودِعُوهَا نُظَرَاءَهُمْ، وَ يَزْرَعُوهَا فِي قُلُوبِ أَشْبَاهِهِمْ، هَجَمَ بِهِمُ الْعِلْمُ عَلَى حَقِيقَةِ الْبَصِيرَةِ، وَ بَاشَرُوا رُوحَ الْيَقِينِ؛ وَاسْتَلَانُوا مَا اسْتَوْعَرَهُ الْمُتْرَفُونَ، وَأَنِسُوا بِمَا اسْتَوْحَشَ مِنْهُ الْجَاهِلُونَ، وَ صَحِبُوا الدُّنْيَا بِأَبْدَانٍ أَرْوَاحُهَا مُعَلَّقَةٌ بِالْمَحَلِّ الْأَعْلَى أُولئِكَ خُلَفَاءُ اللهِ فِي أَرْضِهِ، وَالدُّعَاةُ إِلَى دِينِهِ آهِ آهِ شَوْقًا إِلَى رُؤْيَتِهِمْ! إِنْصَرِفْ إِذَا شِئْتَ.

اقول: الجبّان: الصحراء. والصعداء: نوع من التنفّيس يصعده المتلهّف[1] الحزين. ووجه قسمة الناس انّهم عالم أو ليس، و غير العالم امّا طالب له أو ليس. والربانيّ: من علم علم الربوبيّة، والنسبة على غير قياس، و زيدت الألف والنون: للمبالغة في النسبة. واستعار لفظ الهمج و هو: ذباب صغار للعوام باعتبار حقارتهم. و الرعاع: الأحداث والعوام. وكنّى بميلهم مع كلّ ريح عن ضعفهم عن التماسك في مذهب واحد. واستعار لفظ الركن الوثيق: للاعتقادات الحقّة البرهانية. وصنيع المال: الإحسان به، والطاعة المكتسبة به: طاعة الخلق لصاحبه، اوطاعته لله تعالى فانّ الطاعة بلا علم، لا أصل لها. والعلم حاكم: باعتبار أنّ تحصيل المال وتصريفه انّما يكون بالعلم بوجوه الحركة، والسعي، والمصارف. واللّقِن: سريع الفهم، والمنقاد لحملة الحق هو المقلّد. واشار بعدم بصيرته: الى عدم علمه بالبرهان والحجة. والاحناء: الجوانب. و قوله: الا لاذا و لا ذاك، اى: ليسا من حملة العلم الذى أطلب. و المنهوم بـاللّذة والشره فيها، و الحريص عليها. و قوله: كذلك اى: تشابه تلك الأحوال من عدم من يصلح للعلم، وحمله وجود من لا يصلح له موت العلم بموت حامليه، و اراد بالظاهر: ممّن يقوم بحجّة الله من عساه يتمكّن من اظهار العلم والعمل به من أولياء الله. و بالخائف المغمور: من لم يتمكّن من ذلك.

قالت الامامية: هذا تصريح بوجوب الإمامة في كلّ زمان التكليف، و انّ الامام قائم بحجّة الله على خلقه و يجب وجوده بمقتضى الحكمة، و هو امّا ان يكون ظاهرًا معروفًا بين الناس، كالّذين سبقوا الى الإحسان، و وصلوا الى المحل الأعلى من الائمة الا ثنى عشر و من ولده العترة عليهم السلام، و امّا أن يكون خائفًا مستورا لكثرة اعدائه و قلّة المخلصين من اوليائه، كالحجّة المنتظر. و قوله: و كم ذا: استبطاء لظهوره. و استطالة

[1] ـ في ش: الملتهف.

المدّة غيبته. و تبرّم من امتداد دولة الظالمين. و قوله : اين هم: استقلال لعدد ائمة الدين، و قوله: هجم بهم، الى قوله: البصيرة، اى: فاجاءهم و دخل على عقولهم دفعة لانّ علومهم، لدنيّة حدسيّة. و قيل ذلك على المقلوب، اى: هجمت بهم عقولهم على حقيقة العلم، و باشروا روح اليقين اي: وجدوا لذّته. و ما استوعر المترفون، اى: ما استصعبوه من جشوبة المطعم، و خشونة المضجع والملبس، و مصابرة الصيام و السّهر و ما استوحش منه الجاهلون هوالأمور المذكورة. و قوله: معلّقة بالمحلّ الأعلى اى: عاشقة لما شاهدته من جمال حضرة الربوبيّة، وصحبة الملأ الأعلى من الملائكة.

۱۳۵ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: الْمَرْءُ مَخْبُوْءٌ تَحْتَ لِسَانه.

فاستعار لفظ المخبوء لهُ باعتبار انّه لايظهر مقداره حتى يتكلّم فيعُرف كالمخبوء.

۱۳۶ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: هَلَكَ امْرُؤٌ لَمْ يَعْرِفْ قَدْرَهُ.

و ذلك لانّ من لم يعرف قدره في مظنّه ان يتجاوزه فتلعب به ألسنة الناس و أيديهم حتى يهلك.

۱۳۷ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: لِرَجُلٍ سأله أن يَعِظَهُ:

لَا تَكُنْ مِمَّنْ يَرْجُوالآخِرَةَ بِغَيْرِالْعَمَلِ، وَ يُرَجِّي التَّوْبَةَ بِطُولِ الْأَمَلِ، يَقُولُ فِي الدُّنْيَا بِقَوْلِ الزَّاهِدِينَ، وَ يَعْمَلُ فِيهَا بِعَمَلِ الرَّاغِبِينَ، إنْ اُعْطِيَ مِنْهَا لَمْ يَشْبَعْ، وَ إِنْ مُنِعَ مِنْهَا لَمْ يَقْنَعْ، يَعْجِزُ عَنْ شُكْرِ مَا أُوتِيَ، وَ يَبْتَغِي الزِّيَادَةَ فِيمَا بَقِيَ، يَنْهَى وَلَا يَنْتَهِي، وَ يَأْمُرُ بِمَا لَا يَأْتِي، يُحِبُّ الصَّالِحِينَ وَلَا يَعْمَلُ عَمَلَهُمْ، وَ يُبْغِضُ الْمُذْنِبِينَ وَ هُوَ أَحَدُهُمْ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ لِكَثْرَةِ ذُنُوبِهِ، وَ يُقِيمُ عَلَى مَا يَكْرَهُ الْمَوْتَ لَهُ، إنْ سَقِمَ ظَلَّ نَادِمًا، وَ إِنْ صَحَّ أَمِنَ لَاهِيًا، يُعْجَبُ بِنَفْسِه إِذَا عُوفِيَ، وَيَقْنَطُ إِذَا ابْتُلِيَ، إِنْ أَصَابَهُ بَلَاءٌ دَعَا مُضْطَرًّا، وَإِنْ نَالَهُ رَخَاءٌ أَعْرَضَ مُغْتَرًّا، تَغْلِبُهُ نَفْسُهُ عَلَى مَا تَظُنُّ، وَ لَا يَغْلِبُهَا عَلَى مَا يَسْتَيْقِنُ، يَخَافُ عَلَى غَيْرِهِ بِأَدْنَى مِنْ ذَنْبِهِ، وَيَرْجُو لِنَفْسِهِ بِأَكْثَرَ مِنْ عَمَلِهِ، إِنِ اسْتَغْنَى بَطِرَ وَفُتِنَ، وَ إِنِ افْتَقَرَ قَنِطَ وَ وَهَنَ، يُقَصِّرُ إِذَا عَمِلَ، وَ يُبَالِغُ إِذَا سَأَلَ، إِنْ عَرَضَتْ لَهُ شَهْوَةٌ أَسْلَفَ الْمَعْصِيَةَ، وَ سَوَّفَ التَّوْبَةَ، وَ إِنْ عَرَتْهُ

مِحْنَةٌ انْفَرَجَ عَنْ شَرَائِطِ الْمِلَّةِ، يَصِفُ الْعِبْرَةَ وَ لَايَعْتَبِرُ، وَيُبَالِغُ فِي الْمَوْعِظَةِ وَلَا يَتَّعِظُ، فَهُوَ بِالْقَوْلِ مُدِلٌّ، وَ مِنَ الْعَمَلِ مُقِلٌّ، يُنَافِسُ فِيمَا يَفْنَى، وَيُسَامِحُ فِيمَا يَبْقَى، يَرَى الْغُنْمَ مَغْرَمًا، وَالْغُرْمَ مَغْنَمًا، يَخْشَى الْمَوْتَ، وَلَا يُبَادِرُ الْفَوْتَ. يَسْتَعْظِمُ مِنْ مَعْصِيَةِ غَيْرِهِ مَا يَسْتَقِلُّ أَكْثَرَ مِنْهُ مِنْ نَفْسِهِ، وَيَسْتَكْثِرُ مِنْ طَاعَتِهِ مَا يَحْقِرُهُ مِنْ طَاعَةِ غَيْرِهِ، فَهُوَ عَلَى النَّاسِ طَاعِنٌ، وَ لِنَفْسِهِ مُدَاهِنٌ، اللَّهْوُ مَعَ الْأَغْنِيَاءِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الذِّكْرِ مَعَ الْفُقَرَاءِ، يَحْكُمُ عَلَى غَيْرِهِ لِنَفْسِهِ، وَلَا يَحْكُمُ عَلَيْهَا لِغَيْرِهِ، يُرْشِدُ غَيْرَهُ وَيُغْوِي نَفْسَهُ. فَهُوَ يُطَاعُ وَيَعْصِي، وَيَسْتَوْفِي وَلَا يُوفِي، وَ يَخْشَى الْخَلْقَ فِي غَيْرِ رَبِّهِ، وَلَا يَخْشَى رَبَّهُ فِي خَلْقِهِ.

قال السيد الرضي: ولو لم يكن في هذا الكتاب الّا هذا الكلام لكفى به موعظةً ناجعة، وحكمة بالغه، وبصيرة لمبصر، وعبرة لناظر مُفكّرٍ.

و أقول: يرجّيها: يؤخّرها. و روى بالزاى المعجمة أي: يدفعها. و قوله: يغلبه نفسه على ما يظنّ اى: من مطامع الدنيا و لايغلبها على ما يستيقن، اى: من ثواب الآخرة و لا يغلبها على ذلك، اي: على العمل به. و انفراجه عن شرائط الملّة عند نزول المحنة به: خروجه عن فضيلة الصبر عليها. و رؤيته المغنم مغرماً، كالانفاق في سبيل الله. والغرم مغنماً، كالانفاق في معصيته. و يُغوى نفسه اي: لا يسلك بها سبيل الحقّ. والكلام من شريف الحكمة والموعظة الحسنة، واكثره ظاهر.

١٣٨ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَام: لِكُلِّ امْرِىءٍ عَاقِبَةٌ حُلْوَةٌ أَوْ مُرَّةٌ.

اشارالى غايته الخيريّة والشرّية، كالجنّة و لذّاتها، والنار بعذابها. واستعار لفظَيّ الحلوة والمرّة، للذيذ، والمكروه.

١٣٩ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَام: لِكُلِّ مُقْبِلٍ إِدْبَارٌ، وَمَا أَدْبَرَ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ.

و هو تزهيد: في متاع الدّنيا و فنائها.

١٤٠ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَام: لَا يَعْدَمُ الصَّبُورُ الظَّفَرَ وَإِنْ طَالَ بِهِ الزَّمَانُ.

۱۴۱ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: الرَّاضِي بِفِعْلِ قَوْمٍ كَالدَّاخِلِ فِيهِ مَعَهُمْ، وَعَلَى كُلِّ دَاخِلٍ فِي بَاطِلٍ إِثْمَانِ: إِثْمُ الْعَمَلِ بِهِ، وَإِثْمُ الرِّضَا بِهِ.

و هو ظاهر.

۱۴۲ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: اعْتَصِمُوا بِالذِّمَمِ فِي أَوْتَادِهَا.

الذمم: العهود، والعقود، والأيمان. و استعار لفظ الأوتاد لشرايطها: باعتبار انّها سبب حفظها كالوتد لما يحفظ به. و اراد امتنعوا بالمحافظة عليها و لزوم الوفاء بها، من عذاب الله.

۱۴۳ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: عَلَيْكُمْ بِطَاعَةِ مَنْ لَا تُعْذَرُونَ بِجَهَالَتِهِ.

يريد طاعة الله تعالى. و قيل: ائمّة الخلق ايضا، اذ لا يُعذر الخلق فى الجهل بهم لتعلّم قوانين الدّين منهم.

۱۴۴ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: قَدْ بُصِّرْتُمْ إِنْ أَبْصَرْتُمْ، وَقَدْ هُدِيتُمْ إِنِ اهْتَدَيْتُمْ، وَأُسْمِعْتُمْ إِنِ اسْتَمَعْتُمْ.

اى قد بصّرتم سبيل الرشاد، و هُديتم اليها، و أُسمِعْتم الدلالة عليها.

۱۴۵ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: عَاتِبْ أَخَاكَ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ، وَارْدُدْ شَرَّهُ بِالْإِنْعَامِ عَلَيْهِ.

۱۴۶ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: مَنْ وَضَعَ نَفْسَهُ مَوَاضِعَ التُّهَمَةِ فَلَا يَلُومَنَّ مَنْ أَسَاءَ بِهِ الظَّنَّ.

لانه هوالسبّب فى اساءة الظن به.

١٤٧ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام:
مَنْ مَلَكَ اسْتَأْثَرَ، وَمَنِ اسْتَبَدَّ بِرَأْيِهِ هَلَكَ، وَمَنْ شَاوَرَ الرِّجَالَ شَارَكَهَا فِي عُقُولِهَا.

استبدّ اراد ان شأن الملوك الاستبداد بالامور دون الناس. و من استبدّ برأيٍ هلك، اذ كان الاستبداد بالرأي مظِنّةُ الخطأ و ما يلزمه من الهلك. و من شاورالرجال، شاركها في عقولها لاستنتاجه الراى الأصلح منها فَكَأَنَّهُ قد حَصَلَ على مثل ما حصل جميعهم عليه من العقل.

١٤٨ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: مَنْ كَتَمَ سِرَّهُ كَانَتِ الْخِيَرَةُ بِيَدِهِ.

اى: فى اذاعته و كتمانه، و هو ترغيب فى كتمان السّر.

١٤٩ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: الْفَقْرُ الْمَوْتُ الْأَكْبَرُ.

استعار له لفظ الموت: باعتبار انقطاع النفع بمتاع الدنيا معه كالموت، و كونه أكبر: باعتبار تضاعف آلامه فى الحياة، و راحة الميّت بموته[1].

١٥٠ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: مَنْ قَضَى حَقَّ مَنْ لَا يَقْضِي حَقَّهُ فَقَدْ عَبَدَهُ.

وذلك لانّ قضائك لحق من لايقضى حقك من الإخوان ليس طلب نفع منه لك، ولادفع مضرّة الغير عنك، بل لانّه هو لرهبةٍ منه و هى يُشبه العبادة.

١٥١ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ.

و ذلك كالتقرّب بالوضوء بالماء المغصوب. والصلاة فى الدار المغصوبة. والنفى هنا لذات الطاعة الشرعيّه كما هومذهب أهل البيت عليهم السلام. و عندالشافعى يحمل على نفي الفضيلة.

١٥٢ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: لَا يُعَابُ الْمَرْءُ بِتَأْخِيرِ حَقِّهِ إِنَّمَا يُعَابُ مَنْ أَخَذَ مَا لَيْسَ لَهُ.

---

١ ـ في ش: وراحة الموت بموته.

لانّ الأوّل حق. والثاني ظلم، و هو من اقوى الرذائل، و أكبر العيوب.

۱۵۳ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: الْإِعْجَابُ يَمْنَعُ مِنَ الازْدِيَادِ.

و ذلك لتصوّر المعجب بنفسه لكماله فيمنعه من التكمّل.

۱۵۴ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: الْأَمْرُ قَرِيبٌ، وَالِاصْطِحَابُ قَلِيلٌ.

اي: أمرالله و هو الموت. والإصطحاب قليل اي: فى الدنيا.

۱۵۵ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: قَدْ أَضَاءَ الصُّبْحُ لِذِي عَيْنَيْنِ.

استعار لفظ الصبح: لسبيل الله. و وصف الضياء: لوضوحها، و لفظ العينين: للعقل. وهو كالمثل و نحوه قوله تعالى: (انّ فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب)[1] الآية.

۱۵۶ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: تَرْكُ الذَّنْبِ أَهْوَنُ مِنْ طَلَبِ التَّوْبَةِ.

۱۵۷ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: كَمْ مِنْ أَكْلَةٍ مَنَعَتْ أَكَلَاتٍ!

يضرب مثلا لمن يفعل فعلاً فيحرم به ما كان معتادًا له من منفعة و لذّة.

۱۵۸ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: النَّاسُ أَعْدَاءُ مَا جَهِلُوا.

و ذلك لاعتقاد اكثر الجهال انّ تصوّراتهم، و اعتقاداتهم الوهمية هى الحقّ، و ليس بعدالحق الّا الضّلال الذى ينبغى أن يُعاديْ و يُجانب. و يتأكّد عداوتهم للعلم، و أهله بغبطتهم لهم، و فخرالعلماء عليهم و احتقارهم ايّاهم.

۱۵۹ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: مَنِ اسْتَقْبَلَ وُجُوهَ الْآرَاءِ عَرَفَ مَوَاقِعَ الْخَطَإِ.

---

۱ ـ سورة ق / ۳۷.

فاستقبالها: تصفحها و استقراؤها و هو مستلزم لمعرفة الخطأ من الصواب و مظنّة لذلك.

١٦٠ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: مَنْ أَحَدَّ سِنَانَ الْغَضَبِ لِلّٰهِ قَوِيَ عَلَى قَتْلِ أَشِدَّاءِ الْبَاطِلِ.

لأن الغاضب لله يشتدّ بعزّته التى هى أقوى من عزّة الباطل، و المتمسّك بالأقوى اقوى، و بذلك كان قتله عليه السلام لجبابرة العرب.

١٦١ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: إِذَا هِبْتَ أَمْرًا فَقَعْ فِيهِ، فَإِنَّ شِدَّةَ تَوَقِّيهِ أَعْظَمُ مِمَّا تَخَافُ مِنْهُ.

١٦٢ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: آلَةُ الرِّيَاسَةِ سَعَةُ الصَّدْرِ.

سعة الصدر فضيلة تحت الشجاعة، وهى: ان لا يدع الانسان قوّة التجلّد عند ورود الأحداث المهمّة عليه، و اعتلاجها، و لا يحارأ و يُدهش فيما يرد عليه منها، و هى من لوازم الرياسة الحقّة، فعرّفها بها.

١٦٣ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: أُزْجُرِ الْمُسِيءَ بِثَوَابِ الْمُحْسِنِ.

لانّ تصوّر المسيء جزاء المحسن بإحسانه، يجذبه الى الإحسان و يزجره عن الاساءة.

١٦٤ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: أُحْصُدِ الشَّرَّ مِنْ صَدْرِ غَيْرِكَ بِقَلْعِهِ مِنْ صَدْرِكَ.

لانّ نيّة الشر للغير تظهر اماراتها فى فلتات القول، و صفحات الوجه، و ذلك مبدء التغيّر نيّة الغير، و اضماره المقابلة بالشّر فكان عدمُها بعدمِها.

١٦٥ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: اللَّجَاجَةُ تَسُلُّ الرَّأىَ.

اي: تأخذه و تذهبُ به، و ذلك انّ الانسان قد يلج في طلب الشيء مع الرأى في تحصيله التأنّي فيكون اللّجاج فيه سببًا مفوّتا للرأى الأصلح فيه، و هو مفوّت للمطلوب غالبًا.

١٦٦ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: الطَّمَعُ رِقٌّ مُؤَبَّدٌ.

فاستعار له لفظ الرّق: لاستلزامه التعبّد للمطموع فيه و طاعته كالرّق.

١٦٧ ـ وَقَالَ عليْهِ السَّلام: ثَمَرَةُ الْحَزْمِ السَّلاَمَةُ، وَ ثَمَرَةُ التَّفْرِيطِ النَّدَامَةُ.

فالحزم: هو تقديم العمل للحوادث بما هو أقرب الى السلامة منها. و التفريط: اضاعته.

١٦٨ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: لاَ خَيْرَ فِي الصَّمْتِ عَنِ الْحُكْمِ؛ كَمَا أَنَّهُ لاَ خَيْرَ فِي الْقَوْلِ بِالْجَهْلِ.

لما كانت فضيلة القول هو النطق بالحكمة، كان السكوت عنها رذيلة تضادّها ولا خير فيها.

١٦٩ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: مَا اخْتَلَفَتْ دَعْوَتَانِ إلاَّ كَانَتْ إحْدَاهُمَا ضَلاَلَةً.

فالدّعوة امّا الى حقّ، او الى غيره، و هو الباطل، ولا واسطة بينهما، و هذا يؤيّد المنقول عنه، و عن اهل بيته عليهم السلام انّ الحق في جهة، و انّه ليس كلّ مجتهد مصيبًا.

١٧٠ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: مَا شَكَكْتُ فِي الْحَقِّ مُذْ اُرِيتُهُ.

و ذلك لقوّة استعداده للعلم و وضوحه له.

۱۷۱ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: مَا كَذَبْتُ وَلَا كُذِّبْتُ، ولَا ضَلَلْتُ وَلَا ضُلَّ بِی.

۱۷۲ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: لِلظَّالِمِ الْبَادِي غَدًا بِكَفِّهِ عَضَّةٌ!

احترز بالبادی عن المجازی للظلم بمثله. و کنّی بعضّ کفه عن الندامة.

۱۷۳ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: الرَّحِيلُ وَشِيكٌ.

ای: قربت الی الآخرة.

۱۷٤ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: مَنْ أَبْدَى صَفْحَتَهُ لِلْحَقِّ هَلَكَ.

ای: من ظهر و نصب نفسه لاظهار الحق هلك عندالجهّال، لضعف الحقّ عندهم وحبّهم للباطل، وقد مرّ بيانه.

۱۷۵ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: مَنْ لَمْ يُنْجِهِ الصَّبْرُ أَهْلَكَهُ الْجَزَعُ.

ای: من لم يصبر فينجو بصبره من اثم الجزع والهلاك به فی الآخرة او فی الدنيا، هلك به.

۱۷٦ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: وَاعَجَبَاهُ أَتَكُونُ الْخِلَافَةُ بِالصَّحَابَةِ ولا تكُونُ بالصَحابَةِ وَالقَرَابَةِ؟

قال الرضی: وروی عنه عليه السلام شعر فی هذا المعنی وهو

فَإِنْ كُنْتَ بِالشّورَى مَلَكْتَ اُمُورَهُمْ فَكَيْفَ بِهٰذَا وَالْمُشِيرُونَ غُيَّبُ؟!

وَإِنْ كُنْتَ بِالْقُرْبَى حَجَجْتَ خَصِيمَهُم فَغَيْرُكَ أَوْلَى بِالنَّبِيِّ وَ أَقْرَبُ

روی هذا عنه عند بيعة عثمان، و هو صورة جواب لما كان يسمعه من تعليل استحقاق عثمان للخلافة تارةً بالشوری، و تارةً بانّه من الصحابة. و فيه اشارة الی انّه عليه السلام أولی بها من غيره، لاجتماع الصحابة والقرابة فيه.

۱۷۷ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: إِنَّمَا الْمَرْءُ فِي الدُّنْيَا غَرَضٌ تَنْتَضِلُ فِيهِ الْمَنَايَا، وَنَهْبٌ

تُبَادِرُهُ الْمَصَائِبُ، وَمَعَ كُلِّ جُرْعَةٍ شَرَقٌ، وَفِي كُلِّ أَكْلَةٍ غَصَصٌ وَلَا يَنَالُ الْعَبْدُ نِعْمَةً إِلَّا بِفِرَاقِ أُخْرَى، وَلَا يَسْتَقْبِلُ يَوْمًا مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا بِفِرَاقِ آخَرَ مِنْ أَجَلِهِ. فَنَحْنُ أَعْوَانُ الْمَنُونِ وَأَنْفُسُنَا نَصْبُ الْحُتُوفِ فَمِنْ أَيْنَ نَرْجُو الْبَقَاءَ وَهَذَا اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ لَمْ يَرْفَعَا مِنْ شَيْءٍ شَرَفًا إِلَّا أَسْرَعَا الْكَرَّةَ فِي هَدْمِ مَا بَنَيَا، وَتَفْرِيقِ مَا جَمَعَا؟!

استعار لفظ الانتضال و هو الرمي: لرمي الانسان بالأمراض والأعراض. و نهب بمعنى: منهوب. و كنّى بالشرق والغصص: عن شوب لذّات الدنيا بالتكدير، و عدم خلوصها. والنعمة في الحقيقة هي: اللذّة و ما يكون وسيلة اليها نعمة بالغرض، و لا يكاد يحصل للنفس في الدنيا لذّتان معًا، بل ان كانتا فاحداهما بعد زوال الاخرى. وكذلك ما يتعدّد من النعم المتعارفة غالبا، اذ طبيعة الدنيا و متاعها التقضّي والتجدّد. و نحن أعوان المنون على انفسنا: باعتبار انّ كل نفس وحركة فهي مقرّبة للانسان الى اجله فكأنّه ساع الى أجله.

١٧٨ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: يَا ابْنَ آدَمَ مَا كَسَبْتَ فَوْقَ قُوتِكَ فَأَنْتَ فِيهِ خَازِنٌ لِغَيْرِكَ.

أراد بغيره: الحادث او الوارث.

١٧٩ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: إِنَّ لِلْقُلُوبِ شَهْوَةً وَإِقْبَالًا وَإِدْبَارًا فَأْتُوهَا مِنْ قِبَلِ شَهْوَتِهَا وَإِقْبَالِهَا، فَإِنَّ الْقَلْبَ إِذَا أُكْرِهَ عَمِيَ.

أراد بالإدبار: النفرة والملال. و استعار وصف العمى له: باعتبار عدم ادراكه مع النفرة والملال، و ذلك لوقوف القوى المدركة عن المطلوب لكلالٍ او ملالٍ.

١٨٠ ـ و كان عليه السلام يقول: مَتَى أَشْفِي غَيْظِي إِذَا غَضِبْتُ؟ أَحِينَ أَعْجِزُ عَنِ الِانْتِقَامِ فَيُقَالَ لِي لَوْ صَبَرْتَ؟ أَمْ حِينَ أَقْدِرُ عَلَيْهِ فَيُقَالَ لِي لَوْ عَفَوْتَ.

نفّر عن رذيلة: شفاء الغيظ و ارادته بما يلزمه من لائمة الخلق على الاحتراق والقلق عند العجز. وعلى ايقاع العقوبة و ترك فضيلة العفو عند القدرة.

۱۸۱ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: وقدمر بقَذَرٍ على مَزْبَلَةٍ: هٰذَا مَا بَخِلَ بِهِ الْباخِلُونَ. و روى فى خبر آخر أنه قال: هٰذَا مَا كُنْتُمْ تَتَنافَسُونَ فِيهِ بِالْأَمْسِ.

اشار الى الغاية: اقامة لها مقام ذى الغاية.

۱۸۲ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: لَمْ يَذْهَبْ مِنْ مَالِكَ مَا وَعظَكَ.

اى: لايعدّ ما ذهب من مالك بآفةٍ تُفيدك موعظةً ذاهبًا لوجود منفعته و هى العبرة به.

۱۸۳ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: لما سمع قول الخوارج «لا حكم إلا لله»: كَلِمَةُ حَقٍّ يُرَادُ بِهَا بَاطِلٌ.

و قد مرّ بيانه.

۱۸٤ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: فى صفة الغوغاء: هُمُ الَّذينَ إذَا اجْتَمَعُوا غَلَبُوا، وَ إذَا تَفَرَّقُوا لَمْ يُعْرَفُوا، (وقيل: بل قال عليه السلام): هُمُ الَّذينَ إذَا اجْتَمَعُوا ضَرُّوا، وَ إذَا تَفَرَّقُوا نَفَعُوا، فقيل: قد عرفنا مَضَرَّةَ اجتماعهم فما منفعةُ افتراقِهم؟ فقال: يَرْجِعُ أَصْحَابُ الْمِهَنِ إلَى مِهْنَتِهِمْ، فَيَنْتَفِعُ النَّاسُ بِهِمْ كَرُجُوعِ الْبَنَّاءِ إلَى بِنَائِهِ، وَالنَّسَّاجِ إلَى مِنْسَجِهِ، وَالْخَبَّازِ إلَى مَخْبَزِهِ.

والمهنة: الحرفة والصناعة.

۱۸۵ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: وأُتِىَ بجانٍ و معه غوغاء، فقال: لَا مَرْحَبًا بِوُجُوهٍ لَا تُرَى إلَّا عِنْدَ كُلِّ سَوْأَةٍ.

اراد لا يرى مجتمعة فى الغالب الاّ كذلك،والسَّوْءَة فعلة من السوء و هى: القبيحة.

۱۸٦ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: إنَّ مَعَ كُلِّ إنْسَانٍ مَلَكَيْنِ يَحْفَظَانِهِ، فَإذَا جَاءَ الْقَدَرُ خَلَّيَا بَيْنَهُ و بَيْنَهُ، وَ إنَّ الأَجَلَ جُنَّةٌ حَصِينَةٌ.

استعار لفظ الجنّة و هى: الدرع للأجل.

١٨٧ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: (وقد قال له طلحة والزبير: نبايعك على أنّا شركاؤك في هذا الأمر): لَا، وَلٰكِنَّكُمَا شَرِيكَانِ فِي الْقُوَّةِ وَالإِسْتِعَانَةِ، وَعَوْنَانِ عَلَى الْعَجْزِ وَالْأَوْدِ.

والأود: الاعوجاج.

١٨٨ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: أَيُّهَا النَّاسُ، اتَّقُوا اللهَ الَّذِي إِنْ قُلْتُمْ سَمِعَ، وَإِنْ أَضْمَرْتُمْ عَلِمَ، وَبَادِرُوا الْمَوْتَ الَّذِي إِنْ هَرَبْتُمْ [مِنْهُ] أَدْرَكَكُمْ، وَإِنْ أَقَمْتُمْ أَخَذَكُمْ، وَإِنْ نَسِيتُمُوهُ ذَكَرَكُمْ.

والمعنى ظاهر.

١٨٩ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: لَا يُزْهِدَنَّكَ فِي الْمَعْرُوفِ مَنْ لَا يَشْكُرُهُ لَكَ، فَقَدْ يَشْكُرُكَ عَلَيْهِ مَنْ لَا يَسْتَمْتِعُ بِشَيْءٍ مِنْهُ، وَقَدْ تُدْرِكُ مِنْ شُكْرِ الشَّاكِرِ أَكْثَرَ مِمَّا أَضَاعَ الْكَافِرُ، وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ.

نبّه على ترك الزهد في المعروف، بثلاثة ضمائر، صغرى الاوّل قوله: فقد يشكرك الى قوله، منه. و صغرى الثّاني قوله: وقد، الى قوله: الكافر. و نبّه على الصغرى الثالث، بقوله، والله يحبّ المحسنين. و تقدير الكبرى في الاوّل و كلّ ما يشكرك عليه من لايستمتع بشيء منه فواجب ان لايزهدك فيه من لايشكرلك. و تقديرها في الثاني، و كلّ ماقد تدرك من شكر الشاكر فيه اكثر مما اضاعهُ الكافر فلا يجوز الزهد فيه، و اراد: كافر النعمة. و تقديرها في الثالث وكل من أحبّه الله فواجب ان يفعل ما لأجله أحبّه و لا يزهد فيه.

١٩٠ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: كُلُّ وِعَاءٍ يَضِيقُ بِمَا جُعِلَ فِيهِ إِلَّا وِعَاءَ الْعِلْمِ فَإِنَّهُ يَتَّسِعُ.

و ذلك انّ الأوعية المحسوسة: مظنّة ان يضيق بما يوضع فيها لتناهي اتّساعها. والأوعية المعقولة: كالنفوس غير متناهية القوّة والقبول، فهي غير متناهية الاتّساع لادراك الأشياء و حفظها ولفظ وعاء العلم: مستعار لها.

١٩١ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: أَوَّلُ عِوَضِ الْحَلِيمِ مِنْ حِلْمِهِ أَنَّ النَّاسَ أَنْصَارُهُ عَلَى الْجَاهِلِ.

أراد بالعوض: جزاءه على حلمه، او عوض ما يفوته من لذّة الانتقام بسبب الحكم ويكون التقدير اول عوض الحليم الحاصل من حلمه.

١٩٢ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: إِنْ لَمْ تَكُنْ حَلِيمًا فَتَحَلَّمْ، فَإِنَّهُ قَلَّ مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ إِلَّا وَ أَوْشَكَ أَنْ يَكُونَ مِنْهُمْ.

التحلّم تعوّد الحلم، لانّ اكثر مبادئ الملكات الخلقية حالات مكتسبة.

١٩٣ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام:

من حَاسَبَ نَفْسَهُ رَبِحَ، وَمَنْ غَفَلَ عَنْها خَسِرَ، وَمَنْ خَافَ أَمِنَ، وَمَنِ اعْتَبَرَ أَبْصَرَ، وَمَنْ أَبْصَرَ فَهِمَ، وَمَنْ فَهِمَ عَلِمَ.

محاسبة النفس على عملها: الاحتراز من الخسران بالتفريط، و مخافة عذاب الله يستلزم العمل له، والاعتبار الفكر في مواقع العبرة، وهو مستلزم لرؤية الطريق الحقّ الى الله، و ذلك مستلزم لفهم منازلها و مراحلها، و آفاتها و هو مستلزم للعلم بغاياتها ومقاصدها.

١٩٤ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: لَتَعْطِفَنَّ الدُّنْيَا عَلَيْنَا بَعْدَ شِمَاسِهَا عَطْفَ الضَّرُوسِ عَلَى وَلَدِهَا. وتلا عقيب ذلك: (وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ)[1]!

شماس: الدّابة نفارها. و الضروس: الناقة تعضّ حالبها لتُبقي لبنها لولدها لفرط شفقتها عليه.

١٩٥ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: اتَّقُوا اللهَ تَقِيَّةَ مَنْ شَمَّرَ تَجْرِيدًا وَجَدَّ تَشْمِيرًا، وَأَكْمَشَ

---

١ ـ سورة القصص/ ٥.

فی مَهَلٍ وَبَادَرَ عَنْ وَجَلٍ، وَنَظَرَ فی كَرَّةِ الْمَوْئِلِ، وَعَاقِبَةِ الْمَصْدَرِ وَمَغَبَّةِ الْمَرْجِعِ.

أي: اسرع الى العمل فى مهلة الحياة. و بادر اليه عن وجل من خوف الله. و فكّر فى كرّة الموئل اى: الرجعة الى ملجأ الحق و مبدأهم من حضرة الله. و عاقبة المصدر: الّذى عنه صدر و اليه يعود. و مغبّة: المرجع عاقبته من خير او شر ليعمل لهما.

۱۹۶ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام:

اَلْجُودُ حَارِسُ الْأَعْرَاضِ، وَالْحِلْمُ فِدَامُ السَّفِيهِ، وَالْعَفْوُ زَكَاةُ الظَّفَرِ وَالسُّلُوُّ عِوَضُكَ مِمَّنْ غَدَرَ، وَالاِسْتِشَارَةُ عَيْنُ الْهِدَايَةِ، وَقَدْ خَاطَرَ مَنِ اسْتَغْنَى بِرَأْيِهِ، وَالصَّبْرُ يُنَاضِلُ الْحِدْثَانَ، وَالْجَزَعُ مِنْ أَعْوَانِ الزَّمَانِ، وَأَشْرَفُ الْغِنَى تَرْكُ الْمُنَى، وَكَمْ مِنْ عَقْلٍ أَسِيرٍ تَحْتَ هَوًى أَمِيرٍ، وَمِنَ التَّوْفِيقِ حِفْظُ التَّجْرِبَةِ، وَالْمَوَدَّةُ قَرَابَةٌ مُسْتَفَادَةٌ، وَلَا تَأْمَنَنَّ مَلُولاً.

اقول: استعار لفظ الحارس: للجود باعتبار حفظه للاعراض من الشتم. و لفظ الفدام: و هو ما يوضع فى فم الإبريق ليصفى ما فيه، والخرقة التى يشدّ بها المجوسى فمه للحلم عن السفه باعتبار انّه يسكته كالفدام. و لفظ الزكاة: للعفو لاستلزا مهما الثواب و فيه ملاحظة. شبّه الظفر: بالمال. و خاطر اشرف على الهلاك لانّ الاستبداد بالرأى مظنّته. و لفظ المناضلة: لفائدة الصبر لدفعه الهلاك عن الجزع. و اعانة الجزع: للزمان فى اعداده للهرم والفناء. و أشرف الغنى: غنى النفس بالكمالات النفسانيّة، و هو مستلزم لترك المنى. فأخبر باللازم عن الملزوم. و استعار لفظ الأسير: للعقل لانقياده للهوى الغالب. و لفظ الأمير: للهوى. و أخبر عنه بكم لكثرته، و حفظ التجربة ملازمتها و مداومتها، و لسرعة انصراف الملول عن صاحبه وجب ان لايؤتمن على صداقة و سرّ، و لا يؤتمن[1] به.

۱۹۷ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: عُجْبُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ أَحَدُ حُسَّادِ عَقْلِهِ.

فاستعار له لفظ الحاسد: باعتبار انّه يؤثر فى منعه من ازدياد الفضيلة و فى تنقيص حاله كالحسد.

---

۱ ـ في ش: ولايوثق به.

۱۹۸ ـ وَقالَ عَلَيْهِ السَّلام: أَغْضِ عَلَى الْقَذَى وَ إلّا لَمْ تَرْضَ أبَدًا.

فكنّى بالاغضاء: عن احتمال المكروه و كظم الغيظ و لانّ طبيعة الدّنيا معجونة بالمكاره، وجب احتمالها والّا لَدام التعب بالتسخّط والغضب.

۱۹۹ ـ وَقالَ عَلَيْهِ السَّلام: مَنْ لانَ عُودُهُ كَثُفَتْ أغْصَانُهُ.

و هو كالمثل: يضرب لمن يتواضع للناس فيألفونه، و يحبّونه فيكثر بهم، و يقوى باجتماعهم عليه.

۲۰۰ ـ وَقالَ عَلَيْهِ السَّلام: الْخِلافُ يَهْدِمُ الرَّأىَ.

و ذلك عند أن يجتمع الناس على رأى فيخالف فيه بعضهم، فيفسد ما اجتمعوا عليه.

۲۰۱ ـ وَقالَ عَلَيْهِ السَّلام: مَنْ نَالَ اسْتَطَالَ.

اى: من نال ما من شأنه أن يستطال به من مال اوجاه، و هو كالمثل.

۲۰۲ ـ وَقالَ عَلَيْهِ السَّلام: فِى تَقَلُّبِ الْأحْوالِ عِلْمُ جَواهِرِ الرِّجالِ.

اي: تقلّب احوال الدّنيا على المرء برفعته بعد اتضاعه و بالعكس، و نزول الشدائد به يعرف حاله فى طبيعته، و ما يلزمها من الاخلاق كالصبر، و احتمال المكروه، وسعة الصدر و اضدادها.

۲۰۳ ـ وَقالَ عَلَيْهِ السَّلام: حَسَدُ الصَّدِيقِ مِنْ سُقْمِ الْمَوَدَّةِ.

لدلالته على ضعفها.

۲۰۴ ـ وَقالَ عَلَيْهِ السَّلام: أكْثَرُ مَصارِعِ الْعُقُولِ تَحْتَ بُرُوقِ الْمَطامِعِ.

فاستعار لفظ المصارع: لهوى العقل الى ما يطمع فيه، وانجذابه نحوه بحسب ما يلقيه اليه الوهم والخيال من تخيّل الأمور النافعة. و لفظ البروق: لما يلوح من تلك التخيّلات.

٢٠٥ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلامُ: لَيْسَ مِنَ الْعَدْلِ الْقَضاءُ عَلَى الثِّقَةِ بِالظَّنِّ.

اى: من كان عندك ثقة مأمونا لم يكن الحكم عليه بالرذيلة لمجرّد الظنّ عدلاً، بل ظلماً لانّ العلم بكونه ثقة ارجح، و لانّ الأصل كونه ثقة.

٢٠٦ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: بِئْسَ الزَّادُ إلَى الْمَعَادِ، الْعُدْوَانُ عَلَى الْعِبَادِ.

٢٠٧ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: مِنْ أَشْرَفِ أَعْمَالِ الْكَرِيمِ غَفْلَتُهُ عَمَّا يَعْلَمُ.

اى: تغافله.

٢٠٨ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: مَنْ كَسَاهُ الْحَيَاءُ ثَوْبَهُ لَمْ يَرَالنَّاسُ عَيْبَهُ.

لاستلزام حياء المرء تركه لما يعاب به. و قوله: لم يرالناس عيبه اى: لم يكن له عيب يرى وان كان له عيب فهو يتستر به.

٢٠٩ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: بِكَثْرَةِ الصَّمْتِ تَكُونُ الْهَيْبَةُ، وَبِالنَّصَفَةِ يَكْثُرُ الْمُوَاصِلُونَ، وَ بِالإِفْضَالِ تَعْظُمُ الأَقْدَارُ، وَ بِالتَّوَاضُعِ تَتِمُّ النِّعْمَةُ وَ بِاحْتِمَالِ الْمُؤَنِ يَجِبُ السُّؤْدَدُ، وَ بِالسِّيرَةِ الْعَادِلَةِ يُقْهَرُ الْمُنَاوِىءُ، وَبِالْحِلْمِ عَنِ السَّفِيهِ تَكْثُرُ الأَنْصَارُ عَلَيْهِ.

اشار عليه السلام، الى سبع فضائل، و رغّب فيها بما يستلزمه من الخير، و هى ظاهرة. و تمام النعمة بكثرة الإخوان، و أهل المودّة لانّ التواضع نعمة و ما يلزمها تمام لها. والمناوى: المعادي، و قهره لانّ الناس مع السيرة العادلة.

٢١٠ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: الْعَجَبُ لِغَفْلَةِ الْحُسَّادِ عَنْ سَلاَمَةِ الأَجْسَادِ.

لانّ العافية أكبر نعم الدنيا فغفلتهم عن الحسد عليها عجب.

٢١١ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: الطَّامِعُ فِى وِثَاقِ الذُّلِّ.

فاستعار لفظ الوثاق: للطمع المذّل باعتبار تقيّده به كالوثاق.

٢١٢ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَام: الْإِيمَانُ مَعْرِفَةٌ بِالْقَلْبِ، وَإِقْرَارٌ بِاللِّسَانِ، وَعَمَلٌ بِالْأَرْكَانِ.

و اراد الإيمان الكامل.

٢١٣ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَام: مَنْ أَصْبَحَ عَلَى الدُّنْيَا حَزِيناً فَقَدْ أَصْبَحَ لِقَضَاءِ اللهِ سَاخِطًا، وَمَنْ أَصْبَحَ يَشْكُو مُصِيبَةً نَزَلَت بِهِ فَقَدْ أَصْبَحَ يَشْكُو رَبَّهُ، وَمَنْ أَتَى غَنِيّاً فَتَوَاضَعَ [لَهُ] لِغِنَاهُ ذَهَبَ ثُلُثَا دِينِهِ، وَمَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَمَاتَ فَدَخَلَ النَّارَ فَهُوَ مِمَّنْ كَانَ يَتَّخِذُ آيَاتِ اللهِ هُزُوًا؛ وَمَنْ لَهِجَ قَلْبُهُ بِحُبِّ الدُّنْيَا الْتَاطَ قَلْبُهُ [مِنْهَا] بِثَلَاثٍ: هَمٌّ لَا يُغِبُّهُ، وَحِرْصٌ لَايَتْرُكُهُ، وَأَمَلٌ لَا يُدْرِكُهُ.

ذكر خمس خصال مذمومة نفرّ عنها بما يلزمها من الشرّ، فالحزن على ما فاتت الدنيا يلزمه عدم الرضا بذلك المقضى، و هو مستلزم لسخط القضاء، و شكوى المصيبة يلزمها شكوى المبتلى بها و هو الله تعالى. و ذهاب ثلثي الدّين من المتواضع للغنى لغناه لانّ مدارالدين على الحقّ في الاعتقاد، والقول، والعمل، والمتواضع المذكور خارج عن الحق والعدل في تواضعه بقوله. و فعله، فهو خارج عن ثلثي دينه. و قيل: لانّ مداره على كمال النفس بفضيلة الحكمة والعفّة والشجاعة. والمتواضع المذكور مضيّع لحكمته لوضعه التواضع في غير موضعه، و لعفّته لخروجه عنها الى رذيلة الفجور حتى كأنه عابد لغيرالله وذلك هدم لثلثي دينه، و دخول النار للقارئ: يستلزم كونه لم يتدبّرالقرآن و لم يعمل به، و كان ذلك كالمستهزئ به غيرالمعتقد لصدقه. فاستعار له: لفظ المستهزئ. و لهج بالشيء: حرص عليه و أولع به. والتاط: التصق. ولا يغبه اى لا يفارقه يوماً و يأتيه يوماً.

٢١٤ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَام: كَفَى بِالْقَنَاعَةِ مُلْكًا؛ وَبِحُسْنِ الْخُلُقِ نَعِيمًا،

فاستعار لفظ الملك: للقناعة لانّ بهما الغِنى، والترفّع عن الخلق. ولفظ النعيم: لحسن الخلق للإلتذاذ بهما والراحة معهما.

۲۱۵ ـ وَسُئِلَ عَلَيْهِ السَّلام عن قوله تعالى: (فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً؟)[۱] فَقَالَ: هِيَ الْقَنَاعَةُ

۲۱٦ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: شَارِكُوا الَّذِي قَدْ أَقْبَلَ عَلَيْهِ الرِّزْقُ، فَإِنَّهُ أَخْلَقُ لِلْغِنَى وَأَجْدَرُ بِإِقْبَالِ الْحَظِّ.

أخلق واجدر اى: اولى لانّ مشاركته مظنّة اقبال حظ مشاركه و درورالرزق عليه.

۲۱۷ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام فى قوله تعالى: (إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ)[۲] الْعَدْلُ: الْإِنْصَافُ، وَالْإِحْسَانُ: التَّفَضُّلُ.

و هو تعريف لفظ بلفظ اعرف منه عندالسائل.

۲۱۸ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: مَنْ يُعْطِ بِالْيَدِ الْقَصِيرَةِ يُعْطَ بِالْيَدِ الطَّوِيلَةِ

كنّى باليد الطويلة: عن العطاء الكثير. و بالقصيرة: عن القليل، و هو كقوله تعالى: (من جاء بالحسنة فله عشر امثالها).[۳]

۲۱۹ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: لابنه الحسن عليهما السلام. لَا تَدْعُوَنَّ إِلَى مُبَارَزَةٍ وَ إِنْ دُعِيتَ إِلَيْهَا فَأَجِبْ فَإِنَّ الدَّاعِيَ بَاغٍ وَالْبَاغِي مَصْرُوعٌ.

اى: فى مظنّة ان يصرع.

۲۲۰ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: خِيَارُ خِصَالِ النِّسَاءِ شِرَارُ خِصَالِ الرِّجَالِ: الزَّهْوُ، وَالْجُبْنُ، وَالْبُخْلُ؛ فَإِذَا كَانَتِ الْمَرْأَةُ مَزْهُوَّةً لَمْ تُمَكِّنْ مِنْ نَفْسِهَا، وَ إِذَا كَانَتْ بَخِيلَةً حَفِظَتْ مَالَهَا وَ مَالَ بَعْلِهَا، وَإِذَا كَانَتْ جَبَانَةً فَرِقَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يَعْرِضُ لَهَا.

---

۱ ـ سورة النحل / ۹۷.

۲ ـ سورة النحل / ۹۰.

۳ ـ سورة الانعام / ۱٦۰.

الزهو: الكبر، والكلام واضح.

٢٢١ ـ وَقِيلَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام: صف لنا العاقل، فقال عليه السلام: **هُوَ الَّذِى يَضَعُ الشَّىْءَ مَوَاضِعَهُ**، فقيل: فصف لنا الجاهل، فقال: **قَدْ فَعَلْتُ.**

قال السيد الرضي: يعني أن الجاهل هوالذى لايضع الشئ مواضعه فكأن ترك صفته صفة له؛ إذ كان بخلاف وصف العاقل.

و اقول: عرّف العاقل بخاصّة من خواصه. والجاهل بعدم تلك الخاصية و هو من خواصّ الجاهل.

٢٢٢ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: وَٱللهِ لَدُنْيَاكُمْ هٰذِهِ أَهْوَنُ فِى عَيْنِى مِنْ عُرَاقِ خِنْزِيرٍ فِى يَدِ مَجْذُومٍ.

عراق جمع عرق، و هو: جمع غريب كتوأم،و توأم و هو: العظم الّذي يُسحت عنه اللحم، و هو فى غاية بيان كراهية الدنيا عنده والتّنفير عنها.

٢٢٣ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: إِنَّ قَوْمًا عَبَدُوا ٱللهَ رَغْبَةً فَتِلْكَ عِبَادَةُ التُّجَارِ. وَإِنَّ قَوْمًا عَبَدُوا ٱللهَ رَهْبَةً فَتِلْكَ عِبَادَةُ الْعَبِيدِ، وَإِنَّ قَوْمًا عَبَدُوا ٱللهَ شُكْرًا فَتِلْكَ عِبَادَةُ الْأَحْرَارِ.

والاولى عبادة التجار، لانّهم يستعيضون عنها الثواب. والثّانية عبادة العبيد لانّ غالبها عن رهبة. والثالثة عبادة العارفين الّذين يعبدون الله لله.ولانّه اهلٌ للعبادة وهم الاحرار من رقّ الرغبة والرهبة.

٢٢٤ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: الْمَرْأَةُ شَرٌّ كُلُّهَا، وَشَرُّ مَا فِيهَا أَنَّهُ لَابُدَّ مِنْهَا!

امّا انّها من شرّما فيها: قلّة الاستغناء عنها. امّا انها شرّ: فلأن مدارها على مؤونتها وهو شرّ عاجل و على الإلتذاذ بها، و الاشتغال عن الله و يلزمه شرّ آجل. و امّا ان الحاجة اليها شرّ من ذلك: فلأنها سبب تلك الشرور. والسبب أقوى من المسبب.

٢٢٥ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: مَنْ أَطَاعَ التَّوَانِيَ ضَيَّعَ الْحُقُوقَ، وَمَنْ أَطَاعَ الْوَاشِيَ ضَيَّعَ الصَّدِيقَ.

٢٢٦ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: الْحَجَرُ الْغَصِيبُ فِي الدَّارِ رَهْنٌ عَلَى خَرَابِهَا.

(ويروى هذا الكلام عن النبى صلّى الله عليه و آله، ولا عجب أن يشتبه الكلامان لأن مُستَقَاهُما من قليبٍ، و مَفْرَغُهُما من ذَنوب[1].) اقول: استعار لفظ الرهن: للمغصوب لاستلزامه غالبًا خراب بيت الغاصب، كاستلزام الرهن اداء ما عليه من مال.

٢٢٧ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: يَوْمُ الْمَظْلُومِ عَلَى الظَّالِمِ أَشَدُّ مِنْ يَوْمِ الظَّالِمِ عَلَى الْمَظْلُومِ.

فيوم المظلوم: يوم القيامة، و خصّه به لأنه يوم انصافه و أخذ حقه فهوله، و كذلك تخصيص يوم الظالم به.

٢٢٨ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: اتَّقِ اللهَ بَعْضَ التُّقَى وَإِنْ قَلَّ؛ وَاجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللهِ سِتْرًا وَإِنْ رَقَّ.

لأن التقوى هي الزاد الى الآخرة، ولا يجوز ترك الزاد بالكليّة فى مثل تلك الطريق. و استعار لفظ الستر: لحدودالله، و جعلها بينه و بين الله حفظها و عدم انتهاكها الموقع فى مهاوى الهلاك.

٢٢٩ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: إِذَا ازْدَحَمَ الْجَوَابُ خَفِيَ الصَّوَابُ.

اى: اذا كثرت الأجوبة من جماعة عن مسألة من واحد، خفى الصواب منها لكثرتها و اختلاطها، و اكثر ما يكون ذلك فى المسائل الاجتهاديّة.

---

١ ـ القليب: البئر،وقيل: البئر القديمة. والذنوب: الدلو الكبير، و استعار السيد الرضي ـرضي الله عنهـ هذا اللفظ للنبيّ الاقدس (ص) و لامير المؤمنين عليه السلام، لان الامام يستقي و يروى من بئر النبوة والرسالة و يفرغ من دلوها.

۲۳۰ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: إنَّ لِلّهِ فِي كُلِّ نِعْمَةٍ حقّاً؛ فَمَنْ أَدّاهُ زَادَهُ مِنْهَا، وَمَنْ قَصَّرَ عَنْهُ خَاطَرَ بِزَوَالِ نِعْمَتِهِ.

فحقّ الله فى النعمة: شكرها الواجب و استلزام وجوده للمزيد منها، وعدمه و هوالكفران لزوالها كما فى قوله تعالى: (لئن شكرتم لأزيدنّكم)[1] الآية.

۲۳۱ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: إذَا كَثُرَتِ الْمَقْدِرَةُ قَلَّتِ الشَّهْوَةُ.

و ذلك لاستشعار قليل القدرة على الشيء خوف فواته، فلا تزال فى قلبه دغدغة، وهميّة تحمله على شهوته و طلبه. اما كثير القدرة عليه فإنّه يأمن قوّته فيضعف باعثه عليه وتقلّ شهوته له.

۲۳۲ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: احْذَرُوا نِفَارَ النِّعَمِ فَمَا كُلُّ شارِدٍ بِمَرْدُودٍ.

فاستعار لفظ النفار والشّارد: للنعم الزائلة، ملاحظة شبهها بالإبل النافرة. ونبّه بالتحذير من ذلك على وجوب تقييدها بالشكر.

۲۳۳ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: الْكَرَمُ أَعْطَفُ مِنَ الرَّحِمِ.

اى: الكريم لكرمه على المنعم عليه، اعطف من ذى الرّحِم على ذي رحمه لأنّ عاطفةً الكريم طبعٌ، و عاطفةَ ذي الرحم قد تكون تكلّفاً.

۲۳۴ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: مَنْ ظَنَّ بِكَ خَيْرًا فَصَدِّقْ ظَنَّهُ.

اى: بمطابقة فعلك لظنّه فيك الحير.

۲۳۵ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ مَا أَكْرَهْتَ نَفْسَكَ عَلَيْهِ.

و ذلك لانّ فائدة الأعمال الصّالحة تطويع النفس الأمارة بالسّوء للنفس العاقلة، وفى اكراهها كسرها و قهرها، وبحسب ذلك تكون كثرة الفائدة والمنفعة و كان أفضلها

---

۱ ـ سورة ابراهيم / ۷.

اكرهها. و في الحديث: أفضل الأعمال احمزها[1] بالزاى المعجمة، اى: اشقّها.

٢٣٦ ـ وَقالَ عَلَيْهِ السَّلام: عَرَفْتُ ٱللهَ سُبْحَانَهُ بِفَسْخِ ٱلْعَزَائِمِ، وَ حَلِّ ٱلْعُقُودِ.

ففسخ العزايم: الرجوع عمّا يعزم عليه. و حلّ العقود: تغيّرما يعقد عليه الضمير من الأمر. و وجه الاستدلال بها على المعرفة انها تغيّرات و خواطر ممكنة محتاجة في طريق وجودها و عدمها الى مرجّح ليس هوالعبد دفعًا للدور و التّسلسل. فالمرجّحُ الأوّلُ لها هوالله تعالى و هوالمطلوب.

٢٣٧ ـ وَقالَ عَلَيْهِ السَّلام: مَرَارَةُ الدُّنْيَا حَلاَوَةُ الآخِرَةِ، وَ حَلاَوَةُ الدُّنْيَا مَرَارَةُ الآخِرَةِ.

فاستعار لفظ المرارة: لمشقّة الأعمال الصالحة في الدُّنيا، و لما يستعقبه اللذّة الدنيويّة من الألم والعذاب في الآخرة. و لفظ الحلاوة: ولما يستعقبه الاعمال الصالحة من لذّة السعادة الاخرويّة، و لما في متاع الدنيا من اللذّة و هو ظاهر.

٢٣٨ ـ وَقالَ عَلَيْهِ السَّلام: فَرَضَ ٱللهُ الإِيمَانَ تَطْهِيرًا مِنَ الشِّرْكِ وَالصَّلاَةَ تَنْزِيهًا عن الْكِبْرِ، وَالزَّكَاةَ تَسْبِيبًا لِلرِّزْقِ، وَالصِّيَامَ ٱبْتِلاَءً لإِخْلاَصِ الْخَلْقِ، وَالْحَجَّ تَقْرِبَةً لِلدِّينِ، وَالْجِهَادَ عِزًّا لِلْإِسْلاَمِ، وَالأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ مَصْلَحَةً لِلْعَوَامِّ، وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ رَدْعًا لِلسُّفَهَاءِ، وصِلَةَ الرَّحِمِ مَنْمَاةً لِلْعَدَدِ، وَالْقِصَاصَ حَقْنًا لِلدِّمَاءِ، وَ إِقَامَةَ الْحُدُودِ إِعْظَامًا لِلْمَحَارِمِ، وَتَرْكَ شُرْبِ الْخَمْرِ تَحْصِينًا لِلْعَقْلِ، وَ مُجَانَبَةَ السَّرِقَةِ إِيجَابًا لِلْعِفَّةِ، وَتَرْكَ الزِّنَا تَحْصِينًا لِلنَّسَبِ، وَتَرْكَ اللِّوَاطِ تَكْثِيرًا لِلنَّسْلِ، وَالشَّهَادَةَ ٱسْتِظْهَارًا عَلَى الْمُجَاحَدَاتِ، وَتَرْكَ الْكَذِبِ تَشْرِيفًا لِلصِّدْقِ، وَالسَّلاَمَ أَمَانًا مِنَ الْمَخَاوِفِ، وَالأَمَانَاتِ نِظَامًا لِلأُمَّةِ، وَالطَّاعَةَ تَعْظِيمًا لِلإِمَامَةِ.

اقول: الايمان يلزمه الطهارة عن الشرك لما فيه من التصديق بالوحدانيّة، و يلزم الصلاة التنزيه عن الكبر، لما فيه من التواضع و تسبيبًا للرزق، اى: رزق من فرضت لهم

١ ـ تاج العروس ٤/ ٢٩. النهاية ١/ ٤٤٠.

من الاصناف،والاخلاص فى الصيام لله لما فيه من المشقّة و هجرالملاذ. و تقوية الدين بالحجّ لما فيه من الاجتماع و اظهار شعائرالله، و منماة: للعدد و زيادته فى الرحم بصلتهم لما فى ذلك من استقامة امرمعاشهم. و تشريف الصدق بترك الكذب لما فى الصدق من بناء اكثر مصالح العالم فى المعاش والمعاد عليه. والامان من المخاوف فى السلم لما فيه من الاشعار و سلامة الصدر والأمن من اضمار الشرور. و روى الاسلام و هو ظاهر و باقى الاسرار ظاهرة. و قد سبق بيان اسرار اكثرها.

۲۳۹ ـ وَ كانَ عَلَيْهِ السَّلام يَقُولُ: أَحْلِفُوا الظَّالِمَ ـ إذا أَرَدْتُمْ يَمِينَهُ ـ بِأَنَّهُ بَرِىءٌ مِنْ حَوْلِ اللهِ وَ قُوَّتِهِ فَانَّهُ إِذَا حَلَفَ بِهَا كَاذِبًا عُوجِلَ [الْعُقُوبَةَ]، وَ إِذَا حَلَفَ بِاللهِ الَّذِى لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ لَمْ يُعَاجَلْ؛ لِأَنَّهُ قَدْ وَحَّدَ اللهَ تَعَالَى.

۲۴۰ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: يَا ابْنَ آدَمَ، كُنْ وَصِيَّ نَفْسِكَ فِي مَالِكَ، وَ اعْمَلْ فِيهِ مَا تُؤْثِرُ أَنْ يُعْمَلَ فِيهِ مِنْ بَعْدِكَ.

اى: ضع مالك فى مواضعه المأمور بوضعه فيه شرعًا من القربات و غيرها، و ذلك مايختارأنْ يعمل فيه من بعده.

۲۴۱ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: اَلْحِدَّةُ ضَرْبٌ مِنَ الْجُنُونِ، لِأَنَّ صَاحِبَهَا يَنْدَمُ، فَإِنْ لَمْ يَنْدَمْ فَجُنُونُهُ مُسْتَحْكِمٌ.

استعار للحدّة و هى: الافراط فى الغضب لفظ الجنون لاستلزامها الخروج فى هذه القوّة عن طاعة العقل فيما ينبغى ان يعمل.

۲۴۲ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: صِحَّةُ الْجَسَدِ، مِنْ قِلَّةِ الْحَسَدِ.

اى: انّ الحسد قد يؤثّر فى فساد الجسد، فكانت قلّته من شرائط صحّته و أسبابها.

۲۴۳ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: لكميل بن زياد النخعى: يَا كُمَيْلُ، مُرْ أَهْلَكَ

أَنْ يَرُوحُوا فِي كَسْبِ الْمَكَارِمِ، وَيُدْلِجُوا فِي حَاجَةِ مَنْ هُوَ نَائِمٌ؛ فَوَالَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ الْأَصْوَاتَ مَا مِنْ أَحَدٍ أَوْدَعَ قَلْبًا سُرُورًا إِلَّا وَخَلَقَ اللهُ لَهُ مِنْ ذَلِكَ السُّرُورِ لُطْفًا؛ فَإِذَا نَزَلَتْ بِهِ نَائِبَةٌ جَرَى إِلَيْهَا كَالْمَاءِ فِي انْحِدَارِهِ حَتَّى يَطْرُدَهَا عَنْهُ كَمَا تُطْرَدُ غَرِيبَةُ الْإِبِلِ.

الإدلاج: السير بالليل. و كنّى بالنائم: عن غير المتكلّف لطلب الحاجة. و اللطف ما يكون الانسان عنده اقرب الى صلاح الحال. واشار به: الى ما يستمدّه المحسن من الأدعية الصالحة والثناء من المسرور، و ذلك لطف يصلح به حاله عندالله و عندالناس و يعدّه لدفع المكان ولنازلة به. و روى النائبة و هى: المصيبة. و شبّه طرده لها بطرد غريبة الابل في قوة الطرد.

٢٤٤ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِذَا أَمْلَقْتُمْ فَتَاجِرُوا اللهَ بِالصَّدَقَةِ.

فالاملاق: الفقر، و متاجرة الله: استفاضة عطائه و ثوابه فى الدنيا والآخرة، بما تيسر من صدقة الفقير ثقة بقوله تعالى: (انّ الله يجزى المُتَصَدّقين)[1].

٢٤٥ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الْوَفَاءُ لِأَهْلِ الْغَدْرِ غَدْرٌ عِنْدَ اللهِ؛ وَالْغَدْرُ بِأَهْلِ الْغَدْرِ وَفَاءٌ عِنْدَ اللهِ.

فاستعار لفظ الغدر: للوفاء الاول لكونهما و ضعاً للشىء فى غير موضعه. و لفظ الوفاء الثاني: للغدر لكونهما و ضعا للشىء فى موضعه.

قال السيّد رحمه الله
فصلٌ نذكرُ فيه شيئاً من اختيارِ غريبِ كلامِهِ
المُحتاجِ إلى التفسير

١ ـ فى حديثه عليه السلام:

فَإِذَا كَانَ ذَٰلِكَ ضَرَبَ يَعْسُوبُ الدِّينِ بِذَنَبِهِ، فَيَجْتَمِعُونَ إِلَيْهِ كَمَا يَجْتَمِعُ قَزَعُ الْخَرِيفِ.

١ ـ سورة يوسف / ٨٨.

قال السيد الرضي: اليعسوب: السيد العظيم المالك لأمور الناس يومئذٍ، والقزع: قطع الغيم التي لاماء فيها.

و اقول: قوله ذلك اشارة الى علامات ذكرها في آخر الزمان، لظهور صاحب الأمر، واستعار له لفظ اليعسوب°.

٢ ـ وفي حديثه عليه السلام:

إنَّ الْأيمَانَ يَبْدُوا لُمْظَةً فِي الْقَلْبِ كُلَّمَا ازْدَادَ الْأيمَانُ ازْدَادَتِ اللُّمْظَةُ.

قال: واللّمْظَه مثلُ النكته أو نحوِها من البياض. ومنه قيل فَرَسٌ ألْمَظ اذا كان بجَحْفَلَتِهِ شئٌ من البياض.

و أقول: لفظ اللمظمة مستعار: للتصديق القلبي، و اوّل ما يقع في القلب يكون حالة تُشبه النقطة من شعاع الشمس و غيرها لا يزال يزداد حتّى يقوى و يتأكد بالبراهين والحجج الى ان يصير ملكة تامة. و الجحفلة من الفرس هي المسمّاة من الانسان شَفَةً.

٣ ـ و من[1] حديثه عليه السلام:

إنَّ الرجُلَ إذَا كَانَ لَهُ الدَّيْنُ الظَّنُونَ يَجِبُ عَلَيْهِ أنْ يُزَكِّيَهُ لِمَا مَضَى إذَا قَبَضَهُ.فالظنون: الذى لا يعلم صاحبه أيَقبِضُهُ من الذى هو عليه أم لا، فكأنّهُ الذى يظن به فمرةً يرجوه و مرةً لايرجوه. و هذا من أفصح الكلام؛ و كذلك كل أمر تطلبه و لا تدرى على أى شئ أنت منه فهو: ظَنُون،و على ذلكَ قول الأعشى:

مَا يُجْعَلُ الْجُدُّ الظَّنُونُ الَّذِى ⁂ جُنِّبَ صَوْبَ اللَّجِبِ الْمَاطِرِ

مِثْلَ الْفُرَاتِيِّ إذَا مَا طَمَا ⁂ يَقْذِفُ بِالْبُوصِيِّ وَالْمَاهِرِ

والجد: البئر. والظنون: التى لا يعلم هل فيها ماء ام لا. واللجب في قول الأعشى، هو: السحاب المصوّت. والفراتي: الفرات والياء للتأكيد لقولهم، والدهر بالانسان دوّارى اى: دوّار. و يحتمل ان يريد النهر الفراتي. والبوصيّ: سفينة صغيرة معروفة. والماهر السابح. و باقى الفصل ظاهر°.

° وردت (٦) احاديث في شرح الشيخ محمد عبده هي غير موجودة في شرح المرحوم البحراني.

١ ـ في ش: و في.

۲۴۶ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: لما بلغه إغارة أصحاب معاوية على الأنبار: فخرج بنفسه ماشياً حتى أتى النخيلة فأدركه الناس، وَقالوا: يا أميرالمؤمنين، نحن نكفيكهُم، فَقَالَ: مَاتَكْفُونَنِي أَنْفُسَكُمْ فَكَيْفَ تَكْفُونَنِي غَيْرَكُمْ؟ إِنْ كَانَتِ الرَّعَايَا قَبْلِي لَتَشْكُو حَيْفَ رُعَاتِهَا، وَإِنَّنِي الْيَوْمَ لَأَشْكُو حَيْفَ رَعِيَّتِي، كَأَنَّنِي الْمَقُودُ وَ هُمُ الْقَادَةُ، أَوِ الْمَوْزُوعُ وَ هُمُ الْوَزَعَةُ!

(فلماقال عليه السلام هذاالقول في كلامٍ طويل قد ذكرنا مختاره في جملة الخطب، تقدم إليه رجلان من أصحابه فقال أحدهما: إني لا أملك إلا نفسي وأخي فمرنابأمرك يا أمير المؤمنين نُنْفِذْهُ) فقال عليه السلام: وَ أَيْنَ تَقَعَانِ مِمَّا أُرِيدُ؟

أقول: هذاالفصل قد مرّ مشروحاً في الخطب.

و قيل إن الحارث بن حوت أتاه عليه السلام فقال: أتُرانى أَظُنُّ أصحابَ الجمل كانوا على ضَلالة؟

فقال عليه السلام: يَا حَارِثُ، إِنَّكَ نَظَرْتَ تَحْتَكَ وَ لَمْ تَنْظُرْ فَوْقَكَ فَحِرْتَ! إِنَّكَ لَمْ تَعْرِفِ الْحَقَّ فَتَعْرِفَ أَهْلَهُ؛ وَلَمْ تَعْرِفِ الْبَاطِلَ فَتَعْرِفَ مَنْ أَتَاهُ، فقال الحارث: فإنّي أعتزل مع سعدبن مالك، و عبدالله بن عمر؟ فقال عليه السلام: إِنَّ سَعَدًا وَ عَبْدَاللهِ بْنَ عُمَرَ لَمْ يَنْصُرا الْحَقَّ وَلَمْ يَخْذُلَا الْبَاطِلَ.

قيل: في قوله: انك نظرت تحتك ولم تنظر فوقك، اى: نظرت الى شبهة اصحاب الجمل، و لم تنظر الى الحق الذى مع إمامك. و في العرف: انّ الحقّ فوق الباطل، فوقيّة الشرف و الفضيلة، و الباطل تحته، تحتيّة الدناءة. و قيل: اراد: نظرت الى الخلق وراقبتهم و لم تنظر الى الله فتعمل له، فَحِرْتَ اى: لِنَظَرِكَ في شُبهتهم او لمراقبتِكَ إيّاهم. و سعد ابن مالك هو: سعدبن ابى وقّاص.

۲۴۷ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: صَاحِبُ السُّلْطَانِ كَرَاكِبِ الْأَسَدِ: يُغْبَطُ بِمَوْقِعِهِ، وَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَوْضِعِهِ.

و وجه التشبيه: صعوبة المركب و خطره. و نبّه عليه بقوله يغبط الى آخره.

٢٤٨ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: أَحْسِنُوا فِي عَقِبِ غَيْرِكُمْ تُحْفَظُوا فِي عِقَبِكُمْ.

لأن المجازاة واقعة في الطبيعة. و لانّ الذكر الجميل بعدالمرء، والمحسن: لعطف الناس على من يَخْلُفُه من ولده و اهله.

٢٤٩ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: إِنَّ كَلاَمَ الْحُكَمَاءِ إِذَا كَانَ صَوَابًا كَانَ دَوَاءً، وَ إِذَا كَانَ خَطأً كَانَ دَاءً.

اراد: داء الجهل ودواؤُهُ من العلم.

٢٥٠ ـ وسأله رَجُلٌ أنْ يَعَرِّفَهُ الأيمان فقال عليه السلام: إِذَا كَانَ الْغَدُ فَأْتِنِي حَتَّى أُخْبِرَكَ عَلَى أَسْمَاعِ النَّاسِ، فَإِنْ نَسِيتَ مَقَالَتِي حَفِظَهَا عَلَيْكَ غَيْرُكَ ، فَإِنَّ الْكَلاَمَ كَالشَّارِدَةِ يَنْقُفُهَا هٰذَا وَ يُخْطِئُهَا هٰذَا.

وقد ذكرنا ماأجابه بِهِ فيما تقدّم من هذا الباب وهوقوله: الايمان على أربع شُعَبٍ.

و ينقفها اى: يدركها و يَجِدها، وهو وجه الشبه بالشاردة من الإبل. وا راد يحفظه واحدٌ و لا يضبطه آخر.

٢٥١ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: يَاابْنَ آدَمَ، لاَ تَحْمِلْ هَمَّ يَوْمِكَ الَّذِي لَم يَأْتِكَ عَلَى يَوْمِكَ الَّذِي قَدْ أَتَاكَ ؛ فَإِنَّهُ إِنْ يَكُ مِن عُمْرِكَ يَأْتِ اللهُ فِيهِ بِرِزْقِكَ.

٢٥٢ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: أَحْبِبْ حَبِيبَكَ هَوْنًا مَّا، عَسَى أَنْ يَكُونَ بَغِيضَكَ يَوْمًا مَّا، و أَبْغِضْ بَغِيضَكَ هَوْنًا مَّا، عَسَى أَنْ يَكُونَ حَبِيبَكَ يَوْمًا مَّا.

فعسى في الموضعين صفريا ضميرين نبّه بهما على وجوب الاعتدال في المحبّة والبغض.

٢٥٣ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: النَّاسُ فِي الدُّنْيَا عَامِلاَنِ: عَامِلٌ عَمِلَ فِي الدُّنْيَا لِلدُّنْيَا، قَدْ شَغَلَتْهُ دُنْيَاهُ عَنْ آخِرَتِهِ، يَخْشَى عَلَى مَنْ يَخْلُفُهُ الْفَقْرَ وَ يَأْمَنُهُ عَلَى نَفْسِهِ، فَيُفْنِي عُمْرَهُ فِي

مَنْفَعَةِ غَيْرِهِ، وَ عَامِلٌ عَمِلَ فِي الدُّنْيَا لِمَا بَعْدَهَا فَجَاءَهُ الَّذِي لَهُ مِنَ الدُّنْيَا بِغَيْرِ عَمَلٍ، فَأَحْرَزَ الْحَظَّيْنِ مَعًا، وَمَلَكَ الدَّارَيْنِ جَمِيعًا فَأَصْبَحَ وَجِيهًا عِنْدَاللهِ لَا يَسْأَلُ اللهَ حَاجَةً فَيَمْنَعُهُ.

و قوله: يأمنه على نفسه اى: الفقر فى الآخرة من الخير النافع فيها.

۲۵۴ ـ و روى آنّه ذُكِرَ عند عمر بن الخطاب فى ايامه[1] حَلْىُ الكعبة و كثرتُه، فقال قومٌ: لو أخذتَهُ فجهزّتَ به جيوشَ المسلمين كان أعظمَ للأجر و ما تصنع الكعبةُ بالحَلى؟ فهمّ عمر بذلك، و سأل أميرَالمؤمنين عليه السلام فقال عليه السلام: إِنَّ الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى النَّبِيِّ صلّى الله عليه و آله و سلّم وَالْأَمْوَالُ أَرْبَعَةٌ: أَمْوَالُ الْمُسْلِمِينَ فَقَسَّمَهَا بَيْنَ الْوَرَثَةِ فِي الْفَرَائِضِ، وَالْفَيْءُ فَقَسَّمَهُ عَلَى مُسْتَحِقِّيهِ، وَالْخُمُسُ فَوَضَعَهُ اللهُ حَيْثُ وَضَعَهُ، وَالصَّدَقَاتُ فَجَعَلَهَااللهُ حَيْثُ جَعَلَهَا، وَ كَانَ حَلْيُ الْكَعْبَةِ فِيهَا يَوْمَئِذٍ، فَتَرَكَهُ اللهُ عَلَى حَالِهِ، وَلَمْ يَتْرُكْهُ نِسْيَانًا، وَ لَمْ يَخْفَ عَلَيْهِ مَكَانًا، فَأَقِرَّهُ حَيْثُ أَقَرَّهُ اللهُ وَ رَسُولُهُ. فقال له عمر: لو لاك لَافْتَضَحْنا، وترك الحلىَ بحاله.

مكانا: نصب على التّمييز، والفصل واضح.

۲۵۵ ـ و رَوىَ أنه عليه السلامُ رفِعَ إليه رجلان سرقا من مال الله: أحدهما عبد من مال الله، والآخر من عرض الناس فقال عليه السلام:

أَمَّا هٰذَا فَهُوَ مِنْ مَالِ اللهِ وَلَا حَدَّ عَلَيْهِ، مَالُ اللهِ أَكَلَ بَعْضُهُ بَعْضاً، وَ أَمَّا الْآخَرُ فَعَلَيْهِ الْحدُّ فَقَطَعَ يَدَهُ.

و عرض الناس: سايرهم و عامّتهم.

۲۵۶ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: لَوْقَدِ اسْتَوَتْ قَدَمَايَ مِنْ هَذِهِ الْمَدَاحِضِ لَغَيَّرْتُ أَشْيَاءَ.

فكنّى باستواء قدميه: عن ثباته، وتمكّنه من اجراء الاحكام الشرعيّة: على وجوهها، و استعار لفظ المداحض: للمسائل الاجتهادية، لانّها مزالق اقدام العقول. و اراد بالأشياء: احكاماً سبقت من الائمة قبله على خلاف ما يراه من الحق.

---

۱ ـ في ش: عمر بن الخطاب حلى الكعبة.

۲۵۷ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: اعْلَمُوا عِلْماً يَقِيناً أَنَّ اللهَ لَمْ يَجْعَلْ لِلْعَبْدِ وَ إِنْ عَظُمَتْ حِيلَتُهُ، وَ اشْتَدَّتْ طِلْبَتُهُ، وَ قَوِيَتْ مَكِيدَتُهُ- أَكْثَرَ مِمَّا سُمِّيَ لَهُ فِي الذِّكْرِ الْحَكِيمِ، وَ لَمْ يَحُلْ بَيْنَ الْعَبْدِ فِي ضَعْفِهِ وَقِلَّةِ حِيلَتِهِ، وَ بَيْنَ أَنْ يَبْلُغَ مَا سُمِّيَ لَهُ فِي الذِّكْرِ الْحَكِيمِ، وَالْعَارِفُ لِهٰذَا الْعَامِلُ بِهِ أَعْظَمُ النَّاسِ رَاحَةً فِي مَنْفَعَةٍ، وَ التَّارِكُ لَهُ الشَّاكُّ فِيهِ أَعْظَمُ النَّاسِ شُغُلاً فِي مَضَرَّةٍ؛ وَ رُبَّ مُنْعَمٍ عَلَيْهِ مُسْتَدْرَجٌ بِالنُّعْمَى؛ وَ رُبَّ مُبْتَلًى مَصْنُوعٌ لَهُ بِالْبَلْوَى، فَزِدْ أَيُّهَا الْمُسْتَمِعُ فِي شُكْرِكَ، وَ قَصِّرْ مِنْ عَجَلَتِكَ، وَقِفْ عِنْدَ مُنْتَهَى رِزْقِكَ.

فالذكر الحكيم هو: اللوح المحفوظ، فقد قام البرهان على انّ ما علم الله تعالى وجوده او عدمه، و اثبته في اللوح المحفوظ وجب معلومه وفق علمه، فلذلك أمر بعلمه يقيناً، و يلزم ذلك اليقين الراحة من الاهتمام به والتعب في طلبه بما لابد من وصوله اليه من رزق وغيره، و يلزم الشكّ فيه ما ذكر من كونه أعظم الناس شغلاً اى: باعتبار خلوّ شغله عن الفائدة، و بحسب ذلك لزمته المضرّة: و قوله: و ربّ منعم عليه، الى قوله: البلوى، ترغيب في الاجمال في طلب الرزق، بذكر ما قد يلزم النعمة من استدراج المنعم عليه وهو: الأخذ على غيره. وما قد يلزم الابتلاء بالفقر من الصنع له واللطف بذلك في حقه.

۲۵۸ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: لَا تَجْعَلُوا عِلْمَكُمْ جَهْلاً، وَ يَقِينَكُمْ شَكّاً إِذَا عَلِمْتُمْ فَاعْمَلُوا، وَ إِذَا تَيَقَّنْتُمْ فَأَقْدِمُوا.

فجعلهم علمهم جهلاً و شكّا، اى: في قوّتهما لتركهم العمل على وفقه. فكأنهم جاهلون بما علموه من حال الآخرة شاكّون في ذلك.

۲۵۹ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: إِنَّ الطَّمَعَ مُورِدٌ غَيْرُ مُصْدِرٍ، وَ ضَامِنٌ غَيْرُ وَفِيٍّ، وَ رُبَّمَا شَرِقَ شَارِبُ الْمَاءِ قَبْلَ رِيِّهِ، وَ كُلَّمَا عَظُمَ قَدْرُ الشَّيْءِ الْمُتَنَافَسِ فِيهِ عَظُمَتِ الرَّزِيَّةُ لِفَقْدِهِ، وَالْأَمَانِيُّ تُعْمِي أَعْيُنَ الْبَصَائِرِ، وَالْحَظُّ يَأْتِي مَنْ لَا يَأْتِيهِ.

موارد الطامع موارد الذلّ و الهلكة في الآخرة غير مصدر له عنها. و استعار له لفظ الضامن: لوثوق الطامع به كالضامن. و قوله: تعمي أعين البصائر اى: عن ادراك المطالب الحقّة. والكلام مشتمل على صغريات الضمائر: ستة نفرّ بها عن الطمع و ما

٢٦٠ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: اَللّٰهُمَّ إِنِّي أَعُوذُبِكَ أَنْ تُحْسُنَ فِي لَامِعَةِ الْعُيُونِ عَلَانِيَتِي، وَتَقْبُحَ فِيمَا أَبْطِنُ لَكَ سَرِيرَتِي، مُحَافِظًا عَلَى رِئَاءِ النَّاسِ مِنْ نَفْسِي بِجَمِيعِ مَا أَنْتَ مُطَّلِعٌ عَلَيْهِ مِنِّي. فَأُبْدِي لِلنَّاسِ حُسْنَ ظَاهِرِي، وَأُفْضِي إِلَيْكَ بِسُوءِ عَمَلِي، تَقَرُّبًا إِلَى عِبَادِكَ، وَتَبَاعُدًا مِنْ مَرْضَاتِكَ.

فالباء فی قوله: بجميع: متعلق برياء او بقوله محافظًا. وافضی اليك ای: اصل. والفصل واضح.

٢٦١ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: لَا وَالَّذِي أَمْسَيْنَا مِنْهُ فِي غُبْرِ لَيْلَةٍ دَهْمَاءَ تَكْشِرُ عَنْ يَوْمٍ أَغَرَّ مَا كَانَ كَذَا وَكَذَا.

فغبر الليل: بقاياه. والدهماء: السوداء. واستعار لفظ الكشر، وهو: التبسّم تبدوا معه الاسنان لأسفارها عن ضوء يومها. والأغرّ: الواضح.

٢٦٢ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: قَلِيلٌ تَدُومُ عَلَيْهِ أَرْجَى مِنْ كَثِيرٍ مَمْلُولٍ [مِنْهُ].

فأرجى: اكثر رجاءً للنفع.

٢٦٣ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: إِذَا أَضَرَّتِ النَّوَافِلُ بِالْفَرَائِضِ فَارْفُضُوهَا.

وقد مرّ مثله.

٢٦٤ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: مَنْ تَذَكَّرَ بُعْدَ السَّفَرِ اسْتَعَدَّ.

ای: السفر الى الآخرة، والاستعداد بزاد التقوى.

٢٦٥ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: لَيْسَتِ الرَّوِيَّةُ كَالْمُعَايَنَةِ مَعَ الْإِبْصَارِ فَقَدْ تَكْذِبُ الْعُيُونُ أَهْلَهَا، وَلَا يَغُشُّ الْعَقْلُ مَنِ اسْتَنْصَحَهُ.

و اراد: في العلوم على العقل، دون الحسّ: لكذبه في مواضع.

٢٦٦ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَ الْمَوْعِظَةِ حِجَابٌ مِنَ الْعِزَّةِ.

اى: الغفلة و لفظ الحجاب: مستعار لها.

٢٦٧ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: جَاهِلُكُمْ مُزْدَادٌ، مُسَوِّفٌ.

[وفي روايه: جاهلكم مزداد، وعالِمكم مُسوِّف!]

اى: من الإثم. مسوّف اى: بالتّوبة.

٢٦٨ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: قَطَعَ الْعِلْمُ عُذْرَ الْمُتَعَلِّلِينَ.

و اراد: العلم بالدّين و بما جاء به الرسول صلى الله عليه و آله، من البشارة والنذارة فان ذلك قاطع لمن عصاه[1] يقول: (انّا كنّا عن هذا غافلين). و كذلك بما جاء من التّنبيهات على دفاين العقول كالعبر بأحوال الماضين، و وجود الصانع و صفاته.

٢٦٩ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: كُلٌّ مُعَاجَلٌ يَسْأَلُ الْإِنْظَارَ، وَ كُلٌّ مُؤَجَّلٌ يَتَعَلَّلُ بِالتَّسْوِيفِ.

و هو توبيخ: على ترك العمل للمعاجل و المؤجل.

٢٧٠ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: مَا قَالَ النَّاسُ لِشَيْءٍ «طُوبَى لَهُ» إِلَّا وَ قَدْ خَبَأَ لَهُ الدَّهْرُ يَوْمَ سُوءٍ.

فاستعار لفظ الخبأ: لما يألفوه في طبيعة الزمان، من الحوادث المهلكة لسترها عن افهام الخلق.

٢٧١ ـ وَسُئِلَ عَلَيْهِ السَّلام عن القَدَرِ فقال: طَرِيقٌ مُظْلِمٌ فَلاَ تَسْلُكُوهُ، وَ بَحْرٌ عَمِيقٌ

---

١ ـ في نسخة ش: ان يقول.

فَلاَ تَلِجُوهُ، وَ سِرُّ ٱللهِ فَلاَ تَتَكَلَّفُوهُ.

فاستعار له لفظ الطريق، بوصف المظلم الغموض البحث و تصرّف الذهن فيه، وعدم الاهتداء الى الخلق منه. و كذلك لفظ البحر العميق البحث فيه و دقّته: و كونه سرّالله: باعتبار انّه لم يُبِحِ الخوض فيه، و تكلّف البحث عنه.

٢٧٢ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: إذَا أَرْذَلَ ٱللهُ عَبْدًا حَظَرَ عَلَيْهِ الْعِلْمَ.

فاستعار لفظ الحظر و هو: المنع: لعدم توفيقه له، و تعسّر اسبابه عليه.

٢٧٣ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: كَانَ لِي فِيمَا مَضَى أَخٌ فِي ٱللهِ، وَ كَانَ يُعْظِمُهُ فِي عَيْنِي صِغَرُ الدُّنْيَا فِي عَيْنِهِ، وَ كَانَ خَارِجًا مِنْ سُلْطَانِ بَطْنِهِ فَلاَ يَشْتَهِي مَا لاَ يَجِدُ وَلاَ يُكْثِرُ إِذَا وَجَدَ؛ وَ كَانَ أَكْثَرَ دَهْرِهِ صَامِتًا، فَإِنْ قَالَ بَذَّ الْقَائِلِينَ وَ نَقَعَ غَلِيلَ السَّائِلِينَ؛ وَ كَانَ ضَعِيفًا مُسْتَضْعَفًا! فَإِنْ جَاءَ الْجِدُّ فَهُوَ لَيْثُ غَابٍ وَصِلُّ وَادٍ، لاَ يُدْلِي بِحُجَّةٍ حَتَّى يَأْتِيَ قَاضِيًا؛ وَ كَانَ لاَ يَلُومُ أَحَدًا عَلَى مَا يَجِدُ الْعُذْرَ فِي مِثْلِهِ حَتَّى يَسْمَعَ اعْتِذَارَهُ؛ وَ كَانَ لاَ يَشْكُو وَجَعًا إِلَّا عِنْدَ بُرْئِهِ، وَ كَانَ يَفْعَلُ مَا يَقُولُ وَلاَ يَقُولُ مَا لاَ يَفْعَلُ، وَ كَانَ إِذَا غُلِبَ عَلَى الْكَلاَمِ لَمْ يُغْلَبْ عَلَى السُّكُوتِ، وَ كَانَ عَلَى مَا يَسْمَعُ أَحْرَصَ مِنْهُ عَلَى أَنْ يَتَكَلَّمَ، وَ كَانَ إِذَا بَدَهَهُ أَمْرَانِ يَنْظُرُ أَيُّهُمَا أَقْرَبُ إِلَى الْهَوَى فَخَالَفَهُ، فَعَلَيْكُمْ بِهَذِهِ الْأَخْلاَقِ فَالْزَمُوهَا وَ تَنَافَسُوا فِيهَا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِيعُوهَا فَاعْلَمُوا أَنَّ أَخْذَ الْقَلِيلِ خَيْرٌ مِنْ تَرْكِ الْكَثِيرِ.

قيل: اراد: اباذر الغفاری. و قيل: عثمان بن مظعون. وكنّى بصغرالدنيا فى عينه: عن زهده فيها، و بخروجه عن سلطان بطنه الى قوله: وجد: عن عفّته. و بذّ: غلب. نقع الغليل: سكن العطش. و هما كنايتان: عن قول الحكمة فى مواضعها بعد طول السكوت فى موضعه. و كنّى بضعفه و استضعافه: عن تواضعه و ذلّته لله. و استعار له لفظ الليث والصل فى مواطن الحرب: موضع انكار المنكر لسطوته و بأسه فيها. و أدلى بحجّته: ارسلها. و بَدَهَهُ الأمر: أتاه من غير تروٍ. و كثرة حرصه على الاسماع، تغليباً للاستفادة على الافادة. والفصل يشتمل على اثنتى عشرة فائدة، و هي واضحة.

٢٧٤ ـ **وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام:** لَوْ لَمْ يَتَوَعَّدِ اللهُ عَلَى مَعْصِيَتِهِ لَكَانَ يَجِبُ أَنْ لَا يُعْصَى شُكْرًا لِنِعَمِهِ.

اراد: فكيف و قد توعّد فاولى ان يجبَ تركُ معصيته.

٢٧٥ ـ **وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام:** و قد عَزّىَ الأشعثَ بن قيس عن إبنٍ لَهُ ـ: يَا أَشْعَثُ، إنْ تَحْزَنْ عَلَى ٱبْنِكَ فَقَدِ ٱسْتَحَقَّتْ مِنْكَ ذٰلِكَ الرَّحِمُ؛ وَ إنْ تَصْبِرْ فَفِي اللهِ مِنْ كُلِّ مُصِيبَةٍ خَلَفٌ. يَا أَشْعَثُ، إنْ صَبَرْتَ جَرَى عَلَيْكَ الْقَدَرُ وَ أَنْتَ مَأْجُورٌ؛ وَ إنْ جَزِعْتَ جَرَى عَلَيْكَ الْقَدَرُ وَ أَنْتَ مَأْزُورٌ، [يَا أَشْعَثُ] إبْنُكَ سَرَّكَ وَ هُوَ بَلَاءٌ وَ فِتْنَةٌ وَ حَزَنَكَ وَ هُوَ ثَوَابٌ وَ رَحْمَةٌ.

اصل مأزور: الواو فهمز: لمناسبة القرينة الاولى، و هو: بلاء و فتنة لما يلزم الوالد بسببه من الجبن والبخل والحرص والحزن و غيرها. و ثواب و رحمة: لوالده اذا راعى فيه العدل والفضيلة من الرذائل المذكورة.

٢٧٦ ـ **وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام:** على قبرِ رسولِ الله صلى الله عليه وآله و سلم ساعةَ دُفِنَ:ـ

إنَّ الصَّبْرَ لَجَمِيلٌ إلَّا عَنْكَ؛ وَ إنَّ الْجَزَعَ لَقَبِيحٌ إلَّا عَلَيْكَ؛ وَ إنَّ الْمُصَابَ بِكَ لَجَلِيلٌ؛ وَ إنَّهُ قَبْلَكَ وَ بَعْدَكَ لَجَلَلٌ.

فالجلل هو: الأمر الهيّن، و هو ايضا: الأمر العظيم، و هو من الاضداد. و اراد: انّ المصائب قبل موتك و بعده بمن كان من الناس سهل هيّن بالنسبة اليك. قيل: اراد: انّ المصاب بك قبل موتك عظيم عندالناس، اذا تصوّروه و لخوفهم منه، و انّه بعدك عظيم لاختلال امرالدّين به، والاوّل اظهر.

٢٧٧ ـ **وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام:** لَا تَصْحَبِ الْمَائِقَ؛ فَإنَّهُ يُزَيِّنُ لَكَ فِعْلَهُ، وَ يَوَدُّ أَنْ تَكُونَ مِثْلَهُ.

فالمائق: الأحمق، و نفرّعنه بضمير صغراه، قوله: فانّه، الى آخره.

٢٧٨ ـ وقد سُئِلَ عن مسافةِ ما بين المشرق والمغرب، فقال عليه‌السلام: مَسِيرَةُ يَوْمٍ لِلشَّمْسِ.

و هو جواب واضح مقنع، اذ غرضُ الخطيبِ الأقناع.

٢٧٩ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ‌السَّلام: أَصْدِقَاؤُكَ ثَلاَثَةٌ: صَدِيقُك، وَصَدِيقُ صَدِيقِكَ، وَعَدُوُّ عَدُوِّكَ. و أَعْدَاؤُكَ ثَلاَثَةٌ: عَدُوُّكَ، وَعَدُوُّ صَدِيقِكَ، وَصَدِيقُ عَدُوِّكَ.

اراد: العداوة والصداقة الخالصتين. والحكم بانّ صديق الصديق و عدوالعدو صديق: اكثرى، لاحتمال كون الصديق غيرعالم بانّ لصديقه صديقاً، والعدوّ غير عالم بأن لعدوّه عدوّ أفضلا ان يصادقه اويعاديه. و كذلك الحكم بانّ عدوّ الصديقِ و صديق العدوّ عدوّ.

٢٨٠ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ‌السَّلام لرجل رآه يسعى على عدوٍّ له بما فيه إضرار بنفسه: إِنَّمَا أَنْتَ كَالطَّاعِنِ نَفْسَهُ لِيَقْتُلَ رِدْفَهُ.

٢٨١ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ‌السَّلام: مَا أَكْثَرَ الْعِبَرَ وَأَقَلَّ الاِعْتِبَارَ!

اراد بالعبر: مواضع الاعتبار.

٢٨٢ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ‌السَّلام: مَنْ بَالَغَ فِي الْخُصُومَةِ أَثِمَ، وَمَنْ قَصَّرَ فِيهَا ظُلِمَ، وَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَّقِيَ اللهَ مَنْ خَاصَمَ.

نفّر عن طرف الافراط والتفريط فى المخاصمة، بما يلزمهما من الظلم المستلزم للإثم و من الانظلام. و نبّه على بعدالعدل فيها صعوبة الوقوف على حدّه.

محوه و تكفيره.

٢٨٣ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ‌السَّلام: مَا أَهَمَّنِي ذَنْبٌ أُمْهِلْتُ بَعْدَهُ حَتَّى أُصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ.

و ذلك لاستلزامهما محوه وتكفيره.

۲۸٤ ـ وسئل عليه السلام: كيف يحاسب الله الخلقَ على كثرتهم؟ فقال عليه السلام: كَمَا يَرْزُقُهُمْ عَلَى كَثْرَتِهِمْ، فقيل: كيف يحاسِبهم ولا يرونَهُ؟ فقال عليه السلام: كَمَا يَرْزُقُهُمْ وَلَا يَرَوْنَهُ.

اجاب عليه السلام: بما يُفيدالاقناع، والجواب الحقّ للمسألة: مبنيٌّ على معرفة حقيقة الحساب، و حقيقة المحاسِب و معرفة المحاسَب، وهي: ثلاث مسائل اصولية صعبة يطول الخوض فيها.

۲۸٥ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: رَسُولُكَ تَرْجُمَانُ عَقْلِكَ، وَ كِتَابُكَ أَبْلَغُ مَا يَنْطِقُ عَنْكَ!

فاستعار لفظ الترجمان: للرسول: باعتبار: انّه يعبّر عن مقدار عقل المرسل وجهله. والكتاب أبلغ ناطق عن الانسان: لضبط مراده فيه دون الألسنة ولمطابقته نطق المرسل عن نفسه.

۲۸٦ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: مَا الْمُبْتَلَى الَّذِي قَدِ اشْتَدَّ بِهِ الْبَلَاءُ بِأَحْوَجَ إِلَى الدُّعَاءِ مِنَ الْمُعَافَى الذي لَايَأْمَنُ الْبَلَاءَ!

اى: انّهما سواء في الحاجة الى الدعاء فذاك لزوال بلائه، و هذا لدوام عافيته.

۲۸۷ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: النَّاسُ أَبْنَاءُ الدُّنْيَا، وَلَا يُلَامُ الرَّجُلُ عَلَى حُبِّ أُمِّهِ.

و لفظ الابن والامّ: مستعاران باعتبار كونهم فرعًا، و كونها اصلاً.

۲۸۸ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: إِنَّ الْمِسْكِينَ رَسُولُ اللهِ فَمَنْ مَنَعَهُ فَقَدْ مَنَعَ اللهَ، وَمَنْ أَعْطَاهُ فَقَدْ أَعْطَى اللهَ.

باعتبار: انّه لله و بأمره.

۲۸۹ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: مَازَنَى غَيُورٌ قَطُّ.

اى: البتّة لاستلزام الغيرة الحقّة من الزنا تصورالغيور وقوع مثله في حقّه من الغير،

فيعارض خياله داعيةُ فيستقبحه فيكفّ عنه.

۲۹۰ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: كَفَى بِالْأَجَلِ حَارِساً.

فاستعار لفظ الحارس له: باعتبار انّ الانسان محفوظٌ لوجوده في مدّة كالحافظ.

۲۹۱ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: يَنَامُ الرَّجُلُ عَلَى الثُّكْلِ وَلَا يَنَامُ عَلَى الْحَرَبِ!!

قال السيد ـ رحمه الله ـ: ومعنى ذلك أنّهُ يصبرُ علىٰ قتل الاولاد ولا يصبر على سلب الاموال.

و اقول: الحرب سلب الأموال و انّما لم يصبر عليه دون الثكل: لامكان انتزاع المال و استرجاعه دون من يثكل.

۲۹۲ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: مَوَدَّةُ الآبَاءِ قَرَابَةٌ بَيْنَ الأَبْنَاءِ وَالْقَرَابَةُ إِلَى الْمَوَدَّةِ أَحْوَجُ مِنَ الْمَوَدَّةِ إِلَى الْقَرَابَةِ.

فاستعار لفظ القرابة: للاتصال بين الابناء باعتبار قوّة المودّة، و فضّل المودّة على القرابة: لحاجة القرابة اليها دون العكس.

۲۹۳ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: اتَّقُوا ظُنُونَ الْمُؤْمِنِينَ؛ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى جَعَلَ الْحَقَّ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ.

و ذلك: لصفاء سرائرهم و تلقّيهم السوانح الالٓهية بافكارهم الصافية، و حدوسهم الصائبة فلا ينطق ألسنتهم الّا بالحق عن امارات صادقة.

۲۹٤ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: لَا يَصْدُقُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَكُونَ بِمَا فِي يَدِ اللهِ أَوْثَقَ مِنْهُ بِمَا فِي يَدِهِ.

فصدق الايمان، هو: اليقين التّام بالله. و يلزمه حسن الرجاء له، و صدق التوكّل عليه و يلزمه: ان يكون بما يرزقه[1] اوثق مما في يده.

---

١ - في ش: يرزقه الله.

٢٩٥ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: لأنس بن مالك، وقد كان بعثه إلى طلحة والزبير لمّا جاء إلى البصرة يُذَكِّرُهُما شيئاً مما سَمِعَهُ من رسول الله عليه وآله وسلم في معناهما، فلَوَى عن ذلك، فرجع إليه، فقال (إنّي أُنْسِيتُ ذٰلِكَ الأَمْرَ) فقال عليه السلام: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَضَرَبَكَ ٱللّٰهُ بِهَا بَيْضَاءَ لَامِعَةً لَا تُوَارِيهَا الْعِمَامَةُ.

(يعني: البرص. فأصاب أنساً هذا الداء فيما بعد في وجهه فكان لا يُرىٰ الا مُبَرْقَعا[1]).

قيل: ما بعثه به هو ما سمعه من قول الرسول صلى الله عليه وآله لهما: أنّكما ستقاتلان عليّاً وانتما له ظالمان. وبيضاء: في موضع جرّ بدلا من الضمير في «بها».

٢٩٦ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: إِنَّ لِلْقُلُوبِ إِقْبَالًا وَ إِدْبَارًا: فَإِذَا أَقْبَلَتْ فَاحْمِلُوهَا عَلَى النَّوَافِلِ، وَإِذَا أَدْبَرَتْ فَاقْتَصِرُوا بِهَا عَلَى الْفَرَائِضِ.

خصّ اقبالها بالنوافل: لنشاطها واتّساعها فيه، وللفرائض دون إدبارها.

٢٩٧ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: وَفِي الْقُرْآنِ نَبَأُ مَا قَبْلَكُمْ، وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ، وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ.

فنبأ ما قبلهم: القرون الماضية. وما بعدهم: أحوال القيامة. وحكم ما بينهم: الاحكام الخمسة، وكيفية فصل الحكومات.

٢٩٨ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: رُدُّوا الْحَجَرَ مِنْ حَيْثُ جَاءَ؛ فَإِنَّ الشَّرَّ لَا يَدْفَعُهُ إِلَّا الشَّرُّ.

كنّى بالحجر: عن الشر وبِرَدّه من حيث جاء: عن مقابلة الشّر بمثله، وهو مخصوص بشّر لا يندفع الّا بالشر.

٢٩٩ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: لكاتبه عبيدالله بن أبي رافع: أَلِقْ دَوَاتَكَ، وأَطِلْ جِلْفَةَ قَلَمِكَ، وَفَرِّجْ بَيْنَ السُّطُورِ، وَقَرْمِطْ بَيْنَ الْحُرُوفِ فَإِنَّ ذٰلِكَ أَجْدَرُ بِصَبَاحَةِ الْخَطِّ.

---

١ ـ القصة جاءت بطرق متواترة راجع الغدير ١/ ١٩١. المعارف لابن قتيبة / ٢٥١. انساب الاشراف ١/٣٦١. خلاصة تهذيب الكمال / ٣٥.

الق دواتك: اصلحها بالمداد. و جلفة القلم: سنانه.

٣٠٠ - **وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام:** أَنَا يَعْسُوبُ الْمُؤْمِنِينَ، وَالْمَالُ يَعْسُوبُ الْفُجَّارِ.

قال السيد رحمه الله: ومعنى ذلك أنَّ المؤمنين يتبعوني والفُجّار يتبعون المال كما تتبع النحلُ يعسوبَها وهو رئيسُها.

٣٠١ - **(وقال له بعض اليهود:** ما دفنتم نبيّكم حتى ٱخْتَلَفْتُم فيه؟) فقال عليه السلام له: إِنَّمَا ٱخْتَلَفْنَا عَنْهُ لَا فِيهِ، وَلٰكِنَّكُمْ مَا جَفَّتْ أَرْجُلُكُمْ مِنَ الْبَحْرِ حَتَّى قُلْتُمْ لِنَبِيِّكُمْ: (ٱجْعَلْ لَنَا إِلٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ فَقَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ)[1].

فاختلافهم عنه اى: عما جاء به من الكتاب و السُّنّة، لعدم معرفة جميعهم بهما لا فيه، اذ لم يَشُكُّوا في نبوّته و انّما لزم بني اسرائيل الشكَّ في نبوّة موسى عليه السلام، لشكّهم في الأله المُرسِل له.

٣٠٢ - **(وَقيل لَهُ عَلَيْهِ السَّلام** بأيِّ شيءٍ غَلَبتَ الأقران؟) فقال عليه السلام:

مَا لَقِيتُ رَجُلاً إِلَّا أَعانَنِي عَلَى نَفْسِهِ.

قال السيد - رحمه الله - يُومئُ بذلك الى تَمَكُّنِ هيبتِهِ في القلوب.

٣٠٣ - **وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام** لابنه محمد بن الحنفيّة: يَا بُنَيَّ، إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ مِنَ الْفَقْرِ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ فَإِنَّ الْفَقْرَ مَنْقَصَةٌ لِلدِّينِ مَدْهَشَةٌ لِلْعَقْلِ دَاعِيَةٌ لِلْمَقْتِ.

فتنقيضةٌ للدّين: باعتبار الاهتمام بأمر المعاش عنه، و ما يلزم الفقير غير الصّابر من الرذائل، و دهشة العقل به: ضيق الصّدر بسببه والحَيرة منه.

٣٠٤ - **وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام** لسائلٍ سَأَلَهُ عن مُعْضِلَةٍ: سَلْ تَفَقُّهًا، وَلَا تَسْأَلْ تَعَنُّتًا؛ فَإِنَّ الْجَاهِلَ الْمُتَعَلِّمَ شَبِيهٌ بِالْعَالِمِ، وَ إِنَّ الْعَالِمَ الْمُتَعَسِّفَ شَبِيهٌ بِالْجَاهِلِ الْمُتَعَنِّتِ.

١ - سورة الاعراف/ ١٣٨.

فالمعضلة: المشكلة. والتعنّت: طلب التعنّت وهو الأمر الشاق. ولا تسأل تعنّتاً اى: لغير الوجه الذى ينبغي طلب العلم له، كالمجادلة والمغالبة.

٣٠٥ - (وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام لعبدالله بن العبّاس، و قد أشار عليه في شيء لم يوافق رأيه): لَكَ أَنْ تُشِيرَ عَلَيَّ وَ أَرَى؛ فَإِنْ عَصَيْتُكَ فَأَطِعْنِي.

رُوى: ان الّذى اشار عليه هو: اقرار معاوية على الشام. و تولية طلحة البصرة، و الزبير الكوفة.

٣٠٦ - (وَ روى أنه عليه السلام لما ورد الكوفة قادماً من صفّين مرّ بالشِّباميّين فسمع بكاء النساء على قتلى صفّين، و خرج إليه حربُ بن شرحبيل الشِّبامى و كان من وجوه قومه فقال عليه السلام له): أَتَغْلِبُكُمْ نِسَاؤُكُمْ عَلَى مَا أَسْمَعُ؟ أَلاَ تَنْهَوْنَهُنَّ عَنْ هٰذَا الرَّنِينِ؛ (و أقبل يمشي معه و هو عليه السلام راكب فقال له): ٱرْجِعْ فَإِنَّ مَشْيَ مِثْلِكَ مَعَ مِثْلِي فِتْنَةٌ لِلْوَالِي وَ مَذَلَّةٌ لِلْمُؤْمِنِ.

شبام بالكسر: حيّ من العرب. والفصل واضح.

٣٠٧ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام، و قد مرّ بقتلى الخوارج يوم النهروان: بُؤْساً لَكُمْ، لَقَدْ ضَرَّكُمْ مَنْ غَرَّكُمْ، (فقيل له: من غرهم يا أمير المؤمنين؟ فقال): الشَّيْطَانُ الْمُضِلُّ وَالْأَنْفُسُ الْأَمَّارَةُ بِالسُّوءِ، غَرَّتْهُمْ بِالْأَمَانِيِّ، وَ فَسَحَتْ لَهُمْ بِالْمَعَاصِي، وَ وَعَدَتْهُمُ الْإِظْهَارَ فَاقْتَحَمَتْ بِهِمُ النَّارَ.

فالبؤس: الشدّة. والاظهار اى: اظهارهم على من غالبهم. والإقتحام الدخول بسرعة.

٣٠٨ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: ٱتَّقُوا مَعَاصِيَ ٱللهِ فِي الْخَلَوَاتِ؛ فَانَّ الشَّاهِدَ هُوَ الْحَاكِمُ.

اراد: فان الشاهد عليكم بما تعملون، هو الذى يحكم عليكم بجزاء ذلك، و هو صغرى ضمير نفرّ به عن المعاصي.

٣٠٩ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: (لما بلغَهُ قتلُ محمد بن أبى بكر): إنَّ حُزْنَنا عَلَيْهِ عَلَى قَدْرِ سُرُورِهِمْ بِهِ؛ إلَّا أَنَّهُمْ نَقَصُوا بَغِيضاً وَ نَقَصْنا حَبِيبًا.

اراد: سرورهم بقتله.

٣١٠ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: الْعُمْرُ الَّذِى أَعْذَرَ اللّٰهُ فِيهِ إلَى ابْنِ آدَمَ سِتُّونَ سَنَةً.

اعذر اليه: اتاه بالعذر، و هو: امهاله المدّة المذكورة التى تمكّنه تحصيل زاد التقوى.

٣١١ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: مَا ظَفِرَ مَنْ ظَفِرَ الإِثْمُ بِهِ، وَالْغَالِبُ بالشَّرِّ مَغْلُوبٌ.

و اراد: ظفر الظالم لانّه مقهور بالإثم عندالله.

٣١٢ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: إنَّ اللّٰهَ سُبْحَانَهُ فَرَضَ فى أَمْوَالِ الْأَغْنِيَاءِ أَقْوَاتَ الْفُقَرَاءِ: فَمَا جَاعَ فَقِيرٌ إلَّا بِمَا مُتِّعَ بِهِ غَنِيٌّ، وَاللّٰهُ تَعَالَى سَائِلُهُمْ عَنْ ذَلِكَ.

و اراد: فرض الزكاة.

٣١٣ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: الِاسْتِغْنَاءُ عَنِ الْعُذْرِ أَعَزُّ مِنَ الصِّدْقِ بِهِ.

يريد: ان الاستغناء عن ترك الجريمة اكثر عزّةً للنفس منه، و ان كان صادقاً لما فيه من المذلّة.

٣١٤ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: أَقَلُّ مَا يَلْزَمُكُمْ لِلّٰهِ أَنْ لَا تَسْتَعِينُوا بِنِعَمِهِ عَلَى مَعَاصِيهِ.

و ذلك لانّ وضع النعمة لك للاستعانة بها على طاعة الله، فلا اقلّ من ترك المعصية معها.

٣١٥ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: إنَّ اللّٰهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ الطَّاعَةَ غَنِيمَةَ الْأَكْيَاسِ عِنْدَ تَفْرِيطِ الْعَجَزَةِ.

فالاكياس: الذين استعملوا فطنتهم فيما ينبغي. والعجزة: المقصرون عما ينبغي.

۳۱۶ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: السُّلْطَانُ وَزَعَةُ ٱللهِ فِي أَرْضِهِ.

فالوزعة[1]: الرّادع، و اراد: السلطان العادل بقرينة اضافته الى الله.

۳۱۷ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام في صفة المؤمن: الْمُؤْمِنُ بِشْرُهُ فِي وَجْهِهِ، وَ حُزْنُهُ فِي قَلْبِهِ، أَوْسَعُ شَيْءٍ صَدْرًا، وَ أَذَلُّ شَيْءٍ نَفْسًا، يَكْرَهُ الرِّفْعَةَ، وَيَشْنَأُ السُّمْعَةَ، طَوِيلٌ غَمُّهُ، بَعِيدٌ هَمُّهُ، كَثِيرٌ صَمْتُهُ، مَشْغُولٌ وَقْتُهُ، شَكُورٌ صَبُورٌ، مَغْمُورٌ بِفِكْرَتِهِ، ضَنِينٌ بِخَلَّتِهِ، سَهْلُ الْخَلِيقَةِ، لَيِّنُ الْعَرِيكَةِ! نَفْسُهُ أَصْلَبُ مِنَ الصَّلْدِ وَ هُوَ أَذَلُّ مِنَ الْعَبْدِ.

اقول: عرّفه في معرض المدح بستّة عشر وصفاً. و حزنه في قلبه، سعة الصدر: فضيلة تحت الشجاعة. و ذلة نفسه: تواضعا لله. و كراهته للرفعة: تنزّها عن رذيلة الكبر. وطول غمّه: نظراً الى ما بين يديه من الموت و ما بعده بحسب ذلك كان بعد همّته في المطالب العالية، و السعادة الباقية. و شغل وقته: بعبادة ربّه مغمور بفكرته في ملكوت السماوات والارض. و ضنّته بخلّته اى: لا يسرع الى صداقة احد، لقلّة اخوان الصدق، او لانقطاعه عن الخلق الى الله. و روى: بفتح الخاء اى: يضنّ بحاجته ان يذكرها لأحد. والخلّة: الحاجة، و كنّى بصلابته: عن شجاعته و قوّته في الدين.

۳۱۸ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: لَوْ رَأَى الْعَبْدُ الْأَجَلَ وَ مَصِيرَهُ لَأَبْغَضَ الْأَمَلَ وَ غُرُورَهُ.

فاستعار لفظ مسيرالأجل: لسرعة انقضاء الزمان المستلزم للفناء.

۳۱۹ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: لِكُلِّ ٱمْرِيءٍ فِي مَالِهِ شَرِيكَانِ: الْوَارِثُ، وَالْحَوَادِثُ.

۳۲۰ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: الدَّاعِي بِلاَ عَمَلٍ كَالرَّامِي بِلاَوَتَرٍ.

اراد: من يدعوالله لمراده من غير وسيلة اليه من العمل له.

۳۲۱ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: الْعِلْمُ عِلْمَانِ: مَطْبُوعٌ وَ مَسْمُوعٌ، وَ لَا يَنْفَعُ الْمَسْمُوعُ إِذَا

---

۱ - في ش هكذا: والوزعة جمع وازع وهوالرادع.

لَمْ يَكُنِ الْمَطْبُوعُ.

و اراد بالمطبوع: ما يعلم بطبيعة العقل من الأصول، كالتوحيد، والعدل. وبالمسموع: العلوم الشرعيّة التى هى فرع العقليّة. وقيل: اراد بالمطبوع: العلوم الضروريّة، وبالمسموع: المكتسبة، و ظاهر انّ المكتسب لاينتفع به الّا أن يستند الى البرهان ومقدماته اليقينيّة إذالتقليد غيرُ كافٍ.

٣٢٢ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: صَوَابُ الرَّأْيِ بِالدُّوَلِ: يُقْبِلُ بِإِقْبَالِهَا، وَيَذْهَبُ بِذَهَابِهَا.

لما كان صواب الرأى[١] بالدولة و تمامها: كان مصاحبا لها و ملازماً، و يدلّ ذَهابُها على ذهابه: دلالةَ عدم المعلول على عدم العلّة.

٣٢٣ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: الْعَفَافُ زِينَةُ الْفَقْرِ، وَالشُّكْرُ زِينَةُ الْغِنَى.

٣٢٤ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: يَوْمُ الْعَدْلِ عَلَى الظَّالِمِ أَشَدُّ مِنْ يَوْمِ الْجَوْرِ عَلَى الْمَظْلُومِ!

٣٢٥ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: الْأَقَاوِيلُ مَحْفُوظَةٌ، وَالسَّرَائِرُ مَبْلُوَّةٌ، وَ(كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ)[٢]، وَالنَّاسُ مَنْقُوصُونَ مَدْخُولُونَ إِلَّا مَنْ عَصَمَ اللهُ: سَائِلُهُمْ مُتَعَنِّتٌ، وَمُجِيبُهُمْ مُتَكَلِّفٌ، يَكَادُ أَفْضَلُهُمْ رَأْيًا يَرُدُّهُ عَنْ فَضْلِ رَأْيِهِ الرِّضَا وَالسُّخْطُ، وَيَكَادُ أَصْلَبُهُمْ عُودًا تَنْكَؤُهُ اللَّحْظَةُ، وَتَسْتَحِيلُهُ الْكَلِمَةُ الْوَاحِدَةُ! مَعَاشِرَ النَّاسِ، اتَّقُوا اللهَ فَكَمْ مِنْ مُؤَمِّلٍ مَا لَا يَبْلُغُهُ، وَبَانٍ مَا لَا يَسْكُنُهُ، وَجَامِعٍ مَا سَوْفَ يَتْرُكُهُ، وَلَعَلَّهُ مِنْ بَاطِلٍ جَمَعَهُ، وَمِنْ حَقٍّ مَنَعَهُ: أَصَابَهُ حَرَامًا، وَاحْتَمَلَ بِهِ آثَامًا، فَبَاءَ بِوِزْرِهِ، وَقَدِمَ عَلَى رَبِّهِ آسِفًا لَاهِفًا، قَدْ (خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ، ذٰلِكَ هُوَالْخُسْرَانُ الْمُبِينُ)[٣].

اقول: مبلوّة: مختبرة، مسئولة يوم القيامة. و مدخولون اي: في عقولهم، دخل و علّة. واصلبهم عوداً اى: في دينه. و تنكؤه: تؤثّر فيه. و اراد: اللحظة والكلمة ممّن يستهويه

---

١ ـ في ش: من أسباب الدولة.

٢ ـ سورة المدثر/ ٣٨.

٣ ـ سورة الحج / ١١.

للدنيا،و تستحيله: تغيّره.و باء: رجع.والوزر:ثقل الآثام.واللاهف: المتحسّر. والفصل واضح.

٣٢٦ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: مِنَ الْعِصْمَةِ تَعَذُّرُ الْمَعَاصِي.

اى: من أسباب العصمة، لانّ العصمة مَلَكَةُ ترك المعاصى، و قد تحصل عن تعوّد الترك لعدم الوجدان.

٣٢٧ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: مَاءُ وَجْهِكَ جَامِدٌ يُقْطِرُهُ السُّؤَالُ، فَانْظُرْ عِنْدَ مَنْ تُقْطِرُهُ.

فاستعار لفظ ماءالوجه: للحياء. و قيل: كنّى به عن العرق، قد يعرض للسائل من الحياء عند سؤاله.

٣٢٨ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: الثَّنَاءُ بِأَكْثَرَ مِنَ الاِسْتِحْقَاقِ مَلَقٌ، وَالتَّقْصِيرُ عَنِ الاِسْتِحْقَاقِ عِيٌّ أَوْ حَسَدٌ.

فالملق: التلطّف الشديد بالقول والإفراط فى المدح.

٣٢٩ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: أَشَدُّ الذُّنُوبِ مَا اسْتَهَانَ بِهِ صَاحِبُهُ.

لاستلزامه ذلك مداومته حتى يصير ملكة.

٣٣٠ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام:

مَنْ نَظَرَ فِي عَيْبِ نَفْسِهِ اشْتَغَلَ عَنْ عَيْبِ غَيْرِهِ؛ وَمَنْ رَضِيَ بِرِزْقِ اللهِ لَمْ يَحْزَنْ عَلَى مَا فَاتَهُ؛ وَمَنْ سَلَّ سَيْفَ الْبَغْيِ قُتِلَ بِهِ؛ وَمَنْ كَابَدَ الْأُمُورَ عَطِبَ؛ وَمَنِ اقْتَحَمَ اللُّجَجَ غَرِقَ؛ وَمَنْ دَخَلَ مَدَاخِلَ السُّوءِ اتُّهِمَ؛ وَمَنْ كَثُرَ كَلَامُهُ كَثُرَ خَطَؤُهُ؛ وَمَنْ كَثُرَ خَطَؤُهُ قَلَّ حَيَاؤُهُ وَمَنْ قَلَّ حَيَاؤُهُ قَلَّ وَرَعُهُ؛ وَمَنْ قَلَّ وَرَعُهُ مَاتَ قَلْبُهُ؛ وَمَنْ مَاتَ قَلْبُهُ دَخَلَ النَّارَ؛ وَمَنْ نَظَرَ فِي عُيُوبِ النَّاسِ فَأَنْكَرَهَا ثُمَّ رَضِيَهَا لِنَفْسِهِ فَذَلِكَ الْأَحْمَقُ بِعَيْنِهِ؛ وَمَنْ أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِ الْمَوْتِ رَضِيَ مِنَ الدُّنْيَا بِالْيَسِيرِ؛ وَمَنْ عَلِمَ أَنَّ كَلَامَهُ مِنْ عَمَلِهِ قَلَّ كَلَامُهُ إِلَّا فِيمَا يَعْنِيهِ.

اقول: انّما يشتغل عن عيب غيره: اذا اعتبر نقصان نفسه بعيبها. و كنّى بسلّ سيف البغي: عن القتل ظلماً، و هو مستلزم لمثله لوجوب المجازاة في الطبيعة، و مكابدة الامور: مقاساتها بالنفس و هي: مظنّة العطب والهلاك. و كنّى باللّجج: عن الامور العظام كالحروب و تدبير الدول. و بالغرق: عن الهلاك بها لانّها مظنّته. والتهمة في الدخول مداخل السوء: لانّها مظنّة ما يتّهم به من السوء، و كثرة الخطأ في كثرة الكلام: لانّها مظنّة. و كثرة الخطأ يستلزم قلّة الحياء: لكثرة مقابلة الناس بما يستحيي منه، و تعوّده حتى يصير خُلُقاً. و قلّة الورع بقلّة الحياء: لانّه من الورع فنقصانه بنقصانه، و موت القلب بقلّة الورع: لانّ بالورع، و لزوم الاعمال الجميلة حياة القلب و بعدمها موته. و استعار لعدم الفضائل: لفظ الموت، والراضي لنفسه بما يُنكرهُ من عيب غيره احمق: لمخالفته الرأي الأصوبَ في انكارها. واستلزام ذكر الموت للرضا باليسير من الدنيا: لعلمه للذاكر بعدم الانتفاع بالكثير منها. وبالحسرة اللازمة: لمفارقته. و لزوم قلّة الكلام الّا فيما يعني: للعلم بانّ الكلام من جملة العمل بدليل، هكذا الكلام من الأعمال، والاعمال تكتب و تُؤاخَذُ على الفضول منها ينتج أنَّ الكلام يُكتبُ و يُؤاخذُ على الفضول منه.

۳۳۱ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: لِلظَّالِمِ مِنَ الرِّجَالِ ثَلاَثُ عَلاَمَاتٍ: يَظْلِمُ مَنْ فَوْقَهُ بِالْمَعْصِيَةِ، وَمَنْ دُونَهُ بِالْغَلَبَةِ، وَيُظَاهِرُ الْقَوْمَ الظَّلَمَةَ.

اراد بمن فوقه: خالقه و إمامه. والمظاهرة: المعاونة.

۳۳۲ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: عِنْدَ تَنَاهِي الشِّدَّةِ تَكُونُ الْفُرْجَةُ، وَعِنْدَ تَضَايُقِ حَلَقِ الْبَلاَءِ يَكُونُ الرَّخَاءُ.

لانّ تناهي الشدّة ان لم يستلزم الخلاص منها، لم تكن قد تناهت و قد فرضت. و كذلك استعار لفظ الحلق: للشّدائد على احاطتها بالانسان لايجد منها مخلصًا كالحلقة.

۳۳۳ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ: لاَ تَجْعَلَنَّ أَكْثَرَ شُغْلِكَ بِأَهْلِكَ وَوَلَدِكَ: فَإِنْ يَكُنْ أَهْلُكَ وَوَلَدُكَ أَوْلِيَاءَ اللهِ فَإِنَّ اللهَ لاَ يُضِيعُ أَوْلِيَاءَهُ، وَإِنْ يَكُونُوا أَعْدَاءَ اللهِ فَمَا

هَمُّكَ وَ شُغْلُكَ بِأَعْدَاءِ اللّٰه؟!

اراد شغله بهم: صرف همّته كلّها، او اكثرها الى مصالحهم الدنيوية، و هوالمنهي عنه لصرفه عن عبادة الله، دون القدر الضروريّ من ذلك.

٣٣٤ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: أَكْبَرُ الْعَيْبِ أَنْ تَعِيبَ مَا فِيكَ مِثْلُهُ.

٣٣٥ ـ (وَ هَنَّأَ بحضرته رجلٌ رَجُلاً بغلام وَلِدَ لَه فقال له: لِيُهْنِئْكَ الْفَارِسُ فقال) عليه السلام: لَا تَقُلْ ذٰلِكَ، وَ لٰكِنْ قُلْ شَكَرْتَ الْوَاهِبَ، وَ بُورِكَ لَكَ فِي الْمَوْهُوبِ، وَ بَلَغَ أَشُدَّهُ، وَ رُزِقْتَ بِرَّهُ.

و هذا ارشاد الى كيفية التهنئة المندوب اليها شرعًا.

٣٣٦ ـ (و بنى رجلٌ من عُمّالِهِ بِنَاءً فخماً) فقال عليه السلام: أَطْلَعَتِ الْوَرِقُ رُءُوسَهَا إِنَّ الْبِنَاءَ يَصِفُ لَكَ الْغِنَى.

فالفخم: العظيم. و كنّى بطلوع الورق لرؤسها: عن ظهور اثرها فى البناء.

٣٣٧ ـ (وَ قِيلَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام: لو سُدَّ على رَجُلٍ بابُ بيتِهِ وتُرِكَ فيه، مِنْ أينَ كان يأتيه رزقُه؟) فقال عليه السلام: مِنْ حَيْثُ يَأْتِيهِ أَجَلُهُ.

فنبّه على حيثية الرزق: بحيثية الأجل، لاشتراكهما في مبدء واحد و هو قدرة الصانع تعالى.

٣٣٨ ـ وَ عَزَّى قومًا عن مَيِّتٍ مات لهم فقال عليه السلام: إِنَّ هٰذَا الْأَمْرَ لَيْسَ بِكُمْ بَدَأَ، وَلَا إِلَيْكُمُ انْتَهَى؛ وَ قَدْ كَانَ صَاحِبُكُمْ هٰذَا يُسَافِرُ فَعُدُّوهُ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، فَإِنْ قَدِمَ عَلَيْكُمْ وَ إِلَّا قَدِمْتُمْ عَلَيْهِ.

عدّوه اى: افرضوه كذلك.

٣٣٩ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: أَيُّهَا النَّاسُ، لِيَرَكُمُ اللهُ مِنَ النِّعْمَةِ وَجِلِينَ كَمَا يَرَاكُمْ مِنَ النِّقْمَةِ فَرِقِينَ! إِنَّهُ مَنْ وُسِّعَ عَلَيْهِ فِي ذَاتِ يَدِهِ فَلَمْ يَرَ ذٰلِكَ اسْتِدْرَاجًا فَقَدْ أَمِنَ مَخُوفًا، وَمَنْ ضُيِّقَ عَلَيْهِ فِي ذَاتِ يَدِهِ فَلَمْ يَرَ ذٰلِكَ اخْتِبَارًا فَقَدْ ضَيَّعَ مَأْمُولًا.

فالاستدراج: الأخذ على غرّة، و هو اشارة: الى كون النعمة بلاءً يجب مقابلته بالشكر، كما انّ النقمة بلاءٌ يجب مقابلته بالصبر. والمأمول: الذى ضيّعه اجرُ الصبر على الاختيار بالفقر و ضيق ذات اليد.

٣٤٠ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: يَا أَسْرَى الرَّغْبَةِ أَقْصِرُوا؛ فَإِنَّ الْمُعَرِّجَ عَلَى الدُّنْيَا لَا يَرُوعُهُ مِنْهَا إِلَّا صَرِيفُ أَنْيَابِ الْحِدْثَانِ. أَيُّهَا النَّاسُ، تَوَلَّوْا مِنْ أَنْفُسِكُمْ تَأْدِيبَهَا، وَ اعْدِلُوا بِهَا عَنْ ضَرَاوَةِ عَادَاتِهَا.

فاستعار لفظ الأسرى: لمن ملكته رغبته فى الدنيا. و استعار لفظ صريف الأنياب: لمقدّمات الموت من الأمراض المخوفة و نحوها. و لفظ الضراوة و هى: الجُراة: على الصيد لجرأة النفس[1]! و اقدامها على العادات المضرّة فى الآخرة.

٣٤١ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: لَا تَظُنَّنَّ بِكَلِمَةٍ خَرَجَتْ مِنْ أَحَدٍ سُوءًا وَ أَنْتَ تَجِدُ لَهَا فِي الْخَيْرِ مُحْتَمَلًا.

و ذلك من مكارم الأخلاق: و داخل تحت حُسنِ الظّن.

٣٤٢ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: إِذَا كَانَتْ لَكَ إِلَى اللهِ، سُبْحَانَهُ، حَاجَةٌ فَابْدَأْ بِمَسْأَلَةِ الصَّلَاةِ عَلَى رَسُولِهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ، ثُمَّ سَلْ حَاجَتَكَ فَإِنَّ اللهَ أَكْرَمُ مِنْ أَنْ يُسْأَلَ حَاجَتَيْنِ فَيَقْضِيَ إِحْدَاهُمَا وَ يَمْنَعَ الْأُخْرَى.

٣٤٣ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: مَنْ ضَنَّ بِعِرْضِهِ فَلْيَدَعِ الْمِرَاءَ.

اى: من بَخِل بعرضه لانّ المراء داعيةُ المخاصمةِ والمسابّة، و اخذ العرض

١ - في نسخة ش: النفوس.

بين المتمارين.

٣٤٤ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلامِ: مِنَ الْخُرْقِ الْمُعَاجَلَةُ قَبْلَ الْامْكَانِ وَالْأَنَاةُ بَعْدَ الْفُرْصَةِ.

والخرق: ضدالرفق، و هو التعسّف فى الامور والعجلة فيها، هي: طرف الافراط من فضيلة طلبها كما ينبغى. والأناة: طرف التفريط، و هما مذمومان و نفرّ عنهما بكونهما من الخُرق.

٣٤٥ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: لَا تَسْأَلْ عَمَّا لَا يَكُونُ فَفِي الَّذِي قَدْ كَانَ لَكَ شُغْلٌ.

اى: من احكام الحوادث التى لم تقع. ففى الّذى قد كان لك شغل، اى: باستنباط مسائِلها الكثيرة و احكامها الدّقيقة.

٣٤٦ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام:

الْفِكْرُ مِرْآةٌ صَافِيَةٌ، وَالإِعْتِبَارُ مُنْذِرٌ نَاصِحٌ، وَكَفَى أَدَبًا لِنَفْسِكَ تَجَنُّبُكَ مَا كَرِهْتَهُ لِغَيْرِكَ.

فاستعار لفظ المرآة الصافية: للفكر لانتقاش الصور المعقولة، كانتقاش المرآة بالصّورالمحسوسة. و لفظ المنذرالناصح: للاعتبار لصدقه فيما يفيده من اليقين بالموت و ما بعده.

٣٤٧ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: الْعِلْمُ مَقْرُونٌ بِالْعَمَلِ: فَمَنْ عَلِمَ عَمِلَ، وَالْعِلْمُ يَهْتِفُ بِالْعَمَلِ: فَإِنْ أَجَابَهُ وَإِلَّا ارْتَحَلَ عَنْهُ.

اى: مقرون به بمقتضى الحكمة الالٓهية فى كمال النفس الانسانية، لانّ العلم: كمال القوة النظرية، والعمل: كمال القوّة العملية، ولا كمال لها بدونهما. و قوله: فمن علم عمل، اى: لزمه ان يعمل بعلمه و الّا لم يكن علمًا. و قيل: لزمه بمقتضى الحكمة ان يعمل بعلمه. واستعار لفظ الهتف و هوالنداء: للمعقول من طلب العلم لمقارنة العمل وجذبه الطبيعىّ الى مقارنته ليكون منهما كمال الانسان. و قوله: فان أجابه و الّا ارتحل

عنه، ای: ان لم یقارنه زال لانّ العمل یؤکد العلم و یصیّره ملکة و ترک ذلک ینسیه ویستلزم الغفلة عنه، و یزول و هوالمراد بالارتحال.

۳۴۸ـ وَقالَ عَلَيْهِ السَّلام: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، مَتَاعُ الدُّنْيَا حُطَامٌ مُوبِئٌ فَتَجَنَّبُوا مَرْعَاهُ!! قُلْعَتُهَا أَحْظَى مِنْ طُمَأْنِينَتِهَا؛ وَ بُلْغَتُهَا أَزْكَى مِنْ ثَرْوَتِهَا.

حُكِمَ عَلَى مُكْثِرِيهَا بِالْفَاقَةِ، وَ أُعِينَ مَنْ غَنِيَ عَنْهَا بِالرَّاحَةِ. وَ مَنْ رَاقَهُ زِبْرِجُهَا أَعْقَبَتْ نَاظِرَيْهِ كَمَهًا، وَ مَنِ اسْتَشْعَرَ الشَّغَفَ بِهَا مَلَأَتْ ضَمِيرَهُ أَشْجَانًا لَهُنَّ رَقْصٌ عَلَى سُوَيْدَاءِ قَلْبِهِ. هَمٌّ يَشْغَلُهُ وَهَمٌّ يَحْزُنُهُ حَتَّى يُؤْخَذَ بِكَظَمِهِ فَيُلْقَى بِالْفَضَاءِ مُنْقَطِعًا أَبْهَرَاهُ، هَيِّنًا عَلَى اللهِ فَنَاؤُهُ، وَعَلَى الْإِخْوَانِ إِلْقَاؤُهُ؛ وَإِنَّمَا يَنْظُرُ الْمُؤْمِنُ إِلَى الدُّنْيَا بِعَيْنِ الْاِعْتِبَارِ، وَيَقْتَاتُ مِنْهَا بِبَطْنِ الْاِضْطِرَارِ، وَيَسْمَعُ فِيهَا بِأُذُنِ الْمَقْتِ وَالْإِبْغَاضِ إِنْ قِيلَ أَثْرَى قِيلَ أَكْدَى!! وَ إِنْ فُرِحَ لَهُ بِالْبَقَاءِ حُزِنَ عَلَيْهِ بِالْفَنَاءِ! هٰذَا وَلَمْ يَأْتِهِمْ يَوْمٌ فِيهِ يُبْلِسُونَ.

اقول: استعار لفظ الحطام لمتاعها. والموبئ: المهلك في الآخرة، بجمعه و اقتنائه. و لفظ مرعاه: لمحلّ تحصیله. والقلعة: الرحلة و عدم الاستقرار. واحظی: انفع، و اراد: انّ عدم الاستقرار فیها انفع من السکون الیها. و ازکی: اطهر للنفس، و من غني عنها ای: بقناعته و زهده فیها و کمالات نفسه. و قوله: من راقه، الی قوله کمّها، ای: من اعجبته زینتها فاحبّها اعمت عین بصیرته عن ادراک ما وراءها من احوال الآخرة. والکمه: العمی خِلقَةً. و استشعر الشغف بها ای: اتّخذ محبّتها شعارًا. والاشجان: الهموم والاحزان. والرقص: الاضطراب والحرکة. و اراد بذلک: حرکة الفکر والخیال فی الاهتمام بها والعمل لها. والکظم: مجری النفس، والأخذ به: کنایة عن الموت. والابهران: عرقان متعلّقان بالقلب. و قوله: ان قیل: اثری، الی قوله الفناء: وصف لحال الانسان فیها من تنغیص اللذّة و تکدیرالعیش لمعاقبة المکاره. و اکدی: قلّ خیره، و هذا من تمام الکلام الاول، و وصف حال المؤمن اعتراض بینهما. و قوله: هذا، ای: هذا البلاء و لم یأتهم یوم القیامة. والابلاس: الیأس من الرحمة.

۳۴۹ـ وَقالَ عَلَيْهِ السَّلام: إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَضَعَ الثَّوَابَ عَلَى طَاعَتِهِ، وَالْعِقَابَ عَلَى

مَعْصِيَتِهِ؛ ذِيَادَةً لِعِبَادِهِ عَنْ نِقْمَتِهِ، وَحِيَاشَةً لَهُمْ إِلَى جَنَّتِهِ.

فالذيادة: الدفع والمنع. والحياشة: الجمع.

۳۵۰ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يَبْقَى فِيهِمْ مِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا رَسْمُهُ وَمِنَ الْإِسْلَامِ إِلَّا اسْمُهُ، وَمَسَاجِدُهُمْ يَوْمَئِذٍ عَامِرَةٌ مِنَ الْبِنَاءِ، خَرَابٌ مِنَ الْهُدَى، سُكَّانُهَا وَعُمَّارُهَا شَرُّ أَهْلِ الْأَرْضِ: مِنْهُمْ تَخْرُجُ الْفِتْنَةُ، وَإِلَيْهِمْ تَأْوِي الْخَطِيئَةُ؛ يَرُدُّونَ مَنْ شَذَّ عَنْهَا فِيهَا، وَيَسُوقُونَ مَنْ تَأَخَّرَ عَنْهَا إِلَيْهَا، يَقُولُ اللّٰهُ سُبْحَانَهُ: فَبِي حَلَفْتُ لَأَبْعَثَنَّ إِلَى أُولٰئِكَ فِتْنَةً أَتْرُكُ الْحَلِيمَ فِيهَا حَيْرَانَ وَقَدْ فَعَلَ؛ وَنَحْنُ نَسْتَقِيلُ اللّٰهَ عَثْرَةَ الْغَفْلَةِ.

رسم القرآن: أثره و تلاوته. و قوله: و قد فعل: يستلزم انّه ادرك ذلك الزمان و اهله، فكيف بزماننا، والفصل واضح.

۳۵۱ ـ و رُوِىَ أنّه عليه السلام قَلَّما اعتدل به المنبرُ إلّا قال أمام خُطْبَتِهِ: أَيُّهَا النَّاسُ، اتَّقُوا اللّٰهَ فَمَا خُلِقَ امْرُؤٌ عَبَثاً فَيَلْهُوَ، وَلَا تُرِكَ سُدًى فَيَلْغُوَ! وَمَا دُنْيَاهُ الَّتِي تَحَسَّنَتْ لَهُ بِخَلَفٍ مِنَ الْآخِرَةِ الَّتِي قَبَّحَهَا سُوءُ النَّظَرِ عِنْدَهُ؛ وَمَا الْمَغْرُورُ الَّذِي ظَفِرَ مِنَ الدُّنْيَا بِأَعْلَى هِمَّتِهِ كَالْآخَرِ الَّذِي ظَفِرَ مِنَ الْآخِرَةِ بِأَدْنَى سُهْمَتِهِ.

فالسّدى: المهمل. و سُهمَتِهِ: نصيبه. والفصل واضح من افصح العبارت فى تفضيل الآخرة على الدنيا.

۳۵۲ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: عشر كلمات:

لَا شَرَفَ أَعْلَى مِنَ الْإِسْلَامِ؛ وَلَا عِزَّ أَعَزُّ مِنَ التَّقْوَى؛ وَلَا مَعْقِلَ أَحْصَنُ مِنَ الْوَرَعِ؛ وَلَا شَفِيعَ أَنْجَحُ مِنَ التَّوْبَةِ؛ وَلَا كَنْزَ أَغْنَى مِنَ الْقَنَاعَةِ؛ وَلَا مَالَ أَذْهَبُ لِلْفَاقَةِ مِنَ الرِّضَا بِالْقُوتِ؛ وَمَنِ اقْتَصَرَ عَلَى بُلْغَةِ الْكَفَافِ فَقَدِ انْتَظَمَ الرَّاحَةَ وَتَبَوَّأَ خَفْضَ الدَّعَةِ؛ وَالرَّغْبَةُ مِفْتَاحُ النَّصَبِ وَمَطِيَّةُ التَّعَبِ؛ وَالْحِرْصُ وَالْكِبْرُ وَالْحَسَدُ دَوَاعٍ إِلَى التَّقَحُّمِ فِي الذُّنُوبِ؛ وَالشَّرُّ جَامِعُ مَسَاوِي الْعُيُوبِ.

و قال عليه السلام: لا شرف اعلى من الاسلام: و ذلك لاستلزامه شرف الدارين. ولا

عزّ اعزّ من التقوى: لاستلزامها دوام العزّة فيهما. ولا معقل احصن من الورع: للتحرّز به عن أشدالمخاوف في الآخرة، و من مذام الرذائل في الدنيا و لوازمها، والورع: لزوم الاعمال الجميلة، والمعقل: الحصن. و لا شفيع انجح من التوبة: لاستلزامها العفو عن المجرم جرماً دون سائرالشفعاء. ولا كنز أغنى من القناعة: لانّها غنى النفس الذى لا حاجة معه. ولا مال اذهب للفاقة من الرضا بالقوت: و هوالقناعة او لازمها. و من اقتصر على بُلغة الكفاف فقد انتظم الراحة، اى: البلغة التى تكف عن الناس، و انتظم الراحة: دخل فى سلكها. وتبوّأ خفض الدعة: اتّخذ لين الراحة مباءةً و مقاماً. والرغبة مفتاح النصب و مطيّة التعب: فاستعار لفظ المفتاح والمطيّة: للرغبة في الدنيا، لكونهما سببًا للمتاعب فيها. والحرص والكبر والحسد، دَواعٍ الى التقحم في الذنوب، اى: الدخول فيها بسرعة. والشّر جامع مساوئ العيوب: لصدقه على جميعها كالجنس لها.

٣٥٣ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: لجابر بن عبدالله الأنصاريّ: يَا جَابِرُ، قِوَامُ الدُّنْيَا بِأَرْبَعَةٍ: عَالِمٍ مُسْتَعْمِلٍ عِلْمَهُ، وَجَاهِلٍ لَا يَسْتَنْكِفُ أَنْ يَتَعَلَّمَ، وَجَوَادٍ لَا يَبْخَلُ بِمَعْرُوفِهِ، وَفَقِيرٍ لَا يَبِيعُ آخِرَتَهُ بِدُنْيَاهُ؛ فَاذَا ضَيَّعَ الْعَالِمُ عِلْمَهُ اسْتَنْكَفَ الْجَاهِلُ أَنْ يَتَعَلَّمَ؛ وَإِذَا بَخِلَ الْغَنِيُّ بِمَعْرُوفِهِ بَاعَ الْفَقِيرُ آخِرَتَهُ بِدُنْيَاهُ. يَا جَابِرُ، مَنْ كَثُرَتْ نِعَمُ اللهِ عَلَيْهِ كَثُرَتْ حَوَائِجُ النَّاسِ إِلَيْهِ؛ فَمَنْ قَامَ لِلّهِ فِيهَا بِمَا يَجِبُ فِيهَا عَرَّضَهَا لِلدَّوَامِ وَالْبَقَاءِ، وَمَنْ لَمْ يَقُمْ فِيهَا بِمَا يَجِبُ عَرَّضَهَا لِلزَّوَالِ وَالْفَنَاءِ.

فاستعمال علمه: عمله على وفقه. و اشار بقوله: عالم، الى قوله: بدنياه الى ما به قوام الناس و صلاح حالهم فى معاشهم، و معادهم من الفضائل. و الى ضدّ ذلك المستلزم حالهم من الرذائل، و قيام العبد بما يجب لله فى نعمته عليه الشكر عليها و صرفها فى مصارفها الشرعيّة، و عدم قيامه فيها بذلك كفواتها و منعها عن وجوهها.

٣٥٤ - و رَوَىَ ابنُ جريرِ الطبريّ فى تأريخِهِ عن عبدالرّحمن بن أبى ليلى الفقيه. وكان مِمَّنْ خَرَجَ لقتالِ الحجّاج مع آبنِ الأشعث. أنّه قال فيما كان يُحُضُّ بِهِ الناسَ على الجهاد: إني سمعت أميرالمؤمنين على بن ابى طالب عليه السلام يقول يوم لَقِينا

أهلَ الشّام:

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ؛ إِنَّهُ مَنْ رَأَى عُدْوَانًا يُعْمَلُ بِهِ وَ مُنْكَرًا يُدْعَى إِلَيْهِ فَأَنْكَرَهُ بِقَلْبِهِ فَقَدْ سَلِمَ وَبَرِىءَ؛ وَ مَنْ أَنْكَرَهُ بِلِسَانِهِ فَقَدْ أُجِرَ وَ هُوَ أَفْضَلُ مِنْ صَاحِبِهِ وَ مَنْ أَنْكَرَهُ بِالسَّيْفِ لِتَكُونَ (كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا) وَ كَلِمَةُ الظَّالِمِينَ هِيَ السُّفْلَى فَذَلِكَ الَّذِي أَصَابَ سَبِيلَ الْهُدَى، وَ قَامَ عَلَى الطَّرِيقِ، وَنَوَّرَ فِي قَلْبِهِ الْيَقِينُ.[1]

وقد قال في كلامٍ له ـعليه السلام ـ غير هذا يجرى هذا المجرىٰ.

۳۵۵ ـ فَمِنْهُمُ الْمُنْكِرُ لِلْمُنْكَرِ بِيَدِهِ وَلِسَانِهِ وَقَلْبِهِ فَذَلِكَ الْمُسْتَكْمِلُ لِخِصَالِ الْخَيْرِ، وَمِنْهُمُ الْمُنْكِرُ بِلِسَانِهِ وَقَلْبِهِ وَ التَّارِكُ بِيَدِهِ فَذَلِكَ مُتَمَسِّكٌ بِخَصْلَتَيْنِ مِنْ خِصَالِ الْخَيْرِ وَ مُضَيِّعٌ خَصْلَةً؛ وَ مِنْهُمُ الْمُنْكِرُ بِقَلْبِهِ وَ التَّارِكُ بِيَدِهِ وَ لِسَانِهِ فَذَلِكَ الَّذِي ضَيَّعَ أَشْرَفَ الْخَصْلَتَيْنِ مِنَ الثَّلَاثِ وَتَمَسَّكَ بِوَاحِدَةٍ، وَمِنْهُمْ تَارِكٌ لِإِنْكَارِ الْمُنْكَرِ بِلِسَانِهِ وَقَلْبِهِ وَيَدِهِ فَذَلِكَ مَيِّتُ الْأَحْيَاءِ. وَمَا أَعْمَالُ الْبِرِّ كُلُّهَا وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ عِنْدَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ إِلَّا كَنَفْثَةٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ، وَ إِنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ لَايُقَرِّبَانِ مِنْ أَجَلٍ، وَلَا يَنْقُصَانِ مِنْ رِزْقٍ، وَ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ كَلِمَةُ عَدْلٍ عِنْدَ إِمَامٍ جَائِرٍ.

اقول: الضمير في «انّه قال» راجع الى ابن الاشعث. و سلم: برئ من الإثم. و اشار بقوله: ليكون (كلمة الله هى العليا) الى شرط اصابته سبيل الهدى دون عرض آخر فى انكار المنكر. و استعار لفظ الميّت: لتارك الأمر بالمعروف مطلقاً باعتبار خلوّه عن جميع خصال الخير التى يستلزمها. و وجه شبه اعمال البرّ بالنفثة كون اعمال البرّ خزينة تحت الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، و داخلة فيهما و قليلة جدًا بالنسبة اليهما كالنفثة في البحر.

۳۵٦ ـ (وَ عن أبي جُحَيْفَةَ قال: سمعتُ أميرَ المؤمنين عليه السلام يقول) أَوَّلُ مَا تُغْلَبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْجِهَادِ الْجِهَادُ بِأَيْدِيكُمْ ثُمَّ بِأَلْسِنَتِكُمْ ثُمَّ بِقُلُوبِكُمْ، فَمَنْ لَمْ يَعْرِفْ بِقَلْبِهِ مَعْرُوفًا

۱ ـ تاريخ الطبرى ۲۱/۸ حوادث سنة ۸۳.

وَلَمْ يُنْكِرْ مُنْكَرًا قُلِبَ فَجُعِلَ أَعْلاَهُ أَسْفَلَهُ وَ أَسْفَلُهُ أَعْلاَهُ.

و معنى عليهم على الجهاد بقلوبهم: انّهم اذا غلبوا عنه بأيديهم و ألسنتهمَ اِلفوا المنكر، و اعتادوا الانقهار عن انكاره فزال من قلوبهم، و لم يبق لها انكاره، و استعار وصف القلب: لانتكاس عقله فى مهاوى الرذائل.

۳۵۷ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: إِنَّ الْحَقَّ ثَقِيلٌ مَرِىءٌ، و إِنَّ الْبَاطِلَ خَفِيفٌ وبِىءٌ.

اى : مهلكٌ عندالله.

۳۵۸ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: لَا تَأْمَنَنَّ عَلَى خَيْرِ هٰذِهِ الْأُمَّةِ عَذَابَ اللهِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: (فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ)[1] وَلَا تَيْأَسَنَّ لِشَرِّ هٰذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ رَوْحِ اللهِ لقوله تعالى (انّه لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ)[2].

فاستعار لفظ المكر لامهال الله، ثم اخذه على غرّة و هو: صورة مكر و خداع.

۳۵۹ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: الْبُخْلُ جَامِعٌ لِمَسَاوِى الْعُيُوبِ، وَهُوَ زِمَامٌ يُقَادُ بِهِ إِلَى كُلِّ سُوءٍ.

و ذلك لانّه يستلزم الجهل بمواضع بذل المال و وضعه فيها. والفجور: العبور فى تحصيله عن فضيلة شهوته و هى العفّة الى طرف الافراط والجبن، لانّ البخيل بماله أبخل بنفسه. والظلم والانظلام و هو ظاهر، و هذه الرذائل الاربع امهات العيوب والرذائل، و تحتها رذائل كثيرة كالانواع لها كالحرص، والحسد والكذب والشّره و دناءة الهمّة والغدر والخيانة و قطع الرحم و عدم المواساة، و كلها لوازم البخل و توابعه، والاستقراء يحقّق صِدْقَهُ عليه السلام.

۳٦۰ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: الرِّزْقُ رِزْقَانِ: رِزْقٌ تَطْلُبُهُ، وَ رِزْقٌ يَطْلُبُكَ فَإِنْ لَمْ تَأْتِهِ أَتَاكَ ، فَلاَ تَحْمِلْ هَمَّ سَنَتِكَ عَلَى هَمِّ يَوْمِكَ ! كَفَاكَ كُلُّ يَوْمٍ عَلَى مَا فِيهِ، فَإِنْ تَكُنِ السَّنَةُ مِنْ عُمُرِكَ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى جَدُّهُ سَيُؤْتِيكَ فِى كُلِّ غَدٍ جَدِيدٍ مَا قَسَمَ لَكَ ، وَ إِنْ لَمْ تَكُنِ السَّنَةُ

۱ - سورة الاعراف/ ۹۹. ۲ - سورة يوسف / ۷۸.

مِنْ عُمُرِكَ فَمَا تَصْنَعُ بِالْهَمِّ بِمَا لَيْسَ لَكَ، وَلَنْ يَسْبِقَكَ إِلَى رِزْقِكَ طَالِبٌ، وَلَنْ يَغْلِبَكَ عَلَيْهِ غَالِبٌ، وَلَنْ يُبْطِيءَ عَنْكَ مَا قَدْ قُدِّرَ لَكَ.

و قد مضى هذا الكلام فيما تقدّم من هذا الباب الّا انّه هاهنا اوضحُ و اشرحُ، فلذلك كرّرناه على القاعدة المقررة فى اوّل الكتاب. قوله: فيه، اى: فى يومك. والفصل واضح، و قد سبق مثله شرحاً.

۳٦۱ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: رُبَّ مُسْتَقْبِلٍ يَوْمًا لَيْسَ بِمُسْتَدْبِرِهِ، وَ مَغْبُوطٍ فِي أَوَّلِ لَيْلِهِ قَامَتْ بَوَاكِيهِ فِي آخِرِهِ.

۳٦۲ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: الْكَلَامُ فِي وِثَاقِكَ مَا لَمْ تَتَكَلَّمْ بِهِ فَإِذَا تَكَلَّمْتَ بِهِ صِرْتَ فِي وِثَاقِهِ، فَاخْزُنْ لِسَانَكَ كَمَا تَخْزُنُ ذَهَبَكَ وَ وَرِقَكَ، فَرُبَّ كَلِمَةٍ سَلَبَتْ نِعْمَةً وَ جَلَبَتْ نِقْمَةً.

فالوثاق: الحبل. و لفظه مستعار.

۳٦۳ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: لَا تَقُلْ مَا لَا تَعْلَمُ بَلْ لَا تَقُلْ كُلَّ مَا تَعْلَمُ فَإِنَّ اللهَ فَرَضَ عَلَى جَوَارِحِكَ كُلِّهَا فَرَائِضَ يَحْتَجُّ بِهَا عَلَيْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

اراد فرض عليك فى جوارحك: لانّ الانسان هوالمكلّف بالفرض.

۳٦٤ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: إِحْذَرْ أَنْ يَرَاكَ اللهُ عِنْدَ مَعْصِيَتِهِ وَيَفْقِدَكَ عِنْدَ طَاعَتِهِ؛ فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ، وَإِذَا قَوِيتَ فَاقْوَ عَلَى طَاعَةِ اللهِ، وَإِذَا ضَعُفْتَ فَاضْعُفْ عَنْ مَعْصِيَةِ اللهِ.

و هو ظاهر.

۳٦٥ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام

الرُّكُونُ إِلَى الدُّنْيَا مَعَ مَا تُعَايِنُ مِنْهَا جَهْلٌ، وَالتَّقْصِيرُ فِي حُسْنِ الْعَمَلِ إِذَا وَثِقْتَ

بِالثَّوابِ عَلَيْهِ غَبْنٌ، وَالطُّمَأْنِينَةُ إلىَ كُلِّ أَحَدٍ قَبْلَ الإخْتِبارِ عَجْزٌ.

اراد بما تعاين منها من التغيّر والزوال، وجهله بما ينبغي له مع ذلك من الحذر والاستعداد للامور الثابتة الباقية في الآخرة. والتقصير في حسن العمل: غبن، لانّه تَرْكُ خيرٍ كثيرٍ لعملٍ يسير، والعجز في الطمأنينة الى كُلّ أحدٍ، اى: عن البحث عمّن ينبغي السكون اليه والنفرة عنه.

٣٦٦ - وَقالَ عَلَيْهِ السَّلام: مِنْ هَوانِ الدُّنْيا عَلَى اللهِ أَنَّهُ لايُعْصَى إلّا فِيها، وَلايُنالُ ماعِنْدَهُ إلّا بِتَرْكِها.

٣٦٧ - وَقالَ عَلَيْهِ السَّلام: مَنْ طَلَبَ شَيْئاً نالَهُ أَوْ بَعْضَهُ.

اى: غالبًا و في المعتاد.

٣٦٨ - وَقالَ عَلَيْهِ السَّلام: ماخَيْرٌ بِخَيْرٍ بَعْدَهُ النّارُ، وَماشَرٌّ بِشَرٍّ بَعْدَهُ الجَنَّةُ، وَكُلُّ نَعِيمٍ دُونَ الجَنَّةِ فَهُوَ مَحْقُورٌ، وَكُلُّ بَلاءٍ دُونَ النّارِ عافِيَةٌ.

اراد: ما خير بعده النار يستحق ان يسمّى خيراً، و ما شرّ بعده الجنة ينبغي انْ يَعدّ شرّاً.

٣٦٩ - وَقالَ عَلَيْهِ السَّلام: أَلا وَإنَّ مِنَ الْبَلاءِ الْفاقَةَ، وَأَشَدُّ مِنَ الْفاقَةِ مَرَضُ الْبَدَنِ، وَأَشَدُّ مِنْ مَرَضِ الْبَدَنِ مَرَضُ الْقَلْبِ. أَلا وَإنَّ مِنَ النِّعَمِ سَعَةُ الْمالِ وَأَفْضَلُ مِنْ سَعَةِ الْمالِ صِحَّةُ الْبَدَنِ، وَأَفْضَلُ مِنْ صِحَّةِ الْبَدَنِ تَقْوَى الْقَلْبِ.

فالتفاوت بين مرض البدن، و مرض القلب: بالرذائل بالشدّة والضعف بحسب تفاوت غايتهما، وهوالموت المحسوس والموت المعقول: و ما يلزمهما من الشدّة والعذاب و ما يفوت بسببهما من العاقبة والحسّية العقلية[1].

١ - في ش هكذا: من العاقبة الحسيّة والعقلية.

٣٧٠ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: لِلْمُؤْمِنِ ثَلاَثُ سَاعَاتٍ: فَسَاعَةٌ يُنَاجِي فِيهَا رَبَّهُ؛ وَسَاعَةٌ يَرُمُّ مَعَاشَهُ؛ وَسَاعَةٌ يُخَلِّي بَيْنَ نَفْسِهِ وَبَيْنَ لَذَّتِهَا فِيمَا يَحِلُّ وَيَجْمُلُ وَلَيْسَ لِلْعَاقِلِ أَنْ يَكُونَ شَاخِصاً إِلَّا فِي ثَلاَثٍ: مَرَمَّةٍ لِمَعَاشٍ؛ أَوْ خُطْوَةٍ فِي مَعَادٍ؛ أَوْ لَذَّةٍ فِي غَيْرِ مُحَرَّمٍ.

قسم زمان المؤمن الى اقسامه الثلاثة التى ينبغى له بحسب مقتضى الحكمة العملية. و رمّ المعاش: اصلاحه و يجمل: يحسن. والشّاخص: الذاهب من بلدٍ الى بلد.

٣٧١ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُبَصِّرْكَ اللهُ عَوْرَاتِهَا، وَلَا تَغْفُلْ فَلَسْتَ بِمَغْفُولٍ عَنْكَ!

الزهد فى الشئ مستلزم لادراك عيوبه: لانّ حبّك الشىء يُعمى ويُصِمّ.

٣٧٢ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: تَكَلَّمُوا تُعْرَفُوا؛ فَإِنَّ الْمَرْءَ مَخْبُوءٌ تَحْتَ لِسَانِهِ.

و قد مرّ مفسّراً.

٣٧٣ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: خُذْ مِنَ الدُّنْيَا مَا أَتَاكَ، وتَوَلَّ عَمَّا تَوَلَّى عَنْكَ فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ فَأَجْمِلْ فِي الطَّلَبِ.

فامر بالقناعة[1] ثم بالاجمال فى طلب الدنيا ان لم يكن القناعة و هو طلبها من الوجه الذى ينبغى، و على الوجه الجميل الّذى ينبغى.

٣٧٤ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: رُبَّ قَوْلٍ أَنْفَذُ مِنْ صَوْلٍ.

اى: قد يبلغ الانسان بالقول ما لا يبلغه بالشدّة والصولة، فيكون القولُ انفذَ فى غَرَضِهِ، ويُضربُ مَثَلاً للرفق واللين الذى يبلغ به مالا يبلغ بالعنف[2].

٣٧٥ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: كُلُّ مُقْتَصَرٍ عَلَيْهِ كَافٍ.

---

١ ـ في ش: اولا.

٢ ـ هذا الشرح بكامله غير موجود في نسخة ش.

اى: مما يمكن الاقتصار عليه، و فيه جذب الى القناعة.

۳۷۶ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام:

الْمَنِيَّةُ وَلَا الدَّنِيَّةُ! وَالتَّقَلُّلُ وَلَا التَّوَسُّلُ، وَ مَنْ لَمْ يُعْطَ قَاعِدًا لَمْ يُعْطَ قَائِمًا. وَالدَّهْرُ يَوْمَانِ: يَوْمٌ لَكَ، وَ يَوْمٌ عَلَيْكَ؛ فَإِذَا كَانَ لَكَ فَلَا تَبْطَرْ، وَ إِذَا كَانَ عَلَيْكَ فَاصْبِرْ!

و قال عليه السلام: المنيّة ولا الدنيّة، اى: تحتمل المنيّة و لا تحتمل الدنيّة. و قيل: المنيّة مبتدأ دلّ على خبره، قوله و لا الدنيّة، اى: اسهل من ركوب الدنيّة، و هى: الأمرالخسيس يرتكب فى طلب الدنيا. و التقلّل ولا التوسل اى: الى اهل الدنيا فى طلبها. و من لم يُعط قاعداً لم يُعط قائماً،فكنّى بالقعود عن: الطلب السهل، و بالقيام عن: التعسّف فى الطلب، اى: من لم يرزق بالطلب السهل لم ينفعه التّشديد، والتعسّف فى طلبه، والحكم اكثرىّ. و قيل: اراد من لم يرزق الشىء فى نفس الامر لم تنفعه الحركة فيه. والدهر يومان، يوم لك، و يوم عليك، فاذا كان لك فلا تبطر، و اذا كان عليك فاصبر. والبطر: تجاوزالحدّ.

۳۷۷ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: مُقَارَبَةُ النَّاسِ فى أَخْلَاقِهِمْ أَمْنٌ مِنْ غَوَائِلِهِمْ.

اى: يستلزم الأمن منها. والغائلة: الحقد.

۳۷۸ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: لبعض مُخاطبيه ـ و قد تكلم بكلمةٍ يُسْتَصْغَرُ مِثْلُهُ عَن قولِ مِثْلِها ـ: لَقَدْ طِرْتَ شَكِيرًا، وَهَدَرْتَ سَقْبًا.

قال السيد رحمه الله: والشّكير هاهنا: اوّل ما يَنبُتُ من ريشِ الطّائر قبلَ انْ يَقوى ويَسْتَحْصِف. والسّقْبُ: الصغيرُ من الإبِل ولا يهدِرُ الّا بعد أنْ يَسْتَفْحِلَ.

و اقول: الشكير هوالفرخ قبل النهوض، و استعار لفظى الشكير، والسقب: باعتبار صغر قدره عمّا تكلّم به. و وصف الطيران والهدير له: باعتبار نهوضه الى كلامٍ ليس من شأنه.

٣٧٩ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: مَنْ أَوْمَأَ إلَى مُتَفَاوِتٍ خَذَلَتْهُ الْحِيَلُ.

اراد بالمتفاوت التى يتعذّر اجتماعها و يضعف الوسع عن تحصيلها فى العادة. واستعار وصف الخذلان لعدم مواتاة الحيل له فيما يرومه من ذلك.

٣٨٠ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: وَقَدْ سُئِلَ عَنْ مَعْنَى قَوْلِهِمْ «لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إلَّا بِاللهِ»ـ إنَّا لَا نَمْلِكُ مَعَ اللهِ شَيْئاً، وَ لَا نَمْلِكُ إلَّا مَا مَلَّكَنَا فَمَتَى مَلَّكَنَا مَا هُوَ أَمْلَكُ بِهِ مِنَّا كَلَّفَنَا وَمَتَى أَخَذَهُ مِنَّا وَضَعَ تَكْلِيفَهُ عَنَّا.

٣٨١ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلامُ لِعمّار بن ياسر ـ رحمه الله ـ ، وقد سَمِعَهُ يراجعُ المغيرة بن شعبة كلاماً: دَعْهُ يَا عَمَّارُ، فَإِنَّهُ لَمْ يَأْخُذْ مِنَ الدِّينِ إلَّا مَا قَارَبَهُ مِنَ الدُّنْيَا، وَ عَلَى عَمْدٍ لَبَّسَ عَلَى نَفْسِهِ لِيَجْعَلَ الشُّبُهَاتِ عَاذِرًا لِسَقَطَاتِهِ.

اراد انّه لا يعمل من الدّين الّا بما يستلزم دُنْياً و يقرب منها. و سقطاته زلّاته.

٣٨٢ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: مَا أَحْسَنَ تَوَاضُعَ الْأَغْنِيَاءِ لِلْفُقَرَاءِ طَلَبًا لِمَا عِنْدَ اللهِ! وَأَحْسَنُ مِنْهُ تِيهُ الْفُقَرَاءِ عَلَى الْأَغْنِيَاءِ اتِّكَالاً عَلَى اللهِ.

و فيه تنبيه على انّ التّيه له موضع يحسن فيه.

٣٨٣ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: مَا اسْتَوْدَعَ اللهُ امْرَأً عَقْلاً إلَّا اسْتَنْقَذَهُ بِهِ يَوْمًا مَّا!

اى: يكون سببًا لخلاصه من بلاءٍ دنيويّ و اخرويّ.

٣٨٤ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: مَنْ صَارَعَ الْحَقَّ صَرَعَهُ.

فمصارعة الحق: مغالبته، و مقاومته، والحقّ اكثر اعواناً و اعزّ انصاراً.

٣٨٥ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: الْقَلْبُ مُصْحَفُ الْبَصَرِ.

فاستعار لفظ المصحف: للقلب باعتبار انتقاشه بصور ما ينبغى التكلّم به فى لوح

الخيال، و ادراك الحسّ المشترك له من باطن فهو كالمصحف يقرأ منه.

٣٨٦ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: التُّقَى رَئِيسُ الْأَخْلَاقِ.

لِأَفضليّته على جميعها باستلزامه السعادة الابديّة دون كُلّ فردٍ فردٍ منها.

٣٨٧ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: لَا تَجْعَلَنَّ ذَرَبَ لِسَانِكَ عَلَى مَنْ أَنْطَقَكَ؛ وَ بَلَاغَةَ قَوْلِكَ عَلَى مَنْ سَدَّدَكَ.

و هو كالمثل يضرب لمن يحصل من الانسان علمًا او ادباً، فيستعين بذلك على مخاصمته. ذرب اللسان: حدّته.

٣٨٨ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: كَفَاكَ أَدَبًا لِنَفْسِكَ اجْتِنَابُ مَا تَكْرَهُهُ مِنْ غَيْرِكَ.

اراد بما يكرهه من غيره من الرذائل، و اجتنابها نعم الأدب، و نفرّ عنها بكونها مكروهةً له.

٣٨٩ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: مَنْ صَبَرَ صَبْرَ الْأَحْرَارِ، وَ إِلَّا سَلَا سُلُوَّ الْأَغْمَارِ.

و في خبرٍ آخر أنّه ـ عليه السلام ـ قال للأشعث بن قيسٍ مُعَزِّيًا:

إِنْ صَبَرْتَ صَبْرَ الْأَكَارِمِ، وَ إِلَّا سَلَوْتَ سُلُوَّ الْبَهَائِمِ.

والاغمار جمع غمر: و هوالجاهل.

٣٩٠ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: في صفة الدنيا: تَغُرُّ وَ تَضُرُّ وَ تَمُرُّ.

إِنَّ اللهَ تَعَالَى لَمْ يَرْضَهَا ثَوَابًا لِأَوْلِيَائِهِ، وَلَا عِقَابًا لِأَعْدَائِهِ، وَإِنَّ أَهْلَ الدُّنْيَا كَرَكْبٍ بَيْنَاهُمْ حَلُّوا إِذْ صَاحَ سَائِقُهُمْ فَارْتَحَلُوا.

اراد تضرّ لمحبتها، و تغرّ بزينتها، و تمرّ بفراقها من المرارة.

٣٩١ ـ وقال لابنه الحسن عليه السلام: لَا تُخَلِّفَنَّ وَرَاءَكَ شَيْئًا مِنَ الدُّنْيَا؛ فَإِنَّكَ

تُخَلِّفُهُ لِأَحَدِ رَجُلَيْنِ: إِمَّا رَجُلٌ عَمِلَ فِيهِ بِطَاعَةِ ٱللّٰهِ فَسَعِدَ بِمَا شَقِيتَ بِهِ، وَ إِمَّا رَجُلٌ عَمِلَ فِيهِ بِمَعْصِيَةِ ٱللّٰهِ فَكُنْتَ عَوْنًا لَهُ عَلَى مَعْصِيَتِهِ؛ وَ لَيْسَ أَحَدُ هٰذَيْنِ حَقِيقًا أَنْ تُؤْثِرَهُ عَلَى نَفْسِكَ.

(وَيُروىٰ هذا الكلامُ علىٰ وجهٍ آخر وهو)

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الَّذِي فِي يَدِكَ مِنَ الدُّنْيَا قَدْ كَانَ لَهُ أَهْلٌ قَبْلَكَ، وَ هُوَ صَائِرٌ إِلَى أَهْلٍ بَعْدَكَ؛ وَ إِنَّمَا أَنْتَ جَامِعٌ لِأَحَدِ رَجُلَيْنِ: رَجُلٌ عَمِلَ فِيمَا جَمَعْتَهُ بِطَاعَةِ ٱللّٰهِ فِيهِ فَسُعِدَ بِمَا شَقِيتَ بِهِ: أَوْ رَجُلٌ عَمِلَ فِيْهِ بِمَعْصِيَةِ ٱللّٰهِ فَشَقِيَ بِمَا جَمَعْتَ لَهُ، وَلَيْسَ أَحَدُ هٰذَيْنِ أَهْلاً أَنْ تُؤْثِرَهُ عَلَى نَفْسِكَ وَلَا أَنْ تَحْمِلَ لَهُ عَلَى ظَهْرِكَ فَارْجُ لِمَنْ قَدْ مَضَى رَحْمَةَ ٱللّٰهِ، وَ لِمَنْ بَقِيَ رِزْقَ ٱللّٰهِ.

ويروى هذاالكلام على وجه آخر و هو:

امّا بعد: فإن الذي في يديك من الدنيا ...

والفصل من أحسن الآداب في بذل المال.

٣٩٢ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ (لقائلٍ قالَ بحضرتِهِ «أَسْتَغْفِرُ ٱللّٰهَ») ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ أَتَدْرِي مَا الاِسْتِغْفَارُ؟ الاِسْتِغْفَارُ دَرَجَةُ الْعِلِّيِّينَ، وَ هُوَ اسْمٌ وَاقِعٌ عَلَى سِتَّةِ مَعَانٍ: أَوَّلُهَا النَّدَمُ عَلَى مَا مَضَى، وَالثَّانِي: الْعَزْمُ عَلَى تَرْكِ الْعَوْدِ إِلَيْهِ أَبَدًا، وَالثَّالِثُ: أَنْ تُؤَدِّيَ إِلَى الْمَخْلُوقِينَ حُقُوقَهُمْ حَتَّى تَلْقَى ٱللّٰهَ أَمْلَسَ لَيْسَ عَلَيْكَ تَبِعَةٌ، وَالرَّابِعُ: أَنْ تَعْمِدَ إِلَى كُلِّ فَرِيضَةٍ عَلَيْكَ ضَيَّعْتَهَا فَتُؤَدِّيَ حَقَّهَا، وَالْخَامِسُ: أَنْ تَعْمِدَ إِلَى اللَّحْمِ الَّذِي نَبَتَ عَلَى السُّحْتِ فَتُذِيبَهُ بِالْأَحْزَانِ حَتَّى تُلْصِقَ الْجِلْدَ بِالْعَظْمِ وَيَنْشَأَ بَيْنَهُمَا لَحْمٌ جَدِيدٌ، وَالسَّادِسُ: أَنْ تُذِيقَ الْجِسْمَ أَلَمَ الطَّاعَةِ كَمَا أَذَقْتَهُ حَلَاوَةَ الْمَعْصِيَةِ، فَعِنْدَ ذٰلِكَ تَقُولُ: «أَسْتَغْفِرُ ٱللّٰهَ».

اقول: لمّا كان الاستغفار هو طلب المغفرة، و كان الطلب بدون التّوبة والعمل للمطلوب حمقًا كما اشار اليه فيما قبل،كانت الأمور المذكورة من اللوازم التى ينبغي للاستغفار فعبّر بها عنه. و استعار لفظ الأملس: لنقّى الصحيفة من الإثم.

٣٩٣ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الْحِلْمُ عَشِيرَةٌ.

فاستعار لفظ العشيرة: باعتبار انّه يحمى صاحبه و يجنبه الأذى ممّن يُنافِرُهُ و يعُاديه.

۳۹٤ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: مِسْكِينٌ ابْنُ آدَمَ: مَكْتُومُ الْأَجَلِ، مَكْنُونُ الْعِلَلِ، مَحْفُوظُ الْعَمَلِ، تُؤْلِمُهُ الْبَقَّةُ، وَتَقْتُلُهُ الشَّرْقَةُ، وَتُنْتِنُهُ الْعَرْقَةُ.

فالعلل الأمراض والأعراض والصفات المذكورة: وجوه المسكنة والضعف.

۳۹۵ ـ (وروى أنّهُ عليه السلام كان جالساً في أصحابِهِ، فمّرتْ بِهِمُ امرأةٌ جميلةٌ فَرَمَقَها القومُ بأبصارِهم) فقال عليه السلام: إنَّ أَبْصَارَ هٰذِهِ الْفُحُولِ طَوَامِحُ، وَ إنَّ ذٰلِكَ سَبَبُ هَبابِهَا، فَإذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إلَى امْرَأَةٍ تُعْجِبُهُ فَلْيُلَامِسْ أَهْلَهُ: فَإنَّمَا هِيَ امْرَأَةٌ كَامْرَأَةٍ،(فقال رَجُلٌ من الخوارج «قَاتَلَهُ اللهُ كافراً ما أَفْقَهَهُ» «فوثب القوم ليقتلوه»)فقال عليه السلام: رُوَيْدًا إنَّمَا هُوَ سَبٌّ بِسَبٍّ أَوْ عَفْوٌ عَنْ ذَنْبٍ!

والرمق: النظر. وطموح البصر: ارتفاعه. والهبيب، والهباب: صوت التّيس عند هياجه. والكلام واضح.

۳۹٦ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: كَفَاكَ مِنْ عَقْلِكَ مَا أَوْضَحَ لَكَ سبيلَ غَيِّكَ مِنْ رُشْدِكَ.

فاشار الى غاية العقل العملي.

۳۹۷ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: افْعَلُوا الْخَيْرَ وَلَا تَحْقِرُوا مِنْهُ شَيْئاً فَإنَّ صَغِيرَهُ كَبِيرٌ وَقَلِيلَهُ كَثِيرٌ، وَلَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ إنَّ أَحَدًا أَوْلَى بِفِعْلِ الْخَيْرِ مِنِّي فَيَكُونَ وَاللهِ كَذٰلِكَ. إنَّ لِلْخَيْرِ وَالشَّرِّ أَهلاً فَمَهْمَا تَرَكْتُمُوهُ مِنْهُمَا كَفَاكُمُوهُ أَهْلُهُ.

قوله: فيكون والله كذلك لانّ ذلك القول من التارك ربّما يكون باعثاً لمن تُوُسِّمَ فيه فِعلُ الخير. و نسبه اليه فيصدق قوله، و ظنّه بفعله فيكون اولى به منه.

۳۹۸ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: مَنْ أَصْلَحَ سَرِيرَتَهُ أَصْلَحَ اللهُ عَلَانِيَتَهُ، وَمَنْ عَمِلَ لِدِينِهِ كَفَاهُ اللهُ أَمْرَ دُنْيَاهُ، وَمَنْ أَحْسَنَ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ كَفَاهُ اللهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ.

لأنّ احوال الظاهرة كالثّمرات والآثار للأحوال الباطنة، و صلاحها، و فسادها تابعان لصلاح الباطن و فساده.

٣٩٩ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: الْحِلْمُ غِطَاءٌ سَاتِرٌ، وَالْعَقْلُ حُسَامٌ قَاطِعٌ، فَاسْتُرْ خَلَلَ خُلُقِكَ بِحِلْمِكَ، وَقَاتِلْ هَوَاكَ بِعَقْلِكَ.

فاستعار لفظ الغطاء: للحلم لستره رذائل الاخلاق. و لفظ الحسام: للعقل لقهر النفس الامّارة[1] به.

٤٠٠ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: إِنَّ لِلّهِ عِبَادًا يَخْتَصُّهُمْ بِالنِّعَمِ لِمَنَافِعِ الْعِبَادِ فَيُقِرُّهَا فِي أَيْدِيهِمْ مَا بَذَلُوهَا، فَإِذَا مَنَعُوهَا نَزَعَهَا مِنْهُمْ ثُمَّ حَوَّلَهَا إِلَى غَيْرِهِمْ.

٤٠١ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: لَا يَنْبَغِي لِلْعَبْدِ أَنْ يَثِقَ بِخَصْلَتَيْنِ: الْعَافِيَةِ، وَالْغِنَى، بَيْنَا تَرَاهُ مُعَافًى إِذْ سَقِمَ، وَبَيْنَا تَرَاهُ غَنِيًّا إِذِ افْتَقَرَ.

نفرّ عن الثقة بهما، لاستلزامهما الغفلة عن الآخرة بضمير صغراه، قوله بينا تراه الى آخره.

٤٠٢ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: مَنْ شَكَا الْحَاجَةَ إِلَى مُؤْمِنٍ فَكَأَنَّهُ شَكَاهَا إِلَى اللهِ، وَمَنْ شَكَاهَا إِلَى كَافِرٍ فَكَأَنَّمَا شَكَا اللهَ.

و ذلك انّ المؤمن حبيبُ الله فالشّكاية اليه كالشكاية الى الله، و هو فى معرض ان يكون وسيلةً الى الله فى قضاء الحاجة. والكافر عدوّالله فالشكاية اليه تُشبهُ شكايةَ الله الى عدوّه، اذ هو مبدأُ الحاجة والغنى.

٤٠٣ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام فى بعض الأعياد: إِنَّمَا هُوَ عِيدٌ لِمَنْ قَبِلَ اللهُ صِيَامَهُ وَشَكَرَ قِيَامَهُ، وَكُلُّ يَوْمٍ لَا يُعْصَى اللهُ فِيهِ فَهُوَ عِيدٌ.

٤٠٤ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: إِنَّ أَعْظَمَ الْحَسَرَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَسْرَةُ رَجُلٍ كَسَبَ مَالًا

---

١ ـ في ش بزيادة: بالسّوء.

فِي غَيْرِ طَاعَةِ ٱللهِ فَوَرِثَهُ رَجُلٌ فَأَنْفَقَهُ فِي طَاعَةِ ٱللهِ سُبْحَانَهُ فَدَخَلَ بِهِ الْجَنَّةَ وَ دَخَلَ الْأَوَّلُ بِهِ النَّارَ.

كون ذلك اعظم الحسرات لعدم انتفاعه بماله و عذابه في الآخرة و مشاهدته[1] لانتفاع غيره به.

٤٠٥ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: إِنَّ أَخْسَرَ النَّاسِ صَفْقَةً، وَ أَخْيَبَهُمْ سَعْيًا رَجُلٌ أَخْلَقَ بَدَنَهُ فِي طَلَبِ مَالِهِ، وَ لَمْ تُسَاعِدْهُ الْمَقَادِيرُ عَلَى إِرَادَتِهِ، فَخَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا بِحَسْرَتِهِ، وَقَدِمَ عَلَى الآخِرَةِ بِتَبِعَتِهِ.

و تبعته: آثامه التي يُطلب بها، و يتبَع فيها.

٤٠٦ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: الرِّزْقُ رِزْقَانِ: طَالِبٌ، وَ مَطْلُوبٌ، فَمَنْ طَلَبَ الدُّنْيَا طَلَبَهُ الْمَوْتُ حَتَّى يُخْرِجَهُ عَنْهَا، وَ مَنْ طَلَبَ الآخِرَةَ طَلَبَتْهُ الدُّنْيَا حَتَّى يَسْتَوْفِيَ رِزْقَهُ مِنْهَا.

فاستعار لفظ الطالب للرزق لانّه لابدّ من وصوله، فأشبه الطالب لصاحبه.

٤٠٧ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: إِنَّ أَوْلِيَاءَ ٱللهِ هُمُ الَّذِينَ نَظَرُوا إِلَى بَاطِنِ الدُّنْيَا إِذَا نَظَرَ النَّاسُ إِلَى ظَاهِرِهَا، وَٱشْتَغَلُوا بِآجِلِهَا إِذَا ٱشْتَغَلَ النَّاسُ بِعَاجِلِهَا، فَأَمَاتُوا مِنْهَا مَا خَشُوا أَنْ يُمِيتَهُمْ؛ وَ تَرَكُوا مِنْهَا مَا عَلِمُوا أَنَّهُ سَيَتْرُكُهُمْ وَرَأَوْا ٱسْتِكْثَارَ غَيْرِهِمْ مِنْهَا ٱسْتِقْلَالًا؛ وَدَرَكَهُمْ لَهَا فَوْتًا، أَعْدَاءُ مَا سَالَمَ النَّاسُ وَ سِلْمُ مَا عَادَى النَّاسُ! بِهِمْ عُلِمَ الْكِتَابُ وَ بِهِ عَلِمُوا وَ بِهِمْ قَامَ الْكِتَابُ وَ هُمْ بِهِ قَامُوا؛ لَا يَرَوْنَ مَرْجُوًّا فَوقَ مَا يَرْجُونَ وَلَا مَخُوفًا فَوْقَ مَا يَخَافُونَ.

فميّز اولياء الله بعشرِ صفاتٍ. و باطن الدنيا: حقيقتها. و عرض الحكمة الالٰهية فيها، و آجلها: ثواب العمل فيها الموعود في الآخرة. و ما اماتوا منها هو: نفوسهم الامّارة التي خافوا ان تغلبَ نفوسَهُمُ المطمئنةَ فتُهلكها، و استقلالاً اى: من الخير الّذى ينبغي طلبه وفوتًا له. و ما سالم الناس هو، الدنيا، و ما عادوه هي: الآخرة، و به علموا: لاشتهارهم

---

[1] ـ في ش: و بشهادته.

به، و قاموا اى: بما امرهم به.

٤٠٨ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: أُذْكُرُوا انْقِطاعَ اللَّذَّاتِ، وَبَقَاءَ التَّبِعَاتِ.

٤٠٩ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: أُخْبُرْ تَقْلِه.

قال السيّد رحمه الله: ومن الناس مَنْ يروي هذا للرسول صلى الله عليه وآله وسلم وممّا يقوى أنّه من كلام اميرالمؤمنين عليه السلام ماحكاه ثعلب عَنْ ابن الاعرابي، قال المأمون: لولا أنّ علياً قال «اخبر تقله» لقلت: اقْله تَخْبُرْ.

و قلاه: يقليه، و قليه يقلاء: ابغضه. والهاء مزيدة للسكت و هو: كالمثل يضرب لاستلزام اختبار الناس بعضهم، واجتنابهم لما هم عليه من الرذائل و ما ينكشفون عنه من قبح البواطن.

٤١٠ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: مَا كَانَ اللّهُ لِيَفْتَحَ عَلَى عَبْدٍ بَابَ الشُّكْرِ وَيُغْلِقَ عَنْهُ بَابَ الزِّيَادَةِ، وَلَا لِيَفْتَحَ عَلَى عَبْدٍ بَابَ الدُّعَاءِ وَيُغْلِقَ عَنْهُ بَابَ الإِجَابَةِ وَلَا لِيَفْتَحَ لِعَبْدٍ بَابَ التَّوْبَةِ وَيُغْلِقَ عَنْهُ بَابَ الْمَغْفِرَةِ.

فاشار الى استلزام امورٍ ثلاثةٍ، لأمورٍ ثلاثةٍ و تصديقها من القرآن الكريم.

٤١١ ـ وَسُئِلَ عَلَيْهِ السَّلام: أيما افضل: العدل، أوالجود؟ فقال عليه السلام: الْعَدْلُ يَضَعُ الْأُمُورَ مَوَاضِعَهَا، وَالْجُودُ يُخْرِجُهَا مِنْ جِهَتِهَا، وَالْعَدْلُ سَائِسٌ عَامٌّ، وَالْجُودُ عَارِضٌ خَاصٌّ، فالْعَدْلُ أَشْرَفُهُمَا وَ أَفْضَلُهُمَا.

٤١٢ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: النَّاسُ أَعْدَاءُ مَا جَهِلُوا.

و قد مرّ بيانه.

٤١٣ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: الزُّهْدُ كُلُّهُ بَيْنَ كَلِمَتَيْنِ مِنَ الْقُرْآنِ: قَالَ اللّهُ سُبْحَانَهُ.

(لِكَيْلاَ تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ، وَلاَ تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ)[1] وَ مَنْ لَمْ يَأْسَ عَلَى الْمَاضِي وَلَمْ يَفْرَحْ بِالآتِي،فَقَد أَخَذَ الزُّهْدَ بِطَرَفَيْهِ.

اقول: الاعراض عن الدنيا: بترك الأسف عليها، والفرح بها فى قوّةٍ خاصّةٍ مركّبة تلزم الزهد عَرَفَةً بها. و كنّى بأخذ الزهد بطرفَيهِ عن استكماله بمبدئه و غايته.

٤١٤ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: الْوِلاَيَاتُ مَضَامِيرُ الرِّجَالِ.

فاستعار لفظ المضامير و هى: الأمكنة التي يضمر فيها الخيل للسباق: للولايات لانّها مظنّة معرفة خَيرِهم من شرّهم.

٤١٥ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: مَا أَنْقَضَ النَّوْمَ لِعَزَائِمِ الْيَوْمِ.

و هو كالمثل يضرب: لمن يَعزمُ على امرٍ فيغفل عنه، او يتهاونُ فيه حتّى ينتقض عزْمُه عليه، واصله انّ الرجل ينوى السير ليلاً ليتوفّر فى نهاره على مسيره، فيغلبه النوم الى الصباح فيفوت وقتُ العزم و ينتقض فى يومه.

٤١٦ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: لَيْسَ بَلَدٌ بِأَحَقَّ بِكَ مِنْ بَلَدٍ، خَيْرُالْبِلاَدِ مَا حَمَلَكَ.

اى: ما حمل مؤنَتَكَ و قام بها.

٤١٧ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: (و قد جاءه نعى الأشتر رحمه الله:) مَالِكٌ وَمَا مَالِكٌ لَوْكَانَ جَبَلاً لَكَانَ فِنْدًا لاَ يَرْتَقِيهِ الْحَافِرُ، و لاَ يُوفِي عَلَيْهِ الطَّائِرُ.

[قال السيد رحمه الله: والفند: المنفرد من الجبال] (ومالك مبتدأ او فاعل اى: مات مالك. وما استفهاميّه في معرض التعجّب من مالك رحمه الله، وقوّتِهِ فى الدّين. واستعار لفظ «الفِند» له: لقوّة بأسه وعدم انفعاله عن العدوّ، واراد: انّه لو كان جبلاً لكان منفرداً من الجبال[2]) مُستقِلّاً فى عُلوّه ورفعتِهِ.

١ ـ سورة الحديد/٢٣.

٢ ـ العبارة بين القوسين غير موجودة في ش.

٤١٨ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: قَلِيلٌ مَدُومٌ عَلَيْهِ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ مَمْلُولٍ مِنْهُ.

اى: من الامور الّتى ينبغى ان تُفعل.

٤١٩ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: إِذَا كَانَ فِي رَجُلٍ خَلَّةٌ رَائِقَةٌ فَانْتَظِرُوا أَخَوَاتِهَا.

والرائقة: المعجبة اى: اذا كان فيه خلق فاضل، فانّ طبعه مظنّة ان يكون فيه امثاله فيتوقّع منه.

٤٢٠ ـ (وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام لغالب بن صعصعة أبى الفرزدق فى كلامٍ دار بينهما:) مَا فَعَلَتْ إِبِلُكَ الْكَثِيرَةُ؟ قَالَ: ذَعْذَعَتْهَا الْحُقُوقُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فقال عليه السلام: ذٰلِكَ أَحْمَدُ سُبُلِهَا.

فذعتها بالذال المعجمة مكررة: فرّقتها.

٤٢١ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: مَنِ اتَّجَرَ بِغَيْرِ فِقْهٍ فَقَدِ ارْتَطَمَ فِي الرِّبَا.

ارتطم فى الْوَحْلِ ونحوه: وقع فيه فلم يتمكّن الخلاص. و استعار لفظه: للتاجر الجاهل لوقوعه فى الربا.

٤٢٢ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: مَنْ عَظَّمَ صِغَارَ الْمَصَائِبِ ابْتَلَاهُ اللّٰهُ بِكِبَارِهَا.

لاستعداده بتضجّره و تسخّطه من قضاءالله لزيادة البلاء.

٤٢٣ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: مَنْ كَرُمَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ هَانَتْ عَلَيْهِ شَهَوَاتُهُ.

لعداوتهما و تضادّ كماليهما.

٤٢٤ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: مَا مَزَحَ امْرُؤٌ مَزْحَةً إِلَّا مَجَّ مِنْ عَقْلِهِ مَجَّةً.

فاستعار لفظ المجّة لما انتقص من العقل العملىّ بالمزاح غير المعتدل، فانّه يخالف الرأى الأصلح و هو يؤذن بنقصان الرأى المؤذِنِ بنقصان العقل.

٤٢٥ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: زُهْدُكَ فِي رَاغِبٍ فِيكَ نُقْصَانُ حَظٍّ، وَرَغْبَتُكَ فِي زَاهِدٍ فِيكَ ذُلُّ نَفْسٍ.

و هو ظاهر.

٤٢٦ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: مَا لِابْنِ آدَمَ وَالْفَخْرِ: أَوَّلُهُ نُطْفَةٌ. وَآخِرُهُ جِيفَةٌ، لَا يَرْزُقُ نَفْسَهُ، وَلَا يَدْفَعُ حَتْفَهُ.

و قد مرّ مثله.

٤٢٧ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: الْغِنَى وَالْفَقْرُ بَعْدَ الْعَرْضِ عَلَى اللّهِ.

فالغنى الحقيقيّ بالثواب، والفقر بعدمه في الآخرة.

٤٢٨ ـ (وَسُئِلَ عَلَيْهِ السَّلام عن أشعر الشعراء؟) فقال عليه السلام: إِنَّ الْقَوْمَ لَمْ يَجْرُوا فِي حَلْبَةٍ تُعْرَفُ الْغَايَةُ عِنْدَ قَصَبَتِهَا؛ فَإِنْ كَانَ وَلَابُدَّ فَالْمَلِكُ الضِّلِّيلُ (يريد امرؤالقيس).

اراد انّهم لم يقولوا الشّعر على نهج واحد، حتى تفاضل بينهم، بل لكلّ منهم خاصة يجيد فيها، و تنبعث فيها قريحته، فواحد في الرغبة و آخر في الرهبة. و لذلك قيل: اشعر العرب امرؤ القيس اذا ركب، والأعشى اذا رغب. والنابغة اذا رهب. و استعار لفظ الحلبة و هي: القطعة من الخيل يقرن للسباق للطريقة الواحدة. و انّما حكم لامرئ القيس بذلك لجودة شعره في اكثر حالاته. و سمّى ضِلّيلاً: لقوّة ضلالتِهِ و فُسقِهِ.

٤٢٩ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: أَلَا حُرٌّ يَدَعُ هٰذِهِ اللُّمَاظَةَ لِأَهْلِهَا؟ إِنَّهُ لَيْسَ لِأَنْفُسِكُمْ ثَمَنٌ إِلَّا الْجَنَّةَ، فَلَا تَبِيعُوهَا إِلَّا بِهَا.

فاللماظة بضمّ اللام: بقيّة الطعام في الفم، و استعار لفظها: للدنيا لحقارتها الى تركها، و ثمن النفوس: الجنّة في قوله تعالى: (انّ اللّه اشترى من المؤمنين انفُسَهم)[1] الآية.

---

١ ـ سورة التوبة / ١١١.

٤٣٠ ـ وَقالَ عَلَيْهِ السَّلام: عَلامَةُ الإِيمانِ أَنْ تُؤْثِرَ الصِّدْقَ حَيْثُ يَضُرُّكَ عَلَى الْكَذِبِ حَيْثُ يَنْفَعُكَ وَ أَنْ لَا يَكُونَ فِي حَدِيثِكَ فَضْلٌ عَنْ عَمَلِكَ وَ أَنْ تَتَّقِيَ ٱللّهَ فِي حَدِيثِ غَيْرِكَ .

اراد بحديث غيره الحديث فى عرضه بِغيبة أو سماعها. و قيل: اراد ان يحتاط فى الرواية فلا يروى كَذباً.

٤٣١ ـ وَقالَ عَلَيْهِ السَّلام: يَغْلِبُ الْمِقْدارُ عَلَى التَّقْدِيرِ حَتَّى تَكُونَ الآفَةُ فِي التَّدْبِيرِ.

(و قد مضى هذا الكلام فيما تقدّم برواية تخالف هذه الرواية.) والمقدار: القدر، والتقدير تقدير العبد لنفسه و تدبيرها لها، و ذلك للجهل باسرار القدر فربّما ظنّ ما هو آفة و سبب للهلاك مصلحة. و قد سبق شرحه.

٤٣٢ ـ وَقالَ عَلَيْهِ السَّلام: الْحِلْمُ وَ الأَناةُ تَوْءَمانِ يُنْتِجُهُما عُلُوُّ الْهِمَّةِ.

لانهما فضيلتان تحت علوّ الهمة من فضائل القوّة الغضبيّة تحت الشجاعة. و استعار لها لفظ (التوءمان): لكونهما متلازمين فى مرتبةٍ واحدة.

٤٣٣ ـ وَقالَ عَلَيْهِ السَّلام: الْغِيبَةُ جُهْدُ الْعاجِزِ.

لأنها اكثر ما تصدر عمّن لايقدر على الانتقام فيعدل اليها.

٤٣٤ ـ وَقالَ عَلَيْهِ السَّلام: رُبَّ مَفْتُونٍ بِحُسْنِ الْقَوْلِ فِيهِ.

اى: مبتلىً بذلك ليُعلمَ شكرُهُ من كُفْرِهِ.

٤٣٥ ـ وَقالَ عَلَيْهِ السَّلام: الدُّنْيا خُلِقَتْ لِغَيْرِها، وَ لَمْ تُخْلَقْ لِنَفْسِها.

اى: للاستعداد فيها لثواب الآخرة.

٤٣٦ ـ وَقالَ عَلَيْهِ السَّلام: إِنَّ لِبَنِي أُمَيَّةَ مُرْوَدًا يَجْرُونَ فِيهِ، وَ لَوْ قَدِ ٱخْتَلَفُوا فِيما

بيْنَهُمْ ثُمّ كَادَتْهُمُ الضِّبَاعُ لَغَلَبَتْهُمْ.

قال السيد الرضي ـ رحمه الله ـ: والمرود هنا مفعل من الإرواد، وهو الامهال والانظار، وهذا من أفصح الكلام واغربه، فكأنه عليه السلام شبه المهله التي هم فيها بالمضمار الذين يجرون فيه الى الغايه، فاذا بلغوا منقطعها انتقض نظامهم بعدها.

و اقول: استعار لفظ المرود: لمدّة دولتهم. و قد استعار لفظ الضباع: للاسقاط والاراذل[1].

٤٣٧ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَام: فى مدح الأنصار: هُمْ وَٱللهِ رَبَّوُا الْإِسْلَامَ كَمَا يُرَبَّى الْفِلْوُ مَعَ غَنَائِهِمْ بِأَيْدِيهِمُ السِّبَاطِ وَ أَلْسِنَتِهِمُ السِّلَاطِ.

الفلو: المهر، والسباط: السّماح. و يقال: للحاذق في الطعن انّه لَبَسْطُ اليدين اى: انّه ثقيف. والسلاط: الحداد الفصيحة. و وجه الشبه بتربية الفلو: حسن الرعاية له والقيام فيه.

٤٣٨ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَام: الْعَيْنُ وِكَاءُ السَّهِ.

قال السيد الرضي: وهذه من الاستعارات العجيبه، كأنه يشبه السه بالوعاء، والعين بالوكاء، فاذا اطلق الوكاء لم ينضبط الوعاء، وهذا القول فى الاشهر الأظهر من كلام النبى صلى الله عليه وآله وسلم، وقد رواه قوم لأميرالمؤمنين عليه السلام، وذكر ذلك المبرد فى كتاب «المقتضب» فى باب «اللفظ بالحروف» وقد تكلمنا على هذه الاستعاره فى كتابنا الموسوم «مجازات الآثار النبويه».

اقول: انّه استعار لفظ الوكاء وهو رباط القربة: باعتبار حفظ الانسان لنفسه فى يقظته ان يخرج ريح و نحوها كما يحفظ الوكاء.

٤٣٩ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَام: فى كلام له: وَوَلِيَهُمْ وَالٍ فَأَقَامَ وَٱسْتَقَامَ، حَتَّى ضَرَبَ الدِّينُ بِجِرَانِهِ.

---

١ ـ في ش: للاراذل والاسقاط.

والكلام من خطبة طويلة له ايام خلافته، ذكر فيها قربه من رسول الله صلّى الله عليه وآله واختصاصه به الى ان قال (فاختار المسلمون بعده بآرائهم رجلاً منهم فقارب و سدّد حسب استطاعته على ضعف وجدّ كانا فيه. ثم وليهم بعده وال فاقام و استقام حتى ضرب الدّين بجرانه على عسفٍ، و عجزٍ، كانا فيه. ثم استخلفوا ثالثاً لم يكن يملك امرَ نفسِهِ شيئاً غلب عليه اهلُه فقادوه الى اهوائهم كما يقود الوليدة البعير المحطوم. و لم يزل الأمر بينه و بين الناس يبعد تارة، و يقرب اخرى حتى نزلوا عليه فقتلوه. ثم جاؤا فى مدبّ الدِّبا يريدون بيعتى). فى كلامٍ طويل.

والجران: مقدّم عنق البعير، و ضربه بجرانه: كناية عن استقراره، كناية بالوصف المستعار.

٤٤٠ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ عَضُوضٌ يَعَضُّ الْمُوسِرُ فِيهِ عَلَى مَا فِى يَدَيْهِ وَ لَمْ يُؤْمَرْ بِذٰلِكَ، قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ: (وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ)[١] تَنْهَدُ فِيهِ الْأَشْرَارُ وَتُسْتَذَلُّ فِيهِ الْأَخْيَارُ، وَ يُبَايِعُ الْمُضْطَرُّونَ وَقَدْ نَهَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ عَنْ بَيْعِ الْمُضْطَرِّينَ.

فاستعار لفظ العضوض: لشدّته، و عضّ الموسر على ما فى يديه: كناية عن بخله. وتنهد: ترتفع.

٤٤١ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: يَهْلِكُ فِيَّ رَجُلَانِ: مُحِبٌّ مُطْرٍ، وَ بَاهِتٌ مُفْتَرٍ.

قال السيد الرضي: وهذا مثلُ قوله(ع) يهلِكُ فى رَجُلان محبّ غَالٍ ومبغضٌ قالٍ

والمُطْرِي: كثير المدح كالغلاة. والباهت له: المفترى عليه كالخوارج.

٤٤٢ ـ وسئل عن التوحيد والعدل فقال عليه السلام: التَّوْحِيدُ أَنْ لَا تَتَوَهَّمَهُ، وَالْعَدْلُ أَنْ لَا تَتَّهِمَهُ.

لأن غاية التوحيد ان يُحذفَ عنه تعالى كلُّ امرٍ اثبتَهُ الوهمُ كما نُقل عن الباقر عليه السلام: (فكلّ ما ميزتموه باوهامكم فهو مخلوق مثلكم مردود عليكم) كما مرّ بيانه

---

[١] سورة البقرة / ٢٧٣.

فی الخطبة الأولی. والمراد من العدل: اعتقاد جریان العدل فی جمیع افعاله تعالی و اقواله،فلا یفعل قبیحاً و لا یخلّ بواجبٍ و لا یُوهم[1] بهما

٤٤٣ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: لَا خَيْرَ فِي الصَّمْتِ عَنِ الْحُكْمِ، كَمَا أَنَّهُ لَا خَيْرَ فِي الْقَوْلِ بِالْجَهْلِ.

فالحکم: الحکمة، و قد مرّ مثله.

٤٤٤ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: فی دعاء استسقی به: اللَّهُمَّ اسْقِنَا ذُلُلَ السَّحَابِ دُونَ صِعَابِهَا.

قال السید الرضي: وهذا من الکلام العجیب الفصاحة، وذلك انه علیه السلام شبّهَ السحاب ذوات الرعود والبوارق والریاح والصواعق بالابل الصعاب التي تقمص برحالها وتقص برکبانها، وشبه السحاب خالیة من تلك الروائع بالابل الذلل التی تحتلب طیعه وتقتعد مسمحة.

و اقول: انّه استعار لفظ الذلل و الصعاب: للسحب لمکان المشابهة المذکورة. والتوقّص: النزو، و تقارب: الخطو. والروایع: الأمور المخوفة.

٤٤٥ ـ وَقِيلَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام (لو غیّرتَ شیبَكَ یا أمیرالمؤمنین) فقال علیه السلام: **الْخِضَابُ زِينَةٌ وَنَحْنُ قَوْمٌ فِي مُصِيبَةٍ!** (یرید وفاة رسول الله صلی الله علیه و آله و سلم).

٤٤٦ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: مَنْهُومَانِ لَا يَشْبَعَانِ: طَالِبُ عِلْمٍ، وَطَالِبُ دُنْيَا.

والنهم بالفتح: افراط الشّهوة فی الطعام. و لفظه مستعار: لشدّة طلب العلم والمال.

٤٤٧ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: لزیاد بن أبیه (و قد استخلَفَهُ لعبدالله بن العبّاس علی فارس وأعمالِها، فی کلامٍ طویلٍ کان بینهما نهاه فیه عن تقدُّم الخراج): اسْتَعْمِلِ الْعَدْلَ،

---

[1] ـ في ش: ولایتهم.

وَ احْذَرِ الْعَسْفَ وَالْحَيْفَ؛ فَإِنَّ الْعَسْفَ يَعُودُ بِالْجَلاءِ وَالْحَيْفَ يَدْعُو إِلَى السَّيْفِ.

اى: يعود بالجلاء على الرعيّة. والحيف يدعو الى السيف اى: الى محاربتهم للوالى، او الى هلاكه بسيف غيره.

٤٤٨ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: مَا أَخَذَ اللّهُ عَلَى أَهْلِ الْجَهْلِ أَنْ يَتَعَلَّمُوا حَتَّى أَخَذَ عَلَى أَهْلِ الْعِلْمِ أَنْ يُعَلِّمُوا.

لانّ وجوب التعليم على الجاهل مستلزم لوجوب التعليم على العالِم فى الحكمة الالٓهية. و عن النّبى صلى الله عليه و آله: (من تعلّم علماً فكتمه، أَلجَمَهُ اللّهُ يومَ القيامة بلجامٍ من نار)[1].

٤٤٩ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: شَرُّ الإِخْوَانِ مَنْ تُكُلِّفَ لَهُ.

قال السيد الرضى: لانّ التكليف مستلزم للمشقّة وهى: شرّ لازم عن الاخ المتكلّف له فهو شرُّ الأخوان.

٤٥٠ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: إِذَا احْتَشَمَ الْمُؤْمِنُ أَخَاهُ فَقَدْ فَارَقَهُ.

قال السيد الرضى: يقال: حشمه واحشمه بمعنى: اغضبه. وقيل: اخجله. واحتشمه طلب ذلك له و هو مظنّةٌ مفارقته.

و باللّه التوفيق والعصمة. و هو حسبنا و نعم الوكيل.

هذا اختيار (مصباح السالكين) لنهج البلاغة من كلام مولانا و امامنا اميرالمؤمنين على بن ابى طالب عليه السلام. و رجاؤنا فى الله سبحانه اذ وفقنى لتمامه ان يجعلَه خالصاً لوجهه و يسعدنا فى الدارين بمنّه و لطفه. و فرغ من اختصاره افقر عباداللّه تعالى ميثم بن على بن ميثم البحرانى عفااللّه عنه فى آخر شوال سنة احدى و ثمانين و ستمائة(٦٨١) بعون الله و حسن توفيقه، والحمدللّه كما هو اهله و صلّى الله على سيّدنا نبىّ الرحمة محمد

---

١ ـ جامع بيان العلم/ ٤. سنن ابن ماجة ١/ ٩٦. النهاية فى غريب الحديث ٤/ ٢٣٤.

و آله و سلّم تسليما كثيرا...[1].



---

١ ـ جاء في اخر نسخة ش هكذا: و بالله التوفيق والعصمة، وهذا آخر اختيار (مصباح السالكين) لنهج البلاغة من كلام مولانا و سيدنا اميرالمؤمنين عليه افضل الصلاة والسلام والحمدلله وحده و صلى الله على سيدنا محمد النبي وآله الطاهرين و سلم تسليما كثيرا، ربّ اختم بالخير برحمتك يا ارحم الراحمين.
وقع الفراغ بمنّه و لطفه يوم الخميس نصف النهار سادس و عشرين من ربيع الآخر من سنة ستة عشر وسبع مائة (٧١٦) من الهجرة و ذلك بالحلّة الفيحاء آمنها الله تعالى من البليّات و كتب حسين بن محمد الجرجانى المجاور عفا الله عنه.